عادل رؤوف



أنبياء و أصنام

«حوزة» الأرض والوطن
«حوزة» الوافدين إلى الوطن

المركز العراقي للإعلام والدراسات

أنبياء و أصنام

«حوزة» الأرض والوطن

«حوزة» الوافدين إلى الوطن

إن فكرة هذا الكتاب تنهض على قراءة واقع الحوزة «النجفية» مقارناً بواقع «الحوزة» القمية، وفكرة الدراسة المقارنة هذه لا يمكن فصلها عن مسار الدين الإسلامي، ومراحل تحريفه، وولادة «رجل الدين ــ الإله ــ» وكيف تعددت هذه الآلهة في «الحوزة» الواحدة، وفي كل «الحوزات» الأخرى وحركة صراع هذه «الآلهة» عبر التاريخ، وعلاقة ذلك بالنظام المعرفي الديني البشري الموروث، وصولاً الى فوارق «الحوزتين» بمواصفاتها «النقلية» وعناوينها كـ «حوزة وطن وحوزة غرباء عن الوطن»، و«حوزة سياسة وحوزة خرافة»، و«حوزة أصل وحوزة فرع»، و«حوزة ضحايا من المفكرين وحوزة ضحايا أقل»، و«حوزة أسرية ومناطقية وحوزة مدنية»، و«حوزة صنمية وأخرى بشرية»، و«حوزة لسانية وحوزة غير لسانية»، و«حوزة ثورية وحوزة أميركية»، و«حوزة نسوية وحوزة ذكورية»، و«حوزة عربية وحوزة فارسية وغير عربية»، و«حوزة احترابية وحوزة اقل احترابية»...الخ.. اذ ان عدم وجود شيء اسمه «الحوزة» في القرآن الكريم، لا يعني انعدام الفوارق في مسارها وواقعها في قم والنجف، كما ان وحدة مسمى «الآلهة»، الأصل في «الحوزة» لا يعني انعدام الفارق في عدد هذه الآلهة فيهما، كما لا يعني انعدام فرض ان هذه الآلهة بعضها كبير، والآخر صغير، وبعضها عميل، وبعضها نصف «عميل» وبعضها آلهة بشرية، وبعضها الآخر آلهة دولية.

إن الكتابة عن الحوزة وآلهتها وأصنامها العراقية هي في الواقع كتابان، كتاب آلهة التاريخ والميدان، وكتاب التأسيس لها على ضوء القرآن، او هو عبارة عن قراءتين لدور هذه الآلهة البشرية، قراءة مقارنة لتاريخ ومسيرة وواقع رموز «الحوزة» النجفية مع «الحوزة» القمية. وقراءة تأسيسية للآلهة البشرية على ضوء النص القرآني الكلي، بما يعزز الافتراق الجذري بين النظام الديني المعرفي البشري، وحوزته، وبين النظام المعرفي القرآني، وبما يجعل من تراكمات النظام الأول، المرة والقاسية عبر التاريخ وصولا الى الحاضر؛ العراق الدامي مسرحاً مركزياً للنهاية الكونية، ربما، طاوياً لصفحة الوجود الكوني برمته، ومطيحاً بزمن ليس ببعيد بأصنامه التي جعلت من هذا العراق مكاناً للجريمة الكونية ومكباً ومستودعاً حاضناً لكل ما هو فاسد من بضائع وأفكار، وساحة للنار والدماء والدمار.

ولكن لأن الإحاطة بالكتابين معا ودمجهما في كتاب واحد أمراً يرهق القارئ، ويربك السياق «الفني» او «الحجمي» للكتاب، قررنا ان نفصل كتاب التاريخ والميدان لـ «الحوزة» هذا بدراسته المقارنة بين قم والنجف، عن كتاب «الحوزة» التأسيسي على ضوء القرآن تحت عنوان «الآلهة البشرية».

المؤلف

تصميم الغلاف: طالب الداوود

أنبياء وأصنام

"حوزة" الأرض والوطن

"حوزة" الوافدين الى الوطن

- أنبياء وأصنام ..

«حوزة» الأرض والوطن .. «حوزة» الوافدين الى الوطن

- عادل رؤوف
- الطبعة الرسمية الثانية: جماد الاولى / ١٤٣٠ هـ ـ آيار / ٢٠٠٩م

- الناشر: المركز العراقي للإعلام والدراسات

بغداد: ٠٧٧٠٤٩٠٣٦٨٦

بيروت: ٠٣٥٢٩٣٣٦

دمشق: ٠٩٨٨٧٨٣٠٠٧

- تصميم الغلاف: طالب الداوود
- الاعمال الفنية: حوراء رؤوف

المقدمة

قطعت وعداً للقراء في كتابي الأخير «صناعة العقول بين التقليد الفقهي، وثقافة التقليد» بأن أواصل المشوار معهم حول دراسة النظام الديني المعرفي البشري الموروث بثنائياته، التي تطرقنا لها في ذلك الكتاب.. ومن ثم تأسيس النظام المعرفي القرآني الأصل، وكان مفروضاً أن أفي بوعدي، وأنفض الغبار عن مسوداتي حول كتاب «الاجتهاد.. والتفقه»، والكتب الأخرى في دورة معرفية مترابطة في هذا المجال، وفعلاً باشرت على الفور بمضاعفة ساعات عملي، متعايشاً مع إيقاعات الألم والوجع القاسي لخبر الملف العراقي اليومي، الذي له في خططي دورة «سياسية ــ معرفية» لا يعوزها إلا القليل من الإضافات المعرفية والفنية، وهي دورة كتبت جلها قبل احتلال العراق... وما بين وجع الدورتين ــ وجع العراق والدين ــ كنت أسمع ردود الفعل حول كتاب «صناعة العقول»، وهي ردود متفاوتة الإثارة، والاستيعاب والقبول والرفض والجدل، وإذا كان المحور الذي ابني عليه أولوياتي الكتابية، هو محور «الاستيعاب» وسلاسة إيصال الأفكار إلى أكبر شريحة من القراء، وهذا ما أسهبت في توضيحه في الكتاب المذكور.. فإن تقديري بعد تلك الردود استقر على كتاب مستقل يتحدث عن «الحوزة الدينية» بدايتها، مسارها، نهايتها، آلامها، وهو في الواقع كتاب كان مادة موزعة في أفكاره وبعض مضامينه بين الدورتين «المعرفية» و«المعرفية ــ السياسية» اللتين أعمل على إنجازهما، إلا أنه صار يحتل موقع

«المدخل» لكتاب «الاجتهاد ــ والتفقه»، وقابل للتصنيف على كلا الدورتين، ومع هذا، فلعل القارئ سيتساءل أيضاً عن الجديد، الذي اضطرنا إلى هكذا اختيار وأولوية بعد كل ما كتبناه عن «الحوزة» في كتبنا السابقة، وهو تساؤل منطقي، وجوهري، حتى أن بعض التعليقات على «الأنترنيت» صنفتني بــ «المولع بالمرجعية الدينية» والكتابة عنها، وبغض النظر عن قصدية أو عدم قصدية هذهِ التوصيفات، إلا أنها لا تلامس «صرامة أولوياتي»، والخط المعرفي العام، الذي أسير عليه، فخطي الذي يحدد هذه «الصرامة» ممسوك بثابتين، هما القرآن والواقع، وثالثهما الناس، من حيث أفرغ «ديني» في وعائهم كأمة.. وبغض النظر عن ذلك، فإن السؤال عن مبرر العودة إلى الكتابة عن «الحوزة الدينية» يبقى قائماً، فما الجديد بعد ما كتبناه كله عنها؟، وما الأسباب الأخرى، غير ردود الفعل حول كتابنا «صناعة العقول» في تقديمه كأولوية للقراء قبل كتاب «الاجتهاد ــ التفقه»؟ وإزاء ذلك يمكن أن نقول: إن «الحوزة الدينية» تبقى مشروعاً مفتوحا لا ينضب للكتابة سواء في «دورة معرفية تأسيسية» أم في «دورة معرفية سياسية وطنية» ولاسيما في وطن كالعراق، لأنها احتلت تاريخ الإسلام وابتلعته كنظام معرفي متحرك الصيرورة في مبانيه وعناوينه، وهي تسجل حضورها في الواقع بأنماط تهزه هزاً عنيفاً من جذوره، وبالتالي فإن إسقاط الكتابة عنها في أية مرحلة زمنية يعتبر «خطيئة» كبرى دفعت ثمنها الأجيال الإسلامية والعراقية بصورة قاسية، بغض النظر عن سكونها ــ الأصل ــ الذي بإمكانه أن يدمر الأوطان أو حراكها الاستثنائي «الخطر» الذي يمكن له أن يضع هذه الأوطان، لا بل «العالم برمته» في أقصى درجات «الانهيار» والاستنفار إذا ما أضيف إليها دور المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، والعالم كله..

نعم إن صراع البشرية عبر التاريخ حتى الآن هو صراع ديني، وصراع آلهة، واليوم وقبل ما يقارب الثلاثة عقود زمنية، وبالعودة إلى أكثر من عقدين آخرين، وضعت «الحوزة» في كل من العراق وإيران العالم برمته على حافة الانفجار من حيث يشعر الكثير من رموزها، أو لا يشعرون، وأستطيع أن أطلق العنان لــ «مبالغاتي» وأقول: انه وفي اللحظة الحالية يبدو المشهد بأن «الكون يسير والمنية تسير

معه» في تلخيص بحاجة إلى كثير من الشروحات هي على علاقة بـ «الحوزة» الدينية، ودورها «السكوني» ــ الأصل ــ في ظل «آلهتها»، أو الحراكي ــ الاستثناء ــ وعلى علاقة بعودة الصراع الكوني «علناً إلى العنوان الديني»، بعدما خبأ هذا العنوان وغطته عناوين أخرى، قومية، ديمقراطية، شيوعية، اشتراكية، ليبرالية، رأسمالية، وطنية، عرقية، لما يقارب القرنين من الزمن، وهذا ما يرتبط بـ «الحوزة» ما بعد الإسلام، أما قبل الإسلام فـ «المؤسسات الدينية» كانت حاكمة لهذا الصراع الكوني، بغض النظر عن الاسم برامزه «المؤسسي» أو «الكياني» أو «الإطاري»، على طول التاريخ الديني البشري، فمن لا يعرف ماذا تعني «الحوزة ورجال دينها» الذين هم في موقع الآلهة عبر التاريخ، لا يعرف كيف تبنى الأوطان والأديان وكيف تنهار؟ ولا يعرف، من يصنع مصير الإنسان؟ وما هو التاريخ بجدله الكوني، وفق «منطوقات» القرآن؟ ولأن «الحوزة» ككيان ديني كانت قبل وبعد الإسلام حسب «مبالغاتنا» هذه ولأنها ابتلعت تاريخ الإسلام «سلباً» في الأصل، وليس الاستثناء، ولأن الاستيعاب لكتاب «صناعة العقول»... كان متفاوتاً لدى القراء، اضطررنا أن نعود إلى «الحوزة» كتاريخ ووقائع جدلية خلافية، معرفية، وآلهة هذا الجدل التاريخي ــ بنظامه المعرفي وثنائياته ومبانيه وعناوينه الكلية، إذ حتى الآن، هنالك شريحة مهمة من القراء هي بحاجة إلى «الحوزة ــ التاريخ» كمدخل لاستيعاب «الحوزة ــ النظام المعرفي»، والباحث حين يحشر بين حاجة الناس، وأولوياتهم، يجد نفسه محشوراً بين أولويات الناس والواقع، و«أولياته» المتمثلة بإنجاز «مشروعه المعرفي» المتمثل ــ هنا ــ بالنظام المعرفي القرآني.

إنه حشر على درجة كبيرة من احتراق الباحث الذاتي ومحنته وابتلائه، وهو أحد انعكاسات صراع هذا الإنسان مع نفسه، إذا كان في موقع الباحث أو أي موقع آخر، فالإنسان «رمزياً» يعيش صراعاً مريراً بين قيم الرحمن وقيم الشيطان في داخله... ويستطيع أن يحقق إنسانيته ودينه إذا استطاع أن يجعل منسوب الله في أعماقه أكبر من منسوب الشيطان فقط، لا غير، وعليه ينبغي أن يكون في حالة من الاستنفار الدائم لمراقبة هذا المنسوب، فحيث ما يجره الشيطان إلى«منجزه الذاتي ــ الإبداعي»

المنحاز إلى أناه يكون جهاز الرقابة لديه معطوباً، وحيث ما يجد نفسه في أولويات الواقع والناس يكون قد حقق إنسانيته ودينه، فالباحث «الإنسان» ينبغي أن يكون موقعه الناس والميدان.. وناس العراق اليوم «حاضن إحدى أهم الحوزتين» في «العالم الشيعي»، يعيشون في عالم من أشباح، وعالم آخر من أشباح بانتظارهم، وهو أكثر قسوة ومرارة ودموية من كل مما عاشوه كله في سنوات ما قبل الاحتلال الأميركي لبلدهم، وما بعده، وثقل التوصيف لأهل العراق ما بعد الاحتلال هو الحيز الأكبر، الذي يسوغ الكتابة عن «الحوزة الدينية» في العراق، ويضيف أسباباً أخرى مضافة إلى الأسباب، التي دفعتنا إلى الكتابة عنها وفي هذا الوقت الراهن ذاته.. فإذا كان ما كتبناه سابقاً بمثابة جرعات تأسيسية «ناقدة» لواقع «الحوزة الديني» فإن ملف «الحوزة والاحتلال» الذي كنا ندفع به نحو المستقبل للدراسة والتنقيب، رهاناً على «عسى وهمية» و«انتظار وهمي» بأن تحصل «معجزة مفترضة» تزحزح هذا الملف، انطلاقاً من «فرضية» ضغط الواقع العراقي، وإمكانية أن يصبح هذا الضغط سبباً لموقف «ايجابي» أسميناه «وهمياً وانتظارياً»، إن هذا الدفع بالملف إلى المستقبل سقطت مبرراته في ظل عالم الأشباح، الذي يعيش العراقيون قسوته وتعدد «آلهته الدينية» ومجالاته، شبح الدماء القادمة، شبح تقنين انهيار الوطن، شبح الانفجارات الأمنية اللامحسوبة، شبح الغذاء والدواء، والماء المجرثم والنبات المسرطن، وأزماتهما اللاحقة. شبح الظلام الدامس، لا «الظلام الكهربائي» وإنما ظلام الظلم الكوني، الذي مورس بحق العراق والعراقيين.. إنه عالم أشباح وظلم كوني تدور دائرته على مسمى الدين، وصراعه الكوني على أرض العراق، وبـــ «آلهة عراقية» يقودون، «حوزة العراق الدينية» لا تنفك في ملفها عنه، إن لم تكن هي الأساس في موقفها ودورها في هذا الإطار. وبالتالي فإننا أمام لحظة لدور هذه «الحوزة» يمكن القول عنها بأنها: لحظة غير مسبوقة، تتمازج مع لحظة كونية صراعية دينية هي الأخرى غير مسبوقة، ولم يشهد التاريخ مثيلاً لها، وتتوحد اللحظتان «دوراً» و«ظلماً» لإنتاج عالم الأشباح، الذي يعيشه العراقيون ربما إنذاراً لنهاية كونية، غير معروفة السيناريوهات، لكنها بالتأكيد نهاية ذات بصمة عراقية، وذات طابع ارتدادي على كل من ساهموا في إيصال

العراق إلى هذا الواقع، وما يهمنا هنا هو المكون «الحوزوي» العراقي و«آلهته» التي قررنا العودة إلى دراستها كـ «تاريخ» سجالي، لكنه لا ينفك عن النظام المعرفي القرآني.. فإذا كنا في المرات السابقة كتبنا بعض ملفاته، من داخله، فإننا نشعر الآن بأن الكتابة من داخل هذا الملف «الحوزوي» العراقي، لا تفي بالغرض لفهم ما حصل ويحصل وسيحصل لهذا العراق، ودور «آلهة الحوزة الديني» فيه، ولا بد إذن من دراستها دراسة مقارنة مع «حوزة» مركزية أخرى، وهي «حوزة» إيران لفهم واقع «الحوزة» العراقي، فمثل هكذا دراسة وحدها كفيلة برصد تداعيات دورها على الوطن كله، ثم معرفة شذوذ الحاضر والمستقبل العراقي.

إن «حوزتي» إيران والعراق، وبالتحديد قم والنجف، قامتا على مشتركات بنيوية ومعرفية و«مذهبية»، وتعانقتا بعلاقة تاريخية لم تنقطع في مرحلة من مراحل تاريخ «الحوزة» ونشأتها الأولى، مروراً بمراحل تطورها ككيان، أو كجدل «معرفي ــ فقهي»، إذ لا يختلف اثنان بأن «فكرة الحوزة» لا وجود لها في الإسلام، هذا إذا لم يذهب أمرها أبعد من ذلك، وبالتالي فإنها منتج بشري متمرحل في صيرورته، ومتنقل في أماكنه و«ملفق» في معرفته، وأخذ هذا التلفيق مساره التصاعدي، كما أنها فكرة متخاصمة مع القرآن الكريم، وهذا ما يفرض بحثها على ضوء القرآن كسؤال مركزي وجوهري، وهو ما له كتابه الخاص، ولابد من الإشارة إلى أن كون هذه الفكرة على خصومة مع القرآن الذي حذر منها، لا يعني أن كل ما ينضوي تحتها في تاريخها الطويل هو ملفق و«غير شرعي» سواء تمثل بالفكر، أم بالرموز ــ رموز «الحوزة الآلهة» ــ إلا أن هذا «الشرعي» و«الصحيح» بدءاً من تاريخها حتى حاضرها، يمثل الاستثناء، الذي هو الآخر يرتكز إلى «مرجعيته القرآنية»... فإذا كان هذا الكيان ملفقاً، وغير شرعي، وترك آثاراً سلبية مرعبة على الإسلام كرسالة ودين، وإذا كانت معرفته أو نظامه المعرفي البشري الموروث هو الآخر يمثل إشكالية كبرى، فإن ذلك كله لا يتعارض مع استثناءات معرفية ورموزية رتبت أثراً جباراً في الحد من انحرافاتها..، وهذا ما أسس له القرآن الكريم عبر تعاطيه مع «المؤسسات الدينية» التي سبقت الإسلام..

بناء على ما تقدم كله يمكن القول، إن فكرة هذا الكتاب تنهض على قراءة واقع «الحوزة» النجفية مقارناً بواقع «الحوزة» القمية، وفكرة الدراسة المقارنة هذه لا يمكن فصلها عن مسار الدين الإسلامي، ومراحل تحريفه، وولادة «رجل الدين ــ الإله ــ» وكيف تعددت هذه الآلهة في «الحوزة» الواحدة، وفي كل «الحوزات» الأخرى وحركة صراع هذه «الآلهة» عبر التاريخ، وعلاقة ذلك بالنظام المعرفي الديني البشري الموروث.

إننا نعتقد أن الطريق الوحيد للإحاطة بذلك كله يتمثل بدراسة الواقع «الحوزوي» المقارن بين قم والنجف من خلال المنهج القرآني أو المنهج الموضوعي للنص القرآني الكلي، ولا خيار لمعرفة الحقائق إلا وفق معادلة «الواقع ــ القرآن»... أي طرح تحديات الواقع كله على القرآن الكريم كنص كلي ترابطي، لا ينفك بعضه عن بعض، وأن أي منهج تجزيئي آخر لا يفي بالغرض كأساس للتعاطي مع القرآن الكريم ــ وهذا ما له مبحثه التأسيسي من القرآن ذاته في كتاب مستقل ــ لأننا بدون معرفة معنى الدين، ــ أي دين، ــ ومعنى الدين الإسلامي ومعنى الإسلام، ثم معنى الإيمان والفوارق بينهما، لا يمكن لنا أن نعي خطورة ما هو حاصل تحت مسمى «الحوزة» في القرآن من جهة وفي النظام الديني المعرفي البشري والذي يمثل «الهامش» في دراستنا المقارنة هذه بين قم والنجف من جهة أخرى، وهذا ما يفرض قراءة ما يمكن قراءته من معاني ضمنية في مبحثنا هذا «الحوزوي» المقارن، بغية الإحاطة بواقع العراق في ظل دور «آلهة حوزته». فليس المهم هنا أن نعرف الفوارق الاسمية والوصفية وبناها المعرفية التحتية بين «الحوزتين» فقط، وإنما الأهم من ذلك أن نعود بالمبدأ ــ «مبدأ الحوزة» ــ إلى القرآن الكريم كمرجعية نصية كلية لنعرف بالضبط لماذا حصل ما حصل لهذا العراق في ظل «آلهته الحوزوية وأديانها»، ومن ثم ليأخذ الموضوع بعده التأسيسي العلمي، وهذا ما أكدنا انه سيأخذ طريقه الى كتاب مستقل... وإننا إذ نكرر عبارة «آلهة الحوزة» فإننا نعني بها «آلهة الحوزتين» القمية والنجفية، لا «آلهة الحوزة» النجفية فقط، مع تكرار الإشارة ثانية على أن مسمى «الآلهة» مثّل الأصل في مسار «الحوزتين» لكن مع الفوارق في دور «الإله» و«درجة الإلوهية»

وأثرها في الواقع في كلا البلدين، وترابطها بالمعطيات الجغرافية والديمغرافية والاجتماعية والفكرية فيها، كما أننا إذ نكرر عبارة «الآلهة» فإننا لا نسوقها بصورة إطلاقية شاملة لكل «رجال الدين ــ الآلهة ــ»، فقد قلنا إن هؤلاء يمثلون «الأصل والقاعدة»، إلا أن لهذه القاعدة استثناءها في البلدين، وأيضاً لا نقرر هذا الاستثناء «مزاجياً»... وإنما تأسيساً على القرآن الكريم، ومنهج التعاطي الموضوعي مع نصه الكلي، ففي ظل الفوارق ــ «الآلهة العراقية والآلهة الإيرانية» ــ سنكون أمام فوارق «الحوزتين» ومواصفاتهما وسنجد أن هنالك «حوزة وطن وحوزة غرباء عن الوطن»، و«حوزة سياسة وحوزة خرافة»، و«حوزة أصل وحوزة فرع»، و«حوزة ضحايا من المفكرين وحوزة ضحايا أقل»، و«حوزة أسرية ومناطقية وحوزة مدنية» و«حوزة صنمية وأخرى بشرية» و«حوزة لسانية وحوزة غير لسانية» و«حوزة ثورية وحوزة أميركية» و«حوزة نسوية وحوزة ذكورية» و«حوزة عربية وحوزة فارسية وغير عربية» و«حوزة احترابية وحوزة أقل احترابية»...الخ في المحصلات والنتائج... إذ إن عدم وجود شيء اسمه «الحوزة» في القرآن الكريم، لا يعني انعدام الفوارق في مسارها وواقعها في قم والنجف، كما أن وحدة مسمى «الآلهة»، الأصل في «الحوزة» لا يعني انعدام الفارق في عدد هذه الآلهة فيهما، كما لا يعني انعدام فرض أن هذه الآلهة بعضها كبير، والآخر صغير، وبعضها عميل، وبعضها نصف «عميل» وبعضها آلهة بشرية، وبعضها الآخر آلهة دولية.

إن الكتابة عن الحوزة وآلهتها العراقية هي في الواقع كتابان، كتاب آلهة الميدان، وكتاب التأسيس لها على ضوء القرآن، أو هو عبارة عن قراءتين لدور هذه الآلهة البشرية، قراءة مقارنة لتاريخ ومسيرة وواقع رموز «الحوزة» النجفية مع «الحوزة» القمية، وفوارقها الإسمية والمضمونية التدميرية، وقراءة تأسيسية للآلهة البشرية على ضوء النص القرآني الكلي، بما يعزز الافتراق الجذري بين النظام الديني المعرفي البشري، وحوزته، وبين النظام المعرفي القرآني، وبما يجعل من تراكمات النظام الأول، المرة والقاسية عبر التاريخ وصولاً إلى الحاضر العراق الدامي مسرحاً مركزياً للنهاية الكونية ــ ربما ــ، طاوياً لصفحة الوجود الكوني برمته، ومطيحاً بزمن ليس

ببعيد ــ ربما ــ بآلهته البشرية، وكل الآلهة البشرية وغير البشرية التي جعلت من هذا العراق مكاناً للجريمة الكونية ومكباً ومستودعاً حاضناً لكل ما هو فاسد من بضائع وأفكار، وساحة للنار والدماء والدمار. ولكن لأن الإحاطة بالكتابين معاً ودمجهما في كتاب واحد أمراً يرهق القارئ، ويربك السياق «الفني» أو «الحجمي» للكتاب، قررنا أن نفصل كتاب الميدان لــ «الحوزة» هذا بدراسته المقارنة بين قم والنجف، عن كتاب «الحوزة» الميدان على ضوء القرآن تحت عنوان «الآلهة البشرية».

عادل رؤوف

٤ محرم ـ ١٤٣٠ هـ

الفصل الأول

فصول أولى
فوارق أم مهازل ؟

"حوزة" السياسة
"حوزة" الخرافة

بدءا لابد من الإشارة إلى أن عناوين هذه الفقرات، ونحن نخوض في كتاب يقارن بين مساري «الحوزتين»، النجفية والقمية، هي ليست عناوين إطلاقية، وإنما هي عناوين تنطبق على «الحوزتين» معاً، ولكننا عندما نضعها في موقع الصفة لإحدى «الحوزتين» ونضع ذات الصفة بمضمونها المضاد لـ «الحوزة» الأخرى، فإننا نقوم في الواقع ـ بقدر المستطاع ـ برصد فوارق هذه الصفات، وتطبيقاتها عبر التاريخ، بما يمكننا من فهم مسار هذا التاريخ «الحوزوي»، وبما يسمح لنا في نهاية المطاف من أن نعمم إحدى الصفات أو بعض الصفات على إحدى «الحوزتين»، دون الأخرى، والتعميم لا يعني تعميما إطلاقيا في كل مرحلة من مراحل هذا المسار، وما دعانا للخوض في هكذا دراسة مقارنة، هو ما انتهى إليه واقع «الحوزتين»، الذي لا يمكن تجاهله بعد الآن، وفي ظل تراكم الفوارق، الذي أفرزه واقع ما بعد احتلال العراق أميركياً، فقد بدت «الحوزة» النجفية متعاونة مع الاحتلال هي و«أحزابها» بشكل شبه إطلاقي ـ إن لم نقل إطلاقياً، مع شيء من المجازفة ـ.

فمثل هذه النهاية لـ «الحوزة» النجفية، وفي ظل التحولات الهائلة في مسار «الحوزة» القمية، بدت الفاصلة شاسعة جدا، بما يفرض علينا العودة إلى تاريخ «الحوزتين»، وكيف حصل ما حصل لهما، بما أظهرهما ـ في الفترة الخمينية وما تلاها ـ إنهما متضادتان في توجهاتهما السياسية والفكرية، وتقعان على طرفي نقيض

في الصفات، التي أشرنا إليها، وبطبيعة الحال لا يمكن إنجاز دراسة تاريخية مستوعبة تفاصيل هذا الملف كله، وإذا كان هذا الأمر «محالا»، فإن الممكن فيه، هو التوقف عند أهم المنعطفات في مسار «الحوزتين» التاريخي، وأهم ما يرتبط بكل منهما من عوامل «وطنية» ترتبط بالديمغرافيا، والجغرافيا، والتاريخ الديني، والمجتمع، ونظام القيم، الذي يحكمه...الخ.

ووفق هذا «الممكن» سنقف بالاشارة لبعض محطات هذا التاريخ «الحوزوي»، من ناحية، ومن ناحية ثانية، سنسهب كثيراً في محطات أخرى، يقع جلها في ما بعد النصف الأخير من القرن الماضي، بما اختزنه هذا الزمن من منعطفات مكثفة، مثلت انحدارا لكل تاريخ هذه «الحوزة» عليه، والأهم من ذلك أنَّ هكذا دراسة ستحتاج منا إلى أن نطرحها، بعد استيعابها، على القرآن الكريم لاستنطاقه حول مبانيها كلها، بما يسهل علينا لا فهم هذا التاريخ «الحوزوي»، وشرعية أو عدم شرعية «الحوزة» قرآنياً، بل أيضاً بما يعطينا تصورا ثريا عن مسار التاريخ الإسلامي كله، وعن نكبات وانتكاسات الأمة الإسلامية، التي عاشتها وتعيشها حتى هذا اليوم ـــ وهذا ما اشرنا انه يحتاج الى كتاب مستقل سيصدر قريباً انشاء الله ـــ.

ويتمثل مدخلنا بمقولة للإمام الخميني أطلقها في أشهر إقامته الأخيرة في النجف الأشرف قبل انتصار ثورته في إيران، حيث صرخ آنذاك صرخته «المناطقية» الشهيرة الوحيدة واليتيمة في حياته كلها: «بخدا من نجفي نيستم.. من قمي هستم» ـــ أي «والله أنا لست نجفياً.. وإنما انا قمي» ـــ أثر دعوته لـــ «حوزة» النجف إلى الإضراب أيام إرهاصات الثورة الإسلامية في إيران، التي كان يقودها، داعياً من خلالها إلى إشراك «حوزة النجف»، في الاحتجاج على مجازر شاه إيران السابق بحق الثوار، لم يتوقف أحد إطلاقاً على مضامين ودلالات هذهِ «الصرخة» وخطورتها، وما تخبئ من آلام وأسرار، ولم يكتب عنها حتى الآن.. ولم يفكك أحد «الغازها» ومخبوءها التاريخي، فضلا عن تداعياتها اللاحقة.. ولو أن أحداً وقف على ذلك كله في حينه.. لما كان صعباً عليه أن يدرك ما انتهت إليه الحركة الإسلامية في العراق، التي تجلت بأخطر صورها بعد الاحتلال الأميركي للعراق.

لم يُعرف عن الإمام الخميني أنه تحدث «مناطقياً» طوال حياته.. وأن صرخته تلك جاءت في مقطع حياته الأخير في العراق، وفي منعطف ثوري مصيري، ولم تأت لا في بداية رحيله إلى العراق، ولا أثناء فترة إقامته الطويلة فيه.

فقد أعطته الإقامة الطويلة في العراق، امكانية فهم الحركة الإسلامية و«المؤسسة الدينية» فيه، وقد أدرك جيدا كيفية التعاطي مع عدوه شاه إيران من جهة، ونظام الحكم في العراق من جهة ثانية، لكنه كان يدرك أيضاً ــ إلى حد ما ــ بان خطاً ثورياً إسلامياً داخل العراق كان محاصراً، ولا يستطيع أن يواجه هذا السلطوي «الثنائي» العراقي ــ الإيراني، كما لا يستطيع أن يواجه الخط «المرجعي» التقليدي، الذي يحاصر هذا الخط الثوري عمليا أكثر من «الثنائي» العراقي ــ الإيراني السلطوي المذكور.

إنه إذن ربما لم يكن يتوقع بأن هذا الخط الثوري إذا ما أراد أن يتحرك، فلا فرصة للحركة أمامه إلا «الانتحار»، بحكم قوة هذا الحصار السلطوي الثنائي، والحصار «الحوزوي» التقليدي.. ومع فهمه وتوقعاته كلها إلا أن الإمام الخميني كان يقدر ــ ربما ــ في زمن إطلاق صرخته، بأن ذلك الإمساك الثنائي ما كان يلغي تماما إمكانية الاستجابة لصرخته.. وهو تقدير صحيح من حيث المبدأ، إذ ما الذي سيفعله نظام صدام حسين البائد لو أن «حوزة النجف» ورموزها قد لبت دعوة الإمام الخميني.. في ظل هدير ثوري جماهيري في إيران؟ انه ما كان يستطيع أن يفعل شيئا إطلاقا.

فنظام صدام ــ البكر اصغر من أن يواجه «رموز الحوزة» كلهم، لو كان قرارهم موحدا إزاء أية قضية من القضايا ــ كما أن أي «قرار جمعي» لهذه «الحوزة» ولاسيما في تلك المرحلة الثورية ــ داخل العراق، سيفجر الشارع العراقي بأكثريته، وهذا ما يجعل من أي نظام حاكم في العراق، أن يعيد حساباته ألف مرة، دون أن يقدم على مواجهة هذا «القرار الحوزوي الموحد» وتداعياته.

ولم يكن مثل هذا الافتراض افتراضاً نظرياً «حالماً»، بل ان أحداث ما بعد تلك المرحلة أكدته بشكل واضح، فقد عجزت السلطة العراقية عن مواجهة قرار الشهيد

الصدر الأول ــ دفعة واحدة ــ وهذا ما أكده تحرك هذا الأخير بوقوفه العلني مع الثورة الإسلامية في إيران قبل وبعد انتصارها، وما أكدته ممارسات الشهيد الصدر الأول بوجه السلطة العراقية، من خلال وفود البيعة حتى استشهاده، وذلك كان مصداقا لهذا «الافتراض».. حيث لم تأتي الإدارة ــ إدارة النظام في مواجهة الصدر الأول ــ بشكل «تهوري ــ فوري»... وإنما جاءت بشكل محسوب لردات فعل الشارع العراقي، ومستوعبة لمحطات اختبار مخبوء هذا الشارع، والانقضاض على التداعيات، التي ولدها تحرك الشهيد الصدر الأول، عبر مراحل متدرجة «اعتقال أول للشهيد محمد باقر الصدر، ثم الإفراج عنه، ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية في بيته، ثم اعتقال ثاني، ثم حوارات مطولة معه بغية إقناعه بالتراجع، وفي الوقت ذاته كانت السلطة تمارس الاعتقالات والإعدامات لمن قادوا أو شاركوا في المظاهرات ضدها في عدد من المدن العراقية»... حتى توجت هذهِ الإدارة بجريمة إعدامه، هو وأخته الشهيدة بنت الهدى، وإذا كانت هذهِ الإدارة تدلل على شيء من ذلك، فإنما تدلل على ممكنات كبيرة لفعل «الحوزة النجفية» إذا ما قررت قراراً جماعياً مشتركاً، فإذا ما كان رمز محارب من رموزها استدعى هذهِ الإدارة بكل ما فيها من تدرج وتمرحل وحسابات لردات الفعل وخطط وطوارئ فكيف إذا ما جاء القرار «مرجعياً جمعياً»؟ إن هذا الافتراض «الحقيقي» هو ما دعا الإمام الخميني في حينه إلى أن يطلق نداءه إلى «حوزة النجف» بالإضراب تضامناً مع ثوار إيران، واستنكاراً لجرائم الشاه، وهو الذي دعاه عندما صدم بــ «حوزة النجف» التي لم تستجب لندائه، إلى أن يخرج عن طوره الخطابي الثوري، ويطلق تلك المقولة «المناطقية» اليتيمة في حياته «أنا لست نجفياً ــ إنما أنا قمي»... ربما لعله أدرك في تلك اللحظة ما لم يدركه من قبل. انه أدرك الفارق العميق بين قم والنجف كحاضنتين لــ «المرجعية الدينية»، فالإمام الخميني عاش الحاضنتين والموقعين بكل ما فيهما من أنماط للمرجعيات الساكتة أو المتعايشة ذات الارتباطات المحلية والخارجية، أو ذات التمويل المحلي والأجنبي، أو ذات «الانحراف» الديني، أو تلك التي تسمى «مرجعيات تقليدية»... فقد عاش الموقعين «تخلفاً أو انحرافاً أو عمالة أو تقية».. وعاش سجين الموقعين متنقلاً بينهما..

عاش «وحدته وغربته الثورية» في إيران بعد عقود قضاها في «حوزة قم»، وعاش «وحدته وغربته النجفية» بـــ «استثناء» في «حوزة» النجف، لما يقارب الثلاثة عشر عاماً، وقارن بين الموقعين، فسمح لنفسه أن «يحدد نسبه المناطقي» علناً... وما كان لهذا التحديد من قائد ثوري قل نظيره عانى ما عانى من «حوزة قم»، إلا أن يثبت للتاريخ الفارق المصيري والجوهري والخطير بين «وحدته وغربته القمية».. و«وحدته وغربته النجفية»، وما سيشكله هذا الفارق من مقترح لرؤية مقارنة بين موقعين «علميين دينيين شيعيين»... وإذا ما أردنا أن نقف على بعض ملامح هذهِ الرؤية، فإن الأمر يحتاج وحده إلى كتاب، وربما كتب مستقلة، وعليه يمكن القول:

إن مقولة الإمام الخميني المذكورة تسلط الضوء على الفارق الجدلي المعرفي بين الموقعين «قم والنجف» فإذا ما أردنا أن نعود بهذا الفارق إلى ما قبل عهد «النراقي»، الذي أرسى التصورات الأولية لنظرية «ولاية الفقيه»، التي طورها الإمام الخميني إلى أطروحة حكم من خلال محاضراته الشهيرة، التي ألقاها أثناء إقامته في النجف الأشرف، تحت بحث «الحكومة الإسلامية»، وبين الجدل «النجفي» أثناء تلك الفترة، وما تلاها، فسيتضح على الفور الفارق في محور هذا الجدل، بغض النظر عن سلبيته أو إيجابيته. فهذا المحور تمثل بمسألة الحكم، واندكاك الفقيه فيها ــ بغض النظر عن طبيعة هذا الاندكاك كما أشرنا ــ وعن التباعد الزمني في فترات إثارته بين «مرجع ومرجع» آخر، مروراً بالثورة الدستورية، التي هي الأخرى شكلت محطة مفصلية تجسد ذات المحور ــ محور السلطة والحكم ــ ومروراً حتى بفترة ما بعد هذهِ المرحلة، التي لم يطغ هذا المحور كعنوان فيها، ذلك أنَّ عبد الكريم الحائري اليزدي، الذي يعد إيرانياً من «المرجعيات التقليدية»... إلا أن هذا «المرجع» التقليدي يكفيه طريقة التفكير، التي لا تنفك عن علاقتها بمحور السلطة في بناه التحتية، عندما اقترح ما عاد الشهيد مرتضى مطهري لبلورة إنتاجه من رؤية «التخصص» في «الدروس الحوزوية»، وتعدد «المقلَدين» على أساسه ــ أي التبعيض في «التقليد» ــ الذي يشكل في حقيقته مرتكزات تأسيسية لـــ «حوزة» تكون قادرة في المستقبل لتأسيس بنى قيادية إسلامية تمثل شرطاً مطلوباً للحكم، وتمثل في حينها فراغاً في واقع «الحوزة

القمية»... فكان عبد الكريم الحائري اليزدي ينظر إلى نظرية السلطة «الاسلامية» من خلال سد هذا الفراغ تحت العنوان «الفقهي ـــ المعرفي» الذي لا ينفك عن محورها «الحكم والنظرية السياسية، وما تحتاج إليه من تأسيس بنى فقهية فكرية ـــ معرفية»... وإذا ما عدنا إلى ما قبل مرحلة «النراقي»... وإلى أيام الدولة الصفوية، فيمكن القول بأن «فقهاء» تلك المرحلة، الذين التحقوا بالسلطان الصفوي، قد ارتكبوا «خطيئة ما بعدها خطيئة» بحق «التشيع»، وبحق الإسلام... إلا أنه ومن داخل هذهِ الخطيئة... ورغم أن هؤلاء الفقهاء كان أكثرهم من «العرب»... يمكن التقاط «هاجس الحكم» بالنسبة للساحة الإيرانية، هذا قبل النراقي، وجاءت بعدها الثورة الدستورية كمرحلة مركزية، ثم «مرجعية الحائري اليزدي التقليدية» بالملاحظات التي قدمنا حولها.. أما بعد هذهِ المرحلة، وإذا ما تجاوزنا دور «آية الله» مدرس في برلمان «رضا خان» المعروف، فإننا سنصل إلى مرحلة «مرجعية البروجردي» ـــ «المرجعية» التقليدية الأخرى ـــ التي كان الإمام الخميني أحد الدائرين في فلكها... فهي «مرجعية» رغم ابتعادها النسبي عن السياسة المباشرة الضدية لشاه إيران.. إلا أنه يكفيها ما أتاحته من مرونة حركة لرموز «عمائمية»، وما مثلته من شبه غطاء لها، وما أتاحته من جدل معرفي لتطوير «الحوزة» ومناهج التدريس فيها، ومع ما مثله هذا الجدل من ارتباط لدور مسبق لـــ «آية الله» كاشاني، وأحداث ثورة مصدق.. فـــ «مرجعية» البروجردي، مثلت امتداداً استيعابياً إيجابياً لما قبلها من أحداث صبت في المحور السياسي ذاته، ولو بشكل غير مباشر، ويكفي دلالة على ذلك أن يكون الإمام الخميني أحد أهم الدائرين في فلكها، كما يكفيها دور المطهري وعدد كبير من «رواد الحوزة» بنشاطهم المعروف آنذاك، مما كان يحصل في ظل وجودها بطريقة غير صدامية، وأقرب إلى التكاملية ـــ وهذا ما يمكن العودة إليه في كتابنا «عراق بلا قيادة» ـــ ولقد جاء فيه أن «حدثين تاريخيين كبيرين حصلا في كل من إيران والعراق لابد من النظر إليهما في بعض النواحي، ولو أنهما متباعدان زمنياً تقريباً. وهما حدث الثورة الدستورية في إيران سنة ١٩٠٦م، وثورة العشرين سنة ١٩٢٠م في العراق ضد الاحتلال البريطاني، إذ رغم أن الحدث الأول في إيران كان حدثاً داخلياً ضد السلطة

المحلية، والحدث الثاني كان بوجه احتلال خارجي، إلا أن هذين الحدثين شكلا منعطفين حاسمين في انطلاق العمل الإسلامي في كل من إيران والعراق، وهما سيؤثران في ما بعد على حركة هذا العمل المستقبلية»(١).

... حتى وصلت الحال إلى ثورة الإمام الخميني، ودور «الحوزة» القمية الذي إذا لم يكن مؤيداً لتحركه الثوري في العام ١٩٦٣م ــ أحداث خرداد ــ فإنه لم يكن «طاعناً ومعادياً» له بشكل قاس.

إن مقولة الإمام الخميني المذكورة، التي قلنا إنها مقولة صحيحة من حيث المبدأ، وناقشنا جوانب الصحة فيها، قد تندرج في إطار آخر أيضا لا يتعارض مع نقاشنا المذكور، بل قد يكمله، فقد يكون الإمام الخميني، ورغم معرفته النجفية المسبقة، يحاول التجريب في تحريك «الحوزة» النجفية، على ضوء أحداث ثورية صاخبة شهدتها الساحة الإيرانية آنذاك، وقد يكون بصدد إلقاء الحجة أمام الأمة الإسلامية على هذه «الحوزة» وواقعها الاختراقي العميق من قبل قوى إقليمية ودولية «مرتكسة» اليه.

وعلى أية حال، ومع ما قدمته هذهِ المحطة الثورية الخطيرة والمهمة من انعطاف إيجابي في دور «رجال حوزة قم» ونشاطهم حتى الوصول إلى الثورة، فإن الإمام الخميني أصيب بصدمة نفسية تجلت بمقولته المذكورة.

ولا نريد أن نعدد ادوار «رجال الدين» بدءاً من مطهري وانتهاءً بمنتظري، علماً أنَّ ذلك كله لا يرتبط بدور المثقف الديني، الذي مثله في مرحلة ما قبل الثورة، الشهيد الدكتور علي شريعتي. فدور شريعتي كان هو الأصل في تأسيس البنى التحتية لعوامل انفجار الثورة على يد الإمام الخميني إذا ما قيس الأمر بدور «الفقيه التجديدي»، فضلا عن «الفقيه التقليدي»، رغم صدامه العلني مع دور «رجل الدين» ــ بصورة عامة ــ التقليدي الذي يقول إزاءه:

«آلهتها الصغيرة، السماسرة الوسطاء، والأقارب والخواص والمقربون، والجلادون

---

(١) عادل رؤوف، (عراق بلا قيادة، قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث)، ص ٥٨، إصدار المركز العراقي للإعلام والدراسات، من ط١، ٢٠٠٢م إلى ط ١٠، ٢٠٠٥م.

والسحرة، والنهابون من أجلهم ممثلوهم وحلفاؤهم، كلهم ذئاب غادرة، أو ثعالب ماكرة، أو ضباع آكلة للجيف، أو فئران عابدة للعملة المعدنية.. أو دود علق مصاصة للدماء.. ركبوا فوق ظهور الخلق وكواهلهم، وعلى رؤوس كل الطرق نصبوا فخ الدين، وعلى كل الرؤوس وضعوا قيد العبودية، وفي كل الأفواه وضعوا ألجمة الطاعة، وعلى كل الكواهل عزفوا بسوط الشريعة، وعلى كل القرى قاموا بحملات الجهاد، وعلى كل البيوت قاموا بغارة الزكاة، وعلى كل الآذان قرأوا ورد النوم.. وعلى كل الأرواح نفثوا طلسم الزهد.. وعلى كل الأديان وضعوا أكسير المسخ، وعلى كل الرسل سلوا سيوف العناد، وفي كل العصور روجوا الخرافات، وفي كل الأراضي بذروا بذور النفاق، وقطعوا حلاقيم الصرخات، ومن كل مئذنة توحيد رفعوا آذان الشرك.. وفي رداء التقديس خدعوا، وبلسان الصدق نسجوا الأكاذيب.. وباسم طاعة الخالق جروا الخلق إلى طاعة المخلوق.. وفي آهورا خلقوا آهريمن.. وعلى ضوء النار المقدسة صنعوا ظلمة الكفر.. وتحت عنوان (تعظيم الشعائر) قاموا بتحريف الحقائق. ومن آلام الناس جمعوا الكنوز التي بلا كدح، ومن الجهل العام ادعوا العلم، ومن فقر العوام وصلوا إلى الغنى، ومن جوع الجماعة وجدوا البركة، ومن خوف الذنب وجدوا أمن العصمة، ومن ركود الأمة نالوا الجاه والهيلمان»[1].

هذهِ الصورة الإيجازية لـــ «حوزة قم» بدلالاتها «الإلهية لرجل الدين» والدور الايجابي لـــ «مرجعها التقليدي» و«مرجعها التجديدي» والالوهي لـــ «رجل الدين الخرافي» والخلاصي لـــ «مثقفها الديني»... تقابلها صورة لـــ «حوزة النجف» على المحور ذاته ــ «الحكم، النظرية السياسية» ــ وهنا لا نريد أن نكرر المكرور في توصيفها، فهي صورة على طول تلك الفترة لـــ «حوزة النجف»، لم تسجل إلا منعطفاً واحداً تمثل بأحداث مقاومة «الشعيبة»، و«ثورة النجف» وبعد ذلك «ثورة العشرين»

---

(١) د. علي شريعتي، (الحسين وارث آدم)، ص٨٧، ترجمة ودراسة وتعليق د. ابراهيم دسوقي شتا، مراجعة حسين علي شعيب، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

التي لم تأخذ إلا طابعاً «دفاعياً» عن «الدولة الإسلامية العثمانية» والمطالبة في ما بعد بـ «ملك عربي يحكم العراق» ـ وهذه المطالبة لها قصة مؤلمة أخرى في كتاب آخر، إن شاء الله ـ ولا وجود فيها لشيء اسمه جدل حول «نظرية حكم» فضلاً عن «طموح» إقامة دولة إسلامية، وحتى الخالصي الكبير لم يكن دوره بعد تلك الأحداث، منصباً في هذا الاتجاه بقدر ما كان دوره مراقبة الواقع و«علاقة الدين بالسياسة»، وهذا ما ناقشناه في كتابنا «عراق بلا قيادة»... ومن تلك المحطة إلى محطة الخمسينيات، ومرجعية «محسن الحكيم الإصلاحية المحدودة المترددة»، التي لا علاقة لها بالتفكير بإقامة الدولة الإسلامية أو بلورة «نظرية سياسية»، لم تكن ساحة «الحوزة» النجفية حاضنة لـ «مراجع تقليديين» على شاكلة عبد الكريم الحائري اليزدي الإيراني ـ مؤسس «حوزة» قم الحديثة ـ فقد انزوى كل من النائيني[1] وأبو الحسن الأصفهاني داخل «الحوزة» تاركين الأمة لقدرها «الديني ـ الخرافي»، بعد أن وقعوا على عدم التدخل في السياسة.

وعودة إلى «الحوزة» النجفية أيام الدولة الصفوية والصراع الصفوي ـ العثماني في العراق، لا يمكن القول بأن «حوزة» النجف كانت لها شخصيتها المستقلة، التي أخذتها بعد انهيار الكيانية الإسلامية، لكونها حاضنة في ذلك الوقت لأكثر «المراجع» الفرس والعرب بما يكرس طغيان الطابع الفارسي أكثر من الطابع العربي، وبما يصل إلى حد الصراعات «القومية» ـ وهذا هو الآخر له ملفه المستقل خارج حيز هذا الكتاب ـ.

---

(١) «اسمه ونسبه الشيخ محمد حسين بن الشيخ عبد الرحيم الغروي النائيني، ولد الشيخ النائيني في الخامس والعشرين من ذي القعدة ١٢٧٦ هـ بمدينة نائين في ايران، درس المبادئ والعلوم الادبية في مدينة نائين، وفي اوائل شبابه سافر الى اصفهان، لاكمال دراسته هناك، ثم انتقل الى مدينة سامراء المقدسة عام ١٣٠٣ هـ للاستفادة من الاستاذ الاكبر المجدد الشيرازي، وفي عام ١٣١٤ هـ، بعد وفاة استاذه الشيرازي بسنتين سافر الى مدينة كربلاء المقدسة، وبقي فيها سنتين، ثم انتقل الى مدينة النجف الاشرف عازما على الاقامة بها للتدريس والتحقيق، وقد تتلمذ على ايدي مجموعة من الاساتذة». سليمان دباغ، (النائيني مفكر النهضة الحديثة)، ص٧، دار الشجرة للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، كانون الثاني ـ يناير ٢٠٠٨م.

إذ لم تكن «حوزة النجف» بوارد التفكير والتأسيس لشيء يرتبط بـ «النظرية السياسية» والدولة منذ العهد الصفوي، وصولاً إلى «الشعبية» ثم ثورة العشرين الدفاعية عن الإسلام فيما بعد... مروراً برموز إصلاحية وثورية ومعرفية عديدة كآية الله كاشف الغطاء ومحمد جواد البلاغي وآية الله محمد الحسني البغدادي وآخرين، حتى محطة الصدر الأول، التي مثلت أول محطة تأسيسية لأفكار الدولة عبر كتابة «أسس الدولة الإسلامية وكتابات الدولة الأخرى» والتفكير بـ «النظرية السياسية» التي سيكون رائدها مشروعاً «مؤجلاً» للتدمير عبر «مرجعيتين نجفيتين» هما «مرجعية» محسن الحكيم و«مرجعية» الخوئي، التي عانى الصدر الأول ما عانى منهما.

إن محطة الصدر الأول، هي المحطة الأولى في هذا الإطار بعدما يقارب الستمائة عام من عمر «حوزة النجف الأشرف».. هذهِ المحطة التي واصلها الشهيد محمد محمد صادق الصدر بظاهرته المعروفة، والتي واجهتها «حوزة النجف» بالأساليب المعروفة، من خلال «مرجعية» السيستاني والباكستاني والأفغاني ومحمد سعيد الحكيم ولا داعي لتكرار تلك الأساليب هنا... فلا علاقة لأي من هؤلاء بشيء يسمى «نظرية سياسة» أو «دولة إسلامية».. وإنما هم مشاريع ضدية للنظرية والدولة، ولم يسلم الصدْرَيّن لا منهم، ولا من «مرجعية الحكيم الأب والخوئي».

فعلى القارئ إذاً أن يقارن بين الموقعين «حوزة قم وحوزة النجف» على ضوء ما تقدم، لكي يدرك الأسباب التي دفعت بالإمام الخميني لإطلاق مقولته «المناطقية» اليتيمة الشهيرة وأسبابها «والله أنا لست نجفياً.. وإنما انا قمي». فتلك المقولة لم تكن ردة فعل آنية، على عدم استجابة الدعوة، التي وجهها لـ «حوزة النجف» التي لم تستجب له.. وإنما هي تتويج لهذا المخبوء التاريخي المؤلم في الفوارق بين «حوزة قم وحوزة النجف» في ما يرتبط بحراك «السياسة، الدولة، النظرية، الثورة، الفكر السياسي، التحرك السياسي». فقد كانت في لحظة تلك المقولة الخمينية «حوزة» النجف ترزح تحت ثقل آثار «مرجعية» الخوئي، التي تركت الصدر الأول وخطه الثوري لقدره، وتركت الأمة بين إهمالها ـ وبين سياسة البكر ـ صدام «المحدِدة» لإقامة الشعائر الحسينية ـ لأن الحرمان من إقامة هذه الشعائر سيتحول لدى «الشيعة» مع

مرور الزمن إلى مخبوء لذاته وبثقله التاريخي «الصفوي» الوافد أصلاً من إيران عبر مئات السنين. وفيما هو ــ هذا «التشيع» الصفوي ــ يضعف في الساحة الإيرانية، ــ مولدته الأم ــ تحتضنه الساحة العراقية قدرا محروساً بحراس أشداء من «رجال الدين»... ومع مرور الأيام وفي ظل ذلك الجدل السياسي كله لــ «الحوزتين» وصولا إلى احتلال العراق أميركياً، وما بعده سيصبح الفارق فاضحاً ومخيفاً بين الخرافة والسياسة في كل من الساحتين، بحيث يبدو ان الحضور «المرجعي» المعرفي السياسي والميداني في الساحة الإيرانية سيراكم نفسه بشكل تصاعدي، فيما هو في الساحة العراقية يتراجع شيئا فشيئا الى حد الاشتباك الصراعي المهول ــ في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، كما سنأتي على ذلك في فصل لاحق ــ ومن ثم الى ما يقترب من التلاشي بفاجعة استشهاد الصدر الأول، كرمز وحيد للوجود «المرجعي» في العراق، وسيبقى هذا الأخير يعيش قطيعة حادة مع ميدان الأمة التي يغيب عنها الحضور الحركي و«المرجعي» تماما، وسوف لم تستلم هذه الأمة من «الحوزة» سوى خطاب «فقهي» مفرغ من أية تحديات ورؤى ونظريات سياسية ذات علاقة بها، ولا علاقة لمنتج هذه «الحوزة» بــ «تأصيل فقهي سياسي» تقليدي او تجديدي، حتى بروز رموزية الصدر الثاني، الأمر الذي سيؤدي الى افتضاح البون الشاسع بين «خرافة العراق الصفوية» وبين «الحضور السياسي للمرجعية الإيرانية».

وفي ظل الأحداث «الحوزوية ــ السياسية» في إيران تنتهي الحال إلى دولة تطل رموزها «الحوزوية» في سياق الجدل والصراع السياسي الكوني، بخطابات يومية حول السلاح الذري، والمنجز العلمي والتكنلوجي، فإن رموز «حوزة» النجف يرتكسون ارتكاساً في حماية الفكر الصفوي الخرافي، ويحولونه إلى مشروع مشترك مع الاحتلال لإدارة الأمة كلها، وسيصبح منجزهم «الإسلامي» مقابل منجز «حوزة» قم، ممثلاً بتنظيم المسيرات المليونية بمناسبات الشعائر الحسينية وحمايتها ورعايتها بمخزون الفكر الصفوي الوافد كله، مضافاً إليه محمولات خرافية أخرى، وبهذا الإيجاز يصح القول على «حوزة» قم بأنها «حوزة» السياسة، في تلك اللحظة، وعلى «حوزة» النجف بأنها «حوزة» و«آلهة» الخرافة... وأكثر من الخرافة في نفس تلك

اللحظة. وهذا ما يدعونا إلى الذهاب بعيدا مع تاريخ «الحوزة» وإلى ما قبل بدء العهد الصفوي في متابعة نشأتها وتكوينها الأولي، وقبل أن نلاحق هذا التكوين، وهذه النشأة، لابد من التذكير ثانية بأن صفة الخرافة وصفة السياسة هما صفتان لصيقتان بتاريخ «الحوزتين»، اللتين أنتجتا أهم مكونات الخرافة في الواقع الاجتماعي عبر «المنتج الفقهي» و«طابور خطباء المنبر الحسيني» الذين يمثلون ذراع «الحوزة» في وسط الأمة، إلا أن المتغير هو في منسوب هذه الصفات في مراحلهما وفي أي منهما، وبما انتهيا إليه في الوقت الراهن، وعليه فإن مثل هذا التأكيد ينطبق على الكثير من الصفات المقارنة بين «الحوزتين»، ولا داعي لكي نكرر مثل هذا التأكيد مع كل صفة من الصفات القادمة المشتركة الوجود ـ بغض النظر عن منسوبها ـ في الفقرات اللاحقة، فيما أن صفات أخرى انفردت بها كلا «الحوزتين»، هي خارج حيز هذا التنويه والتأكيد.

"الحوزة" الاصل
"الحوزة" الملحق !!

النجف وقم كمكانين دينيين يرتد تاريخ الأولى إلى بدء البشرية، فيما يرتد تاريخ الثانية إلى ما بعد الإسلام بقرنين، ولذا فمن الواضح أننا لسنا بصدد الكتابة عنهما إلا كمدخل تقتضيه مادة هذا الكتاب المقارنة بين «حوزتي» قم والنجف، والإشارة إلى المفارقات في سياق هذا المدخل. فمن يريد أن يعود إلى تاريخ هذين المكانين، فسيجد مئات، إن لم نقل آلاف المصادر، التي تخوض في تاريخهما، كمكانين دينيين مستقلين عن بعضهما بعضاً. إذن ما نريده من خلال هذه الفقرة الموجزة هو الإشارة إلى تلك المفارقات كمدخل لدراستنا المقارنة بين «الحوزتين».. ويمكن إيجازها كالتالي:

المفارقة الأولى: مفارقة تاريخية «عمرية» للمكانين كمدينتين، حيث أن الكوفة ـ النجف الأشرف كمكان مأهول يمتد مع عمر التاريخ البشري.. وهي مقولة ليست من

صنع الخيال، أو من باب «التفاخر».. وإنما توثقها المصادر التاريخية، وتكاد تجمع عليها، فالأمر بالنسبة لمدينة قم المقدسة يرتبط بمدى تاريخي محدود، لا يتساوى بأية حال من الأحوال مع تاريخ النجف الأشرف. وتلك مهمة الباحثين في هذا الإطار، عليهم أن يحددوا الفارق التاريخي لعمر المدينتين، وعلينا هنا أن نثير المفارقة في سياق مبحثنا، الذي نحن بصدده.

المفارقة الثانية: هي القدسية، أو «الدينية» التي أصبحت سمة للمكانين.. وهي على درجة كبيرة من الأهمية في موضوع الكتاب، وفي ما يرتبط بالنجف الأشرف، وانطلاقا من حاضر المدينة وعمرها الممتد مع التاريخ، من حيث عدم الفصل بينها وبين الكوفة، فمتى ما ذكرنا مدينة النجف الأشرف فإننا نعني بها المركز النجفي ــ الكوفي، حتى لو «انفردت» النجف كحاضنة لمراكز «الحوزة العلمية».. لأن المركز الأساسي هو الكوفة، وما النجف إلا امتداد جغرافي لهذا المركز ــ وليس مجالا حيويا ــ وفق المصطلحات المتداولة للمجال الحيوي، فالكوفة والنجف أرض واحدة، ومدينة واحدة، حتى وأن انتهى بهما الأمر إلى أن تضم إحداهما «الحوزة»، وأن الأخرى حولها بعض رموز «الحوزة» وطلابها إلى «منتجع» ترفيهي لهم، حيث السباحة، والسهرات الأسبوعية أو اليومية الدورية في الكوفة وفي بساتينها المطلة على هذا النهر... ولم تأت ملاحظتنا هذه «احتجاجا» على مبدأ «الترفيه» أو «الاستراحة الأسبوعية» أو «رياضة السباحة»، التي هي حق من حقوق أي إنسان، لكن بشرط الإنسان، الذي أنجز عمله بمشقة طوال الأسبوع. لا الإنسان «المرجع» أو الطالب «الحوزوي» الذي ينبغي أن لا يكون على شاكلة الإنسان «العادي» والذي وضع نفسه في موقع «المسؤولية»، وعليه على أقل تقدير أن يتساوى في ممارسة حياته على شاكلة هذا الإنسان «العادي»، فكيف إذا ما كان هذا «المرجع المسؤول» أو «الطالب المسؤول»، هو الذي اعتاد إن يحول هذا المركز الكوفي المقدس إلى منتجع سياحي، والى مكان للرياضة والسباحة بالشكل الدوري، الذي وصفناه، ذلك أن الواقع الذي كان قبل احتلال العراق قد ترجم ذلك، وأن صاحب هذا الموقع «المسؤول» لا علاقة له في أيام «عمله» إلا بــ «درسه الحوزوي»، متوجا إياه بسباحة وسياحة في الكوفة ونهرها

وبساتينها، تاركا الأمة والمجتمع النجفي لقدرهما... فعندما تحولت الكوفة إلى «مسبح» و«مركز سياحي عمائمي» استشاط الشهيد محمد باقر الصدر، وصرخ صرخته الاحتجاجية المؤلمة و«الخالدة» إزاء هذا الواقع الشاذ قائلا: ما مفاده: «بدلا من أن نقضي الوقت بالسباحة في نهر الكوفة، كان المفروض أن يهتم كل واحد منا بخمسة من أبناء مدينة النجف بغية تنشئتهم، تنشئة دينية»، وكان ما دفع بالشهيد الصدر الأول إلى إطلاق مقولته تلك، هو غياب القاعدة البشرية الدينية في مدينة الإمام علي (ع)، حتى في حدود الخمسة آلاف شخص، وبإمكان أي شخص أن يتصور واقع المجتمع النجفي على ضوء تلك الصرخة الاحتجاجية للصدر الأول، وذلك الواقع المهول الذي لم يدفع مراكز «الحوزة» في النجف إلى تغييره تربويا ودينيا، فمدينة مثل مدينة الإمام علي (ع) لا تملك قاعدة بشرية إسلامية حامية لها بهذا المقدار!!! وإذا ما عدنا إلى ما قبل الإسلام، وعلى قاعدة المركز النجفي ــ الكوفي، الذي قلنا عنه بأنه أقدم مركز تاريخي «مدني» مأهول في هذا الكون.. فإن تاريخيته هذه تاريخية دينية، وبعبارة أخرى: إنه مركز أو مسرح نبوي كوني له بصمته الآدمية الأولى، ومنه انطلقت سفينة نوح (ع)، وفي جواره أريد لأبي الأنبياء إبراهيم (ع) أن يحرق، فتدخل الله سبحانه وتعالى وقال ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَامًا عَلَىٓ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

هذه هي قدسية المركز النجفي ــ الكوفي، الذي حوله رموز «الحوزة» ــ وللأسف الشديد ــ إلى مكان فاقد للحصانة الدفاعية. بينما قدسية المركز «القمي»، قدسية نهضت على وفاة السيدة معصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)[2].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٦٩.

(٢) «وفي سلسلة الفاطميات الطاهرات هذه، وبعد ما يقرب من القرنين، نقف عند فاطمة أخرى.. عند اسم فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر.. هذا الاسم الجميل العظيم الذي هو ذكرى عطرة أخرى لسلالة العصمة والطهارة، وحبل يتصل بعترة النبي الطاهرة. جاء في تاريخ هذه السيدة الفاضلة: أنها نشأت في (المدينة) وفي عنفوان شبابها سافرت إلى إيران مواصلة للهدف السامي لأخيها الإمام علي بن موسى الرضا، غير أنها لما وصلت ساوه أصابتها الحمى لشدة التعب وشقة السفر، وقد كان شوقها لرؤية أخيها قد هاج بها حتى أنها لم تستطع الصبر على ما بها من مرض فواصلت السير من ساوه إلى قم وهي في حالها، لكن مرضها قد اشتد

←

عندما توفاها الله عز وجل في ذلك المكان، وهي في طريقها إلى طوس، ملتحقة بأخيها الإمام الرضا (ع). فما بين المركزين مفارقة هائلة في مدى «القدسية» وعمر هذه القدسية التاريخي، ففي مداها أو عمقها اختزنها المركز الأول تاريخاً نبوياً مدوياً، وتاريخاً إسلامياً أكثر دوياً، وفي مركزها الثاني كان مداها وعمقها متمثلا برامز فرعي من رموز «أهل البيت (ع)».. هذا في المدى والمعنى القدسي، أما في العمر التاريخي، فقد اتضح لدينا أن عمر قدسية المركز الأول تساوي عمر التاريخ البشري، بينما عمر قدسية المركز الثاني يقع في حيز التاريخ الإسلامي.

المفارقة الثالثة: مفارقة تأخذ العنوان العلمي، على قاعدة المركز النجفي ــ الكوفي، وهي قاعدة تلازمية، ستحضر مع اسم النجف الأشرف منفردة، أو مع اسم الكوفة منفردة، فمتى ما حضر الاسمان، حضرا معا. على اعتبار حضور أحدهما حضوراً قسرياً للآخر، وعليه فإن المركز النجفي ــ الكوفي، كان مركزاً «عراقياً» لا «حوزوياً» قبل وبعد الإسلام، وحول إلى مركز «حوزوي» بعد الإسلام بقرون، على يد الشيخ الطوسي، الذي نقل «الحوزة» من الحلة إلى النجف، واعتبره التاريخ «الشيعي» مؤسسا لهذه «الحوزة».

وعلمية هذا المركز مدونة بمئات المجلدات والكتب التاريخية والدينية والحضارية.. وعلى أي قارئ عراقي أولاً، ومسلم ثانياً، أن يطلع على تاريخ الكوفة العلمي، وجدله وأصنافه، التي تغاير جدل وأصناف «العلوم الحوزوية»، التي أخذت سياقها التاريخي التقليدي عبر التاريخ الإسلامي، فبينما كان المركز النجفي ــ الكوفي حاضنة علمية بالصورة الآنفة، لم يكن للمركز القمي علاقة بالعلم، لا قبل الإسلام ولا بعده إلا بعد قرون عدة، مع ملاحظة الفارق بين العلمين في المركزين، فإذا كان المركز النجفي ــ

فلازمت الفراش (١٧) يوما، وفارقت الحياة وكلها شوق لرؤية أخيها العظيم. وقد وردت في فضل زيارة هذه السيدة الجليلة المتقية روايات كثيرة عن أخيها الإمام الرضا ترغب شيعة أهل البيت وتدعوهم إلى زيارتها بكل تعظيم وتبجيل». الدكتور العقيقي البخشايشي (كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين)، ص٣٢٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢م.

الكوفي، مركزاً علمياً تاريخياً لا «حوزويا».. فقد تحول بعد قرون من الإسلام إلى مركز علمي «حوزوي»، أما المركز القمي، الذي التحق علمياً في العصر الإسلامي، فكان علمه علما «حوزوياً»... وهذا الكلام يبقى بحاجة إلى شرح وتوضيح.. لأنه في الواقع ــ المركز القمي ــ كان مركزاً «روائياً ــ خبرياً» تنطبق عليه الصفة «العلمية الحوزوية»، لكن «علمه الحوزوي» أخذ يتصاعد مع مرور الزمن، وطفر طفرته المعاصرة في هذا المجال قبل أقل من مئة عام على يد عبد الكريم الحائري اليزدي[1]، الذي يسميه الإيرانيون «مؤسس الحوزة العلمية في قم» وصولاً إلى عهد الإمام الخميني، وهذه بحد ذاتها مفارقة ينبغي التوقف عندها ملياً في سياق المقارنة بين «الحوزتين» القمية والنجفية، وما آل إليه مآلهما.

المفارقة الرابعة: وهي مفارقة تنبع من بطن التاريخ الإسلامي، ومن مرحلة علي بن أبي طالب (ع) الذي اختار الكوفة عاصمة لخلافته.. وبالتالي عاصمة للدولة الإسلامية.. إذ لا نغالي إذا ما قلنا بأن هذا الاختيار لم يأت اعتباطا، ولا أملته الظروف الآنية الحربية، التي عاشها الإمام علي (ع) فقط.. وإنما جاء نتيجة لقراءة علمية ــ

---

(١) يقول د. العقيقي البخشايشي حول التأسيس «الحقيقي لحوزة قم» من وجهة نظره طبعا: حول «آية الله العظمى» الشيخ عبد الكريم الحائري (المتوفى ١٣٥٥ هــ ــ ق): «ولد مؤسس الحوزة العلمية في قم المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي سنة ١٢٧٦ هــ ــ ق في قرية مهرجرد بيزد. وفي سنة ١٣١٦ هــ قصد آراك ملبيا دعوة علمائها وأكابرها، وبقي فيها سنين، ثم شد الرحال إلى قم حيث استقر فيها حتى آخر عمره. وقد وضع الحجر الأساس للحوزة العلمية إلى جوار فاطمة المعصومة بعزم راسخ وإرادة حديدية، واستطاع أن يلفت أنظار جميع المحافل العلمية في العالم نحو هذا النبع الجديد في مدة قصيرة نتيجة الجهود الجبارة والمتواصلة التي بذلها في هذا السبيل. وفي الحقيقة يمكن القول بأن إقامة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في مدينة قم وهمته العالية وعزمه وجهاده، من أجل تأسيس الحوزة العلمية فيها تعتبر فصلا جديدا في مجال نشر الثقافة الإسلامية لهذه المدينة في عالم التشيع. وبهذا فإن مدينة قم، التي كانت محط أنظار الأئمة وأعمدة التشيع منذ صدر الإسلام قد أضافت صفحة مشرقة أخرى إلى صفحات تاريخها المجيد حينما نشأت فيها الحوزة العلمية. وعندما التحق آية الله البروجردي بحوزة قم تمكنت أن تكون المحور الأساس لجميع الحوزات العلمية الإسلامية في العالم الشيعي». المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

قرآنية استباقية من قبله للكوفة كمركز علمي، ومركز ديني تاريخي، ومركز للجدل النبوي، فعلي (ع) الذي علمه رسول الله (ص) «ألف باب من العلم، ينفتح له من كل باب ألف باب» لم يعلم الغيب، كما يريد توصيفه المغالون والخرافيون والمنحرفون والعملاء من «الشيعة»، وأن صح هذا الحديث أو لم يصح، فلا أحد يشك بأن علياً (ع) كان زعيم العلماء، لكن ليس ما يماثل علماء «الحوزة» أو «قضاة أحكامها» في زمنه، الذي كان يقول علي (ع) بحقهم: «ان ابغض الخلائق الى الله رجلان: رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر على قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته، ورجل قمش جهلا موضع في جهال الأمة، عاد في اغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سماه اشباه الناس عالما وليس به، بكر فاستكثر من جمع، ما قل منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من ماء آجن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضيا، ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري اصاب ام اخطأ، فإن اصاب خاف ان يكون قد اخطأ، وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب، جاهل خباط جهالات، عاشٍ ركاب عشوات. لم يعض على العلم بضرس قاطع، يذري الروايات اذراء الريح الهشيم، لا مليء والله باصدار ما ورد عليه، ولا هو اهل لما فوض اليه. لا يحسب العلم في شيء مما انكره، ولا يرى ان من وراء ما بلغ مذهبا لغيره، وان اظلم عليه امر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث. الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا. ويموتون ضلالا، ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه، ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر»[1]. وفي خطبة ثانية له، يقول:

---

(1) (نهج البلاغة)، خطبة رقم ١٧، شرح محمد عبده، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣م.

«ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام، فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها، على غيره، فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك، عند الامام الذي استقضاهم، فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه؟ ام نهاهم عنه فعصوه؟ ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه؟ ام كانوا شركاء له، فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى؟ ام انزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه واله عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا، وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾. وان القرآن ظاهره انيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات الا به»[1].

لا نريد أن نسرح في شرح كلام الإمام علي (ع) الآنف الذكر، إذ لذلك مكانه الآخر خارج سياق هذا الكتاب، ولكن نؤكد هنا على عبارته: «لم يعض على العلم بضرس قاطع يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم...» إنها عبارة تصرخ بوجه فوضى «الرواية ــ الحديث» التي برزت بحدة في زمنه، وكان يحذر من فوضاها خوفاً من أن تتحول إلى أساس «علمي»، يشطب الأساس القرآني، وخوفاً أيضاً من أن تتحول هذه «الرواية ــ الخبر» إلى «حقل تخصصي» يصول ويجول فيه رواد «متخصصون» بهما، على حساب كتاب الله العظيم، ولكن آنى لصرخات علي (ع) أن تحول دونما توقع واستشراف فــ «المراجع» في أصلهم «دارسي رواية وحديث وخبر» وفي لاحقهم «شراح لها»، ومع مرور زمنهم «مبتدعين لعلم الخبر والحديث والرواية»، وأيضا على حساب القرآن... إنهم تحولوا إلى «حوزة» ثم «حوزة مطورة» ثم «حوزة مطورة أكثر»...إلخ.

ونعود إلى المركز النجفي ــ الكوفي، لا في تاريخه النبوي فحسب، في إطار هذه المفارقة، وإنما بمركزه العلوي، الذي لم يختر هذا المركز اعتباطا ــ كما قلنا ــ فهو

---

(١) المصدر نفسه، خطبة رقم ١٨.

ـ علي (ع) ـ زعيم العلماء، ومعلمهم، ولكن ليس علماء «الحيض والنفاس»، ولا علماء «العادة السرية والحيل الشرعية»... وإنما علماء الكون والإنسان على ضوء مرجعية القرآن، و«بيت الله الكلامي الكلي» الذي يفسر بعضه بعضا.

هذا هو المركز النجفي ـ الكوفي، على خلاف المركز «الحوزوي» القمي الذي حول مكان علي (ع) إلى «حوزة»، فقم وبعد قرنين أو أكثر تحولت إلى مركز روائي، حديثي، خبري، لا مركز علمي على الطريقة العلوية... وشاءت الأقدار أن يحوّل رواد هذا المركز القمي بعد أكثر من أربعة قرون من تاريخ الإسلام، المركز النجفي ـ الكوفي إلى مركز «حوزوي».... وقبل ذلك كان مركز العراق الروائي «الحوزوي» في مدينة «بغداد».. إلا أن «شيخ الطائفة» الطوسي نقلها إلى مركز علي (ع)، ومع تمركزها ثانية في الحلة عادت الى ذات المركز العلوي، وستدور دورة الزمن الإسلامي «الحوزوي»... وإذا بالمركز «الحوزوي الأصل ـ مركز قم ـ يعيش حراكاً يتوج بثورة إسلامية ويتوج بنتاج معرفي «تفاخري» وتحشد الروايات حوله وإذا بمركز علي «الحوزوي» يصبح ملحقاً «حوزوياً» بمركز قم، كما يصبح محتلا من قبل «اليهودية المسيحية الأصل» بالتعاون مع «الناطق باسم حوزة علي»[1]. التي صنّعوها بأقسى ما يكون التصنيع السلبي. وإذا بأحاديث علي (ع) عن

---

(١) يقول بريمر حول تقدير بوش للسيستاني ما يلي: «وقد فعل ذلك، طالبا منهم بحزم اتباع اتفاق ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر والتقدم وفقا للجدول الزمني الذي يحدده لنقل السيادة. وقال الرئيس بوش، (عليكم أن تظهروا زعامتكم في هذه المسألة. أريدكم أن تنقلوا تحياتي إلى زملائكم في المجلس). وطلب منهم أيضا أن ينقلوا تقديره لآية الله السيستاني، وعد الأربعة بأن يقوموا بالأمرين. رافقت الرئيس إلى سيارته المصفحة للانتقال على المدرج إلى طائرته قال لي، (حافظ على رباطة جأشك. إننا نحرز تقدما، وأعرف أن الأمر ليس سهلا) أجبته قائلا: (لم أستسلم). بعد الزيارة الحدث، وجهنا اهتمامنا لمعرفة ما يريد السيستاني والمسلمون الشيعة. واتضح أن الدكتور عادل والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق نقلوا رسائل غامضة ـ لم نعرف إذا كانت متعمدة أم لا ـ إلى السيستاني قبل اسبوعين بشأن المسار المقترح للتقدم، ويوحي تحليلنا بأن للإسلاميين الشيعة والسيستاني مصالح منفصلة. الأعضاء منهم في مجلس الحكم، حتى الآن على الأقل، يقبلون تماما فكرة تولي المجلس التشريعي الانتقالي غير

←

المنتخب السيادة على أساس دستوري مؤقت. وما يقلقهم كما عبر عنه الدكتور عادل هو درجة سيطرة المجلس على عملية انتقاء هذا المجلس. إنهم يريدون سيطرة تفوق ما يمكننا منحها لهم بارتياح. بالمقابل، يبدو أن السيستاني أضاف مطلبا جديدا تماما بأن تنتخب الحكومة المؤقتة التي ستنتقل إليها السيادة. وهذا الطلب يهدد اتفاق ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر، إلى صيغ لتلبية مطلبه السابق بوجوب انتخاب المؤتمر الدستوري. أبلغت مجلس إدارة الحكم بأنه (نقل أعمدة المرمى). لسنا الوحيدين العالقين بتحول السيستاني. بل إن عبد العزيز الحكيم الذي يجتمع بالسيستاني بانتظام دهش لأن آية الله أكد له عدم الحاجة إلى انتخاب الحكومة المؤقتة. وقد جس فريقي نبض القادة السياسيين الشيعة الآخرين، فوجدوا أنهم فوجئوا أيضا لأن آية الله أضاف مطلبا جديدا». يضيف بريمر قائلا: «في تلك الليلة عاد عماد من النجف حاملا معه إجابة آية الله. ولم تكن الأخبار طيبة. قال لي عماد وهو يقر ملاحظاته، (إن آية الله العظمى معجب بك ويحترمك. وهو يقدر الفرصة للعمل معك من أجل مستقبل العراق. لكنه يريد التقدم بانتخابات مباشرة تامة للمجلس التشريعي الانتقالي، حتى وإن كانت غير مثالية)، (ماذا أيضا)؟ سألت وأنا أفكر في كل ساعات المفاوضات للوصول إلى اتفاق ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر. وقال عماد متفائلا (إن آية الله العظمى يؤمن بالديمقراطية. وهو ملتزم بالعمل مع الائتلاف). على الرغم من ثقة عماد، فإننا مختلفون مع السيستاني. وقد أكدت رسالته أن السيستاني تجاوز إصراره السابق على الانتخابات لاختيار المؤتمر الذي يكتب الدستور الدائم. وها هو الآن يرفض فكرة الهيئة غير المنتخبة التي تتسلم السيادة، وهذا مطلب جديد متفجر. جلست أمام حاسوبي المحمول في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، وعددت ست مشاكل يمكن أي يتسبب بها إصرار السيستاني العنيد في العملية الدستورية:

١ ــ سيعطي الانطباع بأن الشيعة يريدون مجلس الحكم وسلطة الائتلاف المؤقتة.

٢ ــ ربما يكون لذلك نتائج خطيرة على طريقة رؤية السنة للعملية ــ إن سلطة الائتلاف المؤقتة تقوم بما يخشونه، أي الإذعان للغالبية الشيعية.

٣ ــ سيشجع الشيعة على مواصلة الضغط من أجل مزيد من التغييرات. ماذا يحدث إذا أصر السيستاني بعد ذلك على تطبيق الشريعة في الدستور المؤقت؟ أو أن النساء لا يمكنهن التصويت؟.

٤ ــ سيثير ذلك شكوكا حقيقية بشأن انعدام الكفاءة الإدارية لمجلس الحكم. فإن لم يكن قرارا متخذا بأغلبية ٢٠ من أصل ٢٤ عضوا ملزما، فما هو الملزم؟ كيف يمكننا تفويض مزيد من السلطة إلى هيئة لا تستطيع اتخاذ قرارات، أو تجعلها عالقة؟ هل يقترحون الحكم بالإجماع، وفي هذه الحالة يمنحون المجلس حق الفيتو؟

٥ ــ من المشكوك فيه أن نتمكن من إجراء انتخابات ذات مصداقية معقولة في حزيران / يونيو.

٦ ــ وإذا تمكنا فثمة مخاطر لا يعرف مقدارها بان تهيمن عليها المجموعات الأفضل تنظيما ــ الإسلاميون (ولعل السيستاني والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق غيروا موقفهم

←

العراق والكوفة كمركز نبوي ــ ديني ــ علمي تحذف من التاريخ، إلا ما ندر، ولم يصل منها إلا القليل، وهو القائل بحقها:

«ــ العراق بها كنز الإيمان وهم رمح الله يجزون ثغورهم ويكفون الأمصار.

ــ يا أهل الكوفة أنتم رأس العرب وجمجمتها وسهمي الذي أرمي به.

بسبب ذلك) ــ أو ربما البعثيون.
حدقت في الكلمات الظاهرة على شاشة حاسوبي. هل هذا التقييم قاتم جدا؟ لا أعتقد ذلك. في نهاية الشهر، تقوضت مساعينا لإيجاد حل لهذه المشكلات السياسية الدقيقة بسلسلة من التسريبات. فقد وصف خبر في صحيفة (نيويورك تايمز) معارضة السيستاني والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الاتفاق، وأضاف نقلا عن (مسؤولين في الإدارة) دون تسميتهم أن على خطة منح العراق السيادة في ٣٠ حزيران / يونيو ٢٠٠٤، (أن تتكيف على الأقل مع إصرار السيستاني على التصويت الشعبي). وفي اليوم التالي، أوردت صحيفة (واشنطن بوست) قول (مسؤولين كبار إن الإدارة قد تكون مجبرة على تنظيم انتخابات لإرضاء آية الله السيد علي السيستاني). بعد قراءة هاتين المقالتين شعرت بالغضب. كنت أحاول أن أحافظ على دستور، ولو مؤقت، كعنصر مركزي في المسار إلى الديمقراطية هنا. ولم نكن لنصل إلى هنا لو كان الائتلاف سيتراجع أمام الشيعة أو السيستاني. كما أن ذلك سيقوض جهودنا للاتصال بالسنة. والأكراد يرتابون كثيرا (بالعمائم السوداء) في النجف وكربلاء، كما ذكرت مرارا في الأشهر الأخيرة. توجهت إلى حاسوبي المحمول وأرسلت رسالة شخصية إلى كوندي رايس: لقد أمضيت في واشنطن مدة كافية ليكون أملي ضعيفا في زرع الانضباط في زاوية من زوايا البيروقراطية. لكن في الأسابيع الأخيرة بدأنا نفقد وحدة السياسة، التي خدمتنا بشكل جيد حتى الآن. لو كان الأمر يتعلق بتسوية حسابات سياسية بين الوزارات، يمكن تجاهلها. لكن هذه القصة تشكل خطرا على قدرتنا على تنفيذ سياسات الرئيس بأفضل طريقة لخدمة المصالح الأميركية هنا. وفي وقت لاحق من ذلك المساء، كنت مرهقا بدنيا ومكتئبا، فأرسلت إلى فرانسي إحدى أكثر رسائلي الإلكترونية إحباطا طوال الأشهر التي أمضيتها في العراق. وختمت الرسالة بالقول: يا له من يوم مريع. ربما تتطور هذه الأزمة لتنهي عملي لأنني أستطيع أن أتصور الآن أن الإدارة ستخلص إلى أنها لا تستطيع تحقيق أهدافها معي، إذ لم أتمكن من تنفيذ أي من خطتي (رغم أن ذلك بسبب السيستاني في كلا الحالتين، وفي الحالة الثانية لأنه غير رأيه). لذا فقد وصلنا إلى نهاية اللعبة وحان وقت استبدال الرامي. ويجدر بالرامي الجديد أن يكون متخصصا». السفير بول بريمر، بالاشتراك مع مالكوم ماك، وكونل (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو)، ص٣٠٦ ــ ٣٠٨ ــ ٣٠٩ ــ ٣١٠، ترجمة عامر الايوني، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

ـ من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب»[1].

«ـ وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودعيتم فأجبتم.

ـ كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءا إلا ابتلاه بشاغل، ورماه بقاتل»[2].

«..(وعندما سئل الإمام الصادق عن أفضل البقاع بعد حرمي الله ورسوله، قال: الكوفة هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين، وقبور غير النبيين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهل الذي لم يبعث الله نبيا إلا وقد صلى فيه، ومنها ظهر عدل الله، ومنها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين)»[3].

«ويحدثنا ترايتون tritton عن الحالة الحركية للتشيع، في العراق، فيقول: (لقد بدأت كحزب سياسي بين العرب، ونظر أتباع هذا الحزب إلى علي بن أبي طالب وصهر محمد وسلالته زعيما وسرعان ما استقرت هذه الحركة في العراق) ويضيف محمد عمارة إلى ما تقدم بخصوص الحالة الحركية للتشيع، فيقول: (بدأت حزبا عربيا، واستمرت كحزب عربي، ولم تكن في يوم من الأيام حركة شعوبية للعناصر غير العربية في مواجهة العناصر العربية التي كانت مسيطرة في ذلك الحين).. وفي ضوء ما تقدم يتأكد لنا أن أمر نقل مركز الخلافة الرابعة، الذي أقره الإمام علي، من المدينة المنورة إلى كوفة العراق، عام (٣٦ ـ ٤٠ هـ / ٦٥٧ ـ ٦٦١ م) لم يكن خطوة

---

(١) (نهج البلاغة)، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، من منشورات دار الهجرة، مطبعة بهمن، قم ـ ايران، ط ٥، ١٢١٢ هـ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) د. عدنان عليان، (جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، الواقع السياسي والاجتماعي، ١٩١٤م ـ ١٩٥٨م)، ص ١٣٧ ـ ١٣٨، دار العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

ارتجالية غير مدروسة، إنما كان لها مبرراتها وأهميتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة في تلك الحقبة، إضافة لتأثيراتها الاستراتيجية في مداها البعيد. وقد حصل جراء وجود مركز الخلافة في الكوفة على نتائج كبيرة، كان لها تأثيراتها المباشرة والعمقية في تنامي اطروحة التشيع، وتفجر الفكر الشيعي. ولكن للعقاد رأي آخر في أمر نقل مقر العاصمة من المدينة إلى الكوفة؛ إذ يقول: (وقد اختار الكوفة فكانت أوفق عاصمة للإمامة العالمية في تلك المرحلة من مراحل الدولة الإسلامية. لأنها كانت ملتقى الشعوب من الأجناس وكانت مثابة التجارة بين الهند وفارس واليمن والعراق والشام ــ وكانت العاصمة الثقافية التي ترعرعت فيها مدارس الكتابة واللغة والقراءات والأنساب والأفانين الشعرية والروايات، فهي أليق العواصم في ذلك العصر بحكومة إمام، وما زالت الإمامة لاحقة بعلي ومحيطة به، حيث تحول، وحيث أقام)..»[١].

«فالكوفة عدا كونها موطن التشيع العربي الأول، فهي ومدينة النجف القريبتان لبعضهما، يعتبران اليوم موطن التشيع، والمركز العلمي للشيعة الإمامة الإثني عشرية، وقد وجدت فيهما بيوتات عربية علمية، ضمت رجالات على جانب كبير من العلوم الشرعية والحديث والفقه، ناهيكم عن أبواب العلوم والمعرفة الأخرى»[٢].

المفارقة الخامسة: وهي مفارقة يمكن أن نطلق عليها مفارقة «تفاخرية ــ تلفيقية ــ اضطرارية».... وليدة التاريخ «الحوزوي» ونهايته التي أنتجت فعلاً ثورياً جباراً تمثل بثورة الإمام الخميني كأحد أبرز زعماء «الحوزة» طوال هذا التاريخ.. والواقع أن الإمام الخميني ذاته يمثل مفارقة في التاريخ «الحوزوي» كله، فالسؤال الذي طالما كنت أردده منذ انتصار ثورته حتى هذه اللحظة أمام من أتحدث اليهم هو «كم خميني جاء في تاريخ هذه الحوزة؟»، ولهذا السؤال بلا شك دلالته، التي لا نريد أن نسهب فيها، إلا أنه وبالأحوال كلها يحيل إلى«إشارة سلبية» مشروحة أو غير مشروحة لهذا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

التاريخ «الحوزوي»، ومأساة رموزه في ما يرتبط بدورهم الثوري المعدوم ــ والكلام ليس إطلاقيا ــ ومهما يكن من أمر فإن «الحوزة» أو «المؤسسة الدينية» أو «الإطار الحوزوي» أو «الكيان الحوزوي» سمه ما شئت، لم يرتكز إلى أية شرعية دينية قرآنية بالطريقة، التي ولد فيها وسار عليها، وانتهى إليها، فالدين ــ أي دين الهي ــ عندما يتحول إلى «حوزة» أو «مؤسسة» دينية سيؤول مآله الى التعطيل، وهذا ما له مبحثه لاحقاً.. إلا أن «الحوزة الإسلامية» رغم لا شرعيتها الدينية، كـــ «رجل دين»، و«مؤسسة»، ورغم عمرهما «الإسلامي» التاريخي في تعطيل المشروع الإسلامي في بناء الدولة وصناعة الأمة، حكمت إلى الخاتمية، وتعهد الله عز وجل بحفظ دينه عبر قرآنه المجيد كضمانة له من أي تزوير... ولذا فإن «مؤسسته» الدينية إذا كانت في الأصل غير شرعية، فإن ذلك لا يعني أن بعض رموزها لم يحملوا الإسلام هماً ومشروعاً، كما أراده الله سبحانه وتعالى، بغض النظر عن نجاحهم أو فشلهم في مهمتهم، وهي مهمة ترجموها على شكل درجات وجرعات أخذت عناوين «الحفاظ على الإسلام الحقيقي بحده الأدنى»، و«الإصلاح الممكن»، والجهاد الخالص في لحظات تحدي مصيرية خارجية عدوانية على كيان الإسلام، ومارس «رجل الدين السني والشيعي» على طول التاريخ الإسلامي أدوارا مصيرية تحت هذه العناوين ــ وهي أدوار استثناء ــ وليس قاعدة لكل «رجال الدين»، ولا يمكن لأحد أن يحذف تاريخ هؤلاء الرموز وثمار عملهم الإيجابية في الحفاظ على مبادئ الإسلام، ولا داعي هنا للوقوف عند محطات «جهادية معرفية ــ ثورية» بارزة في إطار هذا الاستثناء لدور «رجل الدين»، من بطن «الحوزة» ككيان لا شرعي، وهو «رجل دين» يغاير إلى حد ما «رجال الدين» للأديان، التي سبقت الإسلام بسبب خاتمية الأخير ــ وهذا له مبحثه اللاحق ضمن هذا الكتاب ــ.

ومهما يكن من أمر فإن هذا التاريخ ــ الاستثناء ــ لـــ «رجل الدين» المعطاء ــ استثنائيا أيضا ــ توج بثورة الإمام الخميني، الذي قلنا مقولتنا فيه على شكل سؤال «كم خميني جاء في التاريخ الإسلامي»؟.. كما توج على الساحة العراقية بالشهيد محمد باقر الصدر، الذي هو أيضا «رجل دين» ومن رموز «الحوزة».. لكنه حمل المشروع

النبوي الإسلامي الأمامي بأمانة لا بعدها أمانة، وحال الشهيد الصدر الأول تنطبق على حال الشهيد الصدر الثاني، الذي لايزال جدله قائما في الساحة حتى الآن. إن أمثال هؤلاء الرموز «رجال الدين» و«الحوزويون» و«المراجع» وجدوا أنفسهم مع مرور الزمن في كيان «حوزوي» لا شرعي، ولا وجود له في الإسلام، لا بل هو في ثقله المركزي مثل أداة من أدوات حصار علي (ع) قبل غيره بعد حين، وحصار الإسلام.. إلا أن افتراض إعلانهم لعدم شرعية هذا الكيان يعد نوعا من «الهراء» و«السذاجة».. ولذا فإن قدرهم أن يعملوا جاهدين على تحويل ما هو سلبي، ولا شرعي بإرثه كله، إلى وجود إيجابي فاعل لدين الله الحقيقي، ومن بعد إرساء لبنات النظام المعرفي الإسلامي القرآني الحقيقي، الذي طمر تحت ركام نظام معرفي ديني بشري موروث، وقد بدأنا نحن بإعادة النظر في مناقشة النظام الموروث، وتأسيس النظام القرآني بكتابنا «صناعة العقول، بين التقليد الفقهي وثقافة التقليد» والمشروع في طريقه إلى النور ضمن كتبه الأخرى.

إن هذه الملاحظات لابد منها لتوضيح المنهج، الذي نكتب فيه كتابنا هذا والكتب الأخرى، لأنه نهج يحاكي الواقع الإسلامي التاريخي بمسمياته ناقدا إياه، ومؤسسا لمعرفة تنبع من داخل منظومته الاصطلاحية، وهذا لا يعني إننا عندما نورد هذه المصطلحات «الحوزة»، «المؤسسة»، «المرجعية»، «رجل الدين»، «الاجتهاد»، «المذهب»....إلخ، أننا نعطيها المشروعية الإسلامية، سواء تحفظنا عليها ووضعناها بين مزدوجين أم لا. إننا نتعاطاها على أساس ارتكازها في العقل الاجتماعي و«سيادتها» التاريخية، لا على أساس منحها المشروعية، أو الإقرار بمشروعيتها.

وعودة بعد هذا الإسهاب إلى صلب المفارقة، التي أسميناها مفارقة «تفاخرية ــ تلفيقية ــ اضطرارية».. وليدة التاريخ. فمن بطن هذا الكيان اللاشرعي «الحوزة» كقاعدة، أنتج تراكم الاستثناء الرموزي ــ «رجل الدين والمثقفين» ــ عبر الصيغ وتحت العناوين، التي مررنا عليها، وأخرى غيرها، وثورة الإمام الخميني كــ «زعيم حوزوي»، انتزعت من بطن «الحوزة» اللاشرعية، فعلا شرعيا ثوريا جبارا أعاد لــ «الحوزة» جدلها الإيجابي والسلبي في آن معا، فتحولت حيث مكان هذا «الزعيم

الحوزوي» الثائر إلى مصدر تفاخر بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية هذه «الحوزة»، في النظام المعرفي القرآني الحقيقي كله. وإذا أردنا أن نستدعي نموذجا أعلى لهذا التفاخر، فسنأخذه من «الحوزة» القمية صاحبة المنجز الثوري، والدولة «الثورية»، وعلى لسان قائد هذه الدولة «الحوزوي» الحالي، الذي احتل موقع الإمام الخميني بعد رحيله إلى الملكوت الأعلى، وهو السيد علي الخامنائي، الذي يقول «متفاخرا» بـــ «الحوزة» القمية ما يلي: «تمثل الحوزة العلمية في قم، التي نذكر اسمها اليوم بكل فخر وإجلال، ثمرة وحصيلة الحوزات العلمية منذ إيجادها في أواخر القرن الهجري الثاني، أو على الأقل منذ أوائل القرن الثالث حينما ظهرت مراكز دينية مثلت نواة الحوزات العلمية، وقد كانت حوزة قم في عهد ثلاثة أئمة من أئمتنا (الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام) ـــ وهو ما عرف بعهد القميين ـــ حوزة علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة، إذ كان يتم فيها التدريس والتتلمذ والبحث والتدوين والنشر. أما اجتماعات الصحابة والمحدثين وحملة العلم من حواري الأئمة في مدينة الكوفة وغيرها فلا نريد أن نصطلح عليها بـــ (الحوزة العلمية). على هذا، ربما يمكن اعتبار حوزة قم، من أقدم حوزاتنا العلمية، وهو ما تدل عليه آثار العظماء من أمثال الأشعريين وآل بابويه وآخرين، التي ظلت حتى يومنا هذا»[1].

ويواصل القول: «لكن هذه الحوزة لم تبق على ازدهارها وعظمتها، بل توزع الثقل العلمي على مراكز أخرى من العالم، في شرق العالم والشيخ الطوسي عليهم الرحمة والرضوان، إضافة إلى حوزة النجف التي ولدت بهجرة الشيخ الطوسي إلى هذه المدينة حوالي العام ٤٥٠ أو ٤٤٨ أو ٤٤٩، حيث أقام تنظيما مركزيا باسم الحوزة العلمية للفقاهة والحديث والعلوم الإسلامية، (....) وما وراء النهر وشرق خراسان، حيث عاش رجال مثل الشيخ العياشي والشيخ الكشي والسمرقنديين والنسائيين وغيرهم ممن عرفناهم كمحدثين ورواة ومؤلفين. كما انبثقت حوزة بغداد

---

(١) (الحوزة العلمية في فكر الإمام الخامنائي)، ص ١٤١، إعداد مركز التخطيط والمناهج الدراسية، معهد الرسول الأكرم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، سلسلة بحوث تخصصية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـــ ـــ ٢٠٠٢م.

على يد الشيخ المفيد، ومن بعده السيد المرتضى كل ذلك شكل مرحلة مهمة من سيرة الحوزات العلمية. بعد ذلك انبثقت الحوزات العلمية الشيعية في (الشامات) أي (طرابلس) و(حلب) ثم في مدينة (الحلة) التي أنجبت فقهاء عظاما خلدهم التاريخ، وضمت آثارها كتب الفقه الشيعي»[1]. ويضيف قائلا: «واستمرت هذه المسيرة حتى مجيء الحكم الصفوي في إيران لتبدأ بذلك مرحلة مهمة من التاريخ. ورغم محاولات البعض إظهار الصفويين كأعداء لـ (الشيعة) والإسلام والقيم الدينية، إلا أن سلاطين الصفويين ــ رغم كل النقاط السلبية في حكمهم وفي شخصيات حكامهم ــ قاموا بخطوات كبيرة خالدة، لا يمكن أن تنسى، ومن هذه الأعمال كان الاهتمام بتوسيع وتطوير الحوزات (الشيعية)، وقد شمل اهتمامهم بالتطوير حوزات قم وأصفهان وخراسان والنجف وباقي المناطق التي ازدهرت ببركاتهم، ومن يقرأ التاريخ سيطلع على اعمال عظيمة ومدهشة.

فلو نظرتم إلى قائمة فقهاء (الشيعة) في مرحلة ما قبل الصفويين لما رأيتم بينهم من الفقهاء الإيرانيين سوى العدد القليل جدا، اما بعد عهد الصفويين، فقد أصبح الايرانيون يشكلون الغالبية العظمى التي قد تصل إلى٩٠ بالمائة من مجموع الفقهاء»[2]. وأخيرا يقول: «بعد تلك المرحلة التاريخية، بلغت حوزتا النجف وكربلاء ذروة ازدهارهما، وظهر فيهما طلاب من أمثال المرحوم الوحيد البهبهاني ثم الشيخ، وصاحب الجواهر، ثم تلاميذ هؤلاء العظماء الذين استمروا حتى المراحل الأخيرة. بعد ذلك، انتقل مركز الحوزة العلمية مرة أخرى إلى قم، على يد آية الله الحائري ثم المرحوم آية الله البروجردي ومازالت قم مركز الحوزة العلمية حتى يومنا هذا.

من هنا، فإن الحوزة العلمية في قم، تمثل حصيلة مسيرة تاريخية غنية، وثمرة حركة علمية عظيمة اجتمعت فيها الهجرة والعلم والبحث، حتى أصبحت الحوزة التي أنتم فيها اليوم. إن الحوزات العلمية تشكل موضوع دراسة تاريخية وعلمية ذات أهمية

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤١ ــ ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

فائقة تستحق من فضلاء الحوزة وعظمائها وأهل الرأي فيها، وأحمد الله على ما أرى من اهتمام بهذا الشأن»[1]. وتعليقا على كلام السيد الخامنائي يمكن القول:

أولا: رغم لا مشروعية «الحوزة» ــ كل «حوزة» ــ وفق النظام المعرفي الإسلامي القرآني، وبناء على الاستثناء الثوري المعرفي الرموزي التاريخي، الذي ينتمي السيد الخامنائي إليه، والذي أنتج ثورة ثم دولة، فإنه من «حق» السيد الخامنائي أن يتفاخر بــ «حوزة» قم، بناء على مقولة «الأمر الواقع»، ونظامه المعرفي باسم الإسلام، الذي سار عبر التاريخ، ومن خلال أساس هذا الاستثناء أثبتت «حوزة» قم عبر مخاضها العسير، وكل أمراض «الحوزات» المشتركة عبر التاريخ، أنها «حوزة» تغاير «الحوزات» الأخرى، لاسيما «الحوزة» النجفية التي هي في موقع الرؤية المقارنة في هذا الكتاب.

ثانيا: كما أن هذا التفاخر تمليه لحظة الثورة والدولة الإسلامية اللتين هما ثورة ودولة دينيتان تقودهما مؤسسات أكثر كوادرها من «رجال الدين»، وبالتالي فإن السيد الخامنائي ــ كما أشرنا ــ هو نفسه «رجل دين».. والدولة بمواصفاتها تلك استوعبت كفاءات الأمة العلمية وكوادرها التخصصية، مما جعل منها دولة تصالحية بين «رجال الدين» ونخب الأمة العلمية.. وعليه فهي دولة قدمت نموذجا لا يشبه نماذج «الدولة الدينية الإسلامية» عبر التاريخ.. وقدمت نموذجها الخاص، الذي لا يمكن أن نطلق عليه جزافا بأنه نموذج يجسد دكتاتورية «رجل الدين» بالمطلق، لأنها جمعت في نهاية المطاف، وليس في عهد الإمام الخميني «الدكتاتورية والديمقراطية» بــ «خبطة تصالحية» بين «الحوزة» وعلماء الأمة من جهة، وبين الدولة والأمة من جهة ثانية.

ثالثا: كما أن السيد الخامنائي ومن موقعه كقائد أعلى لتلك الدولة، وفق نظرية «ولاية الفقيه المطلقة» فإن موقعه يملي عليه خطابا استيعابيا شمولياً لكل شرائح الأمة الإيرانية، يستوعب من خلاله حسابات مكوناتها الديمغرافية والسياسية والخطية والدينية كلها، حفاظا على وحدة إيران أمام أعدائها الدوليين، وبالتالي يمكن أن يتفهم

(١) المصدر نفسه.

المرء «ضرورة» ذلك الخطاب بمواصفاته المذكورة، وما يميله عليه موقعه القيادي الذي هو فيه، كما يمكن تفهم حساسيات «الحوزة» اللامعلنة، التي يصنف بعضها السيد الخامنائي قائدا أعلى للدولة، أكثر مما يصنفه «مرجع أعلى» للدولة والأمة، الأمر الذي يملي عليه أيضا خطابا «توافقيا» يلحظ هذه الحساسيات، التي يرى نفسه فيها كشخص وكقائد بغنى عن ملامستها، مما يثير حفيظة الآخرين من «المقدسين المتحجرين».

رابعا: إلا أن ما تقدم كله لا يمكن أن يسوغ إنتاج خطاب آخر تفاخري بـ «الحوزة» القمية، لا يصب التاريخ «الحوزوي» بالقالب الذي عبرت عنه نصوصه المذكورة. وكان بالإمكان تكديس الخطاب الموجه لـ «الحوزة» على اللحظة الراهنة، أو لحظة إلقاء أو توجيه الخطاب، ثم التفاخر بـ «حوزة» قم الحالية، التي أنتجت الثورة والدولة. وكان بالإمكان ــ إذا كان الموضوع يفرض الإطلالة على تاريخ «الحوزة» ــ أن يؤسس الخطاب على رجال هذه «الحوزة» الثوار وأصحاب المعرفة ــ الاستثناء ــ. وكان بالإمكان الإطلالة على تاريخ الحوزة دون مسميات لمراحل وعهود إشكالية في تاريخ هذه الحوزة كالعهد البويهي، والعهد الصفوي، إذ لا يكفي لتحاشي هذه الإشكالية ذكر الإيجابي والسلبي معا.

خامسا: العهد الصفوي، وما سبقه، وما لحقه احتضن «الحوزة» على طريقته، التي خرجت كثيراً من المقدسين المتحجرين، والعملاء باسم «المرجعية» و«حراس الدين» المزورين، وعليه فهو عهد سلبي بالإجمال، والإطلاق في تاريخ الإسلام، وأساء لـ «التشيع» إساءات بالغة وخطيرة.

وإذا كان هنالك من رمز افتراضي ما، ترك بصمة إيجابية في العهد الصفوي، فهو يشكل استثناء الاستثناء، وسيؤدي حشره في الخطاب إلى غياب التوازن الخطابي بما يخل بمبادئ أساسية للثورة الإسلامية في إيران.. هذا فضلا عن بعده «المذهبي» وآثاره بالنسبة لدولة يفترض بها أن تمثل المسلمين والمستضعفين، وتحولت إلى لاعب كبير على المسرح السياسي الدولي[1]. وبالنسبة لـ «التشيع الصفوي» لا نريد أن

---

(١) يقول احد الكتاب الإيرانيين بصدد الثورة الإسلامية في إيران وامتدادها الخارجي ما يلي:
←

نشير هنا إلى خطورته، التي أشبعها بحثا الشهيد الدكتور علي شريعتي[1].

سادسا: إن نصوص السيد الخامنائي المارة الذكر بغض النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية «الحوزة» على ضوء النظام المعرفي الإسلامي ـــ القرآني، إلا أنها تشي بمعنى صناعة «الحوزة» إيرانيا من الأساس، وهي ـــ أي هذه النصوص ـــ رغم جولانها على كل «حوزات العالم الشيعي» لكنها في الأعم الأغلب كما توحي

«كان للثورة الإسلامية المجيدة في إيران من العظمة والقوة والعمق ما جعلها فريدة في بابها، ولا يمكن أن يوجد لها نظير على مدى التاريخ الطويل على الرغم من كثرة النهضات والثورات العالمية ويكمن السر في تفرد هذه الثورة بهذه العظمة في عاملين أساسيين: الإيمان والوحدة. فالعامل الأول: هو قوة الإيمان اللامتناهية.. الإيمان بالله الذي لا اله إلا هو.. الإيمان بالخالق القديم الذي تجلت عظمة اسمه قبل (١٥٠٠) عام في غار حراء لمحمد بن عبد الله (ص)، وعند ذلك جعل ذلك النبي الأوحد ـــ الذي انحدر من السلالة النبوية الابراهيمية ـــ هذا الاسم العظيم يدوي في شبه جزيرة العرب أولا ثم في إنحاء العالم وكافة نواحي حياة البشر، وكل وجود وكيان البشر. وبعد ١٥٠٠ عام، انبعث هذا النداء الإلهي من جديد في زاوية من الدنيا استمر فيها الإمامة والولاية كسر من الأسرار، وشع نوره في أمة وطنت نفسها واعدت قلبها لمقارعة الطواغيت والقضاء عليهم واقتلاع جذور الظلم الذي أحاط بالتشيع المجاهد، لا تشيع البكاء والندب.» دكتور العقيقي البخشايشي، (كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين)، ص٣٠٦، مصدر سابق.

(١) يقول السيد علي الخامنائي حول أفكار الشهيد الدكتور علي شريعتي وعظمة مشروعه ما يلي: «في الحقيقية كان الدكتور شريعتي مواليا، صلب العقيدة وعاشقا لكل ما هو مقدس في الإسلام، وذلك ما لمسته منه عن قرب، وليس من خلال ما أشيع عنه، أو ما قالته عنه التيارات الفكرية في حقه، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور علي شريعتي على نقطة مهمة، ومن خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات قد بدأت عملها من خلال ثلاثة محاور، وهي: مواجهة الحس الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تفتيت الأمة. وكانت تلك التيارات تتقدم بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وانه كان على طرفي نقيض مع حالة المستغربة والتابعين للأجنبي ولكل ما يأتي من الخارج، حيث كانت علاقته بالأمة قوية وكان متفاعلا معها.. يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه وديدنه». مقدمة كتاب د. علي شريعتي، (دين ضد الدين)، بقلم السيد علي الخامنائي، ترجمة حيدر مجيد، مراجعة وضبط حسين شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـــ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٣م.

النصوص ــ أسست لها ــ أي الحوزات الأخرى غير «الحوزة» القمية ــ رموز إيرانية، بما فيها «حوزة» المركز النجفي ــ الكوفي، الذي هو محور المقارنة في سياق هذا الكتاب... وما يشير إلى هذا المعنى استثناء السيد الخامنائي لـ «الكوفة» كمركز «حوزوي» في اللحظة، التي «أسست» فيها «حوزة» قم، ثم «تأسيسها» على يد الشيخ الطوسي بعد أكثر من أربعة قرون من تاريخ الإسلام.

سابعا: وبالنسبة لـ «حوزة» قم ذاتها، كان بإمكان السيد علي الخامنائي أن يتحاشى ما يبدو أنه قسرية في «تأسيس حوزة قم»، حيث عبر عنها في لحظة تأسيسها بالتزامن مع آخر ثلاثة أئمة «شيعة»، بأنها «كانت (حوزة) بكل ما تعني الكلمة من معنى»... والأمر لم يكن كذلك إطلاقا... فلم يكن عهد الأئمة المتأخرين، ولا العهد التالي لهم، إلا عهدا روائيا ــ خبريا ــ حديثيا، جمعت فيه روايات الأئمة «الشيعة»، لما يقارب الثمانية عقود، حيث تم الانتهاء من جمع كتب المحمدين الثلاثة، وهي كتب الحديث المعروفة لدى «الشيعة»، ولم تأخذ «الحوزة» آنذاك طابعها المؤسسي التقنيني، الذي أخذته في ما بعد... إضافة إلى أن عدد هؤلاء الرواة في قم كان محددا، وأغلبية المجتمع الإيراني كان آنذاك يصنف «مذهبيا» على أنه مجتمع «سني» وانتمى إلى «التشيع» مع بداية العهد الصفوي، الذي أساء إلى هذا «التشيع» إساءات بالغة وخطيرة حتى انه أنتج دينا يمكن أن نطلق عليه «الدين الصفوي».

ثامنا: نعيد القول: إنه إذا كان من حق السيد الخامنائي أن «يفتخر ويتفاخر» بأن بلاده احتضنت «الحوزة الأصل».. وهي ــ كما أشرنا ــ مما لا ينسجم مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.. فإن هذا الفخر والتفاخر سيستبطن بطبيعته واقع «الحوزة» النجفية الملتحقة ــ «الحوزة الملحق» ــ وكان المفروض أن يتحول هذا الاستبطان إلى إعلان صريح وواضح حول الأسباب، التي جعلت «الحوزة» النجفية تنتهي إلى ما انتهت إليه، ولو من باب الصراع، الذي تخوضه، إيران مع أميركا.. إذ أن أسباب الفوارق بين «الحوزتين» القمية والنجفية عديدة ومتنوعة، وترتبط بالجغرافيا والديمغرافيا وتاريخ وهوية كلا البلدين، وترتبط بخصوصية العراق كمركز ديني كوني نبوي عالمي أيضاً، وبالكوفة كعاصمة دينية كونية عالمية، جعلت منه بلدا

مستهدفا بامتياز على امتداد التاريخ الإسلامي والديني، وفي خضم الصراع العالمي على امتداد التاريخ... ذلك أن هذا الصراع حكم تاريخيا، إلى الدين، والدين أولا، وإذا ما أخذ طابع الصراع الديني عناوين أخرى «غير دينية» خلال المئتي سنة الأخيرة من عمر البشرية، بعناوينها الرأسمالية، والماركسية والقومية...الخ فهو طابع استثنائي علني يستبطن في أعماقه معنى الانتقام من الإسلام، والإجهاز عليه. إنه دوران «حوزوي» في تاريخ الإسلام، يشابه دوران «حوزات» الأديان الأخرى كلها، التي سبقت الإسلام بمعظمها. «حوزة» قمية مثلت الأصل و«حوزة» نجفية ــ كوفية مثلت الملحق، أخذت الأولى الصفة «الثورية»، بينما أخذت الثانية الصفة الأميركية من حيث «سياسات» رموزها الكبار، التي تجلت بوضوح وعلنية فجة في عهد الاحتلال الأميركي للعراق، والتنسيق المعلن واللامعلن لتلك الرموز مع قادة الاحتلال.

إن الإمام الخميني هو مَنْ توج «حوزة» قم بالصفة الثورية، وانتشلها من الفم الأميركي ــ البريطاني، وهو مَنْ كان يهتف بأولوية الهمجية الأميركية قائلا:

ــ «هم حيوانات مفترسة لا يتورعون عن ارتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق أهدافهم المشؤومة، ولا يميزون ــ في طريق الوصول إلى الرئاسة ومطامعهم الدنيئة ــ بين العدو والصديق، وعلى رأسهم أميركا هذه الإرهابية ذاتا، هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب لتحقيق مطامعها، جنايات تخجل الأقلام والألسنة عن كتابتها وذكرها.. ويحملهم الخيال الأبله بإسرائيل الكبرى على ارتكاب أية جناية»[1].

ــ و«إن أولئك الذين يظهرون معارضتهم للإرهاب هم اليوم يشكلون مراكز للإرهاب، فأميركا التي أقامت الدنيا ولم تقعدها في الحديث عن حقوق الإنسان وحب البشرية، (ورئيس جمهوريتها الذي ما فتئ يتحدث عن حبه للإنسان) هل هؤلاء حقا يحبون الإنسان؟.. هل أميركا تحب الإنسانية حقيقة؟.. أميركا التي ما انفكت تشعل

(١) عادل رؤوف، (الإمام الخميني، الخطاب ــ الدولة ــ الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي)، ص٢٤٠، المركز العراقي للإعلام والدراسات، ط٢، ١٤٢٤هــ ٢٠٠٣م.

نيران الحروب في العالم وتبيد البشرية عن هذا الطريق، هل هي حقا تحب الإنسان والإنسانية؟.. وهل حقا أن الإسلام كما يصف هؤلاء؟ وإيران الإسلام هي كما يتهمها هؤلاء»؟[١].

ــ و«نجح شعبنا بفضل اللطف الإلهي في تطبيق الشعارات التي أطلقها في أكثر المجالات، شعار الحرية والاستقلال، أضفنا لجماله جمالا بعملنا، شعار الموت لأميركا رأينا مصداق تحققه على أيدي فتية الملاحم الإسلامية الإبطال عبر اقتحامهم لوكر الفساد والتجسس الأميركي، لقد عرضنا جميع شعاراتنا لمحك الاختبار العملي»[٢].

ــ «أميركا هي التي تقف وراء إسرائيل، وأميركا هي التي تساند إسرائيل لدحر وتشريد العرب والمسلمين، أميركا هي التي تسير أمور بلدنا عبر عملائها مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أميركا هي التي ترى أن القرآن والإسلام خطر عليها وتريد وقفهما، أميركا هي التي ترى علماء الدين المجاهدين عائقا، سدا منيعا حائلا أمام أهدافها ومآربها، أميركا هي التي تأمر النظام بالامتثال لأوامرها، وهي التي أمرته بالموافقة والمصادقة على هذا القانون الشنيع المذل للمسلمين ولمفاخرهم الإسلامية والوطنية. اليوم اقتصاد بلادنا بيد الأميركان والإسرائيليين، الأسواق التجارية والعجلة الاقتصادية خرجت من أيدي المسلمين، أمور المسلمين اليوم بأيديهم وبإمرتهم»[٣].

وفي مقابل تصريحات الإمام الخميني هذه، وتصريحاته الكثيرة حول الخونة من «رجال الدين» الذين تعاونوا سرا وعلنا مع الأجنبي، وعبر مقولات «فصل الدين عن السياسة»،[٤] وحتى تصريحات السيد علي الخامنائي إزاء الوحشية الأميركية التي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٠ ــ ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(٤) جاء في بعض نصوص الإمام الخميني القول ان «عدد من المتظاهرين بالقداسة الأرازل كانوا يرون كل شيء حراماً .. ولم يكن أحد يجرؤ على التصدي لهم .. إن الغصص التي تجرعها أبوكم الشيخ من هذا النوع المتحجر لم يتجرع مثلها أبدا من غيرهم.. عندما انتشر مفهوم فصل الدين عن السياسة وأصبحت الفقاهة في منطق الأغبياء تعني الغرق في الاحكام الفردية العبادية، أصبح الفقيه تلقائيا عاجزا عن كسر هذا الحصار ليتدخل في السياسة والحكومة، ←

تغاير طبعا التصريحات الأولى، لأنها لم تتعاطى مع ملف «المرجعية» بزعامتها السيستانية وتنسيقها مع الأميركان، فان رؤية دقيقة لمقولات السيد الخامنائي الآنفة الذكر ستعبر عن انحدار مرعب في خطاب الثورة وهبوطه من «القمة» الحسينية الثورية الى «القاع الصفوية»، ومهما يكن من أمر فان خطابات ومواقف الثورة الإيرانية ما بعد هذا الهبوط ستأخذ شكلها «التصالحي» الخطير مع «حوزة النجف الخرافية» ودور السيستاني فيها، بعدما كانت «حوزة» النجف ــ الكوفة قد ودعت آخر هاتفين ثوريين فيها إزاء أميركا، وهما الشهيدان الصدر الأول والصدر الثاني، وانتهت الحال بها بعد رحيلهما إلى الارتماء في الحضن الأميركي، ولعل خير ما يعبر عن هذا الارتماء بمراراته كلها هو ما كتبه بول بريمر الحاكم الأميركي المدني بعد احتلال العراق، وما كتبه بهذا الصدد كثيرون، نكتفي هنا بمقتطفات من كلامه، فهو يقول عن علاقاته بزعيم هذه «الحوزة» النجفية ــ الكوفية «السيستاني» ما يلي: «انتقلنا لمناقشة

وأصبحت حماقة الروحاني في معاشرة الناس فضيلة.. يزعم البعض ان الروحانين يستحقون الاحترام عندما يقطر وجودهم حماقة.. وإلا فلا يكون احدهم سياسيا وروحانيا وعالما بالأمور وذكيا (ويعرف من أين تؤكل الكتف) وقد كان هذا رائجا في الحوزات.. فكل من سلك طريقا ملتويا هو الأكثر تدينا.. كان تعلم اللغة الأجنبية كفرا.. وكانت الفلسفة والعرفان شركا.. في المدرسة الفيضية شرب ابني الصغير المرحوم مصطفى من ابريق ماء فطهروه لانني كنت ادرس الفلسفة».. «نشر منطق ان (الشاه ظل الله) و(لا يمكن مواجهة الدبابة والمدفع باللحم والجلد) و(نحن لسنا مكلفين بالجهاد) و(من يتحمل مسؤولية دماء القتلى) والأشد فتكا من ذلك كله الشعار المضل (الحكم قبل ظهور صاحب الزمان باطل) وآلاف (ان قلت) (الاشكاليات) غيرها كانت مشاكل كبرى لا تطاق.. لم يكن بالإمكان ان تواجه بالنصيحة والجهاد السلبي والتبليغ... كان الحل الوحيد هو الايثار والدم وقد هيأ الله أسباب ذلك.. وقف العلماء وطلاب العلوم الدينية يستقبلون بصدروهم كل سهم مسموم يرمى به نحو الإسلام.. وتقدموا الى مسلخ العشق.. وقد وقع أول واهم الفصول الدموية للجهاد في عاشوراء الخامس عشر من خرداد.. في خرداد عام ٤٢(هـ ــ ش) لم تكن المواجهة مع رصاصة بندقية ورشاش الشاه لو كان ذلك فحسب لكان سهلا.. بل بالاضافة الى ذلك كانت داخل الجبهة الداخلية رصاصة الاحتيال والنسك الكاذب والمتحجر... رصاصة جراحات اللسان والنفاق والازدواجية التي كانت تحرق الكبد والروح وتمزقها أكثر بآلاف المرات من البارود والكبريت.. في ذلك الزمان لم يكن يمر يوم دون وقوع حادثة.. وكانت الأدوات السرية والمعلنة لأمريكا والشاه تنشر التهم والشائعات.. حتى انهم كانوا يلصقون تهمة تارك الصلاة وشيوعي والجاسوس الانكليزي بالأشخاص الذين كانوا يقودون الصراع». الخطاب التاريخي للإمام القائد الخميني، إذاعة الإسلام صوت المستضعفين، قسم الارشيف، ٢١ / ٣ / ١٩٨٩م.

موضوع مقتدى، قلت لرئيس الوزراء إنني آسف لأننا تركنا هذه المسألة بدون حل وأن حكومته مضطرة إلى التوصل إلى طريقة للتعامل مع هذا الرجل. أجابني بأنه ينبغي على الشرطة العراقية عدم اعتقال مقتدى قبل ٣٠ حزيران / يونيو. وعندما أثرت مشكلة التمرد الأكبر، قال علاوي إنه يفضل إجراء شكل من إشكال المحادثات مع المتمردين. أوجزت له المقاربات التي اتبعناها مع المتمردين المزعومين بعد اعتقال صدام. وقد اتبعنا كل واحدة منها بدون جدوى، (لكن تجدر المحاولة بكل تاكيد). في ٨ حزيران / يونيو، أصدر مجلس الأمن قرارا بالإجماع حول الرقم ١٥٤٦، رحب بالحكومة العراقية المؤقتة واصفا إياها (بمرحلة جديدة في انتقال العراق إلى حكومة منتخبة بطريقة ديمقراطية) كما تضمن القرار تأييدا صريحا للجدول الزمني الذي وضعه القانون الإداري الانتقالي لإجراء الانتخابات بحلول ٣١ كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥، وأرفق بالقرار رسالتان من علاوي والوزير باول حددتا دور قوات الائتلاف متعددة الجنسيات. مساء ذلك اليوم، حمل ضياء رسالة توفيقية من آية الله السيستاني. فقد كان (مسرورا) لما تم التوصل اليه في المدن المقدسة، وبالحكومة الجديدة ورئيسها، ولأن قرار مجلس الأمن لم يذكر القانون الإداري الانتقالي صراحة، وأنه يؤيد الجدول الزمني للانتخابات في كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥.

وختم رسالته بالقول (لقد كان حواري مع السفير بريمر طوال السنة الماضية مفيدا جدا و آمل بأن يستمر). على الرغم من أن آية الله رفض الاجتماع بسلطات الاحتلال، فقد تبادلت وإياه في الشهور الأربعة عشرة الماضية ما يزيد عن ثلاثين رسالة عبر مختلف الوسطاء. وأنا أيضا وجدتها (مفيدة للغاية)»[1]. حقا أن هذا الدوران «الحوزوي» التاريخي باسم الإسلام كرس من معادلة «الحوزة» القمية الأصل، التي توجت بالثورية الخمينية، وكرست من معادلة «الحوزة» النجفية ــ الكوفية الأميركية الملحق ــ والكلام ليس إطلاقيا ــ إلا أنه على كل حال دوران بين ذروتي البداية

(١) السفير بول بريمر، بالاشتراك مع مالكوم ماك، وكونل (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو)، ص٤٧٨، مصدر سابق.

والنهاية لـــ «الحوزتين» بالمواصفات السائدة الآن. لكن إذا ما اردنا أن ننظر إلى هذا الدوران بعين «النهاية التاريخية» سنعود إلى الكوفة، وسنقرر أن هذه النهاية ستطوي ملف «الحوزتين» معا، لأنها لا يمكن أن تكون إلا نهاية كونية ذات بصمة عراقية ــ كوفية ــ نجفية، مثلما بدأ هذا الكون ببصمة عراقية ــ وهذا ما له مبحثه المستقل في كتاب آخر ــ، وعندها لن يبقى للتفاخر من حاجة أو مسوغ[1].. وهذا الكلام ينبغي أن لا يتحول إلى عامل تحفيزي لإهمال دراسة «الحوزة» دراسة مقارنة، بقدر ما يتحول إلى محفز كبير لمثل هذه الدراسة، فعلى الساحة الكوفية ــ النجفية «اللاحوزوية»

---

(١) كثرت الكتابات الإيرانية «التمجيدية» لمدينة قم و«حوزاتها» بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران على يد الإمام الخميني، ويقول أحد الباحثين الإيرانيين بهذا الصدد ما يلي: «غير أننا إذا نظرنا إليها باعتبارها جامعة إسلامية عظمى فسنرى أن لها تاريخا إلى ١٣ قرنا من الزمن. وبعبارة أخرى فان هذا الحصن العلمي والإيماني المنيع قد استقطب أنظار رجال العلم والتحقيق منذ الأيام الأولى التي اشتهر فيها كبقعة ضمت المرقد الطاهر للسيدة المعصومة (ع) ومنذ ذلك الحين بدأت قوافل طلاب العلوم الدينية تأتي هذه المدينة من مختلف الأصقاع الإسلامية. فوضعوا بذلك الحجر الأساس لأعظم جامعة في العلوم الإسلامية. وأما تأسيس الحوزة العلمية على ما هي عليه اليوم فقد تم على يد العالم الرباني آية الله العظمى المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، وأصبحت في الستين سنة الأخيرة احد أهم واقوي المراكز الفكرية والعلمية في إيران والعالم الإسلامي وأعظمها حظا بالإيمان والتقدير.» الدكتور العقيقي البخشايشي، (كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين)، ص٣٦٣، مصدر سابق. ويضيف قائلا: «كانت قم منذ القديم محط أنظار شيعة أهل البيت، وتخرج منها علماء ومحدثون أعاظم، لكن عندما ظهر رضا خان على المسرح السياسي في إيران استطاعت أن تظهر بجلاء ماهيتها وهويتها التاريخية والإسلامية الإنسانية، وكان ذلك في زمن تحمل فيه آية الله الحائري ــ ذلك الرجل الرباني.. رجل الأفكار وصاحب المدرسة الفكرية والعقائدية التهذيبية، والذي ذاع صيته في الآفاق ــ أعباء المرجعية في عالم التشيع، وكان يؤدي واجبه العلمي في قيادة الشيعة في العالم في مدينة قم. وقد اكتسبت حوزة قم في تلك الفترة رونقا وعظمة خاصة حتى ضاهت حوزتها العلمية الحوزات العلمية التي أشرفت عليها شخصيات علمية مبرزة في العالم الإسلامي كالبهبهاني والشيخ الأنصاري والميرزا الشيرازي والآخوند الملا محمد كاظم الخراساني وأستاذ المتأخرين الشيخ ضياء الدين العراقي قدس الله أسرارهم، وذلك لان مدرسة هذا العالم الرباني قد خرجت الفحول الذين كان لكل منهم دوره التاريخي المهم ومدرسته الفكرية والعقائدية العظيمة، وإذا عرفنا الشخصيات العلمية المعاصرة الشامخة التي حملت راية قيادة الأمة الإسلامية وإرشادها فسنعرف جيدا قيمة المدرسة التهذيبية والمقام العلمي الرفيع لتلك الشخصية الإسلامية الجليلة، لان أكثر الستمائة شخصية علمية وإسلامية بارزة ــ أو ما يقرب من الجميع ــ التي تربت في الحوزة العلمية لآية الله الحائري أصبحت شخصيات شهيرة في العالم الإسلامي.» المصدر نفسه.

سينهار المتصارعون على أرض العراق.. ومن تيار الدم العراقي الحالي الجاري على أرضه سيولد مخاض ومخاضات متحكمة بحكم العالم أو فنائه، ـ الفناء الأخير ـ. وعودة إلى نشأة هذه «الحوزة» في مدينة قم، كمكان اخذ قدسيته من السيدة معصومة (ع)، لابد لنا أن نطل على مفارقة جوهرية بين «الحوزتين» على أساس هذا المرتكز بأبعاده الدينية الاجتماعية، والدينية الجغرافية، والدينية «الحضارية».

"الحوزة" النسوية
"الحوزة" الذكورية

لا شك أن «حوزتي» قم والنجف الأشرف تحضيان بقداسة المكان، وأهميتها النابعة من رمزيهما، الإمام علي بن أبي طالب (ع) والسيدة معصومة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) ـ كما مررنا على ذلك ـ وعندما يؤخذ الأمر من منظار «الثقافة الشيعية» ـ فإن السيدة معصومة (ع) تمثل رمزاً امتدادياً «لرمز التشيع» الأعلى الإمام علي (ع)، أو «أصل التشيع الأعلى»... وبمعنى آخر فإن السيدة معصومة فرع الفرع بالنسبة لهذا الأصل الأعلى، الذي يحتضن مرقده الشريف ارض النبوات والرسالات، ارض ادم ونوح وإبراهيم (ع)، ولسنا هنا بصدد مناقشة تاريخية المكانين المقدسين، وحواضنهما الاجتماعية، فالعراق كان الحاضنة الأساسية الأصل لهذا «التشيع»، نظراً لدور علي بن أبي طالب (ع) في الإسلام، ثم ابنه الحسين (ع) أبو الثوار والأحرار في هذا العالم، في حين أن إيران، التي هي أكبر من العراق جغرافياً بثلاث مرات ونصف، كانت ملتحقة تاريخيا بهذا «التشيع»... مما جعلها بحاجة رموزية له، فكانت مدينة قم المقدسة[1] قد استوعبت هذهِ الحاجة بالإضافة إلى مرقد

---

(١) في هذا المجال ينبغي مراجعة علاقة الانسان بالمكان والترابط العضوي بينهما، والتي عالجها ←

الإمام الرضا (ع) في خراسان بمدينة مشهد المقدسة، ومع الفارق في الرموزيتين ــ الإمام الرضا والسيدة معصومة ــ والحاجة إليهما، إلا أن مدينة قم المقدسة أخذت موقعها الديني «الحوزوي» المركزي أكثر من مدينة مشهد المقدسة، والسبب في ذلك هو جغرافي أيضاً إلى حد ما.. حيث مشهد مدينة طرفية بعيدة عن المركز الإيراني، أما قم فهي مدينة وسطية، ولا شك أن لموقع هذهِ المدينة أثره في «الثقافة الشيعية» الإيرانية، وتوازنها الاجتماعي في دور كل من الرجل والمرأة، فمع أن دور السيدة معصومة (ع) لا يوازن ولا يوازي دور السيدة زينب بنت الإمام علي (ع)... إلا أنها ونظراً لحاجات «التشيع الإيراني» كان لها دوراً بارزاً في ذلك التوازن الاجتماعي،

علماء الجغرافية، وجاء في كتاب الجغرافي د. معين حداد، (الجغرافيا على المحك) في هذا الصدد ما يلي: «لاحظ الجغرافيون باكرا ان عملية الربط بين الانسان والطبيعة، لن تكون شاملة او مطلقة، بمعنى آخر، ان العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تنشأ، تنمو، وتتلاشى، من دون ان تلعب العوامل الطبيعية دورا حاسما او حتى دورا معينا في هذه الامور، فالعبور من الثورة الصناعية الى المرحلة ما بعد الصناعة، أي ثورة التكنولوجيا الرفيعة (High tech) لا تُسأل الطبيعة عن اسبابه، وكذلك مثلا نشوء النظام السوفياتي او انهياره لا علاقة للعوامل الطبيعية بهما. كما وانه في التاريخ البعيد او الحديث، انشأت مدن مهمة لعبت ادوارا اساسية في مسار الحضارة الانسانية، من دون الاخذ بالحسبان عناصر التضاريس او المناخ، كمدن: الفسطاط، القاهرة، الكوفة، القيروان... في التاريخ الوسيط، ولاس فيغاس،... برازيليا... في التاريخ الحديث. كان وراء انشاء هذه المدن قرارات وارادات مبنية على اعتبارات اقتصادية، وسياسية مستقلة الى هذا الحد او ذاك عن العوامل الطبيعية، أي انه لم ينظر الى العناصر التي ستشكل فيما بعد موضع هذه المدن، على انها هي المحرض الاساسي على الشروع في بنائها، ذلك ان ما اخذ بعين الاعتبار في انشاء المدن هو الموقع، أي مكان المدينة المنوي انشاءها في علاقته مع غيره من الامكنة؛ والموقع غير الموضع، يتشكل من ابعاد مجالية هي ابعاد تحددها المسافات والمساحات والاتجاهات، ولا تحددها ملامح سطح الارض او بنيته الجيولوجية، او مناخه او نباته. المهم، ما نود التشديد عليه هو ان البحث عن العلاقات بين الانسان والطبيعة، في كل زمان ومكان، ليس له ما يبرره من الوجهة العلمية، او المنهجية، والا ذهبنا الى (الحتمية الجغرافية) التي تدحضها الوقائع». د. معين حداد، (الجغرافيا على المحك، ما هي الجغرافيا، مناهجها، هويتها، جديدها، ازماتها وسبل تجاوزها)، ص ٧٦ ــ ٧٧، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ــ لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

ودور المرأة المميز في إيران، الذي يقدم نموذجاً يكاد يكون فريداً في العالم الإسلامي... وبالتالي يكاد يكون الأقرب إلى الثقافة الإسلامية الحقيقية، التي لا تفرق بين دور الرجل والمرأة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

فالمرأة الإيرانية حاضرة فعالة في المجتمع على الدوام، وحاضرة في شتى مجالات الحياة، وتمارس دورها الاستخلافي «آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر»... كما أنها تتمتع بمعظم حقوقها كإنسانة مسلمة... ولا تتعرض لاضطهاد ذكوري، كالذي تتعرض له الكثير من نساء الشعوب العربية والإسلامية، ولا تعاني من الدكتاتورية الرجالية... وإذا كان مرد ذلك لا يرتبط بعامل واحد.. بل بمنظومة عوامل تاريخية وحقوقية، فإن «حوزة» مكانها مدينة مرقد السيدة معصومة (ع) لابد أن يمثل أحد أهم هذهِ العوامل في ما يرتبط بالتوازن الاجتماعي، الذي أضيف على عوامل التوازن الاجتماعية التاريخية للأمة الإيرانية قبل الإسلام. وحضور المرأة الإيرانية المشار إليه، صحيح أن للجغرافيا وما أسميناه الحاجة إلى «الرموزية الشيعية» تشابكهما في ذلك، إلا أن للثقافة العامة مركزيتها هنا، مما ساهم تاريخياً في توازن المجتمع، وتخفيف نسبة التسلط الذكوري فيه، إذ لا يمكن القول عن المجتمع الإيراني بأنه مجتمع ذكوري على شاكلة المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى... وواضح أن مشروعاً نهضوياً لأمة لا يمكن أن يكتب له النجاح دون دور المرأة، التي تشكل فيه نصف المجتمع، إذ أن الأمة التي تؤسس «حوزتها الدينية» في مكان نسوي إسلامي «شيعي»، حتى لو كان السبب كما قلنا جغرافياً وانتسابياً «شيعياً» كحاجة... فإنها بالتأكيد لا يمكن أن توصف «دينياً» بأنها أمة ذكورية متسلطة... وهذا ما هو واضح وجلي في الواقع الاجتماعي والأسري الإيراني.. والمفارقة المثيرة في هذا المجال تنبع من رؤية مقارنه مع «حوزة النجف» مع مبرر وجودها في هذا المكان الديني التاريخي، الذي يضرب بجذوره التاريخية انطلاقا من سفينة نوح (ع) ورمز هذا

---

(١) سورة التوبة: آية ٧١.

المكان «الشيعي» المتمثل بعلي ابن أبي طالب (ع)... المقارنة أن علياً هذا الذي لم يشهد تاريخ الإسلام بعد الرسول (ص) شخصاً بمواصفاته أسس له المؤسسون المزورون الناطقون باسمه مقولات عدائية، وثقافة عدائية للمرأة ظلماً وزوراً وعدواناً...

وكأن علي (ع) خلق عدواً لها، بحيث حُمّل من الروايات الطاعنة بها كإنسانة بما لا يحمل به لا الرسول (ص)، ولا أي من الخلفاء والصحابة (رض) والأئمة (ع)... وكان حرياً بمؤسسات «التحقيق الشيعية» لكتب «الحديث والرواية والخبر» التي تعمل ليل نهار، سواء كانت المؤسسات التاريخية، أم المعاصرة، لاسيما تلك التي يتزعمها العمود الفقري لــ «مرجعية السيستاني»، جواد الشهرستاني المقيم بمدينة قم المقدسة ــ رمز «الحوزة والمرأة» ــ كان حرياً بهذه المؤسسات، أن تحقق في «عداوة علي (ع) للمرأة» وتعيد النظر بــ «نهج البلاغة»، و«غرر الحكم»، و«الأحاديث الأخرى المنسوبة لعلي (ع) حول المرأة» وما دس فيها في هذا المجال... إلا أن أمراً من هذا القبيل لم يحصل حتى هذا اليوم، في إصرار وعناد.

بأية حال من الأحوال، فعلي (ع) رمز العدالة الإنسانية، ورمز المحرومين في الأرض، والهاتف الأكبر بمرجعية القرآن، تحول مكانه المقدس تاريخياً إلى «حوزة علمية» لا شأن لها بهذه الثقافة العدائية للمرأة المنسوبة إليه.

إنها مفارقة لا تخلو من التشابك والالتباس وحتى الوقاحة، وهي عدائية ليست على علي (ع) فقط، بل على كتاب الله العزيز، ونصوصه الصريحة، التي تعطي المرأة كرامتها كإنسانة كاملة الحقوق، ومسؤولة ومستخلفة ومؤتمنة، كالرجل تماما.

ــ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[١].

ــ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

---

(١) سورة الاحزاب: آية ٧٢.

(٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1].

ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ـ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[3].

إن نصوص القرآن المارة تعبر بلسان عربي فصيح عن وحدة الاستخلاف والأمانة والمسؤولية لهذا الإنسان، سواء أكان رجلا أو امرأة، وإذا كانت «حوزة» النجف، وبعد مرور قرون طويلة على وجودها، لم تعالج ملف علي (ع) والمرأة حتى الآن، فمتى يا ترى تتوجه أقلام «محققيها» إليه، فلتقلها بصراحة إذا ما كانت تلك النصوص القرآنية خاصة بالرجال دون النساء، فالتجرأ وتدعي بأن الاستخلاف والأمانة والمسؤولية خاصة بالرجل دون المرأة، وإلا فلا خيار لها بعد «عمرها الدراسي ـ التحقيقي» الطويل إلا أن تحذف آيات الله وتزور قرآنه، أو أن تجرؤ وتقول بأن علي ابن أبي طالب (ع)، الهاتف بمرجعية القرآن، يعمل ويقول ضد منطوقات هذا القرآن، وأما أن تعترف بأن لا شأن لها بهذا القرآن.

---

(١) سورة البقرة: آيات ٣٠ ـ ٣٦.

(٢) سورة الروم: آية ٢١.

(٣) سورة الصافات: آيات ٢٢ ـ ٢٤.

إن هذا الواقع الدراسي «الحوزوي» النجفي بأبعاده المرتبطة بالمرأة، يعطي تصورا عن عمق الفارق المقارن بينها وبين «حوزة» قم، التي ساهمت في بناء الأمة على أساس من الثقافة اللاذكورية المكرسة من خلال تحويل السيدة معصومة (ع) إلى مكان لها، ويعطي نافذة عبر دور المرأة المقارن «فكرياً» واجتماعياً، تاريخياً وحالياً، بما له علاقة بالمكانين المقدسين «النجف وقم» و«الأصل الأعلى ــ الرجل ــ للتشيع وفرع الفرع له ــ المرأة ــ معصومة بنت الإمام موسى الكاظم (ع)»... فهنالك في إيران يتحول مكان «فرع الفرع» إلى «حوزة علمية»، سيساهم بشكل كبير في ما أسميناه التوازن الاجتماعي، ودور المرأة الفعال والحاضر في مجالات الحياة كلها، والأقرب من غيره لحقوق المرأة في الإسلام... وهنالك في العراق يتحول مكان «الأصل الشيعي» إلى «حوزة علمية» مدججة بثقافة عدائية محملة على علي بن أبي طالب (ع) حول المرأة... وسينعكس ذلك على التوازن الاجتماعي، وحقوق المرأة بشكل سلبي وضدي لما هو في إيران، حيث تبدو الذكورية والدكتاتورية الرجالية واضحة ومتفشية في المجتمع العراقي، ويبدو دور المرأة العراقية دوراً محاصراً ومغيباً.. وتتحول هذهِ المرأة إلى مخلوق مضطهد بكل ما سيحمله ذلك من تأثيرات على نهضة الأمة، وأي مشروع فكري نهضوي باسم الإسلام... ففي عراقنا علي (ع)... وفي إيرانهم معصومة (ع).. لدينا النجف الحاضنة التاريخية النوحية، لديهم قم كمدينة أخذت أهميتها من أهمية السيدة معصومة (ع)، لدينا «حوزة» في هذا النجف «مكان علي (ع)» ولديهم «حوزة» في مكان معصومة (ع)، لدينا الأصل «الأصل الشيعي الأعلى» ــ ولديهم فرع الفرع «الشيعي»، عراقنا حمالة «التشيع» التاريخية، إيرانهم ملتحق بهذا «التشيع» في وسط التاريخ الإسلامي.. ومع ذلك فإن «قمهم وحوزتهم فيها» ساهمت في بناء المجتمع بشكل متوازن إلى حد كبير، وأحضرت «معصومة (ع)» أثراً ودوراً وحضوراً نسوياً في حراك الأمة الإيرانية فتحولت بذلك «حوزتهم» إلى «حوزة» مساهمة في البناء المعرفي والسلوكي الاجتماعي.. إذ مجرد أن تشيد هويتهم «الشيعية» برجالها في مكان يضم مرقد امرأة رامزة للإسلام.. فهذا ما له دلالاته التكوينية العميقة للبناء الاجتماعي المتوازن... فلا يمكن فصل هذا

التوازن عن رمزية المرأة ومكانها في الحراك الاجتماعي الديني عبر الزيارات لهذا المكان، والمناسبات التي تقام فيه و«الدروس التي تدرس فيه» ورموز «الحوزة» الذين يقيمون فيه، وعلاقة الأمة بهذه الرموز، فهذا الحراك هو نسق من العلاقات التراتبية ـــ الترابطية، التي لا تقبل الفصل في دلالاتها التربوية والمعرفية والفكرية الدينية... فكل هذا التراتب والترابط يدور حول المكان المقدس و«حوزته القمية» ورامزته النسوية ـــ معصومة (ع) ـــ إذاً لدينا، ولديهم ـــ لديهم معصومة (ع)، ولدينا علي (ع) الأب الأكبر لمعصومة، والمئات من ذريته رجالاً ونساءً، ورمز العدالة والمساواة فيما «الحوزة» في حاضنته النجفية والعراقية، لا علاقة لها بـــ «ثقافة علي الأصيلة» وفكره الحقيقي حول المرأة.. بل إنها مزورة لها، وليس من سائل أو محقق في هذا التزوير.. وإذا كانت هنالك «شراكة شيعية» قمية ـــ نجفية في هذا التزوير مع الفارق، فإن الواقع على الأرض يعكس نقيض هذهِ «الشراكة» ويترجم ميدانياً عبر مكان نسوي إسلامي مركزي «لحوزتهم الدينية»... مركز صانع لواقع اجتماعي ومؤثر فيه، وإذا شئت أن تقول بصورة «جبرية» لا تقبل الانفصام والانفكاك، فقم كمكان «حوزوي» سيكون متسامحاً في دور رموزه «المرجعية» ورجالاته «الدينية» مع المرأة، لأنهم يسكنون ويقيمون في مكان «معصومي» مقدس... وهذا التسامح سيخفف من طابع المجتمع الذكوري والدكتاتوري ضد المرأة، بينما الأمر نقيض ذلك في مكان علي (ع) وحوزته المدججة بثقافة علي العدائية المفتعلة ضد المرأة، والذي سينعكس اضطهاداً لها، ومصادرة لحقوقها، وتغيباً لدورها وبالتالي قتلاً للتوازن الاجتماعي، ولأي مشروع نهضوي ـــ تنموي، لأن المرأة ـــ نكرر القول ـــ هي نصف المجتمع، فعندما يتعرض هذا النصف النسوي إلى ذلك كله، سيكون المجتمع مجتمعاً ذكورياً ـــ دكتاتورياً مسلطاً على علي (ع) ومحاصراً إياه وسيضيع الأصل الأعلى لـــ «التشيع» ومكانه كحاضنة لـــ «الحوزة النجفية»، إذ إن رموز هذهِ الحوزة عندما يحضرون علي فكرياً وثقافياً بصورة مزورة ومقلوبة وعدائية ضد المرأة، فهل نفترض لهؤلاء الرموز «المرجعية» أن تكون متسامحة مع المرأة العراقية. وإذا هم أسقطوا المبنى الفكري ـــ المعرفي الحقيقي لعلي (ع) حول المرأة، فليس هنالك واقع «جبري ـــ

قسري» كالذي يحكم «حوزة قم» عبر معصومة (ع) الرامزة للمرأة، وليس هنالك ما يربط حراك الأمة ــ المناسبات والزيارات والشعائر والتواصل مع «المرجعية» ــ بمكان نسوي.. وإنما يربطها بمكان علي (ع) ــ الرجل ــ فعندما شوهوا أبوته الإنسانية وعدالته بين الرجل والمرأة فكرياً ومعرفياً، لم يقسرهم الواقع المكاني لــ «حوزتهم» بخلاف ما هو حاصل في إيران لإنصاف المرأة، فضلاً عن إعادة تحقيق الموروث الديني بما يعطي المرأة العراقية دورها النهضوي كما حصل في إيران.

بل إنهم بخلاف ذلك أصروا بقوة على إقصاء المرأة معرفياً بتزوير ثقافة «حوزة الرجل» ــ علي (ع) ــ وانتاجها بالمقلوب. هذا فضلاً عن ان الحوزتين تزعمهما تاريخياً «الفقهاء»، ولا مكان لقيادة «فقيهات».

أخيراً، أقول لا ادري إذا كان الإمام الخميني مشخصاً لذلك أو لا عندما أطلق مقولته «من نجفي نيستم.. من قمي هستم».. لكن واقع الحال يجعل من «حوزة قم» «حوزة» متسامحة إنسانية، ويجعل من «حوزة النجف» «حوزة ذكورية» دكتاتورية.

ولا أدري إذا ما كان الإمام الخميني مدركا أيضا لفارق جوهري آخر يرتبط بالمصادر المالية لــ «الحوزتين» والتباساتها.

"حوزة" البازار
"حوزة" الاستثمار

لا شك أن إشكالية المال بالنسبة لــ «الحوزتين» القمية والنجفية هي إشكالية مشتركة.. عبر ما عرف تاريخياً، ولا يزال مع مرور الزمن.. عبر أساليب وطرق الاختراق المالي بالنسبة لمواقع «مرجعية عليا وغير عليا» في كلا «الحوزتين»، وعبر «النظام الداخلي» لحركة هذا المال، وما يتركه من عوامل صيرورة ذاتية للشخصية «الدينية» كانت ولاتزال تمثل عاملاً خطيراً ومصيرياً بين «أنا قيادية»

اعتادت هذا «النظام المالي» ونشأت وترعرعت عليه بأساليبه المعروفة الاعتياشية في أكثرها، والإذلالية في طريقتها[1]. ستصبح في موقع «الشخصية القيادية الدينية البخيلة»... وبين شخصية «مرجعية» عليا أقل اندكاكاً بـ «البخل» وينبغي أن تكون تبعاً لقوة أو ضعف تلك العوامل النشأوية الذاتية في المسألة المالية وطريقة إدارتها، أو العوامل الاختراقية عبر المال «السلطاني» أو «الاستعماري»، ولا يمكن لأحد أن يلغي هذا المشترك، والمتمثل بالخطر المالي بنمطية المسارين، النشأوي التكويني الذاتي،

---

(١) تذكرني هذه الطريقة الاذلالية المعتادة لطالب «الحوزة» وهو يستلم مرتبه الشهري من أكثر من «مرجع».. ولم أجد خيارا سوى عدم الاستسلام لها، أثناء دراستي «الحوزوية»، فقد بقيت أواصل الدراسة على طريقتي، ولم اذهب لاستلام هكذا مرتب شهري، رغم أن اسمي كان مسجلا في السجلات «المالية» للطلاب الدارسين في «الحوزة»... وتذكرني بقصة نقلها لي «نوري المالكي» الذي أصبح في ما بعد رئيس وزراء العراق في ظل الاحتلال الأميركي، فقد قال لي ذات مرة قصة عن السيد محمد حسين فضل الله بعدما تصدى لـ «المرجعية» حول الأموال، والقصة التي نقلها لي هي كالتالي «يقول محمد حسين فضل الله عندما كنت ادرس كطالب في النجف الاشرف أيام شبابي، قررت أن أتزوج، لكنني لم أكن أملك تكاليف الزواج، ففكرت بالذهاب إلى محسن الحكيم كمرجع أعلى في حينه لمساعدتي في ذلك، وفعلا ذهبت إليه، وشرحت له ظروفي المادية وقراري بالزواج ومعاناة الغربة طالبا منه مساعدة مالية... فأبدى الحكيم تفهمه لحديثي، وتعاطفه معي، وبعد غياب قليل له، جاء وسلمني ظرفا، وعندما خرجت من عنده وفتحت الظرف، صدمت عندما وجدت أن ما في داخله هو ٢٥ دينار عراقي لا غير. صدمت وتحدثت مع نفسي كثيرا محاورا إياها ومتسائلا: هل من المعقول أن مرجعية عليا بما تملك من أموال طائلة، وبعد أن شرحت قصتي لها تصدمني بهكذا مبلغ لا يقدم كثيرا ولا قليلا في مشروع الزواج؟ لكن ــ الكلام لفضل الله ــ بعد أن أصبحت أنا (مرجعا) ويأتيني كثيرون ممن لديهم مثل هذه المشاريع.. أرى بأن نفسي لا تطاوعني حتى على إعطاء المبلغ الذي أعطاني إياه محسن الحكيم لزواجي بالرغم من توافر الأموال لدي». إن هذه القصة التي نقلها لي المالكي تقدم نموذجا للاعتياش الإذلالي لطالب «الحوزة» وفق «نظامها المالي».. إذ أن هذا الاعتياش عندما يتراكم ويتحول إلى اعتياد ممزوج بتكيف نفسي، فإنه يبقى ملازما للإنسان كسلوك إزاء الآخرين ولأي طالب «حوزوي» يعتلي «كرسي المرجعية» بضربة حظ أو بترشيح دولي سري أو بأي شكل من الأشكال.. فكثرة الأموال التي تنهال عليه بعدما أصبح «مرجعا» تبقى ممسوكة بعقدة الإذلال المالي، التي عاشها طالبا واعتاد عليها.. وعليه فسيكون مصير أمواله للأحفاد والأولاد والسرقة والنهب والعقارات والبنوك....الخ.

والاختراقي في «الحوزتين» القمية والنجفية... إلا أنه مع وجود هذا المشترك... يبقى الفارق هائلاً وكبيراً في درجة هذين النمطين في المسألة المالية وخطورتها، والتي وجدنا في إيران من أشار إلى خطورتها من داخل المؤسسة أو «الحوزة» ذاتها.. وكان أبلغ من عبر عنها هو الشهيد مرتضى مطهري، الذي قال ما مفاده «إن المال مصدر فساد الحوزة»... في حين كل ما يقال عراقياً أو «نجفياً» بهذا الصدد، هو أخف وقعاً بكثير من تلك المقولة، ومن مقولات أخرى ــ من داخل «الحوزة» ــ وليس من خارجها، وربما الإمام الخميني الذي أطلق مقولته «من نجفي نيتسم... من قمي هستم» ترجم ــ سياسياً ومالياً كــ «مرجع ديني» يغاير بدرجة كبيرة الأنماط كلها، التي كانت سائدة في «الحوزة النجفية» من قبل «مراجعها» ــ من حيث أنه فاجأ هذهِ «الحوزة» بمرتبه الشهري، الذي كان يدفعه لــ «طالب الحوزة» الذي يعادل أربعة أضعاف مرتب «المرجع الأعلى لحوزة النجف».. فالخميني لم يكن تاجراً، ولا «مرجعاً ثرياً»، ولا قاصداً من وراء ذلك أن يؤسس ذاته في «الحوزة النجفية»... اذ كان همه المركزي منصب على مواجهة شاه إيران ــ فهدفه وحاجاته المالية ــ المادية تفرض عليه أن يتبع خلاف هذا النمط التوزيعي للمال على «طلبة الحوزة»، ونظام الأولويات، يفرض عليه أن يواكب حاجات الثورة داخل إيران ــ وهي في طور الصيرورة ــ قبل أن يدفع بتلك الأموال لــ «حوزة» حاربته، ولا يريد نفوذاً فيها، فهو القائل:

«لا أدري ماذا افعل بجو النجف هذا، فكلما قمت بخطوة يواجهني بعض معممي النجف بالمعارضة ووضع العقبات، فإن أنا اتخذت موقفا حازما وشديدا اتجاه الحكام البعثيين، رفعوا اصواتهم في النجف فورا، إنه يريد أن تدب الفوضى في حوزة النجف! وأن أنا سكت عن البعثيين يقولون ها هو انسجم معهم! وأن عاملت البعثيين بلغة النصح، يقولون ما الذي جرى حتى يتعامل مع نظام الشاه بتلك الصورة ويعامل نظام العراق باللين، وحتى عندما أقوم بعمل ما لمصلحة السادة في النجف فلم ولن يقلعوا عن معارضتي ووضع العقبات في طريقي»[1].

---

(١) حميد روحاني، (نهضت إمام خميني)، ج٢، ص٤٩٣، طبعة ايرانية.

وبطبيعة الحال إن هذا النص يعبر عن محنة الإمام الخميني التي عاشها في النجف الأشرف مع أنه كان يتحرك على محور هدفه العام، المتمثل بمواجهة شاه إيران.

وعودة إلى المسألة المالية، التي رأى فيها أكثر «مراجع» النجف بأنها خطوة إحراجية لهم، فهو عندما يفعل ذلك كله، فانه كان مدركا لخطورة المسألة المالية، و«نظام الحوزة المالي» بتبعاته النشأوية الذاتية، التي ستجعل من أي «طالب» إذا ما تحول إلى «مشروع زعامة» فأنه سيكون مشروعاً فاشلاً، ثم بخيلاً يدفع بـــ «طلابه» إلى طرق منحرفة للحصول على المال، ويجعل من «الحوزة» فاقدة للحصانة الأمنية، وساحة معدة للاختراق المالي، الذي سيؤدي إلى الإطاحة بالدين كله، وما فعله الإمام الخميني أثناء إقامته في النجف، «وحوزتها».... لا يرتبط به فقط، حتى وأن امتاز به على غيره من «مراجع» إيران، الذين سبقوه، فقد قلنا للتو بان الإمام الخميني لم يكن تاجرا، ولم يكن صاحب ثروة مالية «مشبوهة».... وعليه فإذا كان هنالك من حديث عن مصادر هذا المال فهو حديث يرتبط بـــ «الحقوق الشرعية» لإيران كلها، ودور التاجر و«البازار» ــ المركز التجاري ــ في طهران فيها، وقطعا إن هذا المركز التجاري، الذي كان على علاقة تاريخية مع «حوزة قم» وصانع عبر أمواله من صناع السياسة الإيرانية وحراكها.

... لا يمكن الادعاء بأنه مركز «خيري كلي».. ولم تطاله يد المخترق الاستعماري.. فمثل هذا الكلام لا يصح ضمن هذا الفارق، ويد المخترق موجودة وتمول اتجاهات الأطراف كلها «الشيخية، الحجتية، البابية، البهائية»، وغيرها.

... إلا أن الصحيح أيضاً أن هذا البازار ــ المركز التجاري الضخم ــ لم يكن عبارة عن «قلعة للاستعمار»... لا بل إن جزءا مركزيا منه كان ممولاً نظيفاً مدفوعاً بدوافع وطنية ودينية لـــ «حوزة قم»... هذه «الحوزة»، التي عاشت ما يشبه «صراع الأموال» للتأثير باتجاه حركتها السياسية وإدارتها الداخلية، ودورها داخل الوطن من خلال مؤسساتها الثقافية والخيرية ورعاية أماكن العبادة، وتواجدها في شتى أرجاء الساحة الإيرانية، في القرية والمدينة معاً... في المدينة الصغيرة.. والمدينة الكبيرة وفي إيران كلها.. لاسيما وأن الشخصية الإيرانية بنشأتها التربوية هي شخصية

«منظمة مالياً».. وعين التاجر ــ دافع «الحقوق الشرعية» ــ تبقى مفتوحة على مآل هذا المال الذي يدفعه... وأثره العملي في ساحته، التي يعيش فيها.. وهو لم ينظر لمسألة «الحقوق الشرعية» بعين واحدة وبعد واحد.. وهو بعد «إبراء الذمة»، دون أن يتأكد ويرى بعينه الأخرى أنه فعلاً «أبرء ذمته» من خلال الموارد والمجالات، التي ينفق فيها هذا المال.. إنه تاجر لم يعط المال لــ «المرجع» وعيونه معصوبة.. ثم إذا كان هنالك من يعطي بعيون معصوبة، فهنالك دائماً من يفتح عيونه على مصير أمواله، ويفتح أذنيه جيداً لأقوال فاضحة كمقولة «ذبها برأس عالم واطلع منها سالم» كما تطرقنا لذلك في كتابنا «صناعة العقول» في مسألة «التقليد».

نقول نعم إذا كانت أموال الاستعمار موجودة في «حوزة قم» فإن أموال التجار هي الأخرى موجودة فيها بطريقة واعية ذات منشأ تربوي، حتى لو سماه بعضهم «منشأ البخل» التربوي، الذي يتجلى كصفة لمجتمع في نظر هذا البعض.. لكن إذا كان هذا البخل يتجسد عطاءً تجارياً واعياً، فهو «عطاءٌ منظمٌ» وليس بخلا.

ونعم ثانية: إذا كان بعض التجار عملاء فإن بعضهم الآخر أمناء.. وتاريخ المركز التجاري الإيراني ــ «البازار» ــ شاهد على ذلك في تمويل نموذجي «المرجعية الدينية» التقليدية والتجديدية.. إذ ليس كل «المرجعية» التقليدية «المتهمة» في إيران، تعمل لصالح الأجنبي فقط، بقدر ما تعمل مناصفة، أي لصالح «الوطن والأجنبي معاً».

هذا فضلاً عن أن «البازار» كان ممولاً لــ «المرجعية» الثورية ومثلها الأعلى ــ الإمام الخميني ــ الذي لم يتحرك بأموال التاجر العميل، بل أموال التاجر الأمين.. إزاء هذا الواقع المالي لــ «حوزة قم» ماذا بإمكاننا أن نقول إزاء «حوزة النجف» وتمويلها؟.. فإذا ما أردنا أن نتجاوز شق الاختراق المالي الاستعماري، ونظرنا إلى شق التمويل التجاري، فلا يوجد في العراق «بازار عراقي»... ولا يوجد في الساحة العراقية طوال حياتها كتلة تجارية ذات علاقة بــ «الحوزة النجفية».. نعم يوجد هنالك تجار فرادى متدينين، وتجار فرادى مرتبطين، فأما المتدينون... فهم على قلتهم لم ينطلقوا أساساً من أية رؤية سياسية، أو إحساس سياسي لما يدور في بلدهم.. إنهم والسياسة على قطيعة، وبالتالي هم والوطن على قطيعة بعبارة أخرى، ونعني بالوطن،

ثقافة الوطن ومصيره. وبالتالي فإن علاقتهم بـ «حوزة النجف» هي علاقة أحادية البعد، علاقة ما أسميناه العين الواحدة، وعلاقة «إبراء الذمة» وعلاقة «ذبها برأس عالم واطلع منها سالم»، أما العين الثانية، فهي عين عمياء، لم تفتحها «أصوات» مثل أصوات الشهيد مطهري والشهيد علي شريعتي وآخرين كثر... من يفتح العين الثانية لهؤلاء لكي يلاحقوا مصير «حقوقهم الشرعية» التي يدفعونها لمراجع «حوزة النجف»؟... من يصرخ بآذانهم ويضرب رؤوسهم ويفتح عيونهم، ويقول لهم بأن عليكم أن تراقبوا مصير هذهِ «الحقوق الشرعية»، هل ذهبت إلى ـ المؤسسات الثقافية والعبادية ـ أم تحولت إلى أرصدة في البنوك الدولية؟ هل ذهبت إلى «طلبة الحوزة» والفقراء والشهداء والأمهات أم إلى شراء القصور الفخمة والسيارات؟ هل هنالك في العراق الشهيد مرتضى مطهري والشهيد علي شريعتي وعشرات أمثالهم من يصرخ في هذا العراق بوجه التجار «الفرادى» الذين لا علاقة لهم بالوطن والسياسة أصلاً بأن تابعوا مصير «حقوقكم الشرعية» وإلا لا «براءة ذمة»!!!!

إذن شتان ما بين «الحوزتين» «حوزة» قم و«حوزة» النجف، ففيما الأولى هي «حوزة التجار الشجعان»، فإن الثانية هي «حوزة التجار العميان».. وفيما الأولى هي «حوزة الأوطان» فإن الثانية هي «حوزة صك الغفران»... وفيما الأولى بعضها «حوزة العمالة المالية الاستثمارية المشروطة بنشاط الميدان» فإن الثانية في ثقلها «المرجعي حوزة العمالة الاستثمارية الإطلاقية لكل البلدان والأوطان» إلا العراق، الذي تقيم فيه.

نقول نظراً لخطورة المسألة المالية «الحوزوية» بشكل عام وتداخلها مع البنى المعرفية الإسلامية البشرية الموروثة، لابد لنا أن نقف على نموذج من نماذج التعاطي النقدي معها، ولاسيما من الكتّاب «العلمانيين»، إذ أن الباحث «العلماني» عندما يكتب عن «الأمور الدينية» بما فيها «الحوزة العلمية» يقع في أكثر الأحيان في أزمة تشخيص، حتى وهو يكتب كتابة نقدية «تجديدية»، فواحدة من أزمات القراءة لديه تتمثل بقراءته للدين، انطلاقا من فهم الغرب وتدخله فيه وفي بلدانه، وإذا كان هذا يعبر عن شيء في بعض الأحيان، فإنما هو يعبر عن «تبعية المنهج» المخبوء، التي تبقى

ماسكة بعقله وقلمه، حتى في لحظة إعلان «تمرده» على أفكاره ذات المنشأ الغربي، ففي الآونة الأخيرة، بدأ بعض «العلمانيين» يكتبون عن «المسألة الدينية» في العراق بحكم «نفوذ الحالة الإسلامية فيه»، وكمثال في ما يرتبط بالمسألة المالية، جاء في كتاب الباحث «فاضل الربيعي» ما أثرناه حولها في كتابنا «عراق بلا قيادة»، مختاراً نصاً من رسالة للسيد احمد الحسني البغدادي وجهها إلينا، آخذاً من هذا النص مادة لاسقاط العمل الاستشراقي عليها، وموحياً للقارئ بأن «المرسِل والمرسَل إليه» هم في حالة من «الحيرة المعرفية»!! و«الحزن المعرفي»!!، و«الجهل» بجذور أزمة المال في «الحوزة»!!! وبالتالي فهم لم يطلعوا على «المعرفة الاستشراقية»!!! ولو اطلعوا عليها لما «احتاروا أو حزنوا»!!! فوضع نفسه في موقع «حلال» المشاكل، والألغاز الكاشفة لما «احتار» به «الآخرون» من خلال تدخل شركة أودة الانكليزية!!!

ولا أعرف ما الدافع الذي دفع الباحث إلى اختيار نص رسالة البغدادي ــ رغم وضوحها وعدم صلاحيتها كمادة يؤسس عليها موقعية الكاشف للغز ــ ولم يأت بنص السيد حسن الكشميري ــ الذي هو على علاقة بالمسألة المالية وعلاقتها بالنظام المعرفي الإسلامي البشري الموروث، بما فيه مبنى «التقليد» الفقهي، فالباحث أشار إلى هذه الرسالة ــ رسالة الكشميري ــ التي تكشف عن أزمة «الحوزة» في مصادر المال، لكنه لم يعتمدها كمصدر، ولو اعتمدها كمصدر لـــ «اكتشف» أن عمر هذه الأزمة يرجع إلى ما قبل العمل الاستشراقي بمراحله كلها.. فضلاً عن أننا عالجنا دور شركة «أودة» الانكليزية في كتبنا الأخرى، لاسيما كتاب «العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية» وكتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، فقد اقتطع الباحث نصاً من رسالة البغدادي الموجهة إلينا، والمنشورة في كتابنا «عراق بلا قيادة»، والنص المقتطع كالتالي: «يعد كتابك صرخة مدوية على دكتاتورية المؤسسة الدينية، التي تنتسب إلى الشريعة الإسلامية ظلماً وعدواناً وتدرس فقه الشريعة، وقلبها عنه بعيد، ولا تأخذه عقيدة رسالية حركية ولا تتقي الله ولا ترهبه، وإنما تدرسه لتتأول وتحتال باسم تضخيم العناويين الثانوية، والحيل الشرعية وتوجهه كيف تشاء في تلبية الرغبات والاطماع حيثما انكشفت لها، أن هناك مصلحة ذاتية تنجز، وأن هناك شيئاً

من أشياء هذه الدنيا يكسب. ومن هنا ــ يا أخي ــ نريد أن تكشف لنا الشيء الكثير عن هؤلاء الرموز الحوزوية المتسترين والمحترفين باسم الدين، الذين تحولت حياتهم المعيشية الضيقة إلى قصور شامخة وحياة مترفة في دول الخليج وأوروبا وأميركا الاستكبارية، وتحاسبهم من أين لكم هذا من خلال كتاباتك الموثقة، آية الله العظمى الشيخ احمد الحسني البغدادي»[1].

وقد علق الباحث على هذا النص قائلاً: «في جوابه على رسالة المرجع الديني آية الله البغدادي، والذي ضمنه كتابه الجريء (عراق بلا قيادة)، كتب المفكر (الشيعي) عادل رؤوف ما يلي: (أما دلالات هذا المشهد المرتبط بالمال الشيعي وضوابط صرفه، فلا داعي للاستغراق فيها فهو مال لا يضبطه ضابط لا في احتكاره، ولا في مصادره، ولا في طريقة توزيعه، ولا في علاقة أولاد المرجع فيه)، ثم يضيف بعد اسطر عدة وبشيء من السخط واليأس: (وحتى لا أطيل، فإن هذا المال لا ضابط ولا قانون ولا أساس شرعي متين له. ولكن ما العمل ووعي الأمة توارث نمطاً معيناً في تسليم حقوقه الشرعية، واختلط هذا الموروث مع أصابع خارجية، لكي يتحول بالنهاية إلى وبال على الدين بدل أن يكون في خدمته. ولعل خير من يعبر عن مصيبة هذا المال، وأبعاد التدخل الخارجي في محوره، ومتانة الأساس الشرعي له، هو الرسالة المؤلمة للخطيب الفاضل العلامة السيد حسن الكشميري)»[2].

لاحظ النص الذي اقتطعه الكاتب في سياق بحثه المتقدم «ومتانة الأساس الشرعي له، هو الرسالة المؤلمة للخطيب الفاضل العلامة السيد حسن الكشميري»، فيما هو يسوق قبله نصاً من رسالة البغدادي، التي قلنا في ما سبق، إن موضوعها، موضوعاً عاماً.. تأتي المسألة المالية فيه، كمسألة هامشية، فيما النص، الذي جاء به كان مرشداً ودليلا للباحث ــ أي باحث ــ لو أراد أن يخوض في هذه المسألة فعليه مراجعة

---

(١) فاضل الربيعي، (ما بعد الاستشراق، الغزو الأمريكي للعراق، وعودة الكولونياليات البيضاء)، ص١٠٣، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط ــ فبراير ــ ٢٠٠٧م.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٤.

رسالة الكشميري.. ليس لأن المسألة المالية تمثل الثقل المركزي فيها فقط... بل لأنها تربط هذا الثقل بجذوره «المعرفية» الذاتية الموروثة المحملة على الدين أصلاً عبر مبنى «التقليد» والإسهاب فيه، وذلك مما دعانا أصلاً عندما اقتضت الحاجة إلى معالجة البعد المالي في «الحوزة» في كتابنا «صناعة العقول» أن نعود إلى رسالة الكشميري مرة ثانية، وسنعود اليها مضطرين مرة ثالثة بعد صفحات.

وبالإضافة إلى ذلك فإن نص الكشميري، الذي سنأتي به، يطل بوضوح وجرأة ومصاديق معاشه، وبخطاب رقمي، على علاقة «المال المرجعي» بـــ «السفارات» الأجنبية... ويبقى السؤال إذا كان الباحث بصدد التأسيس المتماسك الأدوات.. وليس التأسيس الإنتقائي الأدوات، لماذا تجاهل رسالة الكشميري، وجاء بنصوص من رسالة البغدادي؟.. والجواب مع ذلك ــ كما نعتقد ــ هو مزيج من التبعية المنهجية للغرب المخبوءة لدى «العلماني»، حتى عندما يطلّق «انتماءه الأيدلوجي» ويمارس الخطاب النقدي... وما يقتضيه «عنوان البحث» الذي يعمل عليه الباحث، فقد كتب الربيعي تحت «العنوان الاستشراقي»... ولاحظ أن نص البغدادي هو النص «المنسجم» مع العنوان، الأمر الذي أوقعه في تأسيس انتقائي الأدوات.

وبالإضافة إلى «التبعية المنهجية» والحاجة العنوانية يبرز الهروب من نص الكشميري عبر ثقافة الباحث «العلمانية» الذاتية، إذ إن هذه الثقافة تفقد الباحث ثقافة الإسلام التاريخي البشري الموروث بنظمه المعقدة، ومتطلبات استيعابه العسيرة، لاسيما مع خطابها الطلاسمي، الذي ليس من السهل على «المثقف الإسلامي» أن يحل «ألغازها» فضلا عن «المثقف العلماني»... ومثل هذا العجز المعرفي لتشوهات الإسلام المصاغة نظماً مطلسمة الخطاب تدفع الباحث إلى الهروب بالاتجاه الأسهل، والأسهل لا يؤسس معرفة مؤسسة علمياً، بقدر ما يستعير لبوس التأسيس العلمي، ومع هذا لو أن الباحث عاد لرسالة الكشميري لما سمح لنفسه أن يقول «هذا الحوار الحزين الذي يدور بين رجلين حائرين، أحدهما يتمتع بمنزلة دينية كبيرة فهو مجتهد معروف من كبار آيات الله في النجف، والآخر مفكر إسلامي شاب هجر العمل السياسي، وتفرغ كلية للفكر، يتخطى حدود الفساد المالي بكل تأكيد ويتجاوز مسألة التصرف فيه،

أو توارثه. انه يثير، ومن حيث لا يدرك الرجلان، ربما مسألة عتيقة وثيقة الارتباط بالاستشراق الكلاسيكي، ودور المؤسسة الدينية (الشيعية) في تكريس نظرة الاستشراق إليها. هذه المؤسسة كما برهنت الوقائع التالية، لم تكن قط، بمنأى عن تدخل البريطانيين منذ القرن الثامن عشر، يوم كان البريطانيون يتسللون إلى العراق العثماني، ويتغلغلون في إيران القاجارية»[1].

لو كان الباحث جاء بنص الكشميري، لما أمكنه أيضاً أن يقول في نصه هذا «ومن حيث لا يدرك الرجلان، ربما أنها مسألة عتيقة وثيقة الارتباط بالاستشراق الكلاسيكي»، إلا أن كل ما جاء به الباحث هو ــ كما أشرنا ــ أموال شركة «أودة» الانكليزية، التي قلنا إنها قصة مررنا عليها في كتبنا السابقة يعوزها «العنوان الاستشراقي» أو «المفردة الاستشراقية»، ومن الصدف أن ناقشناها في كتاب لنا سابق لصدور كتابه وهو «صناعة العقول» قبل أن يطلقها كتاب الأستاذ فاضل الربيعي.. وعلى أساس من هذا «اللبوس التأسيسي» سيكون من السهل على الباحث أن يؤسس لتراجيديا «الحيرة والبؤس والحزن والجهل وعدم الاطلاع على المعرفة الاستشراقية»، حيث يقول: «لم تكن النجف بمدارسها الدينية ومؤسستها الشيعية الكبرى (الحوزة العلمية) في أي وقت، بمنجى من هذا النوع من الشكاوى المريرة، التي تخص المال المتلاعب فيه، ولكن نادراً ما صادف المرء رجالاً اتصفوا بالنزاهة والشجاعة والجرأة، أو سعوا إلى الربط وحتى مجرد التساؤل، عن العلاقة بين (الأصابع الخارجية) من جهة و(الفساد المالي) من جهة أخرى، وهي رابطة وثيقة وحقيقية. وبالتالي العمل على دراسة العلاقة بين هذه الظاهرات بمجموعها، مع السياسات، التي اتبعها قادة الحوزة ورجالاتها في مختلف الحقب والفترات. إن إثارة موضوع المال، من منظور الاستشراق الكلاسيكي (وما بعد الاستشراق استطراداً) وفي هذا الوقت بالذات، وهو منظور جديد بكل تأكيد، لم يجرب الباحثون الموضوعيون، بعد، الخوض فيه، دلالة واحدة مباشرة وغير قابلة للحجب والتعمية، هي أن الظاهرات الجديدة في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

سلوك الحوزة ومواقفها، ليست سوى استطراد في مشكلة قديمة تلازمت مع بزوغ الاستشراق، الذي كان يمسح، تقريبا، وقبل قرنين من هذه الرسائل الحزينة، كل ركن من العراق»[١]. وكانت «النجف بالطبع، أهم ركن بعد النفط اتجهت إليه أبصار المستشرقين البريطانيين. بينما انشغل الفرنسيون والروس عنها وتجاهلها العثمانيون، ثمة عنصر ضاغط آخر في وظائف الاستشراق الكلاسيكي ونظراته غير المتبصرة للنجف، مهد على امتداد وقت طويل، بشكل جلي، السبيل أمام أخلية المدينة المقدسة والدفع بها إلى واجهة دور ما كان لها أن تتمناه، لولا أنها كانت في وقت ما مرغمة على أن تبدي، ومن خلال حفنة من رجالاتها الأقوياء، بعضاً من الميول والاستعدادات للبقاء مؤقتاً خارج أسوار (الروحانيات) الشفافة، والتي تفصل عادة بينها وبين جماهيرها المتدينين، قبل أن ترغمها الظروف ثانية وتسارع الأحداث كذلك، على الدخول في حقل السياسة من بوابة المال. ما قصده آية الله البغدادي في النص الآنف المأخوذ من رسالة متأخرة عن الأحداث التي ندرسها بنحو ٢٠٠ عام تقريباً، وهي العمر الفعلي لنشوء وتطور الحوزة وظهورها كمؤسسة فاعلة وذات نفوذ هائل في المجتمع العراقي، وما قصده (تويدي) كذلك، بفطنة المستشرق الانكليزي ومن خلال سطور مفعمة باليأس والاستسلام، هو ان المال ولا شيء آخر، كان لب المشكلة الأكثر حساسية والذي غالباً ما يفضل التغاضي عنه بشكل مقصود، أو تحاشيه بكل الطرق عند محاولة تفسير بعض الأحداث والمواقف السياسية الغامضة»[٢]. ومضافا إلى تراجيديا الحزن، التي تحمل في ظلالها تمايزاً «اكتشافياً» مفتعلاً على حساب «الضحايا الحائرين».. تبرز لدينا عبر النصوص المارة ما يؤكد الهروب من النظام المعرفي البشري الإسلامي الموروث ببناه وطلاسمية خطابه، عندما تقرر تلك النصوص الرجوع إلى ٢٠٠ عام كتاريخ لـــ «العمر الفعلي لنشوء وتطور الحوزة وظهورها كمؤسسة فاعلة في المجتمع العراقي».... وإزاء هذا «التقرير» يتلاشى

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه.

«التسامح» إزاء «علمانية» الباحث بشكل قطعي.. فالباحث هنا يقتل «تسامح» الآخر، قبل أن يقتله هذا الآخر، وهو يناقش هكذا نصوص... إذ عندما يفرحه هذا «التقرير الأمي» حول تاريخ الحوزة الفاعل والمؤثر والخطير قبل الـ ٢٠٠ عام، ماذا بإمكان الآخر أن يناقش سوى أن يواجه «تقرير الباحث» بـ «تقرير أمية هذا الباحث» في الموضوع، الذي يبحث فيه؟ إذ هو لم يترك أية «وسطية» للحوار والنقاش عندما تذهب عباراته إلى «قطعيات تقريرية» بالصورة، التي تقدمت، فلو كان الباحث قد اطلع على تاريخ هذه «الحوزة» الفعال في العراق وعلى مناهجها ونظمها المعرفية، لاكتشف ببساطة أن المسألة المالية لـ «المرجع» لم تكن وليدة «العنوان الاستشراقي» ولا وليدة ما قبل لـ ٢٠٠ عام.. إنها وليدة لنظام «معرفي ـ فكري» موروث، غائر في بطن التاريخ راجعاً إلى الشيخ الطوسي ومن جاء بعده وإلى المحقق الحلي ومن جاء بعده وإلى العهد الصفوي، ومن جاء بعده من رموز وصولاً إلى العهد القاجاري... إن تاريخ الحوزة يمتد مع تاريخ ما بعد الإسلام بعقود، ومع بروز «رجل الدين»، و«المؤسسة الدينية»، و«طائفيتها ومذهبيتها» وتجليسها على نظم قسرية «فكرية ـ مالية»، وعلى علاقة «فقهية ـ سلطانية مالية» ويرجع إلى مئات الأعوام الأخرى المضافة إلى الـ ٢٠٠ عام، التي افترضها «تقرير» الباحث كعمر فعال لـ «الحوزة» في العراق. كما تكرر نصوصه الأخرى ذلك فهو يقول: «يمكن أن نحدد منتصف القرن الثامن ونهاية التاسع عشر، كبداية حقيقية لتاريخ المشكلة التي يثيرها البغدادي كما يثيرها رد عادل رؤوف، وذلك حين دخل المال، ولنقل حين تدفق على مؤسسة دينية متقشفة وزاهدة وحتى فقيرة، بوصفه العنصر الضاغط و(الخارجي) الأكثر أهمية، والذي كان يبلور ويدير على أكمل وجه، الصراعات على المركز (البابوي الشيعي) ويتحكم في كل شأن مهما كان صغيراً بل وقد يقرر الموقف بشأن اكبر وأكثر الأمور خطورة كمسألة الحرب. لقد لعب المال المتدفق عبر بومباي إلى النجف وبإشراف بريطاني ومن وراء ظهر العثمانيين، دوراً في تسليح بعض أبناء الشيعة والدفع بهم ربما عبر التضليل والخداع، إلى إعلان انحيازهم للشاه القاجاري الذي كان ويا للعجب خصم المجتهدين اللدود وعدوهم، وذلك بقصد تصعيد المواجهة

المكشوفة ضد السلطان العثماني. كان السلطان العثماني الذي لم يدرك بقدر حصيف من حسن تقدير الأوضاع، وبالضد من ذلك، يخطب ود المرجعيات الشيعية نظراً إلى معرفته بحقيقة المخاطر التي كانت تترصد المنطقة بأسرها ــ كما فعل السلطان عبد الحميد في مبادراته التصالحية مع الشيعة وسماحه بالمطبوعات وتأسيس الجمعيات السياسية والثقافية ــ. ولكن ومن دون ان ينتبه احد أو حتى يجرؤ بفضل الحساسية المفرطة، على رؤية موضوع المال المتدفق من بومباي أو حتى التحدث عنه كموضوع دراسي يخص التاريخ، فانه ــ أي المال ــ ظل مصدراً اساسياً من مصادر (التدخل الخارجي) ونتاجاً له في الآن ذاته»[1].

بالطبع لقد تحدث الكثيرون وعبر عشرات المصادر عن ذلك، وسنواصل صبرنا على نصوص الكاتب قبل ردنا الأخير عليه، فهو يقول في نص آخر:

«إن هؤلاء الزاهدين الذين كان الفقراء من الشيعة يقصدونهم في كل آن إما للحصول منهم على فتاوى مكتوبة أو أجوبة شفهية مباشرة حتى عن أدق الأسئلة الخاصة والشخصية، وعن السلوك الأفضل للأفراد المؤمنين وشؤون حياتهم الخاصة لئلا يخطئوا، نتيجة الجهل بأمور الدين والشريعة، أو يقوموا بأعمال منكرة فيكونون بذلك كمن ارتكب معصية تغضب الله وتجلب السخط بدل السعادة، لم يكونوا حتماً على هذه الصورة الرومانسية للمتعبد الزاهد، كما رسمتها أقلام بعض المستشرقين من الضباط البريطانيين، الذين كانوا يتوافدون على السلطنة العثمانية قاصدين زيارة النجف وكربلاء والكاظمية في بغداد للقاء بهم والتحدث اليهم، فبعضهم كان غارقا في الفساد المالي بصورة مشينة مثلما رأت ذلك تقارير الضباط الانكليز المكلفين متابعة توزيع الأموال. بينما لم يتورع آخرون من رجال الدين عن تحويل كل الأمور، بما فيهما الدين نفسه، إلى مسألة مكسب مادي، كما ارتأى آية الله البغدادي، أكثر النقاد الراديكاليين، على الاطلاق، لسلوك رجال الحوزة اليوم، والذي يمثل بحق، اهم ظاهرة ثورية في الحالة الشيعية العراقية وتماما، كما لاحظ تويدي نفسه قبل أكثر من مئة عام

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

من شكوى رؤوف، فالمال يوزع من دون اي رقابة حقيقية.

والان (الفساد) في المؤسسة الدينية وثيق الصلة بنوع من (الدكتاتورية) خفية، يزعم ان ممارسيها وقادتها هم من المجتهدين النافذين داخل المؤسسة نفسها، كما يذهب إلى ذلك النص المقتطف من رسالة البغدادي، وبنوع من التدخل الخارجي، أي الأصابع (الخارجية) كما يذهب إلى ذلك نص المفكر الإسلامي رؤوف، فقد تلازمت في هذه الحالة ثلاثة عناصر على نحو عضوي، وأصبحت بدلاً من مشكلة فساد مالي وحسب، مصدر مشكلة قديمة ومتوارثة ومستمرة باستمرار المؤسسة، أضلاعها الاستبداد الديني الداخلي، والتدخل الخارجي، والمال»[١].

لا يمكن بعد تلك النصوص إلا أن يكتشف القارئ وليس الباحث أزمة «العلماني» ــ أي «علماني»»، عندما يخوض في «دهاليز» الدين البشري الموروث ــ، هذا إذا كانت منطلقات «التأسيس العلماني» بريئة.. وإزاء كل ذلك سندرج مضطرين ــ كما قلنا ــ جزء من نص الكشميري المنشور في كتابنا «عراق بلا قيادة» ليلاحظ القارئ سهولة الاختيار بين نص البغدادي والكشميري لتأسيس «علمي» حول المسألة «المالية المرجعية»، وليلاحظ أيضاً اختيار الباحث «الخطأ» هنا الذي وضعه في موقع «تقريراته الخاطئة» التي ضمنها تراجيديا «الحزن» ومن ثم «الجهل» بالاستشراق لــ «المرسِل والمرسَل إليه» كـــ «شرط» لتأسيس «إبداعه ومنجزه العلمي الانتقائي» ونص الكشميري هو كالتالي: «ثق واعتقد بأني ومنذ بواكير صباي بدأت اكتشف هذه اللعب والحيل، وكيف يتم إغراء العامة بالجهل، وكنت أبصر الوجه الآخر للأمور تماما باعتباري ابن النجف الأشرف ووليد هذه المؤسسة وترعرعت في جحورها وكهوفها ولاحظت كيف أثرى من أثرى على حساب هذه التشريعات، التي ما أنزل الله بها من سلطان لكنها اكتسبت قالب التعبد والتقديس لتكون أخطر مؤامرة لامتصاص أموال الناس واستعبادها وجني خلاصة أتعابها، وشاهدت وأنا في أواسط العقد الثاني من العمر كيف كان بعض زملائي في الدراسة يكابدون الجوع والفقر وقسوته ثم

---

(١) المصدر نفسه.

ساقهم الحظ إلى مصاهرة المرجع أو صهره أو ولده وإذا بالواحد منهم يقفز من فقير متقع، إلى شاب مغامر يغلق باب بيته وأكداس الملايين تحت تصرفه وشاهدت الآغا الفلاني... كيف كان حائراً في تدبير مبلغ (٦٠٠) فلس لسداد فاتورة كهرباء منزله ثم طبخت له الشبكة الفلانية المرجعية بالتنسيق مع السفارة.. ومع تلك الجهة الدولية وتلك الجماعة وصار مرجعاً لهذه الطائفة ثم مات عن مليارات من الدولارات ورثّها للمراهقين من أبنائه وأسباطه وأحفاده ليصبحوا أباطرة المال وتقدم لهم إدارة البنوك في سويسرا ولندن وأميركا اليوبيلات الذهبية باعتبارهم أكبر أصحاب ودائع ثابتة في بنوكهم وهي ليست إلا من الحقوق الشرعية والأخماس.. هذا بالإضافة إلى أكثر من ٨٠ ثروة باطلة حظي بها أحفاده ولصقاؤه ومرتزقة حواشيه، وكل هذا الابتزاز والنصب يتم باسم القداسة وباسم العقيدة والدين وذر الرماد في العيون»[1]. ويضيف:

«منذ شبابي وأنا أسمع من فم السيد الحكيم (قده) إلى أنني مباشرة وهو يتحدث بصوت هادئ: (نحن لا علاقة لنا بالحقوق الشرعية وإنما نحن أفراد مؤتمنين عليها، يا ابني فأي مورد يحرز فيه رضا الإمام المهدي (عج) تصرف هذه الأموال) وسمعت من السيد محمد الروحاني (رحمه الله) وهو يتحدث في مجلس خاص وليس للنشر قال: (نحن لا يوجد لدينا دليل واحد حاكم على علاقة المرجع بالحقوق الشرعية والأخماس فالتقليد شيء ودفع الحقوق شيء آخر). انتهى كلام هذين السيدين، هذا وإني أدعوك يا أخي عادل كما أهيب بغيرك من ذوي العقل الوقاد بمراجعة أمهات المصادر الفقهية لمتابعة واكتشاف هذه الحقيقة، التي غُيبت على الناس وعُتم أمرها على هذه الطائفة المقهورة المغلوبة على أمرها، يمكنك على عجل مراجعة كتاب (حدائق الأنس) للمرحوم آية الله السيد إبراهيم الزنجاني صفحة ٩٦، وكذلك مراجعة الآراء الفقهية للمرجع الأصولي الراحل الميرزا باقر الزنجاني ومراجعة ما كتبه المجلسي في البحار حول صرف الخمس وكذلك جواب المرحوم البحراني في الحدائق في باب الخمس في

---

(١) عادل رؤوف (عراق بلا قيادة)، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤، مصدر سابق.

جواب المرحوم المجلسي (قده) وكذا الجواهر وغيرها من أمهات الصناعة الفقهية»[1].
ويواصل القول: «لكن العجب العجاب حين ترى وتلاحظ المؤامرة الفنية والمعقدة في فبركة الأمر وبلورة الحكم الشرعي على صعيد الرسائل العملية في التاريخ الشيعي ـ راجع أول رسالة عملية وهي رسالة جامع عباسي، ومروراً بأكثر من ٦٥ رسالة عملية إلى زمننا الحاضر تلاحظ بوضوح عملية استدراج الناس وعمق المؤامرة وخطورة الشباك، يكمن بدقة قراءة المتون في هذه الرسائل حول مسألة صرف الخمس والتدرج الهادئ في قنصه حتى ذهب بعض الفقهاء الكبار خصوصاً المتأخرين من مراجع النجف الأشرف إلى التشدد في تسليم الحقوق للمقلِّدين بل وحتى بالنسبة إلى سهم السادة (الأحوط وجوباً أخذ الإذن من المقلد) تعالى ديننا ومذهبنا عن هذه البدع والمداخلات علواً كبيراً ولولا هذه الخدع لما ابتزت المليارات من أموال هذه الطائفة لتبسط بها الموائد الفخمة والقلائد والملابس الثمينة ويعيش المدللون من ذوي المراجع وغلمانهم وصبيانهم أسعد أنواع الحياة والرغد ينتقلون بين مساكنهم في إيران ولبنان وسوريا وأوروبا وأمريكا والعزاء كل العزاء لهذه الطائفة المغشوشة»[2]. إن رسالة الكشميري هذه كتبت في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، الذي أنتجته «الحوزة الثورية» بزعامة الإمام الخميني، لكن لا اشك ـ وهذا أمر واضح لمن يقرأ نص كلامه بدقة ـ بأن الألم الذي تنبض فيه كلماته كان يلامس واقع «الحوزة» النجفية أكثر مما يلامس واقع «الحوزة» القمية، وما شهدته من جدل حاد بين خطيها التقليدي والتجديدي، لم تشهد مثله «الحوزة» النجفية التي هيمن عليها الخط التقليدي بالتمام والكمال. هذا أولاً، وثانياً، فإن رسالة الكشميري بنصوصها المارة، كانت كافية على «قصدية» الكاتب الذي أراد أن يؤسس «إبداعه» المعرفي على «حيرة المتحاورين» ـ البغدادي ورؤوف ـ، ولا أرى أن الكاتب كان مضطراً لممارسة هذه «القصدية»، إذ كان بإمكانه أن يؤسس للمسألة المالية دون هذه الانتقائية، ودون أن يهون بشكل مخبوء

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٦.

من جهود الآخرين، وكان على الكاتب أن يطلع على ملابسات الملف «المالي المرجعي» بالرجوع إلى كتاب «آية الله نجفي قوجاني ـ سياحة في الشرق»، حتى لا نثقل عليه بالعودة إلى كتب التراجم «الشيعية» ليحيط بالتاريخ الإشكالي لهذا الملف بدلا من أن يقصره على العنوان الاستشراقي.

ولا بد من الإشارة هنا الى ان رسالة الكشميري والمصادر التاريخية حول «المال الشيعي» لم تخض في المباني المعرفية والفكرية لهذا المال على ضوء القرآن الكريم، إذ لا وجود لشيء اسمه «المال الشيعي» وغير «شيعي»، وان «آية الخمس» هي احدى التشريعات القرآنية وهي تشكل مبنى من مجموعة مباني قرآنية تؤسس للمسألة المالية في الاسلام، وهو مبنى وظيفته «طوارئية حربية» ـ وهذا ما له مبحثه المستقل في كتاب آخر ـ.

"الحوزة" التجديدية
"الحوزة" التقليدية

تطرقنا في كتابنا «عراق بلا قيادة» إلى محور مقارن وحيد بين «حوزة قم وحوزة النجف»، وهو محور يرتبط بالجانب المعرفي والفكري، ويقع تحت عنوان «التقليد والتجديد»... إلا أننا لا نستطيع ونحن نخوض هذهِ المقارنة الموجزة بين «الحوزتين» أن نسقطه من ملامح الصورة العامة عنها لان هذا المحور يمثل المرتكز أو القاعدة الفكرية، التي لا يمكن مناقشة المحاور الأخرى إلا على ضوئها، وأننا سنطل عليه.. بما لا يوقعنا بتكرار ما تطرقنا له في كتاب «عراق بلا قيادة»[١]...

---

(١) إن ما يمكن قوله في هذا الإطار إن «حوزة» النجف أصيبت بالعقم المعرفي التجديدي الكامل بعد مرحلة الشهيدين الصدرين الأول والثاني، لا، بل أصبحت في موقع العداوة الكاملة والقاسية لأي جديد فكري طارئ... ووصل حالها إلى أكثر من ذلك، حينما ارتدت موقفيا إزاء ←

والواضح أن هذا الكتاب صدر قبل احتلال العراق أميركياً بسنة... وقد استوعب في المحور المقارن، الذي نحن بصدده «صخب» الانشقاق «الحوزوي المرجعي» حول ظاهرة الشهيد محمد محمد صادق الصدر... ولا شك أن البعد «المعرفي» لهذه الظاهرة، عبر عن ذاته بشكل انفجاري غير مسبوق في الساحة العراقية، وإذا كان لهذا الانفجار من دلالات جوهرية، فإن أولى هذهِ الدلالات، ترتبط بالبعد «المعرفي» المتخلف لـــ «حوزة النجف»... وهو البعد ذاته الذي فجره من قبل الشهيد محمد باقر الصدر في وقت مبكر عبر خطاب المحنة «البكائي» الذي دلل فعلاً على هذهِ المحنة بكل ما للكلمة من معنى... ولو أن أحداً لم يقرأ سوى ما جاء في هذا الخطاب من توصيف لواقع «حوزة النجف» الفكري والمعرفي، لكفاه معرفياً عن قراءة كثير من الكتب والمجلدات.. وجاء الشهيد الصدر الثاني ليفجر أبعاد هذه المحنة كلها، ويفتح آفاقها على المكشوف بخطوة جريئة غير مسبوقة.. وكان من المفروض أن ينجم عن هذا الجدل الصدري الثاني حراك معرفي داخل «الحوزة النجفية»... إذ يمكن القول إن «الرموز العليا لهذه الحوزة» التي حاربت الظاهرة الصدرية الثانية في حينها... كان من المفروض لها أيضاً أن «تعيد النظر» في ما بعد استشهاد الصدر الثاني، لو كانت

هذا الجديد، لكي تعلن مواقف لاحقة لمعرفة سابقة تندرج في الإطار التجديدي لتتوج بها موقفها السياسي المنخرط مع الاحتلال الأميركي بشكل علني مخزي، فعلى سبيل المثال أن بعض رموز «المرجعية الرباعية» عاد ليحرّم على الناس قراءة ما كتب عن فكر الشهيد الصدر الثاني، وكأن عودته هذه تعبر عن انتقام مخبوء، ما كان له من فرصة للتفريغ إثناء حياته، وحانت فرصة هذا الانتقام منه ومن خطه، حيث وفرتها ـ الفرصة ـ الحماية الأميركية لهم، وكمصداق لهذا الواقع قام أكثر من شخص في أحدى محاضراتي، في مدينة الصدر ببغداد، عارضا «فتاوى» مكتوبة صادرة من بشير الباكستاني، تحرّم قراءة بعض الكتب، ومنها كتابي «محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغيري ووقائع الاغتيال».. طالبين مني الرد، فأجبتهم قائلا: «إنني لا اسمع ما تقولون... من هو الذي اصدر الفتوى؟»، وكان الجمهور يردد: الباكستاني، ومع هذا الترديد بصوت عالي لأكثر من مرة، كنت أجيب: «إنني لا اسمع..»، فضجت القاعة بصوت الجمهور العالي: «انه الباكستاني».. فاستلموا الجواب وفهموه... ومعناه: «هذه هي حال العراق بلد الزعامات الباكستانية والإيرانية والأفغانية والتركية، التي تلاحق الزعامات العربية، ومن يكتب عن دورها الفكري المعرفي، حتى بعد رحيلها بسنوات».

تحسب مصالحها، وليس مصلحة الأمة... فإذا كان عطاؤها «المعرفي» التقليدي المكرور الاجتراري يرتبط أثناء ظاهرة الصدر الثاني كلياً أو جزئياً بالظرف السياسي «القاسي»، وبوجود نظام دكتاتوري لا يسمح لها ـــ على سبيل الافتراض ـــ أن تخوض في الفكر التجديدي... فإن زمن ما بعد استشهاد الصدر الثاني، وما بعد احتلال العراق اميركياً كان «يتحمل» أي منجز فكري ـــ معرفي، ونعيد القول: إن كل هذا الكلام اقرب إلى الافتراض، لان حساسية الحاكم أو السلطان من المنجز المعرفي الفكري اقل من حساسيته من التحرك السياسي... ولعلنا نعمل بهذا الافتراض بغية تقريب الأفكار وتوضيح الصورة... إذ إن شيئاً لم يتغير في الجانب «المعرفي» بالنسبة لـــ «رموز حوزة النجف الرباعية» السيستاني، الأفغاني، الباكستاني، محمد سعيد الحكيم.

ولم يصدر من أحدهم، ولا من غيرهم من «الجيل الجديد للمرجعية الشابة» منجزاً معرفياً يفيض حراكاً على الواقع المعرفي، ويمكن أن يقال عنه بأنه منجز تجديدي... فكل ما هو جديد لا يتعدى «الركوض الفقهي التقليدي» أي ما يمكن تسميته «الفقه الفروعي» اللاهث وراء المسائل المستحدثة وإعطاء «الآراء» حولها.

... لا بل حتى فكر الشهيد محمد محمد صادق الصدر لم يطور، ولم يلاحق أو يجدد.. بقي سجين ذاته، مثلما بقي فكر الشهيد محمد باقر الصدر سجين ذاته، إذ لم ينهض تلامذة الشهيد الصدر الأول بتطوير أي من ابداعاته الفكرية، وقد كان حزب الدعوة الإسلامية وكثيرون من العمائم العراقية يُستفزون من مثل هذا الكلام، إلا أنه وبعد انخراط هذا الحزب وتلك العمائم في ما يسمى بالعملية السياسية في ظل الاحتلال الأميركي للعراق، اجبروا ولأول مرة على الاعتراف بهذه الحقيقة، وذلك عبر خطاب ألقاه رئيس الوزراء المعين أميركيا ـــ «زميلي» القديم نوري المالكي ـــ بالذكرى السنوية للشهيد محمد باقر الصدر في نيسان من العام ٢٠٠٨م، وفي الاحتفال الذي أقامه الحزب بهذه المناسبة قائلا ما مفاده:

«لقد زارنا وفد من المغرب مستفسرا منا عن منجزات تلاميذ الشهيد محمد باقر الصدر الفكرية، وعما إذا كان أحد تلامذته قد واصل مساره الفكري والمعرفي طالبا

منا أي منتج جديد لهؤلاء التلاميذ، فقلنا له ــ للأسف الشديد ــ لا يوجد أحد من تلاميذ الشهيد الصدر قد أضاف إلى مشروعه الفكري شيئا ما»، وكان المالكي يتحدث من على قناة الفضائية العراقية ــ فضائية «الدولة» الرسمية ــ، كما لم يلحظ أن أحداً من تلامذة الشهيد الصدر الثاني نهض أو أقدم على تطوير أفكاره، فإن يبقى منجز هذين الرمزين الفكريين المعرفيين سجين ذاته فتلك مفارقة خطيرة بحد ذاتها... وتحتاج إلى الكثير من الدراسة، كما أنها تسلط الضوء على رسوخ «المعرفة التقليدية» في «حوزة النجف الأشرف»... فالأمر بدا أن لا علاقة له بظرف سياسي ما، أو بسياسة حاكم ما، فالسيستاني والأفغاني والباكستاني ومحمد سعيد الحكيم «النصف عراقي»[1] كانوا قد حاربوا ظاهرة الصدر الثاني أيام صدام حسين، وواصلوا حربهم الشعواء عليه وعلى جيله في ظل الاحتلال الأميركي للعراق، إذ إن حالهم بقي على ما هو عليه قبل الاحتلال وبعده ومن حيث «المنجز المعرفي» وفي دائرة المواقف السياسية فلا زوال صدام حسين عبر الاحتلال غيّر من مواقفهم السياسية، حيث هم مع صدام «مارسوا فكر التقية» ومع الاحتلال احتموا بـــ «الدبابة الأميركية»... ولا هم «أعادو النظر معرفياً على ضوء جدل الظاهرة الصدرية الثانية».

وإذا كان ذلك يعبر عن شيء، فهو إنما يعبر عن العجز التام الذاتي لهم عن أية

---

(١) إن وصف «النصف عراقي» لمحمد سعيد الحكيم لم نطلقه على أساس أصل أسرته الإيرانية، التي قدمت إلى العراق قبل أربعمئة عام، لا بل أطلقناه هنا كتوصيف على اثر مشادة كلامية له مع احد الشعراء الشعبيين العراقيين، الذي اعترضه الحكيم إثناء قصيدته التي كان يقرأها أمام الجالسين، محتجا عليه لأنه ذكر اسم مقتدى الصدر في هذه القصيدة، وطاعنا بنسب هذا الأخير، وهذا ما أثار غضب الجمهور الصدري لان هذه المشادة الكلامية كانت مصورة بكاميرا الفيديو، حيث سرعان ما اطلع عليها جمهور الصدر الثاني، وثارت ثائرتهم إزاء هذا الطعن النسبي لــ «مرجع» حسبوا أصله إيرانيا يطعن بابن «مرجع» عربي النسب وهو الشهيد محمد محمد صادق الصدر. وذلك بعد احتلال العراق، الذي أصبح في ظله محمد سعيد الحكيم وزملاؤه من «المراجع» مطمئنين لحمايتهم بالدبابة الأميركية وغير آبهين لغضب هذا الجمهور، الذي يرى الكثيرون بأنه سوف يثأر لرمزه من هؤلاء إن عاجلا أم آجلا لمجرد انتهاء هذه الحماية.

حالة تجديد في الإطار المعرفي، وهم حصيلة لصناعة سياسية مباشرة وغير مباشرة أيضاً... فنهر الدم العراقي كله، وهذا العراق المهدور كله، في كل بنية من بناه كـ «بلد»... لم يغير من واقعهم السياسي والمعرفي شيئاً ما، بل بخلاف ذلك، راح ذلك الموقف الجمعي الرباعي يرسخ التقليدية المعرفية، والولاءات السياسية، فيما ادعاءات «الجيل المرجعي الشاب الجديد» بقيت في إطار الادعاء لا غير، الأمر الذي جعل من جيل الشباب العراقي القارئ لا يجد ما يقرأه إلا «الخليط المعرفي المحدود».. وعاد ليقرأ كتب علي الوردي، ومرتضى مطهري والدكتور علي شريعتي وسيد قطب... ولا يحتاج هذا الأمر إلى مزيد من التأكيد، إذ أن أي مراقب لهذا الجيل العراقي الشاب وما يقرأ، بإمكانه أن يلحظ ذلك ببساطة، ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلى «المقارنة المعرفية» بين «حوزتي» قم والنجف... إذ إن «حوزة» قم التي أنتجت جيلاً تجديدياً متصاعداً قبل انتصار الثورة السلامية في إيران، سجلت طفرة في «تنظيم الحوزة» مقابل اللاتنظيم الثابت في «حوزة النجف»... ولا داعي للخوض في مصاديق ذلك، و«حوزة قم» أصبحت في ظل دولة خرجت من «جبتها» وعادت هذهِ الدولة لتتعاطى معها بخبرتها الذاتية عنها، وهذا الكلام لا يدخل في حيز الانبهار والتمجيد والمديح، فرموز ورواد «التقليد» والخرافة في «حوزة» قم هم كثر أيضاً... ولكن ما نعنيه هو الفارق بين «الحوزتين» في الحراك المعرفي والمنهج الدراسي «الحوزوي»[1].

---

(١) جاء في كتابنا «عراق بلا قيادة» في إطار الفارق التقليدي ـ التجديدي بين «الحوزتين» ما يلي: «إن نقطة افتراق مذهلة في هذا الإطار تبرز في مسار الخط التجديدي في كلتا المؤسستين الدينيتين العراقية والإيرانية، إذ بقدر ما تقلصت دائرة هذا الخط في الساحة العراقية خلال عقد الستينيات، الذي كان عقدا مؤهلا لخلق فرص وممكنات عمل إسلامي سياسي علني، وبقدر ما تقلصت دائرة هذا الخط إلى حد ما أسميناه بالرمزية الأوحدية الصدرية، التي انسحبت هي الأخرى.. بقدر ما كان الخط التجديدي في مؤسسة إيران الدينية يتسع في دائرة رموزه وينشط في الضغط على الخط التقليدي في المؤسسة، فقد برز آنذاك فريق من التجديدين المتجانس فيما بينهم كالعلامة الطباطبائي، وموسى الزنجاني، ومرتضى مطهري، ومحمد بهشتي، ومحمود الطالقاني، ومرتضى الجزائري، وقد برزت درجة التنسيق بين هؤلاء باتجاه الضغط على المؤسسة التقليدية إلى حد إصدار كتاب موحد بأسمائهم جميعا

←

نعيد القول: إن هذا الكلام لا يعني تسجيلاً لموقف أو قناعة ذاتية بـــ «حوزة» دون أخرى، بقدر ما يعني دراسة الواقع، الذي انتهى إليه الإسلام بـــ «حوزاته ومؤسساته» وآثاره، وإلا فإن الأصل هو أن لا «مؤسسة دينية» في الإسلام على شاكلة «الحوزة» ولا «رجل دين» من حيث المبدأ. ولا «مرجعية دينية»، ولا «مرجع أعلى» ولا «أعلمية»، ولا منهج تدريس على الطريقة، التي سادت تاريخياً.... وهذا الكلام أيضاً لا يعني مصادرة جهود الرموز والرواد، الذين قدموا للأمة نتاجاً معرفياً وفكرياً، وقادوا مشاريع نهضوية تحت مباني «الحوزة ورجل الدين...إلخ» ففرق شاسع بين إقرار هذهِ المباني نظرياً، وهي غير موجودة في الإسلام، ولكنها صناعة تاريخية بشرية استقرت كنظم ومناهج.. وبين التعامل مع هذا الواقع والنظر إليه، وعدم مصادرة ما هو صحيح ومنسجم مع مباديء الإسلام فيه حتى وأن جاء تحت مباني

في عام ١٩٦١م بعنوان (بحثي در بارة مرجعيت وروحانيت) أي (دراسة حول المرجعية والمؤسسة الدينية)». عادل رؤوف، «عراق بلا قيادة»، راجع ص١٣٠ ـــ ١٣١، مصدر سابق. «وقد لاقى الكتاب اثر صدوره عام ١٩٦٢م. نجاحاً هائلاً واختفى من الأسواق، كما اعتبره بعض الباحثين أهم كتاب يصدر في إيران خلال خمسين عام، أي منذ صدور كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) للنائيني. وبعكس الترحيب الهائل الذي وجده الكتاب في أوساط الشباب من الطلبة وبعض العلماء، استاءت المرجعية بشكل عام من الكثير من الانتقادات الواردة في مقالات المساهمين فيه، وأفكار قادتها، وقد أثارت مقالات الكتاب قضايا هامة في المرجعية، منها الحاجة إلى استقلال المرجعية من الناحية المالية، وضرورة إيجاد مجلس أعلى دائم للإفتاء يتم تشكيله من ابرز مراجع التقليد الشيعة، وضرورة اسلمة مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وضرورة تقليل التركيز على الفقه في المدارس الدينية والتوسع في العقائد والأخلاق والفلسفة، والحاجة إلى فهم جديد في مجال قيادة الشباب القائمة على الفهم والمسؤولية، وتطوير أداة الاجتهاد كوسيلة فعالة في تبني المبادئ الإسلامية في مختلف مجالات الحياة، وإحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كوسيلة معبرة عن الإرادة الشعبية العامة، وحث المجتهدين على التخصص في مجالات معينة تكون لكل منهم الكلمة العليا في ذلك المجال وأخيراً تنمية الحس الجماعي المشترك والروحية العامة للتغلب على الفردية وفقدان الثقة بالآخرين الواسعة الانتشار بين الإيرانيين»، راجع أيضاً محمد رضا وصفي (الفكر الإسلامي المعاصر في إيران، جدليات التقليد والتجديد)، دار الجديد، ط١، ٢٠٠٠م.

«تاريخية».

إذ إن رواد ورموز التجديد والثورة والمعرفة، الذين خرجوا من «الحوزة» لا يمكن لأحد أن يصادر حقهم و«يحذف» منجزاتهم، وهم يقدرون أن لا خيار لهم إلا أن يقوموا بأدوارهم الإسلامية عبر هذه المباني التاريخية ـ وهو تقدير نتحفظ عليه ـ فهم قدروا انه إذا كان الموروث التاريخي الضخم لا يسمح لهم بالإطاحة بهذه المباني، فإن خيارهم هو التغيير والتفجير والتثوير باتجاه الإسلام الصحيح من داخل هذهِ المباني، وليس سهلاً على أحد افتراض أن بإمكانهم الإطاحة بهذه المباني والتمرد عليها، لأن مثل هذا الخيار يعني الإطاحة بأنفسهم ـ أي الإطاحة بفرصة تأثيرهم ودورهم في إشاعة الفكر الإسلامي الصحيح ـ من وجهة نظرهم. وإلا نعيد ما أكدناه في كتابنا «صناعة العقول» من أن تلك المباني والتقسيمات كلها، التي تتدرج ضمن «نظام معرفي ثنائي» هي مباني وتقسيمات تاريخية بشرية، كما أن هذا النظام «اجتهاد ـ تقليد، وشريعة ـ عقيدة، ـ وأصول دين ـ فروع دين، وعبادات ـ معاملات...الخ» هذا النظام هو نظام ديني موروث لا علاقة له إطلاقاً بالنظام المعرفي الإسلامي الوحدوي، الذي يرتكز إلى القرآن الكريم ومنهجية التعاطي معه، التي لاتزال حتى الآن لم تتبلور، فالنظام المعرفي البشري التاريخي الموروث هو نظام «الحديث والخبر والرواية»، فيما النظام، الذي يقترحه القرآن الكريم، لم يصار إلى قراءته قراءة جذرية، وهو نظام، لا اجتهاد فيه، ولا «تقليد»، ولا «مؤسسة دينية»، ولا «رجل دين»، ولا تقسيمات ثنائية لـ «شريعة وعقيدة» و«أصول دين وفروع دين» و«مذاهب وأحزاب متعددة» تحت المسمى الفقهي أو أي مسمى آخر. فكيف الحال إذا ما نظرنا إلى الجانب المناطقي والأسري، الذي مثل تحديا من تحديات «الحوزتين» معا، وفارقا جوهريا في تركيبتهما.

"حوزة" أسرية ـ مناطقية
"حوزة" غير أسرية ـ مدنية

إن واحدة من أكبر المفارقات، التي تندرج في الإطار المقارن بين «حوزتي» قم والنجف ترتبط بالجانب الأسري المناطقي، الذي يجر تلقائيا إلى واحدة من أخطر محاور الدين الموروث، وهي مسألة القيادية «الدينية»، الوراثية السائبة، التي لا ترتكز على أي معيار إسلامي، أو مرتكزات علمية، أو حتى بديهيات التفكير المناطقي... وهذا ما يمكن أن نطلق عليه مجازاً الكثير من التوصيفات كالقيادة السهلة، أو المجانية، أو «المتنقلة» أو المنتقلة، أو النسبية، أو العنصرية، أو الطفولية، أو العاطفية، أو الجاهزة، أو الصدفوية، أو قيادة «الحظ»، أو، أو، أو..الخ، وهذه التسميات والتوصيفات كلها للقيادات باسم الدين.. هي قيادات طاعنة بالدين طعناً لا مثيل له في ما يقترحه هذا الدين الإسلامي العظيم من شروطه للقيادة، مررنا عليها في كتبنا السابقة أكثر من مرة.. وعندما تسود في أية أمة مثل هذهِ القيادات، فالسؤال سيكون كبيراً، وخطيراً.. السؤال سيكون عن النخر المعرفي العميق، والانحرافي الجواني في وعي الأمة، لا بدينها فقط، بل في واقعها، الذي تعيشه، فأية أمة هذهِ التي تُمرر عليها هكذا قيادات فاقدة للمعرفة، ولأي منجز ولو «فقهي»... ويسقط في ظلها حتى العامل العمري.. إذ بإمكان شاب يتحدث بالكاد بعض الجمل، التي بإمكان أي إنسان آخر عادي أن يتحدث بجمل أكثر تماسكاً وتعبيراً منها.. بإمكان هذا الشاب أن يُمرر على الأمة كقائد، لا لأي معيار، إلا لأنه ابن «المرجع» الفلاني، وابن «المعمم» الفلاني... فهذا النسب الأسري هو العامل الوحيد، والوحيد فقط، الذي يجعل مثل هكذا قيادات تتحكم بمصير أمة.. دون مساءلة أحد، ودون أن يثير ذلك اعتراضاً، فضلاً عن الضجيج والصراخ حول التلاعب بمصير الأمة قبل مصير الدين.. فلا الأمة وعيها

يؤهلها لأن تقود هذا «الصراخ والضجيج» ولا «المثقف والمفكر والسياسي» يحرك لسانه الصامت الآثم إزاء ما يحصل لهذه الأمة من دمار في ظل هكذا واقع... بل إن «المثقف والمفكر والسياسي» يتعايش مع هكذا قيادات إنطلاقاً من مقولة «الأمر الواقع»... إلا انه يمارس الخيانة بأقذر ما تعبر عنه هذهِ الخيانة من خلال سكوته، حتى ولو عن قطرة دم واحدة بريئة تسكب بسبب هذه الظاهرة، وإذا كانت مثل هذهِ القيادات الولدانية ـ الأسرية المتحكمة بالأمة باسم الإسلام جريمة، فإن جريمة الساكتين عنها والمتعايشين معها، أقذر وأخطر من تلك الجريمة مئات ومئات المرات.. نقول ذلك إزاء قطرة دم واحدة تسفك بسبب اتحاد هاتين الجريمتين بحق الإسلام والوطن وأبنائه، فكيف الحال، وهل من توصيف عندما تؤدي تلك الظاهرة إلى نهر من الدم البرئ، والى هدر لقيم الإسلام السامية، وإلى تلاعب بالوطن وبمقوماته كلها؟ ولا تهويل في هذا الكلام، فابن الشيرازي لأنه فقط ابن الشيرازي يتحكم بهذا الإسلام والوطن والناس، وابن السيستاني لأنه ابن السيستاني فقط لا غير يؤدي دور الأول نفسه، وابن الحكيم لأنه ابن الحكيم فقط يؤدي الدور ذاته، وابن الباكستاني لأنه ابن الباكستاني فقط يكرر ذات الدور بآثاره على الأمة.. لا تهويل في الأمر، لا بالأمس، ولا اليوم بالنسبة لبلد مثل العراق.

وهل من عراقي مهما كان انتماؤه وموقفه ووعيه يستطيع في عراق اليوم أن ينكر هذا الواقع المعاش، ودور هذا الواقع في مصير الإسلام والوطن والناس؟ نعم إن أمة تعيش هذا الواقع وتقبل به، وتساق سوقاً قسرياً «معيشيا» إليه، أو تسوّقه «طوعا». لابد من التوقف على حجم استهداف عقلها ووعيها ومعرفتها.

نعم إن هذا الواقع يميز «حوزة» النجف من «حوزة» قم... والأغرب من ذلك أن هذهِ القيادة الأسرية و«الولدانية» مركبة من مكونات غريبة بما يؤدي إلى هذا التمايز، الذي يصل حد الكارثة الحقيقية، فظاهرة القيادة الوراثية الشائعة في «حوزة» النجف، مركبة في غالب الأحيان على «مراجع دينية»، غير معروفة الأسر، ولا تعرف ثقافة «الأسرة القيادية»، قبل قدومها إلى العراق من بلدانها، إيران، باكستان، أفغانستان، لبنان...الخ.

إن المكون الأول لظاهرة الأسرية تمثل بتجليها الطفولي الوراثي فيما المكون الثاني يرتبط بالجانب الأسري والمناطقي... وفيما يرتبط بالقيادات «الدينية المرجعية الإيرانية» هي أنها تُلقب داخل بلدانها بأسماء المدن، التي تنتمي إليها غالبا، في حين في العراق يتصالح واقعها القيادي المنتمي ــ اسمياً ــ إلى المدن، بالواقع الإرثي الأسري. فالسيستاني مثلاً أو الخوئي أو الأصفهاني ينتسبون إلى مدنهم، ويتحولون في الوقت ذاته إلى «اسر» مولدة عبر الأبناء لقيادات موروثة بالمواصفات أو المسميات، التي ذكرنا.

وهذا واقع العراق شاهد على ما نقول، فيما واقع إيران شاهد آخر يعزز هذا المعنى، إذ إن مثل هكذا ظاهرة لا توجد في حوزة قم، إلا استثناء مفترضاً، وإذا ما أخذنا القرن الماضي في إيران مثالاً على ذلك، فلم نجد أن أبناً لعبد الكريم الحائري اليزدي ورث الزعامة «الدينية» من أبيه، ولا للطالقاني، ولا للروحاني، ولا للبروجردي، ولا لشريعتمداري، ولا للمرعشي النجفي، ولا للكلبايكاني.. ولا حتى ابنا للإمام الخميني قائد اكبر ثورة في تاريخ الإسلام. نعم إن أولادهم يمارسون الدراسة في «الحوزة» القمية أو غيرها من «الحوزات»، إلا أن الدراسة شيء وأن يصبح الابن زعيماً بالوراثة لأبيه شيء آخر، في حين أن أولاد الخوئي والحكيم والشيرازي وكل «المراجع» الإيرانيين الذين أصبحوا قادة أو «مراجع» في العراق يرثون الزعامة، ويطمحون إلى المواقع «المرجعية»، وعلى أقل تقدير يملكون سلطة وقيادة الناس على عكس الواقع في «حوزة» قم.

أن هذهِ المفارقة الخطيرة إذا كانت تعبر عن شيء فهي تعبر عن «ثقافة القبيلة» أو «ثقافة الأسرة»، بخلاف ما اقترحها الإسلام في العراق، وبما ترمز لحضارة البلد، فيما هي في إيران تعبر عن مجتمع يعبر عن ثقافة المجتمع «المدني» ــ الانتساب إلى المدينة ــ بما يجعل من العامل الأسري أو العشائري ــ القبلي عاملاً اجتماعياً طبيعياً، إن لم يكن منحصراً في جزر جغرافية محددة داخل إيران.. وهذا بدوره يعبر عن الفارق الجوهري بين ثقافة البلدين العراق وإيران.. العراق كمجتمع يعيش «العشائرية» والأسرية، التي لا تسمح بالامتداد إلى الجانب الديني الصحيح، وتولد

«عشائرية دينية» هي ضد هدف الإسلام الأعلى، الذي جاء لتصحيح الانتماء القبلي، هذا في العراق.. أما في إيران فالواقع مغاير تماماً، بما يعبر عن ثقافة حضارية ذات علاقة «مقبولة» الى حد ما بمضامين الإسلام في هذا الإطار. فإذا كان لابد من «الانتساب» في إيران.. فالأصل في هذا الانتساب هو لـ «المدينة» التي يولد فيها الإنسان أولاً، لا لعشيرته أو أسرته، وهذا ما يضع حاجزاً بين اختلاط العامل العشائري والأسري بالدين. وبما يحد من انعكاسه على الأمة الإيرانية في أثره الناجم عن ولادة القيادات الوراثية «الدينية». انه فارق إذن بين ثقافتين وحضارتين، ثقافة مزجت الأسرية بالدين، وأخرى فصلت الأسرية عن الدين.. وهذا يدخل في طبيعة المجتمعين، وهو مبحث ليس هنا مجاله، إلا أنه مبحث علاقته بالعراق لا ترتكز إلى عامل واحد، هو عامل البداوة المستقل كما يراه الدكتور علي الوردي... فعامل البداوة الذي يرتبط بطبيعة المجتمع العراقي هو عامل مهم ومركزي، إلا أنه أحد العوامل المكونة لهذه الطبيعة، فعامل البداوة لوحده[1] لا يمكن أن يصوغ بطبيعته ثقافة مجتمع بكاملها، فهنالك العامل الديني وعامل الجغرافيا، لا بمعناه الداخل في البداوة، وهنالك العامل التأثيري الخارجي المساهم في صياغة طبيعة المجتمع، وهناك عامل المواطنة، الذي تؤدي الديمغرافية فيه دوراً كبيراً. ومهما يكن من أمر، فإن هذهِ المفارقة في المسألة القيادية «الدينية» في إطار الدراسة المقارنة بين «حوزتي» قم والنجف.. هي من أخطر المفارقات التي تحتاج إلى بحث معمق لأنها على علاقة ـــ كما أشرنا ـــ بثقافتين ومجتمعين متغايرين، وبأمتين ووطنين.

وقبل أن نناقش علاقة «الحوزة» بالوطن، من المناسب أن نتوقف على ظاهرة أخرى ستبرز في ظل فوضى الزعامات «الولدانية»، وهي ظاهرة احترابية لهذه الزعامات داخل «حوزة» النجف، ثم النظر إليها بمنهج مقارن لما هو سائد في «الحوزة» القمية.

---

(١) اثار بحث الدكتور علي الوردي حول « صراع البدواة والحضارة» لغطاً واعتراضات في حينه وقد تطرق الوردي الى حيثيات واسباب ذلك، لكن ليس في حياته، راجع في هذا الاطار كتاب، الدكتور علي الوردي، (من وحي الثمانين)، ص ١١٣ ــ ١١٩ ، جمع وتحقيق سلام الشماع، مؤسسة البلاغ، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م .

"حوزة" خلافية
"حوزة" احترابية

«حوزة» النجف، وما أدراك ما «حوزة» النجف، فقد كتبنا عنها كثيراً في الأساسيات، في المنهج التدريسي، وعلاقتها بالسياسة وبالأمة، وبالأنظمة الحاكمة، والقوى الخفية، التي تقف وراء ترشيح العديد من أقطابها، ولكن آن لنا أن ننزل بها من الأساسيات إلى التفصيلات، ولعل كل يوم من الأيام، التي عاشتها هذه «الحوزة» خلال القرون الثلاثة الماضية يحتاج وحده إلى مؤلف خاص به، ولا مبالغة في هذا الكلام لمن يعرف واقع النجف والبنى الصراعية التي تحكمه، وهي بنى تشكل الأصل بالنسبة لهذه «الحوزة» وليس الاستثناء.. أي أنها حوزة صراعية احترابية في كل تفصيل من تفاصيل وجودها اليومي، فدرسها لـ «المرجع الواحد» يسمه الاحتراب أكثر من الانسجام، ودروسها لـ «المراجع» هي دروس احترابية ـ صراعية، وحواشيها أدوات لهذا الواقع، والمال فيها محور صراع دائمي، والجنائز عنوان يومي مكرور يترجم «دونية» هذا الصراع.. فالوكلاء ـ السماسرة ـ الذين هم على تأهب دائم لكل جنازة قادمة ـ ولاسيما إذا كانت من وجهاء الناس ـ يمارسون أساليب الاقتناص والاحتيال والإقناع لأهل صاحب الجنازة ـ فكل سمسار هو وكيل لـ «مرجع ديني» مهمته أن يصلي «مرجعه» على هذه الجنازة، مدفوعا بكل قواه الاحتيالية من أجل ضمان حصة سمسرته المالية.. وهذه التفصيلات الصراعية وغيرها تتم متسلحة بعناوين «الأعلم والأشهر والأتقى» بين «المراجع»، وليتصور القارئ حجم فاجعة الدين الإسلامي عندما تتحول عناوين «التقوى والشهرة والأعلمية» إلى عناوين «جنائزية» لا عناوين «قرآنية» يفترض أن تكون وظيفتها إنقاذ الأمة وبناء المجتمع الإسلامي، وإشاعة المعرفة والعلم... فالقرآن الكريم جعلها مباني معرفية

لصناعة أمة، أو إقامة دولة.. وليس أية امة وأية دولة، ولكنها الأمة الشاهدة على الأمم الأخرى:

ــ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وأن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ــ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أو الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أو فَقَيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وأن تَلْوُواْ أو تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[2].

ــ ﴿يَا أَيُّهَآ الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى إلا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

ــ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَـاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[4].

ــ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[5].

نكتفي بهذا المقدار من نصوص القرآن الكريم، التي تعرض لنا صورة الأمة والدولة الشاهدة، اللتين تمثلان قمة مقاصد الدين العليا، وإذا بهذه الأمة، التي افترضها القرآن الكريم، تتحول على أيدي هؤلاء سماسرة الجنائز ــ وكلاء «المرجعية»

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.
(٢) سورة النساء: آية ١٣٥.
(٣) سورة المائدة: آية ٨.
(٤) سورة الحج: آية ٧٨.
(٥) سورة الحديد: آية ١٩.

ومندوبيها ــ إلى امة جنائزية، وتتحول معرفتها إلى معرفة جنائزية، يعيشها أهل الموتى يوميا وبشكل مكرور «تعودي»، ولا يمكن لمؤهلاتهم المعرفية الدينية أن توضح لهم حجم الكارثة، التي حلت بهذا الدين على يد حوزة «المراجع» ــ والكلام ليس اطلاقيا ــ، كما أن بعض أهل النجف يعلمون بذلك، إلا أنهم ضحايا المعرفة الموروثة، وضحايا الواقع، الذي حشر «رزقهم» أو لقمة عيشهم في هذا المجال.

«حوزة» النجف إذن «حوزة» احترابية ــ صراعية بين «المرجع والمرجع» و«الحاشية والحاشية» و«المرجع» وطالب «الحوزة» وداخل أي بيت «مرجعي» بين الأب وأولاده، وبين الأولاد أنفسهم، ولكنها بشكل غير معلن في غالب الأحيان، وعليه لا حد لأشكال وأنماط هذا الصراع والاحتراب والانحراف اليومي الدائمي المكرور... ولعل ما أوردناه في أحد هوامش كتابنا «عراق بلا قيادة» بدءاً من طبعته الأولى إلى طبعته العاشرة ــ عدا الطبعات، التي لا يمكن لنا احصاؤها، التي طبعت وأحرق قسم منها في العراق في ظل الاحتلال الأميركي له، في الصفحات ١١٣، ١١٤ منه ــ لعل هذا الهامش، يقدم نمطاً آخراً مهما لهذا الواقع عبر الصراع العلني المعروف من قبل النجفيين حول أماكن الصلاة في الصحن الحيدري، وتلك ظاهرة صراعية تتم بأدوات استقوائية «شقاوات» لم تشهدها «حوزة» أخرى بالصورة التي تحصل فيها بالنجف الأشرف، ولا في أية «مؤسسة دينية سنية أو شيعية»... فما هذه «المرجعية»، التي تستقوي بالشقاوات علنا في الصراع على أماكن الصلاة والمهم لديها مكان صلاتها في الصحن الحيدري كأجراء حضوري ــ استعراضي، قد يتحول إلى مكان ارثي للأولاد... ولعل ما يثير السخرية في هذا المعنى الإرثي عكسه ذات مرة حوار في ذروة بروز ظاهرة الشهيد الصدر الثاني، عندما عارضه وحاربه أحد رموز المعارضة العراقية العمائمية المقيمة في إيران.. ففي حوار لشخصية «دينية» ترتكز على ارث «عائلي ــ ديني» كانت قادمة للتو إلى إيران مع هذا الرمز ــ وهو محمد باقر الحكيم ــ حول خطأ موقفه من الصدر الثاني أجابه باقر الحكيم بنبرة تألمية قائلا له «سيد أحمد ــ احمد الحسني البغدادي ــ انه ــ أي الصدر الثاني ــ صلى في مكان والدي!!». وعودة إلى كتابنا «عراق بلا قيادة» الذي سردنا فيه قصة الصراعات حول

مكان صلاة والده ــ السيد محسن الحكيم ــ فقد جاء فيه:

«ذكر لي احد الثقات حول الظروف، التي رافقت تصدي السيد محسن الحكيم إلى المرجعية بأن السيد الحكيم كان يدرس لدى النائيني، وكان أحد تلامذة النائيني أيضاً شخص اسمه السيد جمال الكلبايكاني وهو أعلى طبقة من تلامذة النائيني، الذي توفي ١٣٥٥هـ، و توجهت الأنظار بعد وفاته إلى السيد الكلبايكاني، وفيما أن المسؤول عن فرش مكان الصلاة في الحرم فرش سجاد الصلاة للكلبايكاني على أن يصلي محل النائيني صلاة المغرب والعشاء، في هذه الأثناء جاء السيد محسن الحكيم محاطاً بعدد من (الشقاوات) يحملون الخناجر، وصلى في مكان النائيني، و عندما أخبروا الكلبايكاني قبل وصوله إلى الحرم بذلك وهو لايزال في منتصف الطريق، وقف ثم عاد من حيث أتى قائلا باللغة الفارسية (همجنين نماز بزوري نمي خواهد) أي (صلاة كهذه بالقوة لا تُراد)، ويواصل هذا الشخص كلامه لي قائلا: ثم واصل الحكيم صلاته في هذا المكان إلى أن مات، ثم يضيف، وعندما جئت إلى إيران التقيت المرحوم سيد احمد بن سيد جمال الكلبايكاني عندما كان وزيرا في حكومة الشيخ رفسنجاني، فسألته عن تلك القصة، فنقلها لي كما هي، يقول ثم سألت ابنه الثاني سيد علي جمال الكلبايكاني، فنقلها لي كما هي أيضاً. ويذكر أن السيد محمد الهاشمي نجل آية الله جمال الدين الكلبايكاني، وبفعل صدمة هذه الحادثة نظم قصيدة شعرية يهجو بها السيد الحكيم وأفراد حاشيته، الذين جاؤوا بالحكيم على أساس انه مرجع عربي، والغريب أن هذا الهاجي للسيد الحكيم وهو محمد الهاشمي أصبح من اقرب المقربين إلى السيد الحكيم، والسبب في ذلك حسب ما يرى العارفون، أن الهاشمي كان في الأساس مرتبطا بشاه إيران، وعندما فرضت مرجعية الحكيم كأمر واقع عاد مرة أخرى من هجائه انتقاما لاستقصاء والده من سدة المرجعية إلى ارتباطه مع شاه إيران، الذي يملي عليه بالنهاية خيار الالتحاق بالحكيم كمحمي من هذا الشاه. ويذكر أن الصراعات المرجعية بين الخط الفارسي والخط العربي لم تكن هي الشكل الوحيد لما يدور في المؤسسة، وإنما حكمت هذه الصراعات أيضاً إلى الخط الفارسي ذاته، نتيجة التنافس في ما بين أقطابه للوصول إلى سدة المرجعية العليا، ولذلك نرى أن النقشواني الفارسي رفض في ظل

صراعات الخط الإيراني الالتحاق بمرجعية الحكيم، لأنه كان داعية إلى مرجعية أبي الحسن الأصفهاني قبل أن يصبح فيما بعد داعية لمرجعية الخوئي، كما أن هذه الصراعات داخل الخط الإيراني ترجمت عبر التحاق أربعة من الايرانيين، الذين تربطهم علاقات أيضاً مع شاه إيران بمرجعية الحكيم، رغم أن هؤلاء الأربعة، وهم السيد إبراهيم الطباطبائي نجل السيد علي السيد كاظم اليزدي، الذي تزوج في ما بعد من ابنة السيد الحكيم (شريفة) والشيخ محي الدين المامقاني نجل الشيخ عبد الله المامقاني بن المرجع الشيخ حسن المامقاني، والشيخ محمد الرشتي ابن الشيخ عبد الحسين الرشتي، بالاضافة إلى السيد محمد الهاشمي ابن السيد جمال الدين الكلبايكاني المذكور، رغم ان هؤلاء الأربعة كانوا في خضم الصراعات المرجعية يرون بأن آباءهم وأجدادهم المذكورين هم الأولى بموقع المرجعية العليا، وأن إقصاءهم عن هذا الموقع، ولد لديهم عقداً إزاء القوى الخفية، التي تتدخل في ترشيح المرجع الاعلى، كما ولد لديهم إحساساً بمظلومية هؤلاء الآباء و الأجداد»[1].

و«رغم ذلك كله إلا أن علاقاتهم مع شاه إيران وضعتهم أمام الأمر الواقع للالتحاق بمرجعية الحكيم، والتصاقهم بهذه المرجعية، علما بأن محي الدين المامقاني عبر عن هذا الالتصاق بتزويج ابنته (عزت) إلى محمد باقر الحكيم. من خلال ما تقدم يتوضح الصراع التحتي الخطير، الذي يحكم واقع المؤسسة، ويفسر دوامتها في ما يرتبط بالمرجع الأعلى وطريقة وصوله إلى هذا المنصب ويتوضح هذا الصراع حتى على أمكنة الصلاة في حرم الأمام علي (ع)، والقصص كثيرة، التي تدخل في هذا الإطار، وربما أن من هذه القصص، التي توضح تجليات هذا الصراع (التافهة) هي تلك القصة، التي ضُرب فيها محمد علي الشيرازي حتى نزف دما من أنفه على يد أحد الشقاوات، والمُسمى (حديد) وهو من جماعة محمد رضا الحكيم، وقد ضرب محمد علي الشيرازي لأنه نقل صلاة أبيه في الصحن الحيدري من مكانها القديم، الذي كان وراء مكان آية الله الحكيم إلى مكان آخر هو مكان السيد يحيى اليزدي بعد وفاته،

---

(١) عادل رؤوف، (عراق بلا قيادة)، ص١١٣ ـ ١١٤، مصدر سابق.

فاجتهد محمد علي الشيرازي بأن يحتل هذا المكان الواسع بدل مكان أبيه عبد الله الشيرازي الضيق، وعندما شرع في ذلك، وفرش السجاد في هذا المكان، جاءه محمد رضا الحكيم ومعه (شقاواته) المعروفة، فتقدم من هؤلاء (حديد) وضرب محمد علي الشيرازي وتركه ينزف دما، وجاء بمحمد الهاشمي، الذي ذكرنا اسمه في ما سبق ليصلي في هذا المكان إنهاء لـ (صراع) الأمكنة بين المراجع العظام!!»[١].

أنا أدعو قارئ هذا النص أن يقرأه بعيون مفتوحة، ولأكثر من مرة، لأنه يختزن معلومات موثقة ونجزم أنها حقيقية، ومسؤولية هذا القارئ أن ينزل إلى الميدان النجفي لكي يتأكد هو من صحتها، كنمط من أنماط الصراع التفصيلي اليومي المكرور لواقع «الحوزة» النجفية، وتاريخه، وأن يسأل هذا القارئ نفسه لماذا انتهى الوطن ـ العراق ـ إلى ما انتهى إليه الآن في ظل الاحتلال الأميركي له، الذي اختلفت في ظله إلى حد ما بعض نمطيات هذا الصراع التفصيلي[٢]، لحساب الصراع على أساسيات

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) لم ينته بالطبع الصراع على أماكن الصلاة في الصحن الحيدري الشريف، كظاهرة عراقية. فقد كانت هذه الظاهرة واضحة حتى بعد احتلال العراق، فبعد هذا الاحتلال بسنتين، كنت ذات مرة قاصدا الصلاة ـ ظهرا ـ في صحن الإمام الكاظم، وعندما دخلته لاحظت أكثر من خمسة عمائم تتقدم للصلاة ـ أي خمسة صلوات جماعة ـ الأمر الذي أدخلني في دوامة صراع نفسي حول هذا المشهد، وأعاد كل مخزون ذاكرتي المؤلم بهذا الصدد، لأني أريد أن أقيم الصلاة جماعة، وصلاة الجماعة حسب فهمي الديني، ينبغي لها أن تكون صلاة واحدة وبإمامة واحدة، فلم أجد ما أفرّغ فيه ألمي سوى «الكيشوان»، الذي رحت أشاكسه حول هذا الأمر، فقلت له: «أنا إنسان تعلمت الصلاة للتو، وعرفت أن علي أن أصلي جماعة، وعليه جئت إلى هنا، ولكن أمامي الآن خمسة صلوات جماعة بخمسة أئمة، فلا ادري وراء من أصلي من هؤلاء. فنظر إليّ «الكيشوان» نظرة «متثاقلة»، وقال لي بطريقة أيضاً «متثاقلة»: «اذهب وصل وراء أي إمام جماعة تريد.» واصلت مشاكستي إياه، وقلت له: «كيف ذلك؟ أوليس كلكم (شيعة) وينبغي أن يكون إمام الصلاة واحدا؟» فصبر على مشاكستي، وقال لي:«أخي فلان إمام يمثل المرجع الفلاني، وفلان يمثّل المرجع الفلاني...الخ، فاختر ما شئت». واصلت كلامي إياه، وأنا أتابع ملامح وجهه، التي بدا الاحتقان واضحاً عليه من الحاجي، فقلت له: «أخي أنا لا اعرف، واصلي للمرة الاولى، أرجوك أن توضح لي الأمر، لماذا لا يتفق هؤلاء على أن يصلوا صلاة واحدة؟» فرد علي قائلا: «عمي روح الله يخليك، ←

«الزعامة».. فعندما يتصارع «مراجع الدين» على أماكن الصلاة، ويستخدمون الشقاوات كأدوات في هذا الصراع، سيتحول الوطن كله إلى «جنازة» يتصارع عليها الآخرون من الدول الصغرى والكبرى. أو بالأحرى أنهم سيعتبرونه جنازة يتم الصراع من اجل السيطرة عليها.. ومن هنا واضح أننا ننتقل من الجنازة الجسدية إلى «الجنازة المعرفية» كاستعارة وصفية رامزة لما حصل ويحصل لهذا العراق، على خلفية أداء «مرجعياته الدينية».. ولكي لا نخرج من إطار هذه الفقرة المقارنة، ذكرنا من قبل أن ظاهرة تفصيلية يومية كهذه لم تحصل في «حوزة أو مؤسسة دينية» في العالم «السني أو الشيعي»، وبما أن مبحثنا هو رؤية مقارنة بين «الحوزتين» القمية والنجفية، فالحال ليست كذلك في «الحوزة» القمية، التي لم تكن «حوزة جنائز»، ولا «حوزة» صراعات على «أماكن الصلاة» في صحن السيدة معصومة (ع) في مدينة قم المقدسة.. فقم لم تتحول إلى «مقبرة» كبرى كمقبرة وادي السلام، التي يتم نقل الموتى إليها من المحافظات الأخرى. وأهل قم لهم مقبرة خاصة بمدينتهم، ولا يرون في مبدأ «الشفاعة» ما يدعوهم إلى فعل ذلك.. هذا أولاً، وثانياً، فإن صحن السيدة معصومة (ع) لم يتحول في يوم من الأيام إلى ساحة صراع على أماكن الصلاة بين «مراجع إيران»... وإذا مرت بهكذا حالة كاستثناء في لحظة من اللحظات، فهي لم تشكل أصلا في هذه التفاصيل «الحوزوية» اليومية المكرورة.. وحتى في ظل ما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ومع تعدد «المراجع» الذين هم مع الثورة، والذين هم ضدها، أو الذين يقفون على الحياد منها، لم يلحظ أحد لا من العراقيين، الذين تواجدوا بمئات الآلاف في إيران، وسكن الكثير منهم مدينة قم، ولا من غير العراقيين، لم يلحظ في يوم ما أن أكثر من صلاة أقيمت في صحن «معصومة» بنت الإمام موسى الكاظم (ع)، فقد كان السيد المرعشي النجفي هو الوحيد، الذي يؤدي الصلاة

وكفينا شرك». وكان حينها مبتسما بعدما أحس بان كلامي معه لم يكن نابعا من جهلي بالموضوع، ولكن – ربما – «احتجاجا» على هذه الظاهرة، واضطررت الى ان أؤدي الصلاة فرادى، وكنت اردد مع نفسي: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

في هذا الصحن حتى وفاته، ولم يحسب هو أن هذا «الانفراد» بالصلاة يمثل امتيازاً له على غيره، كما لم يحسب الآخرون من «المراجع» أن في الأمر ما يُمرر على حسابهم أو يضايقهم، أو يرتقي إلى مستوى التفكير به لديهم، لأنه من الأساس لم يشكل مفردة من مفردات حياتهم «الحوزوية».. وعليه فإن صراعاتهم كانت صراعات على الأساسيات في تجسيد «الدين» والتعاطي معه، هم يختلفون حول علاقة الدين بالسياسة، أو تنتصب الخرافة، عنوانا لهذا الصراع، أو يكون التعاطي مع السلطان هو موضوع الصراع، أو أن النفوذ الدولي «الحوزوي» هو الذي يحدد اتجاهات مواقفهم وصراعاتهم، والصراع داخل «حوزتهم» يقع في إطار «التقليد والتجديد» و«مناهج المعرفة الحوزوية»، ومسائل التمويل المالي، الذي لا ينزل إلى تفصيلات الجنائز أو الدعاية إلى الصلاة وراء «المرجع الفلاني» في الصحن القمي، أو الصراع على أماكن الصلاة في هذا الصحن. ولذا فإن «حوزة» قمية غير جنائزية في سياق صراعاتها، لا شك أنها لن تنتج وطناً جنائزياً، يجعل من الآخرين الدوليين والمحليين مستسهلين لممارسة الصراع عليه انطلاقا من «الصلاة»، والمعنى هنا هو الآخر معنى استعاري رامز.

إذ إن «حوزة» قمية تصارعت على «الأساسيات» في المسألة الدينية في كل محاورها، استطاع المحور الثوري في نهاية المطاف أن ينتصر فيها على المحور «الخرافي» أو المحور، الذي يمثل امتدادا لدول خارجية ــ وليس بإمكان هكذا «حوزة» نتيجة ارتباط بعضها بامتدادات خارجية أن تجرؤ على الإطاحة بـــ «الحوزة» الثورية، كما حصل ذلك مع شريعتمداري، الذي ظهر على شاشة التلفزيون معتذراً للأمة الإيرانية، ومعترفاً بخطأ ما قام به في زعامته كـــ «مرجع» للإطاحة بـــ «الحوزة الثورية»... وحتى هذه «الحوزة الثورية» من الممكن لها أن تختلف، وأن «تتصارع» في أحرج اللحظات، كما هي الحال مع مثال الشيخ المنتظري الذي كان اسمه يُردد هتافاً على السنة ملايين الإيرانيين، بأنه «أوميد أمة إمام» ويعني «أمل أمة الإمام» إلى أن انتهت به الحال إلى «الإقامة الجبرية».. كما بإمكان هذه «الحوزة الثورية»، أن لا تمارس الصدام والانتقام مع «الحوزة الرجعية الدولية»... بل

«تتعايش» معها بخلاف الحال في النجف الأشرف، بحيث تتحول «الحوزة النجفية» إلى مشارك مباشر أو غير مباشر في قتل «المراجع الثوار» كما حصل مع الشهيدين، الصدر الأول والصدر الثاني. وفيما لاتزال خطب الشهيد الصدر الثاني حول أنماط صراع «حوزة الجنائز» ــ حوزة النجف ــ، فإن صرخة الصدر الأول الخالدة في كون هذه «الحوزة» الجنائزية مهددة بالفناء أثبتت ذاتها:

و«كان للشهيد الصدر الأول مشروع مغاير تماما في كل مجالاته ومفرداته ومضمونه وآلياته عن المشاريع المرجعية السائدة في محيطه، وكلما تراكمت صيرورة هذا المشروع ومسيرته كلما برزت أوجه المغايرة فيه بشكل أكبر، إذ إن الشهيد الصدر ــ وكما أشرنا ــ كان يخطط للنهوض بالكيان الحوزوي من واقعه عبر منهجية تكاملية مع رموز المرجعية تقتضي التنسيق والتواصل والتخطيط المشترك، حتى لو تطلب منه ذلك التنازل والسكوت على ما يحصل داخل هذا الكيان من أنماط تنافسية سلبية بين المواقع المرجعية، فهو دائما التزم مبدأ تحويل السلبي إلى ايجابي، إلا أن هذا الالتزام استنزفته الخلافات الداخلية بنسبة ٨٠% من جهود الكيان بالنهاية.

وفي وقت متأخر استسلم الشهيد الصدر لهذا الواقع المرير، ليقر بحقيقته، وهو استسلام يعبر أو يستبطن إشارات على مراجعة الشهيد الصدر لواقع العلاقات الداخلية في الكيان المرجعي، وتطور هذا الاستسلام في أيام المواجهة الساخنة مع السلطة إلى قناعة بمراجعة جذرية لمجمل استراتيجيته الداخلية والاجتماعية، فقد أحس الشهيد الصدر الأول أن حذره الكبير في عدم الاندفاع الاجتماعي خوفا من استفزاز المرجعيات الأخرى في أحد أسبابه كان غير (مبرر)، وتعزز هذه القناعة لديه تجربة الثورة الإسلامية في إيران بقيادة مرجعية الإمام الخميني، فهي كذلك كانت مرجعية محاربة إلا أن استراتيجيتها الاجتماعية استطاعت أن تعبئ كل المجتمع الإيراني بعيدا عن حساسية أو عدم حساسية المواقع المرجعية الأخرى، وأن حلم الدولة الإسلامية وهمها الذي كان يرهق الشهيد الصدر منذ انطلاقته الفكرية، لم يتحقق عبر (الاجتماع) المرجعي، أو (أجماع) رموز الكيان أو الإطار وإنما استطاع الإمام الخميني أن يؤسس علاقات متراكمة مع الأمة، وأن يكتشف أساليب مؤثرة في تعبئتها، وأن يعمل بنظرية حركية فاعلة إزاءها، وأن يكتشف لنفسه نمطا خاصا في علاقاته المرجعية، بدا أنه

نمط أكثر جرأة في انتقاد المرجعيات، التي تروج لمقولات فصل الدين عن السياسة، فلقد بدا هذا المنهج في إدارة العلاقات مع المراكز المرجعية في الكيان الشيعي أكثر صرامة، وهو منهج انصب رهانه على الأمة وبكل ما يفعل دورها، ويؤدي إلى التلاحم معها، ويضخها بخطاب يعيد إليها ثقتها بنفسها، ولا يقف عند شريحة معينة منها..»[1].

إن نص الصدر الأول الاستباقي الاستشرافي لحالة استنزاف «الحوزة» النجفية في ظل معرفته الماضوية بها وبصراعاتها لاسيما الصراع المرموز لها بالمثال الجنائزي، الذي اخترناه هنا محوراً مميزاً مقارناً بين «الحوزتين» القمية والنجفية، يدلل دلالة قاطعة على أهمية هذا المحور في وعيه المخبوء، الذي اضطره إلى إطلاق صرخته الاستنزافية الداخلية لـــ «الحوزة»، ولكن ليس تحت العنوان الجنائزي الصراعي المقارن ذاته بين «الحوزتين».

وذهب صراخ الصدر الأول هذا، كما صراخ الصدر الثاني، أدراج الرياح، في تأسيس أمة أو دولة إسلامية شاهدة كالتي وضعهما النص القرآني هدفاً أعلى للدين، وانتهت هذه الأمة بعد مصير الصدرين إلى احتلال أميركي مهين، و«حوزة» متحالفة مع هذا الاحتلال، لا بل منخرطة فيه، في محاولة لإنتاج الوطن نموذجا وقاعدة للمشروع الأميركي الهادف إلى أمركة العالم انطلاقا من هذا العراق. وسيجد هذا الاحتلال ذاته مدفوعا بفكرة احتضان «قادة الحوزة الوافدين»، بحكم عقدة نشأته كدولة تأسست على فكرة «الأمة الوافدة» المغتصبة لأرض الآخرين وإبادتهم.

إن هذا الصراخ سنتوقف عليه بالتفاصيل في فصول لاحقة من الكتاب، تماشيا مع منهجيته، التي تفرض علينا التوقف عند مفصل الخمسينيات من القرن الماضي، لمسار «الحوزتين»، كمفصل اشتباكي لهما في الرموز والمكان والتحديات، وسيحدد مصيرهما معا، بما يجعل من أحداهما مؤسسة لدولة، ومن الثانية «حوزة أميركية»!!!

---

(١) عادل رؤوف، (محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين)، ص ١٧٣ ــ ١٧٤، إصدار المركز العراقي للإعلام و الدراسات، ط ٦، ١٤٢٦ هـــ ــ ٢٠٠٦م.

الفصل الثاني

"الحوزة" الخمينية ..
"الحوزة" الحكيمية

اشتباك "حوزوي" مفصلي

في إطار الدراسة المقارنة قد تجد مشتركا جامعا، يوضح الفوارق بما لا توضحها محاور المقارنة الأخرى وعناوينها كلها.. إنه مشترك يختصر معظم المتضادات أو كلها، ويتمثل باسمين أو رمزين لـ «الحوزتين القمية والنجفية».. وفي فقرتنا هذه فإن الرمزين هما الإمام الخميني ومحسن الحكيم، فتراث «الحوزتين»، ومسار البلدين السياسي و«الصدف» ـ إذا شئت أن تفترض ـ ستجعل قراءة الفوارق بين «الحوزتين» جامعة مانعة، عبر فهم هذا المشترك.

أولاً: عندما شاءت «الأقدار» أن تشهد الساحة الإيرانية، وركام العمل «الحوزوي» الإيجابي فيها بمعاضدة عوامل مساعدة أخرى نقلة نوعية في دور «الحوزة» القمية، وكان قائدها الإمام الخميني، الذي فجر أحداث خرداد ١٩٦٣م المشهورة، وبزمن سابق قليلاً على هذه الأحداث عاش العراق مخاضاً سياسياً انتقالياً حاداً، وبدأ مساراً جديداً لـ «حوزة» النجف، فقد انطلق العمل الإسلامي باسم محسن الحكيم كـ «موقع مرجعي» أعلى.. ولد تحت «مظلته» العمل الحركي والعمل «المؤسسي»، وخط الشهيد الصدر الأول المستقل منذ البدء عنهما في المضمون، وأن حسب ضمنها في عنوان الولادة.

ثانياً: ومع تغاير خلفيات انطلاق العمل في البلدين والساحتين، إلا أن «الأقدار» رمت بالإمام الخميني منفياً في النجف الأشرف بعد إقامة قصيرة في تركيا، فأصبح «الرمزان» ـ الإمام الخميني والحكيم ـ في ساحة واحدة، هي الساحة النجفية وفي «حوزة» واحدة، هي «الحوزة» النجفية، وفي بلد واحد هو «العراق».

ثالثاً: ولأن «الحوزة» النجفية ـ كما أشرنا ـ كانت تعيش مرحلة انطلاقة العمل

الأولى بزعامة رمزها «المرجعي» ـــ محسن الحكيم ـــ كان من حق الإمام الخميني، ومن واجبه أن يخوض حواراً صاخباً معه من أجل النهوض بـــ «الحوزتين» والبلدين معاً. فأقدم على ذلك بكل ما أوتي من قوة أساليب حوارية وإقناعية، ولم يفلح في الوصول نحو أهدافه من خلال هذه الحوارات ـــ التي نزل بها إلى مواقع «مرجعية» أخرى ـــ بما فيها «مرجعية» الخوئي، التي لم تكن في حينها في موقع «المرجعية العليا» ـــ مقيمة في العراق، وانتهى إلى النهاية ذاتها[1].

رابعاً: وفي ظل ذلك اضطر الإمام الخميني أن يتعايش مع الأمر الواقع تعايشاً إشكالياً، لا بل «خلافياً» مع الواقع «الحوزوي» النجفي.. فيما محسن الحكيم اختار هذا الخلاف وأصرّ عليه.

خامساً: وفي ظل الخلاف الذي كان يمر ثقيلاً على «الحوزتين» القمية والنجفية، والبلدين العراق وإيران، كانت النجف هي الحاضنة، وكانت قم في حالة فراغ الرمز «المرجعي» الأصل.. وإذا كان هنالك من رموز، فهي رموز «مرجعية» عليا «اصلاحية» إلى حد ما، ورموز ثورية أخرى لم تكن في موقع «المرجعية»، وأن الساحة الإيرانية كان يدوي فيها صوت المثقف الديني ـــ الشهيد علي شريعتي تحديدا ـــ، بعيدا عن الجسد «الحوزوي» التقليدي القمي، الذي كان يتحالف حينها مع شاه إيران لإسكات ذلك الصوت، ولذا فإن الساحة الإيرانية كانت مشدودة الأعصاب «حوزويا» إلى الحاضنة النجفية «حاضنة الرمزين».

سادساً: وعليه بقدر ما كانت الأحداث في الساحتين ساخنة، والعمل الإسلامي في حالة من التوتر، فإن هذا التوتر المتعاكس الاتجاه سيحدد مصير «الحوزتين» و«البلدين».

سابعاً: وما كان مشتركاً ضاغطاً و«مصيرياً» في تلك اللحظة وامتداداتها الزمنية، تمثل بمشترك الأنظمة السياسية، التي حكمت كلا البلدين إيران والعراق.. ومحاولة توظيفهما ـــ «الحوزتين» ـــ في صراع متواصل سياسي و«حدودي». سينقل ذهن

---

(١) راجع حول هذه الحوارات كتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، وكتابنا «عراق بلا قيادة».

المحلل والراصد الدقيق لمسار «الحوزة» بعد انهيار الكيانية الإسلامية ــ الدولة العثمانية ــ وبدء التوظيف الأصل لـــ «الحوزتين» في كلا البلدين، وفي ظل تحول موازين القوى الدولية آنذاك، وتقسيم المنطقة «دينيا» إلى دول قطرية مستقلة. وهذا ما تطرقنا له في كتابنا «عراق بلا قيادة» في فصله الأول، الذي أسهبنا فيه بمناقشة استحقاقات هذا التوظيف على العراق بشكل خاص، وبداية محنة «الحوزة» العراقية وعلاقتها بالدولة الحديثة، التي تأسست آنذاك، حيث مثلت هذه البداية، الأصل التأسيسي لمقولة «التوظيف» التي ستكون التوظيفات اللاحقة كلها بسببه، وفيما أن بداية تأسيس دولة العراق الحديث تلازمت مع هذا التوظيف الأصل، فإن المنعطف التوظيفي الأخطر الآخر، الذي شهدته هذه الدولة، تمثل بما أسميناه اجتماع «الرمزين» ــ الخميني والحكيم ــ في النجف الأشرف، ولذا فإن مرحلة محسن الحكيم وقناعاته المضادة بالتمام لقناعات الإمام الخميني كمحطة توظيف في مسار هذه الدولة، ستنعكس بتداعياتها اللاحقة على مصير «الحوزتين» و«البلدين» معا. فقد كان ممكنا للمرء، أن يتصور سيناريوهات أخرى غير تلك التي حصلت لو أن ــ الحكيم الأب ــ استجاب لدعوات الإمام الخميني!! وأن يتصور في ظل «وحدة رأي الرمزين»، ليس عراق وإيران فقط، بما يغاير واقعهما الحالي، بل أن يتصور وجها آخرا لهذا العالم، إلا أن الحكيم على أية حال لم يستجب لدعوات الإمام الخميني الثورية، وحصل ما حصل لتفلت في ما بعد إيران من قبضة «الحوزة» التقليدية، وتتحول فيها «الحوزة» الثورية إلى مفجر أكبر ثورة في تاريخ العالم الإسلامي، وثم تأسيس دولة بقيادة «حوزوية» هي الأولى من نوعها في هذا التاريخ، هزت النظام الدولي السائد آنذاك من جذوره، والمثير في ظل هذه الافتراقات المدمرة لمسار «الحوزتين»، هو ما سيؤول إليه مستقبل العراق، الذي ستبقى «حوزته»، مشروعا سهلا لأكبر عدد من توظيفات السلطة، حتى تصل الأمور إلى ما يمكن أن نطلق عليه ذروتي مسارها، بدءاً بتأسيس الدولة العراقية، وانتهاءً بانهيارها. فهي في لحظة التأسيس مارست أسلوب القطيعة السلبي مع «المحتل الانكليزي»، وفي لحظة الانهيار رمت بذاتها كلياً في حضن «المحتل الأميركي»، وما بين هذين الذروتين، أبيد روادها الشرفاء والثوريين نفسياً ومعنوياً وجسدياً، وأبيدت امتداداتهم المجتمعية البشرية «النبوية» بقسوة لا نظير

لها، أحضرت قسوة هذا التاريخ كله في لحظة العراق الحالية، ورمزت لكل معاناة «الأنبياء العراقيين ـــ الولادة ــ»، على أرض العراق عبر التاريخ البشري بدءاً بآدم (ع) وانتهاءً بمحمد الجزيري المولد (ص)، الذي نقله علي ابن أبي طالب (ع) جدلاً دينياً عراقياً ليلحقه بحاضنة ذريته وآبائه الجغرافية من الأنبياء «العراقيين ـــ الولادة ــ» (ع)، حيث حاضنة البداية الآدمية، وحاضنة الخاتمة الكونية. وعودة إلى ما يتوسط الذروتين أيضاً، لمسار «الحوزة» العراقية في بداية دولة العراق الحديث وانهيارها على يد المحتل الأميركي كانت محطة التقاء الرمزين «الخميني ـــ الحكيم»، هي المحطة الأكثر دويا وخطراً في هذا المسار.

ثامناً: وسيتحدد «مصير» العراق في نجاح المنهج الخميني، نجاحاً هائلاً وكبيراً، لم يقف عند حدود «الحوزتين» ولا البلدين فحسب، بل تعداهما إلى العالم كله، ولزمن مفتوح لانزال نعيش نتائجه واندفاعاته اللامتوقفة حتى هذه اللحظة.

تاسعا: وفي ظل استحقاقات ذلك النجاح دون التحاق الحكيم، ستوضع «حوزة» النجف تحت الاستهداف الدولي بشكل أقسى من السابق، وستوضع تحت استحقاقات السلطة المحلية بشكل لا نظير له، وسيدفع الخط «الحوزوي» الثوري الثمن كبيراً ومدمراً، بما يقضي عليه في نهاية المطاف، بصورة شبه مطلقة، وسيكون الرامز الأكبر لهذا الثمن الشهيد محمد باقر الصدر، والتباسات ملفه المؤلمة «المسحوقة» بين «الحوزتين».

نقول: إن هنالك من أطل على ما يشبه الرؤية المقارنة بين «الحوزتين» النجفية والقمية انطلاقاً من هذه اللحظة، التي وحدت الرمزين في المكان النجفي، وخاضت في حواراتهما وصراعاتهما وافتراقهما ومناهجهما الثورية و«الإصلاحية» المحدودة، والتفصيلات كلها، التي شهدتها فترة تعايشهما في «الحوزة» النجفية، ولكن انطلاقاً من قاعدة صراع الأنظمة الحاكمة في كل من إيران والعراق.. وهي إطلالة من قراءة مقارنة مؤسسة على هذه اللحظة، وهذا الثابت ـــ ثابت صراع الأنظمة ـــ عكس جهداً كبيراً، وتصدى له ، أحد الكتاب اللبنانيين بكفاءة نسبية وصراحة وشجاعة، وبالتالي فإن جهد هذا الكاتب، ولو أنه جاء في سياق جهد موسوعي أكبر عن الشهيد محمد باقر الصدر «٥ مجلدات»، فإنه قد لا يأتي من تلك المقارنة ذاتها بين «الحوزتين»، القمية

والنجفية، لأنها قراءة صفحات ضمنية، إنما يأتي من تصديه لعمل كبير عن الشهيد الصدر الأول، لم يقدمه أبناء بلده ــ العراق ــ في الكتابة عنه، وإعطائه حقه، كما فعل هذا الكاتب اللبناني.. بغض النظر عن صحة أو عدم صحة بعض الاستنتاجات، وبغض النظر عن ثقل منتجه المعرفي إذا ما كان فكرياً أو تاريخياً... المهم أن الروح النقدية كانت واضحة في منتجه المعرفي، والمهم أيضاً أن صاحب المنتج كان يصبو إلى تدوين الحقيقة بغض النظر عما إذا وصل إليها كاملة، أو منقوصة. كما أن منتجه الموسوعي عن الشهيد الأول هو من الضخامة والسعة والشمولية، بما يمكن أن يؤخذ على الباحثين الاسلاميين العراقيين ــ الذين راح معظمهم يحلق في عوالم «معرفية» وإنتاجات «فكرية» تغرد خارج سرب الوطن، ورامزه الصدر الأول، كما رامزه الآخر، الصدر الثاني، ــ وعليه فإن صاحب هذا الجهد المعرفي «احمد عبد الله أبو زيد العاملي» نطق باسم وطننا نيابة عنا!! هذه هي المفارقة الأساسية، أما في ما يرتبط بالمقارنة الضمنية على أحد محاور «الحوزتين» القمية والنجفية، فإن هذا الباحث بقدر ما أشبعها بهامش مطول «عدد من الصفحات» في مجلد من مجلداته الخمسة، وهو المجلد الثاني لكتابه «محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة».

"حوزة" قم .. "حوزة" النجف
الصراع السياسي بين ايران والعراق

إن إشباع هذا الكاتب لهذا المحور وفر علينا جهداً بحثياً، وسنضطر إلى إدراج فقراته المطولة.. وأعتقد أن عليه أن يتقبل بعض ملاحظاتنا حولها وتكميل الجوانب الناقصة في بحثه. يقول الباحث في هذا الإطار ما يلي:

«ومن هذا المنطلق أرى من اللازم تقديم تصور أوسع حول الجو السياسي

للمنطقة. والذي من شأنه تفسير الكثير من المواقف. وقبل كل شيء أشير إلى أنني لا اقصد بكلامي إصدار أحكام عامة وكلية، فحتى عندما تأتي العبارة على نحو (أصحاب فلان) مثلاً، فمرادي بعضهم أو الجو المحيط به أو المحسوب عليه. كما أني لا اشمل بكلامي شخص السيد الخميني وشخص السيد الحكيم.

أما أصل الموضوع، فالحقيقة أن هناك عاملين رئيسيين لعبا دوراً بارزاً في صيغ علاقة كل طرف بالآخر:

العامل الأول: هو العامل الدولي. حيث تختلف الفرق والمجموعات التي نحن بصدد الحديث عنها حول تحديد العدو الأول الذي يهدد الكيان الديني. فمن ناحية، كانت حركة السيد الخميني ترى بأن الخطر الأول على المنطقة يتمثل في أميركا، بينما اتجه الجو النجفي إلى إعلان النظام الشيوعي عدوه الأول. ولم يكن في وارد استعداء أميركا في ذلك الوقت.

العامل الثاني: وهو عبارة عن عامل إقليمي أضيق دائرة ومتأثرة بالعامل السابق، وقد حكم هذا العامل علاقة البلدين الجارين إيران والعراق حتى سنة ١٩٧٥م، سنة توقيع معاهدة الجزائر الحدودية بين البلدين، والتي أدت إلى تغيير الوجهة العامة لسياسة البلدين اتجاه الحوزات العلمية»[١]. ويضيف الكاتب قائلاً:

«دور الموقف من الرأسمالية والماركسية: ولنبدأ بالعامل الدولي وتعامل كل طرف معه: فقد كان موقف السيد الخميني واضحاً كل الوضوح في أن العدو الأول للمنطقة هو النظام الأميركي، وكان تواطؤ الشاه مع هذا النظام شكل دافعاً رئيسياً في شن السيد الخميني هجومه على نظام الشاه وفي خلافه معه. بينما لا نجد هذا التباين عند أصحاب السيد الحكيم أو القريبين منه على الأقل، ولذلك سيأتيك ضمن أحداث سنة

---

(١) احمد عبد الله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، ص ٤٦، ج٢، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٣٨٩هـ أن السيد مهدي الحكيم أوصل إلى السيد الصدر عرضاً قدمه الأميركيون لتسهيل وصولهم ــ إي إسلاميي العراق بحسب الظاهر ــ إلى سدة الحكم، فرفض السيد الصدر ذلك قائلاً (وأي حكم هذا؟ إسلام أميركي؟) وهذا يكشف عن وجود جو مسبق لدى متلقّي العرض يسمح للاميركان ان يعرضوا عليه خدمة من هذا القبيل.

وفي هذه الضفة، أكاد أطمئن إلى أن أصحاب السيد الخميني كانوا يحسبون أصحاب السيد الحكيم على الاتجاه الأميركي، أو المتناغم معه على الأقل. ومع أن السيد الصدر كان في ما يتعلق بهذه النقطة يلتقي مع السيد الخميني ومشروعه، ولذلك ــ وإضافة إلى استنكاره الإسلام الأميركي ــ فقد كتب إلى الشيخ محمد جواد مغنية قبل ورود السيد الخميني إلى النجف: (وأما بالنسبة إلى إيران فلا يزال الوضع كما كان، وآقاي خميني مبعد في تركيا من قبل عملاء أميركا في إيران، وقد استطاع آقاي خميني هذه المرة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر لأن خوض معركة ضد إعطاء امتيازات جديدة للاميركان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخر (انظر أحداث سنة ١٣٨٤ هـ).

ولكن هذا لم يكن ليخرج السيد الصدر في حسابات بعض أصحاب السيد الخميني عن اتجاه بعض أصحاب السيد الحكيم. ولذلك ينقل أن الشيخ محمد منتظري كان ينسب إلى السيد الصدر ميوله الأميركية (مضمون كلامه ليس منضبطا) في مقابل الشيوعيين، مستشهدا على ذلك بكتاب (اقتصادنا) و(فلسفتنا)، حيث كرس السيد الصدر جهوده لنقض الماركسية، بينما لم تلق الرأسمالية اهتماما مماثلا منه، هذا في الوقت الذي يصرح فيه السيد الصدر في (فلسفتنا) بأن الرأسمالية لا تملك نظاما فكريا على غرار الماركسية لكي يتم تناوله بالنقض المفصل. وأضف إلى ذلك موقف السيد حميد زيارتي (روحاني) من السيد الصدر واتهامه إياه بالعمالة، و بأن ما مارسه السيد الصدر ــ بحسب الدعوى ــ للضغط على السيد الحكيم والسيد الخوئي من أجل الإفتاء بطهارة أهل الكتاب عبارة عن مطلب امبريالي (انظر أحداث سنة ١٣٩٠ هـ)»[١].

---

(١) المصدر نفسه.

ويواصل الكاتب كلامه قائلا:

«هذا في ما يتعلق بنظرة أصحاب السيد الخميني إلى أصحاب السيد الحكيم. اما العكس، فإن الجو النجفي كان يشاهد ضمن الجمهور المؤيد للسيد الخميني مختلف الأطياف المعادية للشاه، حتى الشيوعيين، وكان الكثير ممن يرد على السيد الخميني من حليقي اللحى وغير المتدينين. وهذا جعل أصحاب السيد الحكيم يتهمون الطرف المقابل بالتناغم مع الشيوعيين عدو النجف الأول. وقد انعكست هذه النظرة على أصحاب السيد الصدر أيضاً، ولذلك تردد بعضهم في تأييد حركة السيد الخميني سنة ١٣٩٩ هـ). وخلاصة الكلام في العامل الأول، هو أن أصحاب السيد الخميني يحسبون الجو النجفي أو أصحاب السيد الحكيم على الاتجاه المتناغم ـ أو غير الرافض على تقدير آخر ـ مع أميركا، بينما حسب الخمينيون على الاتجاه الذي يتقبل الشيوعيين على الأقل»[1].

إن الكاتب هنا لم يتوقف عند إشكاليات موقف محسن الحكيم الحقيقي المعلن من الشيوعية في العراق... فهذا الموقف المعلن له دور في تحديد اتجاه بوصلة «مشروعه»... فهو أوحى بأن بداية العمل الإسلامي في العراق هو باتجاه مواجهة المد الماركسي، إلا أن هذا الإيحاء لم يجسد سلوكا «مرجعيا» علنيا ميدانيا ولا خطابيا في مواجهة المد الماركسي، حتى اللحظة، التي أطلق فيها مقولته الشهيرة، «الشيوعية كفر والحاد» وهي مقولة ذات التباسات كبيرة في توقيتها، وهذا ما عالجناه في كتابنا «محمد باقر الصدر.. بين دكتاتوريتين».. حيث أوردنا فيه حول توقيت الفتوى، ما يلي: «جاء خطاب عبد الكريم قاسم، الذي يهاجم فيه الشيوعيين في خطابه المعروف في كنيسة مار يوسف في الشهر الخامس من العام ١٩٥٩م. وقد أدى هذا الخطاب إلى حصول اختلال واضح في موازين القوى بين التيارات السياسية الاجتماعية في العراق آنذاك ضد الشيوعيين ولصالح الإسلاميين. فبعد الاختلال وبعد أكثر من سبعة أشهر من خطاب قاسم المذكور، صدرت فتوى آية الله السيد محسن الحكيم، التي تعتبر

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(الشيوعية كفر وإلحاد). ومن خلال ما يتقدم كله، تتكرس مفارقة ثانية أو ما أسميناه الجانب الآخر لإشكالية التوقيت، فإذا كان الجانب الأول تمثل بالخط العام، الذي جعل من الفتوى عملاً متأخراً بالنسبة لرموز الإصلاح الأخرى، التي مارست خطابا حركيا ـ إصلاحياً ـ سياسيا إزاء الشيوعيين، فإن الجانب الثاني تمثل في كون الفتوى لم تأت حتى في ذروة المواجهة مع الشيوعيين»[1].

«كما لم تأت إلا بعد أن ضُرب الشيوعيون من قبل عبد الكريم قاسم. وبالتالي فإنها ـ أي الفتوى ـ لم تصدر في ذروة النفوذ الشيوعي وذروة تحالفه مع قاسم، ولم تصدر إلا بعدما أصبحوا في موقع أضعف من موقعهم السياسي السابق داخل البلاد.

هذا التوقيت بجانبيه الذين مرا، جعل الفتوى خطوة مقطوعة عن أية مقدمات نظرية في المواجهة على أقل تقدير، ففي الجانب العملي يمكن القول إن بعض مؤسسات المرجعية العليا أو المؤسسات العاملة بتأييدها قد مارست نشاطا واضحا ضد الشيوعية»[2].

«إلا أنه على صعيد آية الله السيد محسن الحكيم، جاءت الفتوى دون مقدمات خطابية أو نصوص نظرية يمكن أن تسحب عنصر المفاجأة في التوقيت، وأن تعطيها تواصلية أو أن تجعلها تتويجا لهذه التواصلية.. والخلفيات التي يمكن أن تغذيها بهذه التواصلية لم تأت كما أشرنا من الحكيم كمرجع، فغير نص فتواه ضد الشيوعيين، لم تكن له نصوص مسبقة نظرية في هذا الإطار.. إن خلفيات هذه التواصلية تعود إلى مؤسسات حركية وعلمائية أخرى لم تصطدم مع الحكيم، بل كان بعضها يعمل برضاه وإشرافه.. وعلى هذا الأساس فإن جهود الشهيد الصدر الأول في هذا المضمار يمكن أن يسحبها بعضهم في هذا الاتجاه، وأن يدخلها في حيز الخلفيات التي تأسس عليها توقيت الفتوى.. وهذا الاعتبار حتى على فرض أنه يصح في القراءة المرحلية للفتوى، إلا أنه لا يصح في قراءتها بعد مرور أكثر من أربعين عاما على إصدارها، لأن

---

(١) عادل رؤوف، (محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين)، ص ٢٦٣، مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

مشروع الصدر الأول سار في ما بعد سيرا منفردا.. وراكم ذاته بعد وفاة آية الله الحكيم، وقاد المواجهة المفتوحة مع السلطة الحاكمة في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. واجتاز مرحلة العطاء (المشتت) الذي جاء بعد خروجه من قيادة حزب الدعوة على أثر أمر من آية الله السيد محسن الحكيم بعد قصة حسين الصافي المشهورة»[1].

«إذن ومن خلال انقطاع الفتوى عن أية جذور أو مقدمات نظرية في إطار المواجهة مع الشيوعيين ربطت بعض الآراء إصدار الفتوى بالخارج وبالتحديد بمعطيات سياسية إقليمية جديدة أريد لها أن تنعكس داخل الساحة العراقية وفي مواجهة حكم عبد الكريم قاسم، الذي اتفق الجميع آنذاك على محاربته، عبد الناصر من جهة وشاه إيران من جهة ثانية، وبريطانيا من جهة ثالثة. وقوى دولية وإقليمية أخرى اصطفت معهم من جهة رابعة، ولأن علاقة الحكيم مع شاه إيران كانت جيدة وجد هذا الرابط مسوغة في تفسير فجائية الفتوى وانقطاعها عن أية جذور أو مقدمات»[2]. على أية حال ينتقل الكاتب إلى العامل الاقليمي وملابساته قائلا: «أما في ما يتعلق بالعامل الثاني الذي أشرنا إلى شدة تأثره بالعامل الأول، وهو العامل الإقليمي بحسب اصطلاحنا: فقد تقدم ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ تحت عنوان (الموقف من اعتراف الشاه بإسرائيل) كيف أن السيد مرتضى العسكري عندما تحرك من أجل ارسال برقية إدانة لشاه إيران حول اعترافه بإسرائيل اتهم بأنه ناصري الهوى ـ نسبة إلى جمال عبد الناصر ـ وأن ذلك هو الذي حمله على إدانة الشاه، كما تقدم الحديث عن الضغوط التي تعرض لها السيد الصدر إثر نشر (الأضواء) مقالا تنتقد فيه خطوة إيران. وهذا من شأنه أن يوضح الصورة شيئا ما حول نظرة الوسط النجفي إلى نظام الشاه الذي لم يكن مرفوضا ذلك الرفض، إن لم نقل إنه كان مقبولا، إذ كان الجو النجفي عموما ـ أو قسم معتد به على الأقل ـ ينظر إلى دولة الشاه على أنها دولة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

الشيعة الوحيدة في العالم، وأن أية محاولة لإسقاطها ستؤدي إلى انهيار دولتهم الوحيدة، الأمر الذي يعد بالنسبة لهم خسارة كبيرة، ولهذا تجد أن السيد محمد الروحاني عندما عنف السيد الصدر على ما نشرته (الأضواء) استند إلى ان دولة الشاه هي (دولة الإمام الصادق (ع)). وقد اجتمع نظام الشاه مع حوزة النجف لا إراديا في صف واحد ضد الشيوعيين، عدوهما المشترك. وهذه الأجواء كرست نوعا من الالتقاء بين الشاه وحوزة النجف، انعكست على علاقتهما. وقد تقدم ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ تحت عنوان (وفاة السيد البروجردي) ترجمة البرقية التي ارسلها السيد الحكيم إلى الشاه، ويمكن أن تلاحظ فيها طبيعة الخلاف»[١].

وإزاء هذا النص لا نريد أن نتوقف عند عبارته «وقد اجتمع نظام الشاه مع حوزة النجف لا إراديا في صف واحد ضد الشيوعيين، عدوهما المشترك»، إذ سنعود إلى التعليق على هذه العبارة لاحقا، لكن نقول هنا في هذا الإطار إنه كان من المفروض على الكاتب أن يتوسع بدور مرتضى العسكري. و«وبرقيته المدينة لشاه إيران حول اعترافه بإسرائيل» وقد اكتفى الكاتب بالإشارة الضمنية المبثوثة في سياق النص، بأن هذه الفتوى لا تقع في إطار مواجهة شاه إيران، والفتوى لا تعدو أن تكون إحدى الإجراءات «المركزية» لرجالات دولية وإقليمية، وكان من المفروض أن يلاحق الكاتب ملف مرتضى العسكري في فقراته تلك، لاسيما عندما تحول إلى حليف علني لشاه إيران في ما بعد، وهذا ما تطرقنا له في كتابنا «عراق بلا قيادة» الذي جاء فيه:

«أن الاتجاه الفكري الذي ساد في العمل الإسلامي في العراق، الذي يرعاه العسكري كان فكر التشيع الصفوي بكل ما يحمل من تقليدية وطقوسية وخرافية ومداليل سياسية، وانعطافة بارزة عن التشيع الأصيل، الذي يسميه علي شريعتي بالتشيع العلوي، الذي يفترض فيه حرية التفكير والاتجاه الوحدوي والمضمون الثوري

---

(١) احمد عبدالله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لحياة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، ص ٤٧، ج٢، مصدر سابق.

والنقدي العقلي، لا المضمون الوراثي ــ الأخذي ــ يفترض فيه الدين الواعي الناتج عن البحث الحر والتفكير الحر والتحرر من القيود التاريخية، التي قيدت هذه الحرية في البحث والتنقيب والتفكير.

لا نقول ان العمل الإسلامي كله في العراق، اخذ هذا المنحى، بل هو تأثر به بمقدار ما أثر (قائد) مثل العسكري في هذا العمل باتجاهيه المرجعي والحركي، وحتى لا نضطر إلى الخوض في تاريخ العسكري داخل العراق من جهة، واتجاهه الفكري ــ الشيعي أو بعبارة أدق البحثي ــ الشيعي، نترك الكلام هنا للدكتور علي شريعتي، الذي دخل مواجهة علنية مع العسكري مضطراً وليس مختاراً، أي بعد أن وجد نفسه وتياره مستهدفا برؤية العسكري للتشيع بعد تسفيره من العراق لإيران، وبعدما حارب فيه الباحث الاجتماعي الدكتور علي الوردي، الذي لم يكن مصنفا على الإسلاميين، إلا أنه مارس الخطاب النقدي إزاءهم، وبعد أن اصطف آنذاك في إيران إلى جانب السلطة باحثاً لنفسه عن دور في المخاض الإيراني، الذي كان شريعتي زعيمه التوعوي الأساسي، وبعد أن تعود على أداء الأدوار المهمة في الساحة العراقية، ففي العراق لم يكن هناك آنذاك شريعتي المثقف الديني المستقل، لكي يستهدفه العسكري ويقذفه بتهم الانحراف عن الدين، فتوجه نحو الوردي، ولم يكن الدعاة، الذين سيدفعون الثمن هم وزعيمهم الصدر الأول (المعزول) بصدد مواجهة (الرموز) الكبار أو الصغار.. كان همهم أن لا يتوقف الحزب بعد انسحاب الصدر الأول»[1].

«وعندما رحل العسكري إلى ايران كان شريعتي يؤسس لتياره بصورة عنيدة وسط ضغوط السلطة من جهة، وضغوط بعض أقطاب المؤسسة من جهة أخرى فاختار العسكري أن يصطف مع هؤلاء الأقطاب، لأنه وجد في فكر شريعتي ما يخالف اتجاهاته السياسية، وفهمه للتشيع، قلنا نترك الكلام لشريعتي، الذي يقول عن العسكري، ما يلي: (ان المسافة بين وجهي التشيع العلوي والتشيع الصفوي هي عين

---

(١) عادل رؤوف، (عراق بلا قيادة)، ص ١٦٢، مصدر سابق.

المسافة بين الجمال المطلق والقبح المطلق، وسوف أورد هنا مثالاً حسياً بسند صحيح وبخط واضح من أبرز الوجوه العلمائية المتخصصة في التشيع الصفوي، وهو العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري، وذلك بهدف إطلاع كل من يتلهف للحقيقة من طلاب مدرسة الإمام الصادق ويتعطش للارتواء من زلال التشيع العلوي من أبناء الطبقة المستنيرة المتعطشين للإيمان الحقيقي والباحثين عن سر الانحطاط الذي أودى بفكر المجتمع وحضارته، ولتمكين هؤلاء من الفرز والتمييز الدقيق بين نوعين متضادين من التشيع كل منهما يحمل وجها يختلف عن الآخر اختلافاً جوهرياً، وله منطق خاص به يميزه عن الآخر بشكل واضح ومحدد، والسبب لاختياري هذه العينة بالذات لتكون مصداقاً أوضح لمنطق التشيع الصفوي هو أن صاحبها يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية المتخصصة لهذه الفرقة، وثانياً أنه شخصية معاصرة وبالتالي يعكس واقع علماء العصر الصفوي بلحاظ مدى التطابق والتشابه بين أوضاع المجتمع الإيراني المسلم هذه الأيام وأوضاعه في أيام الصفويين مما يعطي انطباعا عن الدور الذي لعبه التشيع الصفوي واقطابه، وذلك لمن يريد أن يبحث القضية تاريخياً واجتماعياً، وثالثاً أن هذه العينة يدور الحديث فيها حول واحد من أهم أصول التشيع وهو إدانة الخلفاء الغاصبين لحق علي في خلافة النبي، ورابعاً أن هذه المسألة مكتوبة بخط يد السيد العسكري مما يمنحها قيمة علمية من حيث السند)...»[1]. ولا نريد هنا أن نتوسع في دور العسكري الأخطر في العراق قبل رحيله إلى إيران، اذ ان لهذا مجاله الخاص في مبحث آخر، على أية حال يواصل الكاتب ــ العاملي ــ كلامه حول الصراع بين النظامين العراقي والإيراني بما ينعكس على «الحوزتين» قائلاً:

«ومن ناحية أخرى فقد شهد العراق وإيران توتراً سياسياً وحدودياً حكم علاقة البلدين حتى سنة ١٩٧٥م. سنة توقيع معاهدة الجزائر. وإلى ما قبل هذا التاريخ، كان كل طرف يبذل المستحيل من أجل استنزاف الطرف الآخر، وكانت الحوزتان في قم والنجف وسيلة لكل نظام للضغط على الآخر. ومن هنا تجد أن الشاه كان يعطي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٢ ــ ١٦٣.

للحوزة النجفية المناوئة للنظام العراقي امتيازات لم يعط عشرها للحوزة القمية، وكذلك فعل النظام العراقي على ما سيظهر لك.

واللطيف أن كل حوزة كانت تتهم الأخرى بالعمالة للنظام الذي تجثم الأولى على أراضيه، وذلك بسبب الامتيازات التي تمتع بها كل منهما ومن الواضح لدي أن لا مجال للحديث عن العمالة بمعناها المعطى لها، وإنما اللعبة السياسية اقتضت أن يستفيد كل نظام من حوزة الآخر بشكل من الأشكال. ولذلك تجد أن قوانين اللعبة تغيرت بعد معاهدة الجزائر، وصار كل طرف ملزم اتجاه الآخر بتعهدات، وهذا ما دفع النظام العراقي إلى عدم السماح للسيد الخميني بالبقاء في النجف، فسافر إلى فرنسا»[1].

هنا لم يتوقف الكاتب بصورة دقيقة على درجة دعم كل نظام من النظامين الإيراني والعراقي لـــ «الحوزتين» إذ إن عطاء شاه إيران آنذاك لـــ «حوزة» النجف لا يقابله عطاء مماثل للنظام العراقي لـــ «حوزة» قم، هذا اولاً، وثانياً فإن هذا النظام الأخير لم يدعم «حوزة قم» المقيمة في «حوزة النجف» آنذاك بمقدار ما أعطى شاه إيران في المرحلة ذاتها لـــ «حوزة» النجف، ولم يدعم الإمام الخميني وجماعته بالمال، كما لم ينجح في تطويعه حسب ما يريد، ثم إن ما قدمه كله من دعم يرتبط بمسائل الإقامة، وأمور تفصيله أخرى لم تحل دون مواجهة الخميني لتوظيف النظام له.

وفي نقطة أخرى كان مفروضاً للكاتب وهو يقارن واقع «الحوزتين» في تلك المرحلة على أساس «تبادل الأدوار» بين إيران والعراق لملف «الحوزتين» و«المرجعية» الدينية أن يشير إلى خلفيات هذا التداخل، كتمهيد للمرحلة التي خاض فيها، حيث أن «التفاهم» بين الأنظمة العراقية والإيرانية لتبادل الأدوار هذا يرتكز على تاريخ يبدأ مع تاريخ دولة العراق المعاصر، التي انهارت بعد احتلال أميركا للعراق، وهذا هو الآخر كنا قد تطرقنا له في كتابنا «عراق بلا قيادة» في الفصل الأول منه،

---

(١) احمد عبدالله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، ص٤٧، ج٢، مصدر سابق.

وهو تبادل أدوار جاء على حساب العراق، ولصالح إيران، فقد جاء في الكتاب، ما يلي:

«منذ تلك اللحظة بات المرجع اللاعربي الذي لا يتدخل في السياسة هو المطلوب من قبل الحكومة، لأنه استطاع أن يوجد الحل لها، فيما المرجع العربي الذي يؤمن بالسياسة هو المستهدف من هذه الحكومة لأن هاجس الخالصي الكبير ـ الوطني العنيد ـ بقي في العقل الباطني لها، فيما هو بالضرورة سيكون منافساً للزعامات الخضوعية للسلطة.

والغريب أن (إيرانية المرجع) الأعلى التي أفرزت هكذا واقع والتي وضحت أن المرجع الإيراني سيبقى دائماً مقيداً أمام السلطة العراقية ومهدداً بالتسفير.. الغريب أن هذه القضية أهملت في الوعي العراقي العام، ولم يصر إلى محاولة تصحيحها في أي من الفترات اللاحقة ولم تتحول إلى ثقافة تاريخية في العقل العراقي العام أو العقل الحركي، إذ بعد مرور ما يقارب السبعين عاماً يتجه العراقيون إلى المرجع الأعلى الإيراني (السيد الخوئي) لتخليصهم من السلطة، ولم يضعوا في حساباتهم هذه القيود التاريخية المرتبطة بإيرانية المرجع أو أفغانيته أو تركيته والفارضة عدم تدخله بالسياسة إلا بالشكل الخضوعي للسلطة.

وفيما أن هذه المعادلة تحكمت إلى حد ما بإدارة العمل الإسلامي في العراق من قبل السلطة وتحولت إلى ورقة وأداة خطيرة بيدها، لم يخضع العمل الإسلامي في إيران إلى هكذا معادلة، الأمر الذي أضعف من مناورات السلطة الإيرانية إزاءه ودفع بها إلى التفتيش عن أوراق أخرى حتى اضطرت في فترة من الفترات أن تستعين بالعراق كورقة أو أداة ضاغطة بوجه العمل الإسلامي في إيران»[1].

«وبهذا تكون الورقة الأولى ورقة المرجعية الإيرانية في العراق جرت وبالا آخرا عليه، وهو وبال اللجوء إلى هذه المرجعية وتعزيزها وتدعيمها على أنها المرجعية الأصل كلما دعت ظروف السلطة الإيرانية الداخلية إلى ذلك.

---

(١) عادل رؤوف، (عراق بلا قيادة)، ص ٥٠، مصدر سابق.

وبهذه ننتهي إلى نتيجة قاسية أخرى من نتائج هذا الواقع، وهي ان المرجعية الإيرانية في العراق ليست مطلوبة من السلطة العراقية فقط، وإنما من السلطة الإيرانية أيضاً في كثير من الأوقات، الأمر الذي أعطى هذه المرجعية غالباً (حصانة) السلطتين العراقية والإيرانية، لأنها ــ حسب ما سيتضح لاحقا ــ مرجعية خضوعية للسلطة، لا تتدخل في السياسة، فاستمدت قوتها في العراق من هذه (الحصانة) وباتت قادرة على أن تدحر الخط التجديدي داخل المؤسسة الدينية على خلاف ما حصل في إيران ــ كما سنأتي على تفصيلات ذلك أيضاً ــ.

وهذا التداخل على الأرض وفي النتائج حدا بنا إلى أن نقرأ مسار العمل الإسلامي في العراق على ضوء تجربة العمل الإسلامي في إيران، إذ إن هذه القراءة يسوغها التداخل المذكور بشكل كبير»[1].

ويواصل الكاتب: «هذا في ما يتعلق بموازين اللعبة السياسية، والتي يقف إلى جانبها طبيعة كل طرف في رؤيته وأيديولوجيته. وعندما تقرر انتقال السيد الخميني إلى العراق دار الحديث عن الحوزة ــ كما تقدم ــ حول المكان المناسب الذي يمكن أن يستقر فيه، وأنه كان هناك كلام حول أن استقراره في كربلاء أفضل لسببين: أحدهما ابتعاده عن الاحتكاك بالنجف نتيجة انتمائه إلى جو فكري مغاير. كما تعرضنا

(١) المصدر نفسه، ص٥٠ ــ ٥١، إننا بالتأكيد لا نعني في ما تقدم بــ «إيرانية أو أفغانية أو تركية المرجعية» هو العودة إلى أصولها الانتمائية لهذه البلدان، حتى ولو كان تاريخ مجيئ عوائلها الى العراق قبل ٤٠٠ او ٣٠٠ او ٢٠٠ عام مثلا.. قطعا إننا لا نعني ذلك بقدر ما نعني بــ «المرجع العربي» هو الذي يتحدث العربية بطلاقة، ويتصدى للشأن السياسي والاجتماعي العراقي العام، ويحسب على الخط التجديدي ــ الثوري، فمثل هذه «المرجعيات» لا يمكن رميها على أصول عوائلها القادمة إلى العراق منذ فترات بعيدة، ولا يمكن اعتبارها «مراجع» غير عراقية، وغير عربية، وإلا وفق أي اعتبار آخر سندخل في إطار «العنصريات» المرفوضة إسلاميا، وسندخل في جدل عقيم، حيث أن ما وصفناه بــ «الخالصي العربي العنيد» بالإمكان توصيفه من قبل البعض على أن أسرته هي الأخرى «إيرانية الأصل»، ويرتكز هذا البعض على وثائق خطية مثلا في إثبات ذلك.. إن هذا الاعتبار مرفوض قطعا، ولا يمكن العودة بأصول الناس «الوطنية» إلى ما قبل مئات السنين.

في أحداث هذه السنة إلى بعض المواقف المتعلقة بحوزة النجف وبالسيد الخميني، ويظهر منها بوضوح شبه التباين الموجود بينهما.

فإنه مما لا شك فيه أن السيد الخميني كان ينظر إلى الشاه بوصفه العدو الأول في المنطقة واليد الرسمية لأميركا، وكان مصرا على ضرورة قطع هذه اليد والإطاحة بنظامه في المرحلة الأولى. وفي المقابل لم تكن حوزة النجف الأشرف تنتمي إلى اتجاه يدفعها إلى الاطاحة بنظام ما مهما بلغ اعتقادها بخطورته، ومهما كانت الفرصة مؤاتية لها لإنجاز عمل من هذا القبيل. ولهذا اتهمت المرجعية النجفية بأنها فوتت على نفسها فرصة ذهبية لاستلام السلطة في أيام عبد السلام عارف، وأن كان هذا لا يعني أنها لم تتحسس مدى خطورة السلطة، خاصة في أيام البعثيين. ويقف إلى جانب ذلك اعتقادها بأن الشيوعية هي الخطر الأكبر على المنطقة لا أميركا، ولهذا ليس غريبا تصور نوع من الالتقاء في المصالح بين النجف وشاه إيران، يد أميركا الرسمية في المنطقة. وربما كرس جو التباين وعدم الالتقاء بين حركة السيد الخميني وحوزة النجف تخوف الجو النجفي من بساطة القدرات التي يمتلكها السيد الخميني في مقابل نظام الشاه، فقد كان هناك تخوف من فشله في استلام أمور البلاد، الأمر الذي سيعرض إيران إلى السقوط بيد النظام الشيوعي السائد في الاتحاد السوفيتي السابق. وهو الجار القريب لإيران الأمر الذي سيجعل النظام الشيوعي جارا للبلاد العربية عموما وحوزة النجف خصوصاً»[1].

إن ما يمكن أن يقال هنا، هو أن «حوزة» النجف كانت مخاوفها مضخمة وفق الصيغة، التي أوردها الكاتب، فهي «حوزة أقرب إلى الأمية» في المسائل السياسية، وفي تحليل المعادلات السياسية الدولية وتعقيداتها، وجل ما كانت تفكر فيه هو علاقتها بشاه إيران وعدم «أغاضته» وتنفيذ ما هو مطلوب منها باستثناء الشهيد الصدر الأول

(١) احمد عبد الله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لحياة الشهيد الصدر من الولادة)، مصدر سابق.

ورموز «مرجعية» أخرى محاربة من «مرجعية» محسن الحكيم. ودليل «أميتها» واضح ولا يحتاج إلى العودة من جديد إلى التوثيق واستدعاء نصوص أخرى مما كتبناه في هذا الإطار، إذ إن أزمة الكاتب هنا هي توقفه عند هذا المنعطف الجامع لـ «مرجعيتي» الإمام الخميني والسيد الحكيم، دون العودة إلى خلفيات الأزمة ـ أزمة رموز «الحوزة» في كل من إيران والعراق ـ، ففي العراق كانت «أمية المرجعية» مجسدة في مقولة «فصل الدين عن السياسة»، وهي المقولة ذاتها، المجسدة في إيران لكن بشكل أخف، ومغاير تماما لما هو في العراق، الذي شهد قمة نفوذ الشيوعيين على أساس هذه «الأمية» وما رتبته من عزلة «مرجعية»، فالقضية أساسا لا علاقة لها بمخاوف حتى في عهد «مرجعية» الحكيم، قائمة على «تحليلات سياسية» أو «فكر سياسي» بقدر ما هي تعبر في المرحلة، التي سبقت «مرجعية» الحكيم عن صراعات ذاتية متداخلة مع تأثيرات خارجية جعلت من موقع «المرجع الأعلى» مبعد قسرا عن الأمة والمجتمع، وأما في مرحلة السيد محسن الحكيم فلا يرتبط الأمر ـ كما أشرنا ـ بالمخاوف من «الفكر الشيوعي» أو من «الفكر الأميركي»، لأن «الفكر الشيوعي»، أساسا تأسس نفوذه داخل الشارع العراقي في ظل عهده «المرجعي» الذي بدأ منذ بداية أربعينيات القرن الماضي، وإذا ما أردنا أن ننظر بسرعة إلى موقف الحكيم من الشيوعية، فهو قد بقي متفرجا عليها، وهي تتغلغل في نسيج المجتمع العراقي لما يقارب الثمانية عشر عاماً، دون أن ينطق إزاءها حرفاً واحداً، ودون أن يصطدم بها، وبشكل مفاجئ جاءت «فتواه: الشيوعية كفر وإلحاد»، وهذا ما يدلل بشكل قاطع على المكون الخارجي، الذي أنتج هذه الفتوى، ويدلل أيضاً على أن شاه إيران كان حاضرا فيها، وإذا كان هنالك من تحالف قد جمع بين الشاه و«مرجعية» محسن الحكيم، فهو تحالف لم يأت بشكل لا إرادي ـ كما قال الكاتب في ما سبق ـ ولم يجد الاثنان نفسهما فيه بالصدفة، وإنما جاء بحكم سقوط النظام الملكي، الذي كانت علاقة الحكيم به جيدة أيضاً، ومجيء عبد الكريم قاسم إلى السلطة، وجاءت إرادة التحالف بوعي كامل من الطرفين، ولم تأت انطلاقا من حسابات ترتبط بما يهدد المصلحة الإسلامية. ونواصل المشوار مع نصوص الكاتب، حيث يقول: «وقد انعكست هذه المواقف على

نظرة كل من الطرفين إلى الآخر: فقد كان المحسوبون على مرجعية السيد الحكيم يرون أن أصحاب السيد الخميني يجدون محذورا في الطعن بنظام العراق كي لا يلزم منه تأييد الشاه وإضعاف الجبهة الشرقية المعادية لنظامه، وذلك نتيجة العلاقة السلبية الموجودة يومذاك بين النظام العراقي وبين النظام الإيراني قبل معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥م، وقد ساءهم بشدة امتناع علماء إيران ــ برغبة من الشيخ المنتظري المقرب من السيد الخميني ــ عن إرسال تنديد إلى حكومة البكر جراء الإهانات التي ألحقتها بمرجعية السيد الحكيم أثر اتهامها نجله السيد مهدي الحكيم بالعمالة، كما ساءهم لقاء البكر بالسيد مصطفى الخميني أثناء الحصار الذي كان يعاني منه السيد الحكيم، حيث اعتبروه لقاء اختياريا، بينما أكد أصحاب السيد الخميني على أنه كان اعتقالا (انظر أحداث سنة ١٣٨٩هــ). وتظهر طبيعة العلاقة هذه واضحة من خلال الرسالة، التي أرسلها السيد محمد باقر الحكيم إلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين أثر اتهام السيد مهدي الحكيم بالعمالة سنة ١٩٦٩م (انظر: محمد باقر الصدر بين ديكتاتوريتين: ٤٢٣ ــ ٤٢٤، وانظر حول التفاصيل أحداث سنة ١٣٨٩هــ»[1].

على أية حال: ستكون لنا عودة مفصلة وطويلة، حول ليس فقط موقف الإمام الخميني من اتهام السيد مهدي الحكيم بالجاسوسية من قبل السلطة الحاكمة آنذاك، إذ إن هذا الاتهام شكل نقطة اشتباك خطيرة لمواقف الكثير من «المرجعيات» التي دفع ثمنها بالنهاية الشهيد الخالد محمد باقر الصدر، الذي جاء كتاب المؤلف بصدده، وهو اشتباك لن يحط المؤلف به وبتفرعاته الكثيرة، ولذا فإننا سنواصل هنا المشوار مع نصوص المؤلف، لنقف في فصل لاحق، على عقد هذا الاشتباك، التي لم يتطرق لها، فهو يقول:

«وفي المقابل كان أصحاب السيد الخميني يطعنون في أصحاب السيد الحكيم وذلك من جهة مواقفهم اللينة اتجاه الشاه، وتوغل بعضهم إلى اعمق من ذلك متحدثا عن نوع من الارتباط بذلك النظام، وربما يستفيد هؤلاء في هذا المجال ــ في ما يستفيدون منه

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨.

ـ من طبيعة الخطابات الموجودة بين الطرفين، كما في برقية السيد الحكيم إلى الشاه عقيب وفاة السيد البروجردي أو من رسالة السيد مهدي الحكيم إلى شاه إيران بتاريخ ١٠/ تير/١٣٥٠هـ ش (١/٧/١٩٧١م) يطلب منه فيها دارا له ولعياله في طهران، وقد جاء الخطاب في هذه الرسالة على النحو التالي: (حضرة صاحب الجلالة الشاهنشاه اريامهر المعظم أسعد الله الأمة بتأييد ملكه ونفوذ سلطانه) (محمد باقر الصدر بين ديكتاتوريتين ٥١٣ ـ ٥١٤)، وهي رسالة يقول السيد محمد باقر الحكيم أن الخط فيها خط السيد مهدي والتوقيع توقيعه (نقل لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري عن السيد كاظم الحائري عن السيد محمد باقر الحكيم) وإن كان الشيخ علي كوراني يؤكد على أن هذه العلاقة كانت ظاهرية فحسب، وإلا فإن السيد مهدي لم يكن يثق بالشاه، ولما خرج من إيران سأله الشيخ علي كوراني عن سبب خروجه فأجابه بأنه ليس مستعدا ليحضر في بلاط الشاه عند كل مناسبة، حتى لو حاضت زوجته (مقابلة مع الشيخ علي كوراني). بل إن السيد مهدي الحكيم اتهم من قبل رجالات الثورة الإسلامية بالعمالة لبريطانيا (انظر مثلا: محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ٢٢٨)»[١].

«وإذا كان السيد الحكيم ـ أو جهازه فحسب ـ لا يرى من الصالح الخوض في صراع مع نظام الشاه، فقد كان الأخير يستغل بدوره هذا الموقف من أجل الضغط على السيد الخميني، كما كان نظام البعث يحاول الاستفادة من وجود السيد الخميني في النجف كي يضغط بدوره على نظام الشاه مستفيدا من حالة العداء الموجودة بين السيد الخميني والشاه. وجماعة السيد الحكيم يرون مثلا أن السيد الخميني مكث في العراق أربعة عشر عاما لم يتخذ مواقف من البعث مثل التي اتخذها من الشاه، وإن كنا قد أحصينا في هذا الكتاب مواقفه منه هنا وهناك، حتى أنه قالها صريحة لأحد موفدي السلطة إليه: (ليس من الصحيح أن تؤذوا الناس وتتوقعوا منا الصمت، فإننا نعارضكم كما نعارض الشاه، وكما أنه يظلمهم فإنكم تظلمونهم أيضاً) (برتويى از خورشيد

---

(١) المصدر نفسه.

(فارسي): ٣٨٦ ــ ٣٨٧). وكان هذا الأمر يحمل أصحاب السيد الحكيم على الذهاب في تفكيرهم إلى بعيد، والأمر نفسه ينطبق على الطرف الآخر من جهة موقف السيد الحكيم من الشاه»[١].

وإزاء هذه النصوص المطولة، وقبل أن نتناول ما أسميناه الاشتباك الموقفي إزاء ملف جاسوسية مهدي الحكيم، لابد من الإشارة إلى نقطتين: الأولى ترتبط بموقف السيد الخميني من هذا الاتهام، فالإمام الذي بقي صامتا إزاء هذا الاتهام، لم يصمت انطلاقا من تردد قد يجره إلى الصدام مع حكومة البكر ــ صدام، كما لم يسكت تنصلا من الدفاع عن «حوزة» النجف، ولم يسكت ثأرا لمحاربة السيد محسن الحكيم وأولاده له في العراق، ذلك أن تاريخ الخميني في النجف قبل هذا الاتهام يبطل تلك الافتراضات.. وسكت فقط لأنه وصل حد اليأس من إمكانية تحرك الحكيم بوجه سلطة البكر ــ صدام ــ ولأن مهدي الحكيم كان على ارتباط مع أميركا والغرب فعلا، ولم يجد مسوغا شرعيا للدفاع عنه.

هذا ما يرتبط بالنقطة الأولى، أما ما يرتبط بالنقطة الثانية المرتبطة بالشيخ علي الكوراني، واستشهادات الكاتب فيه، فإن الشيخ علي الكوراني لا يمكن أن يعتد بكلامه بحكم خلافاته الحادة، ومواقفه الخاصة إزاء أحداث تلك المرحلة، وحتى سيرته الذاتية أثناء أقامته في الجمهورية الإسلامية، وانتقاله بين مواقعها «المرجعية»... فضلا عن عدوانه الفج والوقح على الشهيد محمد باقر الصدر، حتى بعد استشهاده، عندما كان الشغل الشاغل له اتهامه بـ «العمالة» لأميركا أين ما حل وارتحل في مجالسه القمية، إلى أن أدلى بدلوه و تجرأ على التلويح بهذا الاتهام في مقدمة لأحد الكتب، ولقي جزاءه ذليلا بأيادي العراقيين المقيمين في إيران، التي أدمته لكماً وضرباً قاسياً، الأمر الذي دفعه إلى الاعتذار ومغادرة إيران مؤقتا خوفا مما هو أسوء. على أية حال يقول الكاتب: «وصحيح أن الحكومة العراقية كانت عدوة حقيقية لحركة السيد الخميني، إلا أنها لم تتوقف عن الاستفادة من وجوده على أراضيها لاستفزاز الحكومة الإيرانية. وما

(١) المصدر نفسه.

الامتيازات التي حظي بها أصحاب السيد الخميني إلا دليل على ذلك، طبعاً دون أن نوافق جماعة السيد الحكيم في حديثهم ــ أعني بالتلميح ــ عن ألوان العمالة كما قلنا، فإن الخمينيين أعداء للبعث بلا شك. إلا أن هذه الامتيازات مما لا يمكن إنكاره: فقد ذكر لي أحد السادة الذائبين في السيد الخميني أن الحكومة العراقية كانت قد أطلقت يد أصحاب السيد الخميني، ولهذا كانوا يجولون بحرية تامة في بغداد لينشروا كراساته حول ولاية الفقيه دون أن يعترض طريقهم احد.

والحقيقة أن هذا لم يكن ليقنعني بصحة هذا الاتجاه، لولا أني شاهدت مقابلة للسيد محمود دعائي ــ أحد أصحاب السيد الخميني المقربين وسفير إيران في العراق بعيد انتصار الثورة ــ يتحدث فيها عن ظروف سفر السيد الخميني إلى باريس بعد أن صارت الحكومة العراقية ملزمة اتجاه الحكومة الإيرانية بعدد من الالتزامات بعد توقيع معاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥م، ومما قاله أنه لما أراد استصدار تأشيرة خروج للسيد الخميني والأصحاب، قصد مديرية الإقامات، وصرح بأنه كانت تربطه علاقة برئيس الدائرة بحيث كان يملأ الملف ويجهز كل شيء، وكان رئيس دائرة الإقامات يوقع دون أن ينظر إلى شيء، وبالفعل ملأ الملفات ووقعها ذاك، وبذلك استطاع السيد الخميني السفر دون انتباه السلطات، ومن الواضح أن الوصول في العلاقة إلى هذا الحد ليس بالأمر الهين، ولم يكن أصحاب السيد الحكيم والجو النجفي عامةً ليحلموا بعشر معشاره. فإن كان هناك ما يدفع أصحاب السيد الخميني لاتهام أصحاب السيد الحكيم في علاقتهم مع الشاه، فهناك ما قد يسوغ ذلك للطرف الآخر حول علاقة أصحاب السيد الخميني بالنظام العراقي. ولكن الثغرة التي وقع فيها الطرفان أن كلا منهما كان يتهم الآخر بالعمالة، غافلاً عن أن ذلك كان محكوماً للعبة السياسية التي حكمت المنطقة ما قبل سنة ١٩٧٥م. طبعاً هذا لا يمنع وجود عميل بالفعل هنا وهناك.»[١].

لم يوضح الكاتب هنا ماذا يعني بـــ «عشر المعشار» الذي لم يتحقق لخط الحكيم، وتحقق لخط الخميني، إذ تبدو مقاربته هنا فاقدة للموضوع أصلاً، لأنه لم تكن في

---

(١) المصدر نفسه.

حينها معارضة «حوزوية» عراقية في إيران مناهضة لنظام الحكم في العراق، حتى تصح هذه المقاربة، ومن الأساس، ومع اعتماد الكاتب بعد تردده على مقابلة دعائي، التي سمعها، فإن الأمر هنا يحتاج إلى كثير من الدقة في تفسير هذا «الالتباس» في ما يرتبط بخروج الإمام الخميني من العراق، و«علم أو عدم علم» السلطات العراقية بذلك. إذ لا يبدو مستساغا ومقبولا وقابلا للتصديق على الإطلاق، أن يقدم أحد الضباط العراقيين على هذا العمل دون علم السلطة، كما لا يبدو من المنطقي لهذه السلطة أن تترك الإمام الخميني لشأنه في مثل تلك المرحلة الحساسة، التي يعترف الكاتب نفسه بحساسيتها، فكيف يمكن لرمز إشكالي بين دولتين أن يغادر أحداهما دون علم سلطاتها؟ هذا أولاً، وثانياً: لا يمكن أن نساوي بين الاثنين هنا في حجم الثغرة، التي وقعوا فيها، ــ كما يفترض الكاتب ذلك في نصه المتقدم ــ حيث يمكن الإشارة أيضاً إلى مقابلة نشرناها في كتابنا «عراق بلا قيادة» حول دور حزب الدعوة الإسلامية في إتلاف كتاب «الحكومة الإسلامية» للإمام الخميني ــ مقابلة لمحتشمي ترجمناها إلى العربية ــ فلو اطلع المؤلف على هذه المقابلة لفتحت له بعض الآفاق في مبحثه وعلى أية حال فإن الضحية.. ضحية صراع «الحوزتين» هو الصدر الأول، الذي يسهب الكاتب في تصويرها. «أما السيد الصدر ــ وهو الذي يعنينا بالدرجة الأولى ــ فقد كان موقفه مستقلاً عن اتجاه مرجعية السيد الحكيم، وإن كان محسوباً لدى أصحاب السيد الخميني عليها: وقد تقدمت للتو رسالته التي بعثها إلى الشيخ محمد جواد مغنية، ويظهر منها بوضوح التقائه مع الخمينيين في موقفهم من الشاه وأمريكا على حد سواء، ولا يعقل تصنيفه في تلك المرحلة ضمن مخالفي السيد الخميني نتيجة ارتباطه بمرجعية السيد الحكيم، وإن كان أصحاب السيد الخميني قد صنفوه كذلك (انظر مثلاً: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٧).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان السيد الصدر في المرحلة الأولى متوقفاً في ما يتعلق بحركة السيد الخميني، لكن لا من ناحية حقانيتها، بل من ناحية عدم وضوح قدرتها على تحقيق أهدافها في ظل الإمكانيات البسيطة التي تمتلكها، ولهذا استغرب من جواب الخميني بأنه لا يملك حزباً يعمل إلى جانبه على ما أثبتناه في المتن. وهذا

الشك في قدرة السيد الخميني على إقامة حكومة إسلامية كان سائداً لدى أكثر الشرائح، ومنهم كثير من الإيرانيين، الذين حسبوا لاحقاً ضمن رجالات الثورة الإسلامية ذاتها. ويروي أن أحد الباعة النجفيين، قال للسيد الخميني: (أتريد بهذا اللباس وهذين النعلين أن تسقط تاج الشاه؟)، فأجابه السيد الخميني (سترى بأن هذين النعلين سيطاءا هذا التاج). وعلى أية حال، فقد بقيت العلاقة بين الطرفين تسير في مسار رتيب إجمالاً، وأعتقد أنه مما ساعد على ذلك طبيعة السيد الخميني الخاصة في كيفية تفاعله مع الأمور، أعني صمته المطبق والمحير في كثير من الأحيان، إضافة إلى عدم تدخله في الوسط النجفي قدر المستطاع، وهو أمر يلاحظه الجميع، ويعترفون به، حتى أصحاب السيد الخميني في مقابلاتهم.

ونحن نجد أن السيد الخميني كان حاضراً نسبياً عند السيد الصدر، أو بنحو من الأنحاء على الأقل، مما يجعل إدراج السيد الصدر ضمن الحكيميين في موقفهم تجاه السيد الخميني بلا مسوغ على الإطلاق: فإضافة إلى رسالته السابقة إلى الشيخ مغنية، تراه يفرح بشدة عند شروع السيد الخميني بتدريس فقه الحكومة الإسلامية، في حين وقفت النجف عامة من السيد الخميني موقفاً اتسم بالبرود على أقل التقادير، وتجده يقول للسيد الخوئي إثر ذلك: إن السيد الخميني أوعى المراجع (انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ)»[1].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩ ــ ٥٠، ويواصل الباحث إسهابه في ملف الصدر الأول بالقول: «وبعدة وفاة السيد الحكيم طرح اسم السيد الخميني للمرجعية في مجلس السيد الصدر الاستشاري، ولم يقع الاختيار عليه لأسباب موضوعية تفهمها تماماً السيد احمد الخميني وقال إن السيد الصدر محق في ما أقدم عليه، خلافاً لبعض الأصحاب الذين ساءهم ذلك (انظر أحداث سنة ١٣٩٠). وسنة ١٣٩١هـ. وعندما تصاعدت وتيرة التسفيرات في ظل غياب السيد الخوئي فكر السيد الصدر في تنفيذ عملية استشهادية، لجأ إلى السيد الخميني ليأخذ رأيه في الموضوع (انظر أحداث سنة ١٣٩١). وسنة ١٣٩٢ وعندما وجد السيد الصدر أن مرجعية السيد الخوئي لا تفي بحاجات الساحة، فكر في دعم مرجعية السيد الخميني، ولكن الفكرة لم تلق دعم وتأييد أصحابه (انظر أحداث سنة ١٣٩٢هـ). ولا يبدو لي أن السيد الخميني كان يستحضر السيد الصدر، لأمرين: لخصوصية في طبيعة السيد الخميني تجاه استحضار

←

الأشخاص، ولان السيد الصدر كان بالنسبة له شخصا عاديا في تلك المرحلة على ما يبدو، خاصة أن السيد الخميني ــ وكما قلنا ــ لم يكن يتدخل في الجو النجفي إلا بمقدار الضرورة. ومهما يكن من أمر، فقد بقيت الحال على ما هي عليه إلى حين انتقال السيد الخميني إلى فرنسا، حيث تكشفت للسيد الصدر خيوط المعادلة الجديدة، التي تنتظرها المنطقة، فأعلن تأييده بشكل واضح وصارخ لا يقبل الشك. وسيظهر إن شاء الله تعالى في أحداث سنة ١٣٩٩هــ أن السيد الصدر بادر إلى كتابة رسالة مفتوحة إلى الشعب الإيراني في أواسط محرم / ١٣٩٩هــ وأملاها هاتفيا على بيت السيد الخميني في باريس في ٥ / صفر بعد أن طلب السيد عباس خاتم يزدي إضافة اسم السيد الخميني إليها. وقد طلب السيد الصدر في حينها ترجمة الرسالة وتوزيعها في إيران. وقبيل انتصار الثورة أيضاً كتب السيد الصدر بتاريخ ٤ / ٢ /١٩٧٩ م رسالة إلى السيد الخميني يبارك له تلك الانتصارات، التي تحققت حتى ذلك اليوم. وفي الوقت نفسه وبتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٧٩م بادر إلى كتابة (لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية)، ثم أعلن بعد انتصارها عن استعداده للقيام بأي شيء يطلب منه، ولم يمانع ــ وهو في أوج مرجعيته ــ أن يكون وكيلا للسيد الخميني أو مبلغا في قرية نائية من قرى إيران، بل وأكثر من ذلك مما تجده مفصلا إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هــ». «وقبل الحديث عن العلاقة بين أصحاب كل منهما، نشير إلى ما نقله الشيخ محمد إبراهيم الأنصاري من أنه كان مع مجموعة من الإيرانيين في مدرسة (قائم) قريبا من حسينية (جمران) مقر السيد الخميني، فاتصل آقاي رسولي من مكتب السيد الخميني وأراد من الحضور الذهاب لزيارة السيد محمد باقر الحكيم، الذي وصل لتوه إلى إيران، فعلق احد الحاضرين: (كنتم تقولون لنا: إن السيد محمد باقر يعمل في (سي.آي.إي) (C.I.A) والآن تشيرون وتأمرون بزيارته) (محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٩٤، نقلا عن الشيخ الأنصاري). ويصرح الشيخ (علي) آل إسحاق بان بعض الأشخاص من جماعة السيد الخميني كانوا يقفون من السيد الصدر موقفا سلبيا، ولم يكن يرى سببا لذلك، وكانوا يضايقونه ــ أي آل إسحاق ــ بسبب ارتباطه العاطفي بالسيد الصدر، رغم التحاقه بدرس السيد الخميني وانقطاعه عن درس السيد الصدر بعد وصول السيد الخميني إلى النجف، كما أن مجموعة من طلاب السيد الصدر كانوا يشيعون بين العشائر أن السيد الخميني ضد السيد محسن الحكيم (مقابلة مع الشيخ (علي) آل إسحاق). أما بالنسبة إلى الموقف من السيد الصدر، فالذي يبدو من خلال جمع كثير مما تتناقله الألسن ويرتسم على الشفاه هو أن أصحاب السيد الخميني يتوزعون على ثلاثة أقسام بالنسبة إلى ذلك: ١ــ قسم يعتبر السيد الصدر ــ وبحسب تعبيره ــ ممن (لا نعلم منهم إلا خيرا) (انظر: خاطرات حجت الإسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي) ١٤٢ ــ ١٤٤) بل ربما كان بعضهم متفاعلا معه ومتفهما وضعه. ٢ــ وقسم يعتبره وبحسب تعبيره ــ استبصر في الفترة الأخيرة، ولكن في وقت متأخر جدا (انظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي) ١٨٨ ــ ١٨٩). ٣ــ وقسم كان شديد الحساسية تجاهه، بل كان

←

بعضهم يتهمه بالعمالة لأميركا والامبريالية كما مر ويمر في الكتاب. وأحسب أن الشرارة الأكثر وضوحا لهذا الخلاف قد اندلعت بعد إعلان السيد الصدر عن أعلمية السيد الخوئي بعد وفاة السيد الحكيم، وهو ما أكده لي لاحقا الشيخ محمد رضا النعماني (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ). وفي المقابل كان بعض أصحاب السيد الصدر بين مخلص لحركة السيد الخميني وبين متهم بعض أطيافها بأنها شيوعية، نتيجة الجو العام المخيم على بعض أنصاره، الذين كانوا يردون إلى النجف لزيارته، فلم تكن بنظرهم حركة دينية بالمعنى الذي يرونه، لأنها تجمع تحت عباءتها مختلف الأطياف السياسية المخالفة للشاه حتى الشيوعيين، وقد تقدم الحديث عن بعض النماذج المتأثرة بـ (تشي غيفارا). ونتيجة هذه الحساسيات، فقد كان كل من الفريقين يفسر أي موقف صادر ضمن هذا السياق، ولهذا اعتبر بعض أصحاب السيد الخميني إرسال السيد الصدر السيد محمود الهاشمي إلى درس (الحكومة الإسلامية) وكثرة الإشكالات، التي كان يطرحها في المجلس، اعتبروه محاولة من السيد الصدر لتخريب الدرس على ما خبرته من أحد المشايخ، ولم يعتبروا هذه الخطوة دعما وتأييداً من السيد الصدر كما يتفق عليه أصحاب الأخير. وعلى أية حال، فقد ظلت هذه النظرة مخيمة عند أصحاب السيد الصدر حتى الأيام الأولى للثورة، ولهذا طلبوا من السيد الصدر التريث في دعم السيد الخميني لان حركته غير واضحة، ولان للشيوعيين حضورا واضحا فيها. ولكن السيد الصدر تحرر من رؤية أصحابه ليعلن بشكل صارخ لا يقبل الشك عن تأييده المطلق للسيد الخميني، ومن هنا يعزو البعض سبب تأخر السيد الصدر في دعم السيد الخميني بالشكل المطلوب ــ وإن لم نؤمن بأنه تأخر ــ إلى الصورة السلبية التي كان قد رسمها له أصحابه. وبعد ذلك اقترح بعضهم أن يقدموا اعترافهم لأصحاب السيد الخميني بأنهم كانوا مخطئين (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).»
هنا لم يتوقف الباحث عند الفوارق بين فريقي الشهيد الصدر، والإمام الخميني، ففيما أن فريق الثاني كان على درجة معقولة من الكفاءة والإخلاص والمعرفة، لم يكن للشهيد الصدر من فريق، كان وحيدا وعاش وحيدا، وأراد بكل ما أوتي من قوة أن يؤسس فريقا يتسم بمواصفات فريق الإمام الخميني فلم يستطع، وفريقه الذي اعدم قبله من الوكلاء لم يكونوا إلا ثواراً فقدهم، فبقي وحيدا حتى استشهاده. ومهما يكن فإن الباحث يواصل كلامه حول الشهيد الصدر قائلا:
«إلا أن أصحاب السيد الخميني اعتبروا هذه الخطوة متأخرة، ولم تكن لتشفع للسيد الصدر في تنظيف ملفه، فلم يرتبوا أثرا على الرسالة المفتوحة، التي أرسلها إلى باريس، وعاتبوه على عدم تفاعله مع الثورة حتى بعد مسارعته إلى كتابة (لمحة فقهية تمهيدية) قبيل انتصار الثورة بأيام. وقد بقي موقفهم منه على حاله، حتى قيل إن بعضهم لعب دورا سلبيا في ما يتعلق ببرقية السيد الخميني إليه، والتي قلبت الموازين السياسية في العراق. ولازال هذا الموقف سائدا عند بعضهم، حتى لعب دورا في منع تداول كتاب (دروس في علم الأصول) في الحوزة الإيرانية (إن صح التعبير عن الحوزة بذلك). ولا اخفي قارئي الكريم ميلي إلى أن حجة عدم نظافة السيد الصدر لدى أصحاب السيد الخميني لعب دورا في بقائه في منزله أيام الحجز

←

وعدم وجود محاولة معتد بها تذكر، سوى محاولة محمود دعائي زيارته كما يأتيك (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ). وقد ذكر لي السيد جعفر كريمي بتاريخ ١ /١٢ / ٢٠٠٤م، أن ما يشاع حول العلاقة بين السيد الخميني والسيد الصدر من أن الأخير دعا إلى الالتفاف حول الأول ليس بصحيح، ولم يكن بينهما علاقة، ثم قال: إن ما لدي لا ينفعك، فقلت: إني لا أبحث عما يصب في صالح السيد الصدر، بل استوضح ما جرى وإن لم يكن كذلك، فاعتذر عن الحديث، وقد بدا لي أن فتح موضوع السيد الصدر قد أزعجه بشدة. وهنا أعلق أن الأخبار الدالة على أن السيد الصدر دعا إلى الالتفاف حول السيد الخميني لو كانت منقولة عن مريدي السيد الصدر المؤيدين للسيد الصدر فحسب، لصار هناك مجال للتشكيك بها، ولكن يوجد إلى جانب هذه الأخبار أدلة حسية قطعية الصدور متمثلة ببعض ما جاء بخط السيد الصدر تارة في (الإسلام يقود الحياة) وأخرى في رسائله الخطية، وثالثة بصوته، وهذه الأمور لا يمكن نفيها أو التشكيك بصحتها (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ). يبقى أن أوضح بعض ما يتعلق بما ذكره بعض أصحاب السيد الخميني من أن السيد الصدر تأخر جدا في تأييده السيد الخميني (انظر: خاطرات آية الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٩)، فإن النصوص الواضحة والمؤرخة تظهر خلاف ذلك تماما: ١ـ ففي وسط محرم / ١٣٩٩ هـ ١٦ / ١٢ / ١٩٧٨م كتب السيد الصدر رسالته المشهورة إلى الشعب الإيراني. ٢ـ وفي ٥ / صفر / ١٣٩٩هـ (٤ / ١ / ١٩٧٩م) أملاها هاتفيا على بيت السيد الخميني، ووضعها تحت تصرفهم ليتم ترجمتها ونشرها. ٣ـ وبعد أن وصل الإمام الخميني إلى طهران في ١/ ٢ / ١٩٧٩م سارع السيد الصدر إلى كتابة (لمحة فقهية تمهيدية) لأن قادة إيران منشغلون في إرساء أمور الدولة، وقد فرغ منه في ٣ / ٢ / ١٩٧٩م (٨ أيام قبل انتصار الثورة)، وأرسله إلى إيران بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٧٩م (١٣ يوماً بعد انتصار الثورة). ٤ـ وفي ٤ /٢ / ١٩٧٩م أرسل السيد الصدر للسيد الخميني رسالة يبارك له فيها الانتصارات، التي تحققت في تلك الفترة. ٥ ـ وبعد انتصار الثورة أرسل السيد محمد المهري ليبارك للسيد الخميني انتصار الثورة، وقد التقى به في ٥ / ٣ / ١٩٧٩م. ٦ـ وبعد تعيين المهندس بازركان أبرق السيد الصدر إلى السيد الخميني برقيتين. ٧ـ وبعد انتقال السيد الخميني إلى قم ابرق إليه ببرقية. ويبدو أن بعض هذه البرقيات لم تكن تصل، ولكن بعضها كان يصل قطعاً. ومن خلال بعض الرسائل يظهر أن بيت السيد الخميني لم يرتب أي أثر على رسالة السيد الصدر إلى الشعب الإيراني، ولم يترجمها، ولم تنشر إلا بتاريخ ١٧ / ٦ / ١٩٧٩م، أي بعد خمسة أشهر ونصف من إملائها، وبعد يومين من فرض الحجز على السيد الصدر في بيته. كما لم تؤخذ (اللمحة الفقهية) بعين الاعتبار، بل أظهر السيد حسين الخميني عتبه على أستاذه السيد الصدر لـ (تباطئه) في التفاعل مع الثورة (وإن كان الكثيرون على اعتقاد بأن الدستور الإيراني قد استند إلى اللمحة ولكن دون ذكر اسم الصدر). وفي رسالته إلى السيد مرتضى مستجابي، يظهر السيد الصدر شيئاً من عدم ارتياحه إزاء عدم المبالاة، التي يلقاها من قبل بيت السيد الخميني، ولكنه يؤكد على ضرورة تجاوز ذلك لأن الكيان الديني

←

ان ذلك كله يدعونا إلى التوقف عند الشهيد محمد باقر الصدر كضحية لـ «الحوزتين» معا.

في خطر (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ). هذا إضافة إلى شيء من عدم الارتياح لمسته من بعض أصحاب السيد الصدر إزاء عدم تلقي السيد الصدر جواباً عن البرقيات، التي كان يرسلها، مع أن (البروتوكول) يقضي بإرسال الجواب على أقل تقدير، في حين لم يستلم السيد الصدر أي رد على أية برقية أرسلها للتهنئة بانتصار الجمهورية الفتية. وخلاصة ما تقدم هو أن السيد الصدر كان يكن للسيد الخميني أسمى معاني الاحترام والولاء، كما سيتأكد لك مفصلاً ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ، وأن شخص السيد الخميني كان يدرك خروج السيد الصدر عن جو النجف عموماً، وكان يطمئن كثيراً إلى عمله وإلى إخلاصه لمشروع الجمهورية الإسلامية، ولذلك طلب منه أن يكتب أطروحات تعالج المشكلات، التي تواجهها الدولة الفتية على ما سيظهر لك ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ أيضاً. ولكن السيد الصدر كان محسوباً لدى أصحاب السيد الخميني على الجو النجفي في علاقته مع السيد الخميني، في حين أن الأمر ليس كذلك قطعاً كما افترض أن يكون قد ظهر للقارئ. وفي الوقت نفسه كان الجو النجفي يصنف السيد الصدر على أنه في اتجاه حركة السيد الخميني، ولذلك ترك السيد محمد باقر الحكيم درس السيد الصدر لفترة طويلة بسبب تردده في أن عليه تبني خط السيد الصدر أم خط والده (انظر إحداث سنة ١٣٨٤هـ) ولهذا أيضاً نجد أن السيد جمال الدين الخوئي عاتب مدير أمن النجف بأنهم إلى متى ينتظرون بالسيد الصدر، وهل ينتظرون ليصبح خمينياً آخراً في العراق؟! (انظر أحداث سنة ١٣٩٥هـ) وهذا يعني أنه كان مصنفاً لديهم على اتجاه السيد الخميني أو الحركة الثورية» المصدر نفسه ص ٥٠ ـ ٥٢. بتصرف. نقول برحيل الشهيد الصدر الأول إلى الملكوت الأعلى، سارت الحوزتان باتجاهها «الثوري» و«الأميركي» اللامعلن تقريباً.. إلا أن الظاهرة «الحكيمية» التي التحقت بإيران الثورية مرغمة أو «هاربة» وطامحة نحو الزعامة، ستصل بها الحال في نهاية المطاف أن «تطعن» بالخميني ما بين السطور وهي مقيمة في إيران، وأن تمهد من جديد للعودة إلى أصلها الأميركي، لنجد أنفسنا في ما بعد أمام حوزتين «حوزة ثورية» و«حوزة أميركية» بامتياز بعد احتلال العراق، وسيكون مكون من مكونات هذه الحوزة الأميركية، متمثلاً بالظاهرة الحكيمية، كامتداد أسري. وسيأتي تفاصيل ذلك في فصل لاحق.

الفصل الثالث

الشهيد محمد باقر الصدر
"الضحية" الأولى لـ "الحوزتين"

محمد باقر الصدر
بين الشاتمين والشامتين[1]

نعم: كانت حياة السيد الشهيد محمد باقر الصدر بكائيات ونكبات وطعنات... انها بكائيات «نبوية»، ونكبات وطعنات ذات دلالات رموزية تصب في تلك «النبوية»... بـ «ألغازها العراقية» وبدلالاتها الجغرافية والتاريخية كلها... فالعراق حيث بدأ التاريخ كان «لغزه» الأول... والعراق حيث يتحدث الآخرون عن نهاية هذا التاريخ لايزال «لغزاً» يلوكه «الاستراتيجيون والمحللون».. و«المفكرون والباحثون» بترولاً وعولمة واستعماراً، وعندما يفشلون يطرحونه سؤلاً علنياً، ويتمتمونه أسئلة سرية شاتمة، وبعض أبنائه يحكونه قصصاً فردية مبعثرة، بعضها مزورة وبعضها مفتعلة.. العراق في نهايته «الكونية» الإسلامية «يسجل» مفارقته أو لغزه باسم الإسلام، وباسم العمل الإسلامي «بداية .. ونهاية» نهاية يستغربها الآخرون، حيث تتوحد «المرجعية والحركية» الإسلامية كرامز لهذا اللغز المطروح سؤالاً استغرابياً، حول هذا التوحد الانخراطي مع الاحتلال الأميركي له، فحيث تكون «البداية» ـ بداية العمل الإسلامي في العراق ـ اشتباكية غير مقروءة معرفياً بـ «حدة وذكاء» وتدون في ما بعد في جزئها الأكبر قصصاً ملفقة الأشياء.. قطعاً ستكون «النهاية» لغزاً يضاف إلى ألغاز

---

(١) هذا الفصل مستل من كتاب قيد الاصدار باسم «الحركة الاسلامية في العراق، وحدة البداية.. وحدة النهاية».

العراق التاريخية، وسؤالاً «شاتماً» إياه بالخفاء... وذلك التاريخ كله، وهذا الحاضر يتوحدان كلغز يراكم ذاته كظواهر خاصة به.. وصولاً إلى الشهيد محمد باقر الصدر، وحياته المعرفية الفكرية، التي لاتزال مفارقتها غير منتهية بعد، رغم ما قيل عنه كله، فعلى وتر الفارق العمري ليس بينه وبين زعيم «الموقع المرجعي» في حينه، محسن الحكيم، ولكن بينه وبين «مرجعيات» كبرى أخرى عاش صراعاتها شاباً مبدعاً مفكراً، سجل الشهيد محمد باقر الصدر علامة فارقة في السلوك والأخلاق والصبر، أو بالأحرى أنه أوجد عبر سيرته معادلة انفرادية لا يبدو أن تاريخ العراق الإسلامي قد سجل شبيهاً لها من حيث «توازنها» الرسالي... ولا يكفي لمعرفة أعماق تلك المعادلة أن نقول إنه وضع نفسه فوق الصراع «المرجعي ـ المرجعي» اللامتكافئ في حينه، فلم يسجل عليه أنه خاض في بدايات العمل الإسلامي في خمسينيات القرن الماضي صراعاً ما مع أحد من خصوم «المرجع الأعلى» السيد محسن الحكيم، الذي عمل في ظل «مرجعيته». وذلك لا يشكل إلا المشهد السطحي لسلوك وأخلاق وصبر الشهيد محمد باقر الصدر، أما عمق هذا المشهد فهو ما يحتاج إلى قراءة «الذكاء الحاد».. وهو عمق لا ينقطع أيضاً عن الجانب المعرفي ـ الفكري... فعلى الرغم من الفارق العمري بينه وبين السيد محسن الحكيم معرفياً.. إلا أن للصورة وجهها الآخر، الذي يساهم في كشفها بالكامل وعمقها في آن معاً.

والواضح أن التحدي، الذي عاناه الشهيد الصدر الأول لا يرتبط بتوجهات «الموقع المرجعي الأعلى المحسوب عليه» المعرفية والارتباطية في الخارج فقط... بل كان هنالك تحدياً آخر يتمثل بالمواقع الفكرية و«المرجعية» التي وضعها السيد محسن الحكيم في موقع الخصومة معه نتيجة إدارته لـــ «الحوزة» وارتباطاته الخارجية.

.. وقائمة هؤلاء «الخصوم والضحايا» تطول، وتشكل سجلاً من الأسماء «المرجعية التقليدية والتجديدية والثورية»، وسجلاً من «البيوتات» والشخصيات العربية والإيرانية «العلمية» المشهورة، التي تحتاج إلى عمل مسحي دقيق، إلا أننا نذكر بعضها هنا بما نعتقد أنها كافية في سياق ما نصبو إليه في هذا المبحث، ومن أسماء هذه البيوتات والشخصيات «العلمية» و«الفقهية» التي أصبحت في موقع

الخصومة للسيد محسن الحكيم بحكم إدارته لـــ «الحوزة» وارتباطه بالخارج.

ـ آل مانع
ـ آل الشرقي
ـ آل الجواهري
ـ آل سميسم
ـ آل الحسني البغدادي
ـ آل الدخيلي
ـ الحكيم «جابان»
ـ آل أبو گفاية «الكفائي»
ـ آل الحساني
ـ أسرة الآخوند
ـ أسرة القايني
ـ آل البديري
ـ آل الحمامي «الحممچي»
ـ آل الشيرازي «الحسيني والطاهري»
ـ آل كاشف الغطاء
ـ آل الخضري
ـ آل الدجيلي
ـ آل الخالصي
ـ آل مشكور
ـ بيت آغائي
ـ بيت الماشطة
ـ آل الجزائري
ـ آل المظفر

ـ بيت الاميني «التبريزي»

ـ آل الطريحي

ـ آل قسام

ـ بيت الزنجاني

ـ آل الحلي

ـ آل شبر «الحسيني»

ـ آل شبر «الحويزي»

ـ آل البلاغي

ـ آل وتوت

ـ آل الفاضلي

ـ آل شيخ راضي «فرع الشيخ محمد تقي»

ـ آل الحبوبي

ـ شيخ محمد علي المدرس «الأفغاني»

ـ آل الكرمي

ـ شيخ محمد آل حسين النجم

ـ آل الطالقاني

ـ علي نقي السامرائي

ـ آل فياض «السادة»

ـ آل نجف «الحسيني»

ـ آل الشبيبي

ـ «آية الله» محمد جواد الطباطبائي التبريزي

ـ السيد «المرجع» احمد الخونساري

ـ آل القاضي

ـ السيد «المرجع» حسين البروجردي

ـ «المرجع» عبد النبي العراقي

ـ آل الشرقي ومنهم «الفقيه» محمد باقر الشرقي

ـ الشيخ هادي ومهدي زين العابدين

ـ أبو الحسن الأصفهاني «ت: ١٩٤٥»

ـ الشيخ محمد اللاهيجي «الرشتي»

ـ الشيخ نصر الله الخلخالي

ـ السيد روح الله الموسوي الخميني وجهازه الاداري «الحاشية»

ـ الشيخ محمد الصادقي «الطهراني»

ـ اخوان مرعشيان ومنهم السيد «المرجع» مهدي.

إن هذا الحشد الضخم من أسماء الأشخاص والبيوتات «العلمية والفقهية» لا يمثل القائمة كلها، أو السجل، الذي وضعه السيد محسن الحكيم في موقع الخصومة والاستهداف له، وإذا ما أسقطنا أكثر الأسماء الإيرانية من السجل، و«الأسر العلمية العريقة»، والكثير من الأسماء العربية أيضاً، فإن أسماء «ثورية وفقهية تقليدية وتجديدية» محددة كمحمد الحسني البغدادي، ومحمد حسين كاشف الغطاء وعبد الكريم الزنجاني، وعبد الكريم الجزائري وغيرهم.. كان سجلهم وسجالهم كافياً لتصور ما كان حاصلاً آنذاك، فوفق تلك القائمة الطويلة، التي أدرجناها سيبرز سؤال محير فعلاً.. وهو كيف حصل ذلك؟ وكيف واجه السيد محسن الحكيم هذه «الرموز والبيوتات» كلها مجتمعةً؟ ولماذا لم ينجح هؤلاء باتجاه التأثير على ظاهرته؟ وإذا كانت خلافاتهم ربما حالت دون التوحد في مواجهة هذه الظاهرة، لماذا فشل من عمل منهم في مواجهتها؟ وهل كان السيد محسن الحكيم يملك «عصا سحرية» بحيث يواصل مشواره في ظل خصومة هذه «المواقع والبيوتات» كلها له؟ وهل كان المال وحده كافياً لهذه المواصلة والادارة؟ وهل كانت علاقته بالشاه وتسلسلها الخارجي مضافةً إلى المال كافيتين كأدوات في ذلك؟ وهل كانت استعانته بـ «التبت» الذين احتضنهم كعمائم كأداة ثالثة، وأدواته ومؤسساته والمنسجمين معه كجماعة العلماء وحزب الدعوة كلها كافيه لتمرير «مرجعيته» ودورها؟

هذه أسئلة حول واقع الساحة النجفية في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، حول الصراع بين الحكيم وأدواته، وخصومه وأدواتهم.

محصلة هذه الأسئلة أن السجل «الخصومي» كله السابق الذكر، فشل في الحد من «الظاهرة الحكيمية».. وإذا ما نزلنا إلى الدائرة الأضيق ثم الأضيق لهذا السجل، مرموزاً لها بأربعة رموز ذكرناهم سابقاً بما يعطي الصراع طابعاً معرفياً، فإن الإجابة ستتوحد مع الإجابة الأولى، فهؤلاء الرموز بإرثهم المعرفي كله وسلطتهم «الفقهية» وحضورهم التاريخي، ودورهم، الذي مارسوه في سياق هذا الصراع.. فشلوا في أن يحدوا من المسيرة الحكيمية.. والسؤال الأبرز والأخطر في سياق ما مضى كله يرتبط بالشهيد محمد باقر الصدر «رموزياً ومعرفياً وفقهياً وثورياً» أولاً، وثم «حركياً» لاحقاً، فهؤلاء الرموز بموقعيتهم كلها، التي وصفنا لم يستطيعوا مواجهة تلك الظاهرة.. إلا أنهم في الوقت ذاته كانوا ينظرون إلى الشهيد محمد باقر الصدر الشاب المفكر المبدع في حينه إما نظرة تصنيفية له على أنه جزء من الـــ «جهاز الحكيمي».. أو نظرة «عاتبة» عليه تختزن لديهم رغبة التمرد من قبله على هذا الجهاز، أو نظرة ربما «معادية» له لمجرد أنه عمل «منسجماً» من حيث الخارج معه... حقاً إنها لنظرات غريبة لا تستقيم مع أي منطق، وأية معقولية، لأن المعيار، الذي تأسست عليه هذه النظرات كلها، هو معيار صراعي ــ سطحي ــ موقفي، وليس معياراً معرفياً.. فإذا كان مثل السيد محمد حسين كاشف الغطاء بمنجزه المعرفي وتاريخه وسلطته «الاجتماعية» ونظرة الأنظمة إليه في التأثير على الوسط الاجتماعي، لم يستطيع أن يواجه الظاهرة الحكيمية، وفشل في التأثير على مسارها، فكيف يطلب من الشهيد محمد باقر الصدر الشاب المتعالي على الصراعات أن يحد من تلك المسيرة أو يعلن انفصاله عنها؟ وإذا كان محمد الحسني البغدادي صاحب كتاب «وجوب النهضة» وما يختزنه من تنظيرات «ثورية ــ فقهية» حتى لو صيغت بخطاب «كلاسيكي»[1] عجز

---

(١) انظر نص وصورة جزء من مقال حول كتاب وجوب النهضة، نشرته بعد صدوره مجلة (العدل) النجفية، الصادرة بتاريخ آب / ١٩٦٨م في الملاحق، ملحق رقم (١).

في أن يعرقل مسار هذه الظاهرة، فكيف الحال بشاب مثل الصدر الأول آنذاك؟ وإذا كان عبد الكريم الزنجاني ـــ الموسوعة المعرفية المتعددة المجالات ـــ لم يؤثر في المسيرة الحكيمية؟ وإذا كان عبد الكريم الجزائري كرمز معرفي ـــ اجتماعي هو الآخر كذلك؟ فكيف ينظر إلى الشهيد الصدر الأول بالمعيار الآنف الذكر؟.

المعيار المعرفي .. المعيار الصراعي
ازمة المعايير في التعاطي مع الصدر الأول

إن المعيار اللامنطقي واللاعقلي، وهو المعيار الصراعي، الذي حكم تلك النظرة إلى دور الشهيد محمد باقر الصدر آنذاك، بقي سائداً في أوساط «الحوزة النجفية» وطابعها «الأسري» بحيث أن أحفاد هؤلاء الرموز حكموا في نظرتهم إليه إلى المعيار ذاته، مما يشير إلى عمق الصراع، الذي كانت تعيشه هذه «الحوزة»، وابتعاده عن المعرفة كمعيار حاكم على مفكر وعبقري شاب مثل الشهيد محمد باقر الصدر، الذي تعالى على هذا الجو الصراعي.. إلا أن تعاليه هذا لم يشفع له في تبديل معيار النظر إليه بالاتجاه المعرفي، الذي كان بطله في تلك اللحظة التاريخية، وما بعدها.. ولو كان المعيار المعرفي حاضراً لأدرك خصوم الظاهرة الحكيمية ما الذي فعله الصدر الأول ـــ معرفياً ـــ ليس إزاء هذه الظاهرة وفضحها وكشفها وخوائها المعرفي فقط... وإنما إزاء أولئك الرموز الخصوم، الذين حملهم مشروعاً بوجه هذهِ الظاهرة.. فواقع الحال أن الشهيد محمد باقر الصدر كان ينتمي معرفياً إلى خصوم الظاهرة الحكيمية... لا بل إنه من خلال منجزه المعرفي كان دوره يمثل هؤلاء الرموز كلهم، الحامل لفكرهم وثوريتهم كهدف أعلى، والهاضم لمنجزهم المعرفي كله.. والمنظم إياه كهم قبلي ومعرفة قبليه لا تفي بالغرض والحاجة لخلاص العراق، وبالتالي المستوعب لتحديات عصره... هذهِ التحديات، التي تجعل منه معبراً عن آمال وطموحات وأصوات الرموز

كلهم «الخصوم ــ الضحايا» للظاهرة الحكيمية، فالبغدادي الثوري صاحب وجوب النهضة، وكاشف الغطاء بإرثه المعرفي ــ الفكري، والجزائري والزنجاني بإبداعاتهما كليهما... حملهم الشهيد محمد باقر الصدر هماً ونداءً وهدفاً عبر منجزه المعرفي ومشروعه الفكري ــ الإسلامي، وبالتالي إذا أريد له أن يصنف معرفياً، فهو يصنف ضمن هؤلاء الرموز ــ خصوم الظاهرة الحكيمية ــ وسيمثل زعيمهم الأعلى... ويكفيهم في ذلك أن ينظروا نظرة مقارنة إلى منجزه المعرفي من جهة و«المعرفة الحكيمية» من جهة أخرى، ذلك أن منجزه ولمجرد بروزه على الساحة كان منجزاً «خصمياً» لتوجهات الحكيم «الإصلاحية المحددة» المشروطة.

إن أحداً غير الشهيد محمد باقر الصدر لم يكن بإمكانه أن يقوم بمثل هذا الدور الجبار ويتحمل تبعاته، فهو:

أولاً: كان قارئاً ذكياً لصراعات الساحة «المرجعية» العراقية، وإرث هذه الصراعات الثقيلة، بحيث تجعل من موقع «المرجع الأعلى» متخندقاً بأدواته الخارجية والمالية والمؤسساتية... وتجعل من خصوم هذا المرجع «الضحايا الكثر» بتفرقهم عاجزين عن مواجهة هذا الموقع، ولا يملكون الأدوات المؤثرة والخطط الفاعلة، والمشروع المتكامل لتوجيه الساحة.

ثانياً: وكان قارئاً ذكياً للفارق المعرفي ــ الفكري بين الموقعين «الموقع المرجعي الأعلى» الفقيه الكلاسيكي، الفارغ معرفياً، بما لا يستطيع أن يمثل نواة لمشروع نهضة ما، وبين موقع خصوم هذا «المرجع» الكثر، المبعثر في دوره ومنجزه المعرفي والثوري، و«العاجز» بحكم هذه البعثرة عن التأثير في مسار الظاهرة الحكيمية.

ثالثاً: ووفق هذه القراءة لم يكن قدراً على هذا الشاب العبقري والمفكر والمبدع الثوري أن يصطف إلى جانب رموز خصمية كبرى في أدوارها وتراثها المعرفي المبعثر، اصطفافاً علنياً، لكي ينتصر له، ويحمل همه وهدفه، كما لم يكن «قدراً» عليه أن يواجه مشروع «الموقع المرجعي الإصلاحي المحدود المشروط بشروط الخارج» صدامياً لكي يهزمه ويعريه، فإن اصطفافاً علنياً في مثل هذا الجو الصراعي، والواقع التناحري النازل إلى البنى الأسرية ــ الاجتماعية «العلمية» لن يعطي الشهيد محمد

باقر الصدر أية فرصة للتأسيس، وأية فرصة لكي ينتصر لخط «الثورية» أمام «خط الإصلاحية المحدودة»...

رابعاً: أنه، ولكي ينتصر لـ «الخط الثوري» الذي فشل في مواجهة محسن الحكيم «التقليدي قبل الإصلاحي المحدود» وينتج مشروعه التأسيسي الفكري، لابد له أن يمارس خياراً آخراً لانتزاع هذا الانتصار.. خياراً صعباً وخطيراً، يتعالى فيه على صراعات الساحة «المرجعية» وتركاتها.. ويقبل انطلاقة «الأمر الواقع».. بأقل الشروط، فليس مهماً لديه لكي يحقق انتصاره للخط المعرفي ـ الفكري ـ الثوري، ويؤسس للمشروع الإسلامي، أن يحسب أنصار هذا الخط أنه عمل ضمن إطار الانسجام مع «زعيم الإصلاح المحدود».. وهو انسجام لم يضطره أن يحضر درسه الفقهي، أو أن يكون في موقع الدفاع عنه أمام خصومه، ولم يَحُلْ دون حضور دروس غيره كـ «الخوئي والحمامي» ـ ولو مؤقتاً ـ ولم يضطره أن يعمل وفق توجيهات هذا «الزعيم المعرفية» لأنه ـ أي هذا الزعيم ـ أصلاً لا يملك تصوراً معرفياً فكرياً... وفي مقابل ذلك من عدم الاضطرار، كانت الفرصة متاحة أمامه لكي ينتزع من بطن هذا «الانسجام مع الإصلاح المحدود» أو من داخله التأسيس المعرفي ـ الفكري ـ الثوري الذي يتوج ـ كما أشرنا ـ منجزات وادوار «خصوم» هذا «الإصلاح المحدود» بإرثهم وتراثهم وتراكماتهم، ويحملهم هماً وهدفاً ومشروعاً أعلى، فإذا كانوا هم رغم رموزيتهم ودورهم الكبير مثلوا مشاريع محدودة، فقد كان عليه أن يحمل قضيتهم جميعاً، وبالنيابة عنهم جميعاً، لا كاشخاص، وإنما كرسالة، إلى حيث ما يطمحون، والى حيث ما عجزوا عنه، في ظل ما حكمهم من تمزق ونفوذ سلبي «مرجعي ـ موروث» في الساحة «الشيعية»... فنجح وحيداً حيث «عجزوا» جميعاً في التأسيس المعرفي ـ الفكري، ولو إلى حين، نجح في أن يحملهم كرسالة «ثورية معرفية» من داخل أجواء «الإصلاح المحدود».

خامساً: إن هكذا عبقرية جبارة في انتزاع هكذا فرصة تأسيسية كانت تحتاج إلى صبر استثنائي، وسلوك قيمي عالي، وأخلاق فوق «الأخلاق السائدة» كلها... فالشهيد محمد باقر الصدر سينطلق بانتزاع هذه الفرصة التأسيسية، وعليه أن يدفع ثمنين

باهضين... وأن يواجه «غضب وعتب» موقعين.. «موقع المرجع الإصلاحي المحدود» الذي سيصبر عليه إلى حين، لأنه صدم به معرفياً، وسيحول هذه الصدمة إلى ضغوط قاسية ستنتهي إلى عزله أو إعادته إلى «الحوزة التقليدية».. وموقع خصوم الحكيم، الذي سيبقى ينظر إليه لا عبر المعيار المعرفي وإنما عبر «الاصطفاف الموقعي» أو المعيار الصراعي، الذي سيرتد على الصدر الأول «عتاباً» حاداً.. وبالتالي فإن هذا الموقع بدلاً من أن يتحول حاضنة له، فيما لو أصبح معزولاً عن «الموقع الإصلاحي المحدود» سيكون إما «عاتباً» عليه أو «شامتاً» به.. وكان على الصدر الأول بعد ما قام به بجرأة ومجازفة وذكاء ونكران ذات أن يعيش مرحلة ما بعد ١٩٦٢م، بين ألم عزل «المرجع الإصلاحي المحدود ــ محسن الحكيم» له و«شماتة» خصوم الحكيم به، وأن ينتقل من صبر التأسيس إلى صبر ما بعد التأسيس الأشد مرارة وقسوة...

سهام "المرحلية" في الخاصرة الصدرية

على الصدر الاول أن يعيش زمن ثنائية «العزلة والشماتة» في نار الفرص الضائعة على العمل الإسلامي وعلى العراق وشعبه وحصار «الحوزة» وسهامها، التي ستتهمه بـــ «الإلحاد» و«الوهابية».. وما إلى ذلك، وألم المجهول «الحركي» الذي يدرك أنه «ضحية» مؤجلة للأقدار.. فتلك الضحية بحكم سقفها «المعرفي» المحدود.. ومقدمات تأسيسها «الحركي والحزبي».. وعدم اطلاعها الكافي على مجهولات تلك المرحلة.. ستكون هي الأخرى «جارحة» له ببعض «سهامها» الكلامية الطاعنة به «سراً»، فإذا كانت «الرموز المرجعية الكبرى» بمنجزاتها «المعرفية والثورية» المبعثرة، وامتداداتها الممثلة لها «أسرياً» والتي سنأتي على تشابك أدوارها لاحقاً، لم

تستوعب ما قام به الشهيد الصدر الأول لها «معرفياً» بوجه «خصمها الإصلاحي المحدود».. فكيف بالمجموعة الحركية، التي فصّلها «حركياً» مرتضى العسكري كـــ «جوقات» أو «خطوط»؟.. كيف بها بعدما حشت أو حشّيت أدمغتها جميعاً بـــ «مرحلية».. مرحلتها الأولى «التغييرية» قد تطول خمسين أو ستين عاماً لكي تدشن بعدها «عالم السياسة» العلني، وتخرج من مخبئها «السري»؟ مما اضطر الشهيد الصدر الأول ذات مرة، وفي مرحلة لاحقة، وفي ظل عدم الاستجابة الحركية لأفكاره حول «المرحلية» التي تغاير «مرحلية» الخط الحركي لأن يصرخ قائلا: «لقد أتخمتم الأمة بالفكر حتى حولتموها إلى حوزة كبيرة»[1]. وهذا الكلام كاف لاثبات طموح الصدر الأول بتحرير الأمة من قبضة «الحوزة» وطموحه لخط حركي لا يكون وليدا لها، كالخط الذي أشرف عليه العسكري وبمرحليته، التي مررنا عليها، ووقف بالسر ضد أفكار باقر الصدر وطموحاته.

كيف لهذه المجموعة الحركية أن تقف عند قصة «حسين الصافي»[2] كقصة ملفقة على أكثر الاحتمالات؟ كيف لها أن تستوعب سكوت الشهيد الصدر وأزمته، و«بكائيته» الأولى التي فرضتها تلك القصة عليه؟ وماذا يفعل الصدر الأول إزاء ذلك أكثر من النصوص التي راكمها عبر رسائله المكتوبة بخط يده حول السهام ومطلقيها عليه، وهو يقوم بدوره في مجلة «أضواء»؟.. ألم تكن تلك النصوص كافية لمن يقرأ بدقة، ويفكر بتمعن، ماذا عليه فعله كـــ «حزب» في تلك اللحظة، لكي يكون الصدر الأول وفكره مهيئاً لعدم «الامتثال» لأمر «الحكيم بالخروج» من الحزب أو إعادة هيكليته وفكره الحركي؟ فإذا كان من أمره بـــ «الخروج» من الحزب هو السيد محسن

---

(١) جاء كلامه هذا في برنامج حول الشهيد محمد باقر الصدر أعدته وبثته عبر أربعة حلقات، فضائية المنار اللبنانية في العام ٢٠٠٥م، وكررته في نيسان مناسبة استشهاده في ٢٠٠٦م و٢٠٠٧م و٢٠٠٨م و٢٠٠٩م، وقد أثار هذا البرنامج في حينه إشكاليات كبيرة، دخلت على خطها زوجة الشهيد محمد باقر الصدر لكي يرى النور، متحدية اعتراضات «مرجعية» كادت أن تمنع بث البرنامج، ولنا حديث مستقل حول تفصيلات ذلك في مكان آخر إن شاء الله.

(٢) حول هذه القصة، راجع كتابنا (محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين)، مصدر سابق.

الحكيم، ومَنْ حاربوه من خلال مجلة «الأضواء» وهي مؤسسة من مؤسساته أو المنسقة معه، ونصوصه ـ أي الصدر الأول ـ تصرخ بذلك، وتسمي الأشخاص الذين حاربوه بصراحة، إذا كان ذلك كله أو بعضه ـ حتى لا يعترض بعضهم بأن رسائل الصدر كشفت متأخرة ـ واضحاً... فهل كان الصدر الأول بعدها في «الموقع» الذي عليه أن يوضح أكثر من ذلك؟ في ظل هذا الواقع كان على الحزب ـ حزب الدعوة وليس على الشهيد محمد باقر الصدر ـ أن يتصدى للحكيم ومؤسساته، وثم إجبارهم جميعاً على أن لا يعزلوا الصدر، وليس عليه هو ـ أي الصدر الأول ـ أن يشرح لهم لماذا «امتثل» لأمر «المرجع الأعلى» بـ «الخروج» من الحزب، إذا كان هو أصلا في موقع قيادة هذا الحزب، وهذا ما له مبحث آخر.

كان على حزب الدعوة الإسلامية في حينها أن يساءل «الحكيم ـ المرجع» الذي «أخرج» الصدر الأول من الحزب عن الخلفيات والأسباب، وكان عليه أن يساءله حول خلفيات قصة «حسين الصافي» سواء كانت صحيحة أم مختلقة؟ وإذا ما كانت صحيحة فهل التعاطي معها يجب أن يكون بهذه الطريقة؟

إنه لأمر غريب أن تمارس هذه المساءلة مقلوبة.. إذ بدلاً من أن يُساءل الحكيم «المرجع» عن فعلته التي فعلها، يساءل الصدر الأول عن «استجابته» أو «تنفيذه» لأمر «المرجعية»!! ـ ونكرر القول هنا في ما لو صحت قصة حسين الصافي كسبب لما حصل ـ وهذا إذا ما سلمنا أن الصدر الأول كان فعلاً على علاقة تنظيمية «صارمة» مع حزب الدعوة، لا علاقة نصائحيه كلاسيكية، لا تسمح له بحكم كونه مشغولاً بهموم التأسيس وإدارة تحدياته أصلاً أن يفتح ملفات الحزب وأفكاره الحركية، فهم جاءوا به ـ إذا صح ذلك ـ ليوظفوه، ووجدوا أنفسهم في موقع «العاري» المعرفي بدونه، وبدلاً من أن يدفعهم «عريهم» المعرفي هذا.. إلى الثورة بوجه «الموقع المرجعي» الذي قطع العلاقة ـ علاقة الصدر الأول معهم ـ ثاروا بوجه الأخير إلى حد الطعن به لأنه «امتثل لأمر المرجعية»!!

... كان عليهم ليس مساءلة ذلك «الموقع المرجعي» فقط حول ما فعل.. بل كان لزاماً عليهم أن يلتفوا جميعاً حول الصدر الأول، وأن يسلموا زمام أمورهم له، وأن

يطرحوا ملفهم الحركي بين يديه لإعادة النظر به وبفكره «المرحلي»، وأن يرفعوا الصوت عالياً لــ «إجباره» على قيادة المسيرة، ويخرجوا منها كل أدوات «الموقع المرجعي» الذي فعل تلك الفعله!! كيف لهذا أن يحصل والعسكري هو مَنْ كان يديرهم بفكرهم «المرحلي» و«بجوقاتهم» وخطوطهم، التي فصلّها، وبفكره «الطائفي» المناهض لفكر الشهيد الصدر الوحدوي الذي غذاه في أوساطهم حتى حوّله في ما بعد إلى أول انشقاق علني داخل الحزب، عن طريق رعايته لخط جند الإمام»!!.

التجربة الصدرية
بـ "روايات دعوتية"

وبذلك فإن الحزب أصبح «حزب العسكري» وليس «حزب الدعوة الإسلامية»!!

فقد مضت مرحلة تأسيس العمل الإسلامي الأولى تلك بعجائبها وغرائبها، دون دراسة لها وفق المعايير المعرفية، وتحولت شيئاً فشيئاً إلى كتابة روائية، وإلى تاريخ قصصي يسجله «أميون معرفياً» إذا ما قيسوا بعبقرية الصدر المعرفية، لاسيما بعد استشهاده، فقد تحول اسمه إلى عامل استقوائي يسجل في ظله هذا التاريخ القصصي، بكذبه و«صدقه».

ففي البدء.. بدء قصة «حسين الصافي»، قلنا أن الحزب وجه تساؤلاته القاسية بالمقلوب إلى الصدر الأول، وليس إلى «الموقع المرجعي»... أو بالأحرى أن بعض أعضاء الحزب اتخذ موقفاً «شاتماً» وليس «شامتاً» أيضاً كما هي الحال مع خصوم الحكيم الأب إزاءه، وفي مرحلة الشهيد الصدر الأول الوسطية سيبقى «مشتوماً» أيضاً، ومن أحد نصوص ذلك الشتم جاء ما يلي «وبغض النظر عن ذلك فإن هنالك اعتراضات شديدة برزت تجاه أصل الفتوى وفك ارتباط الحوزة بالتنظيم، وكان جملة من طلاب الشهيد الصدر في أشد الغضب من أمثال الشهيد حسين معن، والشيخ ماجد

البدراوي، والشيخ خير الله البصري، والسيد عمار أبو رغيف، والشيخ عبد الرضا الجزائري، والشيخ الشهيد خزعل السوداني.

وتفيد بعض المصادر أن شباب البصرة كانوا ينظرون إلى حزب الدعوة بمثابة المقدس ولذلك كانوا شديدين على الشهيد الصدر، فاعتبره بعضهم نظيراً للشيخ علي كاشف الغطاء (الذي يعتبره البعض حليفاً للسلطات الرسمية العراقية) بل إنه أسوأ منه لكن حالات الانفعال هذه كانت محدودة، وكان أغلبها يصدر من خارج العراق كما يفيد السيد عبد العزيز الحكيم، ويفيد الشيخ خير الله البصري أنه والشيخ ماجد البدراوي ناقشا الشهيد الصدر في هذه المسألة كما أنه يقول: إنه قال للشهيد الصدر إن جدك موسى الكاظم (عليه السلام) خُير بين أن يلحق الأذى بنفسه أو شيعته فاختار أذى نفسه بينما اخترت أذى شيعتك على أذى نفسك فسكت الشهيد الصدر، كما يفيد الشيخ البصري أنه قال للشهيد الصدر: اسمع ما يقوله الشيخ احمد البهادلي متسائلاً عما فعله الصدر وأنه نظير تصريحات السيد محمد البغدادي حول ما نسب إلى السيد مهدي الحكيم من اتهامه بالجاسوسية فأجاب بالآية ﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: آية ٣٣)»[١].

هذا نموذج من القساوة أو الطعن «الحركي ــ الحزبي» الذي مارسه بعض أعضاء حزب الدعوة الإسلامية إزاء الشهيد محمد باقر الصدر بالمقلوب، الذي استمر من مرحلة الصدر التأسيسية الأولى إلى مرحلة حياته الوسطية، ويعتمد سارد ذلك النص على عبد العزيز الحكيم كمرجع روائي... ومجرد هذا الاعتماد «المصدري» يضاعف من مهزلة المقلوب التاريخي لهذا العمل الإسلامي، وموقع الشهيد محمد باقر الصدر فيه، الذي كتب عليه أن يصبر في حياته على بكائيات ونكبات وطعنات، وأن

---

(١) محمد الحسني، (حياة حافلة.. فكر خلاق، محمد باقر الصدر)، ص ١٢٨، الناشر قلم مكنون، مطبعة شريعت، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

يدون بعد استشهاده بأيادي «خصومه» كتاريخ ــ مقلوب، فهو سيواجه تلك المرحلة بشماتة خصوم الحكيم، وقسوة هذا الأخير وبعده الخوئي، و«شتائمية» بعض الحزبيين كما عبر عنها النموذج المتقدم، وليس فقط ما اعتبره كاتب نصوص الفصل المتقدم «اللبناني» في اماكن اخرى من كتابه قسوة التصنيف الإيراني له على الظاهرة الحكيمية، ومن ثم ملابسات موقف الإمام الخميني بعد انتصار الثورة إزاء موقفه الشجاع، الذي تضامن مع هذه الثورة وتواضع لها تواضعا لم يحدثنا تاريخ الرموز الإسلامية بمثيل له. إنه طوق متكامل من الظلم و«المظلوميات» التي كان يئن تحت وطأتها وحيداً غريباً، ومتوجة بظلم السلطة، التي أعدمته.

وكان عليه أن يصبر ويصبر ويصبر أمام «أمية بعض الحركيين» إذا ما قيست معرفتهم بعبقرية الصدر الأول المعرفية... مع أن هذه الروايات، التي تقدم نموذجاً من التاريخ القصصي حول تجربة الشهيد محمد باقر الصدر تخلط «الحابل بالنابل» و«الصحيح والخطأ»، وهي لا تصح لدراسة الصدر الأول على ضوءها، ولا زالت تلاك بألسن بعض الكتبة الموظفين، وتردد دونما يكفي من توضيح أو تعليق.

فوفق هذه الرواية «الخالطة» ــ اذا ما صحت ــ كان سكوت الصدر الأول كما جاء في النص المذكور.. أبلغ جواب على ضوء مقولة «الأمية» كفارق معرفي بين الأسماء الواردة في النص، وعبقرية الشهيد محمد باقر الصدر ومحنته وصبره الذي لم يكن له من خيار آنذاك سوى أن يبكي محن الإسلام، فهو بكاها حين «أخرج» من الحزب ــ حزب الدعوة ــ كما يقال بـــ «طريقتهم»، وهو بكاها في خطاب المحنة وبعد إعدام الشهداء الخمسة، وبكاهم قبل استشهاده، ثم أصدر على أثرها فتواه الشهيرة بتحريم وجود «المعممين» في حزب الدعوة. وثارت عندها ثائرة «الحركيين الأميين» عليه ــ والأمية هنا تأتي بشرطها المقارن مع معرفة الصدر الأول ــ فقد تعددت الأسئلة والتفسيرات حول تلك الفتوى الشهيرة، والتي عالجنا بعضها في كتبنا السابقة، ولاسيما كتاب «العمل الإسلامي في العراق.. بين المرجعية والحزبية»... وإذا كانت «أمية» بعض الحزبين قد ترجمت ذاتها بعد أمر «المرجع الأعلى» بترك الصدر الأول للحزب كما يقولون، فإن هذه «الأمية» تكررت كشتائمية جديدة له بعد بكائياته

الخمسة، إذ ما الذي تغير من واقع العمل الإسلامي في العراق بعد العام ١٩٦٢م، ومن ارتباط هذا الواقع بـــ «الحوزة» ومن احتمالات انعكاس الأمن المفقود لها على الحزبيين الثوار، الذين لم يحميهم «المرجع» الجديد السيد الخوئي، فأعدمتهم السلطة بدم بارد. وبكاهم الصدر محنة وعذاباً كقيادات ثورية إسلامية؟...

ما الذي حصل طوال تلك الفترة، سوى الفرص المضيعة للعمل الإسلامي في ظل ثابت تبعية «الموقع المرجعي» مع تبديل الأسماء وثابت «أمية» بعض القياديين الحزبيين، الذين كان الصدر الأول يخشى عليهم في ظل دعوة العسكري ــ الاصفي وغيرهم من الأسماء المرتبطة بشاه إيران؟ ففي ظل قلق الصدر الأول على الثوار القياديين في الحزب، أليس من حقه وهو العارف بواقع «الحوزة» الأمني أن يتساءل مع نفسه عن مصير هؤلاء القادة الثوار؟

أليس من حقه ــ إذا كان الحوار مع «الأميين» لا يجدي شيئاً ــ أن يحافظ على من تبقى من «قادة ثوار قلائل»؟

أليس من حقه أن يفكر بصمت بمصير قواعد هذا الحزب في ظل ارتباط قيادته بـــ «حوزة» مخترقة؟ و«ميتة ومهددة بالفناء».

وإذا كانت خطوط الحزب قد تقطعت بعد إعدامهم ــ القادة الثوار ــ فعلاً، أليس من حقه أن يفكر أن لا جدوى من وجود حزب كهذا محكوم إلى أزمة اختراق لصيقة به من اختراق «الحوزة»؟ وهل كان الصدر الأول قادراً على اتخاذ قرار بتجميد الحزب أو إلغائه إذا ما توصل إلى قناعة بأن ــ ما تبقى من قادة وقواعد ــ سيكونون ضحايا مؤجلين في ظل زعامة «الحوزة» الجديدة؟

ان السبب المركزي الذي دعى الصدر الاول لاصدار فتوى تحريم انتماء المعممين الى حزب الدعوة الاسلامية يتمثل باختراق «الحوزة» وموتها المعرفي و«حتمية» فناءها فقط لا غير ــ كما سنأتي على تفصيلات ذلك ــ فالشهيد الصدر الذي يدرك بأن هذه «الحوزة» سائرة الى «الفناء» كيف يسمح لنفسه ان يبقي الحزب على علاقة معها؟ فهو اذا ما سمح بذلك، حكم على كوادر الحزب البريئة بالفناء ايضاً.

الصدر الاول
بين حزب الامة .. و"حزب الدعوة"

ما الذي كان بإمكان الصدر الأول أن يفعله إزاء هذا الواقع السلطوي و«الحوزوي» و«الحزبي» ــ حزب الدعوة الإسلامية ــ؟ وأي امتحان أكبر من هذا الامتحان يمكن أن يعيشه قائداً ومفكراً ومؤسساً وحيداً للمشروع الإسلامي في هذا العراق؟ وما الذي سيقدم على فعله في مثل تلك المرحلة؟

... إنه أقدم على فصل علاقة «الحزب» بــ «الحوزة»... فإذا كانت معظم «محن ومصائب» ذلك الحزب نابعة من «الحوزة» المرتبطة في الخارج، فلابد من قطع تلك العلاقة قطعاً جذرياً عبر «فتوى مرجعية» من الصدر الأول.. قطعاً هي سترتد عليه تهماً تشبيهية له بأنه «علي كاشف الغطاء» أو «أسوء منه».. العامل مع السلطة والضامن لأمن «الحوزة» أكثر ممن هم في داخلها، وسترتد عليه تطاولاً من «أميين حركيين» تجريحاً، ولم يكن ــ أي الصدر الأول ــ يفكر بذاته المجروحة أصلاً والمنكوبة بأكثر من نكبة، والمطعونة بطعنات لا بعدها طعنات، وما سينسال عليها من «شتائم حزبية» أو تساؤلات «عمائمية» أو شكوك وتهم «حوزوية».. إنه كان يعيش لحظة غيره، لا لحظة نفسه، التي أدمنت النكبات والطعنات، فما قيمة ما يضاف إليها من شتائم وتهم، إذا كان مصير ما تبقى من قيادة الحزب الثورية وقواعده سائراً نحو المجهول؟ كان يعيش لحظة «الحزب الضحية المؤجل» وكيف يتعاطاه كتحدٍ طرح من جديد أمامه، فرأى أن لا حل لأزمته إلا بقطع علاقته مع «الحوزة» مصدر متاعبه، فأقدم على فتواه على أمل ــ وفق أكثر الاحتمالات انسجاماً مع سياق المحنة التي عاشها ــ أن ينتبه من تبقى من «رموزية ثورية» في الحزب على واقعه، فيما يرتبط بعلاقته مع «الحوزة»، وعلى أمل أن تلتقط تلك الرموز رسالته «المبطنة»، وتعمل

بعيداً عن تلك «الحوزة»، ومستقلة بذاتها، عسى أن يؤدي استقلالها هذا إلى نواة لخط المثقف الديني الناقد لــ «الحوزة» والعامل بفهمهِ المستقل عنها إسلامياً.

كان المفروض ممن شتموه على فتواه تلك، أن يدرسوا دلالات تلك الفتوى، وكان مفروضاً لهم أن يتساءلوا هل كان المطلوب منه أن يصدر لهم بياناً علنياً بأن «الحوزة» مرتبطة بالخارج الشاهنشاهي وحلفائه، ولذا فإنها ستبقيهم مشروعاً مؤجلا للذبح؟... وهو من صرخ بوجه هذه «الحوزة» ونزهتها الأسبوعية على «شط الكوفة».. وأشبعها توصيفاً ضمن خطاب المحنة من حيث علاقتها بالأمة.. وقد أشهر بذلك الخطاب إفلاسها الاجتماعي، وحرك ضمناً أسباب هذا الإفلاس، التاريخية والمعرفية والذاتية القيادية والسياسية، ألم يكفهم ما قاله في خطاب المحنة، وما سبقه وما لحقه من محطات لكي يعوا دلالات فتواه بالابتعاد عن هذه «الحوزة» كطريق خلاصي لهم، وحفاظي على ما تبقى من دمائهم؟

إن اختيارنا للنص الآنف الذكر، لم يكن اختياراً عفوياً بل لأنه نص:

ــ يجمع الصح والخطأ بما يقدم نموذجاً لكتابة التاريخ المعاصر كتابة موجهة تتحايل عليه ــ ولأنه نص يندرج ــ كما أشرنا في سجل التاريخ الروائي، الذي لا يصلح كله قطعاً لأن يعطينا صورة صحيحة عن العمل الإسلامي في العراق منذ التأسيس حتى الآن، ودور الشهيد محمد باقر الصدر فيه كخط معرفي ــ ثوري مستقل عن الخطوط، التي اشتبكت معه، وبما يوصلنا إلى «وحدة البداية.. ووحدة النهاية» للظاهرة الحكيمية وحزب الدعوة الإسلامية، اللذين انخرطا مع احتلال أميركا للعراق كنهاية، بحكم تأثيرات صيرورته الأولى عبر شاه إيران الأميركي كبداية.

ــ ولأنه نص فاقع في إساءته للشهيد محمد باقر الصدر إلى حد التنكيل به.. وهذا التنكيل يعبر أما عن «أمية حركية» وإما عن قصدية خبيثة.

ــ ولأنه نص يرتبط ببداية التأسيس لمشروع الصدر الأول المعرفي ــ الفكري بشكل غير مباشر، وبما يستبطن الإيحاء بأنه إذا كان «بعضهم» يعتبر أن «أمر» محسن الحكيم للصدر الأول بالخروج من حزب الدعوة، هو ومهدي الحكيم خطأً قاتلاً... فإن الصدر كرر الخطأ ذاته، وقدم عبر «فتواه» بحرمة بقاء المعممين بالحزب

أمراً «لا يختلف عن أمر محسن الحكيم للصدر الأول بالخروج منه»!! وكأن النص يريد أن يقول بأن السيد محسن الحكيم إذا كان قد أمر «الصدر الأول ومهدي الحكيم» بالخروج من الحزب، فإن الصدر الأول، الذي «بكى ذلك الأمر، أقدم على ما هو أبعد منه، من حيث أنه لم يكتف بالأمر، بل حوله إلى فتوى، وهي فتوى لم تشمل شخصاً أو اثنين بل شملت كل المعممين»!! هكذا يحاول النص المذكور أن يوحي بما «يبرئ» ساحة محسن الحكيم و«يطعن» بالشهيد الصدر الأول، إذا ما أخذ الأمر بصورته المقارنة هنا في موقف «المرجعية» إزاء مسألة «متشابهة» مرتبطة بحزب الدعوة الإسلامية. أن من يقرأ ذلك النص بتأمل يكفيه مدى الاحتيال والدجل، الذي يراد له أن يمرر لقلب وقائع التاريخ... فهو نص يلتقط متشابهات إزاء مسألة محددة وشخص بعينه الشهيد محمد باقر الصدر، وحزب بذاته هو حزب الدعوة الإسلامية وبما «يبريء محسن الحكيم» و«يطعن باقر الصدر»!!!

وواقع الحال ان مثل هذا الاحتيال والدجل سيسقط تحت سلطة التحليل العلمي والفوارق المرحلية، والدوافع والأسباب، التي رافقت كلاً من «أمر الحكيم» للصدر الأول بالخروج من حزب الدعوة، وفتوى الأخير بتحريم بقاء العمائم في هذا الحزب... والأمر الحكيمي كما وقفنا على حيثياتِهِ سابقاً لم يكن في الواقع يستهدف حزب الدعوة الإسلامية بقدر ما يستهدف مشروع الشهيد محمد باقر الصدر، وهو بالإضافة إلى ذلك لم يكن «أمراً مرجعياً ذاتياً خالصاً».. بل جاء بحكم مؤثرات خارجية انعكست ضغوطاً هائلة لا على حزب الدعوة، وإنما على الشهيد محمد باقر الصدر نفسه، سبقت قصة «حسين الصافي»، كما أن ذلك «الأمر» جاء في مرحلة سياسية ــ بداية الستينيات ــ من القرن الماضي... وهي مرحلة تتسم بالمرونة، بما أفقد العمل الإسلامي في العراق فرصاً مضيعة كثيرة.. هذا فضلاً عن كونه ــ الأمر ــ جاء في سياق استهداف كلي «مرجعي، إقليمي، عربي، دولي» لحكم عبد الكريم قاسم، ودور «المرجعية» آنذاك في هذا الاستهداف. بينما جاءت «فتوى» الشهيد محمد باقر الصدر في مرحلة سياسية مغايرة تماماً، وذلك في ظل سلطة قاسية تحكم العراق، لا تقارن بالأنظمة التي حكمته في ستينيات القرن الماضي، وجاءت بعد سقوط مقولة

«الإصلاح المحدود» الذي ادعاه «المرجع الأعلى» ــ السيد محسن الحكيم آنذاك ــ وانفضاحها وانكشافها أمام الناس، وموقف هذا المرجع «المتراجع» عن المواجهة بعد اتهام ابنه بالتجسس وفق معادلة كانت تسمح بهذه المواجهة على طرفها الثاني، وهو الأمة التي أبدت بعض شرائحها كامل استعدادها لمقاومة السلطة، والوقوف إلى جانب «المرجعية»... وكان حضور الأمة في حينه هو ما دفع بالشهيد محمد باقر الصدر لكي يسافر إلى لبنان لتحشيد الموقف العربي والإسلامي، وانتزاع ما يمكن انتزاعه من مواقف تحاول معالجته «التردد المرجعي» أو «التراجع المرجعي» في ظل حضور شرائح من الأمة «عسى» أن ينقذ سفره «الموقف المرجعي» ويعطيه جرعة قوة نفسية لمواصلة التحرك ضد السلطة، ولكن عندما وجد الصدر الأول إن حجم التردد والتراجع «المرجعي» أكبر من محاولته، عاد إلى العراق.. في ظل دوي خطاب المحنة الذي كان خروجاً «غير مسموح» به من قبل «الحوزة».. لأنه اعتمد النقد اللاذع لدورها وتخاذلها وتخلفها عن مسؤوليتها إزاء هذه الأمة.

وسوف لن «تسكت» هذه «الحوزة» للصدر الأول إزاء ما قاله في خطابه هذا إزاءها، وسوف «تنتقم» منه، وهي فعلاً انتقمت منه بأشد ما يكون الانتقام.

ووفق هذا السياق وبعد تصدي الشهيد الصدر الأول لـــ «المرجعية»، وخوفه على ما تبقى من «قيادات ثورية» من هذا «الحزب» بفصله عن «الحوزة» التي كانت السبب في تدميره فكرياً وثورياً، فإنه دخل في غربة قاسية أخرى.

فالصدر كان يريد لهذا الحزب أن يكون حزباً فكرياً ثورياً ــ اجتماعياً ــ سياسياً، و«الحوزة» أرادت له أن يكون حزباً «حوزوياً» بفكره وأمنه الذاتي.

ــ مرة أخرى نقول إن اختيارنا للنص المذكور لم يكن اختياراً عفوياً، إذ بالإضافة إلى مرموزاتهِ كلها المارة الذكر، فإنه نص فاقع الطعن بالشهيد محمد باقر الصدر بما يجسد معنى انتقام «الحوزة» وقيادة الحزب «الأمية» منه إزاء خطاب المحنة الناقد بجرأة لهذه الحوزة والممزوج بالبكاء، كان الشهيد الصدر الأول يطلق صرخة المحنة وهي صرخة لو لم يقل في حياته كلها غيرها، لكفاه وكفاها تعبيراً عن واقع «الحوزة» وتعبيرا عن إخلاصه وشجاعته وهمته العالية الممزوجة صبراً وبكاءاً. كيف لهذه «

الحوزة» أن تمرر للصدر الأول هذه الصرخة؟ لذلك جاء انتقامها مفجعاً للعراق والإسلام معا. ولعل النص المار الذكر ـ للشيخ خير الله البصري ـ بما يوحي بالانتقام «الكلامي» من الصدر الأول يرتبط جزء منه بهذه الصرخة... عندما يكررها أحدهم تسجيلاً قبلياً، فيتجرأ قائلها وكاتبها بأن يضعا نفسيهما في موقع «المنظرين الاستباقيين» لما قاله الصدر الاول حول حب الدنيا فيما بعد.

انها مهزلة «القدر» العراقي... عندما يستغل «الأميون» من عمائم حزب الدعوة أخلاق الصدر العالية، لكي يوجهوا له سمومهم وسهامهم بهذه الطريقة بكل ما فيها من أذى، لا بعده أذى، وبكل ما فيها من انتقام لا انتقام بعده، فإذا كان قائلها في حينه «غبياً»، فإن مدونها ومصدرها ومحولها إلى تاريخ حول الشهيد الصدر هو من يعطيها معنى الأذى والانتقام من الصدر الأول، حينما أثاروا «مقولتهم» القبلية عليه وضده بالطريقة التي يسردها النص الآنف الذكر، وعندما يصر المصرون على مواصلة انتقامهم منه عندما يسرودنها تاريخاً وقائعياً، مسلوخاً عن كل المعايير المعرفية والأخلاقية الذاتية للصدر الأول، ومسلوخاً عن تغاير المراحل، وقلب المضامين بحيث يتحول هدف الصدر في الحفاظ على ما تبقى من الحزب عبر استقلاله عن «الحوزة» المخترقة إلى نقيضه تماماً.

إذ إن السؤال: هل كان أحداً من رموز العراق «الدينية» أكثر معرفة من الصدر الأول؟

وهل هنالك أكثر منه دفع ثمن معرفته وموقفه من تلك «الحوزة» وتحريضها للنظام عليه.. وثم الانتقام منه والغدر به، حتى وهو يتخذ قرار الاستشهاد؟ لمصلحة من تقلب هذهِ المضامين، وتلاك كتاريخ منقول عن «أناس» ارتضوا العمل مع الصليبية واليهودية مرموزاً لها ببوش الأميركي «المتدين»؟

ـ وبعد ذلك كله لأنه نص لا يختزن «تصوراً» تاريخياً طاعناً بالصدر الأول في سياق علاقته مع حزب الدعوة و«شتائمه» له في أحرج لحظات حياته فقط، بل لأنه أيضاً يختزن علاقة الصدر الأول بالمواقع «المرجعية» أو الرموز المعرفية، «الفقهية» الفكرية الخصمية لموقع السيد محسن الحكيم و«شماتتهم» فيه أو بالأحرى إنه يشير إلى

الصراعات القديمة ــ بداية العمل التأسيسي وتداعياته اللاحقة ــ بين هذا الأخير، وبين «المواقع الرموزية المرجعية الخصمية» له بما يربطها بدور الشهيد الصدر الأول بشكل قسري يغاير علاقته بين الموقعين «الاصلاحي» و«الخصمي» له.

وقد وقفنا في بداية هذه الفقرة على العلاقة المعرفية بين الشهيد محمد باقر الصدر، و«خصمه المعرفي» السيد الحكيم.

جاسوسية مهدي الحكيم
نقاشات مجتزأة .. واشتباكات "مرجعية"

... وقد أثار النص المذكور بدون مناسبة، وبربط قاصد للإساءة للصدر الأول، محطة من محطات الصراع بين السيد محسن الحكيم، وخصومه، وهي المحطة المتمثلة، باتهام السيد مهدي الحكيم بالعمالة وموقف السيد محمد الحسني البغدادي و«أسرته» من هذا الاتهام، الذي له قصة على غاية من الإثارة المرتبطة بصراعات «الحوزة»، ودور نظام البكر ــ صدام بتوظيفها لأغراضه وأهدافه الذاتية.. فعندما صدر اتهام ذلك النظام لمهدي الحكيم بالعمالة أذاع راديو بغداد «فتوى» التباسية عامة للسيد محمد الحسني البغدادي حول «الحكم الشرعي» بحق من يتجسس على بلده واستدلاله بالآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَو يُصَلَّبُوٓاْ أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَو يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وكان واضحاً أن نظام البكر ــ صدام أقدم على بث هذه الفتوى للسيد محمد الحسني البغدادي مسجلة بصوته بالتزامن مع اتهامه لمهدي الحكيم بالتجسس بغية توظيفها لتمرير ذلك الاتهام عبر غطاء ديني «مرجعي ــ شيعي» يعد من خصوم

محسن الحكيم وأسرته المشهورين، وله منهجه «الثوري والفقهي» المغاير تماماً لمنهج السيد محسن «الإصلاحي المحدود»، ويحكم الاثنين قبليات صراعية واضحة ومعروفة وشديدة ومكثفة الوقائع والسجال في الوسط النجفي، حول «أحقية» السيد محمد الحسني البغدادي في «الموقع المرجعي»، مع ان الاثنين «عربٌ»، إلا أن عروبتهما تتغاير «معرفياً» و«انتمائياً» فالبغدادي يعد مرجعاً عربياً عريقاً في النسب، ومما يجعله أيضاً متفوقاً من «الناحية الفقهية»، في حين أن السيد محسن الحكيم يرجع إلى «أصول إيرانية ــ أصفهانية» بعيدة، كما يعتبر ذلك بعضهم، وأن علاقته مع شاه إيران تجعله على خلاف البغدادي عدو شاه إيران المعروف... ومع الفارق بين الاثنين في «الفكر الثوري»... سيستغل النظام آنذاك هذه الفوارق وأخرى غيرها ترتبط بسيرة كل منها وطبيعة حياتهما في ما يرتبط بالجوانب الخاصة والعامة وجوانب الإمكانات المادية والعامل الوطني، سيستغل ذلك كله في أول ضربة يوجهها هذا النظام لخصمه آنذاك شاه إيران عبر اتهام ابن «المرجع الأعلى» بالتجسس لصالحه.

ولم يجد ــ النظام ــ قطعاً ورقة رابحة في تمرير ضربته تلك، أفضل من ورقة فتوى حول الجاسوسية أكثر وقعاً وتأثيراً من فتوى البغدادي، وهو «يتهم» ابن «المرجع الأعلى» بالتجسس، ولذا فإن مثل هذه الفتوى وظفتها بعض عناصر «الحوزة» ضد البغدادي باعتبارها تعبر عن «اصطفاف» له مع «النظام» ضد «الحوزة»... وطورت في ما بعد من قبل خصوم البغدادي إلى «مديح من قبله للسلطة»... وهذا ما أثار كثيراً من اللغط المكتوب والشفوي، وبقيت آثار هذا اللغط حاضرة في كتابة تاريخ العراق المعاصر، بالشكل الذي يظهر أيضاً التعاطي المقلوب مع هذا التاريخ، وبالشكل الذي يظهر مأساة العراق في ظل إخفاء الحقائق حتى من قبل مَن يفترض بهم أن يكشفوها... فبعضهم من أُسر الرموز التي ظلمت في خضم هذا الصراع الحوزوي، ولاتزال تتحاشى الكشف عن هذه الحقائق ــ على الأقل ــ لا بدافع الدفاع عن مظلومية هذه الرموز، وإنما بدافع الدين والوطن، الذي ما عاد بعد اليوم مخيفاً وصعباً على الفرز بعد واقع «الحوزة» الحالي وتواطئها مع المحتل الأميركي للعراق، وحيث لم يعد من الصعب الفرز ــ فرز الصراعات الماضية ــ

وكشف حقائقها للناس، لكي لا تدفع الثمن قاسياً المرة تلو الأخرى. فقصة محمد الحسني البغدادي تلك لاتزال حتى هذا اليوم تكتب أو يوحى بها بالطريقة المقلوبة، كما أشار إليها النص المذكور آنفاً، أو نصوص ـ بعض الكتبة المعتاشين على مهنة الكتابة المشروطة بشروط الممول ـ وفي رد لـ «الفقيه» علي الحسني البغدادي على أحد هؤلاء الكتبة، الذين تطرقوا لتلك القصة، والتقولات التي أضيفت حولها وعليها، ورد ما يوضح بعض ملابساتها، وليس كلها، وسنضطر هنا إلى إدراج نصوص مطولة ـ نسبياً ـ من هذا الرد لأهمية القصة ودلالاتها، حيث جاء فيه:

«(١١) في ص: ٣٩٩ اتهم السيد البغدادي بأنه امتدح نظام البعث ما هذا نصه: فأجريت معه مقابلة إذاعية في داره.. مدح فيها نظام البعث وطالب قيادته بمساعدته لبناء مدرسة علمية تابعة له أقول: من المتسالم عليه لدى جميع الطبقات الاجتماعية المختلفة أن الإمام المجاهد السيد البغدادي لم يمتدح أي نظام جائر في جميع ادوار حياته لاسيما في أيام نظام البعث سواء كان ذلك عن طريق الكتابة المختومة بختمه أو عن طريق مقابلة إذاعية لذا نجده في أيام حكومة عبد السلام عارف عندما حرفت بعض بياناته ضد (الطائفية) من قبل أزلام النظام وجه بياناً خطيراً ضد النظام وأعوانه كما سيأتي بيان موقف السيد البغدادي تجاه النظام، واني أتحدى هذا الكاتب المشبوه أن يثبت كلامه بالوثائق المعتبرة. أجل إن السيد البغدادي بارك (ثورة) ١٤ تموز ١٩٥٨م، كسائر المراجع وفي طليعتهم السيد الحكيم، ولكنه في ذلك خدع وندم على ما فعل.. في مقالة في هذا الشأن في موسوعته الإسلامية الكبرى: التحصيل ـ ولكنه في السنة الثانية من (الثورة) وجه رسالة خطيرة ضد عبد الكريم قاسم عندما خرجت دوائر الدولة في الشوارع في أيام مقتل سيد الشهداء الحسين (ع) بالرقص والتصفيق: راجع جهاد السيد البغدادي.

ومن الطريف أن المقابلة الإذاعية مع السيد البغدادي قد سجلت بآلة تسجيل موجودة عند بعض أحفاده ومفاد ما صرح به السيد البغدادي في هذه المقابلة انه يجب على الدولة الاهتمام بالمظاهر الإسلامية وحفظ اسم محمد (ص) ونشره في العالم، فإذا نصرتم الإسلام، فاني مناصركم، لم ولن يمتدح نظام البعث، ولم ولن يطالب بالمساعدة

لبناء مدرسة علمية له، فهذا الكلام من أعظم مفترياته على السيد البغدادي. وان ادعى انه سمع هذا التصريح هو شخصياً أو سمعه عن طريق عملاء الشاه لاسيما عم زوجته العسكري القابع في طهران»[1].

«وهنا نتساءل: لماذا هذا الكاتب لا يعترض على السيد الخوئي عندما امتدح حكومة احمد حسن البكر، حينما سافر إلى لندن للمعالجة حيث صرح بنفسه بان الحوزة العلمية بالنجف الأشرف بخير، ولم تحصل مضايقات عليها من قبل الدولة، وتسير سيراً طبيعياً وقد أذيعت هذه المقابلة عن طريق بعض القنوات العالمية؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على السيد الخوئي عندما اجتمع مع صدام حسين في بغداد في أيام الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م، وانتقد الأعمال التي قام بها المجاهدون ضد أزلام النظام؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على السيد الخوئي عندما أرسل رسالة خطية مختومة بختمه إلى الرئيس البكر أيد فيها تأميم شركة النفط العراقية؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على السيد الخوئي عندما أفتى بجواز الانتماء إلى حزب البعث عندما سأله شخص من كربلاء كما هو اعترف بذلك في ص: ٥٠٧ ــ ٥٠٨ ولكنه دافع عنه بأن هذه الفتوى كانت صادرة منه تقية؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على السيد الخوئي من عدم مقاومته لنظام البعث، الذي قام بأعمال وحشية ضد الشيعة من تهجيرهم وإعدامهم لاسيما رموز الحوزة العلمية وفي طليعتهم الشهيد الصدر الأول؟!.. ولماذا لا يهاجر هو وحوزته إلى خارج العراق كما هاجر الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف؟!.. الم تكن ارض الله واسعة بل سكت وانعزل عن الساحة الجهادية الإسلامية؟!.. وهل يعلم أن هذه المواقف من ابرز العوامل، التي أدت إلى تصدي الشهيد الصدر الأول للمرجعية في حياة أستاذه السيد الخوئي؟!.. ولماذا يعترض هذا الكاتب على الصدر الأول على مثل هذا التصدي كما سيجيء بيان اعتراضه؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على السيد الخوئي حينما زارته زوجة

---

(١) علي الحسني البغدادي (كشف الأسرار)، إعداد حيدر الحسني البغدادي، صحيفة (براءة)، العدد١١.

مهدي شمس الدين يتهم فيها الشهيد مصطفى الخميني في اجتماعه مع الرئيس البكر وانه هو وحاشيته ووالده يتعاونون مع حزب السلطة ويقفون عقبة في طريقهم؟!.. ولماذا لا يعترض هذا الكاتب على رموز أسرته من رجالات الحوزة العلمية الذين كانوا يحضرون احتفالات النظام البعثي وكان كبار المسؤولين لهم زيارات متواصلة لدواوينهم ومن أجل مواقفهم تجاه الدولة قد أطلق سراح بعض أبنائهم من السجن في أيام الانتفاضة الشعبانية وقد حصلوا على الإعفاء من الخدمة العسكرية وقد جرت هذه السيرة من قبل رموز النظام مع حواشي جميع المراجع وأغلب رموز الحوزة؟!..»[1].

«١٢) وفي نقطة مستقلة أخرى حول ذات الموضوع جاء في الرد قوله في ص: ٣٩٩ أن السيد البغدادي أدان السيد مهدي الحكيم بالتهم التي وجهها البعث الحاكم إليه.

ولكن قوله هذا من جملة الأكاذيب القطعية على السيد البغدادي فإنه لم يصدر فتوى باتهام نفس السيد مهدي الحكيم بالجاسوسية مطلقاً سواء أكان ذلك بتوقيعه وبختمه أو بمقابلة صوتية وإني أتحداه أن يثبت ذلك.. أجل سئل سؤالاً عن رأي الإسلام حول الجاسوس للقوى الكافرة فأجاب جواباً مطلقاً من دون ذكر أي شخص معين فإنه (قده) سئل في هذا الموضوع قبل اتهام السيد مهدي الحكيم بعدة أشهر وثم بعد ذلك نشرت هذه الفتوى المطلقة في ترجمته المختزلة في كراس موقف الإمام البغدادي حول قضية تحرير فلسطين.

وتجدر الإشارة أن السيد البغدادي عاش في أيام حكومة احمد حسن البكر ثلاثة سنوات وخمسة أشهر وبضع أيام وكان مريضاً ومسجى مدة سنتين وقد منع من قبل نظام البعث من السفر إلى لندن للمعالجة مع العلم أن السيد الحكيم والسيد الخوئي سمح لهما بالسفر إلى لندن من أجل إجراء العلاج لهما وقبل أن يسافر السيد الخوئي إلى لندن وكان راقداً في مستشفى مدينة الطب في بغداد نصبت له خيمة أمام المستشفى من قبل قيادة الحزب لاستقبال الوفود وكان محافظ كربلاء شبيب المالكي يحث بعض

(١) المصدر نفسه.

رموز الحوزة لزيارة السيد الخوئي في مستشفى مدينة الطب.

صرح شقيقي الأكبر ــ دام ظله ــ حول سفر السيد البغدادي ــ قدس سره ــ إلى لندن للمعالجة إذ كتب يقول: في صيف ١٩٧٠م أصابت السيد البغدادي وعكة صحية وعلى أثرها نقل إلى مستشفى اليرموك في بغداد.. وبقي فيه قرابة شهر ونيف في غيبوبة تارة ويقظة تارة أخرى وبسبب هذا المرض العضال صممنا بنقله إلى مستشفيات لندن..

وعلى هذا الأساس قدمنا طلباً إلى الجهات المختصة لحصول الرخصة بذلك وبعد انتهاء المعاملة الأصولية والحصول على (الفيزا) غادرنا في الوقت المقرر النجف الأشرف متجهين إلى المطار الدولي وبعد أن استقر بنا المقام في صالة الاستراحة قبل إقلاع الطائرة بساعة ونصف صدرت الأوامر من ضابط أمن المطار بـــ (المنع) لأسباب لا يمكن فهمها في تلك اللحظة الحرجة!..)

وعلى أثر ذلك بعثنا وفداً على الفور برئاسة السيد حسام الدين الهادي الحسني إلى شبيب المالكي محافظ كربلاء المقدسة يستفسر عن الأسباب الرئيسية لمسألة المنع من المغادرة بيد أن المالكي استغرب لهذا النبأ المفاجئ الذي لم يكن في الحسبان وأعطى موعداً للاجتماع بـــ (القيادة) ليستفسر عن ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد فوجئنا في اليوم التالي بزيارة المحافظ وكان برفقته خير الله طلفاح وفريق من الأطباء الاختصاصين برئاسة الدكتور محسن العاني (الطبيب الخاص للرئيس العراقي احمد حسن البكر) وبعد إجراء الفحوص الطبية الدقيقة عليه بادرنا قائلاً: اطمئنوا السيد لم يكن مصاباً بـــ (مرض البروستات) وإنما هو بحاجة إلى إجراء عملية جراحية بسيطة في المجاري البولية وبالفعل استجبنا لقوله وأدخلناه مستشفى مدينة الطب في بغداد وأجريت له العملية على حسب ما يرام وبعد سنة ونيف عاد المرض إليه ودخل عدة مرات إلى مستشفيات بغداد ويئس الأطباء ذوو الاختصاصات العلمية المختلفة بسبب تكلسات المجاري البولية والمضاعفات الأخرى التي أصابته نتيجة هذا المرض المزمن. ولقد فكرنا مرة أخرى لأخذ الرخصة من

الجهات المختصة لمغادرة القطر فاجتمع السيد حسام الدين الهادي بالسيد عبد الرزاق الحبوبي محافظ كربلاء واقترح عليه فكرة التداوي في مستشفيات اوروبا ورحب بفكرة المغادرة أحسن ترحيب ووعده بإنجاز المهمة بعد التشاور مع (القيادة) وبالفعل زارنا وقدم لنا الكتاب الرسمي بالمغادرة خارج القطر.

وفي صباح الخامس من تشرين الأول ١٩٧٢م ذهبنا إلى المطار الدولي وفوجئنا مرة ثانية بـــ (المنع من السفر) فكانت هذه المفاجئة في الحقيقة صدمة في حياتنا: ورحت أنا شخصياً أتحدث في سري: عجيب ألم يغادر قبله السيد محسن الحكيم (ت ١٩٧٠م) وكانت بينه وبين حزب السلطة مقاطعة بسبب اتهام ولده بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الأمريكية!!.» [١].

وجاء في الرد أيضاً:

«والسبب الأساس لحقد قيادة النظام البعثي في العراق على السيد البغدادي هو أن السيد البغدادي كان المبادر الأول لمساندة الشعائر الحسينية ــ راجع كتاب جهاد السيد البغدادي ص٦٥ ــ وأزلام هذا النظام يعتبرون الشعائر الحسينية من أهم الوسائل للقضاء على أفكارهم العلمانية وإني أتذكر جيداً عندما أصدر النظام بياناً لمنع ممارسة طقوس الشعائر الحسينية لاسيما (التطبير) في أيام حكومة البكر ١٩٧٠م بسبب وقوع تصادم بين أهالي النجف وأجهزة الدولة ليلاً حتى أن بعض رموز الحزب شهر مسدسه أمام الصحن الحيدري الشريف وأطلق الرصاص وفي هذه الواقعة أرسل السيد البغدادي على رموز النظام وكان السيد عبد الرزاق الحبوبي والمرحوم السيد حسين الكليدار من جملة الوافدين فنصحهم وحذرهم من منعهم طقوس الشعائر الحسينية وأمرهم بإرجاعها فوراً.

فاتصل السيد شبيب المالكي محافظ كربلاء بنائب مجلس قيادة (الثورة) في هذا

---

(١) المصدر نفسه.

المطولة تلك، لابد أنه سيتوقف على الحشد الموقفي الوثائقي الهائل[1] لمواقف السيد الخوئي التي دفع ثمنها المرة تلو الأخرى الشهيد محمد باقر الصدر، وعودة إلى التباسات قصة «الفتوى» ذاتها لمحمد الحسني البغدادي المتزامنة مع اتهام مهدي الحكيم بالعمالة، فإن تلك النصوص بإسهابها إلا أنها جاءت «دفاعية» واعتمد الإسهاب فيها أدوات دفاعية مشروعة ومفيدة ومهمة وكاشفة للكثير من المخبوء، لكننا نرى أنها «تهرب» ربما عن دفاع يرتكز إلى أدوات أكثر فاعلية في ما يرتبط بالتباسات الفتوى ذاتها، فالنصوص المطولة المذكورة رغم «تحدياتها المكرورة» للكاتب ــ الخرسان ــ الذي عالج الموضوع بطريقة مشوهة وربما قصدية، إلا أنها تحاشت المباشرة «الهاجمة» على الموضوع بأدواته ذاتها، لا الأدوات الأخرى، فأدوات القصة ــ

---

(١) إن كتاب صلاح الخرسان حول «حزب الدعوة الإسلامية» الذي ترد عليه تلك النصوص المطولة لــ «المرجع» علي البغدادي.. هو كتاب جاء صدوره في سياق الصراع اللامعلن بين حزب الدعوة الإسلامية، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ولذا فان بعض «موظفي» صحيفة «نداء الرافدين» التابعة للمجلس ــ مكتب دمشق ــ قاموا بما يشبه «حملة عمل شعبي» من أجل مساعدة الكاتب، وتسريع صدور الكتاب الذي كان بيان جبر «باقر صولاغ» مسؤول مكتب دمشق متحمساً لصدوره بأسرع وقت، فأمر بعض موظفيه بهذه «الحملة»... ووقع عقداً مع المحرر الذي يعمل بصحيفته حول «حقوق التأليف» انظر نص وصورة الصفحة الأولى والصفحة الثالثة لمسودة هذا العقد الاولية في الملاحق، ملحق رقم (٢)، ولم يدرك في حينه لا باقر صولاغ، ولا المحرر نفسه، بأنه قدم «خدمة» كبرى لحزب الدعوة بذلك الكتاب، الأمر الذي دفع هذا الأخير شراء مجموعة نسخ منه وتوزيعه مجانا، وانتبه صولاغ بوقت متأخر إلى خطئه الفادح.. وثم دفعه هذا الخطأ الذي حوله حزب الدعوة إلى «نغاز» استفزازي له.. دفعه إلى المماطلة من اجل عدم إعادة طبع الكتاب كما يقضي اتفاقه مع الكاتب ودخوله خلافاً حاداً معه، مما دفع بالكاتب إلي أن يعرض إعادة طبع الكتاب وإجراء التعديلات المطلوبة من قبل حزب الدعوة عليه، وحسب ما يرونه، واجتمع بعدها مع حسن شبر ونوري المالكي، عارضاً عليهم استعداده لذلك نكاية بباقر صولاغ.. إلا أن حزب الدعوة رفض استعداد الخرسان نكاية به وبباقر صولاغ والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق... وأثر هذا الخلاف زارني الخرسان، مؤلف الكتاب، في «المركز العراقي للإعلام والدراسات» عارضاً عليّ العمل في المركز وفي مجلة «دراسات عراقية» إلا أنني وجهت الحديث إليه باتجاه «الصلح» مع باقر صولاغ والعودة إلى العمل معه.

الفتوى ــ تبقى أكثر من فردية لدحض «قصدية الكاتب» في تزوير التاريخ... ولا نعتقد أن «الهروب» من أدوات القصة ذاتها كان هروباً «عفويا»... لا بل هو هروب يقع في سياق التردد من المنهج الاقتحامي للرد في ظل مرحلة سقط في ظلها كل تردد، وتفرض فرضاً شرعياً الكشف الفاضح لما دار في الماضي من تزوير لتاريخ «الحوزة» المعاصر في النجف.. في ظل حاضر علني وصارخ ومدان في تعاطي الرموز «المرجعية لهذه الحوزة» مع الاحتلال الأميركي.. وهو تعاطي دفع الشعب العراقي ثمنه ولايزال يدفعه أنهاراً من دماء الأبرياء، فرموز «الحوزة» العليا ونهر الدم العراقي الجاري في الفترة التي نتحدث عنها باتا لصيقين، كسبب ونتيجة.. كسبب أول في قائمة الأسباب الأخرى كلها، وكنتيجة عراقية تفرض ذاتها سؤالاً مخجلاً ليس في العراق فحسب.. بل في العالم العربي والإسلامي كله.

فلِم يتردد إذن كاتب هذهِ النصوص في اختيار أدوات الرد؟ وإلى متى يبقى هذا الشعب العراقي مشروعاً لدورات الموت والذبح المتنوع في ظل غياب ما أسميناه المنهج الاقتحامي، بأدوات الموضوع المباشرة؟ إن أول ما يجب قوله في فك التباسات تلك الفتوى ــ وفق أدوات موضوعها ــ هو سكوت السيد محمد الحسني البغدادي في حينها عن توظيف السلطة لها، وثاني ما يثار في فك تلك الالتباسات هو عدم استقوائه في حينه بخلفيات فتواه.

... ومن الواضح أو من المقطوع فيه، وفق النص، الذي قاله البغدادي وخلفياته ــ نحتفظ به مسجلاً ــ هو أنه سئل من قبل وفد من العاملين في الإذاعة العراقية آنذاك، زاره إلى بيته قبل اتهام السيد مهدي الحكيم بالتجسس من قبل السلطة. بثلاثة أشهر، سئل عن الموقف الإسلامي أو «الحكم الإسلامي» بحق من يقوم بالتجسس على بلده.

فأجاب جوابه المعروف:

﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَو يُصَلَّبُوٓاْ أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَو يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقطعاً أن السؤال كان عاماً عن الجاسوسية، كما أنه أجري قبل ثلاثة أشهر من

اتهام النظام لمهدي الحكيم بالتجسس، والسيد البغدادي لم يعرف في حينها أن السلطة إنما أجرت معه هذا اللقاء وهي تنوي وتبيت استخدامه لاحقاً ضد أحد، سواء كان مهدي الحكيم أم غيره. ولذا فإن السؤال المركزي، الذي يطرح ذاته بقوة ولم تجب عنه أو تعالجه تلك النصوص المطولة، هو لماذا سكت محمد الحسني البغدادي إزاء توظيف السلطة للقاء عام أجرته معه قبل ثلاثة أشهر، وبما يدخله ــ أي البغدادي ــ في المحاذير التي كان يتحاشاها؟ والمتوقع في مثل هذه الحالة، ووفق السياق الصراعي، الذي حكم «الحوزة» قبل تلك الفتوى، ومنهج تعاطيه مع هذه الصراعات، التي يلحظ الدارس لحياته ودوره أنه يحذر في مثل الأمور... المتوقع أن يصدر البغدادي بياناً توضيحياً لخلفيات هذه «الفتوى»، وطبيعة توظيف السلطة لها للرأي العام العراقي والإسلامي.. إلا أن هذا المتوقع لم يحصل، ولم يصدر البغدادي بياناً توضيحياً إزاء ذلك، بما «يكرس» اتهاماتهم «المعروفة» له بأنه كان على «تفاهم مع الأنظمة» وهو واحد من الاتهامات العديدة التي اعتادت «الحوزة» أن تقذف بها أي موقع رموزي ثوري حقيقي خارج دائرة الارتباط بالخارج... فهذه «الحوزة» وباعتراف أبرز رموزها الإمام الخميني، الذي قضى ثلاثة عشر عاماً في العراق تفبرك التهم الجاهزة، وتوزعها وتشيعها عبر أجهزة إشاعة معدة وحاضرة لذلك، فتقذف أحدهم ــ الرموز الثورية ــ بتهمة الإلحاد، وتقذف الثاني، بتهمة الوهابية، والثالث بتهمة «التسنن» والرابع بتهمة «التعاون مع السلطة»...الخ من الاتهامات، ولم يسلم طوال أكثر من قرن ثائر أو مفكر «حوزوي» من تهمة أو أكثر من هذه التهم القاسية والملفقة و«التسقيطية» لهالة هذه الرموز، لم يسلم من ذلك عبد الكريم الزنجاني، ولا محمد الخالصي، ولا السيد البغدادي، ولا الشهيد محمد باقر الصدر، ولا الشهيد محمد محمد صادق الصدر ولا أي رمز ثوري آخر.

وكان واضحاً أن التهمة، التي حورب بها محمد الحسني البغدادي، هي تهمة «التعامل مع الأنظمة الحاكمة» وهي تهمة نقيضة للواقع تماماً، كما أن التهم الأخرى إزاء الآخرين مخالفة للواقع، حيث أن «المواقع المرجعية العليا» هي التي تتعامل مع هذه الأنظمة كل على طريقته، وبالتالي تقلب التهمة وترمى على من يراد استهدافه في

سياق هذه الصراعات من الرموز الثورية «الفقهية» النظيفة، التي أثبتت الوقائع أنها عاشت حياتها تكابد وتعاني حتى في واقعها المعاشي ـ المالي[1].... وترفض

---

(١) إن الفرق الكبير والهائل في الإمكانات المادية لـ «المرجع الأعلى» والآخرين من «خصومه» الثوار، هو أمر واضح ومعروف من قبل كل أوساط «الحوزة النجفية»... وما يخص السيد محسن الحكيم، فكان الأمر أوضح بعد تصديه لـ «المرجعية» للمرة الأولى... وبعد تصديه لـ «الإصلاح المحدود» في نهاية الخمسينات وبعدها... لأن دعم شاه إيران له كان لا يخفى على أحد، ويعترف به حتى السيد محسن الحكيم ذاته ـ وهذا ما له قصة أخرى ـ ولعل النجفيون يعرفون أن عدد البيوت الخاصة بأسرة السيد محسن الحكيم كانت بعدد أولاده... وهذا العامل المادي الذي كان يسم إلى جوانب عوامل أخرى حياة «المرجعيات» بما يرتبط بواقعها الثوري والسياسي، كان قد «ضغط» بشدة على السيد محمد باقر الحكيم «الثوري» أثناء إقامته في إيران، فحاول أن «يعالجه» بصورة خالطة للمراحل: خالطة بين مراحل الفقر والعوز قبل تصدي والده لـ «المرجعية» ليسحبها على مراحل لاحقة بعد تصديه، ولذا فإنه كان يركز على «حياة الفقر» للسيد الحكيم، ومما قاله في هذا الصدد في كراس باسم «(لمحات عن مرجعية السيد الحكيم)، ص١١ ـ ١٢ ـ ١٣ قسم الإعلام، مكتب السيد الحكيم ١٤٥٤ هـ ق ط١»، بقلمه هو ـ أي السيد محمد باقر الحكيم ـ عندما كان ناطقاً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ وكان هذا الكراس في الأصل محاضرة ألقاها في صلاة الوحدة بمؤسسة الشهيد الصدر بتاريخ ٣ / ٣ /١٣٦٣ هـ.ق. جاء فيها ما يلي: «الحياة الخاصة للسيد الحكيم: فقد كان السيد الحكيم ولعل الكثير لا يعرف ذلك، يعيش في عائلة فقيرة، فقد توفي أبوه وعمره ستة سنوات، وغاب عن أبيه وعمره ثلاث سنوات حيث توفي في المهجر في لبنان، وكان يعيش في أسرة فقيرة غاية الفقر، كان يحدثنا في بعض الأحيان عن حياته المعيشية الخاصة ويقول انه كانت تمر علينا عدة أيام يكون غذائنا الوحيد فيها هو الخبز واللبن ونكتفي بهذا الغذاء، والفقر ليس عيباً كما تعرفون، وإنما هو كرامة للإنسان اذا تحمل هذا الإنسان ظروف الفقر وأوضاع الفقر، والأسرة العامة للسيد الحكيم لم تكن من الأسر العلمية بالمعنى العام. نعم في تاريخها يوجد الكثير من العلماء، لكن بشكل عام كانت هذه الأسرة تتعاهد خدمة الحرم الحيدري، وإنما كان يوجد فيها القليل من العلماء، من جملتهم والد السيد الحكيم وجده كانا من العلماء وبعض أرحامه الذين لا يتجاوزون الواحد أو الاثنين، فلم تكن أسرة علمية، وكان يعيش هذه الظروف الفقيرة، وقد ظلت هذه الظروف تحكم حياة السيد الحكيم حتى الأيام القريبة وهي التي عرفت الحياة فيها، فقد كنا نعيش هذا الوضع الفقير، يعني وضع الفقر. أنا أتذكر انه في بداية أيامنا بعد الحرب العالمية الثانية بعد سنوات كنا في الصباح نتناول الخبز البائت الذي ينقع في الشاي والسكر الأحمر، لأنه رخيص جداً وكان غذاؤنا في كثير من الأحيان التمر والراشي والخبز بالرغم من توسع مرجعيته، وبالرغم من وجود الأموال الطائلة

←

عروض الأنظمة المالية..

نعود لنقول لماذا لم يصدر البغدادي بياناً توضيحياً حول خلفيات فتواه تلك، وهو الذي عرف عنه أنه لم يخش أية سلطة إذا ما ارتبط الأمر بمثل ما ارتبط في توظيف السلطة لهذا «الفخ» الذي أوقعت البغدادي فيه ــ حسب رأيها ــ؟ بينما كانت السلطة ترى أنها أدت دورها ونجحت في نصب «الفخ» فإن البغدادي الذي لم يكن يخشى التوضيح ما كان يرى بما حصل «فخاً» وما كان يرى أن الموقف كله يحتاج إلى إيضاح خلفيات هذا «الفخ» وهذه «الفتوى»!! لا لأنها كما ورد في النصوص المارة الذكر غير موجهة ضد مهدي الحكيم، وبأنها فتوى عامة... لا، ليس لهذا السبب وحده، وإنما البغدادي وجد نفسه في تلك اللحظة أمام خيارين ــ في أكثر الاحتمالات ــ خيار توضيح الخلفيات ــ خلفيات الفتوى ــ وخيار السكوت حول توظيف السلطة لها، إذا ما أخذنا الأمر من الناحية الشرعية، فإن خيار توضيح الخلفيات سيفهم على أنه تبرئة لساحة مهدي الحكيم من تهمة التجسس.. وهذا ما يخالف الواقع الذي كان معروفاً للجميع في تلك المرحلة، وأكثر العارفين به هو السيد البغدادي فقد يكون هنالك كلام حول كلمة أو مفردة التجسس، إلا أن المسألة أكبر من مسألة الكلام حول المفردة في ظل واقع معروف ومعاش للقاصي والداني حول ارتباط «مرجعية» محسن الحكيم بشاه إيران، وارتباط بعض أولاده به، لاسيما السيد مهدي الحكيم في تلك المرحلة.

تحت يده، ويتمكن أن يصنع الأشياء الكثيرة. أنا أتذكر أنه عندما كان في الكوفة وهو مقره الأخير، الذي كان يستقر فيه، ويعيش فيه أكثر أوقاته لأنه عندما كان يأتي إلى النجف كان يأتي للعمل، فقد كان هذا المقر مفروشاً بقطعة سجاد هي اقرب إلى البساط منها إلى السجاد كانت ملكاً لوالدتي حصلت عليها بمناسبة زواجها من السيد الحكيم أيضاً، وكانت هذه الزولية لا يتمكن الإنسان أن يميز بينها وبين البساط من كثرة تآكلها، لكن كان هذا هو فراشه الذي يستعمله، بالرغم من هذه الظروف، نجد السيد الحكيم أنه يرى أن قضية الحوزة العلمية وقضية خط المرجعية هي القضية الأصلية في وجوده وفي حياته.»!!!

"السكوت من الرضا"
البغدادي - الخميني
جاسوسية مهدي الحكيم

عاشت «حوزة النجف» في ظل جدل تلك المرحلة ووجود الإمام الخميني فيها، وموقف «المرجعيات» منه كثائر ضد شاه إيران، وكان البغدادي يكاد يكون الوحيد في النجف، الذي لم يخش أية سلطة لا سلطة العارفين ولا سلطة البكر ــ صدام حسين في إبداء وقوفه العلني إلى جانب الإمام الخميني الثوري، والدفاع عنه، لا بما ينسجم مع توجهات هذه الأنظمة السياسية، التي أرادت أن تجعل من الإمام الخميني ورقة ضد الشاه، فان الإمام الخميني لم يسمح لأحد من هذه الأنظمة أن يستخدمه ورقة في صراعه مع شاه إيران، بقدر ما هو استخدم الأنظمة كورقة لتمرير أهدافه في محاربة الشاه، وان السيد البغدادي لم يكن دعمه واحتضانه للإمام الخميني من الطراز الذي يلبي حاجات سلطة ما، بقدر ما كان هذا الدعم والاحتضان مؤنياً ومزعجاً لهذه السلطة ومنسجماً مع منهجه «الفقهي ــ الثوري» ولا أحد بإمكانه أن يزوّر هذه الحقائق لاسيما بعد نجاح ثورة الإمام الخميني.

إن دعم البغدادي «المنفرد» للإمام الخميني، لم ينطلق أيضاً من خصومته مع الحكيم، الذي كان ضد الخميني، وحليف شاه إيران.. وإنما كان نابعاً من قناعاته الشرعية ومنهجه الخاص به.. والا فإن أبواب الشاه التي كانت مفتوحة ليس فقط لمحسن الحكيم، وإنما لغيره من «المراجع»... كانت مفتوحة أمام البغدادي أيضاً لو أراد ذلك والدليل الأقوى الذي يجعل من منهج السيد البغدادي منسجما مع المسؤولية الشرعية.. وليس من منطلق «الصراعات المرجعية» هو أن أبواب الأنظمة العراقية، بما فيها باب نظام البكر ــ صدام كان مفتوحاً أمام البغدادي لكي يواجه محسن الحكيم

بعقلية «الصراعات الحوزوية» والتحالفات القصدية... لكن وبما أنه رفض الدخول من أبواب شاه إيران، والدخول من أبواب الأنظمة العراقية بوجه محسن الحكيم المدعوم من شاه إيران، فإن وقوفه مع الإمام الخميني كان بالتأكيد ينطلق من المسؤولية الشرعية، لا غير.

إن تاريخ البغدادي هذا مع الإمام الخميني لا يمكن لأحد أن يزوره ممن عاشوا تلك المرحلة، بما فيهم خصومه الذين «اتهموه بالعمل مع الأنظمة» ظلماً وعدواناً، فهم يغمزون ويلمزون في كتابتهم لهذا التاريخ، لكنهم لم يجرؤوا إطلاقاً على فتح ملفاته، لأنها ملفات أصبحت أكبر من التزوير بعدما حفظت كتاريخ مكتوب من قبل رجال الثورة الإسلامية بزعامة الإمام الخميني.

إذن ووفق هذه الخلفيات كلها التي حكمت علاقة البغدادي بالخميني على أساس الواجب الشرعي، ومنهج البغدادي «الثوري»، لا المنهج الصراعي «الحوزوي».. كان واضحاً أمام البغدادي بأن عليه أن لا يتعامل مع قضية «فتواه» بطريقة «الفخ» الذي رسمته السلطة له حسب اعتقاده من الناحية الشرعية أيضاً، حتى وأن استغلها خصومه، فهو إذا ما أصدر توضيحاً حول خلفيات هذه الفتوى، فإن توضيحه سيفهم من قبل الرأي العام بأنه «تبرئة» للسيد مهدي الحكيم.. وهذا ما يخالف الواقع الشائع المعروف في الوسط «الحوزوي» ويخالف الواجب الشرعي الملقى عليه. إذ كيف يعطي «صك براءة» لإنسان يعرف البغدادي علاقاته مع شاه إيران، الذي كان عدواً لدوداً للإسلام ورموزه وثواره آنذاك؟ هل يوضح الخلفيات و«الفخ» السلطوي لكي لا يساء فهم فتواه وتوضيحها وتوظيفها حتى لو أدى ذلك به إلى مخالفة شرعية قد تنعكس على مسار الحركة الإسلامية في إيران، وقد تفهم على أنها إعطاء شرعية لعلاقات شاه إيران مع رموز «الحوزة» النجفية المرتبطة معه، وقد تترك أثراً حتى على المعارضة الإيرانية الإسلامية بزعامة الإمام الخميني المقيمة آنذاك في العراق.

إن أي توضيح من السيد محمد الحسني البغدادي آنذاك إزاء خلفيات تلك الفتوى واستغلالها وتوظيفها كان له آثار خطيرة، فضلاً عن جانبها «الشرعي»... وعليه فإن إتباعه خيار السكوت كان يترجم مسؤوليته الشرعية، وينسجم مع منهجه «الثوري

الجهادي» وكان ينم عن وعي حساسية أي كلام «توضيحي» لـــ «فتواه» وانعكاساته على واقع الحركة الإسلامية في إيران وزعاماتها الموجودة في العراق، كما أنه كان ينم عن دقة في تشخيص الاستفادة أو عدمها بالنسبة لما يقول، سواء كان شاه إيران، أم من هو على ارتباط معه في العراق.

... في ظل هذين الخيارين لمحمد الحسني البغدادي أمام «فخ» السلطة لأخذ الفتوى منه وتوظيفها في ما بعد.. خيار السكوت على توظيف السلطة لهذه الفتوى، وبالتالي إشكالياتها للاستفادة منها.. وخيار توضيح الخلفيات لهذهِ الفتوى، التي أسهبنا في إشكالياتها، كان لابد للبغدادي أن يفضل خيار السكوت على خيار التوضيح، فبالإضافة إلى مضاره ومحاذيره، التي مررنا عليها... فإنه يبدو خياراً غير ذي منطق لأسباب عديدة أيضاً.. فإذا ما كان المرجع الأعلى نفسه والد مهدي الحكيم حياً، فمن الأولى أن يمارس هذا «المرجع الأعلى» دوره وسلطته وهالته «الدينية» بوجه السلطة، لاسيما وأن توجيه الضربة له من خلال اتهام ولده بالتجسس لم يأت من فراغ في مثل تلك المرحلة.. وإنما جاء بعد أحداث مشهورة متوجة بسفر السيد محسن الحكيم إلى بغداد لقيادة فعل ما ضد السلطة آنذاك..

... وكان جزء من الأمة حاضراً إلى جانب هذه «المرجعية» والدفاع عنها... وعندما انتهت تلك الأحداث المعروفة بنكسة كبرى لـــ «مرجعية الحكيم» وانعكست إحباطاً لدى شرائح من الأمة، وجد النظام الحاكم في حينها الفرصة سانحة لكي يوجه ضربته الأقسى لهذه «المرجعية» من خلال اتهام مهدي الحكيم بالتجسس... وقطعاً أن السيد محمد الحسني البغدادي، والإمام الخميني وغيرهم كانوا سيقفون بوجه السلطة لولا تراجع السيد الحكيم... قطعاً إنهم سيطوون ملف الماضي الصراعي مع السيد محسن الحكيم، وسيقفون إلى جانبه لو كان الأخير استغل حضور الأمة من جانب، وضعف السلطة من جانب آخر، لكن لأن شخصية السيد محسن الحكيم كما وصفناها في أكثر من مكان هي شخصية مترددة، فكان يصعب الرهان عليها، لكي تستغل مثل تلك الفرصة، فهي مرجعية قد ضيعت قبل ذلك فرصاً أكبر، وكان تحركها السياسي مشروطاً ومرتبطاً بالخارج الشاهنشاهي قبل تلك السلطة.. وبالتالي فإنه لا محمد

الحسني البغدادي كان يرى بأن السيد محسن الحكيم سيستثمر تلك الفرصة في ظل معرفته الدقيقة لشخصيته، وصداقته الشبابية القديمة له، ولا الإمام الخميني كان يرى فيه مؤهلاً لمواصلة المشوار... ولذا فإن الاثنين البغدادي والخميني كانا يدركان تماماً بأن شخصية السيد الحكيم غير قادرة على استثمار أية فرصة... فمثلما أن للبغدادي قصصاً وتجارب معه، فإن للإمام الخميني قصة وتجربة مريرة معه أيضاً.. وعليه كان قدرهما أن يتجرعا ألماً جديداً، وهما شاهدان على مرحلة ستجر العراق إلى ويلات وويلات لاحقة... ولذا فإن سكوت البغدادي على تلك الفتوى الالتباسية، الذي كان يرى فيه أيضاً درساً لمن يتعظ لاحقاً لمن تحدثهم أنفسهم بمواصلة الارتباط بالخارج عبر شاه إيران، توج بسكوت ثان غير التباسي ومغاير عن السكوت الأول، وهو سكوت الإمام الخميني على اتهام السلطة لمهدي الحكيم بالتجسس.. وعدم الدفاع عنه... فلسكوت الخميني دلالات خطيرة، وهي الأخرى غير نابعة من موقف الحكيم منه في العراق، ولا من علاقة الأخير بشاه إيران... وإنما هي نابعة أيضاً من موقفه الشرعي، الذي قدره على ضوء فهمه هو الآخر لطابع التردد لشخصية السيد محسن الحكيم، الذي أدى إلى ما أدى إليه من تأثيرات مرعبة على مسار الحركة الإسلامية في كل من العراق وإيران.

البغدادي قيد المساءلة

... نعم إن الكلام النقدي عن السيد محمد الحسني البغدادي، لا يندرج في إطار فتواه تلك، التي كان السكوت فيها، هو السكوت الصح، الذي يعبر عن منهجه «الثوري» كما عبر عنه بوقوفه المشهود مع الإمام الخميني وبسيرته الذاتية الشخصية، وببعض كتاباته، لاسيما كتابه المشهور «وجوب النهضة»... إلا أن ما يمكن أن يثار من نقد حول هذا «المنهج الثوري» هو «السكوت النقيض»، أو «السكوت الأصل» في مسار حياة السيد محمد الحسني البغدادي، وهي حياة حافلة وطويلة، وعايشت عهوداً

سياسية متعددة في العراق كما عايشت أنماطاً من أطوار «المرجعيات العليا»، ثم عاشت صخب «الحوزة النجفية»، و«ثورية» البغدادي التي تحدثنا عنها، والتي عكستها مجمل كتاباته ومواقفه وجرأته ونظافته، ترجمت استثناءً «ميدانياً»... فقد طغى على حياته واقع العزلة «النسبية» إزاء الانحرافات، التي عايشها «حوزوياً» و«سياسياً»، أو «العزلة الاجتماعية» الممزوجة بصراحته[1] في كشف هذا الواقع، إلا

---

(١) من الممكن الاطلاع على مقابلة واحدة مع السيد محمد الحسني البغدادي أن توضح الفارق في الصراحة والجرأة، بينه وبين غيره من «المراجع» الذين عاصروه، لكن بـــ «شرط» أن تكون هذه المقابلة ليس مع صحيفة «عراقية»، قد تقود للقيل والقال، والرشوة والمال، بل مع صحيفة «عربية» بحيث يجب وضع «شرط» آخر عليها و«الشرط» هو أن تكون المقابلة معه ضمن مجموعة مقابلات مع أمثاله من «المرجعيات» لكي يأخذ الكلام طابعه العفوي والمصداقي، ويعطي الفرصة المقارنة بين ما يمكن أن ينفرد به من الصفات «الصراحة والجرأة هنا» عن غيره. وبناء على ذلك يمكن أن ندرج هنا نص مقابلة من هذا القبيل أجرتها مجلة (الصياد الأسبوعية اللبنانية) الصادرة في ١٨ ــ ٢٥ / سبتمبر / ١٩٦٩، مع عدد من «المرجعيات» النجفية وهنا جزء من هذه المقابلة: «ــ عبر الأزقة ذاتها انتقلنا لزيارة بعض أبناء المرجع الأعلى لـــ (الطائفة الشيعة) آية الله العظمى وحجة الإسلام سماحة العلامة المجتهد الأكبر السيد محسن الحكيم. سألنا السيد محمد رضا السيد محسن الحكيم عن لبنان الذي يحبه والذي جاءه سبع مرات من قبل وعرف سائر نواحيه.. وسألنا عن الحكومة التي عز علينا تشكيلها... ثم انطلق يروي لنا بعض ذكرياته اللبنانية التي تعود بتاريخها إلى العام ١٩٤٧، أيام كانت فلسطين ما تزال فلسطين. قلت للسيد محمد رضا: ــ ترى هل يسعدنا حظنا بالسلام على سماحة المرجع الأعلى.. قال: ــ والله، (السيد) محتجب. إنه ممتنع عن مقابلة أي كان عدانا نحن أولاده. لقد جاء الكثير لمقابلته، ولكنه ظل على قراره. وكيف صحته؟

ــ الحمد لله، إنه بخير حال..

عساه مرتاحا..

ــ الحمد لله، ولا حمد ولا شكر لغير الله.. ونسأله تعالى أن يهدينا سواء السبيل لمقاتلة عدونا وعدوه، ومدنس حرماتنا، والمعتدي على ديارنا المقدسة، والمشرد نسائنا وأطفالنا في فلسطين، وحارق المسجد الأقصى، هذا الدخيل الصهيوني الأثيم. طرقنا على أحد البابين الخشبيين الذين كتب عليهما بالطبشور أو ببعض أنواع الدهان اسم (الخوئي)، ففتح لنا، ودخلنا لنغرق وسط مجموعة من طلبة العلم بينهم كهول وشبان وفتية لم تنبت ذقونهم بعد. كان آية الله العظمى وحجة الإسلام، المرجع الديني، سماحة السيد أبو القاسم الخوئي فوق فراشه في زاوية الحجرة، على يسار الداخل. سلمنا وجلسنا مأخوذين بهيبة هذا العلامة الذي تجاوز الثمانين من عمره، ←

أنها «صراحة ديوان»، لا صراحة «درس حوزوي» أو «درس فقهي» أو «بحث خارج» يعطيها صفة الشمولية، ويحولها إلى «صراع فقهي» ايجابي مقابل «دروس

والذي يعتبر التالي بعد السيد محسن الحكيم في الأهمية والفضل والعلم. سألناه عن حاله، وعن صحته، فحمد الله وشكره، بينما تولى طلبته الكلام نيابة عنه، إذ يتعبه الكلام.. وسألناه عن الأحوال عامة فلم يزد على شكر الله وتمنى الهداية والخير للمسلمين، والصمود لمحاولات الإيقاع بهم.. في الزيارة الأخيرة كان علي أن اسمع ما لا يرضيني.. ذلك أن حجة الإسلام، آية الله العظمى، سماحة السيد محمد الحسني البغدادي لا يجامل ولا يداري.. بادرني سماحته هاتفا: ـ ماذا تريدون منا، انتم في لبنان؟ ماذا تريد منا صحفهم تلك التي تردد ما يقوله راديو الأهواز من افتراءات ومحاولات للدس والفتنة؟ لا تحاول إقناعي بان تلك الصحف إنما تدافع عن الدين وعن رجاله.. إنها تدافع عن الاستعمار ومصالحه في المنطقة.. لم اعلق، فهتف بي:
ـ لماذا لا ترد علي؟ لماذا لا تجيب؟ هل بوسعك أن تدافع عن موقف هذه الصحف، أو عن موقف السلطات الرسمية في لبنان منها؟

ارتفع صوته أكثر فأكثر وهو يقول: ـ لقد عرفت أن بعض من سمع كلامي حاول اتهامي بممالاة السلطات الحاكمة. تصور أن اهتم، انا، بان يرضى عني هذا الحاكم أو ذاك!. وماذا تراني أريد من الحكام، أنا المنصرف لخدمة ربي وديني؟ ظللت ساكتا أتامل الوجه السمح رغم التجاعيد وغضون الثمانين سنة أو يزيد، حينما أكمل سماحته فقال:

ـ إنهم لا يريدون لهذه الأمة الخير، إنهم يشيعون بين أبنائها عوامل الفتنة وصرف أنظارها عن معركتها الأساسية على ارض فلسطين، الم تر بمينك قبة الروضة الحسينية المطهرة سليمة من أي أذى، الم تلتق برجال الدين فتتيقن بنفسك بأنهم يتابعون مجهوداتهم وأعمالهم كالمعتاد، أم انك رأيت عشرات القتلى والجرحى في الشوارع والميادين وحتى داخل المقامات المقدسة؟! حرام، هذا الكذب. وكفر وخروج على دين الله. كل هذا بينما القدس تحترق! ترى ماذا أصابنا حتى ضللنا طريقنا فلم نعد قادرين على التمييز بين العدو والصديق؟ وقمنا نودع حجة الإسلام السيد البغدادي فقال: ـ طمئنهم في لبنان أننا بألف خير، وعسى أن يهديهم الله حتى يميزوا بين ما ينفع عباده وبين ما ينفع فقط العدو الدخيل والمستعمر المتربص بنا. في طريق العودة كنا نستعيد تلك (النوادر) الطريفة التي تفضل بها راديو الأهواز على العرب والمسلمين، وأهل العراق خاصة، ومنها: حكاية (القصاب)، أو (اللحام) الذي تحول بقدرة قادر إلى (حجة إسلام) و(مجتهد أكبر).. ثم حكاية (رشيد السائل بباب الروضة الحيدرية المطهرة) ولقد صار فجأة آية الله العظمى، وصار مرضه تجسيد الاعتداءات (الحكم الغاشم في العراق) على الشيعة وعلى العتبات المقدسة. ويبدو أننا يجب أن نحاكم كل تلك الأقوال، على أنها نوادر وطرائف وأعمال سحرة... فعندها فقط تستقيم الأمور، ونصبح قادرين على إصدار الأحكام الصحيحة، حتى لو أغرتنا بعكسها مناشير الليل وكتابات النهار وإذاعات ما بينهما!».

وبحوث الآخرين»، لكي تشكل ظاهرة لها امتدادها الوطني، فالبغدادي بحكم صراحته المعروفة ووطنيته، التي لا غبار عليها، وكونه ضليعاً في «الفقه التقليدي» كان قادراً على كسر طوق الحصار المفروض عليه، وأن يواجه التهم الكاذبة، التي تطعنه وتطعن كل الخط الرموزي الثوري المعرفي.. البغدادي بحكم هذه العوامل والصفات وأخرى غيرها كان قادراً على إيجاد ظاهرة لـ «البحث الخارج» ذات الجدل الذي يوازن كثيراً من جدل «الدروس الفقهية» التقليدية السطحية... فهو يملك كل أدوات هذه الظاهرة، التي كان بإمكانها أن تحد من سلبيات «حوزة النجف» على أكثر من صعيد...

... إلا أن عدم تصديه لهذه الظاهرة لا يعود فقط إلى عامل الأموال الذي حاصر «المرجعيات الثورية» كلها... بل إلى عوامل إحباط أخرى... وربما عوامل «معرفية ـ فقهية» إشكالية جعلته متردداً في الإقدام على ذلك.. وقد مررنا في كتابنا «صناعة العقول» على رأي البغدادي، الذي يرى في «التقليد» أنه لا دليل على «وجوبه الشرعي» أو أنه «لا أصل له» ـ حسب عبارته ـ كمبنى معرفي ساد عبر التاريخ في سياق نظام إسلامي معرفي بشري موروث، وإذا ما أضيف إلى رأيه هذا، آراء أخرى حول «علم أصول الفقه».. و«الفقه»، والـ «الأعلمية» ومجالات أخرى، يمكن القول بأنه كان يعيش صراعاً معرفياً داخلياً سيتحول إلى عوامل إحباط له يدفعه إلى عدم الاهتمام بـ «طبع رسالة عملية» جادة، أو التصدي لمثل تلك الظاهرة ـ «البحث الخارج» ـ الذي يمكن له أن يوازن بعمقه «المعرفي الكلاسيكي» بحوثاً سطحية كانت تملأ مساجد النجف...

إن السيد محمد الحسني البغدادي كان «مدركاً» خلل النظام المعرفي البشري الديني الموروث، وصراعه الذاتي انتهى به إلى ذلك «الإدراك».. وواقعه أبقاه في موقع «المراوحة» الميدانية، فلا هو كان مهيأً نفسياً لان يوظف صراحته وشجاعته وتقواه بوجه «أمراض الحوزة».. ولا كان في موقع العزلة التامة السلبية، فاختار «الممكن» ـ من وجهة نظره ـ من موقع «مرجعي» له «رسالة عملية رمزية».. ومنهج «تفريغ» صراحته وألمه، ونظافته كآمر بالمعروف وناه عن المنكر، عبر «ندوته

العلمية الشهيرة»، وما تشهده من «نقاشات عالية المستوى» لكنها «ضيقة الدائرة»، موازناً ذلك بما يكتبه عن «الفقه الجهادي»، وبمساندته لما يراه صحيحاً، ويصب في خدمة الإسلام، كوقوفه المشهور مع الإمام الخميني في النجف الأشرف في وقت كان فيه الأخير يعيش عزله قاسية، وحربا شعواء.

كان من الممكن للبغدادي أن لا يقضي حياته في هذا الموقع «الممكن» الذي ارتآه أو استقر عليه، وكانت صراحته وشجاعته ونظافته و«أعلميته» تؤهله للتفكير في انتزاع فرص، أو ايجاد ممكنات، تؤثر في مسار «الحوزة النجفية» وتقتحم الواقع السياسي للسلطة والأمة.. لو انه استطاع أن يتجاوز رتابة الموروث المستقر في عقله حول «علاقة الفقيه بالسلطة»، إذ لم يكن قدراً للبغدادي أن «يقاطع» الأنظمة السياسية أو يتعاطى معها بـــ «حذر» في بعض المنعطفات التي يرى لزاماً عليه أن يتدخل فيها.. كما لم يكن قدراً عليه، أن يقود مواجهة علنية ضد هذه الأنظمة التي اتهم ظلماً وعدواناً بأنه يتعامل معها، والتي شكلت قيداً نفسياً إضافياً عليه في هذا المجال. وكان مفروضاً له أن يوظف صراحته وشجاعته و«أعلميته»، ويكسر الأطواق التي فرضت عليه، وأن يفكر بإيجاد مؤثر سياسي محلي على «الحوزة» النجفية، وأن لا يتركها تحت تأثير شاه إيران، وينزل إلى العمل في الميدان، وينتزع فرصا، وهذا ما لم يفعله، وما يمكن أن يكون مجالاً لنقد السيد محمد الحسني البغدادي، فقد ضاعت صراحته وشجاعته و«أعلميته» ودفعت الأمة ثمن ضياعها غالياً.

وإذا كان آخرون غيره، قد اقتحموا الميدان، ولم يؤثروا التأثير المطلوب، فإن «عروبة» أو بالأحرى «عراقية» البغدادي المحضة، كان بإمكانها أن تضاف إلى مكونات شخصيته، وتجعل من نمط تأثيره في الواقع أكبر من تأثير الآخرين، كما أن موقعه النجفي يمكن أن يضاف إلى مكونات شخصيته تلك كعامل آخر، ويمكن أن يكون عامل قوة له، وليس عامل ضعف، إذ إن موقعية النجف وجدلها «الحوزوي»، يغاير واقع كربلاء وواقع الكاظمية كأماكن مقدسة، وحواضن ثانوية لــ «المرجعية».

إذ بخلاف ما كان يرى من أن وجوده في النجف الأشرف كان يشكل قيداً على تحركه انطلاقاً من وعيه الحاد باستهداف النجف الخارجي والداخلي الاستثنائي، التي

تجعل من مهمة التصدي لدور ما «أمراً مستحيلاً».. كانت وجهة نظر ولده السيد كاظم الحسني البغدادي بإمكانية كسر والده للأطواق المفروضة عليه وعلى النجف الأشرف، وإمكانية قيامه بدور ما... وربما استسلام البغدادي ـ الكبير ـ بقناعته المارة الذكر هو من وضع السيد كاظم الحسني البغدادي في موقع «ردة الفعل» على الواقع «الحوزوي» السائد، و«التمرد» عليه، لكن أيضاً دون تخطيط... لان عدم استجابة والده له تجعله فاقداً لعناصر هذا التخطيط... ومهما يكن من أمر فمع وجهة نظره بتحريك والده في النجف الأشرف بغض النظر عن آليات هذا التحريك، التي أشرنا إليها فإن البغدادي (الابن) انتهت به الحال إلى أن يعمل بـ «ردة فعل» في أحيان كثيرة، وبما يجعل من هذه الآليات مرفوضة، وأول رافضيها هو البغدادي ـ الكبير ـ.

البغدادي والصدر الاول "تشخيص وتناقض" !!

إن استغراقنا في هذه التفصيلات لا ينفك عن الفرص المضيعة في مسار العمل الإسلامي في العراق، حيث أن إحباط السيد محمد الحسني البغدادي، وبعض قناعاته ضيعت فرصة إيجاد توازن ما ولو بحدود في دور «الحوزة» النجفية ومسارها، وتأثيرها أيضاً حتى على الشهيد الصدر الأول. ان الاسهاب في ملف «البغدادي» ما هو الا نموذج لملفات المصلحين الآخرين الذين استغرقنا في الحديث عنهم في كتابينا «العمل الاسلامي في العراق» و«محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، وانعكاسات هذه الملفات على عبقرية الصدر الاول التي كانت مشخصة من قبل البغدادي ـ الكبير ـ وكان هو القائل للصدر الأول في إحدى زيارات الأخير إليه برفقة خاليه محمد رضا، ومرتضى آل ياسين، حيث خاطبه وبحضور خاليه «إنك أعلم من خاليك».. فالبغدادي، الذي يعطي شهادة للصدر الأول بـ «أعلميته الفقهية» وهو ابن السادسة

عشر، كان إحباطه أقوى بكثير من أن يقرأ بدقة ظاهرة الصدر الأول بعدما خاض المعترك المعرفي، وأسس للمشروع الإسلامي، وكان من المفروض أن يلاحظ البغدادي هذه النقلة النوعية، التي أحدثها الصدر الأول، حتى لو كانت نقله محسوبة شكلياً على «خط السيد محسن الحكيم»، وهذا هو الآخر لم يحصل، ولو أنه حصل مع تجاوز البغدادي لإحباطه وقناعاته حول «استحالة التأسيس في النجف وواقعها المستهدف باستثناء» لكان تأثير ذلك أكبر من أي تأثير آخر، ولأمكن إدراج مقولة أخرى مضافة إلى مقولة قلناها في كتابنا «عراق بلا قيادة» وهي «أنه من سوء حظ العراق لم يلتحق الصدر الأول بمحمد الخالصي».. لا، يمكن أن نقول «إنه من سوء حظ العراق أكثر من مرة لم يلتحق البغدادي بالشهيد الصدر الأول»...

وواضح أن «الالتحاق» هنا لم يكن «خيار» الصدر الأول.. وإنما خيار كل من الخالصي والبغدادي، اللذين تعاملا مع منجز الشهيد الصدر الأول المعرفي – الفكري.. انطلاقاً من التصنيف الخطي، السطحي له.. على أنه «منسجما» مع الظاهرة الحكيمية.

ولم يدرك في حينها لا الخالصي، ولا البغدادي، أية عراقيل وضعاها بتصنيفهم هذا أمام الصدر الأول للالتحاق بهم.. وأيضاً نحن نقول التحاقه بهم لا انطلاقاً من الخلفية المعرفية المقارنة، لأن الصدر الأول بلور مشروعاً إسلامياً لم يبلوره لا البغدادي، ولا الخالصي، ولا كاشف الغطاء، ولا الجزائري، ولا عبد الكريم الزنجاني، ولا أي رمز ثوري – معرفي آخر... وإنما انطلاقاً من الخلفية العمرية، والفارق العمري بين البغدادي والخالصي والآخرين من جهة، والصدر الأول من جهة ثانية.. وإلا فإن الأصح – معرفياً – هو أن يلتحق كل من البغدادي والخالصي معرفياً بالشهيد محمد باقر الصدر. وأن يلتحق هذا الأخير «عمرياً» بهما لمواجهة «حوزة» منحرفة ومرتهنة لشاه إيران بزعامة «المرجع الأعلى» في حينه السيد محسن الحكيم.

وكان التحاق البغدادي بحكم موقعه «النجفي» أكثر تأثيراً من التحاق الخالصي، بحكم الفارق المناطقي «الحوزوي» – كما أشرنا إلى ذلك –.

غربة الصدر الاول
ورهان الـ "عسى التوريطية للحكيم ـ الاب ـ" !!

على أية حال سيبقى الصدر في ضياع هذا «الممكن» وحيداً، ولذلك كان الوحيد أيضاً، الذي ثارت ثائرته إزاء اتهام مهدي الحكيم بالتجسس، مع معرفته بكل ما يعرفه الإمام الخميني والسيد محمد الحسني البغدادي... والسبب المركزي الذي دفع الشهيد الصدر الأول للتحرك، وثم السفر إلى لبنان بغية الدفاع عن «مقام المرجعية»، والوقوف بوجه الاتهام المذكور.. السبب إن ما دفع الشهيد الصدر الأول لذلك، هو رهانه على «عسى توريطية» للحكيم في تجاوز عقدة التردد... فإذا ما أضيف لحضور الأمة آنذاك، محاولة تحشيد دعم خارجي تشجيعي لمحسن الحكيم... فـــ «لعل في هذا الدعم الخارجي إذا ما أضيف إلى استعداد الأمة أن يعالج عقدة التردد الحكيمية»، وأن يعطيه جرعة من الشجاعة المطلوبة لاستثمار الموقف، ووضع حد لمجهولات خطيرة قادمة على العراق كله إذا ما استسلم الحكيم لتردده. إن الشهيد محمد باقر الصدر الشاب، الذي لم يكن «مرجعاً» آنذاك، ولم يفكر بـــ «المرجعية» لم ينتصر لشخص السيد محسن الحكيم الذي عزله وأدخله «سجن الحوزة التقليدية» وأوقف مشروعه الفكري ــ المعرفي، وتركه قدراً لسهام شاهنشاهية مسمومة.. إلا أنه يبقى في أسوء الظروف يجازف في حياته من أجل «عسى» إسلامية، سيكون هو ضحيتها كشخص في نهاية المطاف.. وهو كان مشروع ضحية مفتوح لكل مرارات وقرارات هذه «الحوزة» إزاءه.. وفي كل مرة يكون فيها ضحية يتعالى على جراحه بجرأة ومجازفة، ويضع حياته على مذبح الـــ «العسى» الإسلامية، في مؤشرات متكررة تؤكدها رسائله التي كتبها بخط يده لتدلل على نمط شخصيته الرسالية الفريدة في استعدادها للموت على حياة يرى فيها راية الإسلام ممزقة أشلاءً، ودين محمد (ص) قد تحول إلى أديان، وكأنه أصبح يعيش مقولة الإمام الحسين الخالدة في الواقعة الكربلائية «والله أني لا أرى الموت إلا سعادة، وما الحياة مع الظالمين إلا برما»،

ففضلا عن أنماط الظلم اللامتشابهة والمقصودة وغير المقصودة، التي واجهته واستهدفته وحاصرت مشروعه، فإنه كان يعيش بحر الظلم البشري العراقي والعالمي وجعاً حاداً يدفع به ربما إلى تطبيق هذه المقولة، فاتحا عينيه على «فرصتها»، ففرصة «الموت الإلهي» أو الاستشهاد لم تكن على الدوام متاحة للمتقين العارفين كالشهيد محمد باقر الصدر. وانطلاقاً من همه العالي بالإسلام هذا، نكرر القول بأن الشهيد الصدر الأول كان يعرف واقع «الحوزة» جيداً، ويعرف انها «حوزة» مخترقة، ولذا كأن لسان حاله يقول للجميع: «خذوا ما تريدون من شهادات بأنكم (الأعلم) و(الأتقى) وبأنكم ــ العمائم الحركية ــ (مجاهدون) و(قادة) ولكن دعوني أملأ الفراغ»... هكذا عاش «الحوزة» قبل تصديه لــ «المرجعية»، وبعد هذا التصدي فهو كان مستعد لان يعطي «صك اعتراف بأعلمية الخوئي» ويغض النظر عن تهديدات حاشيته وأولاده له، لكي يطمئنه بأن «تصديه» لا يهدف الى موقع «مرجعية عليا».. بل يهدف الى ملأ الفراغ الذي تركوه!!! إن المكون الثوري ــ الإسلامي لنمط شخصيته، والممزوج بالمكون المعرفي العالي، ونكران الذات كظاهرة غريبة، والظاهرة الأخلاقية العالية، واحتضانه لهذا الإسلام هماً دائماً في كل لحظة من لحظات حياته تجعل منه بالفعل نموذجاً فريداً ميالاً على الدوام لتفضيل خيار الاستشهاد على خيار معايشة الشذوذ باسم الإسلام. لذا فإنه كان على الدوام باحثاً عن «موت فعال» متمنياً إياه بشغف يسطر مصاديقه كلمات، ويخطوا إليه خطوات، ويبحث عنه باستشارات، ويترجمه فعلاً ملحمياً بثبات، لأنه سطر كلماته عبر رسائله المبكرة المكتوبة بخط يده، وهو في بعض ما جاء في إحدى رسائله كان يقول: «أكتب إليكم أيها العزيز هذه السطور بعد انقطاع طويل نشأ الجزء الأكبر منه من عدم تهيؤ الرسول في الظروف المناسبة ونشأ الجزء الآخر منه من عارض صحي، عرض لي وألزمني الفراش ثلاثة أسابيع، إذ ابتليت بأعراض اشتبه بعض الأطباء في أن تكون إرهاصات ذبحة قلبية أو كشيء من هذا القبيل وعلى هذا الأساس ألزموني بالراحة المطلقة مدة ثلاثة أسابيع خوفاً من تكرر تلك الأعراض وهكذا قضيت هذه الأسابيع الثلاث التي انتهت قبل يومين كالأسير، وكثيرا ما كنت أفكر فيك وكثيراً ما كنت أحس بأن من العزيز علي أن استقبل الموت وبعض أحبتي بعيد عني. وعلى أي حال، فقد انتهت هذه الأسابيع الثلاث قبل يومين

وخلف هذا العارض تبعة ثقيلة على نفسي، وهي وصايا بعض الأطباء بأن أبرمج وضعي الحياتي بشكل متكلف، ويخيل لي أن من الشاق أو الغريب أن يتكلف الإنسان من أجل أن يزيد في حياته التي قدر له أن يعيشها في خضم المحن والآلام، وقد كان الموت يبدو لي دائماً أيها العزيز خلال هذه الفترة شيئاً مريحاً ومحبباً إلى حد ما، لأنه مريح كما يرتاح التلميذ حين ينتهي الامتحان ويذهب لأخذ درجاته، ولكنه في نفس الوقت يعبر عن درجة من المرارة والخيبة كما يشعر التلميذ بالمرارة والخيبة حين يقدر له أن يقصر....الخ»[1]. إن خسارة «الحوزة» النجفية للشهيد محمد باقر الصدر سيفضح أسرارها على المكشوف أمام الشعب العراقي، انفجار الشهيد الصدر الثاني، الذي سيفتح عهده ملف الأصل القومي لـ «المرجعية»، بعد أن فقدت «الحوزة» النجفية كل «مراجعها» العربية، وسيكون هو والصدر الأول «ضحيتي الحوزتين» معاً، وستكر المسبحة من جديد ويقع العراق في أزمة سلطة «المرجعية» اللاعربية الأميركية الولاء والانتماء في ظل احتلاله، وتبقى «الحوزة» مشروعاً مفتوحاً على طريق الفناء الذي توقعه الصدر الاول لها ولكن وقبل أن ننتقل إلى الفقرة الاخيرة في هذا الفصل، لابد من إيجاز محنة الشهيد محمد باقر الصدر وفق ما تقدم كله بما يلي:

أولاً: إن الشهيد الصدر الأول عاش حياته محاصراً بين نظامين، هما نظام صدام ــ البكر، ونظام شاه إيران الذي لا يريد هو الآخر «مرجعية» عربية على طراز الصدر الأول.

ثانياً: وان الصدر الأول عاش حياته بين قساوة الأنظمة العراقية، وقساوة «الحوزة» النجفية.

ثالثاً: وبالإضافة إلى ثنائية الحصار الأولى، وثنائية الحصار الثانية وقساوتهما، فانه عاش ثنائية حصارية ثالثة تمثلت بمرارة حياته بين دكتاتورية محسن الحكيم، ودكتاتورية الخوئي.

رابعاً: ويضاف إلى ذلك فان مفارقات «القَدر» وضعته ضحية لموقعين «مرجعين» خصمين، هما موقع «الحكيم ــ الأب» وموقع «الإمام الخميني» الذي

---

(١) انظر صورة الرسالة في ملاحق كتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، مصدر سابق.

كانت «حاشيته» بأغلبيتها تصنفه «حكيمياً وأميركياً».

خامساً: كما ان مفارقات القدر وضعته في ثنائية حصارية أخرى، مثّل طرفاها، حزب الدعوة الإسلامية بزعامة العسكري وبخطه الشاتم له بأستثناء، وبعض اقطاب المعارضة الإيرانية المقيمة في العراق آنذاك، وخطها التاهم اياه بـــ «الحكيمية والأميركية».

سادساً: وتأتي ثنائية الطعن به التي استغرقنا فيها في هذا الفصل عبر الشامتين به من خصوم الظاهرة الحكيمية، والشاتمين له من بعض أعضاء حزب الدعوة الإسلامية.

سابعاً: وختم حياته بثنائية حصارية مرة وقاسية بين السلطة الصدامية، ودولة إيران الثورية الخمينية التي كان موقفها منه موقفاً «التباسياً» بناء على خلفيات العلاقة التاريخية الاشتباكية لرموز «الحوزتين» القمية والنجفية.

ولا اعرف ان أحداً من رموز «الحوزتين» القمية والنجفية على طول تاريخهما تعرض لما تعرض له الصدر الأول من نكبات وطعنات وحصارات مرت معنا. الامر الذي دعاه في تلك الفترة الى التفكير باتجاهين اتجاه التمويه على السلطة من خلال استجابته لدعواتها في اجراء بعض المقابلات معه،[1] حسبها بعض المعممين الخبثاء «ورقة ضده» فيما هي ورقة لحسابه، وليقارن القارئ بين موضوع مقابلته بعد الاطلاع عليها في الملاحق وبين مقابلات «مرجعية» الخوئي و«المرجعية الرباعية» التي سنأتي عليها في فصل لاحق ويقف على ألم السهام التي تجرعها من هؤلاء الخبثاء. والاتجاه الثاني تمثل بالعمل السري الاختراقي لهذه السلطة من قبله، وعلى اية حال فان هذه الحصارت جعلته يجسد مخزونات النص القرآني ﴿**وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2].

---

(١) انظر على سبيل المثال نص وصورة مقابلة أجرتها معه مجلة (المعرفة)، العدد ٢ تشرين الأول ١٩٧٨م، وزارة التربية العراقية، مجلة شهرية متخصصة يصدرها المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية الالزامي في الملاحق، ملحق رقم (٣).

(٢) سورة العنكبوت: آية ٢٦.

خطاب الصدر الأول
"حتمية" فناء "الحوزة"
بين تاريخها وحاضرها

نقول من داخل تلك الثنائيات الحصارية السبعة، ومن داخل جورها ونارها التي لم يردها باقر الصدر ناراً عليهم «شتماً او صراعاً او احترابا».. كانت نارهم وحصارهم وحرابهم تتحول في داخله الى حرقة وغليان، لم ينس ان يدونها أثناء حياته ومن داخل حصاراته الى صرخات في الزمان ارتداداً واندفاعاً، تاريخاً ومستقبلاً، فاذا كان السيد علي الخامنائي قد «سجل» تاريخاً لهذه «الحوزة» بالطريقة التي مرت معنا وهو على قمة هرم الدولة.. وجاء هذا التاريخ مخبأً بإشارات «المجد الايراني المعرفي»، فان الشهيد محمد باقر الصدر سبقه في تسجيل تاريخ «حوزة» بلده ـ العراق ـ بطريقة مغايرة.. مغايرة بالتمام والكمال.. طريقة تلامس طريقة الامام الخميني لكنها ليست هي.. طريقة تلامس طريق ثوار «الحوزة» اينما كانوا، وفي أي زمن عاشوا، وبأي طريقة عبروا عن ثوريتهم دماً او كلاماً، لكنها ـ طرق الثوار ـ ليست هي.. ليست كطريقة باقر الصدر.. فهي كلامياً تجاوزتهم جميعاً.. تجاوزت «طرق ثوار الحوزة».. قبل ان تغاير طريقة الخامنائي في «تسجيل» تاريخ هذه «الحوزة».. فهو ـ الشهيد محمد باقر الصدر ـ كلامياً، ومن داخل ثنائيات حصاره السبعة، لم يسجل «الحوزة» تاريخاً «مفلساً» في بلاده ـ العراق ـ فحسب بل انه حكم عليها بـ «الفناء» في جرأة كلامية لسانية، خطابية، لم يسبقه فيها، كلاماً او لساناً او خطاباً لثائر من ثوار هذه «الحوزة» في مسارها التاريخي، ولم تقف حدود جرأته وصفتها الاستباقية ـ الانفرادية على مجال الزمن «الحوزوي» لبلاده.. بل انها جاءت

جامعة لاشياء ومحن الوطن والاسلام كلها، سواء ارتبطت بالتاريخ او الجغرافية او قلق «العاصمة الشيعية» ـ مدينة الامام علي (ع) ـ او محنة المعرفة الاسلامية، او محنة المنهج التدريسي «الحوزوي»، او محنة «النظام الديني البشري المعرفي الموروث»، او شؤون السياسة والنظام السياسي، او محنة الامة وتمزقها او الانسان «الحوزوي» وما ينتهي اليه من «ازمة ضمير» او «ازمة شعور» او «انفصام بين علمه وعمله»، او «ازمة نفسية».. ان الشهيد محمد باقر الصدر فجر ازمة ثنائيات الحصار السبعة بخطابين، خطاب المحنة، وخطاب حب الدنيا، وفجر مضمونها بوجه البشرية، وتركها مشروعاُ مفتوحاً للدراسة والتنقيب.. واطلقها نداءً «نبوياً» للتاريخ واستشرافاً لمسار هذه «الحوزة» والامة اللاحق في بلاده، وحيث انها «دفنت» في بطون الكتب، وما اكثر الايادي «الحوزوية والحركية» التي ساهمت وتساهم حتى الان في دفنها.. فاننا لا نستدعيها هنا لـ «الدراسة والتنقيب».. بل لـ «المقارنة» بين مخزونها بمجالاته كلها في زمنها وبين واقع «حوزة بلده» وما انتهى اليه هذا البلد الان، فماذا قال الصدر بخطابي «المحنة وحب الدنيا»؟

ـ «أليست تلك التقصيرات المتراكمة التي عاشها المسلمون منذ سقط الإمام علي عليه الصلاة والسلام صريعاً في المحراب.. في سبيل الدفاع عن المسلمين، التقصيرات المتراكمة التي عاشها الكثرة الكاثرة من المسلمين، ألم تأكل الفتنة التي تمخضت عنها تلك التقصيرات كل الناس حتى الحسين نفسه أكلته الفتنة بالرغم من انه كان أنصف الناس وأبعد الناس عن تقصير في قول او عمل؟»[1].

ـ «ما هو جاهنا؟! ما هو اعتبارنا؟! لولا الإسلام !! بم نصول؟ بم نجول؟ الا بالإسلام!. بم عشنا طيلة هذه المدة؟! بم استقطبنا.. من استقطبنا من قلوب

---

(١) (هكذا قال الصدر.. في المحنة وحب الدنيا)، محاضرات للشهيد محمد باقر الصدر، اعداد ميثم الجاسم، الناشر مكتبة الفراهيدي، ط ١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

المؤمنين؟! أي واحد منكم لا ينفذ الى قلب شخص الا عن طريق الإسلام!! كل من تجدونه يقدركم. انما يقدركم على أساس الإسلام! فلا تبيعوا الإسلام بثمن رخيص!.. لا تبيعوه بانسحاب سريع لا مبرر له! لا يوجد هناك مبرر لمثل هذا الانسحاب الا ذلك الشعور الضيق!!» [1].

ـ «الطالب الاعتيادي الذي يهاجر من بلده ويأتي الى هنا متحملاً آلام الغربة.. وآلام السفر.. وآلام الوحشة.. وآلام فراق الأحبة والأهل والوطن. كل هذا التحمل يكون في اللحظة الأولى قائماً على أساس شعور تفصيلي يشدّه الى الله تعالى، يشعر بأن هذه القوة هي التي تجذبه وتنتزعه من أهله، ووطنه، وبلده، ومن أحبته، لكي يهاجر الى الله، ويتعلم على يد ورثة الانبياء، ثم يواصل خط الانبياء. ولكن بعد ان يدخل الى اطار هذه الحوزة ويكون هذا الشعور التفصيلي موجوداً في نفسه، بعد ان يدخل إلى اطار هذه الحوزة، فينخرط في مناهجها، ويسلك مسالكها ويعيش دروبها، بعد هذا تنتقل بالتدريج.. تتضائل بالتدريج جذوة شعوره بالاتصال بالله تعالى، بينما كان من المفروض ان هذه الجذوة تنمو بالتدريج بدلاً عن ان تخمد او عن ان تتضاءل، وذلك لانه حينما يأتي الى الحوزة لا يعيش تطبيقاً حياً لهذا الاتصال بالله تعالى، وانّما يعيش على افضل تقدير دروساً معينة ومناهج معينة هي في حدود كونها مفاهيم وأفكاراً لا تغذّي هذا الشعور، فيبقى هناك فراغ نفسي كبير في قلبه.. في وجدانه.. في ضميره.. هذا الفراغ النفسي الكبير لا يمكن ان يملأ بمطالب من الفقه والاصول، لان مطالب الفقه والاصول تملأ عقل الانسان، ولكنها لا تملأ ضميره..» [2].

ـ «اما نظرياً فلأنه لا يأخذ من النظريات الا ما يرتبط باستنباط الإحكام الشرعية، والنظريات التي يستنبط على أساسها الحكم الشرعي غذاء للعقل لا

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

للوجدان والضمير. واما عملياً فلأنه لا يعيش تجربة للاتصال بالله تعالى.. لا يعيش حياة عملية، وانما يعيش حياة مدرسية خالصة، وهذه الحياة المدرسية الخالصة التي يعيشها كثيراً ما تكون مشوبة أيضا بالمبعدات عن الله تعالى، قد تكون أحيانا مشوبة بكثير من الذنوب التي تبعد الانسان عن الله تعالى وتميع صلته به، فما يمضي عليه برهة من الزمن حتى تكون جذوة ذلك الشعور التفصيلي قد انطفأت بعد ان تكون قد تحولت الى ارتكاز. يعني في بداية الأمر يتحوّل شعوره التفصيلي الى شعور مبهم غامض يختفي في الأعماق، وتتراكم عليه مشاعر أخرى لا ترتبط بالله. هذه المشاعر الأخرى تستورد من البيئة.. من أهواء البيئة.. من طبيعة البيئة.. من الملابسات والتعقيدات غير الصالحة التي يعيشها في البيئة، تتراكم هذه المشاعر الثانوية غير الطاهرة، ويبقى ذاك الشعور النظيف، يبقى في الأعماق شعوراً مبهماً غامضاً باهتاً، ثم بعد مضي الزمن يتلاشى ذاك الشعور، يتلاشى حتى كقاعدة، ويتمزق، ويعوض عنه شعور آخر، بعد ان يكون هذا الطالب قد قضى مرحلة طويلة من حياته العلمية، بعد ان يكون قد أصبح مهيئاً من الناحية العلمية لكي يجسد ذلك الشعور في عمله.. في جهاده.. في تطبيقه، بعد ان يكون قد وصل الى المرحلة التي يكون مدعواً فيها الى المساهمة في خدمة الدين.. يكون قد فرغ وجدانه وضميره نهائياً من ذلك الشعور الذي عاشه وهو في طريقه من القرية الى النجف، وهو في طريقه من المدينة الى النجف، تلك الأحلام والآمال.. تلك التصورات الكبيرة الضخمة الروحية التي كان يعيشها وهو في طريقه الى مهجره العظيم.. تلك التصورات تعود كلها خواءً.. تعود كلها فراغاً؛ لأنها بعد ان جمدت وأصبحت شعورا اجمالياً ، بعد هذا فقدت أي غذاء وامداد متصل حتى تمزقت، وهذا هو معنى نسيان الله تعالى، وانتم كلكم تعرفون ان من ينسى الله ينساه الله، من ينقطع عن الله ينقطع عنه الله سبحانه وتعالى. ألم يقل الله (صانع وجهاً واحداً يكفيك الوجوه كلها)» [١].

---

(١) المصدر نفسه.

ـ «حينما تتحول الاتجاهات من المصلحة العامة الى المصلحة الخاصة، سوف يضطر كل انسان يعيش في جو عامر بهذا الاتجاه.. سوف يضطر كل انسان الى التفكير في نفسه.. والى الدفاع عن نفسه.. والى تثبيت نفسه، وبذلك نصرف ثمانين بالمائة من قوانا وطاقاتنا بالمعارك داخل الاطار، بينما هذه الثمانون بالمائة من القوى والطاقات التي تصرف في معارك داخل الاطار كان بالامكان ـ لو اننا نتحلى باخلاقية الانسان العامل، يعني لو كنا نتحلى باخلاقية التضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة ـ ان نحول هذه الثمانين بالمائة للعمل في سبيل الله.. للعمل بتدعيم الاطار ككل لترسيخه، لتكريسه، لتوسيعه.

وبذلك كنا نستفيد ايضا ـ لو كنا نعقل ـ لكنا نستفيد حتى بحساب المقاييس العاجلة ايضا اكثر مما نستفيد ونحن نتنازع، ونختلف داخل اطار معرض لخطر التمزق.. داخل اطار مهدد بالفناء. الى متى نحن نعيش المعركة داخل اطار يحكم عليه بالفناء يوما بعد يوم، او يواجه خطر الفناء يوما بعد يوم، ولا نفكر في نفس الاطار؟ ولا نفكر في ان نتناسى مصالحنا الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة»[١].

ـ «اذا اريد تغيير كتاب بكتاب آخر في مجال التدريس ـ وهذا أضأل مظاهر التغيير ـ اذا اريد ذلك حينئذ يقال: لا ليس الامر هكذا، لابد من الوقوف، لابد من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الانصاري رضوان الله عليه، او المحقق القمي رضوان الله عليه. هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائما نعيش مع امة قد مضى وقتها: مع امة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها، لاننا نعيش باساليب منسجمة مع امة، تلك الامة لم يبقى منها احد.. تلك انتهت وحدثت امة اخرى ذات افكار اخرى.. ذات اتجاهات اخرى.. ذات ظروف وملابسات اخرى.. فحين اذن من الطبيعي ان لا نوفق في العمل؛ لاننا

---

(١) المصدر نفسه.

نتعامل مع امة ماتت، والامة الحية لا نتعامل معها فمهما يكن من تأثيرنا سوف يكون هذا التأثير سلبياً، لان موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميت، وما هو موجود في الخارج لا نتعامل معه»[١].

ـ «يجب ان يكون واضحاً عندنا اننا يجب ان نتعامل مع هذا الانسان الحي الموجود في الخارج المكون من اللحم والدم وهذا الانسان الحي الموجود في الخارج يتغير.. يتطور.. تختلف ظروفة وملابساته، لابد لنا ان نتعامل مع هذا الانسان. وبما اننا لابد ان نتعامل مع هذا الانسان، لابد دائما ان نفكر في الاساليب التي تنسجم مع هذا الانسان.

الشهيد الاول قبل قرون وقرون ـ كما قلنا بالامس ـ فكّر في تنظيم شؤون الدين والمرجعية بشكل من الاشكال كما قلنا، ونقل الكيان الديني من مرحلة الى مرحلة. لكن ليس بالامكان ان يفكر مئات العلماء الذين جاؤوا بعد الشهيد الاول الى الان.. ومئات العلماء الموجودين فعلا.. ومئات العلماء الذين سوف يخلفون هولاء العلماء بعد ذلك، ليس بالامكان ان يفكر هؤلاء المئات في تطوير اساليب الشهيد الاول؟. في تحسينها.. في تنقيتها.. في تطويرها؟»[٢].

ـ « لاننا ندرس العلم للعمل ولا ندرس العلم لكي نجمده في رؤوسنا. نحن ورثة الانبياء بحسب زعمنا، والانبياء عاملون قبل ان يكونوا علماء، هم علماء لكي يكونوا عاملين، وليسوا عالمين من دون عمل. فاذا كنّا نحن ورثة الانبياء فيجب ان نفكر في اننا عالمون لكي نعمل، لا اننا عالمون لكي نعلم، فاذا كنّا عالمين لكي نعمل، فلا بدّ ان نجعل جزءاً من وظيفتنا ان نطرح على انفسنا.. ان نطرح على اساتذتنا.. ان نطرح على زملائنا.. ان نطرح في كل مكان هذه الاسئلة:

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

ما هو العمل؟ كيف نعمل؟ ما هي اساليب العمل؟ كيف يمكن تجديد أساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع الامة اليوم؟ نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عالم عصر المماليك، اذن كيف نتعامل مع عالم اليوم؟ هذه أسئلة قد يكون جوابها صعباً في بداية الامر، لانه ليس هناك مطالعات، ليس هناك ترويض فكري على الجواب عنها قد تجد ان الجواب عن مسألة اصولية سهل، لان هذا الانسان الذي تسأله قد درس الاصول عشرين سنة. وان مثل هذه الاسئلة حيث انها بنفسها ايضاً اسئلة دقيقة ومرتبطة بمدى خبرة الانسان وتجاربه واطلاعه على ظروف العالم.. لهذا قد يجد الصعوبة في الجواب عن هذه الاسئلة، لكن هذه الصعوبة لابدّ من تذليلها بالبحث والتفكير ومواصلة البحث والتفكير.

إذن فلا بد ان نجعل جزءاً من وظيفتنا ان نفكر دائما في انه كيف نغير اساليب العمل.. كيف ننسجم مع وضعنا.. مع بيئتنا»[1].

ـ «لماذا تعيش الحوزة في هذا البلد مئات السنين، ثم بعد هذا يظهر افلاسها في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه!؟ في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه يظهر افلاس هذه الحوزة، واذا بأبناء هذا البلد او بعض أبناء هذا البلد يظهرون بمظهر الأعداء والحاقدين والحاسدين والمتربصين بهذه الحوزة!

الا تفكرون في ان هذه هي جريمتنا قبل ان تكون جريمتهم؟ في ان هذه مسؤوليتنا قبل ان تكون مسؤوليتهم؟ لاننا لم نتعامل معهم، نحن تعاملنا مع أجدادهم ولم نتعامل معهم! فهذه الأجيال التي تحقد علينا اليوم.. التي تتربص بنا اليوم، تشعر بأننا نتعامل مع الموتى، لا نتعامل مع الأحياء! ولهذا يحقدون علينا.. ولهذا يتربصون بنا، لاننا لم نقدم لهم شيئاً.. لاننا لم نتفاعل معهم»[2].

ـ «انا منذ سنة، منذ أكثر من سنة أتحدث مع الإخوان، ومع الأعزاء في ان

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

كل واحد من أهل العلم ــ كل واحد يكون عنده قدرة ــ لو يكون له مجلساً تبليغياً في النجف الاشرف يضم خمسة فقط لا أكثر من خمسة، يضم هذا البقال الذي يشتري منه اللبن.. هذا العطار الذي يشتري منه سكراً.. هذا الجار الذي يسلم عليه عندما يخرج من بيته، يضم خمسة من هؤلاء. لو كان لكل واحد من أهل العلم مجلس تبليغي في يوم الجمعة بدلاً عن ان يذهب الى (الكوفة) ويسبح من الصبح الى العصر بدلاً عن ان يبذّر الوقت بالمطاردة في الشعر.. بدلاً عن ان يبذّر الوقت في الف لهو، ولهو.. بدلاً عن كل ذلك لو انه يستثمر جزءاً من هذا الوقت الذي يهدره لا في غرض معقول، لو يستثمر جزءاً من هذا الوقت في تكوين مجلس تبليغي لخمسة من ابناء النجف.. لو ان الف من الطلبة كل واحد منهم يكوّن مجلساً تبليغياً لخمسة، لكان لدينا قاعدة شعبية مكوّنة من خمسة آلاف ولأحس الناس من أبناء البلد باننا نتعامل معهم.. اننا نفكر فيهم.. اننا نعطيهم.. ان وجودنا مرتبط بوجودهم.. ان حياتنا مصدر خير لهم.. مصدر عطاء لهم. لكننا لم نتعامل معهم، ومن الطبيعي ان لا يتعاملوا معنا اذا كنا لا نتعامل معهم. إذن لابدّ لنا ان نفكر في تغيير أساليب العمل.. ولا بد لنا دائماً ان نفكر في الأساليب الأفضل والأصح»[1].

ــ «علينا ان نحذر من حب الدنيا، لانه لا دنيا عندنا لكي نحبها! ماذا نحب؟ نحب الدنيا؟ نحن الطلبة! ما هي هذه الدنيا التي نحبها ونريد ان نغرق أنفسنا فيها ونترك رضواناً من الله اكبر، نترك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا اعترض على خيال بشر، ما هي هذه الدنيا؟ دنيانا هي مجموعة من الأوهام، كل دنيا وهم، لكن دنيانا أكثر وهماً من دنيا الآخرين، مجموعة من الأوهام، ماذا نحصل من الدنيا الا على قدر محدودٍ جداً، لسنا نحن اولئك الذين نهبوا اموال الدنيا وتحدثنا عنهم سابقاً، لسنا نحن اولئك الذين تركع الدنيا بين ايدينا لكي نؤثر الدنيا على

(١) المصدر نفسه.

الآخرة، دنيا هارون الرشيد كانت عظيمة، نقيس انفسنا بهارون الرشيد، هارون الرشيد نسبّه ليلاً ونهاراً؛ لانه غرق في حب الدنيا، لكن تعلمون أي دنيا غرق فيها هارون الرشيد.. أي قصور مرتفعة عاش فيها هارون الرشيد.. أي بذخ وترفٍ كان يحصل عليه هارون الرشيد.. أي زعامة وخلافة وسلطان امتد مع ارجاء الدنيا حصل عليه هارون الرشيد، هذه دنيا هارون الرشيد، نحن نقول: أننا افضل من هارون الرشيد.. أورع من هارون الرشيد.. اتقى من هارون الرشيد، عجباً! هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها حتى نكون اورع من هارون الرشيد، يا اولادي.. يا اخواني.. يا اعزائي.. يا ابناء علي.. هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد؟ لا.. عرضت علينا دنيا هزيلة.. محدودة.. ضئيلة، دنيا ما اسرع ما تتفتت.. ما اسرع ما تزول.. دنيا لا يستطيع الانسان ان يتمدد فيها كما كان يتمدد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت الى السحابة يقول لها: اينما تمطرين يأتيني خراجك، في سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر (ع)، هل جربنا ان هذه الدنيا تأتي بيدنا ثم لا نسجن موسى ابن جعفر؟ جربنا انفسنا؟ سألنا انفسنا؟! طرحنا هذا السؤال على انفسنا؟! كل واحدٍ منا يطرح هذا السؤال على نفسه، بينه وبين الله. ان هذه الدنيا، دنيا هارون الرشيد كلفته ان يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا امامنا لكي نفكر بأننا اتقى من هارون الرشيد، ما هي دنيانا؟ هي مسخ من الدنيا.. هي اوهام من الدنيا، ليس فيها حقيقة الا حقيقية رضى الله سبحانه وتعالى»[1].

نترك بعد ذلك كله المقارنة للقارئ.. فنحن لنا عودة لها ــ إنشاء الله ــ في كتاب آخر، وما نشير اليه هنا هو ان خطابه هذا توّجهُ بـــ «دم نبوي» و«استشهاد حسيني» لا يشبه هو الآخر استشهاد الآخرين من «شهداء الحوزة الثوار»، فمثلما ان خطابه لا يشبه خطاباتهم، فان استشهاده لا يشبه استشهادهم.. حيث ان

(١) المصدر نفسه. وانظر ايضاً محمد باقر الصدر (المجموعة الكاملة لمؤلفاته)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ١٤٠٨ هــ ــ ١٩٨٨م.

استشهاده لم يأتي «اغتيالاً» و«لا تسميماً»، ولا «دعساً بسيارة»، ولا عبر حكم شكلي بالاعدام.. انما جاء استشهاداً طوعياً لا نظير له، إلا استشهاد الحسين (ع) الطوعي وبلحاظ أوجه التشابه بين يزيد وصدام حسين، ولحاظ الفوارق بين عصريهما.

الفصل الرابع

"حوزة" الأرض والوطن
"حوزة" الوافدين الى الوطن

"حوزة" لسانية
"حوزة" بلا لسان

في العراق فقط هنالك ظاهرة غريبة برزت واستقرت فيه، بعد ما سمي انتخابات المجلس التأسيسي في بداية العشرينيات من القرن المنصرم، ولو أن جذور هذه الظاهرة الفكرية وغير الفكرية غائرة في أعماق التاريخ، وهي ظاهرة القائد «الديني» من خارج الوطن، واللسان القيادي «الديني» الذي لا ينطق لغة شعبه، والأغرب من هذه الظاهرة، التي استقرت في هذا الوطن ــ العراق ــ أكثر من ثمانية عقود، هو هروب الأقلام المثقفة من التوقف عندها، ومناقشتها كأخطر أزمة في «المرجعية الدينية»، رغم الثمن البشري والفكري الفادح الذي دفعه العراق كبلد إزاءها، وبغض النظر عن أسباب هذا السكوت، فما بين غرابته وغرابة الظاهرة لابد من المرور على بعض التفاصيل بصراحة قد تزعج البعض.

لم يكن السائد بين أقطاب ما يسمى المؤسسة الدينية منذ عقود من الزمن ــ إن لم يكن قرون في مبدأ الكثرة «المرجعية» والعلاقات في ما بين أقطابها ــ التنافس «العلمي» أو «الفقهي الإيجابي»، لا تحت عنوان «الأعلمية» ولا في ظل غيره من العناوين... وإنما صراع واحتراب حقيقي، بين الرموز «المرجعية» وحواشيها، قد ترتفع حدته، أو تهبط حسب الظروف، وإلقاء نظرة أولية في هذا المجال، ترجع إلى بواكير الدولة العراقية «الأولى» المنهارة، وحتى الآن لوحظ هذا الصراع بأشكال متعددة وبين رموز مختلفة وما بين ذلك التاريخ، وحتى الآن سارت معادلة هذا

الصراع بدرجات متصاعدة، إلا أنه لم يخرج عن وتيرته خروجاً حاداً، إلا بعد تجربة الشهيد الصدر الثاني، وستشهد هذهِ الوتيرة خروجاً أكثر حدة، بعد انهيار «الدولة العراقية الأولى» والفترة التي تلتها، فالوتيرة السابقة لمسار هذا الصراع في تصاعديته أنه كان محصوراً في ما يسمى الأوساط «الحوزوية» والمناطقية إلى حد ما، ومعروفا في الحواضن الاجتماعية أو الأماكن المقدسة، التي تحتضن «المرجعية»، ولاسيما النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، التي يعرف الكثير من أهلها بعض تفاصيل هذا الصراع، وقد تغيّرت هذه الحالة ـــ كما أشرنا ـــ منذ تجربة الشهيد الصدر الثاني، والجدل الذي رافق تلك التجربة في موقفه من دور «المرجعيات» الأخرى الصامتة، أو مواقف المرجعيات الأخرى منه ـــ وهذا ما عالجنا بعضه في كتابنا «مرجعية الميدان»[١] ـــ. ومن آثار هذهِ الوتيرة الجديدة في الصراع، خروجه من البيئات الحاضنة لـــ «المرجعيات» ولاسيما الحاضنة النجفية إلى الشارع «الشيعي» العراقي، ولم يعد الأمر في هذا الشارع مخفياً كما في السابق، ولا أمراً تعددياً حيادياً في «تقليده الشرعي» لهذه «المرجعيات»، بقدر ما أخذ جدله في مواصفات «المرجع» المطلوب، الذي ينبغي أن يقود مسيرة الأمة، انطلاقاً ربما من مقولة «المرجعية الناطقة والمرجعية الساكتة»، وفي مناسبات أشار الشهيد الصدر الثاني إلى أن سبب السكوت في بعض الأحيان يعود إلى اللغة، فقد أثار ذلك في حديث له عن صلاة الجمعة «الفريضة المعطلة»، حيث أشار إلى أن عدم تصدي الكثير من «المرجعيات» إلى أداء صلاة الجمعة هو عدم قدرتهم على الخطابة في أوساط الناس، والراجع أصلاً إلى عدم إتقانهم اللغة العربية التي ينبغي أن يتحدثوا بها ـــ كما سيأتي ذلك لاحقاً ـــ وبالتأكيد ليس من العيب أن لا يتحدث إنسان لغة قوم يعيش معهم، فهو قد ينتمي إلى أقلية في هذا البلد ذات انتماء قومي معين، وهم مواطنون في هذا البلد، وليس من حق أحد أن يسلبهم حق هذه المواطنة، وفق سياقها القانوني إذا كان وجودهم في أي بلد حديثاً، أو

---

(١) راجع كتابنا (محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغيري ووقائع الاغتيال)، إصدار المركز العراقي للأعلام والدراسات، بيروت ـــ لبنان، من ط١ الى ط١٠.

وفق وجودهم التاريخي، إذا كانوا يشكلون شريحة من شرائحه، إلا أن الأمر يختلف اختلافاً جذرياً عندما يجتمع عاملان، عامل الإقامة الحديثة في هذا البلد، وعامل القيادة، فـ «القيادة الدينية أو غير الدينية» ذات علاقة جدلية لا تنفك عن المكان ــ وهذا ما تطرقنا له في كتابنا «عراق بلا قيادة»[1] ــ والقائد «الديني» وغير الديني ــ وهذه من سنن الحياة البشرية الطبيعية ــ أن يتحدث بلغة القوم، الذين يقودهم، والأمر هنا لا يقتصر على أداء تشريع من التشريعات فقط، والقدرة على أدائها، أو عدم القدرة على ذلك، وإنما يتعداه إلى المنطق وطبيعة الحياة البشرية والقدرة الذاتية على النهوض بمهمة القيادة، وعلى درجة تفاعل القائد مع الجمهور... فوفق المنطق القرآني لا يمكن للحجة أن تتم من قبل الله سبحانه وتعالى على الناس إلا بعد أن يرسل لهم رسولاً، يتحدث بلسانهم لينذر قومه أولاً، ولينذر هؤلاء القوم الأقوام الأخرى. فلا يرسل رسولاً إلى الانكليز مثلاً يتحدث العربية، ولا إلى الأتراك يتحدث الفارسية، ولا إلى الفرس يتحدث العربية...الخ، والقرآن الكريم يصرح بذلك علناً حيث يقول:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]. كنتيجة طبيعية لاختلاف الألسنة التي تُعبر عن الأقوام ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[3] و﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[4] و﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[5].

هذا على أساس القاعدة الدينية، أما على أساس القانون البشري، الذي يحكم الدول فغالباً ما لاحظنا رؤساء دول من أصول دول أخرى، إلا أن هؤلاء الرؤساء ولدوا في الدول التي يقودونها، وكان لهم حق المواطنة، ويحملون الجنسية وفق قوانين دولهم،

---

(١) راجع كتابنا (عراق بلا قيادة)، مصدر سابق.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٤.

(٣) سورة الروم: آية ٢٢.

(٤) سورة البقرة: آية ١٥١.

(٥) سورة المؤمنون: آية ٣٢.

ويتحدثون لغتهم، وعاشوا حياتهم جدلاً صاعداً في أحداثها السياسية والاجتماعية والفكرية، ونشأوا ضمن صيرورة طبيعية تعطيهم الحق كله في أن يصلوا إلى موقع القيادة في بلدانهم الثانية، وقد يتفاوت الأمر في ذلك بالنسبة لغير المولودين في بلدانهم الجديدة بتفاوت القانون في كل دولة من دول العالم.

وهنالك دول أخرى تضع قيوداً دستورية على أساس القومية، وحتى على ضوء عامل اللغة، ولعل أبرز نموذج في ذلك ما تجسد مع الثورة الإسلامية في إيران، التي هزت العالم، والفريدة من نوعها في تاريخ الإسلام، وذلك من خلال الإشكالية التي تمثلت برفض جلال الدين الفارسي كمرشح لرئاسة الجمهورية لاعتبارات تتعلق بالقانون، الذي وضع لإدارة هذا الموقع. وقد لا يحتاج الأمر إلى مزيد من الإسهاب في هذا الموضوع نظراً «لاحترام القانون هنا»، ونذكّر هنا فقط بالمثال، الذي تطرّقنا له في كتابنا «عراق بلا قيادة» عندما تقدم السيد حسين الخميني في بدايات الثورة إلى الإمام الخميني بمقترح لقيادة عراقية فاقترح عليه مجموعة من الأسماء، فكان رد الإمام عليه، أن هؤلاء كلهم إيرانيون، فكيف يقودون العراق؟ إن هذا الجواب إن لم ينطلق مما أسميناه السنن الطبيعية للحياة والبداهة البشرية، فهو ينطلق من واقع الحياة، مع أن أسماء مَن تم اقتراحهم، كانوا يجيدون التحدث باللغة العربية، ولكن بلكنة فارسية ربما، أو بدونها، وكانوا يعيشون في العراق ــ كما أشرنا إلى ذلك سابقا ــ والموضوع هنا يقع خارج نطاق اللغة.. إنه يقع في الشروط الطبيعية، التي تتوافر في القائد بالنسبة لفهم المكان الذي يقوده ومكوناته، فكيف يا ترى هي الحال مع من لا يجيد التحدث باللغة الأساسية للبلاد؟ لا بل أن الأمر يتجاوز ذلك كله، فحتى مَن يجيد اللغة العربية، وهو عربي الأصل تبرز الإشكالية أيضاً، بصورة واضحة في ما يتعلق بإقامته في البلد، أو إقامته خارج البلد، وفي ما يرتبط باندكاكه بشؤون هذا البلد وفهمه وهضمه لها أو لا يرتبط بذلك، وربما على صعيد الواقع، فإن مَنْ عاشوا خارج العراق لاحظوا ذلك بمرارة، اصطدموا فيها، وواقع الحال أنهم مخطئون في مراراتهم وصدمتهم، لأن الأصل في المسألة يعود، مرةً إلى المبنى الديني، وأخرى إلى المبنى الواقعي، فوفق المبنى الأول ينبغي أن يكون القائد يتحدث لغة سكان المكان وابناً لهذا

المكان، ووفق المبنى الواقعي ينبغي أن تكون الأولوية لابن المكان أيضاً لأنه الأكثر إحاطة ومعرفة وتأثير في مكانه.

وإذا اكتفينا بمثالين هنا، فإن كثيرين ممن سفرهم صدام حسين إلى إيران، وكانوا من المقيمين في العراق، ولا يحملون الجنسية العراقية، وأن الدولة تحتاج بعضهم في سياق عملها الثوري أو السياسي أو الإداري أو الدبلوماسي، لم يتم اختيارهم على أساس الكفاءة، مقارنةً بغيرهم من العراقيين وغير العراقيين، وليس على أساس العنوان الديني العام للتفاضل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]... وإنما على أساس الانتماء القومي والوطني الأصل لهم، وعلى أساس ما تسمح به قوانين الدولة التي وضعت بإرادة الشعب الإيراني. فالعراقي أو غير العراقي، الذي صدم بهذا الواقع، انطلاقاً من ثقافته الدينية القائمة على أساس (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) بمعناها العام، لا يحق له أن يُصدم بذلك، بقدر ما عليه أن يراجع تلك الثقافة التي لديه وأولوياتها وشروطها ومبانيها الإسلامية، وسياق وموضوع الآية المذكورة أولاً. ثم يراجع مبانيها الواقعية ثانياً، إلا أن الصدمة، التي صُدم بها العراقي لم تقده إلا نادراً إلى إعادة النظر بتربيته الدينية وبثقافته الناقصة أو المغلوطة، بقدر ما أسست هذه الصدمة لديه على أساس واقع مغاير سائد في بلده هو، حيث الأمور مقلوبة تماماً في الوسط الديني وبعض الأوساط اللادينية، ولأنه عاش في بلده معادلة معكوسة تماماً، حيث عاش العراق على مدى أجيال أن يكون القائد الديني الأعلى فيه لا يتحدث لغة البلد، وإذا كتب أو كتب له بعضهم «تقريراته الفقهية» فهي لا تنسجم مع سلاسة اللغة العربية الطبيعية، إذ غالباً ما تتخذ هذه الكتابة سمة التعقيد، بحيث أن القارىء العادي لا يفهمها، وسيحتاج إلى وسيط لشرحها له، وقد يكون هذا التعقيد جاء طبيعياً نظراً لصعوبة صياغة النصوص العربية بالنسبة لغير العربي، وربما أخذ بعده التعقيدي في ما بعد.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

حتى الآن قد يستفز هذا الكلام بعضهم، ويعتبره نوعاً من «العنصرية» العربية ضد الفرس أو الأتراك أو غيرهم، أو «إقراراً بتقطيع الوطن الإسلامي الكبير إلى أوطان» على يد المستعمرين.. وقطعاً إن مَنْ يُستفز من ذلك معرفياً وليس مصلحياً، ليس «الفارسي ــ أو الإيراني» أو غيره الذي بالتأكيد سيرى في هذا الكلام ــ إذا كان متديناً وحسن النية ــ أنه كلام بديهي وقد لا يحتاج إلى إثارة.. أو مناقشة أو جدل. لأنه لم يعش تناقضاً في هذه المسألة بين ثقافته الدينية وواقعه المعاش في موطنه.

إن مَنْ سيُستفز هو «العراقي» الذي صُدم، إلا أن مصالحه الذاتية أو وعيه الناقص، لا تجعله يسلم إلى هذه الحقيقة، أو العراقي الذي لم يعش تجارب المهجر خارج العراق، ولاسيما في إيران الإسلامية، والذي لم يتغير وعيه من جدل الصراع «المرجعي ــ المرجعي» الذي كسرت شدة ضغوط واقع العراق حدوده المناطقية، لتمتد على مساحة الوطن من خلال تجربة الشهيد الصدر الثاني.

ومَنْ سيصدم أو بالأحرى سيغضب هو «المرجع» اللاعراقي، الذي يحتل موقع القيادة في العراق، لأنه لا يستطيع أن يحصل على هذا الموقع في بلده، أو لأنه لا يحيط بالمباني الدينية لهذه المسألة.

أما المصدوم العراقي فسيستفز، لاسيما في ظل وجود من يغذي هذا الاستفزاز لديه من المصلحيين الذاتيين، الذين يحرسون ثقافته الخاطئة حتى لو انتهى العراق وشعبه إلى الجحيم، وهو فعلاً عاش أقسى أنواع الجحيم في هذه المرحلة ــ مرحلة الاحتلال الأميركي له ــ والمراحل التي قبلها... إن العراقي سيُستفز لهذا النوع من الكلام على أنه يخل بمبادئ الدين، وقد يعتبره كلاماً «عنصرياً» عربياً ضد الفرس، أو الأتراك، أو قد يعتبره كلاماً إقرارياً بتعدد أوطان المسلمين المصطنعة، ولكي نثبت له أن الأمر ليس كذلك نستدعي المثال الثاني الذي أشرنا له، وهو مثال لا «عنصري»، بل هو مثال عربي ــ عربي، إذ إن مَنْ عاشوا في بيئات «شيعية» عربية، لاحظوا أيضاً أن «المرجع» العربي ابن البيئة التي يعيش فيها أعطى دائماً أولوياته إلى بيئته، ولم يعطها إلى العراق والعراقيين، الذين عاشوا هناك على كثرتهم، ولعل فضل الله «المرجع» العربي اللبناني هو أحد الذين جسدوا هذا النموذج، ليس مع العراقيين فقط، لا بل مع

الكثير من العرب الآخرين من تونس والمغرب ومصر والخليج، إلا أن العراقيين كانوا هم الشريحة الأكبر التي عاشت تجربتها، واصطدموا بها أيضاً باعتراف أكثر قيادات وكوادر حزب الدعوة من خلال الحوارات معهم، ولكنهم لا ينطقون بذلك أمام الناس، لأنهم صدموا ــ باستثناء أصحاب المصالح ــ من الوكلاء والمنتفعين والمثقفين الجبناء والحركيين المأزومين، الذين صدموا وتماشوا مع الواقع بحكم أنانيتهم ومصالحهم وظروفهم. أما غيرهم فعليهم أن لا يصدموا في الحقيقة، لو كانت القواعد والأسس الثقافية والدينية التي يرتكزون عليها قواعد سليمة. وإذا كان الواقع، الذي عاشوه ــ كما هي الحال في المثال الإيراني ــ هو الذي أدى بهم إلى هذه الصدمة من حيث المقارنة مع ما يجري في بلدهم، ومع ما عاشوه هناك، فإن هذا لدليل على هشاشة تلك القواعد والأسس الثقافية والفكرية والتربوية الدينية... والبعض انتبه إلى ذلك، فبدأ بالمراجعة ــ مراجعة أفكاره الإسلامية ــ وبعضهم الآخر الذي سيُستفز من هذا الكلام، هم أصحاب المصالح والبحث عن المواقع ــ كما أشرنا ــ حتى لو ذهب العراق، كل العراق إلى الجحيم ــ وها هو يعيش الجحيم في ظل الاحتلال الأميركي له، فهم قد اصطفوا من جديد في غالبيتهم ليس مع قواعد عرفوا بعدها عن الإسلام والوطن، لا بل أوغلوا إيغالاً قاسياً في ترسيخ تلك القواعد التي اصطدموا بها من خلال ممارساتهم بعد عودتهم إلى العراق.

ونحن إذ نكتب في هذا الموضوع، لا نكتب لهذه الشريحة ممن سيستفزهم هذا الكلام، وإنما نكتب لشرائح شعبية لم تعش التجربة خارج العراق، وعاشها هؤلاء، ولم يؤهلها وعيها وثقافتها على دلالات جدل الصراع «المرجعي ــ المرجعي»، وأحد أسبابه المركزية في هذا الإطار الذي يتمثل باللغة واللسان **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**، ونكتب ونؤسس لأولئك الذين عاشوا المرارة خارج العراق، وتحولت إلى وعي غير مؤسس لديهم. ونعود إلى مثال فضل الله.. ففضل الله «مرجعية عربية» وليست «فارسية»، وربما بعض مَنْ ساهموا في إنتاج «مرجعيته» من العراقيين انطلقوا من أسس تاريخه الشخصي، وأسسه الحركية، والعروبية، ولكن بعدما اصطدموا بأزمة

«المرجعية» اللاعروبية في تجربتهم داخل إيران. ولأن فضل الله يعيش في وسط آخر، فإن جل مشاريعه وخطابه آنذاك مع وسطه، وعالج أشياءه وحاجاته بعيداً عن شكل المعالجة ـ إذا ما كان شخصانياً يعتمد على تأسيس ظاهرته أو شمولياً إسلامياً ـ فمشاريعه كانت للمكان الذي يعيش فيه، سواء جاءت هذه المشاريع على شكل مدارس وهي بالعشرات تدرّ أرباحاً طائلة، أم مبرات أيتام، أم محطات بنزين أم مستشفيات، أم مراكز إعلام، أم مشاريع استثمار «كازينوهات» أم «مراكز خدمية»... ففضل الله الذي يقول في كثير من الأحيان «أنا عراقي» لم يؤسس مشروعاً واحداً خارج العراق للعراقيين في المهجر، لا مدرسة، ولا مستشفى، ولا دار أيتام، ولا مركز رعاية لعوائل شهداء عراقيين، ولا حتى مركز إعلام، أو مركز ثقافة، ولا يشكك أحد أن غالبية الإعلاميين والمثقفين العراقيين والعرب الآخرين وضعوا بين يديه عشرات المسودات لمشاريع إسلامية وعراقية ثقافية وإعلامية ـ إلا أن أحداً من هؤلاء لم يسلم من الصدمة ـ عندما لا يجد أذناً صاغية لتلك المقترحات والمسودات، وفقط الذين قبلوا أن يتحولوا إلى جزء من «مرجعيته»، يحررون أدبياته، ويكتبون عنه، وينظّمون محاضراته ويقومون بتسجيلها، أو يدافعون عنه بأقلامهم.. فقط هؤلاء هم مَنْ وجدوا مكاناً لهم في أوساطه. أما الذين يقولون له أين العراق؟ فالجواب يمرّ عبر مائة قناة فنية للكلام إلى أن ينتهي إلى الصدمة. والواقع أن «الصواب» هو ما يقوم به فضل الله مع ملاحظات جوهرية، فالصواب هنا في ما يرتبط بموضوعنا الذي نتحدث عنه ـ القيادة والمكان ـ وليس في مشروعه العام ـ إذا كان لديه من مشروع فكري أو معرفي ـ والملاحظة الثانية التي تخرج عن هذا الصواب، هو منطق الاستقواء بالعراقيين من قبل فضل الله في تأسيس «مرجعيته»، دون أن يكون هنالك ثمن، لا بل كان ثمن ما دفعه العراقيون مريراً، وهم من روّج لـ «مرجعية» فضل الله، لأن هذا الاصطفاف استفز خصومه، مثل المرحوم «العلامة» محمد مهدي شمس الدين، وإلى حد ما حزب الله في فترة من الفترات، وحتى إيران، وانعكس ذلك كله على موقف هؤلاء من العراقيين، والخارج عن الصواب في ملاحظة ثالثة، هو دور فضل الله وسط الجمهور العراقي من خلال «كسر ضلع فاطمة الزهراء»، وأدوار

سياسية أخرى، ونكتفي بهذه الملاحظات لندرج كلمة الصواب في ما نتحدث حوله ـــ القيادة والمكان ـــ مع أن فضل الله يقول «أنا عراقي» فالأولوية في الإسلام للمكان في المسألة القيادية ـــ مهما كانت الظروف ـــ وهذه من سنن الحياة، وقواعد الدين ومبانيه الفقهية والفكرية. ولتعزيز هذا المثال «المرجعي العربي» والتجربة العراقية ندرج هنا نص رسالة «خجولة» وجهت إليه وهي كالتالي:

رسالة "دعوتية" إلى فضل الله

«بسم الله الرحمن الرحيم... سماحة آية الله العظمى السيد فضل الله حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد الاعتذار عن عيوب هذه الرسالة، التي كتبت على عجل للحوق بالمسافر، الذي يوصلها، والاعتذار عن الصراحة، التي تميزها بسبب ما تقتضيه وظيفة النصيحة لأئمة المسلمين وما توجبه قاعدة (صديقك من صدقك لا من صدّقك) أجد لزاماً عليّ أن أكتب لكم بعض الملاحظات حول مشروع مرجعيتكم الذي نقلكم من حالة (المفكر الإسلامي) إلى حالة (المرجع الواعي) وهي نقلة أثارت حفيظة (المرجعية التقليدية) فقامت بما قامت به، وتعاونت مع من تعاونت معه، مندفعة من، أو دافعة جهات ليس هنا محل ذكرها.

وكان من الطبيعي جداً أن يقف العاملون للإسلام ـــ لا للأشخاص ـــ إلى جانب مرجعيتكم ـــ لا شخصكم ـــ لما كانوا يحسبونه تعويضاً عن خسارة الإسلام بفقدان شهيده وعبقري الأمة السيد الصدر قدّس سره.

وكان من الطبيعي أيضاً أن يدفعوا ثمن هذا الوقوف باهظاً وهم لا يرجون من أحد جزاءً ولا شكوراً، لأنهم فعلوا ويفعلون ذلك طلباً للآخرة لا للدنيا، ولذلك تحملوا ما تحملوا دون أن ينثنوا عن موقفهم، ودون أن يشتكوا، بل ودون أن يخبروا سماحتكم بما نالهم مما لا تعلمون، لأنهم من ناحية لا يريدون استعمال آلة الدين للدنيا، ولا يتاجرون

بمواقفهم الشرعية، ومن ناحية أخرى لأنهم يخشون أن تحسبوا ذلك منّة على شخصكم وهم يرون المنّة لله عليهم في ما وفقهم إليه.

لكن من الطبيعي أيضاً أن لا يكتمكم الواعون والعاملون المخلصون نصحاً، وإذا منعت أغلبهم موانع تتراوح بين الحياء وبين اليأس من التأثير فاني أرى أن محاولة أخيرة معبّرة عن مجمل آراء العاملين المخلصين لابدّ أن تصل إلى أسماعكم لكي لا تفاجأوا بعد ذلك بما تعتبون به على بعض هؤلاء إذا انفضوا عنكم ــ حيث يتعذّر العمل للإسلام في جهازكم ــ إلى العمل للإسلام في أرض الله الواسعة، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى إزالة العقبات التي تعترض طريق العمل المخلص والتي منها الارتباط بكم ــ ولو بأضعف درجاته ــ حيث يكون لهذا الارتباط آثار ضارة على العمل الإسلامي بدون أية آثار نافعة (على العمل الإسلامي أيضاً).

سيدنا الأجل.. كان العاملون للإسلام (دعوة أو دعاة، تلبسوا أم لم يتلبسوا بالمبدأ) يتصورون أن انتقالكم إلى موقع المرجعية يعني حصولهم على دعامة ومرتكز ينقلهم إلى موقع الفاعلية ويطوّر عملهم بصورة نوعية، فإن إضافة الحركة الإسلامية إلى المرجع الواعي لا تعتبر جمعاً حسابياً بسيطاً، بل نقلة نوعية تضاعف من فاعلية المرجع والحركة معاً بما تهيؤه للمرجع من أدوات رسالية منسجمة مع خطه الفكري، وما تهيؤه للحركة من قوة دفع تنقلها إلى مواقع لم تكن بالغتها إلا بشق الأنفس. وهذه التنمية المتبادلة في الوقت الذي تبدو ــ وهي كذلك ــ عملية طبيعية، فهي تمثّل أيضاً موقفاً شرعياً بالدرجة الأولى، وأخلاقياً ــ أيضاً بالدرجة الأولى ــ!. لكن السنوات القليلة أثبتت أن المسألة لم تكن كذلك، فقد استفادت مرجعيتكم من الحركة أقصى الفائدة، وتضررت الحركة من الوقوف معكم أبلغ الضرر، وكان أن مررتم عليهم ــ من بعد ما أصابهم القرح ــ دون أن تكلّفوا أنفسكم بإلقاء السلام عليهم (ولم يؤلمهم ذلك بقدر ما آلمتهم شماتة الشامتين)، وهو موقف لم أعثر على تفسيره لا في فروع الكافي ولا في الروضة..

فالفروع تشير إلى وظائف العلماء ونواب الإمام وتتحدث بالتفصيل عن واجب الإمام تجاه المأمومين في مقابل حقهم عليه، ولم أجد فصلاً بين حقوق الإمام وواجباته

بحيث يمكن أن يتمتع المرجع بحقوقه على الأمة ولا يجد نفسه ملزماً بشيء تجاهها. وفي الفروع أحكام كثيرة، ولا أريد أن أنقل التمر إلى هجر.. وفي الروضة أكثر وأكثر. وفي نهج البلاغة يعدد أمير المؤمنين حقوق الناس عليه ثم يقول: فإن فعلت ذلك فإن لي عليكم السمع والطاعة. ولا أدري كيف يكون على الإمام المعصوم واجبات إذا أدّاها يستحق الطاعة، بينما لا تكون على نائب الإمام أية واجبات!!

سيدنا أبا علي

كانت للعاملين ـ قبل مرجعيتكم ـ علاقات من نوع ما مع أجهزة المرجعية التقليدية، وكانت هذه العلاقات ـ على ما فيها ـ تشكل غطاءً ودعماً لبعض مواقع العمل، لكن وقوفهم معكم أحرق سفنهم فوصلوا إلى شاطئكم سباحةً فلم يجدوا حتى قارباً خشبياً يستعينون به على ركوب بحر العمل الإسلامي المتلاطم.

وينبغي أن يكون واضحاً لديكم أن التبريرات التي قيلت حول ضعف إمكانيات مرجعيتكم لم تعد تقنع أحداً، بعد أن أصبح واضحاً أن الأسباب الحقيقية تعود إلى أمور قابلة للحل. وأستميحكم عذراً في صراحة جارحة، وأسأل الله أن يعينني ويعينكم عليها، فأقول لكم: أن مرجعيتكم إن لم تكن كسائر المرجعيات التقليدية ـ من حيث الجهاز والإدارة والدوافع والأهداف ـ فهي ليست أفضل منها (مع فارق الوعي الذي لا ينكر، وفروق لصالح تلك المرجعيات). ولئن كان المراجع الآخرون يؤاخذون على حشد إمكانياتهم لخدمة كيانهم وكيان أقربائهم في النسب والوطن، والاهتمام بالحقوق أكثر من الواجبات، فإن تلك الإشكالات ليست بعيدة عن مرجعيتكم.. وأن الوضع الإداري الذي تعيشه حوزتكم ومؤسساتكم والذي لا أظنه خافياً عليكم قد حوّل الأهداف الكبرى التي كنا نأملها إلى خيبات أمل ومرارة لا مثيل لها.

لقد كنا نأمل أن تستوعب مرجعيتكم العاملين الواعين لتتخذ منهم جسراً يعبرونه إلى العالم حاملين مشعل الهداية مستنيرين بأفكاركم ومعتمدين على دعمكم... لكننا لم نر شيئاً من ذلك، إذ بقي العاملون معلّبين كسمك السردين دون أن يستفيد منهم سماحتكم. وكنا نأمل أن تكون مرجعيتكم قطباً يجمع حوله كل المفكرين والعلماء الشباب الذين يؤمل ان يثروا مسيرة المرجعية الواعية فيتقوّوا بكم وتتقوّوا بهم.. لكن

سماحتكم لم تفعلوا شيئاً من هذا القبيل.

كنا نأمل أن تكون مرجعيتكم عالمية الأهداف والتوجهات فإذا بها تبرز الهوية اللبنانية ــ وأحياناً دفتر العائلة ــ في أكثر من موقع.

ما هكذا الظن بكم، ولا المعروف (من فضلكم..)

سيدنا الكريم

عذراً ثم عذراً على هذه الصراحة، واسمحوا لي ــ وأنا والله أخالف في ذلك هواي ــ أن أقول لكم: إن مسلككم الفعلي قد جمع حولكم عدداً من المستفيدين الذين لا يرون مصلحتهم، إلا في طرد الرساليين، وأنتم تعلمون بذلك وتصبرون عليه.. ويمنعكم من استثمار طاقات المخلصين تصوّركم أن هؤلاء يطلبون مالاً أو يريدون حلّ مشاكلهم الشخصية في ظل مرجعيتكم.. ووالله هم أعلى شأناً وأكرم نفساً، ولو كانوا كذلك لولّوا وجوههم شطر المرجعيات التي تتفطر قلوبهم على أصحاب المواهب العلمية والفكرية دون أن تستطيع شراء ذممها، ولذلك بقي هؤلاء بينكم: يمنعهم دينهم من التعامل مع المرجعيات الأخرى، وتمنعهم كرامتهم من التعامل مع مرجعيتكم ومع شخصكم الكريم الذي يعرض عنهم خشية الإنفاق، وهم والله أعف نفساً مما تتصورون.

سيدنا أبا علي: هذه ليست رسالة شخصية، بل هي حصيلة آراء عدد من الرساليين المخلصين والمحبين لكم ــ ولو شئتم لسميتهم لكم ــ والذين بدأوا ينفضون أيديهم الواحد بعد الآخر. وجدت أن من واجبي أن أطلعكم عليها وأنا أتوقّع أن لا تجيبوا عليها ــ كما فعلتم قبل ذلك في رسالتي حول المفكرين وضرورة استقطابهم، ورسالتي التي سألت فيها أسئلة فكرية عن بعض جوانب الاقتصاد الإسلامي ــ ولكن ذلك لا يغيّر موقفي منكم، ولئن فجعنا بالموقع المرجعي فنسأل الله أن يديم لنا الموقع الفكري ويكتب لكم طول العمر في خير وعافية وصحة موفورة لعل الله يقيض لنا من يعرف حقنا والسلام.

د. مشكور».

رسالتان إلى فضل الله

ونرى من المناسب هنا، أن ندرج نص رسالتين كتبناهما إلى فضل الله حول تعاطيه مع ملف العراقيين خارج بلدهم، وعما تجرعه كثير منهم من مرارة سلوكه «المرجعي» معهم، وبما يوضح أيضاً، «تبعية العقل الحركي الإسلامي» إلى سلطة «المرجعية العربية» ـــ هذه المرة ـــ، وتعاملها الإذلالي معهم، فهو عقل لم يتعظ من تجاربه السابقة مع «المرجعيات» اللاعراقية، وراح يلهث وراء «مرجعية عربية»، نتيجة عجزه عن العمل المستقل دونها، ولأنه وليدها في الأصل، ونص الرسالة الأولى جاء كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السيد آية الله محمد حسين فضل الله المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لم يسبق لي أن أخاطبك عبر رسالة خطية حول موضوع يرتبط بظروف العراقيين في المهجر، لاسيما المقيمين في سوريا ولبنان.. ولكن سبق لي أن تحدثت معك حول ذلك، لاسيما حول معاناة العراقي الصحية في دار الغربة، وبالذات حول عشرات الحالات في لبنان، التي هددت فعلا حياة بعض العراقيين، وفارقوا الحياة لأنهم لا يستطيعون دفع فواتير علاجهم في المستشفيات اللبنانية المرتفعة الثمن، وأتذكر في يوم ما أنني قلت لك أنني أجد نفسي خجلا، لا بل ذليلا أمام عشرات بل مئات العراقيين الذين يقصدونني بغرض التحدث اليك حول أوضاعهم أو حاجاتهم أو طوارئهم الصحية، لأنهم يعرفونني أولا، ولأنهم يعرفون أن لي علاقة معك، وطالما عجز لساني أمامهم، وطالما واجهتهم مطأطئاً برأسي دون كلام، ولطالما تحدثت إليهم بكلام أحاول جاهداً أن (أبرئ ذمتي) من خلاله، ولطالما أحسست بماء وجهي يسقط قبل أن يتحدث هؤلاء المظلومون، المغدور بهم، والمضحوك عليهم، والذين لا أعتقد

أن شعبا بالعالم عانى مثلما عانوا، لأن معظمهم من أصول كريمة وعوائل كريمة ونفوس كريمة، ولقد ابتلاهم الله بما ابتلاهم، وابتلانا بما ابتلانا.

عندما يقصدونني لا أستطيع أن اعتذر أليهم نيابة عنك وعن غيرك، وأتحرك قدر استطاعتي في بعض الحالات، وإزاء حالات أخرى أراني أكاد أنفجر غيظا، عندما أرى عراقياً غريباً دفعته ظروفه الأمنية إلى العيش في جانب مستشفى (بهمن)، وهو يعاني من أمراض مزمنة أو من نكبة صحية طارئة، ولا (يستطيع) هذا المستشفى الخيري، الذي أنتم على (علاقة به)، أن ينقذ حياتهم أو يخفف من آلامهم، والذي تعرفه الناس أن هذا المستشفى عائد لك أو عائد لشخص هو من أكبر ممولي مرجعيتك، ولا يمكن لأحد أن يقتنع ــ ولهم الحق في ذلك ــ أن برنامجا ما لم يوضع للتعامل مع حالات العراقيين الطارئة خلال سنوات، وأن مكتب الخدمات الاجتماعية لديكم إذا أراد أن يساهم، فهو لا يساهم إلا بشيء رمزي لا ينقذ حياة إنسان، كالحالة التي أضعها بين يديك الآن.

هناك شاب يرقد الآن في مستشفى بهمن اسمه (وميض فخري محمد البصام) عمره (٣٤) عاما، أصيب بــ (جلطة دماغية) بشكل مفاجئ، ونقله زملاؤه العراقيون إلى المستشفى، واخضع للعلاج، وخلال ثلاثة أيام ارتفعت فاتورة المستشفى إلى ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف ليرة لبنانية وهي مرشحة للارتفاع إلى ٥ ملايين ليرة لبنانية كما ابلغني رفاقه، وأطلعت أنا بنفسي على الفواتير التي دفعت، والتي جمعوها بينهم... لم تكن لي علاقة بالشاب إطلاقاً، إلا أن رفاقه الأربعة جاءوني وهم بحالة يرثى لها طالبين مني التدخل لمخاطبتكم، فسألتهم هل ذهبتم أنتم إلى السيد فضل الله؟ قالوا ذهبنا إلى مكتب الخدمات الاجتماعية، وشرحنا لهم الموضوع بالتفاصيل، ولم يتبرع المكتب بأكثر من (٢٥٠) ألف ليرة لبنانية، وفوجئت أنا عندما سمعت بالمبلغ لأن حالات أخرى قبلها أعرف بها لم يتبرع المكتب لها بمثل هذا المبلغ، بل بأقل منه، وأتذكر آخر حالة اجتماعية انتهى بها أحد العراقيين إلى الموت، وكان مقررا أن ينقل جثمانه إلى العراق، ولا يوجد قريب له، وعندما سأل رفاقه عن تكاليف النقل والرسوم قيل لهم إنها تكلف (٣) آلاف دولار، ذهبوا إلى احد السائقين اللبنانيين وشرحوا له قصة الشخص،

فكان رجلا أبياً وشريفاً، فقال لهم أنا لا أريد إلا (٨٠٠) دولار قيمة الرسوم، التي ينبغي علي أن ادفعها في مثل هذه الحالة، وكان أحد العراقيين قد ذهب إلى مكتب الخدمات الاجتماعية التابع لكم طالبا منهم المساعدة في ذلك، فاخبروه بأنهم سيدفعون (١٠٠) دولار، وجمع رفاقه العراقيون المبلغ المتبقي (٧٠٠) دولار، وعندما أرادوا التسريع في إرسال الجنازة، ما زالوا لم يستلموا بعد الـ (١٠٠) دولار من مكتب الخدمات الاجتماعية التابع لك، فدفعها ابو ميثم الجواهري على أمل أن يأخذها في ما بعد، وعندما عاد وطالبهم بها أخبروه بأننا لم نقل لأحد سوف ندفع (١٠٠) دولار ولكن أبلغناهم بأننا سنتحدث إلى السائق الذي ينقله أن يسامحه بـ (١٠٠) دولار!! إلا أن ابو ميثم اضطر أن يجيبهم قائلا: (إذا كان الأمر كذلك سنكتب هذه القصة إلى العراقيين في أوروبا وأميركا ونطلعهم على شؤون العراقيين في لبنان) وعندها فقط عادوا واتصلوا به لكي يأخذ الـ (١٠٠) دولار.

... وألان أنا أقول لكم، وانطلاقا من اطلاعي على عشرات أو مئات القصص التي ينبغي أن تكتب للتاريخ، ولم اكتب لكم حول أي منها واكتفيت بالحديث معك حول هذا الأمر.. أقول أن للعراقيين حقا عليكم في إنقاذ حياتهم، وحقا علينا جميعا. وأنني وحسب اطلاعي على المساعدات، التي تلقاها العراقيون من مؤسسات مسيحية خيرية، كمجمع الكنائس، أو مؤسسة (كاريتاس) الخيرية، ومقارنتها مع ما تلقاه العراقيون من مكتب الخدمات لديك، أجد نفسي مذهولاً لمفارقة لا تبرير لها على الإطلاق، إذ أن بعض المؤسسات المسيحية تزور العراقيين إلى بيوتهم لتقديم بعض المساعدات لهم، وفي إحصائية لنشاط مؤسسة (كاريتاس) المسيحية الاجتماعية أنها قامت بـ (٨١) زيارة إلى عوائل عراقية من تاريخ ٣ / ٦ / ٢٠٠٣ إلى ٢ / ٧ / ٢٠٠٣ [1]، وقدمت لها مساعدات إنسانية وصحية ومدرسية. وإذا احتجت إلى وثيقة في ذلك فهي موجودة.

---

(١) اقرأ أسماء «العوائل التي تم زيارتها من قبل (كاريتاس) وتم تقديم المساعدات الانسانية والصحية والمدرسية لها وذلك بالتعاون مع رئيس لجنة المتابعة لشؤون اللاجئين العراقيين في لبنان السيد سليم السلامي» في الملاحق، ملحق رقم (٤).

ولعلكم سماحة السيد تدركون دلالات هذا النشاط وردود فعله النفسية على العراقيين، الذين كانوا يحسبون أن مؤسساتهم الإسلامية هي التي ستقوم برعايتهم، والأمر ليس كما يراد أن يصوره البعض، بأن إمكاناتكم لا تسمح بذلك، أو أن لا تأثير لكم على مكتب خدماتكم أو مستشفى بهمن، ولا أحسب أن عراقياً التقيته في لبنان لم يعبر عن ألمه النفسي في هذا المجال، ويأتي باسمكم ويشرح لزملائه كيف أنه ذهب إلى مؤسساتكم في قضية له أو لغيره وعومل بطريقة مذلة. وإذا كانت الإمكانات (لا تسمح فعلا) فيجب أن لا تسمح للجميع، وأنا شاهد وأراقب أولاد بعض وكلائكم من خلال الشقق الفارهة، والحياة الباذخة التي يعيشون، وإذا أحببت أن أعطيك قائمة بأسمائهم، وسبق لي أن ذكرت لك بعض أسمائهم من خلال حواراتي معك، فأنا مستعد لذلك.

على أية حال يا سيد، لست أنا هنا بصدد سرد إحصائيات في هذا الإطار، ولست بصدد الحديث عن مجالات أخرى، إنما أنا بصدد أن أضعكم أمام هذه الحالة الإنسانية الطارئة لعراقي آخر، عسى أن لا يضاف رقما إلى قائمة الموتى الضحايا الغرباء العراقيين إلى جواركم وإلى جوار مستشفاكم أو مستشفى من هو يمول مرجعيتكم... لأنه لا يملك تسديد فاتورة علاجه الباهظة، في حين أن أولاد (الوكلاء) الدينيين لكم يعالجون في ارقي المستشفيات إذا ما تعرض احدهم إلى وعكة صحية (لا سمح الله)!!! وسنعترف لكم بالجميل إذا ما بادرتم لذلك، ولو أنني متشائم سلفاً من النتيجة، لأنني كلما أحاول أن اقنع نفسي بالكتابة لكم عن حالة إنسانية أو اجتماعية ما، أتذكر قائداً من قادة حزب الدعوة كنت قد التقيته ذات يوم وهو يتمتم أو يشتم نفسه، حتى إذا ما (مازحته حول حال التمتمة) أجابني بأن السيد فضل الله (يطلب الحزب (١٠) آلاف دولار، وهو يضغط علينا بشكل لا يطاق، وظروفنا لا تسمح بتسديد المبلغ)!!! فعدت (متمتما) وإياه[1].

---

(١) تطرقنا لهذه القصة بشكل مباشر ومسهب في كتابنا «صناعة العقول، بين التقليد الفقهي وثقافة التقليد»، وبالصياغات الدقيقة لها.

والآن أجد نفسي (أتمتم) حول حالة هذا الشاب وأمام رفاقه الشباب، واكرر ما العمل.. إنها مرحلة الإذلال، التي لا يبدو أن هناك نهاية لها، وقصص الإذلال، التي لا حصر لها، فلنكتبها على الورق إلى سماحة السيد، بعدما حاورناه شفويا حول هذه الأمور، إذا لا خيار لنا، أما أن نوجه هذا الخطاب عسى ننقذ حياة شاب عراقي غريب ومظلوم، وإلا فلنفضح ذلنا أمام العالم عبر الانترنت، وننشر هذه القصة على مرآة العالم، (فالموت والخزي) للعراقيين الذين لا ناصر لهم، و(الحياة الفارهة) لأولاد المراجع ووكلائهم!! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عادل رؤوف

٢٧ رجب ١٤٢٤هـ»[1]

---

(١) لقد فاجأني هؤلاء الشباب حينما كنت في بيروت خارجا من المطبعة بعد أن سلمتها عددا جديدا من مجلة «دراسات عراقية»، وعندما استشعرت بأن لديهم طلبا ما تذكرت ما أحمله من مال، وهو لا يتجاوز المائة دولار، فـ «روضت» نفسي على إعطائها و«التخلص» منها، وإذا بهم يفاجئونني بتلك القصة، التي تحتاج إلى آلاف الدولارات، فاضطررت بعد حوارات معهم، إلى كتابة هذه الرسالة، وأوضحت لهم كيفية تسليمها للسيد فضل الله بعد أن لاحظت أنهم كانوا يتصورون أن طريقة إيصالها باليد إليه صعبة، وقلت لهم إذا واجهكم أي معترض من لقائه فابلغوه بأننا مرسلون من عادل رؤوف إلى السيد فضل الله. على أية حال، أبلغتهم أيضا بأن عليكم أن تضعوني في صورة ما يحصل لكم بعد لقائه ــ لأن حالة المريض كانت حرجة وكان علي أن ابحث عن بدائل في حال عدم الاستجابة ــ، تودعنا في الساعة الحادية عشر صباحا وكنت في المساء مدعوا لحضور مناسبة دينية في بيت السيد جابر الزيادي في منطقة خلدة، وعندما كنت هناك في ما يقارب الساعة السادسة مساء، دخل أربع أو خمس عراقيين إلى البيت، ففاجئوني بالقول: «أنت هنا، الم تعرف بالذي حصل؟» وكنت حينها فعلا لا أتوقع أن استفسارهم يتعلق بهذه القصة، قلت لهم ــ وكان معظمهم اصدقائي أو يعرفونني ــ : «ما الذي حصل؟» قالوا إن السيد فضل الله تعرض إلى وعكة صحية على أثر رسالة وصلته منك، وبالطبع هم لا يعرفون مضمون الرسالة، أجبتهم بالقول: «عندما يتعرض الغريب والمحتاج إلى طارئ صحي فمن الأولى أن نتألم عليه أكثر مما نتألم على ابن البلد، وهو يقيم فيه فضلا عن كونه زعيما (مدعى) للعراقيين الغرباء، فعلى من نتألم اذا؟». انظر صورة البطاقة الشخصية للمريض والفواتير المستحقة عليه والتقرير الطبي له في الملاحق، ملحق رقم (٥).

أما الرسالة الثانية فقد جاءت على الشكل التالي:

«سماحة آية الله محمد حسين فضل الله المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بدءا أتمنى لك الصحة والسعادة والتوفيق في الدار الآخرة، وبعد فإنني كنت على لقاء دوري تقريباً معك بين فترة وأخرى، ولم أحص بالضبط عدد هذه اللقاءات لأنها كثيرة، وأعتقد أن هذه اللقاءات كانت لقاءات حوارية صريحة، أتحدث معك فيها بكثير من الصراحة بما لا يخل بالشعور الأبوي الذي أكنه، وكان يدفعني على الدوام أن أكون صادقاً صريحاً معك حول الكثير من الأمور والأفكار والأساليب، من أجل مصلحة الإسلام وتحدياته، ودورك الذي تقوم به، وكان كل همي أن أكون مسدداً في ملاحظاتي أو منبهاً، أتلمس لك في كل ملاحظة ترد في عقلي حول ما تطرح وتقول عذراً، انتزعه من كثرة مشاغلك وعملك الدؤوب، حتى أنني أراك في بعض الأحيان مرهقاً من كثرة النشاط الذي تقوم به، وأتذكر أن أول كلام أمام الناس في جلسة غداء في بيت السيد الميالي كنا فيه مع مجموعة من العراقيين، وبعد تصديك للمرجعية، صدر لي، كلام حول جهازك المرجعي، أين هو، كيف تتصدى للمرجعية بدون هذا الجهاز؟ وكانت إجابتك على هذا السؤال: أن التحديات هي التي تخلق الجهاز في بعض الأحيان!! كانت علاقتي بك قبلها عن طريق الكتاب، الذي كنت أكتبه أنا وبعض زملائي في العراق، ونوزعه على الشباب، عندما كنا يافعين في أعمار ١٨ ــ ٢٠ سنة، ولم تكن لدينا مطابع أو أجهزة لنشر بعض أفكارك، التي كنا نعتقد أن الساحة بحاجة إليها. ولم نكن بعد قد بلغت عقولنا محنة الفكر ومحنة الإسلام، بما يبلور لدينا رؤية نقدية حول تلك الكتابات الأولى، كما اننا ما زلنا نتنازع بين ديننا الموروث، وتطلعنا إلى التغيير، وفكرنا الحركي البائس، الذي لا نعرف من يكتبه، بحكم التحديات الأمنية، التي كنا نعيش، كنا شباباً نعشق الإسلام، ونحس بأزمة الهوية، وبحالة من الضياع ونعيش بساحة جدباء، إلا من فكر الشهيد الخالد محمد باقر الصدر، ولم ندرِ أن القدر سيقذف بنا إلى حيث ما قذف، كنا شجعاناً وأبطالاً بلا دليل قيادي واضح، ولا دليل معرفي واضح واستعدادنا للموت من أجل إنقاذ الإسلام والوطن مرهون بغياب

الخطة، (وبفتوى المرجع) التي لم تصدر إلا من الشهيد الصدر الأول في وقت متأخر، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث السلطة قد استعدت لاعتقال الآلاف من شبابنا من بيوتهم وأعدمتهم، وهم لا يملكون السلاح والخطة، فحصل ما حصل، ولا أريد أن أطيل في هذه التفصيلات، حيث استشهد من استشهد، وهرب من هرب، وهاجر من هاجر، ودخلنا مرحلة جديدة، سادتها الصراعات بين الإسلاميين العراقيين. وكنت أنت أحد الحاضرين الدائمين في ساحتهم، بالإضافة إلى دورك ووجودك في الساحة الإيرانية.

وقبل الثورة كنت مسؤولاً عن مبرات السيد الخوئي في لبنان، وبعد ذلك التحقت بتيار الإمام الخميني مع احتفاظك بالعلاقة مع الخوئي، وأصبحت المرشد الروحي في وسائل الإعلام لحزب الله. بعد أن أصبح أمراً واقعاً على الأرض، وكنت وكيلاً لمرجعيات أخرى في لبنان، فجمعت بين الخوئي والخميني والكلبايكاني وحزب الله وحزب الدعوة في ظاهرة غريبة، أخذناها شيئاً من (العبقرية) لشخصية تحاول أن تجمع المتناقضات، وأن تسيسها لمصلحة الإسلام والمسلمين، وكنت خطيباً مفوهاً حاضراً دؤوباً مواكباً لكل الأحداث. وكان خطابك خطاباً متحركاً مع الأحداث والوقائع السياسية لا يتوقف، ولا شك بان هذا الخطاب خدم بعض عناصر الساحة الإسلامية والعالم العربي من مشرقه إلى مغربه، ووفد عليك مئات الكوادر والكفاءات من المغرب العربي بالإضافة إلى اللبنانيين والعراقيين، وكان أمل يتشكل لدى هؤلاء بأن وعياً حركياً جديداً بدأ يبرز على السطح، خارج الساحة الإيرانية، إلا أنه يشكل امتداداً لفكرها الخميني الثوري، إذ أن الكثير من هؤلاء الكوادر، الذين تعرفنا عليهم في ما بعد، كانوا لا يستطيعون الذهاب إلى إيران لأسباب أمنية تتعلق ببلدانهم، ويحدوهم الأمل أن ينظموا وعيهم الحركي على الساحة العربية كمناصرة للثورة في إيران، من خلال رمز برز في وسائل الإعلام بشكل لا نظير له، ومفاهيم حركية متحركة يطرحها، فُهمت في حينها أنها تصب في مجرى طموحاتهم وأهدافهم، لأنها مفاهيم كانت تأخذ صفة الدفاع عن الثورة، وعن حزب الله، وذات تطلع تطوري لمجمل تحديات الفكر الحركي الميدانية في شتى أرجاء العالم الإسلامي. مفاهيم تطوف حول

كل الأزمات، العنف، الإرهاب، الأحزاب، المرجعية، إشكاليات العمل، أساليب الدعوة، مفاهيم تغرق في كل التفصيلات الحركية ـ السياسية بشكل متعب، وعبر خطاب براق استعراضي يلامس النقد، ويحركه بدرجات، نقد التفصيلات وليس نقد الأصول الفكرية، التي تؤسس إلى مشروع مستقبلي، وفي حينه يمكن الحكم بأن ذلك كله ما هو إلا جرعات نقدية تمهيدية لمشروع لاحق سيتبلور (لا محال)، لاسيما في ظل إدارة بارعة لتناقضات الواقع، والإمساك بكل الخيوط والتيارات، فأنت مع الشهيد الصدر الأول، ومع الخوئي ومع الكلبايكاني وقبلهما مع الحكيم ومع الإمام الخميني ومع حزب الدعوة ومع حزب الله، ومع العلمانيين، ومع الشيوعيين، ومع الصغار ومع الكبار، ومع النساء ومع الرجال، ومع النقد، ومع ولاية الفقيه للإمام الخميني، ومع الذي لا يؤمن بها، فمن يا ترى يستطيع أن يفعل ذلك؟

إن أحداً لا يشك أن هذه براعة ينبغي الالتفات لها، كما أن أحداً لا يشك بأنها سائرة في طريق الله، وفي طريق الإسلام المستقبلي، لاسيما وأن حادثة اغتيال بئر العبد، التي استهدفتك ستؤكد للآخرين أنك مستهدف، وينبغي الدفاع عنك، والالتفاف حولك، وهذا ما حصل بشكل تدريجي، وربما تحول إلى أمل للكثيرين من شباب شمال أفريقيا المظلومين خصوصاً، والعراقيين بصورة أخص، لاسيما أولئك الذين اصطدموا أو فهموا بأن إيران وبعد توقف الحرب العراقية ـ الإيرانية والعلاقات القلقة التي تلتها مع نظام صدام حسين، ما عادت في موقع الرهان على حسم الأزمة العراقية، وبات بعض هؤلاء العراقيين، الذين يعيشون الصراعات والأزمات داخلهم حول القيادة، يتطلعون بشكل أكبر نحوكم، كمشروع مستقبلي في حينها، وخصوصاً بعد أن اصطدم حزب الدعوة الإسلامية، بالسيد الحائري، الذي رُشح فقيهاً لها، وقبلت أنت بعد فترة حوار مع الدعاة بدأوها هم أن تحتل موقع فقيه الدعوة، وفعلاً أفتيت مرتين حول عملهم، رغم تحفظك الأولي على ذلك خوفاً من الصدام مع السيد الحائري.

إلا أن الأمور سارت بعد ذلك باتجاه آخر، وبقيت علاقات الدعاة معك علاقات استشارية، وكنت بالنسبة إليهم مشروعاً مؤجلاً، يضطرهم إليه عقدة الغطاء المرجعي، الذي يعطيهم (مشروعية) العمل، إذ إن هذه العقدة بقيت ترهقهم داخلياً من قبل الكثير

من كوادرهم، الذين ربوهم بهذا الاتجاه، وما كان يخفف من انفجار هذه العقدة بين الدعاة هو وجود الآصفي، الذي كانت علاقاته جيدة آنذاك معك، وبقيت الأمور معلقة بهذا الشكل، حتى برزت (أزمة المرجعية) بعد وفاة الخوئي في العراق، ووفاة الأراكي والكلبايكاني في إيران، وبأن صراعاً حاداً برز حول موضوع المرجعية بين إيران والنجف، وكان ذلك بعد أن طرح السيد الخامنائي نفسه للمرجعية. انطلاقاً من أن النجف في حينها كانت تحت قيادة صدام حسين، وأن المرجعية فيها ستبقى سجينة نظامه، وهي لا يمكن أن تكون مرجعية فاعلة، كما أن مرجعية الخامنائي على ما يقال أنها طرحت للخارج، وليس لداخل إيران.

في هذا الوقت بالذات كان دخولك حاداً على خط الأزمة، وكان حينها مدير إذاعتك الأخ شفيق الموسوي قد التقيته بالصدفة في بيروت، فبادرني مذهولاً وقائلاً: إن السيد فضل الله فجّر الأمور حول المرجعية، وهو الآن يتحدث من خلال الإذاعة مباشرة، داعياً إلى مرجعية النجف. نظراً لخصوصية النجف في تاريخ المرجعية!! ولقد فهمت أسباب ذهوله، إلا أني لم أتفاعل كثيراً مع الأمر، لأنه بحاجة إلى تفكير، ودائماً (حسن الظن) بك موجود، ولعل هناك أسباباً لا نعرفها، وقد لا يتعارض هذا الأمر مع المصلحة العامة من وجهة نظرك، ومع أن السبب الذي أعلنته في حينها من خلال الإذاعة (نحتفظ بنسخة من هذا الكاسيت) يتمحور حول النجف، إلا ان أشهراً قليلة لم تمر حتى تم تصديك أنت للمرجعية في بيروت.

مع ما لهذا التصدي من حساسية خطيرة في وحدة الساحة اللبنانية فاختفت النجف، وأيضاً ــ بقي (حسن الظن) قائماً ــ فيما لا نفهم، فالبشر ليسوا معصومين، ولا يمكن أن نحكم عليهم لمجرد اتخاذ قرار ما ــ مع خطورته ــ إلا أن ما هو خطير في الأمر كله، أن مصائب جمة بدأت تنهال على الساحة العراقية المعارضة شيئاً فشيئاً بعد تصديك للمرجعية، وذلك من خلال الصراع الحاد الذي خاضه الآخرون من المراجع معك حول (قصة ضلع الزهراء) [1]، واصطفاف حزب الدعوة معك في هذا الصراع،

---

(١) لقد تعاطى الخطاب «الشيعي» التاريخي مع فاطمة الزهراء كـ «خرافة وبكائية ومظلومية»

←

وهذه القصة ما كان لأخطارها أن تتراكم على بعض العراقيين إلا بعد سنوات، إذ كادت هذه القصة أن تحل بديلاً لقضيتهم الأساسية، وهي تحرير وطنهم من صدام حسين ونظامه، والإشكال الذي كنا نراه هو في أسلوبك في التعاطي معها، فلا أنت أهملت الضجيج والصراع، ولا أنت كنت حازماً في الثبات على رأيك، وناقلاً الصراع من حدود القضية المطروحة إلى أصل الأزمات الحادة، التي تحكم الحالة (الشيعية). فأشغل موضوع الزهراء (ع) المنابر الحسينية، وشغل المطابع لتطبع العشرات بل المئات من الكتب، وتحول إلى منشورات ونقاشات حادة، فيما أنت بدلاً من مراسيم تعزية الزهراء السنوية المعتادة، التي كانت تأخذ يوماً واحداً أو ثلاثة أيام على أكثر تقدير، حولت هذه المراسيم إلى خمسة أيام.

لقد كان أمامكم الكثير من الحلول والخيارات لمواجهة الأزمة، ولم تكن نتيجة التعاطي الذي مارسته في إطارها إلا تكريساً لهذه الأزمة، وإعطائها وقوداً إضافياً لكي تطيح بالكثير من جهود الساحة العراقية التي راح الكثير من رموزها وأفرادها ومؤسساتها، التي تقف معك أو ضدك تتطاحن في ما بينها، دفاعاً وهجوماً في ظاهرة مأساوية أخرى من مظاهر مأساة هذه الساحة الإسلامية ـــ العراقية، ومع مرور الأيام بدا أن الآمال أخذت تتبدد لدى هؤلاء الذين زحفوا من شمال أفريقيا نحوك، وكلهم من أنصار الشهيد الصدر الأول، وكنت أحس وأرى ذلك من خلال حواراتي الخاصة مع الكثير منهم، وأشعر بمرارة إزاء كفاءاتهم العالية، التي بقيت حبيسة العقول والصدور، ولدى بعض العراقيين، الذين انخرطوا معك، والذين لم يكونوا أقل صلابة من المغاربة والتونسيين والجزائريين فالظرف كان بحاجة إلى مراكز تفكير، لا إلى فتاوى تكفير، وبحاجة عراقياً ـــ حيث تؤكد أنت دائماً أنا عراقي ـــ إلى تنشيط العمل الجهادي ضد

ـــ للاسف الشديد ـــ ولم يتعاطى دورها الجهادي جنبا الى جنب في الميدان مع ابيها (ص) وزوجها (ع)، ولعل ما يسمونها الكتب «السنية» سلطت الاضواء على هذا الدور نيابة عمن ينطقون باسمها ويتباكون عليها، انظر على سبيل المثال كتاب (انها فاطمة الزهراء)، للدكتور محمد عبده يماني، خصوصا فقرة «الزهراء تشارك زوجها الجهاد»، ص ١٧٢ ـــ ١٧٤، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط٥، ١٤٢٥ هـ ـــ ٢٠٠٤م.

نظام صدام حسين، وأن قياديين حزب الدعوة كانوا يقولون: أن الإمكانات هي التي تعوزنا لهذا العمل!! وإذا بي أصعق وأصدم عندما قال لي أحد قادتهم إن السيد لا يعطي للحزب إلا (٢٠٠) دولار للصحيفة، مع نفقات الحوزة التي هي له، ورواتب من يعمل معه من أفراد الحزب، مع بعض المساعدات المتفرقة هنا وهناك، ومع هدايا للذين يكتبون عنه في سياق الصراع المعنون باسم الزهراء (ع)، أو في سياق مشاريعه الخاصة، أو الذين يكتبون عنه، وكنت أنا أتابع هذه الكتابات، التي كان أكثرها تمجيدياً، ولم تؤسس لإضافات معرفية واضحة.

وبالمحصلة فإننا كنا نبحث عن المشروع، أين المشروع؟ فعدت إلى نفسي دارساً مجمل خطاباتك وكتاباتك بما فيها الفقهية، والى معظم ما نشرته الصحافة لك من مقابلات لم تجر بهذا الحجم مع أية شخصية شيعية في العالم الإسلامي، أبحث عن المشروع، فلم أجده، وأعني بالمشروع المشروع المعرفي ـ الفكري التأسيسي، وسألت كثيرين من المثقفين الذين تربطهم معك علاقات طيبة فاتفقوا جميعاً، أن لا مشروع، فضلاً عن اعترافك اللامباشر أنت في بعض المقابلات، وكان آخرها مقابلة أجرتها معك مجلة الوعي المعاصر، مع أني لم أجد مثقفاً عراقياً إلا ما ندر لم يقدم إليك مقترحاً حول ضرورة تأسيس مراكز للفكر، أو مؤسسات جادة للمعرفة، وخصوصاً بعد أن بدأت مرجعيتك تأخذ طابعاً مالياً ضخماً طال كل شيء إلا الفكر والمعرفة، محطات البنزين، والمدارس الأهلية، ومؤسسات رعاية الأيتام، والمدارس الدينية التقليدية، والمؤسسات التجارية والمستشفيات، ومراكز المعوقين، والمطاعم النوعية الفارهة من الدرجة الاولى، ويتلقى بعض هذه المؤسسات دعماً من كثير من مؤسسات العالم والدول، كبريطانيا واسبانيا والأمم المتحدة واليابان...الخ، كما تنشر نشرتكم ذلك علناً المسماة بـ (نشاطات) التي أحتفظ بكل أعدادها، والتي توزع بشكل محدود جداً. وبالإضافة إلى (نشاطات) التي تعتبر أحد نشاطات عملكم (التأسيسي) للفكر والإعلام، هنالك (بينات) التي تنشر أحاديثكم الأسبوعية وهنالك (فكر وثقافة)، وهنالك اذاعة دينية بحتة لا علاقة لها بالسياسة، ميزانيتها (٤٠) ألف دولار شهرياً، والحديث فيها في أكثر الأحيان إما لك أو لأهلك المقربين، وهي تجيب عن أسئلة

المتصلين الذين لديهم استفسارات حول (العبادات والمعاملات) والحلال والحرام، وتبث أدعية وأحاديث دينية وثقافية لا علاقة لها بالسياسة!! [1]

السيد فضل الله المحترم... طالما فكرت بفلسفة ذلك أن تكون لدينا إذاعة دينية لا علاقة لها بالسياسة، وطالما فكرت بأطروحتك المعروفة حول المرجعية (الفاتيكان) [2] على الطريقة المسيحية، فلم أجد نفسي إلا في مأزق خطير في فهم دلالات ذلك. إذ هل ينسلخ نظام إداري عن وعائه الفكري، لاسيما وأن الفاتيكان نظام إداري مركب لمهام خاصة في الغرب بكل إشكالياتها التاريخية بين الدين والسياسة؟

على أية حال، ليس الهدف أن نقول انك لست مفكراً، فهذا ظلم وإجحاف، وماذا يفيد الفكر بدون عمل؟ وأنت عامل نشط، لم أرَ أحداً من المراجع أكثر منك همة ونشاطاً، رغم أني قلت لك في إحدى الجلسات المطولة، إنني أقرأ كتابات شمس الدين فأجد في بعض الأحيان أفكاراً تأسيسية لا أجدها لديك. والفكر كما تعلم ليس معناه تعقيد الخطاب، بقدر ما هو تسهيل المضامين المعقدة والأزمات المعقدة إلى خطاب سهل ومدرك من قبل الناس، فالمضامين الواضحة والتي تحمل الحقيقة وتقوم بنقد الواقع والماضي هي المطلوبة، إلا أن هذه المضامين عندما تخلط خلطاً وتقدم للناس، هنا تثار الإشكالية الكبرى، إذ دعنا أن يكون الخطاب تكراراً وأن يكون سطحياً، لا خطاباً مبسطاً يحمل مضامين صادقة وواضحة للناس، دعنا من ذلك، ولكن كيف نخلط الحقائق على الناس، فنقول في آخر لقاء تلفزيوني (إنه لا توجد مرجعية ناطقة ولا

---

(١) انظر في هذا الصدد جردا عاما لمؤسسات السيد محمد حسين فضل الله «العلنية» المعروفة التي يقرها دون غيرها من المشاريع «اللامدرجة»، في كتاب (المرجعية المؤسسة انجازات وامال)، مكتب سماحة المرجع محمد حسين فضل الله، الخدمات الاجتماعية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٥م.

(٢) راجع على سبيل المثال حول الحوار الاسلامي المسيحي كتاب السيد محمد حسين فضل الله باسم (في آفاق الحوار الاسلامي المسيحي) ويقع الكتاب في (٤٦٤) صفحة من القطع العادي، كما يمكن مراجعة كراس له بعنوان (الاسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء)، دار الملاك، ط ١، بيروت ــ لبنان، ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧م.

مرجعية ساكتة، وإنما الظروف هي التي تتحكم بذلك). وأنت تعلم بكل ملابسات وموضوع هذه المقولة، فهل من العدل والإنصاف والحق أن نساوي بين الخميني والخوئي؟ أو بين الشهيد الصدر الأول والخوئي اللذين عاشا نفس المرحلة؟ أو أن نساوي بين الشهيد الصدر الثاني والذين طعنوه من المراجع؟ فأنا لا أفهم مرة أخرى بعد الفاتيكان والإذاعة الدينية، وبعد العلاقات مع الجميع، المرجعيات والأحزاب ــ هذه العلاقات التي كنا نحسن الظن بها في بداية الثورة ــ لم أفهم، أي حق وأي أنصاف، وأي عدل هذا الذي سيساوي بين رموز متضادة في التضحية والفكر والتأسيس، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[1].

أن الذي أثارني وأوجعني ودعاني إلى كتابة هذه الرسالة المطولة إليك، هو هذا الكلام الأخير الذي صدر منك، فالصدر الثاني استشهد مظلوماً، والمرحلة التي قيل فيها الكلام مرحلة حساسة جداً، يراد من خلال ملابساتها استهداف جيل الصدر الثاني في العراق هذا العراق الذي لا نريد أن نقول ماذا أعطيته، وماذا أخذت منه خلال تلك الفترة؟ فـ (أنت عراقي) وأنصارك عراقيون، ومرجعيتك تأسست على أكتافهم، وليس من حق أحد أن يقول إنك لا تعطي للبنان أو لغيره، ولكن وفق تلك المعادلة أين العراق، ماذا أعطيته وماذا أخذت منه؟

لقد حولت الحزبيين إلى حواشي، وقد تحولت الساحة العراقية إلى ساحة صراع بعيدة عن صدام حسين، ومشغولة بصراعاتك.. لقد هجر الكثير من العراقيين أماكن إقامتهم القريبة من العراق، إلى استراليا وأميركا ودول أوروبا مرغمين، لأنه لا توجد مؤسسة تحتضنهم ككوادر وكفاءات وعقول معرفية ومهنية.. كان يكفيهم مؤسسة واحدة لا أعتقد أنها تكلفك الكثير، ولأنك (ضد الإرهاب)، فالمال محرم على العمل الجهادي في العراق، الذي كان ينزف قهراً ودماً وجراحاً ورعباً لم يشهده بلد في العالم.

... أنك تعطي لأشخاص يعملون معك، وتساعد بحدود في بعض المجالات

(١) سورة الأعراف: آية ٨٥.

الإنسانية، وتحاول أن توصل شيئاً من هذه المساعدات إلى بعض المخيمات العراقية في إيران، وتوزع رواتب على مؤسستك الحوزوية المكونة من العراقيين، لكن العراقيين كانوا بحاجة إلى دار أيتام، وبحاجة إلى مستشفى، وبحاجة إلى مدرسة، والى مؤسسة للشهداء، وبحاجة إلى مركز أبحاث يستوعب بعض عقولهم وطاقاتهم، وبحاجة قبل كل ذلك إلى دعم قضيتهم جهادياً، وهذا لا يشكل ١٠% من إمكاناتك المالية المترجمة على الأرض، وينبغي أن لا يفهم أنك قادر على إسقاط صدام مالياً، لا، ولكن عندما ترفض أن تخصص أي مبلغ مالي للعمل الجهادي، فهذا هو الإشكال، وأنت تقول بنفسك ما مفاده أنني (أتحدى إن دفعت مالاً لعمل قتالي)[١] ونحن نحتفظ بنص

---

(١) يذكر أن موقف السيد فضل الله من المقاومة، التي حصلت بعد احتلال العراق، والتي كانت لم يتوضح بعد أن جزءا منها له طابع «طائفي»، أو أن يدا سرية للمحتل الأميركي فيها قاصدة تشويهها، وفي حين أن أحدا من الدول التي تدعم المقاومة أو «الرموز المرجعية وغير المرجعية» ما كان يرى فيها ألا شيئا طبيعيا لمواجهة الاحتلال، انفرد السيد فضل الله «مستعجلا» ـ باستثناء الرموز «المرجعية» العراقية طبعا ـ لإبداء موقفه من هذه المقاومة، بما أثار شكوكا والتباسات ونقاشات في بعض الأوساط في توقيت ما قاله إزاءها، فقد جاء في «البيان» بتاريخ ٢١ / ١ / ٢٠٠٤ ما يلي: «العلامة اللبناني فضل الله لـ (البيان): لا أؤمن بالمقاومة العراقية لأنني لا افهمها. حيا العلامة محمد حسين فضل الله المرجع الشيعي الأعلى في لبنان صمود الفلسطينيين ومقاومتهم، لكنه انتقد المقاومة العراقية قائلا إنه لا يؤمن بها لأنه لا يفهمها كما لم ينس التنديد بالاحتلال الأميركي للعراق وسياساته في الشرق الأوسط. وحول ما تشهده ساحة المقاومة الفلسطينية داخل إسرائيل ومدى انعكاسه، وكيفية ذلك على الوضع الإقليمي بصورة خاصة: قال فضل الله لـ (البيان): (لقد أصبحنا نلاحظ أن حتى الأم الفلسطينية باتت تفارق أولادها وتقوم بجهاد استشهادي، لان أمومتها امتدت إلى الشعب كله. وفي إطار رده على سؤال حول ما إذا كان بإمكان المقاومة ضد الأهداف الأميركية والمشاريع الإسرائيلية قادرة على إحباطها خاصة في ما يتعلق بالمقاومة العراقية. قال: لقد كنا، ولا نزال نقول أن طاغية العراق صدام حسين هو الوحش الذي لا وحش مثله لما نعرف من جرائمه، لأنه قتل شعبه وأربك المنطقة كلها، على رغم أننا نرى ذلك، كما أننا نرى أن الاحتلال الأميركي شر لا خير فيه، وانه اسقط النظام العراقي ليس من اجل شعب العراق، بل لمصالحه التي أرادت العراق جسرا تعبر من خلاله إلى المنطقة تتحكم بخيراتها وقدراتها. لكن المسألة هي أن ما يسمى بالمقاومة العراقية ليس واضحا ويتحدث الناس عنها بطريقة سلبية وايجابية. نحن لم نلحظ أن المقاومة في العراق تنطلق من قاعدة سياسية ترتبط بمستقبل العراق والشعب العراقي، وعندما نلاحظ الفوضى التي تتحرك فيها جماعات لا نعرف من هي تفجر المساجد هنا وهناك، وتستهدف مقر الأمم المتحدة، نجد أن العنف يمثل صوتا. وان المقاومة التي

←

هذا التصريح، ولعل من السذاجة للإنسان أن يعترف في هذا العالم المعقد بأنه يعمل ذلك، ولكن إذا ما اعترف العراقيون أنفسهم بأن شيئاً من هذا لم يحصل على الإطلاق، عندئذٍ نأخذ كلامك لا (تقية) ولكن كحقيقة تؤمن من خلالها بأن الجهاد في الإسلام هو جهاد (الكلمة) القائمة على الأمر الواقع، لا على الحقيقة ذاتها إذن، يؤكد ذلك (مشروعك) لا بالمعنى الذي تحدثنا عنه، ولكن بالمعنى العاكس (لكل ما أسست وأنجزت)، فإن ما أسست وأنجزت من خطاب نصفه حول (المرأة) ونصفه الآخر حول (إدانة الإرهاب) أو التأسيس لجهاد الكلمة فقط تحت كل الظروف والأحوال، وما شذ من تأييدك لعمل الجهاد إنما يتأسس على جهاد واقع بالفعل في لبنان، أو فلسطين، لا على جهاد ينبغي أن يخطط له، وبالتأكيد أن هنالك من أعمال الجهاد ما يتجاوز حدوده إلى (الإرهاب)، ويجب أن يدان من كل إنسان مسلم، وتفسر دوافعه والأسباب المؤدية إليه، كما ينطق بخطابك ذلك أيضاً... ومع خطورة وأهمية (الإمرأة) التي تصديت لها، وكان دورك حولها دوراً مهماً، إلا أن الإسلام ومحنته التاريخية والمعرفية والمؤامرات، التي تحاك ضده ليس (إرهاباً) و(امرأة) وتفاصيل في العمل الحركي، وفتوى حول كل طارئ وجديد، وانفتاح على الآخر إلى حد الثقة بإمكانية (أسلمة أوروبا) و(أسلمة أميركا) و(أسلمة العالم) كما تقول نصوصك التي نحتفظ بها.

سماحة السيد: علينا أن نفهم أو أن تفهمنا ما هو الإسلام أولاً؟ وهل الأمور بهذه البساطة؟ كيف نؤسلم العالم بالكلمة؟ كيف نؤسلم اليهود بالكلمة من خلال مهاجرين عراقيين دفعناهم قسراً إلى الهجرة ليواجهوا تحديات الإذابة الحتمية في المجتمعات الأوربية، ثم نقول لهم بعد ذلك، ينبغي عليكم أسلمة العالم؟ فمثل هذه المقولات لا يمكن أن تحصل لا بالإسلام الشكلي، ولا بالمضمون، لماذا لم يتأسلم المسيحيون عندنا في الشرق وهم أقرب إلينا؟ لماذا لا نحل مشكلات المسلمين أنفسهم قبل أن نطلق مثل هذه

نؤكدها ونؤمن بها هي التي تعرف وتخطط على قاعدة مصلحة الشعب كله، وهذه المقاومة (العراقية) لا نفهمها، بل نستنكر الكثير من العمليات التي تستهدف الشعب العراقي من قتل القضاة أو الشرطة العراقية، لهذا لا أؤمن بهذه المقاومة لأني لا افهمها، واعرف ان كانت جهات (طائفية) أو أخرى تخطيء الأسلوب تقف وراءها».

المقولات؟ إذا كنا حتى الآن من الأزمة كمسلمين بمكان بحيث أنك نفسك لا تستطيع أن تذهب الى جواز التعبد الى مذهب من المذاهب الاربعة مبرءً للذمة، فعن أي إسلام إذن نتحدث؟ [1] إذا كنت نفسك تقول لي في أحد اللقاءات الصاخبة بيني وبينك (إنه لا يوجد إسلام) رداً على إثارتي عن التمزق المرجعي، وعن أن كل مرجع يعمل بشكل مستقل، وعن أن الذاتية والشخصانية هي التي تحكم هذا العمل. إذا كنت أنت تقول هذا عن الواقع، فعن أية أسلمة للعالم نتحدث؟ إذن نحن في الواقع لم نحقق الإسلام الجهادي الشيعي، ولم نحقق الإسلام الشكلي الشيعي بين المراجع، ولم نحقق الإسلام الموحد بين مذاهب المسلمين، ولم نوحد الإسلام في حزب واحد فقط من أحزابنا، هو إسلام حزب الدعوة، الذي أنت قريب منه، فعن أي إسلام نتحدث؟ وكيف نؤسلم العالم بما فيهم اليهود؟

سيدي: عودة إلى أهل العراق، ماذا أخذت منهم وماذا أعطيتهم؟ أرجو أن لا تقول إنهم (أهل الشقاق والنفاق) ــ كما يقول البعض ــ وأرجو أن لا تقول (إنهم أناس يدارون برؤوس الآخرين وغير مؤهلين لإدارة قضاياهم). فأنت تنتسب إليهم على حد زعمك، وأما عن كلامي هذا إذا كان فيه قسوة، فأرجو أيضاً أن لا تقول كيف يتجرأ هذا الذي لا يملك مالاً وهو ليس بمرجع على قول هذا الكلام؟ وما دخله هو بكل ذلك؟ فأما المال فأصله راجع إلى «المرجعية» التي تصديت لها وفق ما تقدم من ظروف، وأما «المرجعية» ذاتها، فأنت القائل (أنا لا أؤمن بالمرجعية عن طريق النص، ولكن من خلال حفظ النظام العام) ــ نحن نحتفظ بهذا النص لك ــ وأما أنا فلا أكن لك إلا وداً، شأني شأن العراقيين الذين يثقون بالآخرين، ولا ينطلقون من منطلقات عنصرية، ويتعاملون مع قادتهم بالصدق والعفوية، شأني شأن أي بريء منهم أتيح لي من خلال

---

(١) بالإمكان الاطلاع على نص «اعتراضي» على هذه «المسألة الفقهية» كتبها الشيخ جواد الخالصي وبعث بها إلى السيد فضل الله، وعلى نص مقترح من قبل الشيخ لإبدال نص المسألة التي جاءت في سياق كراس صدر له، في الملاحق، ملحق رقم (٦) و(٧). ثم مراجعة كتاب «مسائل عقائدية».

احتكاكي بالقادة ودراستي بالحوزة واهتماماتي بآلام العراق وتفكيري العميق بأزماتهم، اصطدمت بالواقع شأني شأن غيري، لأني أعيش هموم وآلام وجياع وضائعين من أبناء هذا الشعب يومياً، فوجدت نفسي في ما أنا فيه، وقل عني بعد ذلك ما شئت. أنا كإنسان مسلم أمارس مسؤوليتي كما عرفتها من أجل توعية شعبي وناسي وأهلي بما يحصل، قل عني ما شئت، فأنا لا أبرئ نفسي من أي دافع قلتموه أو ستقولونه، أما لماذا أنت دون سواك الذي أعاتبه، فالأمر لم يكن كذلك، وأنت تعرف ذلك من خلال كتاباتي، التي تحولت إلى مشكلة بيني وبينك، وأعود إلى الشهيد المظلوم الصدر الثاني، الذي اقترن مصطلح (المرجعية الناطقة والمرجعية الساكتة) باسمه، لأذكرك بمحاضرات كنت قد ألقيتها أنت بعناوين إشكالية متعددة حول تقاعس المرجعية، فما الذي جرى يا ترى في آخر لقاء لك مع قناة الجزيرة في أواخر الشهر السادس من هذا العام ٢٠٠٣، حتى تقول ما مفاده (إنه لا توجد مرجعية ناطقة ومرجعية ساكتة)... ماذا حصل وأي من الكلام نأخذ؟ أم أن الظرف وحركته هي التي تتحكم بالخطاب؟ وحتى ما حصل في علاقاتك مع حزب الله وإيران، وهذا له ملف كبير، لماذا وقّت الكلام على الحزب وإيران، في مرحلة دولية أخذت منحى جديداً وخطيراً، فقد كنت ساكتاً طوال سنوات، ولم تنطق إلا بالإيجاب عن الاثنين، إلا أنه وقبل احتلال العراق من قبل أميركا واشتداد الضغط الدولي باتجاه الحزب وإيران، صدر هذا الكلام السلبي عنهما، وفُهم من الآخرين على انه إشارة تنصل تحسباً لأحداث قد تحصل.

أنا لا أريد أن أشكك مثل غيري، ولكني لا أملك الإجابة المقنعة لمن يسألني من عشرات العراقيين عن ذلك، فأنا لا أريد أن أدافع هنا عن إيران وحزب الله، فالاثنين ليسا بحاجة إلى دفاعي، ومن حقك كمرجع ورمز أن تختلف معهم وأن تتحدث ما تريد ومتى تريد، إلا أن ذلك يضعنا أمام واقع مر، نبحث له عن إجابة مقنعة وأمام إشكالية لحظة توقيت الكلام فقط، وما رسالتي هذه إلا طلباً لهذه الإجابة على ما جاء فيها، التي سأبقى أنتظرها منك، فلعلي ولعل غيري لا يعرفون الكثير مما لديك من إجابات مقنعة، أما لماذا عبر الرسالة هذه المرة، وليس اللقاءات الصاخبة المباشرة التي اعتدنا عليها أنا وإياك، فأنت سئمت من ملاحظاتي ونقاشاتي وأسئلتي وتحملتني كثيراً ـــ كما نقلت

لأحد المشايخ ــ وأنا سئمت من الحديث واستنفذت مداخله ومخارجه وصياغاته وأشيائه، وعلي إذن أن الجأ إلى طريقة الرسالة هذه كآخر طريقة؟ أحب أن أفهم من خلالها ما لم أستطع أن أفهمه طوال عشرة سنوات من اللقاءات الدورية ــ كل شهرين أو ثلاثة تقريباً ــ وأنا أعرف أن غيري قد لجأ إلى طريقة الرسائل معك، وهم كانوا من أقرب المقربين إليك، وأنا أحتفظ ببعض هذه الرسائل، وكنت أتسائل بعض الأحيان مع نفسي رغم ملاحظاتي على جدوى اللقاء معك عن السبب الذي يدفعهم إلى الرسائل بدلاً من اللقاءات الصريحة المباشرة، لا أعلم قد يكون أولئك سبقوني في التشخيص وفي طريقة الرسائل، التي ستحفظ للأجيال القادمة والتاريخ، وإنك تعلم أنني لم أكتب هذه الرسالة الآن بنية النشر ولكن طلباً للإجابة على أشياء كثيرة التبست عليّ، وإذا أريد لها أن تنشر فهي لا تنشر إلا إذا ما وجدتها أنت (كلاماً صلفاً) لا يحتاج إلى جواب، وألا لو كانت كتابتها من حيث المبدأ بنية النشر، فإن كل حديث دار بيني وبينك فيه خفايا وأسرار عن المؤسسات والأموال والسياسة وأشياء أخرى.

أخيراً: لا أريد أن أطيل عليك أكثر من ذلك، ولكن فقط أكرر إلحاحي على الإجابة على هذه الإثارات، لاسيما حول موضوع الشهيد الصدر الثاني، وإذا كان من الصعب عليك أن تشرح لي (مشروعك) غير الذي فهمته أنا، ومن أن توضح لي أكثر، ماذا أعطيت للعراقيين، وماذا أخذت منهم؟ ــ والذي أخذته منهم كثير ــ وإذا كان من الصعب عليك أيضاً أن توضح لنا الجدوى من كثرة كتبك الخطابية الوعظية ــ التكرارية التي ملأت الأسواق، عليك أن تدلنا على غير الإذاعة اللاسياسية و(البينات) و(النشاطات) و(فكر وثقافة)، التي لا تهتم ولا تنشر إلا ما تقوله أنت، ثم تُحول إلى مجلدات لطيفة المنظر، هذا ما عدا الصور الملونة وغير الملونة، التي تملأ صفحاتها، إذ كم يؤلمني أن أسمع من الآخرين من أنصارك سابقاً حول ظاهرتك هذه، بأنها تحولت إلى ظاهرة شيرازية، وما الفرق إذن بينك وبين السيد محمد تقي المدرسي، الذي قلت له أنا في يوم ما: (إن صحيفتكم تصدر لمدة عشرين سنة، وفي كل عدد هنالك ما لا يقل عن صفحة أو صفحتين لك، وصورة أو أكثر لشخصك فلم يجبني بشيء)، فإذا كان السيد تقي المدرسي ينشر صورة أو صورتين، فإنه على الأقل ينشر بعض الأخبار والمقالات الأخرى في صحيفته، أما (النشاطات) أو (البينات) أو (فكر

وثقافة)، فأنظرها أنت مرة واحدة، ولاحظ كم صورة لك في العدد الواحد، إنني أرى أن هذا الإسلام قتل بالشخصانية على يد من يمثلونه أكثر مما قتلته أميركا أو الإلحاد أو اليهود، فأيّ إسلام يا سيدي وضعتم الأمة البريئة فيه... هذه الأمة التي تقبل أياديكم، والتي أمرها الشهيد الصدر الثاني بأن لا تعمل ذلك لأنه يساهم في صناعة (ألوهية) البشر بدل (عبوديته) لله الواحد القهار. مرة أخرى أقول:

إذا لم تستطع أن تشرح كل ذلك فإن أموراً كالفاتيكان، والإذاعة الدينية اللاسياسية، وفلسفة الجهاد عبر (الكلمة فقط)، وأسلمة (العالم) عبر هذه الكلمة، وإصرارك على رفض أطروحة (صراع الحضارات)، وإبدالها بـ (صراع المصالح)، ومعادلة (الابن والأب)، التي سرت عليها قبل وبعد تصديك للمرجعية، حيث كنت قبلها ابناً باراً لإيران الثورة يحسبك الجميع مجساً لها، وحيث أصبحت أباً لجميع الحركات والأحزاب، التي ألقت آلامها وأحزانها وأسرارها إليك، حاسبة انك ستكون مجساً لطموحها الثوري، وحيث تؤكد أنت هذه الأبوة ـ عبر تصريحاتك ـ حتى إذا استقرت إليك، وجدتك زاهداً فيها، أقول كل ذلك، وأمور أخرى غيرها، إذا لم تجب عليها بنفسك وتوضح إشكالياتها لمن يطلب التوضيح، ستأخذ طريقها أن عاجلاً أم آجلاً للطرح العلني لا من قبلي، ولكن من قبل من يريد أن يكتب عنك وهو غير منحاز، فالذي يريد أن يكتب بضمير ستشكل تلك الأمور أمامه منظومة مخيفة في الدلالات، وقد يظلمك وهو لا يعلم ما (تملك) من (أسباب وأعذار وآراء وتفسيرات) تفكك هذه المنظومة بشكل سليم.

وأخيراً إلى الله نشكوا أمرنا، وإليه نتوجه في دعائنا، أن ينقذنا من هذا الغرق الذي وقعت الأمة فيه، لتعرف نور الإسلام وعظمة الإسلام، واليه ندعو لا ندعو غيره، أن يوفقنا وألا يجعل في قلوبنا غلاً على أحد من المؤمنين، وأن يهديك ويهدينا إلى الصراط المستقيم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عادل رؤوف

١٣ / ٧ / ٢٠٠٣».

بطبيعة الحال لم أستلم أي رد من السيد محمد حسين فضل الله على هذه الرسالة، كما كنت أتوقع ذلك، لأسباب أصبحت واضحة لدى النخب السياسية والفكرية في ظل الالتباسات والشكوك، التي أثارها تصديه لـ «المرجعية»، فهذه «المرجعية» تحولت إلى حلقة على علاقة بحلقات إدارة «المرجعية» النجفية وأحزابها، لاسيما حزب الدعوة الإسلامية، الذي أخذ فضل الله يتحكم به «مالياً وسياسياً»، والأمر الذي أصبح في ظله بعض القادة السياسيين «العلمانيين الشيعة» يوجهون خطاباتهم المرتبطة بحزب الدعوة ودوره في الملف السياسي العراقي آنذاك، إلى السيد فضل الله، بدلا من قادة حزب الدعوة أنفسهم، بعدما التقطوا تلك الخيوط الرابطة بين حلقات «المرجعية» النجفية، وندرج على سبيل المثال رسالة أرسلها الدكتور احمد الچلبي إلى فضل الله حول حزب الدعوة بدلاً من أن يوجهها لقادة هذا الحزب، وجاءت الرسالة كالتالي:

رسالة "چلبية" إلى فضل الله

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أقدم إلى سماحتكم وافر التقدير والاحترام داعياً إلى الله تعالى أن يحفظكم ويرفع شأنكم نبراساً للمسلمين.

أما بعدما طفح الكيل ووصل الظلم على شعبنا في العراق إلى مستويات لم تكن تخطر بخاطر أي عراقي، وأوغل صدام رماحه في صدور العراقيين الذين ضاقت رحاب الدنيا بهم لاجئين ومهجرين وهاربين من طغيان صدام وارتفعت صرخات من بقي منهم في أرض الوطن وخيم على رؤوسهم غيم أسود من الشر الذي هو صدام بعينه، بعد أن انكفأت القوى الدولية عنا واضطررنا إلى مقارعتها على أرضها ونجحنا في عرض قضيتنا عليهم بشكل ناجح وفعال، وحققنا إنجازات فريدة من نوعها في

مجال السياسة اتجاه العراق، نجد أنفسنا ومعنا الآلاف ممن انخرطوا في طريق النضال هذا بأمس الحاجة إلى التأييد والدعم من سماحتكم.

إن الإنجازات التي حققناها على أرض الوطن هي إنجازات مميزة قارعت الباطل وانتصرت للحق وركزت على رفع الحيف والتهميش عن أبناء شعبنا وبالأخص الشيعة في العراق. لقد كانت قضية الاستبعاد السياسي والتمييز (الطائفي) بحق الشيعة ماثلاً نصب أعيننا طوال رحلة عملنا الطويلة، وقد استطعنا أن نفتح باباً كبيراً في الولايات المتحدة لعملنا بمساهمتها بسن (قانون تحرير العراق) الذي أعلن رئيس الجمهورية الأميركي بالتزامه به وتنفيذه. إن هذا القانون يمكن إذا طبق بالطريقة الصحيحة أن يوفر لشيعة العراق في الجنوب تكوين قوة مسلحة مدعومة من الولايات المتحدة تتولى تحرير العراق، أقول هذا وأنا أعلم أن الشكوك العميقة لاتزال تستحوذ على مشاعرنا جميعاً اتجاه الولايات المتحدة ولكني أدعي كذلك أن قانون تحرير العراق يوفر فرصة أمام الشيعة في العراق لاحتلال مكانهم الطبيعي أسوة بالطوائف الأخرى في العراق لم يسبق لها مثيل منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.

لقد أبقينا المؤتمر الوطني العراقي وجوداً سياسياً بعد أن تخلى عنا الجميع وفلحنا بعون الله أن نعود ونجلب الجميع للدخول في مظلته والإعلان عن ذلك نتيجة الاجتماع الذي عقد في لندن في ٧ و٨ نيسان الحالي والذي كان توفيقاً من الله، إذ أعيد الاعتراف بالمؤتمر ممثلاً أساسياً للمعارضة العراقية وطالما انتقد المؤتمر من أنه كان يعتبر منبراً للشيعة، وحورب بضراوة من قبل الآخرين بحجة أنه صنيعة أميركية ويدين بالولاء لأميركا، والحقيقة هي مغايرة لذلك تماماً، ومخالفة لما يدعون، إذ أن جهاز المخابرات الأميركية (C I A) لم يترك ميداناً إلا وحاربنا فيه وحاول القضاء علينا ولم ينقذنا إلا نقلنا للمعركة إلى داخل الولايات المتحدة واتصالنا بالمشرعين وشرح الحقيقة لهم وعملنا المتواصل والمضني الذي أثمر في النهاية بقانون تحرير العراق. كلفت أخي النشيط والمتفاني في خدمة قضية طائفته، مشعل الصراف شرح تفاصيل وخبايا الأمور لسماحتكم وهي كثيرة، لقد اطلع مشعل عليها في الأسابيع الأخيرة خلال معايشته لي مختلف ساعات الليل والنهار في الولايات المتحدة وأوروبا.

أدعو الله تعالى أن ينصرنا عندما تتوفقون سماحتكم إلى فهم هذه الأمور على طبيعتها لأني أعلم أنكم إذا فهمتم واقتنعتم بشيء فإنكم ماضون فيه لا تثنيكم لائمة لائم حتى إنجازه لمصلحة المسلمين والشيعة. وفي الختام أعرب لسماحتكم مرة أخرى عن كامل احترامي وتقديري لشخصكم ولمواقفكم النبيلة.

المخلص أحمد الچلبي

١٠ نيسان ١٩٩٩»[١]

لا يحتاج نص هذه الرسالة إلى الكثير من التعليقات والشروحات، فهي بطبيعتها تثير كثيراً من التساؤلات، إذ ما الذي يدعو الدكتور احمد الچلبي أن يخاطب فضل الله حول أمور تفصيلية سياسية تخص القضية العراقية؟ وما هي طبيعة الدعم الذي ينتظره الچلبي من فضل الله كي يقدمه لهذه القضية؟ وما هي يا ترى المعلومات التفصيلية، التي عايشها «مشعل الصراف» ونقلها إليه بأسرارها؟ ومن أين جاء الچلبي بقناعاته المطلقة حول إرادة فضل الله «الحديدية»، واتخاذه القرارات المصيرية الحازمة فيما لو «اقتنع» الأخير بمضمون رسالة الچلبي؟ وهل جاءت الرسالة مقطوعة الجذور عن أية علاقة للجلبي بفضل الله؟ وهل أن مشعل الصراف هو الرابط الوحيد «الأمين» بين الچلبي وفضل الله؟.. وهناك تساؤلات كثيرة لا نريد أن نسهب بها ونثقل على القارئ... فالقصة واضحة في ترابط حلقاتها بين «المرجعية» و«الحزبية»، «مرجعية» فضل الله وحزب الدعوة الاسلامية، وواضحة في سلطة الأولى على الثانية، وواضحة أيضاً في ارتكازها على الأميركي، الذي يمثله الچلبي، وواضحة أخيراً في إدارة «المرجعية» النجفية وأحزابها، بما يكرس فرض «مرجعية قائد بلا لسان» في الساحة «الشيعية» العراقية، فإذا ما عدنا إلى دور فضل الله في ترشيح «مرجعية» السيستاني، ومن ثم تصديه بعد أشهر لهذه «المرجعية» وربطنا الحلقات بعضها ببعض، سينكشف الأمر أمام القارئ بشكل واضح ويسير، وسوف لا يكون

(١) انظر صورة الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٨).

صعبا على هذا القارئ في ما بعد أن يفهم مرحلة ما بعد احتلال العراق، ودور «المرجعية» النجفية إزاء هذا الاحتلال، فمع أن حزب الدعوة، الذي انخرط مع الاميركان بناء على مرحلة زعامة فضل الله «المرجعية» له سابقا، بعلاقتها الچلبية الأميركية، فانه انتقل نقلة جديدة في ولاءاته «المرجعية» نحو «مرجعية» السيستاني الاميركية الترشيح، وسارت عجلة احتلال العراق سريعة بأقطاب الساسة العراقيين، وعلى رأسهم زعماء حزب الدعوة، الذين لايزال فضل الله يدافع عنهم في جلساته الخاصة، لاسيما عن الدكتور الجعفري، الذي كان الوكيل المطلق لفضل الله في لندن ودول أوروبا الأخرى.

مرّ علينا، مثالان وثلاثة رسائل، وتأكيداً على إيضاح الواقع أكثر، والتباسات هذه الأزمة، من خارج العراق يمكن الإشارة هنا إلى مثال رابع، لا يقل أهمية عن الأمثلة الثلاثة، وهو مثال الإسلاميين الجزيريين «الشيعة» الذين انفصلوا عن قيادتهم الإسلامية المركزية حيث أنهم قبل وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، كانوا ينضوون تحت زعامة «الظاهرة الشيرازية» ورمزها الذي توفي محمد الشيرازي، إلا أن مرارة التجربة، التي عاشوها وضعتهم في موقع الانفصال عن المكان، ذلك أنَّ القرارات كانت تسقط عليهم من رؤوس الظاهرة كأوامر دينية في إعطاء رصيدهم البشري والمادي وكل إمكاناتهم إلى أماكن أخرى غير مكانهم وبلدهم وحاضنتهم الاجتماعية، مما كرّس لديهم حالة من الاغتراب عن هذه الحاضنة، وكرّس شعوراً بالحاجة إلى إعادة النظر في المباني الدينية، التي دفعتهم منذ البدء في الانضواء تحت الظاهرة الشيرازية، إذ إن «عالمية الإسلام» كمبنى كانوا قد دخلوا بابه من الخلف، في حين أن هذه العالمية تلازم المكان وتبدأ منه، في ظل أي ظرف من الظروف، حتى ظروف الهجرة التي هي محطات استثنائية ينبغي أن تتحول إلى مصادر استقواء من أجل العودة إلى المكان، وتأسيسه إسلامياً، والانطلاق منه نحو مفهوم العالمية. وإذا كان الخط الجزيري قد راجع فعلاً هذه المباني الدينية واتخذ قراره بالانفصال عن الظاهرة الشيرازية، بزعامة الشيخ حسن الصفار ولأسباب المكان ذاتها، تلك التي فهمتها من الصفار مباشرة من خلال لقاء خاص به قبل سنوات، فإنه ــ أي هذا الخط

ـ لم يثر إشكالية اللغة، أو الفقيه الذي ينطق العربية في وسط عربي، لأن الشيرازي كان يتحدث العربية إلا أن إشكالية القائد ـ المكان، ستقوده بالنهاية إلى نتيجة منطقية وفق شعوره الآنف: مفادها أن القائد ينبغي أن يكون ابناً لهذا المكان ومتحدثاً بلغته كتحصيل حاصل، وربما أن الوعي «الشيعي» الموروث في المسألة القيادية جعلته يبقي على العلاقة مع محمد الشيرازي في حدود «التقليد الفقهي الشرعي».

... وهذا الوعي هو ذاته الذي دفعه إلى أن يعلن عن التحوّل إلى السيستاني بعد وفاة الشيرازي. إلا أن ذلك كله لا يحول دون بروز وعي مخبوء بضرورة مراجعة هذا الدين الموروث في المسألة القيادية بشكل غير مباشر، فالصفار سيجد نفسه مدفوعاً عبر حوار تلفزيوني للتعبير عن هذا الوعي المخبوء بشكل غير مباشر، ولو كان مدافعاً عن التقليد «الذي لا يخل بالولاء للمواطنة» يقول الصفار «مثلاً نحن الشيعة في المملكة العربية السعودية كانت مرجعيتنا الدينية في المملكة، لم نكن نقلّد المراجع خارج المملكة، إلا خلال الثلاث عقود أو الأربع عقود الأخيرة.. كان في القطيف عندنا مراجع دين، وكان هناك في العراق وفي إيران من يقلد مراجع الدين الشيعة في الإحساء والقطيف وفي البحرين أيضاً، كان لدينا مراجع دين يقلدونهم، ولا يزال إلى الآن أغلب شيعة البحرين مستمرين على تقليد علمائهم من أهل البحرين»[1].

فحتى مع شرط اللغة، هنالك شروط اخرى ترتبط بالميدان والمكان، ناقشناها في كتابنا «عراق بلا قيادة»، فالأمر لا يرتبط بعنصرية «عربية» إزاء الفرس والأتراك والآخرين، ولا عنصرية فارسية إزاء هؤلاء في هذه المسألة، فهي مسألة تندرج في إطار طبيعة الوعي وإعادة قراءة القواعد الفكرية والثقافية والفقهية والتربوية، والمعادلة المقلوبة مائة بالمائة في هذا العراق. حيث تسقط اللغة وثقافتها عن القائد الأعلى «المرجع الأعلى»، وكأن المسألة طبيعية وترتكز إلى ثقافة إسلامية عنوانها أولاً «إن

(١) طبع هذا الحوار على شكل كراس تحت عنوان التنافر المذهبي، حوار تلفزيوني مع سماحة الشيخ حسن الصفار أجراه المرحوم ماهر عبد الله على قناة الجزيرة وأعاد طبعه، دار العارف للمطبوعات في بيروت. بتصرف.

أكرمكم عند الله أتقاكم»! وعنوانها ثانياً «الأعلمية»! وعنوانها الثالث «الحفاظ على وحدة المسلمين»! وعنوانها الرابع «قدسية المرجعية» وتعاليها الذي قد لا يليق بالقائد أن يتحدث إلى الجمهور مباشرةً! وعنوانها الخامس عالمية الإسلام!!! والواضح أن هذه العناوين كلها تختصر بعنوانين «الأعلمية والعالمية»، ولا علاقة لها إطلاقاً بالمسألة القيادية «الدينية» وشروطها، التي وضعها الإسلام، ونعني بـ «الأعلمية» هنا، «الأعلمية الفقهية» التي نشطت ــ لاسيما في القرن الأخير ــ كمبحث فقهي عند «الشيعة الإمامية»، وإذا كان هذا المبحث شكّل عنواناً استهلاكياً خلافياً في ضوابطه بين الفقهاء، فإنه في الجانب النظري تراكم «معرفياً» بشكل ممل في نتاجات كل فقيه، وفي الجانب العملي فإنه تحوّل لعنوان صراعي مرير في المسألة القيادية الدينية، وقد وقفنا عليه بالتفصيل في كتابنا «صناعة العقول، بين التقليد الفقهي وثقافة التقليد»، في بعده الخلافي المعرفي المحدود وفي بُعده التأسيسي الفقهي، العكسي الذي تقع معالجته خارج إطار بحثنا هذا. فالإسهاب في هذا البُعد سيخرج البحث عن وحدته ومجاله الذي يتحرك فيه. وبعيداً عن الخوض في «الأعلمية» ببعدها الخلافي بين «الفقهاء» لاسيما في علم «أصول الفقه»، أو البحث في العالمية.. عالمية الإسلام كمبررات لتمرير زعيم ديني لا يتحدث إلى الناس بلغة قومهم، ويتحدث إليهم بالواسطة، نعود إلى الشهيد الصدر الثاني الذي يعود إليه الفضل الكبير في إثارة هذه الأزمة ــ أزمة اللسان واللغة ــ في العراق في المسألة القيادية الدينية، وأثرها في تحطيم مضامين الدين. يقول الشهيد محمد محمد صادق الصدر في إطار تعطيل صلاة الجمعة، ما يلي: «أما لماذا العلماء لم يقيموا صلاة الجمعة؟ فهذا ناشئ من الغفلة في تاريخ الإسلام والتشيع.

أولاً: إننا لا نستطيع أن نقول إنهم لم يقيموها أصلاً وبتاتاً.

ثانياً: فإن قلنا إنها لم تكن مقامة من قبل علمائنا، فإننا يمكن أن نحملهم على محمل الصحة لأنها واجب تخييري، فيقيمون صلاة الظهر كون صلاة الجمعة تتطلب تحضيراً. (ويصلون الظهر ويديرون ظهورهم).

ثالثاً: لا يقيمونها حتى لا تحصل مفسدة!! وهي أن أحد العلماء إذا أقامها ولا يقيمها علماء آخرون أو لا يحضروا فيها فإن هذا خلاف بين العلماء!! علماً أن هذا الخلاف

موجود بين العلماء منذ الأزل!!

رابعاً: إن صلاة الجمعة والعيدين فيهما خطبة ـــ وهذا ما لا يطيقه العلماء في الحوزة، وليس عادة لديهم، أي غير معتادين على ذلك، وقليل من يستطيع أن يخطب أو يعطي الخطبة حقها، ومن تعوّد منهم على الخطبة فإنه تعوّد الخطابة الحسينية وهذا لا يعوّل عليه في إلقاء خطبة الجمعة التي يجب أن تكون موجهة إلى الشارع والعامة، في حين أن الخطابة الحسينية أو (الروزخون) لا يمتلك ذلك ـــ نعم جازاهم الله خير جزاء المحسنين ـــ ولكن هذا اتجاه وذلك اتجاه.

خامساً: اختلاف مستوى المجتهد أو المرجع عن مستوى الناس فهو لا يجد سبيلاً لإفهامهم، فهو معتاد على لغة المكاسب والفقه، فلا يستطيع أن يتنازل ليتكلم بلغة الشارع مع الناس، إذا افترضنا أن هؤلاء قد قبلوا بالنزول إلى العامة و(الناس).. وإنه لمن العرف والمشهور هو أن الذي يقيم صلاة الركعتين (الجمعة) يجب أن يقوم للناس خطيباً، فهذا غير جائز لأن نص هذا القائم للخطبة غير مفهوم للناس بمعنى من المعاني.

سادساً: أنها ـــ أي صلاة الجمعة ـــ خلاف السياسة المرجعية، وجيلاً بعد جيل ومنذ حوالي ثلاثمائة سنة تقريباً أو أكثر من ذلك. لأننا قد اعتدنا من تلك السياسة أن نحافظ على أربعة أشياء تقليدية لا غير: ١ ـــ الصلاة، ٢ ـــ الاستخارة، ٣ ـــ الفتوى، ٤ ـــ الدرس، وخلاف ذلك (دير ظهرك وروح).

هذه الطريقة القديمة والتي سبحانه وتعالى أنقذني منها وأنقذكم منها، بحيث أنه لم يلبس كفن ويتقلد سيفه (ويتبهذل هاي البهذلة لا يابه!! ـــ يحچي يتكلم ـــ بلغة الجرائد ولغة الشارع). لا، أجلس بحوشك وصير سكوتي كالصنم.. هكذا سياسة المرجعية، طيب احنا أحسن لو رسول الله (ص)، على كل حال غفر الله لنا ولهم»[1].

---

(١) محمد محمد صادق الصدر، خطبة صلاة الجمعة رقم (٣)، ثم انظر عادل رؤوف، (محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغييري ووقائع الاغتيال)، ص ١٥٤ ـــ ١٥٥، مصدر سابق.

لاحظ الشهيد الصدر الثاني، كيف يثير هذه الأزمة الخطيرة ــ أزمة اللسان واللغة والسياق اللغوي ــ من خلال نصه المتقدم، فهي أزمة بنظره ستقود إلى «الصنمية» ــ وهذا ما سنتطرّق إليه لاحقاً من خلال مقولة القيادة الناطقة والقيادة الساكتة ــ إذ عدم إتقان اللغة سيمثّل هنا عاملاً مركزياً من منظومة العوامل، التي تنعكس على خلق دين آخر ما فوق وغير دين الناس، هو «دين العادة» و«دين العُرف»، وليس دين الله والقرآن الكريم، إذ لم تأت كلمة عادة اعتباطاً في كلام الصدر الثاني المتقدم ــ «وهذا ما لا يطيقه العلماء في الحوزة وليس عادة لديهم، أي غير معتادين على ذلك» ــ ومن خلال سياق النص الكلي يتضح من كلامه أن هذا الاعتياد، الذي يمتد إلى الوراء ــ ثلاثمائة سنة لم يأت دون قصد ــ... وإنما هو أثر مقصود أسس له فقهياً ومعرفياً بحيث أصبح «عرفاً» وعادة ليس لدى الفقهاء في واقع الأمر، إنما لدى الناس ــ الضحايا ــ الذين لم يألفوا في حياتهم هذا النمط العبادي الديني الواجب، ولم تسعفهم ثقافتهم الدينية بالوقوف على خلفيات وصيرورة هذه «العادة» فقهياً ومعرفياً، فأصبح الأمر لدى الجزء الأكبر منهم طبيعياً يرتكز إلى تعدد القناعات الفقهية. ولم يدرك هذا البعض من الناس، أو أنه قد يُصدم في حال سماعه أن عدم إتقان الفقيه للعربية يمثل عاملاً مركزياً في تعطيله إلى تشريع من أكبر وأخطر التشريعات الدينية الواجبة، وهي صلاة الجمعة، إذ على الفور ــ حتى لو فكر الناس بذلك ــ سترتفع أصوات الحواشي وناقصي الوعي ضد هذا التفكير بشأن اللغة، من خلال القول: إن الفقيه لا يمكن أن يكون فقيهاً، ما لم يدرس العربية ويتمكن منها!! وكم كان الشهيد الصدر الثاني ذكياً ودقيقاً عندما جاء في سياق كلامه الآنف كلمة «النص» الخطابي، وإلقاء النص، وليس فهم النص والمفردة فقط، إذ إن فهم النص العربي شيء، وإلقاء النص شيء آخر من قبل الشخص نفسه، كما أن فهم المفردة والنطق بها شيء، وفهم النص والنطق به شيء آخر، فهو يقول ــ كما تقدم ــ «وإنه لمن العرف والمشهور هو أن الذي يقيم صلاة الركعتين (الجمعة) يجب أن يقوم للناس خطيباً، فهذا غير جائز لأن نص هذا القائم للخطبة غير مفهوم للناس بمعنى من المعاني».. إنه نص غير مفهوم لسببين في آن معاً، السبب الأول هو كون قائل النص لا يمكنه إلا إنتاج نص غير

مفهوم من قبل الناس، لأنه غير متمكن من ثقافة اللغة ومن إنتاجها، أو لأنه اعتاد «لغة المكاسب والفقه» وليس لغة «الجرائد» وهذا هو السبب الثاني الذي يرتبط بالمعرفة، إذ إن «قليل من يستطيع أن يخطب أو يعطي الخطبة حقها»، وهو ـ أي الفقيه ـ في كثير من الأحيان «لا يجد سبيلاً لإفهامهم فهو معتاد على لغة المكاسب والفقه»، وواقع الحال أن سبب اللغة لا يمكن فصله عن سبب المنتج الفقهي ـ المعرفي، ويتناول أحد «المراجع» وقد تصدى لـ «المرجعية» في مرحلة كان بحاجة فيها إلى التمايز عن غيره من خلال الإشارة إلى دور اللغة لا كمفردة من حيث الفهم والاستيعاب، وإنما كمستوى إنتاجي للخطاب بسهولة ومرونة وعدم تكلّف ودون لكنة إذ قد «يكون المرجع مرجعاً في معنى بمعنى أنه مفت باستنباط الرأي الفقهي من دليله، فهذا المعنى يحتاج إلى الثقافة الفقهية.. أي أن تكون له ثقافة معرفة أدلة الأحكام بكل مقدماتها وطريقة الاستنباط مع ذوق فقهي يستطيع من خلاله أن يفهم النصوص الدينية من الكتاب والسنة بالطريقة، التي يفهم بها أهل اللغة هذه النصوص، الأمر الذي يفرض أن تكون له ثقافة أدبية بالإضافة إلى الثقافة اللغوية ولأن الجانب الفني في فهم النصوص يختلف عن الجانب اللغوي في فهم المفردات»[١].

ويضيف قائلاً: «فلا بد في مرجع الفتيا من أن يكون له ثقافة الإسلام أي ثقافة المعرفة الإسلامية سواء من حيث فهم اللغة أو فهم الأساليب الفنية للغة»[٢]. هذا في ما يرتبط بـ «المرجعية التقليدية» أما بصدد «المرجعية القيادية» والشروط الميدانية فيها، فهو يقول: «لذلك نقول أن المرجع الذي يمكن أن يكون مرجعاً في الفتيا ومرجعاً في التقليد ولا بد له أن يجمع الثقافة الإسلامية الواسعة بكل مفرداتها، التي تمكنه من الاجتهاد، لابد أن يملك إلى جانب هذه الثقافة الإسلامية، ثقافة ميدانية سياسية

---

(١) (حوار مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله في فقه الحياة)، ص٣٠، أجراه احمد احمد وعادل القاضي، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) المصدر نفسه.

واجتماعية تلاحق الواقع في كل مفرداته بطريقة الإمكانات الذاتية، وكما تلاحقه بطريقة الإمكانات، التي يستعين للحصول عليها على رأي أهل الخبرة»[1]. ولا نريد بالتأكيد هنا أن نقارن بين مستوى الوضوح في النصين، نص الشهيد الصدر الثاني، ونص فضل الله في إثارة هذه الأزمة، فنص محمد محمد صادق الصدر، يفيض بمعاني الوضوح والمعاناة والنقد بما يرشحه ليكون نصاً تأسيسياً في معالجة هذه الأزمة، ونصاً غير مسبوق في إثارتها بالمستوى المطروح، فيما أن النص الثاني نص معرفي تعوزه الإثارة النابعة من ألم الواقع ومراراته، فيما هو في لبنان وفيما هو في العراق، فلبنان كان ساحة مفتوحة لفضل الله لكي يتصدى لـ «المرجعية» فيها رغم أنه رمى بمسؤولية هذا التصدي على النجف «الساحة الأصل» و«المتعالية المكان» و«ذات الخصوصية التاريخية» قبل أشهر من تصديه هو، عندما كان النزاع يدور بين الخامنائي والسيستاني في حينه لملء فراغ الخوئي[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢) من الواضح أن تصدي السيد محمد حسين فضل الله، أثار الكثير من الملابسات والشكوك حسب ما مر معنا، وكانت الشكوك نابعة من توقيت تصديه لـ «المرجعية»، حيث وقت هذا التصدي في لحظة فراغ الساحة «الشيعية» إلى «المرجع الأعلى» بعد وفاة الخوئي والاراكي. ولقد طرح الإيرانيون في حينها اسم السيد علي الخامنائي لـ «المرجعية» في العالم العربي والإسلامي وليس لإيران... وبدا آنذاك أن صراعا محتدما بين الإرادة الإيرانية والإرادة الدولية لاسيما الأميركية منها، يدور حول موقع «المرجع الأعلى» لـ «الطائفة الشيعية»، وانتصرت في هذا الصراع الإرادة الدولية من خلال فرضها لـ «مرجعية» السيستاني في النجف الاشرف، الذي كان فضل الله أحد أدوات هذا الانتصار كما مر معنا، والذي قابله الإيرانيون في حينه بقائمة تضم أكثر من ١٥٠ شخصية عمائمية و«مرجعية» نشرتها الصحف العربية آنذاك تقول «إن السيستاني لم يكن أصلا من المجتهدين، حتى يكون مرجعا أعلى للطائفة»، وبقي رد الفعل الإيراني قائما على ترشيح السيستاني ومشككا بدور فضل الله في ذلك الترشيح، حتى تصدى هذا الأخير لـ «المرجعية» في لبنان، الأمر الذي كرس من الشكوك حول دوره في هذه «المسرحية». والأمر الذي فرض السيستاني في نهاية المطاف على الإيرانيين، الذين بدلا من أن يواصلوا مواجهتهم له ابتكروا أساليبا للتعايش والتنسيق معه، وفتح المجال لنشاطه حتى داخل إيران عبر نشاط ذراع السيستاني المركزي وصانع «مرجعيته» الأساسي، جواد الشهرستاني.

فيما لم تكن لبنان ساحة مفتوحة فقط أمام فضل الله وفارغة من «المرجعية»، وإنما هي لم تعانِ واقع «المرجع» الذي يجسّد أزمة اللغة والميدان، ففضل الله عربي في ساحة عربية، أما العراق فإنه كان ولا يزال يرزح تحت ثقل هذه الأزمة الغريبة، والظاهرة الغريبة، التي لم يشهدها أي بلد «شيعي» أو تجمّع «شيعي» في العالم لا بل لم يشهدها أي بلد في عالم اليوم، ومسار التاريخ البشري كله، فكيف إذا ما كان هذا البلد هو العراق بخصوصياته الإسلامية المعروفة، إذن شتان ما بين قيمة النصين بلحاظ التأسيس المعرفي. شتان ما بين نص ناقد يعتصر ألم الواقع ويحتاج إلى شجاعة استثنائية في ساحة استثنائية وهو نص الشهيد محمد محمد صادق الصدر، ونص معرفي فاقد لأية إثارة أخرى، ويأتي في إطار التمايز المرحلي، الذي قد يسوغ بشكل خفي أسباب التصدي لـــ «المرجعية» في زمن التباسي، وهو نص فضل الله، ومع ذلك يبقى لهذا النص حاجته في السياق البحثي هنا، تلك الحاجة التي دعتنا إلى استدعائه.

على أية حال: إن الشهيد الصدر الثاني، الذي عبر عن هذه الأزمة بمفردة «النص» لم يذكر في كلامه الآنف الذكر كلمة لغة أو لسان، إلا أنه عبّر عن المضمون بأكثر ما يكون التعبير بمفردة «النص» فاعتبر:

أولاً: إن المنتج المعرفي الفقهي التقليدي هو بُعد أزموي في هذا الجانب أكثر من بعد «اللغة» ذاته، ومعرفته والإحاطة به، فهذا المنتج ــ الذي أصبح أسيراً لما يُسمى علم أصول الفقه ــ شوه اللغة العربية ذاتها، وأنتج لغة أخرى غيرها تماماً، لغة رموزية، سيكون تعلم أية لغة أخرى غيرها أيسر وأسهل وأبسط من هذهِ اللغة المنتجة «لغة الفقه والمكاسب والأصول»، فهي لغة خاصة ما فوق لغات البشر أجمع، وما فوق لغات العلوم أجمع!!!

ثانياً: كما أن الشهيد الصدر الثاني وضع إصبعه بشكل غير مباشر على مستويات استيعاب اللغة وإنتاجها العلمي، إذ من الواضح علمياً أن مَنْ يريد أن يتعلم لغة ما، فإن هذا التعلم سيمر بالضرورة عبر مستويات، مستوى الحفظ، ومستوى الفهم ومستوى التحدث والنطق، والمستوى الأخير، هو الآخر يعبّر عنه بمستويات، فهنالك من يتحدث

مفردة بلكنة، أو جملة بلكنة، وهنالك من يستوعب اللغة استيعاباً كاملاً من ناحية الفهم، ومن ناحية التجربة، أو الاختلاط بالقوم أصحاب اللغة لكي يكون صاحب ممارسة، ولعمر المتعلم دور في ذلك، فالصغير الذي ينشأ في بيئة تتحدث لغة ما، يكون أكثر قدرة على تعلم هذه اللغة والنطق بها، من الدارس الحوزوي الكبير، الذي قد يدرس قواعد هذه اللغة ومعانيها نظرياً ويفهمها، ولكنه ليس بالضرورة أن يتحدثها بسهولة ما لم يمارس الحديث بها.

ثالثاً: ومن هنا يتضح أن إنتاج الخطاب أو النص بشكل كامل، لا يكون ميسراً لمن تعلم علوم اللغة فقط، أو فهم مفرداتها، أو صاغ جملة من جملها بلكنة أو بغير لكنة، إنما هو يتطلب الاندكاك بالممارسة لا الانغلاق في «المؤسسة»، إذن من لم يستوف شروط تعلم اللغة نظرياً وعملياً، سينتج لغة معقدة الفهم، وسينتج نصاً مكتوباً معقداً، ولا يستطيع أن ينتج نصاً خطابياً سلساً ومفهوماً، فكيف إذا ما تحوّل هذا النص المعقد إلى مادة تدرس، ويصبح «علماً من علوم الدين...»؟!!

رابعاً: وليس فقط مادة تدرس أو «علم من علوم الدين».. إنما ستتحول إلى أصل في دراسة كل «مواد التدريس الدينية في الحوزات»، أصل يحتاج معرفياً إلى تحريف الكثير من المفاهيم الإسلامية الأخرى، لتبرير انغلاق الفقيه وابتعاده عن الناس، وانغلاق «المؤسسة» وابتعادها عن الناس، وثم الوصول، وصول الناس إما إلى بديل عن الدين لممارسة مسؤولياتهم في الحياة، وإما إلى الدين الموروث، أو ما يسميه الدكتور علي شريعتي «الدين التخديري» أو الدين الاستحماري، فكما جال الشهيد علي شريعتي في تلك المفاهيم باحثاً ومنقباً في الدين الحقيقي من أجل إنقاذ الناس، انطلاقاً من واقعه الذي لا تشكل اللغة عقدة لديه في موطنه، جال الشهيد الصدر الثاني في الهدف الانقاذي ذاته للناس، لكنه من خلال محور القائد ــ الناس، وإشكالية اللغة والمعرفة في الخطاب الديني الغائب عنهم بشكل أكبر، ولاسيما بلحاظ كون العراق حاضنة لمراقد مقدسة عديدة. حيث تضاف إلى مفارقة الأقوام، مفارقة «علاقة القائد ــ بالمكان» وتكريس هذا القائد للمعرفة «الطائفية والفقه الطائفي والدور الطائفي» المطلوب من المحتل.

إن شعب العراق قد شاهد الخوئي على شاشة التلفزيون، وهو يتحدث العربية بصعوبة، وهو عاش ويعيش بعد الاحتلال ولم ير السيستاني، ولو لمرة واحدة، متحدثا إليه مباشرة، أو عبر فضائية، وذلك لأنه لا يجيد اللغة العربية، والغريب أن أحدا لم يلاحق ذلك، ولم يعترض عليه «لا من الشيعة ولا من السنة».. ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلى رؤية مقارنة بين حوزة «النجف» برمزها السيستاني «القائد بلا لسان»[1]..

---

(١) قليلة هي النصوص، التي تناولت دور السيستاني وسكوته إزاء احتلال العراق، أو «تواطؤه» مع مخططات هذا المحتل، ولعل واحداً من هذه النصوص «البليغة» لم تلحظ ترشيح السيستاني إلى «المرجعية»، راحت تخاطبه على أساس من واقع محنة الاحتلال محاولة تحفيز همته لعمل ما ضد هذا الاحتلال، فلو أنها لاحظت تلك الخلفيات لغيرت من أسلوب خطابها إليه، وفي أحد تلك النصوص التي كتبت بوقت مبكر من الاحتلال تلاحظ محنة المواطن والباحث العراقي بما حصل لهذا العراق فقد جاء في هذا النص الذي كتبه «عصام الحسيني الياسري في١٠ / ذي الحجة / ١٤٢٧» ونشر على الانترنت في حينها، ما يلي: «وها أنت تشهد يا سيدنا ما يحل ويحدث في البلد فهلا كان ذلك مدعاة لك لتنهض ضد هذا الواقع المأساوي وهلا دفعك للخروج من بيتك وكسر عزلتك، أيعقل أن لا تؤثر فيك صرخات الأرامل والثكالى وعويلهن وتنتصر لهن، أيعقل أن لا يدعوك كل ذلك إلى التساؤل عن سبب تلك المآسي وعن الوسائل الناجحة للحل. أي أن السؤال الذي يطرح عليك اليوم هو هل فكرت في الحل؟ وهل تعي يا سيدنا حجم المسؤولية التي أنت بإزائها اليوم؟ فهلا دعوت العلماء ورجال السياسة إلى تدارس هذه الأزمة؟ وهلا عقدت مجلسا دوريا للتباحث والاتفاق على الصيغ التي تساعد في الحل؟ وهلا دعوت إلى مجلس لذلك على الأقل لرجال الدين من كافة المذاهب؟ وهلا جمعت الفرقاء وقاربت بينهم واتفقتم على منهج محدد واحد للعمل من اجل خلاص العراق من هذه ألازمه؟ فلماذا سددك الله لم تفعل أي شيء من ذلك؟ وما بالك يا سيدنا لم تتفقد عائلة واحدة لحد الآن من العوائل المنكوبة في بغداد أو ديالى أو سامراء أو البصرة أو حتى في النجف الاشرف أو كربلاء؟ أو زيارة عائلة مهجرة بسبب الاحتلال أو العنف (الطائفي)؟ وأين هي المؤسسات الخيرية التي تسد بعض الحاجات الآنية وتطيب بعض الجراح وتنهض ببعض الأعمال الإنسانية؟ وأين هي المناهج التي يفترض بك البحث عنها لإرضاء النفوس المتحيرة وبناء الصدع الذي حدث في شخصية الإنسان العراقي بسبب تكالب الأزمات والمآسي؟ وأين هم الوكلاء الذين أرسلتهم الحوزة العلمية لتطيب خواطر الناس ومشاطراتهم لأزماتهم؟ واين هي المظاهرات التي دعوت لها ضد الأفعال المشينة للمحتلين وضد وجودهم في هذا البلد؟

←

حاشا أن تكون عيون المنطق والأصول قد أنستك مفاهيم الحرية والاستقلال وحرمة الخضوع للأجنبي ومعاذ الله أن ينشغل رجل الدين المسلم بالخاص والعام والمطلق والمقيد عن النظر لمآسي الأيتام الذين تغص بهم الشوارع والطرقات، ومعاذ الله أن تكون تشابكات ما يحدث في البلد قد أنستك ضرورة مجابهة الاحتلال ووجوب خروجه، ومعاذ الله أن تكون سيول دماء العراقيين قد أنستك إن قطرة دم احدهم أكرم على الله من الكعبة، ألم تفكر يا سيدنا في استغلال الالتفاف الجماهيري في تحقيق مصلحة رسالية تهم هذا البلد، وليس من مصلحة اليوم اكبر من السعي لتحريره من هذا الاحتلال الذي يعيث فسادا؟. وهلا علمت الناس مفاهيم الاستقلال وحرمة الاعتماد على الأجنبي.. وهل دعوت الحكومة المنتخبة إلى ممارسة نشاط لإخراج المحتل بالاعتماد الكامل على الجماهير أولا وآخرا؟ وهل أخبرتهم أن السكوت على بقاء القوات الأجنبية في البلد هو من المحرمات التي لا يمكن السكوت عنها، وان خروج هذه القوات يجب أن يكون أول أولوياتها؟ وهلا قدمت لهم الدعم للمطالبة بذلك أم أنهم أقنعوك أن الأمريكان جادون في بناء القوات العراقية وعازمون على الخروج من البلد فصدقت وعودهم؟ أم أنهم أقنعوك أن الحل بالصبر على وجود الأمريكان ريثما تبنى مؤسسات البلد؟». وجاء في النص أيضاً «أن الحل يا سيدنا ليس في تدويل القضية العراقية ولا دعوة دول الجوار أو منظمات العالم أو القوى الكبرى لعقد المؤتمرات ولا بالدعوة إلى مباحثات فلان دولة مع أخرى ولا فتح القنوات مع فلان جهة، وليس الحل عند خليل زاد أو من يأتي بعده من السفراء ولا الساسة العرب ولا العامل الدولي ولا أي شيء من ذلك وهو ليس عند غير العراقيين إطلاقا.. ولا هي بالمطالبات الخجولة لتحسين الخدمات.. بل الحل في خروج الأمريكان بدعوة عراقية خالصة وبداية هذه الدعوة يجب أن تكون منك ومن بيتك ومن الموقف الذي تتخذه أنت باعتبارك مرجعا مسموع الرأي متبع الفتوى وباعتبار أكثر الناس تنتظر الصوت والرأي منك ولا تقبل من احد سواك وباعتبارك المرجع الذي يمثل عندهم الدين والمحبة لله تعالى ولرسوله والمعصومين والذي يفترضون أن إتباعه يقود إلى خير الدنيا والآخرة. نعم يا سيدنا لا حل غير خروج الأمريكان ولا يخرجون إلا إذا طالبت الغالبية من الشعب العراقي بذلك. وهذا لا يحدث إلا بتدخل قيادة مسموعة الكلمة في أوساط هذه الغالبية، وليست هذه غير المرجع الأعلى الذي تمثله اليوم أنت. نعم لا يحدث ذلك إلا باتفاق جماهيري ودعوة عامة لخروج المحتلين بمظاهرات حاشدة واعتصامات مدنية وإضرابات تعم أرجاء البلد، وهو ما لن يحدث من دون دور لشخصية رمزية وهي كانت دوما المرجعية العليا. سلمنا أن الحل العسكري والمجابهة بالقوة أمر محفوف بالمخاطر ويؤدي إلى ضياع الأمن ما يشجع الاميركان إلى إنشاء جماعات مشبوهة تقتل الناس وتنشر الفساد وتوقع العراقيين بين بعضهم ليقولوا بعد ذلك إنهم باقون إلى حين إحلال الأمن، ناهيك عن الدمار الذي تخلفه عملية المجابهة بالسلاح من

←

وبين حوزة «قم» التي لم يشهد تاريخها رمزاً أو قائداً أو «مرجعاً» أعلى لا يتحدث اللغة الفارسية... وسواء كان هذا القائد أم الرمز أم «المرجع» تجديدياً أو تقليدياً أو ثورياً... وهذا تاريخ «حوزة» قم شاهد على ذلك، في وقائع هذه «الحوزة»... شاهد حي أمام العالم كله، فوفق أي منطق تفهم هذه المفارقة يا ترى؟

إن الإجابة على هذا السؤال سيضطرنا إلى التوقف عند الحاضنتين لكلا «الحوزتين»، والمؤثرات الجغرافية والديمغرافية المتشابكة بين البلدين ــ إيران والعراق ــ، ولاسيما عند الأخير، وما يرتبط بتداخلهما بالعامل القومي، وفي فصول الكتاب اللاحقة، سنتوقف عند ما مارسته سلطة صدام حسين تحت عنوان هذا العامل، وما أسمته رغبتها في «تعريب المرجعية»، وسندرج وثيقة مطولة من جهاز أمن نظام صدام في هذا الإطار، وفي فصل مستقل، ولكن قبل ذلك ــ كما أشرنا ــ سنتحول إلى الفارق بين الحاضنتين لــ «الحوزتين».

جراء اعتماد الاميركان على سياسة القصف الاعمى للأحياء السكنية، فهلا طورتم سياسة أخرى تعتمد المظاهرات السلمية التي قد تحرج الاميركان أكثر من سياسة القوة؟ أليس في تجارب الشعوب السابقة إثراء لوضع هكذا خطة؟ وهل المهاتما غاندي خير من رجال العلم والدين؟ أترضى أن يقول الناس: يا ليت لنا احد الصدرين حيا لما سكت عن كل هذا الموت الشنيع الذي يتعرض له أبناء البلد؟ أليس المفروض أن يكون كافة أهل العلم والدين متساوون في الشعور بالمسؤولية اتجاه دماء الناس وحرماتهم؟ أم كيف ترضى أن ينشطر الناس إلى شطرين شطر يتبع التيار الصدري ممن يرفض وجود المحتل، وشطر آخر يسكت على بقائهم في البلد محتجين بسكوتك يا سماحة السيد؟ أم كيف ترضى أن يقول الناس: إن هذا هو قدر العراق المظلوم أن يتعرض لأشد ألازمات في الأوقات التي يفتقد فيها للقادة الرساليين الذي يمكن أن يقودوا بحق ويوصلوه إلى طريق السلامة».

فوارق في الحاضنة الاجتماعية لـ "الحوزتين"

الوثنية "القومية" .. الوثنية "الدينية"

بدءاً لابد من الإشارة بأن هذه الفقرة لها علاقة جوهرية مع ما يسمى الحوار القومي الإسلامي[1]، الذي شكل حلقة أو مشروعا حواريا من الحلقات والمشاريع، التي عاشتها المعارضة العراقية، في بداية تسعينيات القرن الماضي، والتي لم يكتب عنها بحوث مستقلة، وقد تناولناها في كتاب آخر، لم ينشر بعد كأحد مشاريع المعارضة العراقية السابقة في المهجر، كلجنة العمل المشترك، ومؤتمر «صلاح الدين» وقبله مؤتمر «فيينا»، وقبلهما مؤتمر «البريستول»، وبعد تلك المشاريع كلها مؤتمر «نيويورك»، ثم مؤتمر «لندن»، وفي ذلك الحوار قدمت أوراق عمل متعددة كان منها ورقة بقلم حسن العلوي لم تنشر في حينها ولم يوافق على نشرها الطرفان، وقد اطلق العلوي وصفا لرموز سلطة صدام حسين، يدلل على عدم إجادتهم للتحدث باللغة العربية الفصحى، تمثل بمقولة «التأتأة العربية».

(١) من الواضح ان فكرة الحوار القومي الاسلامي بدأت تأخذ اندفاعها بعد بروز ما يسمى الصحوة الاسلامية في العالمين العربي والاسلامي، الا ان مراكز الدراسات التي عملت عليها لم تخترق جدران الحقيقة فيما قدمته من بحوث ودراسات وفيما عقدته من مؤتمرات، ولذا بقي هذا الحوار شكليا واستهلاكيا، انظر على سبيل المثال (اوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، الحوار القومي الاسلامي، بيروت ــ لبنان، ط ١، كانون الاول ــ ديسنبر ١٩٨٩م.

أذن إذا كانت إحدى أوراق الحوار القومي الإسلامي ـ ورقة حسن العلوي ـ أسست لـ «الوثنية القومية» مستشهدة ببيت الشعر الذي جاء في هامش الورقة الوحيد «سلام على كفر يوحد بيننا... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم»... فوفق ذلك فإن هذا التأسيس ـ على ما إزاءه من ملاحظات جوهرية ـ وما نهض عليه من «ثوابت» ـ اللغة والعروبة والتربية و«الطائفية» والمكون الأجنبي والعلمية ـ مثّل قراءة لأزمة الوطن والعروبة والإسلام، من خلال بُعد واحد لا يصمد مع ثابت العلمية... التي لاحظنا أنها على البعد الثاني الإسلامي قدمت لنا «وثنية إسلامية» في شكل من أشكالها ووضعتنا بين «تأتأة لسان»، و«قائد بلا لسان»، الأولى «قومية»، والثانية «إسلامية».. وإذا أضفنا لها البُعد «الطائفي» فستكون المعادلة بالنتيجة «قومية تركية سنية» و«إسلامية تركية أو فارسية أو أفغانية شيعية» على صعيد القيادة، وإذا ما نزلنا إلى القيادة فسنكون أمام منظّر قومي «مستورد» لا يحمل الجنسية العراقية.. وبين «مرجعية دينية» مستوردة لا تحمل الجنسية العراقية، وإذا ما اعتبرنا الأول ـ المنظّر ـ لـ «المرجعية» القومية «سنية» ولـ «المرجعية» الدينية للإسلاميين «شيعية» سنكون بعد ذلك كله أمام معادلة حراس القومية «الطائفيين»، وحراس الدين «الطائفيين» الذين هم في واقع الأمر ليسوا جبهتين، بل جبهة واحدة.

إزاء جبهة أخرى من القوميين والإسلاميين، الذين يمثلون الناس، والرموز الذين حاولوا طرح القومية العروبية الثورية الوطنية «اللاطائفية»، والإسلام الثوري الوطني «اللاطائفي» العروبي، الذي لا يتعارض مع عالمية الإسلام وطبيعة العراق الديمغرافية، والمحكومة إلى الجغرافيا والتاريخ، والتي لا تصادر لغات الأقوام الأخرى، وحقهم في الزعامات الأساسية أو المحلية، التي تستوعبها عباءة الوطن الحقيقي، وعباءة الدين الحقيقي وعباءة العروبة الحقيقية. وإذا ما نزلنا إلى أسماء الجبهة الأخرى فسنربط بين الشهيد عبد العزيز البدري، والشهيد محمد باقر الصدر، وسنستدعي رموز «المرجعية» الوحدوية الإسلامية في الخمسينيات، الذين راحوا ضحايا لـ «الوثنية القومية» «الوثنية الإسلامية» على حد سواء... وعلى الصعيد القومي ـ العروبي، سنستدعي ضحايا آخرين أعدمتهم الأنظمة الحاكمة لأنهم أرادوها

«قومية» لا وثنية من داخل «البيئة السنية»، وآخرين من «البيئة الشيعية» أرادوها كذلك... وعندما سُئل الرسول (ص) عن العربي، قال: «ليست العربية من أحدكم أب أو أم وإنما العربية اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»[1]. ولم يقل إنه ينتمي إلى عرق معين، أو لم يقل إذا كان أبوه أو أمه أو جده فارسياً أو تركياً أو أفغانياً وهو يتحدث العربية ويحمل جنسية المكان (الوطن) فهو ليس بعربي.

والجنسية طبعاً لم تكن موجودة أيام الرسول (ص) فهي منتج غربي، إلا أنه لم يتم التأسيس لأسلمته، لأن ثقافة الوطن بالأساس لم يؤسس لها إسلامياً، وبقي الخطاب الإسلامي التقليدي حتى الآن يتحدث لغة «ديار المسلمين»، ويعيش «أوطان» المسلمين فعلياً بقوانينها وضوابطها بما فيها «الجنسية» كضابط انتمائي تنظيمي وتدبيري يرتبط بحقوق الفرد على الدولة، وحقوق الدولة على الفرد... والعلاّمة شمس الدين طرح هذه الإشكالية بشكل يغاير «المألوف» في «الوعي الإسلامي»، فالجنسية أصبحت حقيقة إدارية تنظيمية لا يسقطها إسلام المسلمين، ولا عربية العروبيين على أرض الواقع، ويقول العلاّمة شمس الدين: «قد يعترض البعض على اعتبار الجنسية في تحقق مفهوم المواطنة بأنه مفهوم حديث جاء مع نشوء الدول الأوروبية الحديثة وترسخ النظام الدولي بعد الحرب العالمية الأولى، ومن هنا فإنه مفهوم غير إسلامي، ولم تعرفه الدولة الإسلامية سواء دولة الخلافة أم الدولة السلطانية وكانت الهجرة مفتوحة بين السلطنات، ولا حدود لها...

ونقول في جواب هذا الاعتراض:

إن مفهوم الجنسية الحديث نشأ من ضرورة تنظيمية، وليس من اعتبار فكري عقيدي، فالدولة الحديثة تتحمل مسؤوليات تجاه مواطنيها وهم يتحملون مسؤولياتهم تجاه الدولة والمجتمع السياسي الذي ينتمون إليه ولا بد من تحديد موضوع هذه

---

(١) عوني فرسخ، (القوميون والاسلاميون العرب، اشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، المؤتمر الاسلامي ــ القومي الثالث، وثائق ومناقشات وقراءات المؤتمر)، ص ٥٢٣، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان، ط ١، آذار ــ مارس ٢٠٠٤م.

المسؤوليات والحقوق، وإلا فلكل أحد أن يدّعي أن له حقوقاً، وللدولة أن تدعي على كل أحد بالتزامات اتجاهها، والمسلم يحمل انتمائين: أحدهما الانتماء إلى الأمة، والآخر الانتماء إلى الدولة، الأمة ومفهوم الدولة في الصدق الخارجي، بحيث تنتظم الدولة الإسلامية جميع الأمة الإسلامية على جميع أرض (دار الإسلام)، تكامل مسؤوليات وحقوق الانتمائين، أو يقوم أحدها مقام الآخر، أما في حالة عدم التطابق فحيث ان حقوق ومسؤوليات الانتماء إلى الأمة محددة في الشريعة والفقه، دون حقوق ومسؤوليات الانتماء إلى الدولة، فإن الضرورة التنظيمية تقضي في هذه الحالة إلى (تدبير) يحدد جهة الانتماء للمكلف، ليتمكن من القيام بمسؤولياته تجاه الدولة والمجتمع وليأخذ حقوقه وهذا (التدبير) هو (الجنسية)، وكونه غربي المنشأ لا يمنع من كونه مشروعاً من الناحية الفقهية الإسلامية، إذ ليس كل ما هو غربي غير مشروع، وخاصة في الجوانب التنظيمية للمجتمع الحديث، وما أكثر ما أخذ المسلمون من غيرهم في المجال التنظيمي للدولة والمجتمع السياسي منذ صدر الإسلام»[1].

إن هنالك أبواباً أخرى للدخول إلى «إشكالية» الجنسية، وعلاقتها بالمواطنة والدين، غير هذه الباب التي دخل عبرها شمس الدين، إذ لم يبحث احد هذه المسألة على ضوء التعاطي مع النص القرآني الكلي، ولم يتوقف على تحديد أماكن بذاتها في هذا النص بما له علاقة بمسألة الإدارة على أساس المواطنة التي تقدم تأسيساً آخر لـــ «الجنسية» غير تأسيسها المذكور، وهذا ما له مبحثه الموسع خارج هذا الكتاب. والذي لابد من الإشارة إليه ان القرآن الكريم يستبطن في نصوصه الكثير من الأنماط الإدارية ذات الارتكازات المعرفية المتداخلة، كالارتكاز المكاني، والارتكاز اللغوي ــ اللساني، والارتكاز الحراكي الانتقالي في فضاء «دار الإسلام»، وهذه الارتكازات كلها لها مباحثها القرآنية المستقلة، كما لها ارتباطاتها في تنظيم الوافدية المكانية ومسألة الهجرة

(١) محمد مهدي شمس الدين، (في الاجتماع السياسي الإسلامي، المجتمع السياسي الإسلامي، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي)، ص ١٢٦ ــ ١٢٧، هامش، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ــ لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م.

وأسبابها والإدارة المكانية، وتحديد الهوية المكانية للإنسان المسلم ويمكن ان نستدعي هنا عينة موجزة من آيات القرآن المختزنه لهذه الارتكازات:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَىَ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[2].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[3].

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىَ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[4].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾[5].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[7].

ان هذه العينة من الآيات يمكن ان تعطينا تصوراً موجزاً عن مسألة الانتماء المكاني والإجراء الإداري بما يحدد هوية انتماء «المواطن» سواء ما ارتبط منها

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٤.

(٢) سورة الانعام: آية ٤٢.

(٣) سورة الاعراف: آية ٩٤.

(٤) سورة المائدة: آية ٧٨.

(٥) سورة النساء: آية ٩٧.

(٦) سورة البقرة: آية ١٥١.

(٧) سورة المؤمنون: آية ٣٢.

بالعقاب المكاني المحدد او بـــ «اللسان المكاني» او بالحراك المكاني، فهي بالتالي مباني تجعل من المواطنة منظمة كحقوق وواجبات على هم المكان ولسان المكان، وبهذا سيكون انتماء الوافد متساوياً بالحقوق والواجبات مع ابن المكان الذي وفد اليه. فمتى ما تمكن هذا الوافد من التخاطب بلغة المكان، ومن تمثل أشياء المكان بما يحولها الى تجليات لمشروعه الاستخلافي في الأرض كاولوية، عندئذٍ أصبح ابناً لهذا المكان، وتحدد مصيره الانتمائي و«هويته وجنسيته»، ومتى ما تخلى عن هذا التمثل وهذه الأولوية فلا يمكن ان يكون ابناً لهذا المكان، حاله «معرفياً واستخلافياً» حال ابن المكان في الولادة الذي لا ينطلق من أشياء هذا المكان لتجسيد استخلافه في الأرض. فوفق هذه المعادلة اذا لم يكن من غير الممكن سحب «بطاقة الهوية» لهذا الأخير إذا ما تخلف عن مهمته الاستخلافية فان الحد الفاصل بينه وبين الوافد المنتمي للمكان يتمثل باعطاء مكانه الجديد الأولوية على مكانه القديم وعلى أساس تمكنه اللساني وذوبانه الاجتماعي.

والجدير بالذكر ان العراق كأرض دينية اختزن الى حد ما تذويب الوافدية واستيعابها بما حولها الى مكونات منصهرة فيه وشريكة عضوية في بنيته الاجتماعية، بحكم ما انتهت اليه حدوده الجغرافية والقوس القومي الحاد المتنوع الذي يطوقها، والذي مثل الى حد ما خللاً في اولويات الانتماء لبعض هذه المكونات وبما يمكن ان يفسر جزئياً ظاهرة «الزعيم الديني الوافد» الذي لا ينطق بلسان المكان العراقي، وقد يتعالى في ظاهرة غير بريئة وغير مسبوقة على ان يرفض بطاقة الانتماء الى الوطن كما فعل ذالك السيستاني عندما عرضت عليه الجنسية العراقية من قبل قادة العملية السياسية المرعية اميركياً. فهذا الرفض يمثل مفارقة قيادية عراقية غريبة لا تخلو من دلالات الاستخفاف بحرمة العراق وحرمة الانتماء اليه[1].

---

(١) لقد رافق موضوع منح السيستاني الجنسية العراقية صخب كبير في الصحافة ومواقع الانترنيت وجاء في موقع «إيلاف» بتاريخ ١٤ / مارس / ٢٠٠٥م «النجف: طالب مجلس محافظة النجف الاشرف المنتخب اليوم من البرلمان العراقي الجديد المنتخب والذي سيعقد ←

أولى جلساته بعد غد الأربعاء منح المرجع الشيعي الكبير آية الله علي السيستاني الجنسية العراقية. وقال الشيخ خالد النعماني نائب رئيس مجلس محافظة النجف المنتخب ان المجلس قرر بالإجماع رفع مذكرة للجمعية الوطنية التي ستعقد جلستها الأولى خلال هذا الأسبوع نطالب فيها بمنح السيد علي السيستاني (إيراني) والمرجعين بشير النجفي (باكستاني) واسحاق الفياض (أفغاني) الجنسية العراقية وسنطالب بان تكون هذه المسألة من أولى القضايا التي تناقشها الجمعية الوطنية المنتخبة. وأضاف ان من مقدمة الأسباب التي دعت الى التقدم بمثل هذا الطلب انها مسألة حضارية وليست سياسية حيث ان هناك العديد من الدول المتطورة تقوم بمنح جنسياتها للأشخاص المبدعين والمفكرين. وتابع النعماني اذا قارنا ما قدمه السيد السيستاني والمرجعين لوجدنا انهم يستحقون ذلك كما ان السيد السيستاني والمرجعين الآخرين كانوا من خلال البيانات التي اصدروها وخلال قيادتهم للجماهير كانوا احرص على وحدة العراق والعراقيين من غيرهم. وأكد انه إذا أخذنا بعين الاعتبار السنوات التي مكث فيها المراجع في العراق فانهم قد بلغوا أكثر من أربعين، والسيستاني له أكثر من ٥٥ سنة وهو في العراق وان أكثر الدول تقدما تمنح الجنسية لمن يمكث ٥ سنوات. واوضح النعماني ان هذه القضية تخص النجفيين والعراقيين جميعا لذلك كان الواجب ان نرد بعضا مما قدموه لنا ولو كان بالشيء اليسير ونحن على علم بانهم ليسوا محتاجين الى ذلك ولكننا نتشرف بهم. واشار الى ان الاقتراح جاء من مجموعة من الحقوقيين من مجلس المحافظة وانه تم المصادقة عليه بالاجماع. وكانت لائحة الائتلاف العراقي الموحد الذي يحظى بدعم المرجع الشيعي الكبير علي السيستاني قد فاز في الانتخابات العامة التي جرت في ٣٠ من كانون الثاني / يناير الماضي بـــ ١٤٦ مقعدا في الجمعية الوطنية العراقية المؤلفة من ٢٧٥ مقعدا. وكان السيستاني قد شكر العراقيين للمشاركة في الانتخابات، مشيرا الى انه لم يشارك فيها لانه لا يملك الجنسية العراقية بحسب ممثله في النجف الشيخ احمد الصافي. وقال الصافي (اذا كانت عنده الجنسية العراقية لكان على رأس المشاركين في الانتخابات في مراكز الاقتراع)». وجاء في «شبكة كربلاء للانباء» بتاريخ ٢٢/٣/٢٠٠٥م ما يلي «أثارت مطالبة مجلس محافظة النجف بمنح المرجع الديني آية الله العظمي السيد علي السيستاني واثنين من المراجع (آية الله العظمي الشيخ بشير النجفي وآية الله العظمي الشيخ محمد اسحاق الفياض الجنسية العراقية)، اهتمام وسائل الإعلام التي نقلت خبراً مفاده ان ممثل السيستاني أحمد الصافي رحب بطلب المجلس. ونفى الصافي الخبر، وقال الصافي: (لم أصرح لأي وسيلة إعلامية بهذا الموضوع، والمرجع الأعلى السيستاني لم يكن صعباً عليه أن يحصل على الجنسية العراقية في الأوقات السابقة، ولم يحظ هذا الموضوع باهتمام لديه كاهتمامه بالشعب العراقي ومعاناته) وزاد (ان المرجع السيستاني ما زال يحمل جواز السفر الايراني ولم يبد رغبة في الحصول على الجنسية العراقية، ولا يريد الحصول عليها) .وأشار الصافي الى ان السيستاني استخدم لدى سفره الى لندن لتلقي العلاج، الجواز الايراني».

بين الجغرافية والديمغرافية
العراق ارض الاشتباك القومي

من خلال ما تقدّم كله لا يمكننا أن نقول: أن مَنْ سفرهم نظام البكر ــ صدام هم غير عراقيين... ذلك لأنهم ولدوا في العراق.. ويحملون الجنسية العراقية، ويتحدثون العربية، ومن لا تنطبق عليه هذه الشروط، وكان مقيماً في البلد، فهذا له حديث آخر... ولا نستطيع أن نقول إن مَنْ ينتمون إلى أصول تركية أو أفغانية أو باكستانية، وعاشوا هم وأجدادهم عشرات السنين في البلد، ويتحدثون العربية ويحملون الجنسية العراقية، هم غير عراقيين وليسوا بعرب. والذي يتحدث اللغتين، لغة العروبة ولغته الأصلية ويحمل الجنسية العراقية وولد في العراق هو الآخر ينتمي إلى هذا الوطن.. هذا فضلاً عن أن أقواماً قد يكون بعض أفرادها لا يتحدثون العربية، وينتمون إلى أقليات كالأقلية الكردية والأقلية التركمانية، فهم عراقيون، والعراق كوطن هو وعاء لهذا الخليط القومي، الذي لا ينزعه عن عروبته، بقدر ما يجعل من هذه العروبة خصبة العطاء ومتسامحة ومحطة حوار قومي، وضد القومية التعصبية، التي حاربها الإسلام، ولو أنها لاحظت وهضمت هذا التنوع القومي «القدري» في الأصول أو في الواقع، ولو أنها قرأت العراق قراءة علمية، لما انتهت إلى هذا التعصب.

العراق هو بلد «الكثافة القومية» بحكم الجغرافيا، والأزمة كل الأزمة ــ كما أشرنا من قبل ــ تتبلور عندما يرتبط الأمر بقيادة هذا البلد السياسية والفكرية... فالقيادة في القرآن الكريم وفي المنطق الطبيعي ينبغي أن تكون وليدة هذا المكان، لا أن تكون قيادة مستوردة على الشاكلة القومية رغم عروبتها، ولا على الشاكلة «المرجعية» رغم إسلاميتها.. وشرط اللغة تحصيل حاصل لهذه القيادة، فمَنْ لا يتقن «قواعد اللغة»، فالخلل في ثقافته، والذي لا يتحدث اللغة ــ لغة قومه ــ كيف يقودهم دينياً أم لا دينياً؟

والأزمة ليس في «أصل الإنسان» القومي كما يبدو ذلك واضحاً من تراشق العراقيين من على شاشات التلفاز واتهام بعضهم بعضاً بأنهم من «أصول غير عراقية»... إن الأزمة تكمن في غياب ثقافة سليمة حول هذا الوطن على ضوء الديمغرافية والجغرافية والتاريخ وفهم الدين والموقع.. موقع العراق لا بلحاظ الحزام القومي المتنوع، الذي انسال عليه تاريخياً، وامتزج به، وبات يشكل نسيجه الاجتماعي ــ الديمغرافي، ويجعل منه بلد الاشتباك القومي و«الكثافة القومية» فقط، وإنما بلحاظ الدين أيضاً، وموقعه الديني سواء على صعيد خصوصيته الدينية الذاتية ــ كبلد لرموز مقدسة ــ أم بلحاظ ترابطه مع المواقع الدينية المقدسة في البلدان الأخرى، فهو ــ كما أشرنا في كتاباتنا السابقة ــ حلقة رابطة بين قبلتي المسلمين الأولى والثانية. وقد وضعته «سايكس بيكو» في سلم أولوياتها، كما أن احتلال أميركا له لا يمكن فصله عن ذلك ــ وهذا ما سنأتي عليه في كتاب آخر ــ فالعراق إسلامي، لا هو «شيعي» كإيران، ولا هو «سني» كتركيا برؤية مقارنة مع جارتيه الكبيرتين المؤثرتين فيه عبر التاريخ، ولا نعني بهذا التوصيف الطعن بــ «شيعية وسنية إيران وتركيا»... إنما نعني تمايزه الديني كما هو الواقع، الذي إذا ما نظر إليه «طائفيا» فإنه سيكون أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الدكتاتورية وإما الانفجار والاقتتال الأهلي. وإذا ما نظر إليه إسلامياً، فهو جسر رابط ليس بين قبلتي المسلمين، وإنما بين العالمين «السني والشيعي» وبين كل القوميات العربية والتركية والفارسية والكردية. بسبب كونه بلد «الكثافة القومية» ذات الغالبية العربية. إن شرطَي العراق المعطاء والمؤثر هو الإسلام الموحد التوحيدي الوحدوي، والعروبة المتسامحة، لا الإسلام «الطائفي» ولا العروبة المؤدلجة المتشددة المتعصبة. ففي ظل الشرط الأول تتبلور مقولة العراق الجسر الرابط بين عالمين «سني» و«شيعي» التي أوضحناها في كتابنا «عراق بلا قيادة».. وفي ظل الشرط الثاني تتحقق مقولة أخرى.. هي مقولة العراق بلد الاشتباك القومي و«الكثافة القومية» ذات الغالبية العربية والمحطة الحوارية التعايشية بين الأقوام داخلياً، والرابطة بينها خارجياً، ذلك أنَّ جغرافية العراق ستؤدي دوراً في الشرط الأول يصب في تفعيل الشرط الثاني على صعيد دور العراق الخارجي المعطاء المؤثر وليس المتأثر،

والوسيط الفعال بين قوميات خارج العراق، كما أن ديمغرافية العراق ستؤدي دوراً في الشرط الثاني المعرفي الداخلي والخارجي للعراق، فالتنوع القومي الداخلي سيكون فعالاً في الدوائر الخارجية، التي يرتبط بها قومياً مؤثراً، وليس متأثراً فيها بشكل سلبي... وعليه فإن العروبة العراقية المتسامحة لا تخلق حالة الوئام الداخلي فقط.. وإنما تحد من أية عنصرية قومية خارجية إذا كانت فارسية أو تركية أو غيرهما.

إن ثقافة العراق سارت تاريخياً على الضد من ذلك ــ والكلام ليس إطلاقياً ــ ولم يكن العراقيون بالتأكيد هم المسؤولين الوحيدين عن ذلك.

لقد سادت ثقافة الدين «الطائفي» والدين الموروث وثقافة القومية التبعية الغربية المنشأ.. المحروسة إقليمياً ودولياً فيه، كما أنه حكم بـ «القيادات المستوردة» أو قيادات «الوافدين» إليه، كتحصيل حاصل لتلك الثقافة ووكلائها، الذين يغذّونها بمناسبة وبدون مناسبة، فيطغى الخطاب «الطائفي أو الممارسة الطائفية» المفتعلة تارة على يد الحاكم، الذي يكتب على الدبابة «لا شيعة بعد اليوم» مستفزاً «الشيعة»، وتارة أخرى عبر الخطاب «القومي ــ التعصبي» الذي يردد كلمة «الشعوبية»، قاصداً بها «شيعة العراق» ومستفزاً إياهم... وعلى الجهة الثانية يأتي خطاب «المرجع» الشيعي مستفزاً «السنة» من خلال القول: «إن هذا الأمر ليس مقبولاً، لا في قوانين عالم اليوم، ولا في قوانين الشرع الإسلامي، بل يرفضه حتى القانون الغربي، وذلك بأن تأتي أقلية تشكل ١٢ % من مجموع السكان، وتتحكم بأمور الـ ٨٥ % الباقية، تحت حجج وذرائع واهية، ولا يكون لهم حول ولا قوة»[1]، يستفزهم هذا الخطاب «المرجعي» للراحل محمد الشيرازي عندما يطلق على «السنة» مفردة «أقلية» في البلاد، كما يأتي على سبيل المثال عبر لسان السيد كاظم الحائري في خطاب موجه إلى موفق الربيعي وعبد الصاحب الحكيم، حول «إعلان شيعة العراق» الذي نشر بتصوراته ورسائله وأسمائه قبيل الاحتلال الأميركي للعراق، فالحائري يقول «عزيزيّ المعظمين الدكتور

---

(١) محمد الشيرازي، (الشيعة والحكم في العراق)، ص ٤٨، مؤسسة المجتبى، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠٢م.

موفق الربيعي والدكتور عبد الصاحب الحكيم (حفظكما الله ورعاكما بعينه التي لا تنام) قد وصلتني رسالتكما حول الاستفتاء عن مدى ضرورة العمل لاستحصال حقوق الشيعة في العراق، وإليكما الجواب، ولكما خالص دعواتي للتوفيق لكل خير:

أولاً: إن حقوق الشيعة هدرت في العراق منذ أمد بعيد، وإلى يومنا هذا ليس من قبيل أخواننا السنة، بل من قبل الحكام الجائرين في العراق، فنحن لا نطالب الأقلية من المسلمين في العراق، وهم أخواننا السنة بإعطاء حقوق الأكثرية وهم الشيعة لأن علماء المسلمين شيعة وسنة أجمعوا على أن الإسلام لا يفرّق في الحقوق بين مسلم ومسلم أياً كان لونه المذهبي»[1].

وفي الاتجاه ذاته يتكلم مرتضى العسكري قبل وفاته عندما يقول: «إن شيعة أهل البيت يشكلون أكثرية سكان العراق»[2]. وإزاء ذلك لا نعرف إذا كان الشيرازي عالماً بالإحصاء حتى يعطي هذهِ «النسب الدقيقة» التي يقول فيها «أن (١٢ %) يتحكمون بالشعب العراقي»، ولا نعرف كيف اعتبر «سنة» العراق ١٢ % من مجموع الشعب العراقي؟ وهل إن مثل هذه الخطابات عفوية أم مقصودة؟ هذا هو السؤال الأهم والأخطر. إذ لا يوجد «شيعي» عراقي عادي لا يعرف ان مثل هذا الكلام غير صحيح، فكيف يتجرأ بنطقه مثل «آية الله».. لا يعرف «السنة» الذين سيقرأون ذلك ويستفزون منه بالتحديد موقع هذا «الآية الله»؟.. وهل يعتبرونه كلاماً عفوياً ناتجاً عن جهل بديمغرافية وتشكيلة الشعب العراقي؟ ونحن نتساءل أيضاً هل هو جهل فعلاً؟ أم أن الأمر لا يخلو من الاستفزازية القصدية، أو ردة الفعل اللامسؤولة.

نحن لا نريد أن «ندافع» هنا عن «سنة» العراق، فهم ليسوا بحاجة لأحد لكي يدافع عنهم، كما أن هذا الكلام لا يوفر احتمالاً «دفاعياً»، كما لا نريد أن نبرئ بعض

---

(١) من ملف بعنوان «إعلان شيعة العراق».. كتبه في لندن كل من دكتور عبد الصاحب الحكيم، الدكتور علي علاوي، الدكتور موفق الربيعي، الإصدار الأول، ٢٠٠٢، وتم توزيعه على قادة وكوادر المعارضة العراقية السابقة والتي أصبحت الآن في موقع السلطة «الموظفة» لدى قادة الاحتلال الأميركي للعراق.

(٢) المصدر نفسه.

«السنة» من واقع «طائفي» مارسوه أو ارتضوه، ولا يمكن لأحد أن ينكر «معاناة الشيعة»، إلا أن هذه المعاناة لم يكن «السني» الحاكم أو «الطائفي» هو المسؤول وحده عنهما بقدر ما أن من يستفزون «السني» بمثل هذا الكلام مسؤولين أكثر عن هذهِ «المعاناة الشيعية»، مثلما أن بريطانيا بالأمس مسؤولة، واليوم هي وأميركا مسؤولة أيضاً عن ذلك. إن وجود «دولة طائفية لا معلنة» أولى في العراق أمر غير قابل للجدل والإنكار، لكن ما ينبغي تأكيده وعدم إنكاره أيضاً أن ليس «السنة» هم المسؤولون فقط، عن هذه الدولة، بل إن «زعماء الشيعة من أغلب المرجعيات» والمستعمر أيضاً تواطؤوا على وجود مثل هذه الدولة، واستمرارها حتى جاء الاحتلال الأميركي وعرّضها للإنهيار، كما أن «السنة» ليسوا «أقلية» في العراق، فإذا كان «الشيعة» أغلبية «طفيفة» وهذا أمر لا جدال فيه، فإن «السنة» ليسوا «أقلية»... ومثل هذا الكلام الناتج من ردة الفعل أو القصدية سيكرس من «الطائفية»... فإذا كان مبدأ «الدين الطائفي» مرفوض في الإسلام، فإن الخوض في مثل هذا الكلام الاستفزازي هو للكشف ليس فقط عن قصدية المستعمر في توظيف هذا الدين... وإنما الكشف أيضاً عن دور حراس هذا الدين من «السنة» و«الشيعة» على حد سواء. كما يأخذ هذا الخطاب مداه وتأخذ الممارسة مداها في بعدها الاستعماري ــ الاحتلالي للبلد عندما تكون بريطانيا «نصيرة للشيعة» تارة و«نصيرة للسنة» تارةً أخرى... وعندما نجد أميركا «شيعية» في حقبة ما إزاء العراق، وأميركا «سنية» في حقبة أخرى، ويغيب في ظل ذلك دور العراق الإسلامي المعطاء ليتحول إلى ساحة موت داخلي وساحة اندفاع خارجي عدواني، يغيب ذلك في ظل التغييب القسري لثقافة الدين الوحدوية، وثقافة العروبة المتسامحة، وواقع العراق المتميز ودراسته بشكل علمي على ضوء التاريخ والديمغرافية والجغرافية. كما يضيّع دور الإسلام العظيم، الذي لا يستطيع أي مبدأ وعنوان غيره أن يحل أزمة العراق. الإسلام الوحدوي العادل، لا إسلام «المذاهب»، ولا إسلام «الطوائف» فمثل هذا الإسلام الحقيقي هو الكفيل بإخراج العراق من أزمته «الطائفية والتعددية القومية».

الأصل القومي لـ "المرجعية الدينية"

لعل القارىء الحاذق لكتابنا «عراق بلا قيادة، أزمة القيادة الشيعية في العراق الحديث»، لا يحتاج إلى وقفة طويلة للتأمل في دلالات العنوان، التي ربطت إلى حدٍ ما مستقبل العراق «كدولة أولى» انهارت بعد الاحتلال الأميركي، وقد صدر كتابنا المذكور قبل حصوله بعام تقريباً. وبعض الزملاء أشاروا عليه قبل صدور الكتاب بفترة وجيزة ببعض الملاحظات منها مثلاً، أن العراق آنذاك كانت فيه قيادة صدام حسين، وهي كانت موجودة لم تسقط بعد، ومنها أن عنوان الكتاب ثقله سياسي فيما أن مضمونه يمزج بين الفكر والتاريخ والسياسة والمعرفة التأسيسية في المسألة القيادية الإسلامية وأمور أخرى طرحناها في مقدمة الكتاب.

وهذه الملاحظات وغيرها أخذت طريقها للنقاش على أساس ان هذا العنوان بالنهاية يتكامل بشقيه الأول: «عراق بلا قيادة»، والثاني: «قراءة في أزمة القيادة الشيعية في العراق الحديث»، بما يقود القارىء فوراً إلى دلالة ووضوح الموضوع، الذي نحن بصدده، وسيقوده أيضاً إلى معنى آخر غير مباشر، هو أن أزمة العراق تتوقف بثقلها الأكبر على هذا الموضوع، ولم يمضِ إلا عام تقريباً حتى وقع العراق في أزمة الاحتلال، وأصبح «بلا قيادة» فعلا بعد الاحتلال، فربط بعضهم ذلك باستشراف سبق الحدث الاحتلالي، وتحققت عبارة «عراق بلا قيادة» واقع مجسد على الأرض. أن التحقق لم ينهض في واقع الحال على قراءات سياسية داخل الكتاب إلا بصورة ضمنية، ولو أن اختيارنا للعنوان نهض على ما كان يجري من أحداث سياسية داخل وخارج العراق، قد تعطي الكتاب الجدل الذي أخذه في ما بعد، لاسيما بعد احتلال العراق، وفوراً تزامن هذا الجدل مع جدل الحالة «الشيعية» في ظل الاحتلال، وحتى قبل سقوط تمثال الطاغية صدام حسين، وراكم ذاته تصاعدياً بشكل مثير وخطير، الأمر الذي يعطي هذا المحور مركزية وأولوية في أزمة العراق في «دولته الأولى»

القلقة، التي انهارت ودمّرت كل بناها وركائزها ومؤسساتها، وفي «دولته الثانية» التي أريد تأسيسها، والأمر الذي يدعو إلى عودة بملف أزمة القيادة «المرجعية» إلى ما قبل الاحتلال، لاسيما في محور تعاطي السلطة مع هذا الملف في ذروة أزمته، وفي ظل ما كشفته بعض الوثائق ـــ وهي كثيرة ـــ السرية التي تسرّب منها الكثير بعد الاحتلال، وإذا كان ليس من اختصاص هذا الكتاب أن يخوض في كل الوثائق السرية، التي كشفت بعد سقوط النظام، إذ هو يرصد دور «المرجعية» أثناء وبعد الاحتلال كثقل مركزي لموضوعه، يتمدد ـــ ككل موضوع بحثي ـــ وفق المناهج البحثية إلى مقدمات ومحاور ثانوية على علاقة بالموضوع الثقل. إلا أن الإطار العام لهذا الموضوع في مقدماته يتطلب الإشارة إلى وثيقة واحدة ـــ دراسة مطولة ـــ من ملف المخابرات العراقية السابقة في هذا الصدد.. وهي دراسة قد تبدو كلاسيكية عادية، لا تكشف الكثير من المعلومات والمعرفة، وتأتي ربما على شكل مقترحات من قبل أحد أعمدة السلطة السريين، إلا أن زمن كتابتها، الذي يمثل ذروة أزمة النظام السابق إزاء ملف «المرجعية» كملف يقع تحت سقف تحديات العروبة والإسلام يعطيها أهمية استثنائية. كما أن الزمن المذكور يغطي في أحد الاتجاهات زمن ما بين صدور «عراق بلا قيادة» والاحتلال هذا فضلاً عن الدلالات العميقة، التي تنطوي عليها هذه الدراسة ـــ الوثيقة، التي تصلح أن تكون مادة أساسية مطلوبة لهذا الكتاب، وسنطل على بعض دلالات هذه الوثيقة ـــ الدراسة ـــ بعد أن ندرجها بالكامل في فصل لاحق، كما سنوضح بعض الأسباب، التي دعتنا لاختيارها رغم ما يبدو من «كلاسيكيتها». فهي بالتالي وثيقة تقودنا إلى ذات الموضوع ـــ هنا ـــ الذي نحن بصدده «العراق بين تحديات العروبة والإسلام»... إذ إنها تكشف عن بعد آخر جوهري من أبعاد هذا العنوان يُضاف إلى بُعد «الحوار القومي ـــ الإسلامي» العراقي... ويضاف إلى الأبعاد الأخرى المرتبطة به... فـــ «المرجعية كرمزية شيعية» ترتبط ارتباطاً جذرياً بالمكون الأكبر.. المكون «الطائفي» في «تحديات الإسلام» الذي ينبغي أن يكون وحدوياً في هذا العراق. والسلطة «كحاملة» للعنوان القومي ترتبط هي الأخرى بأزمة القومية و«تحديات العروبة».. ولعلنا في كتابنا «عراق بلا قيادة» تطرقنا إلى كل

أشكال العلاقة والجدل بين السلطة من جهة.. و«المرجعية الدينية» من جهة أخرى.. إلا أن «عراق بلا قيادة» لم يتطرّق إلى مضمون «تحديات العروبة والإسلام» من خلال واقعيّ السلطة و«المرجعية» ودور الأصل القومي لـ «المرجعية الدينية» التي كانت الوثيقة، التي أشرنا إليها تحوم مركزيا حولها. ومهما يكن من أمر فإن لنا عودة لاحقة في الكتاب لإكمال هذا المبحث في فصل قادم.

استباحة الوطن والدين

إذا كنا قد أكدنا في كتاباتنا السابقة على علاقة «المرجع» بالوطن، وغياب هذه العلاقة في العراق بذريعة «عالمية الإسلام».. وحتى «عالمية العراق»... فإننا ونحن نخوض في الفوارق بين «حوزتي» قم والنجف، لابد أن نلحظ فارقاً جوهرياً عميقاً على علاقة بالمحور ذاته «المرجع ـ الوطن»... ولكن على صعيد «الحوزة» ككيان، لا على صعيد «المرجع الأعلى» فقط، وبما لا يوقعنا أيضاً في تكرار الأفكار... وفي هذا الإطار، وإذا ما أردنا أن نتجاوز البعد التأجيلي المعرفي الفكري لشرطية العلاقة بين القائد «المرجع» والوطن، لأن لها مجالا مستقلاً في كتاب آخر، إذا ما أردنا أن نتجاوز ذلك إلى رؤية مقارنة على ضوء الواقع، واقع كلا «الحوزتين» «النجفية والقمية»... فإن هذا الواقع في تاريخه وحاضره، يقدم لنا مصداقاً حياً للفارق الجوهري بينهما في هذا الإطار، وبما لا علاقة فعلية له بعالمية الإسلام، لا بل يبدو الأمر عكسياً تماماً، بحيث تنبع هذه العالمية ضمن منطق الأشياء الطبيعي من الوطن... وتتكامل «مرجعيات الأوطان» و«مؤسسات الأوطان» كشرط لتحقيق هذه العالمية... وفي ضوء ذلك تبدو «حوزة قم» في مسارها التاريخي والآني بأنها «حوزة» منسجمة مع الأولوية «الوطنية»... ويمكن القول عنها بأنها «حوزة وطنية»... بمعنى أنها لا تسير وفق المنطق اللاطبيعي للأشياء... فهي وعلى طول تاريخها لم يتزعمها «مرجع» من خارج وطنها إلا باستثناءات «سياسية»... إذ يمكن لها كـ «حوزة» أن تضم طلاباً دارسين من أوطان أخرى، إلا أن موقع القيادة والريادة والتنظيم، لا يمكن أن يخرج عن حيزها الوطني الإيراني، ولا نريد أن نعود

إلى التاريخ كله لإثبات ذلك، فمن السهل على القارئ أن يعود إلى هذا التاريخ القيادي «الحوزوي» في إيران، وهو مدون في مئات المصادر الكلاسيكية... ولكننا نذكر ـ فقط تذكير ـ بزعماء هذه «الحوزة»، لا في إطار «القيادات المرجعية التقليدية» ولا في إطار «المرجعيات التجديدية أو الثورية»، إن إيران قادتها «مرجعية» غير إيرانية، ففي الإطار التقليدي كان عبد الكريم اليزدي، في عشرينات القرن الماضي، وكان البروجردي بعده في هذا القرن.. وصولاً إلى أسماء «مرجعية» متعددة ملقبة بألقاب المدن الإيرانية، بأغلبها «يزدي، تبريزي شيرازي، اصفهاني، قمي...الخ» وكذلك هي الحال مع الخط التجديدي «الكاشاني، الطالقاني، الشيخ مفتح، محمد بهشتي، الشيخ باهنر، مرتضى مطهري، مع كثرة من الأسماء الأخرى وصولاً إلى الإمام الخميني» وكل هؤلاء التقليدين والتجديدين والثوريين هم إيرانيون، بلا استثناء.. ولم يحصل لأحد غير إيراني أن اعتلى كرسي «المرجعية» في إيران لا في التاريخ ولا في الحاضر، وهذا واضح ومعروف للقاصي والداني فضلاً عن طابعه الواقعي ـ الميداني، الذي لا يحتاج إلى كثير من التفكير والاجتهاد، كما لا يمكن لأحد أن يدعي خلافه، وهو أمر طبيعي وصحي وسليم، ولا نأتي به إلا لتأكيد صحته وسلامته وطبيعيته، وإذا كان هنالك استثناء ما خلال ما يقارب القرن الأخير ـ وأنا لا أعرف هذا الاستثناء ـ فحتى هذا الاستثناء الافتراضي، هو استثناء، وليس قاعدة... والأصل هو القاعدة، وليس الاستثناء.

إذاً «حوزة قم» هي «حوزة» ذات زعامة إيرانية دائمة «شرطية».. وبمعنى آخر هي «حوزة وطنية» بامتياز على الأقل بالشكل اللااطلاقي، ولا يمكن أن تتحمل رمزاً «مرجعياً» سواء كان «أعلى» أم «أدنى»، وسواء كان تجديدياً أم تقليدياً من خارج إيران، وكأن يكون أفغاني الجنسية أو عراقي الجنسية أو تركي الجنسية، أو باكستاني الجنسية، أو اندونيسي الجنسية... لا فرق أن يكون من كل هذه الأصول القومية، لكنه مشروط بأن يكون إيراني الجنسية، ومواطن من مواطني إيران، ـ وهذا كما أكدنا ـ لا يقتصر على رمز من الرموز أو الرمز الأعلى.. بل تتساوى فيه الرموز كلها.. وعليه يحمل طابعه «المؤسسي الحوزوي» الكلي، وليس الطابع الشخصي لـ «رمز أعلى»... وإذا ما قورن الأمر بـ «حوزة النجف» فإننا سنجد الصورة معكوسة تماماً،

ونقيضه تناقضاً كلياً صارخاً، حيث «المرجع الأعلى» وهو بالعادة يتحكم بـ «المؤسسة والحوزة» ـ عبر صراعات دائماً ـ لا يحمل الجنسية العراقية، ولا علاقة له بالوطن، كأن يكون إيراني الجنسية أو تركي الجنسية أو أفغاني الجنسية أو باكستاني الجنسية، والواقع الحالي في العراق يمثل مصداقاً صارخاً وفجاً لذلك، حيث نضطر إلى إعادة الأسماء الرباعية «المرجعية» المتحكمة بـ «الحوزة النجفية» والتي وقفت موقفاً معادياً وسلبياً من «مرجعيات الوطن»، الشهيد محمد باقر الصدر والشهيد محمد محمد صادق الصدر، بالإضافة إلى الأسماء العراقية الأخرى، و«المرجعية» الرباعية المتحكمة بالعراق هي: السيستاني الإيراني الجنسية، النجفي الباكستاني الجنسية، الفياض الأفغاني الجنسية، الحكيم «العراقي الجنسية الإيراني الأصل» ـ من أصفهان ـ أي انه «نصف عراقي» مثل ما عبرنا عنه سابقاً، وللأسباب التي شرحناها... ومع ذلك فقد «لا يحق» لنا أن ندرج اسم الأخير محمد سعيد الحكيم لأنه أصفهاني «نصف عراقي» مع الأسماء الثلاثة الأولى وباعتباره عراقي الجنسية، وباعتبار أن أسرته عراقية منذ حوالي الـ ٤٠٠ سنة، وهذا «كاف» لأن نستثنيه وأن لا نطلق التوصيف «الرباعي» لرموز «المرجعية العراقية» الحاضرة والمهيمنة، والتي تعايشت مع نظام صدام حسين وحرست بدبابات الاحتلال الأميركي للعراق عليه... علينا أن نستثني محمد سعيد الحكيم «النصف عربي ـ النصف عراقي».. وأن نبدل «الرباعي المرجعي» بـ «الثلاثي المرجعي» الذي لا يحمل الجنسية العراقية، ولا يعرف عن العراق شيئاً من قراه وأريافه ومدنه وحضارته وتراثه، ولولا تشبثه هو ـ محمد سعيد الحكيم ـ بذاته كما أشرنا إلى ذلك سابقا إلى القيادة «النسبية» التي أشهرها سلاحا على غيره من أولاد «المراجع» العرب، كما وضحنا تفصيلات ذلك، وحتى لو أسقطنا هذه التسمية «النصف عربي ـ النصف عراقي» عن السيد محمد سعيد الحكيم، فالأمر يبقى استثناء أيضاً، والاستثناء هو استثناء كما قلنا ولن يغير من واقع القاعدة شيئاً.

فـ «حوزة» النجف، بـ «مرجعها الأعلى» يكفي في بلد مثل العراق، وواقعه المغاير لـ «حوزة» قم، أن يجعل من «الحوزة النجفية» أنها ذات رموز عليا لا تحمل جنسية الوطن، ولا علاقة لها بالوطن، وبالتالي فإنها كـ «مؤسسة وحوزة» غير وطنية. إن الإمام الخميني، الذي أطلق مقولته الشهيرة «أنا لست نجفياً... أنما أنا

قمي»، والتي لا تعبر عن «عنصرية» ما، كما يعتقد بعض المغرضين والسذج، سواء كان مدركاً أم غير مدرك لأبعاد ما أسميناه «الحوزة الذكورية.. والحوزة النسائية»، كتوصيف أول لـــ «الحوزة» النجفية وتوصيف ثان لـــ «الحوزة» القمية... وسواء كان مدركا أم غير مدرك لكل التوصيفات المتناقضة الأخرى. إن هذا الإمام قد أطلق مقولته الشهيرة تلك، وهو مدرك تماماً لصفة «الوطنية» لـــ «حوزة» قم وصفة «اللاوطنية» لـــ «حوزة» النجف.. بغض النظر عن مشتركات «الحوزتين» في التعاطي الفكري والسياسي، وفي الدور الاجتماعي... وأدلة إدراكه هذا كثيرة، إلا أننا نذكّر بأحد هذه الأدلة، التي مررنا عليه في كتابنا «عراق بلا قيادة».. وهو دليل رفضه لمقترح كان السيد حسين الخميني ابن السيد مصطفى الخميني قد قدمه له في بواكير انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وذلك عندما أعطاه خمسة أسماء كلها «حوزوية» تقريبا، كقيادة إسلامية عراقية تقود المعارضة ضد سلطة صدام من إيران.. أجابه الإمام بعد أن اطلع على الأسماء الخمسة المقدمة إليه قائلا: «اينها همش فارسي هستند.. عرب كجا است» أي «هؤلاء كلهم فرس فأين العرب»، وكلامه يعني أين العراقيين؟ وهل من المعقول أن تكون القيادة «الحوزوية» لوطن عراقي غير عراقية؟ مع أن الأسماء الخمسة كانوا مقيمين في العراق قبل انتصار الثورة.. وهو ــ الإمام ــ يرى أن الإقامة في البلد شيء، وقيادة هذا البلد شيء آخر، وفق معايير الإسلام، فكان الإمام مشخصاً لـــ «حوزة» النجف وأمراضها وأزماتها، وسنأتي لاحقا وفي سياق هذا الكتاب على هذه الظاهرة وآثارها ومخاطرها. وأخيراً نذكّر فقط تذكير، باستثناء حصل في إيران في ما يرتبط بقيادة «المرجعية» اللاإيرانية، وهو استثناء يخص إيران كلها وليس فقط «المرجعية»، وذلك يعود إلى ما قبل أكثر من ستمائة عام، بداية الدولة الصفوية، التي تحول في ظلها الشعب الإيراني، من المذهب «السني»، إلى المذهب «الشيعي»، فاضطر الحكام الصفويين حينها، نتيجة رفض «مراجع» إيران التعاون معهم أن يستوردوا «مرجعا» من خارجها وهو الشيخ الكركي، وأن يحاولوا الاستعانة بـــ «مراجع» عرب آخرين، وهي مرحلة أخذت جدلها الخلافي في حينه، الذي لم يدم طويلا، ثم عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي في ما يخص إيرانية «المرجع» الديني.

الفصل الخامس

"حوزة" مؤثرة ..
"حوزة" متأثرة

التصدير المعرفي الرجالي
الاستيراد المعرفي الرجالي

وفقاً لما تقدم، وبناءً على الأمر الواقع التاريخي، الذي ارتبط بنظام «الحوزات» وزعاماتها.. وتأثير هذه الزعامات على الوطن كله في ظل «مؤسسة أو حوزة» وطنية أو لا وطنية... يمكن تصور فارق إضافي خطير يرتبط بالوطن ومصيره والأمة ومذبحها، فارق بين «حوزتي» قم والنجف، حيث أن «حوزة» لا وطنية ستكون «حوزة» متأثرة حاضنتها النجف «وحوزة» مؤثرة حاضنتها قم.. ويمكن تصور مكونات التأثير عبر: المكون الأجنبي الخارجي، إذ لم يعد هذا المكون الخارجي ودوره التأثيري في واقع «الحوزة» النجفية سراً من الأسرار، بعد كل ما مر به العراق من أطوار وأدوار، لهذه «الحوزة» في ظل زعامتها.. ونعني هنا بالمكون الخارجي.. هو المكون الأجنبي أو المكون الصليبي اليهودي العلني، وقد أشرنا في الفقرات المتقدمة إلى رموز «المرجعية» المتحكمين بـ «الحوزة» النجفية المحميين بالدبابات الأميركية، في ظل الواقع العراقي، الذي اختزن ألم الكون كله عبر تاريخه دفعة واحدة، وأصبح حاضنة لدمار وتفسخ اجتماعي وجوع، ومصادرة للكرامة الإنسانية، وتهديم لقيم اجتماعية، ومصادرة لرموز حضارية، وعدوانية على أرضه النبوية.. حلقات متواصلة مثلت خطاً ثابتاً لذلك كله خلال ما يقارب الثلاثين عام الأخيرة... خط تعتريه ذروات تدميرية عنفية قاسية... في ظل هذا الواقع العراقي الذي لا يزال قائماً ماذا

يعني أن يحمي الأميركان «رموز المرجعية» المتحكمين بـــ «الحوزة العلمية»؟... لا نريد هنا أن نعود إلى التاريخ ودور شاه إيران اللامعلن وبريطانيا وأميركا من ورائه، في «حوزة» النجف، وتأثيرهم جميعاً على هذه «الحوزة»، سواء في اختيار الرمز أو سواء في مهماته، فهذا ما أصبح معروفا للقاصي والداني، ولا نريد أيضاً أن نستعين بنصوص «بريمر»، ومذكراته[1] كثيراً في هذه الفقرة عن العراق، كوثائق للكشف عن حجم المؤثر الأميركي في «حوزة النجف».. و«حمية» الأميركان في حماية رموزها.... إذ لمثل هذه النصوص الوثائقية مكان آخر.. وإنما نريد أن نسلط الضوء

---

(١) في هذا الإطار علق السيد احمد الحسني البغدادي «المرجع» على بعض الأسئلة، التي وجهت له بشان كتاب «بول بريمر» وموضوعة السيستاني فيه، بما يلي: «باعتقادي أن هذه المذكرات البريمرية مهمة جداً لكشف قضايا وأحداث العراق في ظل الاحتلال الأميركي المباشر.. وكيف تعامل ــ أي بريمر ــ مع التابعين له من العراقيين سلباً وإيجابا، والأنكى من ذلك تكلم الشيء الكثير عن السيد علي السيستاني حول العديد من القضايا المثيرة للجدل، وطرح ثلاث قنوات سرية كانوا أعضاء ارتباط بينه وبين السيد السيستاني، وهم عماد ضياء (الخرسان)، وموفق الربيعي، وحسين إسماعيل الصدر، وكان بريمر لديه مستشارا سياسياً مخضرما»، «لقد سأله حول علاقته مع السيستاني، وقد أجابه (ما معناه): السيد السيستاني لا يرغب بلقاءات مباشرة معنا، وإنما يريدها سرا لا علانية بوصفها تسيء لسمعته ومصداقيته لدى مقلديه، لكنه في الواقع متعاون معنا، ويدعم مشروعنا، بل كلف أتباعه للتنسيق معنا، بل تحدث بريمر عن عشرات الرسائل التحريرية بينه وبين السيستاني حول قضايا كثيرة عن العراق، وعن المنطقة. بالنسبة إلى الأسماء الثلاثة، التي ذكرتها في هذه المذكرات ــ في ما يبدو لي وربما أنا على خطأ ــ أن هؤلاء يعتبرون السيستاني بالنسبة إليهم هو مرجعهم الروحي، وحين ينقلون هذه الرسائل المتبادلة يضعون السيستاني في صورة كاملة على كل ما يجري في الساحة العراقية؟ ما استعرضته في الواقع لا يتضمن أية إدانة شخصية للسيد السيستاني لأني لا ابحث عن خصومات أو عداوات، بل إني من طلاب الوحدة والتعاون، وكل ما أريد هو استئناف العزة والكرامة والسيادة لامتنا ووطننا، وفي سبيل هذا الهدف الأسمى ليس في ما أقوله إلا انطلاقا من الشعور بالمرارة حينما قرأت هذه الادعاءات سواء أكانت صدقا أم كذبا!!.. لكن حتى هذه اللحظات لم اسمع من السيستاني شخصيا تكذيب هذه المزاعم الخطيرة والمنافية ــ على ما أرى ــ لمقام المرجعية الرشيدة، ولا ندري بعد أن يطلع الإنسان المسلم المعاصر ماذا سيقول، وأنت تعلم ــ يا أخي أن التاريخ لا يرحم أحداً إطلاقاً». مجلة (الوعي)، بتاريخ ٢ / كانون الثاني/ ٢٠٠٨م.

على أميركا الحامية وصاحبة «الحمية» على رموز «الحوزة العلمية» انطلاقا من بعض وثائق مجلس الحكم، ومن الواقع القائم على الأرض في ظل الاحتلال الأميركي للعراق، فهل هنالك من أمي لا يعرف القراءة والكتابة، فضلاً عن المتعلم تلتبس عليه أسباب هذه «الحمية الأميركية» على سلامة رموز «المؤسسة الدينية» في العراق؟

وهل هناك أحداً من العراقيين اليوم يحتاج إلى إثبات بأن هذه «الحوزة» المحمية أميركياً، لم يكن لها دور حتى في الضغط على الأميركان لتخفيف معاناة العراقيين؟ وإذا كان من غير المعقول ـ على سبيل الافتراض ـ أن تطالب هؤلاء الرموز بمواجهة المحتل الذي يحميهم، فهل من غير المعقول أن نسأل عن علنية تحالف هؤلاء الرموز مع الأميركان، بما يكفل تمرير كل مخططاتهم على حساب العراق وشعبه، الذي وضحنا في ما سبق؟... وهل هنالك من علنية لهذا الدور أكثر من علنيته الحالية، وإذا كان هذا لا يعبر عن مؤثر خارجي صليبي يهودي في هذه «الحوزة» على سبيل الافتراض، فأي علنية إذن بإمكانها أن تجعل من «حوزة النجف» «حوزة» متأثرة ومسيرة صليبياً وأميركياً وبريطانياً؟

وإذا أراد أحد أن يعترض على ذلك، ويقول أن «حوزة» قم هي الأخرى متأثرة في هذا المكون الخارجي، فالجواب هو لا يبدو أن هنالك وجه للمقارنه بين هذا التأثير في «حوزة» النجف... والتأثير في «حوزة» قم... فلا أحد ينكر أن يد الخارج كانت ولا تزال ممتدة إلى «حوزة» قم سرا.. إلا أن الفارق بين التأثيرين فارق يكاد يكون كبيراً وجوهرياً... فـ «الحوزة القمية» لم تخضع كلها لهذا التأثير ـ على مستوى الرموز العليا ـ كما أن حجم وطبيعة هذا التأثير رغم سريته، إنه يختلف في عمقه وطبيعته وجوهره، وهذا إذا ما وجد، فإن «الرمز المرجعي» القمي المتأثر، لا يتأثر على حساب الوطن بالكامل، إذ لديه معايير «المناصفة» أو «المحاصصة» لما له ـ أي لوطنه ـ وما لغيره.. المحاصصة ليس بمعناها السائد العلني.. لا بل المحاصصة بمعناها النابع من ذات ومكونات الشخصية الإيرانية ـ مهما كانت أمينة أو «عميلة» ـ فهي شخصية ذات علاقة بالوطن والأرض.. وبالتالي فإن هذه الشخصية حتى عندما تكون في موقع «العمالة»، أو في موقع التأثر بقوى خارجية.. فهي بماهيتها

التربوية والتكوينية ذات علاقة خاصة بالوطن، وبالتالي فإنها تلقائياً ستأخذ من «صفقة العمالة أو التأثيرية» حصة هذا الوطن، مهما كانت نسبة هذه «الحصة»، ومهما كانت طبيعتها ومجالها، سواء كانت طبيعة أمنية أم اقتصادية أم سياسية...الخ، فيما أننا عندما نتحدث عن رموز «مرجعية» في «حوزة النجف» فعن أي وطن نتحدث، وعن أية «محاصصة»، وأية حصة لهذا الوطن؟ فإذا كانت هذه الرموز مستوردة أو وافدة، وغير منتمية «قانونيا» للوطن، ولا تحمل جنسية الوطن، وتتحكم بكل «الحوزة»، فهل يصح الحديث عن محاصصة أو حصة لهذا الوطن في أية صفقة من الصفقات؟. إن «حوزة» لا وطنية كما هي الحال في العراق كيف تتخذ قرارا وطنيا؟ وإن حوزة لا تعرف هذا الوطن، وغير مندكة فيه، ولا معرفة لها بواقعه السياسي والاقتصادي، فضلاً عن إنها فاقدة أصلاً للمنتج المعرفي الفعال الإسلامي والوطني، هل بإمكانها أن تدافع عن هذا الوطن حتى لو توفرت «نية الدفاع» الافتراضي؟

إذن هنالك بعدان يصبان في مقولة «الحوزة» المتأثرة و«الحوزة» المؤثرة، هما بعدان لهما علاقة بالانتماء للوطن، وهما بعد الطبيعة الشخصية والاجتماعية لكل من الشعبين العراقي والإيراني، وبعد الرموزيتين «المرجعيتين» لكلا «الحوزتين» النجفية والقمية... ففي البعد الأول... يتضح الفارق هائلاً في المواطنة ورسوخها في المجتمعين الإيراني والعراقي... ففيما أن العراق وصفناه أكثر من مرة بأنه بلد يعيش قلق المواطنة لأسباب ديمغرافية وجغرافية وسياسية وتاريخية ودينية متشابكة، فإن إيران بلد يعيش تماسك المواطنة، وتماسك الهوية، فهو على صعيد المواطنة، الذين لديه متصالح مع الوطن، ومسيل في نسيجه، بما يجعل الفكاك بين الاثنين أمراً محالاً... وعلى صعيد الهوية، فإن «الهوية الشيعية» للمجتمع هي هوية حافظة لهذا الوطن أيضاً، لأنها ذات لون واحد بالأغلبية شبه المطلقة للشعب الإيراني. هذا في البعد التكويني ـ الذاتي للشخصية الإيرانية، أما في البعد «الحوزوي»، فقد لاحظنا وحدة الهوية للرموزية «المرجعية» أيضاً، ولاحظنا تماسك المواطنة... وإذا كنا قد مررنا على قلق المواطنة في العراق، فإن الرموزية «المرجعية» و«الحوزة النجفية» هي «حوزة» لا وطنية، ولا يمكن الفصل بين لا وطنيتها كأحد الأسباب والأصول الخطيرة، وبين قلق المواطنة العراقي، فمن هو لا وطني سيقتل الوطن، وسيتسبب في

تدميره وبيعه في «البازار» السياسي الدولي، ولتصبح مقولة «البازار الاقتصادي» و«البازار السياسي»، مقولة متعاكسة في مفعولها على «الحوزتين» القمية والنجفية.. ففي قم «حوزة» تتكئ على «بازار مالي» ـ كما مر معنا ـ وغير متأثرة ـ والكلام ليس إطلاقيا ـ بـ «البازار السياسي»، وفي المقابل فإن «حوزة» النجف هي على النقيض، وضحية البازارين، فلا «بازار مالي» تتكئ عليه، فيما هي سلعة في «البازار السياسي الخارجي» في الوقت ذاته، ـ والكلام بالتأكيد ليس إطلاقيا ـ إزاء «الحوزتين»، فلا «حوزة» قم بازارها المالي والسياسي محصناً بالكامل، ولا «حوزة» النجف بازارها المالي والسياسي يلفها بالإطلاق.. إلا أن الفارق في التأثير بمقولة البازارين، فارق شاسع وكبير بما يجعل من «الحوزة» القمية مؤثرة ومصدرة للرجال «الحوزويين»، وبما يجعل من «الحوزة» النجفية «متأثرة» ومستوردة للرجال «الحوزويين».

هذا ما يمكن أن يبلوره رصد «الأمر الواقع» الذي سارت عليه «حوزة قم» في رموزها «المرجعية» العليا... وإذا أريد لهذا «الأمر الواقع» الملحوظ من قبل أي إنسان، ـ إذ لا حماية لهؤلاء الرموز الذين لا يحملون الجنسية العراقية المحميين بالدبابات الأميركية دون ثمن ـ إذا أريد لذلك أن يتعزز أكثر فلا بد من «وثائقية» ما تكرسه وتوضحه...

اهداف مشتركة
"بوشية ـ سيستانية" !!

وسنكتفي بوثائق مجلس الحكم الانتقالي ونظرته إلى دور السيستاني كـ «مرجع أعلى» غير عراقي.. ونحن نعتقد أنها كافية لهذا التوضيح والتكريس في مرحلة حساسة وخطيرة يعيش العراق في ظلها احتلالا أميركيا.. وسنضطر أن نقف على نصوص مطولة نسبيا من هذه المحاضر.

ففي جلسة مجلس الحكم الانتقالي بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٣، جاء ما نصه:

«عقد مجلس الحكم جلسته الاستثنائية ليوم السبت ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٣م برئاسة السيد جلال الطالباني رئيس الدورة الحالية لمجلس الحكم، وناقش المجلس الفقرات المدرجة على جدول أعماله وكما يأتي:

١ــ موضوع تأجيل زيارة وفد مجلس الحكم إلى الأردن: أشار السيد رئيس المجلس إلى أن سبب التأجيل كان فنيا حيث لم تتوفر طائرة لنقل الوفد وأن الطريق البري طويل ومحفوف بالمخاطر لذا تم الاتفاق على تأجيل الزيارة.

٢ــ قدم السيد رئيس المجلس إيجازا عن لقائه وبعض أعضاء مجلس الحكم مع الرئيس الأميركي بوش، خلال زيارته للعراق، وأشار السيد رئيس المجلس إلى انه لم يكن يعلم شيئا عن زيارة الرئيس الأميركي، وأن الرئيس نفسه أشار إلى أن زيارته سرية، ولم يعلم بها احد سوى زوجته، وذكر أيضاً أن الرئيس بوش التقى بوفد المجلس ورحب بهم وألقى كلمة مطولة تحدث فيها عن الأوضاع في العراق، وأن هنالك فرصة تاريخية لمجلس الحكم لقيادة البلد، وأن الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة، واستفسر من السيد رئيس المجلس عن زيارته للمرجع الديني السيد علي السيستاني، وطلب أن يبلغه أن التحالف يحترمه ويأخذ رأيه، كما أشار إلى أن التحالف باق في العراق، ولن يخيفه بعض الغوغاء والسفلة، وتمنى أن يراعي الدستور الجديد حقوق جميع مكونات الشعب العراقي، وأن رئيس المجلس أجابه بأن التوافق هو المبدأ السائد، وأن جميع الفئات ستتم رعاية حقوقها، وأن السيد السيستاني في طلبه لإجراء الانتخابات للمجلس الوطني، إنما يطلب الديمقراطية كما يطلبها الأميركان، وعقب الدكتور موفق الربيعي أن الرئيس بوش أكد على ضرورة نقل رسالة إلى السيد السيستاني يشير فيها، إلى أننا نصلي إلى نفس الرب، وأن أهدافنا مشتركة مع سماحته، وأننا نريد الديمقراطية، كما يريدها ونريد الازدهار كما يريده»[1]. على القارئ أن يتأمل بدقة اهتمام بوش «الصليبي» بالسيستاني ــ «المرجع الأعلى» واحترامه له!!!

---

(١) احمد الحاج هاشم الدفاعي، (العراق تحت الاحتلال، محاضر مجلس الحكم الانتقالي)، ج١، ص١٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ط١، آب ــ يوليو ٢٠٠٥م.

وحدة الهدف ــ كما يعبر عنها بوش ــ معه حول «الديمقراطية»!! وعليه ــ أي القارئ ــ أن يتأمل دلالات هذا الاهتمام لزعيم دولة محتلة إجرامية تقود حرباً ضليبية ــ يهودية على العراق بزعيم «الحوزة» النجفية. وفي نص آخر جاء، ما يلي:

«أوجز السيد رئيس المجلس تفاصيل لقائه مع سماحة السيد علي السيستاني فأشار إلى انه استقبله بحرارة ومودة وأنه عتب عتباً بسيطاً في أنه لم يؤخذ رأيه في موضوع الاتفاق الذي وقع مع التحالف وأن رئيس المجلس وعده أن يتم تأمين اتصال مباشر مع سماحته لوضعه في الصورة، وتمنى سماحة السيد أن يعلن رئيس المجلس للصحافة أن له تحفظ واحد حول المجلس الوطني الانتقالي، وأنه يشك في أن مجالس البلدية ومجالس المحافظات الحالية قادرة على إيصال عناصر ممثلة حقيقية للشعب العراقي، وأن أفضل طريق هو إجراء انتخابات وفق البطاقة التموينية، وأن الفترة كافية لإنجاز ذلك، وأبدى مباركته لما تمخضت عنه زيارة وفد المجلس إلى إيران وتركيا، وأبدى سماحته رأيه في موضوع العرب السنة، فأشار إلى أن قلبه معهم، وليطمئنوا بشكل كامل وأنه يريد لهم ما يريده للشيعة، وعقب عبد العزيز الحكيم فأشار إلى أنه خلال لقاءه مع السيد السيستاني، فإنه كان مطلعاً على الاتفاق، ولكن كان قلقاً وغير مرتاح ولديه نوع من الاستغراب حول هذا الاتفاق، وأن ملاحظاته تركزت في نقطتين:

ــ عدم الإشارة إلى الهوية الإسلامية في مشروع الاتفاق وضرورة أخذ ذلك بنظر الاعتبار.

ــ تغييب الشعب العراقي في مشروع الاتفاق، والاعتماد على آليات غير مناسبة وضرورة اعتماد آليات جيدة، تضمن تمثيل الشعب وأن يأخذ دوره في مثل هذه المسألة الحيوية. واقترح السيد رئيس المجلس وفي ضوء اللقاء مع سماحة السيد أن يقوم المجلس بين فترة وأخرى بزيارته وأن يقوم الأخوة في الحزب الإسلامي بزيارته أيضاً لأنه رجل منفتح ونظرته شمولية، وأنه يوكد على عدم العنف ضد قوات الائتلاف، وانه يؤيد حل المسائل بالحوار»[1]. وعلى القارئ أيضاً أن يتوقف على نص المحضر هذا الذي يصف السيستاني بأنه رجل «منفتح» ويؤكد على «عدم العنف

(١) المصدر نفسه، ص ١٤ ــ ١٥.

ضد قوات الاحتلال» وبالتالي موقفه المعادي لمقاومة هذا الاحتلال، وفي جلسة ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٣م جاء، ما يلي: «عقد مجلس الحكم جلسته الاعتيادية (٧٥) ليوم الأربعاء ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٣م، برئاسة السيد عبد العزيز الحكيم رئيس الدورة الحالية لمجلس الحكم وبحضور السفيرين بول بريمر وجيرمي غرينستوك.

١ــ افتتح السيد عبد العزيز الحكيم الجلسة ورحب بالسفيرين، واعتذر عن تأخره لبعض الوقت لأن هناك مشروعا لبناء شقق سكنية وطلب منه وضع الحجر الأساسي له.

٢ــ تحدث السفير بول بريمر وأشار إلى انه يود أن يهنئ بعض أعضاء المجلس للاجتماع، الذي عقدوه في مدينة البصرة، حيث شارك ٢٠٠ شخص في هذا الاجتماع، الذي استغرق ثلاث ساعات، وطرحت أسئلة في ذلك الاجتماع بشأن اتفاق ١٥ / ١١ / ٢٠٠٣م. ويعتبر هذا الاجتماع واحداً من ثلاثة اجتماعات مبرمجة، وسيليه اجتماع في الموصل وبغداد، وأعرب عن أمله في مشاركة جميع أعضاء المجلس في هذه الاجتماعات لإعطاء الدعم للاتفاقية، فالناس تحتاج إلى معرفة أكثر عن الاتفاق ويرغبون في رؤية أعضاء المجلس وهم يؤيدون هذه الاتفاقية. وتحدث القاضي وائل عبد اللطيف وأشار إلى أن النقطة الأساسية، التي أثيرت من اغلب الحاضرين خلال الندوة هي: لماذا هذا العدد الذي تم اختياره؟ ولماذا نلجأ إلى اختيار عناصر محددة ولا نتبع الطريقة الديمقراطية كما طرح السيد السيستاني؟ وأشار القاضي وائل إلى أنه أجاب عن هذا التساؤل بأن هذه المسائل ليست نهائية، وإنما أفكار أولية قابلة للنقاش، وحول مسألة الانتخابات العامة طبقا لرؤية السيد السيستاني فإن هناك تطوراً، ففي حال بيان الأمم المتحدة عدم إمكانية إجراء هذه الانتخابات، فيصار إلى اختيار أسلوب آخر، وأشار إلى أن هناك أحزاباً غير ممثلة في مجلس الحكم، وترجو أن يكون لها صوت في المجالس البلدية، وطرحت مشاريع مهمة مثل تشكيل مجلس سياسي يأخذ على عاتقه ضم كل الأحزاب ويكون سلطة فوق سلطة الإدارة في المحافظة. وعلى العموم فإن الرأي العام متجه إلى الاستقرار»[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٤ ــ ١٩٥.

وفي نصٍ آخر: «تحدث الدكتور احمد الجلبي وأشار إلى أنه لا يفيد الآن الدخول في عتاب وخلاف حول ما حصل، فنحن هنا في وضع شراكة مع سلطة الائتلاف المؤقتة، للعمل سويا لإنهاء هذه اللحظة التاريخية في العلاقة بين العراق والولايات المتحدة وبريطانيا، وليس فقط في ما يتعلق بالعراق، بل لحظة تتعلق بتوجهات العالم العربي والإسلامي في علاقاتهم مع الغرب، فنحن نصنع التاريخ، لذلك فلا ندخل في أمور صغيرة، وأشار إلى أنه يود أن يدافع عما فعله السيد رئيس المجلس، فلم يكن هناك تسرعا في توجيه الرسالة، فرئيس المجلس السابق بعث رسالة إلى كوفي عنان يطلب فيها الأمور نفسها ولم تثر حولها مشكلة، وذكر انه يعتقد أن اتفاق ١٥ / ١١ هو اتفاق نافذ وافق عليه المجلس بشكل أصولي، ونحن نعمل ضمنه، وإذا كان هناك تقصير فهو مشترك، يعتقد الجميع أن الآليات التي طرحت لاختيار المجلس الوطني الانتقالي، بحاجة إلى تطوير من ناحية قبول هذا المجلس وشرعيته من قبل الشعب العراقي، ونحن يجب أن لا نعلق هذه النقطة بل يجب الانتهاء منها، لأنها قضية خطيرة تجلب لنا المشاكل في المستقبل، فهذا الاتفاق بغض النظر عن طريقة اختيار المجلس بحاجة إلى تقوية لتعزيز الشرعية، وذكر أنه لا يريد أن يخاتل في قضية شرعية هذه المجالس، وأنه يجب علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار القوى الأساسية في المجتمع المدني العراقي، التي لها رأي قوي في الاتفاق، فنحن وسلطة الائتلاف المؤقتة محظوظون لوجود قائد مثل السيد علي السيستاني في المجتمع المدني العراقي، لأنه قام بدور إيجابي في الحد من العنف وتعزيز مقبولية مجلس الحكم في العراق، ويجب استثمار هذا الوجود، وسلطة الائتلاف المؤقتة على ثقة أن السيد السيستاني يتمتع بتأثير كبير في المجتمع المدني العراقي، وهي على اتصال به من خلال العراقيين العاملين لديها، ونحن كمجلس حكم نتصرف وفق أسلوب الاتفاق والتفاهم

بيننا»[1].

لا أعرف بالضبط إذا كان العراق «محظوظاً» بالفعل بوجود مثل «المرجع السيستاني» كما يعبر عن ذلك الچلبي للأسباب، التي أدرجها في نصه، فعلى القارئ أن يكشف هذا «الحظ» بنفسه، وأن يربط كلامه هذا بعلاقاته القديمة ـ قبل احتلال العراق مع فضل الله ـ، وتبادل الرسائل والمعلومات السرية، التي مررنا على بعض تفاصيلها في ما مضى!!

و«تحدث د. إبراهيم الجعفري، فقال: كنت أمل أن اسمع شيئا عن إشكالات في مضامين الرسالة، فالمضامين ليس فيها شيء جديد، لأنها استكمال لمباحثاتنا مع السلطة، لا توجد ملاحظات أساسية على المضامين. المفروض أن يكون هناك تنسيق بين الطرفين، ولكن يجب إعطاء مصداقية للحالة الديمقراطية لمجلس الحكم الذي دخل في فضاءات مهمة، كالأمم المتحدة، والجامعة العربية، والمؤتمر الإسلامي، وهذه نجاحات يجب أن تفتخر فيها السلطة.

لا يمكن لمجلس الحكم أن ينكر الموقف التاريخي الحساس للسيد السيستاني. فما معنى المجتمع المدني؟ أنه يعني أن نقف على كل بؤرة للمؤسسات المتعددة في المجتمع، ونجعل اتجاهها كما ينبغي لتأسيس الدولة، ورجل بحجم مرجعية السيد السيستاني، عندما يستقبل أعضاء مجلس الحكم فهذا فيه قوة للمجلس وأن السيد السيستاني لا يتدخل في التفاصيل، وحبذا ولو كان تطويرا للنقاش، فهيئة الرئاسة موجودة وهذا أمر مفروغ منه، والوكيل كالأصيل ويتحمل المسؤولية مثله، والأصل هو الانتخاب، وغير الانتخاب يحتاج إلى تبرير، وإدخال الأمم المتحدة كسب لنا وللتحالف، وبريطانيا والولايات المتحدة موجودتان في الأمم المتحدة، فما الضير في إشراكهما»[2].

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٧ ـ ١٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

السيستاني
و"صناعة" التاريخ العراقي !!

فعلاً إنه موقف «تاريخي» للسيستاني كما يصفه الجعفري، وكما التقط ذلك قبله احمد الچلبي عندما قال:

«كنا في لحظة نصنع فيها التاريخ» وتوحد الرجلان حول «لحظة التاريخ ومرجعها السيستاني»، لا يعدو أن يشكل انعطافة خطيرة وحقيقية، بالنسبة لتاريخ «الحوزة» كما يمثلها السيستاني إزاء المحتل الأميركي، إذ لعل في هذا «التوحد التاريخي» علاقة لا يدركها الرجلان حول تاريخ النجف وتاريخ العراق، ونهاية التاريخ، وهذا ما سنأتي على إشاراته في فصول الكتاب اللاحقة، إلا أننا ندعو القارئ أيضاً إلى التوقف عند ملابسات «الجعفري، فضل الله، السيستاني»، والعلاقات «الايجابية» اللامعلنة، التي أوجدتها هذه الملابسات بين حزب الدعوة الإسلامية، والسيستاني.

و«تحدث الدكتور موفق الربيعي فذكر أن موضوع هيئة الرئاسة وعلاقتها بالمجلس نوقش يوم أمس، وهذا الاجتماع غير مناسب لمناقشته مجددا، وشكلت لجنة لهذا الموضوع، أما موضوع الرسالة فكان ينبغي أن يسود مبدأ الشراكة الاستراتيجية مع السلطة، والذي أقر يوم ١٣/ ٧ / ٢٠٠٣م، أما اتفاق ١٥ / ١١ فنحن ملتزمون به، نروج له، ولكن لا يختلف اثنان أن هذا الاتفاق فيه مساحات غير متفق على تطبيقها بالوسائل والآليات التي وردت فيه.

وشكلنا لجنة لحل هذه المشاكل ولم ترجع إلينا بأفكار حول ذلك، وهذا التلكؤ يشكل هماً على المجلس والسلطة.

والمفروض بالسلطة أن تحاول هي أيضاً تقديم الأفكار الخلاقة لحل هذه المشاكل

قبل ٨ / ٤ / ٢٠٠٣م، بدأنا بمصداقية بمستوى صفر، ثم تصاعدت هذه المصداقية والمفروض أن تزداد هذه المصداقية في ١ / ٧ / ٢٠٠٤م، وليس العودة إلى نقطة الصفر، وأفضل شيء يعطي هذه المصداقية هو الانتخابات والتي إذا لم تكن ممكنة، فالبحث عن طريق آخر يعطي هذه المصداقية، ومع الأسف نحن تباطأنا بالعمل مع هذه الآلية، والوقت يمر، وسنكون أمام الأمر الواقع، وهذه سياسة مستحيلة، فعلينا المسارعة وقبل نهاية كانون الثاني ٢٠٠٤م أن نتفق على آلية مفصلة من أجل تطبيق المساحات غير الواضحة في الاتفاق، لا يتدخل السيد السيستاني في الوضع السياسي، وساعد الشعب في قضيتين:

١ــ إن شريحة واسعة من الشعب وضعها هادئ وتحت السيطرة ونحن محظوظون لوجود مثل هذه الشخصية بيننا ونشكر الله على ذلك والسلطة أيضاً.

٢ــ عدم معارضته لمجلس الحكم أعطاه مصداقية وشرعية وسهل عمله وأبقاءه في الوجود.

ولنتصور لو أنه قال ان مجلس الحكم غير شرعي، وأشار إلى أن هناك قضية إجراء حول الرسالة، وهي أن رئيس المجلس سار على نظرية (الاستصحاب)، فقد استصحب اعمال الذين سبقوه وتفاصيل الموضوع عرضت وأقرت في هيئة الرئاسة، وهي قضية شكلية، فالمهم لا يوجد لدى أي من الاخوة اعتراض على محتوى الرسالة، عدا د. عدنان الباجه جي، والمهم الآن كيف نحتوي السلبيات التي أثارتها الرسالة على حلفائنا وأصدقائنا؟

وما هي الطريقة لمساعدتهم على تجاوز هذه القضية؟ كيف سنتعامل معها منذ الآن وحتى ١٩ / ١ / ٢٠٠٤ وتحولها إلى عمل ايجابي»[١].

ليلاحظ القارئ «وحدة الحظ» لهذا العراق، فقد أطلق الجلبي حظ العراق من خلال مواقف السيستاني، وانضم إليه بمقولة الحظ موفق الربيعي لتتشكل «وحدة حظ إسلامية علمانية» تضاف إلى وحدة التشخيص «الإسلامي ــ العلماني» لانعطافه التاريخي،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١.

لكل من الچلبي والجعفري، وتحت مسمى السيستاني ووجوده!!

وقد «تحدث الدكتور عدنان الباجه جي، وذكر أنه يود التعليق على ما قاله د. إبراهيم الجعفري، هو أنني لم أتطرق إلى مضمون الرسالة، فأنا تطرقت إلى المسألة الأساسية، وهي أننا إذا اردنا أن نلتزم بالجدول الزمني ولا نؤخر نقل السيادة إلى العراقيين فيجب تجنب أي شي يؤخر هذه العملية، والطلب من الأمين العام إرسال لجنة سيؤخر العمل.

وهذا ما قاله الأمين العام نفسه، حيث سئل فقال إننا متفقون جميعاً، إن إقامة حكومة عراقية مؤقتة وتسليم السلطة لها مسألة مستعجلة جدا، وإذا كنا سنلتزم بتاريخ نهاية حزيران، فلا أعتقد أن لدينا الوقت الكافي لتنظيم انتخابات عادلة وحقيقية بالنظر للظروف الراهنة في العراق، هذا رأيه ويجب أن نقبله، هذه وسائل للتأخير، وإذا أردتم تأخير نقل السلطة فهذا هو الأسلوب، أنا أول شخص يريد الانتخابات، ولكن هل ممكن أن ننجزها، علينا أن نختار بين الالتزام بتاريخ حزيران أو اتخاذ إجراءات تؤخر العملية، وأنا شخصياً لا أرى من المصلحة اقحام السيد السيستاني في هذه المواضيع، فنحن نكن له كل الاحترام والتقدير، وله مكانة خاصة في قلوب العراقيين دون التفريق بين الطوائف، وأنا متأكد لو أن الأمور وضحت له فسيقتنع، وأنه يفضل أن تنتقل السلطة من دون انتخابات على أن ينتظر سنتين أو ثلاث، وأنا شخصيا في نيتي أن أوضح له في أول فرصة ذلك لأني اعتقد أن الأمور لم توضح له بشكل دقيق. وعقب السيد عبد العزيز الحكيم أن السيد السيستاني لا يريد أي تأخير في نقل السلطة، وأن اخذ رأي الأمم المتحدة كان لبيان إجراء الانتخابات أو عدمها»[1].

و«تحدث الدكتور عادل عبد المهدي وتمنى أن تكون هذه آخر الأزمات هذا العام، وبحث موضوع الهيئة الرئاسية في المجلس أكثر من مرة، ونحن في العملية السياسية نتوخى الواقعية التمثيلية، وهناك في المجلس حالة من الواقعية التمثيلية فبعض الأخوة عندما لا يحضرون الاجتماعات، يقولون لم نبلغ بينما كل القضايا تطرح في المجلس

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢. بتصرف.

وهيئة الرئاسة، ولنترك الحالة الشكلية فأنا أوافق أنه إذا حدثت مشكلة فيجب إيجاد الحلول، وبالمناسبة لدور الأمم المتحدة شكلت لجنة لمناقشة اتفاقية ١٥ / ١١، وأحيل الأمر إلى مجلس الحكم الذي أحاله إلى الهيئة الرئاسية، والأدوار الخمسة التي اتفق عليها أن يفاتح الامين العام لإرسال مندوبيه للاشتراك مع مجلس الحكم والسلطة للمساعدة في مجمل العملية لمنحها أقصى درجات الشفافية والمقبولية الدولية، وأجابت السلطة أنها توافق على ذلك، وقدمت نسخة بالانكليزية بهذا النص.

فلا يوجد إذن خط جانبي يعمل خارج الخط الرئيسي الذي أقره مجلس الحكم، والذي يتفاوض به مع السلطة بكل شفافية.

ونحن في نفس السياقات المقرة، وهذه اللجنة تأخرت لثلاث أسابيع ويجب أن تعود للعمل فورا، لإنجاز الخيارات التي ستتبناها بشكل نهائي لدفع العملية السياسية إلى الأمام، والدكتور عدنان الباجه جي، لا يريد عرقلة العملية والجميع كذلك، والسيد السيستاني كذلك، ولكن لدينا اتفاق أن نعمل بخط مواز، ومن خلال المفاوضة مع السلطة لإجراء عملية اصلاح المحافظات، وترتيب العملية الانتخابية، وما يقوله السيد السيستاني يمثل الملايين، وعندما نتكلم عن الشفافية والتمثيلية فيجب أن نأخذ ذلك بنظر الاعتبار، وإلا سنقف بالضد من إرادة شعبنا ولا يوجد عمل من خلف الظهر، ولا محاولة للتحدي وإنما طمأنة قوى شعبنا وقوى المجتمع المدني، والسيد السيستاني فإن كلمته ستكون نافذة لأنه إذا قال كلمة سلبية فستكون المشاكل التي سيثيرها للسلطة أكثر من المشاكل التي أثارتها الرسالة.

نحن حريصون على ترضية شعبنا وأن نشرح لهم باستمرار لماذا نقوم بهذا العمل، والأهم كيف نسعى ونحن غير منتخبين أن نعكس تمثيل الشارع العراقي»[١].

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

"مرجعية السيستاني"
"نفوذ مليوني" !!

وما يمكن أن يقال هنا هو أن المجلس الأعلى، هو زعيم «الجوقة» الهاتفة باسم «المرجعية» ذات النفوذ المليوني دائماً، ويعود هذا الهتاف إلى اللحظة، التي احتكر فيها الراحل محمد باقر الحكيم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق كثروة «أسرية» له ولعائلته، مستغلاً بذلك أطروحة «ولاية الفقيه» التي طغى التمسك بها بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران كأطروحة «مفضلة» لدى الإيرانيين للتملق لديهم، وكـ «معيار» للعمل الإسلامي الحركي «الصحيح» بدلا من الطرح الحزبي الذي كان سائدا قبل تجربة الإمام الخميني.

وقد استغل باقر الحكيم ذلك التحول استغلالاً بشعاً، وحول صراعاته كلها مع الإسلاميين الآخرين على أساسه، مع أن إرثه وإرث أبيه «الفقهي ــ السياسي»، لا علاقة له إطلاقاً لا بـ «ولاية الفقيه»، لا بشكلها «المطلق»، ولا كـ «ولاية حسبية»، ولا تحت أي عنوان من عناوينها الأخرى، ولقد مررنا على العلاقة، التي حكمت أسرة الحكيم مع الإمام الخميني، عندما كان مقيما في النجف، وهو أكثر الفصول أهمية وحساسية في تاريخ العراق المعاصر، والتداخل «الالتباسي» بين «الحوزتين» القمية والنجفية، ولم تقتصر علاقة المجلس الأعلى بـ «المرجعية»، على العلاقة «التملقية» بإيران، وإنما ارتكزت أيضاً على محاولة للتأسيس المسبق لـ «مرجعية» محمد سعيد الحكيم، كمشروع مستقبلي «استباقي ــ احترازي» على ضوء ما انتهت إليه علاقة محمد باقر الحكيم مع إيران بعد أحداث «مسجد أعظم»[1]، الأمر الذي أثار في حينه

---

(١) جاءت احداث «مسجد أعظم» على اثر استشهاد محمد محمد صادق الصدر، وانعكاساتها على ←

حساسية الإيرانيين من نشاط الأسرة الحكيمية قبل احتلال العراق، في خارج إيران، رغم أن الأسرة الحكيمية كانت منشقة على ذاتها في مبنى العمل السياسي، وعلاقة الدين بالسياسة، ولا يزال هذا الانشقاق قائما بينهما، إلا أن نفوذ هذه الظاهرة «المؤقت» بعد احتلال العراق، ساعد على إخفاء بعض معالم هذا الانشقاق. ومع ذلك فان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح فيما بعد. على أية حال:

«تحدث الدكتور حاجم الحسني وأشار إلى ثلاث قضايا:

١ــ أنه يؤيد القاضي وائل في مسألة الآلية فليس المشكلة في أن الرسالة كتبت ولكن المسألة في أنها يجب أن تكتب وتعرض، ففي مثل هذه القضايا المصيرية فإن أعضاء المجلس الخمسة والعشرين من حقهم قراءتها قبل إرسالها، ولا أقصد هذه الرسالة بالذات بل كل ما كتب سابقا وما سيكتب لاحقا.

٢ــ أؤيد الدكتور عدنان الباجه جي بأن هذه المسألة قد تؤدي إلى تأخير إعادة السيادة إلى العراق بسبب البيروقراطية في أجهزة الأمم المتحدة.

واقع العراقيين المقيمين آنذاك في إيران، ولقد ناقشنا ذلك في كتابنا (محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغييري ووقائع الاغتيال)، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٥. وجاء فيه: «ومع ذلك فان الجميع توحدوا في استنكار اغتيال الصدر الثاني، إلا ان هذا التوحد جاء متأخراً ويعبر عن تتويج قسري أو غير طبيعي للمواقف فرضه حادث الاغتيال، إذ ان زمن ما قبل الحادث اختزن تناقضاً حاداً بين مواقف الحركات والأحزاب بين داعم للظاهرة ومحارب لها، واختزن تناقضاً حاداً في سياسة المحاربين لها وبين موقفهم من الاغتيال، وموقفهم قبل الاغتيال، الأمر الذي انعكس على شكل احتجاج عنيف من قبل العراقيين في إيران ضد البعض لاسيما ضد المجلس الأعلى للثورة الإسلامية. الذي تعرض زعيمه السيد محمد باقر الحكيم الى الضرب والتنديد به وبعائلته، ولقد تناقلت الصحافة العربية تفاصيل ما حدث من شعارات منددة رددتها التظاهرات العراقية في مدينة قم، ورددها العراقيون كذلك في (مسجد أعظم) في حرم السيدة معصومة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) في مجلس الفاتحة الذي أقامه مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران آية الله السيد على الخامنائي بمناسبة استشهاد الصدر الثاني. ولقد أدت هذه الأحداث الى اعتقال عدداً من العراقيين وإطلاق سراحهم فيما بعد، كما ان أسبابها واتجاهات تلقيها والتفسيرات التي قيلت بصددها وتقدير اعداد المتظاهرين الذي رددوا الشعارات المنددة، قد اختلفت وتعددت».

٣ــ أشار إلى أن لديه مشكلة في تحديد المجتمع المدني، تطرق الأخوة إلى موقف السيد السيستاني ونحن بحاجة إلى مناقشة هذه المسألة، ماذا يمثل مجلس الحكم؟ ماذا يمثل السيستاني؟ كلمة بحر العلوم الذي أحبه واقدره ــ أن جميع الأخوة الشيعة في المجلس لن يخرجوا عن رأي السيد السيستاني، نحن بحاجة إلى مناقشة هذه المسائل، والتي معناها أن أية مسألة يجب أن نرجع فيها إلى السيد السيستاني مع احترامنا وإجلالنا له. هذه مسألة سياسية متعلقة بمستقبل العراق والديمقراطية.

فإذا كانت المسألة هي المرجعية، فكان من المفروض أن نأتي بالسيد السيستاني ونجعله رئيسا للمجلس، وكذلك الحال بالنسبة لــ (المرجعية السنية)، أنا أعتقد أنه يجب الاهتمام بالمجتمع المدني، و(المراجع السنية والشيعية) وغيرهم من الطوائف، والاتفاق معهم بشأن قضايا العراق، وهذا هو الأساس في الرجوع إلى المجتمع المدني في الاتفاق الذي حصل، فأرجو أن لا نحصر هذه المسألة في جزئية من جزئيات المجتمع المدني، وأطلب تخصيص جلسة أو جلسات لبحث هذا الوضع السياسي في العراق.

وعقب السيد محمد بحر العلوم فأشار إلى أنه لم يقل أن السيد السيستاني يتدخل في كل شيء، ولكننا عندما يفتي المرجع فنلتزم به.

وهو لم يتدخل إلا عندما يطلب المواطنون، والسيد السيستاني أيد المجلس تأييدا كاملاً وهو يريد أن يشارك أكبر عدد من المواطنين في العملية السياسية.

تحدث الشيخ غازي الياور وأشار أن لدينا إشكالية في موضوع التنسيق بيننا كمجلس للحكم وعلاقتنا مع سلطة الائتلاف، ويجب أن ننظر بايجابية إلى كيفية تحسين هذا التنسيق، دور الأمم المتحدة مطلوب وقد اختفت من الساحة العراقية بسبب الأحداث.

والسيد السيستاني كلمته سيف علينا كلنا إذا أردنا أن نعيش كبيت واحد، ولكنه كمرجع ديني يبحث عن الحل الأمثل، وواجبنا كأناس متحملين الأمانة أن نشرح ونأخذ الحلول المناسبة للواقع، والسيد السيستاني أظهر مواقف جديرة بالاعتبار وفي ساحة مليئة بالمغالاة في الفكر الإسلامي. تعامل معنا بمرونة، وهذا موقف لا ننساه وهو يترك الباب مفتوح للحل الوسط فلتوضح له الصورة لحل الموضوع.

وعقب السيد عبد العزيز الحكيم فأشار، لا نريد أن نعود إلى دور السيد السيستاني وشيء جيد إذا خصصت جلسات لتوضيح هذه الأمور»[1].

وفي نص آخر من هذه المحاضر جاء «ولنقل بصراحة إننا فشلنا في ذلك، وصدر القرار ١٤٨٣ واعتبرناه جائرا، والقرار يسلب العراق سيادته واستقلاله وحق التصرف في أمواله، ويعيده إلى وضع الانتداب، لذا كان موقفنا سلبيا ولكنه ليس عدوانيا، ثم اقترح علينا تشكيل مجلس استشاري ورفضنا، إلى أن تم اقتراح صيغة مجلس الحكم، وتساءلنا من سيعينه، وما هي مهامه، فقالوا أنتم تشكلونه وقد نقترح بعض الأسماء وبالفعل تم ترشيح ٢٢ مرشح من قبلنا، ورشح التحالف ٣ فقط وشكل المجلس على هذا الأساس، أي اننا لم يعيننا الأميركان أو الانجليز.

نحن عينا أنفسنا وطلبنا صلاحيات لتعيين الوزراء وإقرار الميزانية، ووضع الدستور تدريجيا، زادت صلاحياتنا كتعيين الدبلوماسيين والتعاقد مع الدول، وصدر القرار ١٥١١ الذي اعترف بمجلس الحكم، بعد ذلك بذلنا جهودا للاتفاق مع التحالف، وكان اتفاق ١٥ / ١١ لاستعادة السيادة ولكن كان هناك نقطة خلاف حول تشكيل المجلس الوطني الانتقالي وكيف سيشكل ليكون ممثلا للشعب العراقي، وكان هناك رأي أنه يشكل من خلال الانتخابات وكنت مؤيداً لذلك، وأعتبره أفضل وسيلة، ولكن أعتقد بدون وجود إحصاء، فإنه غير ممكن، ولكن يمكن إجراء تعداد عام للسكان للتعرف على القادرين على التصويت ومعرفة تركيبة الشعب العراقي، ولكن حدث تباطؤ في إجراء ذلك، ولم نهتم به كما كان مطلوباً، لأن لا خلاف على الانتخابات، ولكن تبقى مسألة هل هي ممكنة الضمان أم لا، هناك من يعتقدون بإمكانها وآخرون لا يرون ذلك، أنا قابلت السيد السيستاني وأعتبر وجوده نعمة للعراق، أنا رجل سني ولكن اعتقد ان السيد السيستاني رجل منفتح يؤمن بمحدودية عمل رجل الدين في السياسة، ويؤمن بالتعددية القومية والدينية ولو كان لدينا بدله رجل متعصب فلنتصور ماذا يمكن

(١) احمد الحاج هاشم الدفاعي، (العراق تحت الاحتلال، محاضر مجلس الحكم الانتقالي)، ص ٢٠٤ ـــ ٢٠٥، مصدر سابق.

أن يحدث»[1]. أن مدائح بوش الأميركي الصليبي «اليهودي»، ومدائح «القادة» العراقيين التي تضمنتها[2] النصوص المطولة السابقة، مع تأثيرات دعم السيستاني لمجلس الحكم، الذي عينته أميركا، وتوصيفه في مثل مرحلة الاحتلال ببداياتها بأنه «نعمة وحظ يعد للعراق والعراقيين»... «ورجل التاريخ»...الخ من التوصيفات الآنفة الذكر، كافية في هذا الإطار على خطورة الدور، الذي لعبه السيستاني، هو أيضاً «ضد

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١٨.

(٢) كان موقف السيستاني في تأييده لمجلس الحكم، وثم دور الأمم المتحدة يحتاج إلى إخراج مسرحي يتداوله «السياسيون العراقيون» لكي لا يظن «العلمانيون» بأنه ـ السيستاني ـ دمية بيد الأميركان، ولذا سرعان ما انتهى هذا الاخراج المسرحي لدور السيستاني «المعارض» الذي تضمنته نصوص مجلس الحكم المطولة وكتب بول بريمر بعدها قائلاً: «عندما عدت إلى بغداد، حصلنا على الأنباء السارة بأن العضو القيادي في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الدكتور عادل عبد المهدي، سافر إلى النجف في ١٣ / تشرين الثاني / نوفمبر بطلب من طالباني. وقد أخبرني طالباني بأن عادل أطلع آية الله السيستاني، على العملية الجديدة وأن السيستاني وافق عليها. وأضاف طالباني بأنه انتقل شخصياً إلى كربلاء، المدينة الشيعية المقدسة الأخرى، قبل ذلك بيوم. والتقى بعدد من آيات الله الأدنى مرتبة، وكانوا مسرورين بالخطة الجديدة. وقد أكد ذلك ما قيل لنا عدة مرات ـ أن السيستاني والشيعة المتدينين سيسيرون مع أي عملية سياسية تؤدي إلى دستور تضعه هيئة منتخبة. ومن جهة أخرى لم يكن فريق إدارة الحكم لدينا سعيداً بإسقاطنا الانتخابات التي تفضي إلى الحكومة المؤقتة. لكن كما عملوا، لم يعد خبراء الانتخابات لدينا واثقين من إمكانية إعداد الانتخابات في الصيف. لذا أبلغتهم، (كفى حزناً) وذكرتهم بأن السياسة هي فن الممكن (إذا لم نتعلم شيئا في الأشهر الستة الأخيرة، فقد تعلمنا هذا المثل كل يوم). مساء ١٤ تشرين الثاني / نوفمبر، التقيت ثانية بأعضاء المجلس الرئاسي التسعة لمجلس الحكم في منزلي. ومثل الدكتور عادل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق لأن قائد الحزب خارج البلد. راجعت خريطة الطريق الجديدة وشكرتهم على دعمهم وشكرت طالباني على قيادته. سرت قيادة مجلس الحكم سروراً كبيراً. وأفاد عادل بأن السيستاني وافق على العملية الجديدة. وتم الاتفاق على أن يعقد الطالباني اجتماعاً لمجلس الحكم بأكمله في صباح اليوم التالي لبحث المسار الجديد ـ وإقراره على ما نأمل. وبعد ذلك يمكنهم دعوتي وزميلي البريطاني ديفيد ريتشموند، للاجتماع بمجلس الحكم بأكمله عند الظهر تقريباً على أن يتم الإعلان عن ذلك أمام الصحافة في الثالثة بعد الظهر». السفير بول بريمر، (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غدا مرجو)، مصدر سابق.

الإرهاب» وضد مقاومة المحتل.. كما وضحت ذلك النصوص المارة، ثم بروز خطورة هذه المفارقة بين «حوزة» قم و«حوزة» النجف، واعتبارنا لها على أنها «حوزة متأثرة» وليس مؤثرة كـ «حوزة قم»، تحت عنوان الوطن والمواطنة، فمن لا ينتمي لهذا الوطن «قانونياً» سيدير مصير هذا الوطن نيابة عن «الحوزة» بالطريقة، التي وضحتها نصوص محاضر مجلس الحكم الانتقالي في العراق في ظل احتلاله أميركياً.

"مرجعية السيستاني"
الدور الايراني !!

أما المكون الآخر، الذي يشكل أحد منظومة المكونات في مقولة «الحوزة المؤثرة والمتأثرة» هو المكون الإقليمي... وهنا يبدو الفارق واضحا أيضاً في دور هذا المكون بين «الحوزتين» النجفية والقمية... فإذا ما أخذنا الأمر على صعيد سلطة الدولتين الإيرانية والعراقية منذ انهيار الدولة العثمانية، وحتى نهاية سلطة صدام حسين في العراق، فسنجد أن السلطة الإيرانية كانت ذات دور وتأثير على «الحوزة» النجفية بدء من رضا خان وشاه إيران ـــ محمد رضا بهلوي ـــ وانتهاء بنظام الجمهورية الإسلامية، وقد مررنا كثيراً على مصاديق هذا التأثير منذ عهد رضا خان ومن بعده الشاه على رموز هذه «الحوزة» العليا، وبالإمكان العودة إلى الفصل الأول في كتابنا «عراق بلا قيادة» للاطلاع على معادلة هذا التأثير السلطوي الإيراني على «حوزة» النجف... أما ما يرتبط في عصر الثورة الإسلامية في إيران، فالتأثير أخذ أنماطاً وإشكالاً متعددة، فسلطة الثورة ما بعد الإمام الخميني مارست هذا التلون النمطي التأثيري بشكل واضح في حوزة «النجف».

والعقل السلطوي الإيراني ما بعد مرحلة الإمام الخميني انسجم مع قدرته السياسية،

أو «مرونته» السياسية في استيعاب «المواقع المرجعية» الموضوعة كمشاريع ضدية له خارج وداخل النجف.. وثم تحويل هذا الاستيعاب إلى «تعايش» لصالح السياسة الإيرانية العليا، ومثال السيستاني هو أبرز الأمثلة في هذا الإطار.. ففي الوقت الذي جاء ترشيح هذا الأخير لموقع «المرجعية» كمشروع بوجه «مرجعية» السيد الخامنائي، التي أريد تسويقها في حينه إلى العالم العربي... ونجحت القوى المرشحة للسيستاني في ذلك، وخسرت إيران الجولة في هذا «الصراع» لم تدفعها هذه الخسارة إلى أسلوب المواجهة المتعارف... بل إنها مارست سياسة الاستيعاب وفتحت ساحتها لصانع «مرجعية» السيستاني العلني ـ جواد الشهرستاني ـ لأن يصول ويجول فيها لتأسيس «مرجعية» هذا الأخير، وبتوظيف جلي لعلاقات مميزة له، مع الكثيرين من مسؤولي هذا النظام الذي وجد لنفسه في نهاية المطاف دوراً تأثيرياً على «مرجعية» السيستاني داخل العراق، فليس الأمر حدياً قطعياً في سياسة إيران في هذا الإطار، فما هو مشروع «مرجعي» ضدها.. بالإمكان تحويله إلى خيار «تعايشي» يحقق دورها التأثيري فيه، وإدارته بالاختراق تارة، والضغط تارة ثانية، وعبر الإدارة اللامباشر تارة ثالثة، على حساب دماء العراقيين.

إن أجماع «النخبة السياسية الإسلامية والعلمانية» التي عكسته النصوص المطولة المارة الذكر، سيشكل مفارقة أخرى غريبة ومذهلة في تاريخ هذا العراق، ولاسيما الحديث منه، لا تقل غرابة عن مفارقة «القائد ـ المرجع» الذي لا يتحدث بلغة العراقيين العربية، مفارقة تتمثل بالصراع الحاد والعنيف بين «الخط التجديدي» و«الخط التقليدي» الذي غالباً ما يكون مرتبط بالخارج في هذا العراق، إذ كلما أراد لهذا البلد أن يخرج من اسر وسلطة «المرجعية التقليدية» بتبعاتها الأجنبية، وقع في سلتها من جديد، وبشكل أقسى وأوضح، فلقد توجت تلك النصوص المطولة كمحطة من محطات هذا الصراع والاحتدام بين «المرجعيتين التقليدية والتجديدية» أربعة محطات سبقتها في تاريخ الدولة العراقية الحديثة، التي انهارت في ظل احتلال أميركا لها، وهي محطة انتخابات المجلس التأسيس في بداية عشرينيات القرن الماضي، ومحطة صراعات «الحوزة الحكيمية» في خمسينياته، ومحطة الشهيد محمد باقر

الصدر ودور الخوئي فيها، ومحطة الشهيد محمد صادق الصدر وتداعياتها... فرغم قسوة ومرارة هذه المحطات الأربعة، ودلالاتها في إطار حدة الصراع المذكور، إلا أن المحطة الخامسة التي جسدتها نصوص أعضاء «مجلس الحكم الانتقالي» كانت الأكثر تعبيراً عن عنف هذا الصراع بين «الخطين المرجعيين التجديدي والتقليدي»، واتفاق «النخب السياسية الإسلامية والعلمانية» في نهاية المطاف حول «الخط التقليدي»، إذ حتى في محطة الصدر الأول، لم تكن النخب آنذاك مع قطيعة أو «صدام» مع الخوئي الأمر الذي يشير إلى الاختراق الكبير في واقع العراق السياسي في دوائره النخبوية و«المرجعية».

ومهما يكن من أمر، فان المحطات الأربعة المذكورة، إذا كانت قد عكست ذاتها بدرجة ما من الوضوح في الدلالات التي عكست هذا الواقع، وإذا ما كان بعضها «التباسياً»، فان المحطة الخامسة التي اجمع في ظلها «رموز» السياسة العراقية على دور السيستاني يقفز بهذا الوضوح إلى حد ما أسميناه مفارقة غريبة لواقع هذا العراق ومساره، إذ ما الذي يبرر ويفسر هذا الإجماع حوله سوى ما ذكرنا من عامل الاختراق الأجنبي الذي يتدخل سراً وعلناً لتكريس هذا الواقع؟ وهل للمعرفة والدين دخل في ذلك؟ انه سؤال مخجل فعلاً عن «معرفة» السيستاني «الفقهية والفكرية والسياسية» كمثل التي تفرض مثل هذا الإجماع النخبوي حوله.. ولا اعرف إذا ما كانت «معرفة» السيستاني قد ترجمت ذاتها على شكل عمل موسوعي عن أميركا أو عن العراق السياسي؟ وهل ان في قائمة مؤلفات السيستاني موسوعة سياسية أميركية أو موسوعة سياسية عراقية تبرر هذا الإجماع حوله؟!!! والأسئلة تطول حول «منتج» السيستاني الفكري أو «دوره الثوري»، وهي أسئلة وجدت طريقها بحدود وعبر إذاعة الـ BBC البريطانية الناطقة باللغة العربية. فإزاء استفزاز «الدكتورة سلام سميسم» التي افتعلت «حمية دفاعية» عبر الهواء عن السيستاني، وبعد كلامي مباشرة و«رداً» عليه في ندوة للإذاعة المذكورة في العام ٢٠٠٤م، شارك فيها آخرون، وجدت تلك الأسئلة طريقها إلى مسامع العراقيين بحدود، وقلت حينها عبر الهواء مباشرة ما مفاده «ان السيستاني لم ينتج سوى رسالته العملية، وكتاب واحد حول ما يسمى علم أصول

الفقه سحب من الأسواق من قبل حاشيته لخلل فيه» وتساءلت حينها عن «العملية الديمقراطية» وعصرها الجديد «وإذا ما كان بعض العراقيين قد اعترضوا على زعامة السيستاني وقالوا بأنه إيراني الجنسية، فكيف تتعامل هذه الديمقراطية معهم؟».

إن جهة دولية ما لا يمكن لوحدها أن تمرر هكذا واقع على العراق، لا في محطاته الأربعة المذكورة فقط، بل في محطته الخامسة التي عكستها نصوص أعضاء مجلس الحكم المارة الذكر.

وإذا كان هنالك أكثر من جهة إقليمية ودولية تشارك دائماً في عدم السماح للعراق بالخروج من واقعه هذا الذي يترجم دماءً في محطاته كلها، وقد سلطنا الأضواء عليها في كتابنا «عراق بلا قيادة».. فان الجديد على منظومة هذه الدول، لا يتمثل بدولة جديدة، بل انه يتمثل بمتغير خطير لدور إيران الذي سمح لهذا الإجماع النخبوي أن يمر باسم السيستاني على العراق الحديث بشكل اقسى وأمر من المحطات الصراعية «المرجعية» التي أسرت العراق، إذ لا نريد هنا أن نناقش دور «إيران الإمام الخميني» الساكت إزاء «المرجعية التقليدية ــ الخوئي ــ» وما أثاره السكوت من أسئلة، فقد قلنا في أكثر من مناسبة ان مرحلة «إيران الإمام الخميني الإسلامية» هي مرحلة مغايرة عن المرحلة التي تلتها، حيث انه من القساوة بمكان تجاهل التحديات التي عاشتها «الثورة الإسلامية في إيران» في عهد الإمام الخميني.. فهي تحديات خارجية وداخلية ضخمة، يضاف لها «تاريخ اشتباكي سلبي» من العلاقات «الحوزوية»، ويضاف لها عامل «المراهقة الثورية» الذي فرض نفسه «قدراً» لابد منه، بعد «سبات» قرون من الزمن بالنسبة لــ «الشيعة» في الإمساك بدولة وإدارتها.. في ظل هذه التحديات و«لواحقها» يمكن تفهم سكوت إيران عن «مرجعية العراق» التقليدية آنذاك التي ساهمت في تصفية الشهيد محمد باقر الصدر من خلال سكوتها المخزي إزاء محطته.

ويمكن تفهم «الطفر» على خلافات تاريخية بين «مرجعيتي الإمام الخميني ومحسن الحكيم» والمجيء بمحمد باقر الحكيم زعيماً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ويمكن تفهم كل ما ترتب على ذلك العمل الذي اضر بالعراق ضرراً

فادحاً، كما ان طبيعة الثورة وضرورات الحفاظ عليها، اضطرت الإمام الخميني أن يغض النظر في إيران، وليس العراق عن كثير من العمائم التي كانت تعمل مع شاه إيران علناً، وبعضها لها ارتباطاتها «البريطانية» والخارجية المعروفة.. إلا انها التحقت بالثورة في شهور ما قبل نجاحها، وبعدما تحولت إلى أمر واقع.. ففي مثل تلك المرحلة لم يكن من المنطق أن يطرد قادة الثورة هؤلاء الملتحقين، ولو انهم سوف لن يضمنوا فيما بعد ان قسماً منهم سيبقى ـــ ربما ـــ او سيعيد ارتباطه مع الدوائر الخارجية، ولاسيما البريطانية التي كان له ارتباط بها قبل الثورة.

إذا كان الأمر هكذا في إيران، فكيف الحال إزاء التعاطي مع ملف العراق والأخطاء الاستراتيجية للثورة إزاءه في عهد الإمام الخميني.

إن استيراتيجية هذه الأخطاء لا يمكن لها أن تتحول إلى مجس محاسبة لتلك المرحلة، ولا دافع تساؤل ما بحكم التفهم الذي أسسناه على منظومة من الأسباب والتحديات المنطقية المعقدة التي حكمت عهد الإمام الخميني، اما ما بعد هذا العهد، فلا يمكن جر هذا التفهم من بطن المرحلة الخمينية اليه اطلاقاً.. فالتحديات قد تراجعت، والدولة استقرت، و«المراهقة الثورية» تحولت إلى «دهاء» دبلوماسي، وفيما يرتبط بالعراق فان ظروفه هي الأخرى قد تغيرت بما يسمح لإيران أن تعيد حساباتها إزاء ملفه.

وللأسف الشديد ان «إعادة النظر» ـــ إذا ما حصلت ـــ فهي جاءت بشكل معكوس، ويكرس الأخطاء الاستراتيجية السابقة، ويضيف اليها منظومة من الأسباب الجديدة، ولا نريد هنا أن ندخل جردة حساب في سياسات «إيران الثورة» ما بعد الإمام الخميني إزاء العراق، فهذا ما يقع خارج حيز بحثنا، وهو بحاجة إلى مساحة ورقية كبيرة، إلا ان الحديث عن السيستاني زعيم «حوزة النجف»، وموقف إيران إزاءهما قبل وبعد الاحتلال الأميركي هو على درجة كبيرة من الالتباس الذي قد يصل إلى حد «اثارة الغضب»، ومسؤولية رفع الصوت عالياً إزاءه، ليس لان السيستاني قد وضع «مرجعاً» بوجه الخامنائي فحسب، بل لأن الأمر ابعد من ذلك بكثير... ووصل إلى حد لا مبرر من السياسات الخاطئة إزاء العراق ومحطاته الثورية الجدلية ـــ انتفاضته

العام ١٩٩١م، الموقف من الشهيد الصدر الثاني، الموقف من الاحتلال الأميركي للعراق ـ فهذه السياسات دفع ثمنها العراق باهضاً، دماء ودموعاً، كما انها لا ترتكز إلى أية مسوغات منطقية، ولا أية مبررات إسلامية، حيث بدت ـ تلك السياسات ـ معلقة ومثيرة على الثورة ذاتها، عندما ينظر اليها من زاوية التعاطي مع ملفي لبنان وفلسطين من جهة، وملف العراق من جهة ثانية، إذ ان احداً لا يمكن أن يتصور إن الإمام الخميني لو كان حياً سيتعامل على شكل إعطاء «المشروعية» للإسلاميين العراقيين الذين دخلوا العملية السياسية، ومن ثم اعتبار «الحكومة العراقية» في ظل الاحتلال الأميركي له بانها «حكومة شرعية»..

هذا الذي حصل في سياسة إيران إزاء احتلال العراق أميركياً وغيره يترجم النقيض التام لمباديء الإمام الخميني الثورية، ويعرض، لا بل عرّض صورة الثورة إلى «التصدع»، وأظهرها انها تتعامل مع «الدم العراقي» بدور خطير، وانها «تخطأ» أهدافها العالمية، و«تخطأ» فن الدبلوماسية، فمثل هكذا دبلوماسية مارستها إيران قبل وبعد احتلال العراق اميركياً وإزاءه أظهرت «إيران العظمى»، ولم تظهر «إيران الإسلامية العظمى»، وأظهرت «إيران المزدوجة المعايير» ولم تظهر «إيران المستضعفين الخمينية»، وبالتالي فان ذلك كله إذا ما تواصل، فانه يطيح تماماً بمباديء ثورية وفكرية أسسها الإمام الخميني. والتفريط بهذه المباديء ليس من حق احد. وعلى كل إنسان مسلم أن يصرخ بوجه هذا التفريط، فلولا الدور الايراني لما أمكن تصور الذي حصل وسيحصل لهذا العراق بعد احتلاله، ولما أمكن لـ «النخبة الإسلامية» في العراق، و«جوقة» المجلس الأعلى أن تقوم بدورها الذي قامت به في ظل الاحتلال.

على أي حال:

هذهِ السياسة واضحة وتجد مصاديقها ليس فقط على المستوى «المرجعي ـ الحوزوي»، وإنما أيضاً على المستوى السياسي ـ النخبوي، ويأتي نموذج المجلس الأعلى ورمزه الراحل محمد باقر الحكيم، ثم من بعده عبد العزيز الحكيم مصداقا أبرز في هذا المجال السياسي للتأثير.. إذ في الوقت الذي يترعرع هذا المشروع السياسي برموزيته تلك بتمويلها واحتضانها وإشرافها، بإمكانها توظيفه من خلال سياسة

«المرونة ــ والاستيعاب» إلى «وسيط فاعل» بينها وبين من تمتد يده إليه من قوى خارجية ــ أميركية ــ بريطانية مع الفارق بين «المرونتين» «المرجعية والسياسية».

... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سنجد أن التأثير الإيراني في «حوزة» النجف يتمثل أيضاً بإعداد «جيل مرجعي» شاب جديد خصيصاً لـــ «حوزة» النجف، الأمر الذي يشير إلى معنى التأثير السلطوي الإيراني فيها، وفي مقابل ذلك، أين وكيف سيكون التأثير السلطوي العراقي منذ دولة العراق الحديث، التي انتهت مع الاحتلال الأميركي له، وحتى لحظة هذا الانتهاء وما بعده؟ هل بإمكان أحد أن يدعي فعلا أنه يتصور ان نظاماً حاكماً في العراق، كان لديه تأثير على «حوزة» قم، وأن سياسة نظام عراقي ما كانت بصدد التفكير في ذلك أصلاً؟

أن نظام البكر ــ صدام حاول أن يوظف إقامة «مرجعية الإمام الخميني» في النجف الأشرف ضد سلطة شاه إيران، إلا أنه ــ أي الأمام ــ وظف هذه السلطة، ولم توظفه، وأن هذا النظام كان كل همه، وقمة ما يخطط له هو التحكم بـــ «حوزة النجف» والإمساك بدورها عبر التهديد والاختراق وإدارة التأثير الايراني فيها لصالحه، بل بدا الأمر أبعد من السياسة الإدارية اللامباشرة لهذا النظام للتاثير الايراني في «حوزة» النجف... بدا الأمر في عمق سياسته من ان المطلوب من قبله هو أن تكون «حوزة» النجف... هي «حوزة» إيرانية «رجعية» و«حوزة» لا وطنية.. وذلك انطلاقاً من أساس تفكيري «طائفي ــ علماني» ينهض على أن إدارة «شيعة العراق» لا يتم إلا عبر هذا الأسلوب، وانطلاقاً من تصور خاطئ سيساهم هو الآخر في ما أسميناه قلق المواطنة العراقية... تصور يعتبر أن «الحوزة» العراقية الوطنية ستمثل تهديدا لسلطته «الطائفية اللامعلنة ــ العلمانية»، وللأسف الشديد أن جذور التفكير هذا لايزال مخبوءاً في بعض العقول «السنية ــ الإسلامية» كمرتكز للتعامل مع أزمة العراق.

الانظمة العراقية و"التقية المرجعية"

انطلاقاً من الدور الإيراني المؤثر في «حوزة» النجف... وغياب هذا الدور بشكل إطلاقي بالنسبة للأنظمة الحاكمة في العراق إزاء «حوزة قم»... يمكن أن ندرج سياسة هذه الأنظمة إزاء «حوزة» النجف كمكون تأثيري ثالث في هذه «الحوزة»، وثم تحويل أو ترجمة هذا المكون لسياسات، أو اتجاهات توظيفية سياسية لإدارة «تحديات» هذه «الحوزة»، والسيطرة عليها، في ما يرتبط بجانبيه العروبي أو العراقي «الوطني»، ووضع «الحوزة» النجفية دائماً بيد «الرموز اللاوطنية» بما يجعل منها «حوزة» لا وطنية، ووضع «الرموز المرجعية الوطنية» بين حصار الأنظمة من جهة.. وحصار هذه «الحوزة» اللاوطنية من جهة ثانية بزعامة رموزها.

وعليه إذا أريد لنا أن نواكب الأشكال الإدارية للأنظمة العراقية لـ «الحوزة اللاوطنية» في النجف، لابد لنا من الاستعانة بصحف هذه الأنظمة، وطريقة تغطيتها لما يرتبط بهذه «الحوزة»، ولاسيما في عهد البكر ــ صدام حسين.

ولابد أن نذكر قبل أن نضطر إلى إدراج نماذج عديدة من نصوص هذه الصحف، بأننا في كتابنا «عراق بلا قيادة» عالجنا أشكال تعاطي «الحوزة» النجفية ورموزها مع السلطة... أما الآن فإن ما نقوم به هو الوجه الثاني من الصورة ــ أي أشكال تعاطي السلطة مع «الحوزة».

وقد أشرنا للتو، بأننا لا يمكن أن نستوعب بشكل موسع نشاط صحافة الأنظمة في هذا المجال لتحديد تلك الأشكال، وعليه فإننا في الوقت الذي سنضطر فيه إلى استدعاء هذه الأشكال في عهد البكر ــ صدام، أو بالأحرى من عهد صدام حسين، حيث ما يخص مبحثنا هذا، فان هذه الاشكال تشكل نماذج صحفية مختارة.. ونحاول أن ندخل

من مرحلة السيد محسن الحكيم ـ كمدخل فقط ـ بما يوفر لنا تصوراً عن إدارة الأنظمة لثلاثة رموز مرجعية تحكمت بواقع «الحوزة» النجفية، هي السيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد السيستاني، ونعتقد أن التغطية بثقلها المذكور ستستوفي المهمة المطلوبة في تحديد اتجاهات الأنظمة السياسية التوظيفية بما يخدم مصالحها في التعاطي مع «الحوزة» اللاوطنية.. والمدخل بالطبع عبر نظام يغاير تماماً نظام صدام حسين البائد، ويرتبط بالسيد محسن الحكيم بما يقدم أحد الأنماط أو الأشكال التوظيفية، التي نصبو إلى تحديدها، والتي تشكل بمجموعها عناصر هذا المكون التأثيري السلطوي الداخلي على «حوزة» النجف.

ففي العام ١٩٦٨م يمكن أن تقدم لنا «صحيفة التآخي» العراقية الصادرة بتاريخ ٦ /آذار/١٩٦٨م، أحد أشكال تعاطي السلطة العارفية في أواخر عهدها مع «مرجعية محسن الحكيم» من خلال مادة خبرية لها تحت عنوان «سماحة الإمام الحكيم يغادر إلى الديار المقدسة.. السيد رئيس الوزراء يحظر مراسيم التوديع عصر أمس» جاء فيه ما يلي:

«غادر بغداد عصر أمس بعناية الله سماحة الإمام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم متوجها إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. وقد شارك في توديع سماحته في المطار المدني بالنيابة عن السيد الرئيس الدكتور محمد بديع شريف رئيس ديوان رئاسة الجمهورية، وأحد من مرافقي السيد رئيس الجمهورية. كما كان في توديعه السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء وبعض السادة الوزراء ووكيل وزارة الخارجية وسفير إيران في بغداد والقائم بالأعمال السعودية ومتصرف لواء بغداد ومدير الشرطة العام ومدير التشريفات العام في وزارة الخارجية وكبار موظفي الدولة وأصحاب السماحة والفضيلة العلماء الأجلاء وهيئة تحرير جريدتنا وحشود هائلة من أبناء الشعب.

وكتب مندوبنا المحلي الذي حضر مراسيم التوديع يقول: في حوالي الساعة الثالثة عصراً غادر موكب سماحة الحكيم مدينة الكاظمية بعد أداء الزيارة للإمامين الجوادين (ع)، فاخترقا ساحة الزهراء، فشارع الإمام موسى الكاظم، فساحة جامع براثا ثم

الشارع الفرعي (الشالجية)، ثم شارع المطار، فالمطار الذي وصله في تمام الساعة الثالثة والنصف، وعلى طول الطريق الذي سلكه الموكب احتشد عشرات الألوف من المواطنين توزعوا على شكل مجاميع على الأرصفة وهي تحمل صورة سماحة الإمام الأعظم وتلوح بلافتات ترحب بمقدم سماحته وتدعو له بسلامة العودة، وفي المطار توزعت على جانبي الشارع المؤدي إلى المدخل الرئيسي للمدرج قوة عسكرية مشهورة الحراب تكريما للزعيم الديني الحكيم، بينما اكتظت مداخل المطار الثانوية بآلاف أخرى من أبناء الشعب، الذين تقاطرت وفودهم التوديعية من أقاصي ألوية الجنوب وأقضيته ومن مدن الشمال وراحوا يلتقون في اجتماعات جماهيرية اختلطت فيها الأهازيج الشعبية بالقصائد الوطنية، وفي الساعة الثالثة وأربعين دقيقة حضر المطار السيد رئيس الوزراء والوفود المشتركة في مراسيم التوديع.

وبعد دقائق من انتهاء مراسيم التوديع ارتقى سماحته يحتضنه عدد من أصحاب السماحة المرافقين له سلم الطائرة الخاصة التي كان قد وضعها السيد رئيس الجمهورية تحت تصرفه.

وفي تمام الساعة الرابعة أقلعت الطائرة بعناية الله مغادرة المطار إلى الأراضي المقدسة وسط توديع المواطنين وأهازيجهم الشعبية»[١].

اخترنا هذا المدخل ليس لتغطية ثلاثة رموز «مرجعية» حكمت مسار «حوزة» النجف فقط، وكذلك ليس لوضع اليد على شكل سيتواصل لاحقاً من أشكال سلطة تعاطي الأنظمة العراقية مع «الحوزة» النجفية، ولكن أيضاً.. للتذكير بالفارق الجوهري في درجة ترجمة هذه الأشكال بين نظام عراقي، ونظام آخر، في حياة الدولة العراقية، التي انهارت باحتلال أميركي.. وثم وصول هذه الأشكال إلى ذروة التوظيف القاسية لنظام صدام حسين، إذا ما قورن بالأنظمة، التي سبقته، سواء النظام الملكي أم نظام عبد الكريم قاسم، أم النظام العارفي.

... فتلك الأنظمة مارست سياسة توظيفية إدارية لـــ «حوزة» النجف، إلا أن هذه

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٩).

السياسة لم تكن بشعة وقاسية كما هي الحال مع نظام صدام حسين، كما أنها كانت تعطي فرصا عديدة لهذه «الرموز المرجعية» بأن تؤدي دورا غير الذي أدته، وهذا ما أطلقنا عليه في كتبنا السابقة بالفرص المضيعة للحالة الإسلامية في العراق، وإمكانية تفعيلها.. وكان العهدين القاسمي والعارفي هما أكثر العهود، التي وفرت مثل هذه الفرص الضائعة للتحرك ــ أي تحرك «الحوزة» والحركة الإسلامية ــ.

... صحيح أن نص «التآخي» الآنف الذكر مثل شكلاً إيحائياً تكاملياً بين النظام و«الحوزة» بما يمكن توظيفه إزاء الرأي العام العراقي بأن العلاقة بين الاثنين هي علاقة تكامل و«مودة»!!.. إلا أنه ــ أي النص المذكور ــ يقدم فعلاً نموذجاً صادقاً للفرص المضيعة في ذلك العهد.. ففي الوقت الذي كان فيه ذلك العهد على هذه الدرجة من «التسامحية» في التعاطي مع «رمز الحوزة النجفية» آنذاك، كان هذا الرمز يقابل تسامحيته بعنجهية وتنكيل.

وهذا ما يسلط الضوء على مفارقة مؤلمة ترتبط بهذا «العقل المرجعي» ومضمونه التفكيري.. إذ سيبدو عقلاً لا تكفي مفردة توصيفية محدود إزاءه، كما يرتبط بــ «القوة الذاتية النفسية» أو «شرط الشجاعة التي ترتبط بالمسؤولية عن أمة»... حيث ستظهر هذه «القوة الذاتية» واقعها الذي سينهار انهياراً تاماً، وينفذ ما يراد منه بالشكل، الذي يلحق إذلالاً بهذه «الأمة الشيعية» التي لا تعلم عن هذا الواقع شيئا.

... ولا تدري أن كرامتها مرتهنة إلى «ذاتية عليا خائفة» تمثلها.. ولا تعرف أن «كرامتها ومصيرها ومعاناتها» مداسة بحذاء هذه «الذاتية الخائفة الحائرة» التي تنفذ إرادة السلطان، وتسوّق خوفها للناس على أنه «تقية»... فيما أن «نخبة هذه الأمة الثقافية المعرفية» بغالبيتها التي تعرف هذا الواقع تدفن رأسها بالتراب، وتملأ كروشها «ناراً» **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(١)، وتساهم في مصادرة كرامة هذه الأمة بإخفاء الحقائق.. ولو أن هذه الأمة

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٤.

عرفت كيف ينظر لها هؤلاء «رموز الحوزة» لانتقمت منهم، وعاقبتهم قبل أن تعاقب الحاكم أو النظام أو السلطان.

إن رمزاً من هؤلاء الرموز نقل عنه وهو في جلسة حوار مع كوادره ورداً على ملاحظة أبداها أحد هؤلاء الكوادر مفادها «انه يجب على الرمز أن يراعي ظروف الأمة والناس المتدينين، وأن لا يستفزهم بمظاهر الثراء والقصور والغرور ومظاهر الزعامة، لأن ذلك سيؤدي إلى مردودات عكسية على الرموز ذاتها، فضلا عن حرمته الشرعية».. فأجابه ذلك الرمز بعصبية وحدة وانفعال عالي قائلاً له: «عن أي أمة وعن أي ناس تتحدث، وتريد منا أن نراعيهم وأن لا نستفزهم من خلال مظاهر هذهِ الحياة التي نعيش؟ مضيفاً: إنهم ناس كسروا أيدينا من البوس»!! «أي أن أيدينا تعبت وانكسرت من كثرة تقبيل الناس لها».. ومعنى كلامه إذا أردنا أن «نقسو» بالتوصيف «أن هؤلاء ليسوا ناساً، حتى نحسب لهم حساباً كما تزعم»!!

إنها قصة تستفز كل إنسان شريف يحمل ذرة من الضمير والإحساس، لأن الناس عندما تقبل أيدي هؤلاء الرموز، فهي تقبلها انطلاقا من «فطرتها الدينية» وتعبر عن هذه الفطرة بطريقة لا تعلم إنها خاطئة.. لا بل «محرمة».. ما الذي يُدري الناس بأن هذا العمل «محرم» حتى كشف عنه في ما بعد في أحد خطب الجمعة الشهيد الخالد محمد محمد صادق الصدر؟ وما الذي يُدريهم بان من يقبلون أيديهم من الرموز إنما هم يتاجرون بهم و«يحقدون» عليهم؟... وكعادتي أنا عندما أسمع هكذا قصص، لا أسلم لها فورا، دون أن ألاحقها تحقيقاً وتدقيقاً، وأتاكد من أنها قصص حقيقية، ولا تدخل في باب الصراعات والاتهامات والإضافات، و«القال والقيل».. وعندما سمعت بهذه القصة، تأكدت إنها فعلاً قصة حقيقية، وفي لقاء «إشكالي» مع «همام حمودي» الذي كان سابقاً «إبراهيم حمودي» لا مجال هنا لشرح ملابساته وأهدافه والظروف، التي حصل فيها، جاء اسم هذا الرمز «الديني» من «رموز حوزة النجف» فذكرت له هذه القصة بتفاصيلها وكنت في أعلى درجات غضبي، وقلت له بالحرف الواحد... «والله العظيم لا يقر لي قرار إذا لم أكسر يد هذا الرمز، التي يقبلها الناس المظلومون بدافع ديني، أنهم أناس لا يعون بأنهم يقبلون يد جالدة وآخذة إياهم نحو الذل

والهوان».... فأجابني همام حمودي في بيته «الفاخر في مدينة قم المقدسة، بأن الذي قال هذا الكلام فلان وليس فلان ـ أخوه الأكبر كرمز أعلى ـ»!! أجبته «إنهم نسخة واحدة، لا فرق بينهم في تعاملهم مع الناس والضحك عليهم، والمتاجرة بهم».. على أية حال أن هذا الرمز الديني «المكسرة» يديه من كثرة تقبيل الناس لها بما يدفعه إلى الاستهانة بها، كان زعيماً في إيران على العراقيين.. ويجمع المال في البنوك مستجدياً إياها من إيران والكويت والتجار ودول أخرى لمستقبل زعامة أعم وأشمل.

وأنه استطاع ذلك بفعل سياسة إيران إزاء العراق أثناء الاحتلال الأميركي له، وبأداة الأموال، التي جمعها وسرقها من أموال العراق المضافة إلى أمواله السابقة، وأصبح زعيماً حسبما يطمع، جالباً بهذه الأموال الناس الخائفين، الذين لا يجدون فرصة عمل، والذين لا يعرفون أيضاً كيف ينظر لهم هذا «الرمز ـ الديني»؟ وكيف يوظفهم لمذبح مؤجل لهم؟

صدام حسين
و"فتاوى المرجعية الاكراهية"

لم أكن أنوي سرد هذه القصة في سياق هذا البحث، لكن قلمي وألمي جرني إليها، لأنها على علاقة بـ «الذات الرموزية الدينية المهزومة من داخلها» الموظفة من قبل الحاكم في العراق، المنفذة لما يريد... والمسوقة لهذا التنفيذ بعنوان «التقية» كمفهوم يمرر على وعي الناس بحكم ارتكازه التاريخي.. فمن يراقب تطبيقات هذا التنفيذ، كما هو معروف، وكما هو مدون بالصحافة العراقية أيام صدام حسين ـ بطل الإكراه والتخويف والتنكيل بـ «رموز الحوزة» النجفية ـ، إذا ما قيس بما قبله من حكام العراق... قطعاً سيقع تحت مزيج هذه المحنة، ويكشف عن أشكالها، فبعد شكلها الأول المتقدم، فإن الشكل الثاني التوظيفي، الإكراهي لهذه «الحوزة» ورموزها سيكون اقسى

بكثير من الشكل الأول.. فصدام حسين مارس توظيف هذه «الحوزة» إكراها وبقوة في حربه ضد إيران، وإذا كان لابد من نموذج يوضح هذا التوظيف فلنتوقف عند النموذج التالي، الذي غطته في حينه صحيفة «الثورة» الصادرة في ١٥/ أيار/١٩٨٥م، التي جاء فيها وتحت عنوان «ندوة موسعة لرجال الدين بمحافظة النجف لشرح قرارات المؤتمر الإسلامي الشعبي الثاني» ما يلي:

«عقدت بمحافظة النجف أمس ندوة موسعة للسادة علماء الحوزة العلمية ورجال الدين الأفاضل في الروضة الحيدرية المطهرة لشرح قرارات المؤتمر الشعبي الإسلامي الثاني الذي عقد في بغداد مؤخراً. وحضر الندوة الرفيق مزبان خضر هادي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي أمين سر مكتب تنظيم الفرات والسيد عزيز صالح النومان محافظ النجف والرفيق عدنان عبد حمد أمين سر قيادة فرع النجف للحزب والرفاق أعضاء قيادة الفرع وأعضاء مجالس الشعب وجمهور غفير من المواطنين.

وابتدأت الندوة بتلاوة معطرة من آيات الذكر الحكيم ثم ألقى السيد محافظ النجف كلمة أكد فيها أهمية الدور الكبير والفاعل الذي يلعبه السادة العلماء و(رجال الدين) الأفاضل وخطباء المجالس الحسينية وأئمة المساجد والجوامع بتعريف المواطنين بقرارت المؤتمر الإسلامي الشعبي الثاني وفضح الأعمال الإجرامية للفئة الباغية في إيران ورفضها المستمر لكل المبادرات السلمية التي أعلنها العراق على لسان قائدها العظيم السيد الرئيس القائد صدام حسين، ومن موقع القوة والاقتدار لإيقاف نزيف الدم بين البلدين. كما أوضح السيد المحافظ حقيقة نوايا وأحلام الفئة الباغية التوسعية الشريرة ومخططاتها التخريبية ضد الإسلام والتضامن الإسلامي.

بعدها ألقى السيد محمد رضا سيد محسن الحكيم كلمة جاء فيها: أيها المسلمون لا يسعني في هذه المناسبة من أن أشرح ما حل بنا نحن المسلمين من ويلات ومآس مؤلمة أضعفت كيان المسلمين بعد قوتهم، وما كان هذا ليحصل لولا الفرقة وبذور الخلاف التي بذرها وغذاها أعداء الإسلام، وعملهم الخبيث بكل الوسائل والإمكانات، وخير شاهد على ذلك الحرب الضروس التي مضى عليها أكثر من أربع سنوات

وهدرت فيها دماء كثيرة وعطلت قدرات عظيمة كان الأجدر أن تستخدم في دفع كيد أعداء الإسلام وتحرير القدس الشريف وإن حكام إيران لم يستجيبوا لكل الدعوات الإسلامية والدولية، أما العراق فقد استجاب لهذه الدعوات وفي الأيام الأولى على لسان قائدنا الرئيس المناضل صدام حسين.

ثم ألقى العلامة السيد حسين بحر العلوم والعلامة السيد محمد محمد صادق الصدر والشيخ احمد البهادلي والعلامة الشيخ محمد جعفر الكرباسي والشيخ عبد الحسن الغروي كلمات أكدوا فيها أن حكام طهران البغاة رفضوا الاستجابة لنداء علماء المسلمين الذين اجتمعوا في بغداد السلام وأصروا على مواصلة حربهم العدوانية مما يدلل على عدم إيمانهم والتزامهم بتعاليم الإسلام والقرارت والمؤتمرات والمواثيق والأعراف الدولية.

وحضر الاجتماع حجة الإسلام السيد يوسف الحكيم والمجتهد العلامة محمد علي الحمامي والمجتهد الشيخ علي كاشف الغطاء والمجتهد العلامة محمد تقي شيخ راضي والمجتهد العلامة السيد محمد علي الحكيم والمجتهد العلامة محمد إبراهيم الكرباسي والمجتهد العلامة السيد علاء الدين بحر العلوم والمجتهد العلامة السيد حسين بحر العلوم والعلامة محمد رضا الحكيم والعلامة محمد تقي الحكيم والعلامة السيد عز الدين بحر العلوم والعلامة السيد محسن الحمامي والعلامة احمد الحسني البغدادي والعلامة السيد جعفر بحر العلوم والعلامة السيد محمد جعفر محمد إبراهيم الكرباسي والعلامة السيد حسن بحر العلوم والعلامة السيد عبد الحميد الصغير والدكتور عدنان البكاء والعلامة السيد صالح الخرسان. وفي ختام الاجتماع رفع المشاركون برقية إلى السيد القائد صدام حسين»[١].

وقد جاء في أحد كتب السيد احمد الحسني البغدادي عن هذه الندوة ما يلي: «من هذا التاريخ العظيم إلى خروجي قهراً من عراق المقدسات لم أحضر اجتماعاً دينياً. أو مؤتمرا إسلامياً، ولم ابرق برقية أو مقابلة مرئية أو مسموعة أو مقروءة في حرب

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٠).

الجمهورية الإسلامية وقائدها الرمز السيد الخميني باستثناء الندوة الجماهيرية الأولى المنعقدة في الصحن الحيدري الشريف عام ١٩٨٢م بحجة أن إيران دولة باغية بوصفها لم ترضخ لقرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي الشعبي، الذي دعا إلى وقف اطلاق النار دون قيد أو شرط، والجلوس على مائدة المفاوضات لحل الخلافات بين البلدين الجارين، وكذا الندوة (العلمية) الثانية، التي عقدت في رواق حرم الإمام علي (عليه السلام) ١٩٨٥م، بمناسبة ما يسمى بالتعاون العسكري الاستراتيجي بين إيران وإسرائيل!.. وقد استجاب رموز الحوزة العلمية تحت طاولة التهديد والوعيد لحضور الندوة الأولى من أمثال: الشيخ محمد تقي آل راضي، والسيد محمد علي الحمامي، والسيد علاء الدين، وشقيقه عز الدين بحر العلوم، والسيد محمد مهدي الخرسان، والسيد محمد كلنتر، والسيد حسين بحر العلوم، والشيخ محمد إبراهيم الكرباسي، والسيد محمد الصدر، والسيد يوسف الحكيم وجدته في الندوة مطاطئاً رأسه إلى الأرض كأنه ساجد عليها، والذي أحب بفاصلة مختزلة أن أتحدث عنه فهو: عفيف اللسان مع خصومه، وقليل الكلام مع أصدقائه، ولم يرشح نفسه للمرجعية بعد أن هتفت الجماهير بتقليده في تشيع والده، وهو بإمكانه أن يتقمصها كما تقمصها غيره من أدعياء الاجتهاد (المطلق) وهم لا يمتلكون هذه المرتبة، ولا يستحقون هذا المنصب الخطير، بل شراب الخمر أحسن منهم كما صرح المحقق كاشف الغطاء في سفينته الفقهية، هذه هي الصورة وإطارها، وهذا هو الحكيم، وهذا هو الإنسان وكفى؟»[1].

نقول لا شك أن ذلك الحشد كله من الأسماء العمائمية «الحوزوية» حضرت غالبيتها بالقوة والإكراه والتهديد والعنف، الذي مارسه نظام صدام حسين البائد

---

(١) (هكذا تكلم احمد الحسني البغدادي، المقاومة مستمرة والاحتلال الى زوال وشعبنا لن يموت)، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦، ج ٣، ط بيروت، ٢٠٠٧م. ولابد من التأكيد أن الشهيد محمد محمد صادق الصدر، الذي جيئ به بالقوة إلى احدى الندوات عندما طلب منه إلقاء كلمة لتوظيفها ضد إيران، فإنه قام وقرأ «زيارة أمين الله المعروفة»، ولم يتحدث إطلاقاً عن أي شيء آخر، لا إيران ولا غيرها... في محاولة منه للهروب مما أراده منه النظام آنذاك، كما نقل لي ذلك احد «العلماء» الثقاة الذين حضروا هذه الندوة.

إزاءها... إلا أن السؤال المصيري، هو هل حضورها بهذه الطريقة مبرراً؟ وإذا كان «مبررا» لدى بعضهم وأن لا طاقة لها بمواجهة هكذا نظام وحشي!! فهو بالتالي يعبر عن هذه «الذات المهزومة الخائفة» لـــ «حوزة» النجف، هذه «الحوزة» التي كشفتها «ذات» الصدر الأول الشجاع المقدام.. الذات العاملة المدافعة بحق عن دين الله وناس الله جل وعلا، الذات النابضة بحلم الاستشهاد، «الذات الباكية» على الإسلام دما وعلما، الذات العنيدة لله، التي رمزت لنسخة الحسين (ع) الثانية عبر تاريخ «التشيع» في العراق، الذات التي من الظلم والإجحاف أن نطلق عليها «ذاتاً حوزوية»... إلا أن الواقع وسياق البحث الأكاديمي يضطرنا أن نطلق عليها هذا المسمى «الحوزوي»... فالذات الصدرية الأولى هي النسخة الثانية لذات الحسين (ع) الثائر على واقع «حوزته» ــ مجازاً ــ في عصره. فالحسين (ع) كان في عصره مطوقا أيضاً بـــ «حوزة مجازية» التعبير... تختلف عن «حوزة العراق» المعاصر.. إنها «حوزة رجال الدين المتخاذلين» الذين تركوا مسؤليتهم الدينية وشرعنوا لانحراف الدولة والسلطان... إنها «حوزة» من الخونة لدين الله دفعت الإمام الحسين أن يسجل في سجل التاريخ الإسلامي واقعته الكربلائية الخالدة... وبالتأكيد هي حوزة تتوحد بالاسم التشبيهي ــ الرمزي ــ لـــ «الحوزة المعاصرة» التي احتكرت دين الله سبحانه نظاما معرفيا بشريا موروثا عطل مضمون ثورة الحسين، الذي قتل بين هاتين «الحوزتين» عبر التاريخ.

وفي اتجاه ثالث من اتجاهات توظيف الحوزة «النجفية» من قبل صدام حسين... اتخذ هذا التوظيف شكل التحشيد «الحوزوي» الاصطفافي مع تصاعد مسار سياسة النظام الصدامي العدوانية، الذي أدى إلى تعرض العراق فيما بعد إلى حرب الخليج الثانية، واستعداد القوى الخارجية لتدمير العراق... فقد شكلت هذه الحرب في بداياتها، محطة جديدة لترشيح العراق إلى ذروة قاسية من تدميره بما تطلب من نظامه هذا الإجراء التحشيدي الإكراهي لـــ «حوزة النجف» كصوت اصطفافي معه إزاء الخارج ــ القوى المدمرة للعراق ــ والداخل الذي سينفجر لاحقاً بانتفاضة داخلية كادت أن تطيح بنظامه، لولا استعانته واستخدامه وتوظيفه واختراقه لهذه الحوزة «النجفية» التي

أذلها ما بعد الانتفاضة إذلالاً ما بعده إذلال... عندما أخرج زعيمها الأكبر و«الأقدس والافقه ونابغة التاريخ وأستاذ الفقهاء»!! أظهره على شاشة التلفاز، وبصورة لا يمكن لأمة أن تذل بــ «رموزها» الدينية أكثر من ذلك الإذلال.

وقد تطرقنا في كتبنا السابقة إلى مشاهد هذه الصورة، وكلامها، ومبرري هذا الكلام تحت ذات العنوان «المسمم» والمحرف لــ «التقية»، على أية حال: لنتجنب تكرار «مشهد الخوئي التلفزيوني»، وكيف وظف صدام حسين «حوزته» قبل حدث الانتفاضة باتجاه سياساته الداخلية والخارجية في حينها، وعبر نماذج هذه المرة، وليس نموذج واحد من صحافته. إن الأمر يعود إلى «الجهاد» ضد أميركا المجرمة و«تحرير بيت الله» كما أقدمت سياسة صدام حسين آنذاك على توظيف «حوزة» النجف وإجبارها بالقوة على أن تنفذ ما يريده هذا النظام، ولا حول ولا قوة لهذه «الحوزة» ولزعيمها الخوئي الذي سكت عن إعدام الصدر الأول، إلا أن تنفذ أرادة السلطة المحلية... كان النص المتقدم يعطي تصورا ما عن توظيفه لهذه «الحوزة»، في حين أن نصاً آخراً نشرته صحافة النظام بعد ذلك التاريخ يرتبط بتوظيف الخوئي نفسه، وليس بــ «حوزته فقط» حيث جاء ذلك النص، الذي نشرته صحيفة «الجمهورية» العراقية بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٠م، وكان يرأس تحررها آنذاك سامي مهدي ، وجاء النص، ما يلي: «**(وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ)**

آية الله العظمى الخوئي يفتي: لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين

النجف الأشرف / واع: أعلن المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي انه لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين. ذاهباً في بيان له أمس، تضمن فتوى بهذا الشأن. بالمسلمين أن يقفوا سدا منيعا في وجه أعداء الله الذين يريدون السوء بالإسلام والمسلمين. وفي ما يأتي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى **(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلاَ تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)**، وقال عز من قائل **(وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)** صدق الله العظيم.

لا يخفي على المسلمين كافة ما تمر به الأمة الإسلامية في الظروف العصيبة الراهنة، وما يحيط بها من خطر، الذي يهدد كيان الإسلام ومواطن المسلمين نتيجة تفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم، مما أدى إلى تفاقم الأمر وحصول التصدع في صفوفهم، في الوقت الذي ينبغي لهم أن يكونوا يداً واحدة في الحفاظ على مبادئ الإسلام وإعلاء كلمته ولم الشمل، منصاعين إلى أمر الله تبارك وتعالى حيث يقول (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)...»[1]. كما أن صحيفتي «العراق» و«القادسية» الصادرة في نفس اليوم هي الاخرى نشرت هذا النص[2].

تحولت تلك الفتوى الصادرة من السيد الخوئي ومواقفه وفتاواه الأخرى إلى عناوين لاحقة لذات النسق التوظيفي لـ «حوزة النجف» من قبل نظام صدام حسين، ولذا فإننا عندما نقول بأن اتجاه «المرجع الأعلى» ودوره سيتحكم بهذه «الحوزة».. فإن مثل هذا القول أكده مسار هذه «الحوزة» ــ والكلام ليس اطلاقياً ــ فهنالك دائما استثناء.. ومهما يكن من أمر وتماشيا مع دور «الحوزة» الواقع تحت عنوان «الجهاد ضد أميركا والكفار وحلفائهم» استمر هذا المسار لما بعد فتوى الخوئي المتقدمة لأشهر لاحقه، وعلى طول مسار حرب الخليج الثانية وتداعياتها... وهذا ما عكسته أيضاً صحافة النظام الحاكم، وما راحت تكرر نشره بالشكل التوظيفي المذكور، الذي مارسه النظام الحاكم آنذاك، فصحيفة «الجمهورية» الصادرة بتاريخ ١٥/شباط/١٩٩١م، وتحت عنوان «علماء ورجال الدين في محافظة النجف الأشرف يستنكرون العدوان الغاشم على العتبات المقدسة، الجهاد تحت راية (الله أكبر) سيتحقق النصر المؤزر» قالت الصحيفة ما يلي: «النجف الأشرف ــ من رزاق حميد علوان

استأثرت فتوى الإمام أبو القاسم الخوئي، بإعلان جهاد المسلمين ونتائج مؤتمر الحوزة العلمية في محافظة النجف الاشرف الذي انعقد مؤخرا باهتمام العرب والمسلمين في أرجاء المعمورة، لما يمتلك من أهمية بالغة في توحيد صفوف

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١١).

(٢) انظر صورة ونص الصحيفتين في الملاحق، ملحق رقم (١٢)، (١٣).

المسلمين، وإعلاء كلمة الحق وفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة، لمنازلة خنادق الشر والعدوان والكفر والطغيان.

استهدف العدوان الأميركي الصهيوني الغاشم العتبات المقدسة.. أرض الإمام علي (ع) وأرض ابن بنت رسول الله (ص) الحسين وأخيه العباس عليهما السلام وبيوت الطاهرين من سلالة النبي العربي سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والرسل.

وتعرضت مدينتا النجف وكربلاء المقدستين الطاهرتين لأبشع عدوان أميركي حاقد استهدف بيوت الناس الآمنين والمراقد المقدسة العامرة بالإيمان وكتب الله وأسماءه الحسنى، ومسجد الإمام علي (ع) جد السيد الرئيس القائد المجاهد صدام حسين ومعاهد الفقه والعلوم والدراسات الإسلامية.. والمقابر الساكنة برفات الأموات منذ سنوات.. وكل ما يتعلق بالحياة وعناصر الإبداع وقيم الإنسان والإنسانية.

(الجمهورية) توجهت إلى محافظة النجف الاشرف لتسجيل انطباعات ومشاعر السادة العلماء ورجال الدين الأفاضل وأعضاء الحوزة العلمية في هذه المدينة وتحالف صفوف الشر وخونة الأمة العربية والإسلامية ضد العراق وضد العرب والمسلمين.

وأعرب السادة العلماء ورجال الدين في أحاديثهم (للجمهورية) عن غضبهم واستنكارهم الشديدين للعدوان الأميركي الصهيوني وتحالف قوى الشر البغيضة على مدينه الإمام علي، وعلى كل مدن العراق وقصباته والأحياء السكنية الآهلة بالسكان والمنشآت الإنسانية والاقتصادية والصحية، التي تشكل انتهاكا صارخا لحرمات المسلمين ومقدساتهم.. مثلما انتهكت محرمات المسلمين في ارض نجد والحجاز ومكة وقبر الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم.. معلنين جهادهم لإعلاء كلمة الحق وتوحيد صفوف المسلمين في التصدي لهذا العدوان الغادر الحاقد ضد العراق العظيم والأمة العربية والإسلامية.

وقد قال سماحة العلامة المجتهد الدكتور احمد البهادلي:

أن العدوان الأميركي الحاقد البغيض ضد العتبات المقدسة ومحرمات المسلمين وبيوت الله العامرة بالكتب المقدسة والمآذن وبيوت الآمنين من المواطنين والمراكز الصحية والاقتصادية، يشكل أبشع عمليات البطش والخرق لحقوق الإنسان.. وثبت

حقد الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها وخونة الأمة الإسلامية على الإنسان العراقي ومحرماته ومقدساته وسلوكهم غير الإنساني الوحشي المفترس الذي استهدف الأطفال والنساء والشيوخ المسنين العزل. وأضاف العلامة المجتهد البهادلي أنه من المخجل جداً أن يتفرج بعض الحكام العرب والمسلمين على العدوان والبغض وانتهاك مقدسات المسلمين والاعتداء على مدن الأنبياء والأئمة الطاهرين.

أما سماحة العلامة المجتهد السيد محمد رضا الحكيم فقال:

سيظل علم العراق العظيم الذي يحمل بتوجيه من القائد المؤمن صدام حسين حفظه الله، كلمة (الله اكبر) راية شامخة تقود الجمع المؤمن صوب رب العزة والكرامة والنصر الأكيد في هذه المنازلة الكبرى (أم المعارك) معركة الحق ضد الباطل، والإيمان ضد الكفر، وقال سبحانه وتعالى **(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)**، إن هذه المرحلة تتطلب جهاداً حقيقيا من كل مسلم ومسلمة.. الجهاد بالسلاح والمال والقلم واللسان.. لأن الجمع الكافر اصطف وتعاون ضد الإيمان.. فإيماننا كبير بالنصر وثقتنا بالمستقبل أكبر وسنظل جنودا أوفياء أمناء للقائد المجاهد صدام حسين.

وقال سماحة العلامة مرتضى الواجدي:

(وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ)، إن ما يعاني منه المسلمون في هذه الأيام الحرجة من تكالب يد الكفر والشر والطغيان والعدوان يتطلب منهم أينما وجدوا من أقصى الأرض إلى أقصاها، أن يقفوا يدا واحدة خلف القائد العربي المؤمن المجاهد صدام حسين للنهوض بالقيم الإنسانية الجديدة والحفاظ على حرمات ومقدسات المسلمين. ودعا السيد نوري الموسوي المسلمين في كل أرجاء المعمورة إلى توحيد صفوفهم وكلمتهم من اجل أن تبقى الرسالة المحمدية رسالة محبة وسلام ومجد عظيم، وقال أن هذه الأعمال الإجرامية المتوحشة ضد شعب العراق الآمن تشكل انتهاكا واضحا لكل القيم الإنسانية والبشرية وتفند بوضوح ادعاءات الاميركان الكاذبة بأنهم دعاة الإنسانية وأن الله والإنسانية منهم براء.

وفي حين قال السيد علي الكفائي:

إن المسيرة الجهادية التي يقودها الرئيس القائد العربي المؤمن صدام حسين حفظه الله قد أكدت بما لا يقبل الشك إعلاء كلمة الحق وكشف الممارسات الإجرامية البشعة لأعداء الأمة الإسلامية ومنها انتهاك المقدسات وأن الأعمال الإجرامية الغادرة الخائنة في قصف الأحياء السكنية والمراقد والعتبات المقدسة يشكل عملا إجراميا وحشيا ضد الإنسان والإنسانية، وصار الجهاد حتمية مطلوبة وفرضاً على كل مسلمة ومسلم.

وندد سماحة العلامة كاظم الكفائي بالأعمال الوحشية التي تمارسها أميركا ضد العراق العظيم والمتمثلة بقصف بيوت الناس الآمنين وقتل النساء والأطفال والشيوخ المسنين والاعتداء على محرمات المسلمين ومقدساتهم، وأضاف في الوقت الذي انعقد مؤتمرنا، مؤتمر (الحوزة) العلمية في النجف الاشرف وفي الصحن الحيدري الشريف المقدس كان طيران العدو الأميركي يحوم فوق رؤوسنا ويستهدف حيا شعبيا فقيرا أو مكانا مقدسا أو مجاميع بشرية.. إنها انتهاكات لا يستطيع احد أن يصفها، أجل إنها مجازر وحشية تقترف ضد أبناء شعبنا العظيم وهذا يتطلب العمل بعمق بمفهوم فتوى الإمام الخوئي، التي أعلنت الجهاد بكامل عناصره ومستلزمات الدفاع عن كل ذرة تراب عراقية طاهرة.

وقال الشيخ ابراهيم الطرفي: إن ما يقوم به العدو الأميركي ودوائره المتحالفة ضد العراق العظيم ومناطقه السكانية وأحيائه الشعبية الآهلة بالسكان والمراكز الصحية والمستشفيات والمنشآت الإنسانية والاقتصادية فضلا عن عتباتنا المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية، يستهدف تقويض بناء العروبة والإسلام.. حيث أن طغيان الشر وعدوانه وتحالف خائن الحرمين الشريفين وحسني معه يهدف إلى إجهاض مشروع الأمة العربية النهضوي، وإعاقة وحدتها وتقدمها تحت شعارات زائفة كاذبة كالدفاع عن حقوق الإنسان والإنسانية.. إلا أن هذه جميعاً دعاوى قد سقطت نتيجة للممارسات الإرهابية والعدوانية الكافرة ضد العراق الآمن المؤمن بقيادة فارس الأمة الرئيس المناضل صدام حسين وراية (الله اكبر)»[1].

---

(١) انظر صورة للصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٤).

فيما أن مجلة ألف باء الصادرة بتاريخ ٢٧/آذار/١٩٩١م. وتحت عنوان «الإمام الخوئي جرائم المنحرفين، تفاصيل عن جرائم الغوغاء في النجف والحلة» جاء فيها ما نصه: «سماحة الإمام أبو القاسم الخوئي! نحمد الله أن الفتنة أخمدت

أكد سماحة الأمام ابو القاسم الخوئي أن كل شيء قد انتهى، وأن الفتنة قد أخمدت. جاء ذلك خلال مؤتمر صحفي عقده في منزله بمدينة النجف حضره مراسلو الوكالات والإذاعات، وأشار خلاله إلى اللقاء مع السيد الرئيس ببقاءه لمدة يومين في بغداد، ونفى سماحة الإمام تلك الأنباء المسمومة القائلة أنه أعطى تصريحات تحت الإكراه، وخاطب المراسلين بالقول ها انتم تروونني في بيتي فكيف أكون معتقلا إذاً. وكان السيد الرئيس صدام حسين قد استقبل سماحة الإمام الخوئي، حيث شكر سماحته السيد الرئيس القائد على استقبال سيادته مشيراً إلى أنه كان تواقا دوماً إلى هذا اللقاء، مؤكداً أن حفنة المجرميين الذين قاموا بأعمال التخريب والنهب لا يمتون إلى الدين بصلة، وأن الإسلام منهم براء.

من جهة أخرى شجب سماحة السيد علي السيستاني احد علماء الدين في مدينة النجف الاشرف الأعمال الإجرامية، التي ارتكبها نفر من الغوغاء في عدد من محافظات العراق، وقال أن الدين الإسلامي الحنيف يحرم ولا يجيز اعمال النهب والسرقة، وهتك الأعراض وقتل الأبرياء.. وحول جرائم المخربين قال السيد عبد الله فاضل وزير الأوقاف والشؤون الدينية، أن الأضرار الهائلة التي ألحقها الرعاع من الغوغائيين المجرمين بمساجد وجوامع وحسينيات ومراقد أضرحة آل البيت الأطهار يُعد خرقا فاضحا للشرائع السماوية والقيم والاعراف السائدة.. مضيفا أن المجرمين حولوا الصحن الحيدري في النجف الاشرف والروضة الحسينية في كربلاء المقدسة إلى سجن لتعذيب الأبرياء. ومما هو جدير بالذكر أن لجاناً مختصة في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بدأت بحصر وتحديد الأضرار، التي أحدثتها قوى البغي الغوغائية المجرمة ضد دور العبادة والمساجد والحسينيات وأضرحة آل البيت الأطهار»[1].

---

(١) انظر صورة «المجلة» في الملاحق، ملحق رقم (١٥).

"المرجعية النجفية"
و"معدان" الانتفاضة الشعبانية

مساكين هؤلاء «الغوغاء» ـــ ثوار الانتفاضة ـــ التي تعد أكبر حدث ثوري في العراق خلال القرن الماضي، إذ إن غير الله سبحانه وتعالى، لا يعلم الكثير من تفاصيل هذا الحدث، رغم كل ما دون عنه حتى هذه اللحظة، و«مساكين» هؤلاء الثوار الشجعان، الذين استشهدوا دفاعا عن «بيت الخوئي» حتى اللحظة الأخيرة، رغم اندحار الانتفاضة في النجف الاشرف، ورغم الأوامر، التي صدرت لهم من «بيت الخوئي»، بأن عليهم أن ينسحبوا من ساحة المواجهة، علما أن مهمتهم كانت هي حماية هذا البيت، إلا أن غيرتهم «الدينية» ورسوخها الفطري في داخلهم أبت إلا أن يواصلوا مشوار المواجهة مع أزلام السلطة، وأن يرفضوا أوامر الانسحاب التي صدرت إليهم من أحد أولاد الخوئي آنذاك ـــ الراحل محمد تقي ـــ، واستشهدوا جميعا، وكان عددهم لا يقل عن الأربعة عشر ثائرا، ويتزعمهم الرائد حميد من أهالي مدينة الرميثة، التي رأت «حاشية الخوئي» بأن حمايته وحمايتهم ينبغي أن يكونوا من هذه المدينة، فالرائد حميد وزملائه لا يعرف نظافتهم وفطرتهم الدينية السليمة إلا من عايشهم.

على أية حال: ـــ زارني ذات مرة، وبعد مرور أكثر من ثماني سنوات على مرور الانتفاضة الشعبانية، السيد «ساچت الشرع» في دمشق، عندما كنت مديرا لـــ «المركز العراقي للإعلام والدراسات»، وعرض علي الذهاب معه إلى السيد مجيد الخوئي، الذي كان حينها في زيارة إلى سوريا قادما من لندن، والسبب، والكلام ـــ للسيد ساچت ـــ انك تعرف يا أخي عادل بأن عددا من العوائل تعاني الآن من الجوع المدقع لأن معيليها كانوا من حماية السيد الخوئي أيام الانتفاضة، واستشهدوا جميعا، لذا

ما دام السيد مجيد الخوئي موجوداً هنا في دمشق، فأنا أرى أن نذهب أنا وإياك إليه لإيجاد حل لمشكلة هؤلاء العوائل ــ انتهى كلام السيد ساجت ــ بقيت صامتاً للوهلة الأولى، وقفزت ذاكرتي إلى أيام الطفولة مع الشهيد الرائد حميد ــ الذي عرف بطولته كل أبناء مدينة النجف الثوار الذين شاركوا في الانتفاضة ــ وزملائه، وسرح ذهني بعدها بقصة الانتفاضة وضحايا العراق الثوار «الدوريين» ــ أي كلما توفر لهذا العراق منعطف ثوري، أبيد جيله بقسوة لا نظير لها، بسبب غياب الزعامة دائما، بعدها انتقل ذهني إلى ما قاله ضيفي، وكان السيد مجيد الخوئي حينها رئيساً لــ «مؤسسة الخوئي» في لندن، التي ورثها وورث معها الكثير من مئات ملايين دولارات «والده»، وكان حينها غارقا في هموم الزعامة بالتنسيق مع الأميركان، وأحد زعماء المال الكبار لــ «المعارضة العراقية» السابقة، وعندما كان يأتي بزيارة إلى سوريا، يقصده كثير من العراقيين الجياع، وبعض المرتزقة، وتجار المشاريع «النصابين المحتالين»، على أية حال: وجهت كلامي إلى ضيفي قائلا له: «أنا لم ولن أذهب إلى هذا الرجل»، حاول معي كثيراً، فلم أجبه إلا الإجابة ذاتها، وقلت له: «إذهب أنت، وتحدث معه حول الموضوع وجرب»، وفعلا ذهب إليه بعد ما أسمعني كلمات مفادها، بأنه إن لم يستجب لطلبه الخوئي فسوف لن يسكت، ذهب إليه، ثم التقينا بعدها، وإذا به يكاد ينفجر من الألم، قائلا لي: «أتعرف ماذا قال لي ابن الخوئي؟» قلت: «لا، لا أعرف»، قال: «بعد أن شرحت له قصة هؤلاء العوائل، نطق، أول ما نطق، هل هؤلاء نجفيون؟» على القارئ بعدها، أن يتصور كم من الملفات المؤلمة، التي طويت مع الانتفاضة باسم «المرجعية» ودورها في هذا الحدث ــ المنعطف في تاريخ العراق المعاصر ــ!!! وما هو دور الأولاد ــ أولاد «المراجع» ــ الذين كانوا ولا زالوا يتلاعبون بدماء الأبرياء من العراقيين الثوار الشرفاء، فبالأمس كان ابن الخوئي وأولاد المراجع الآخرين، الذين كانوا يطلقون اسم «المعدان» عليهم، كما فعل ذلك السيد عبد العزيز الحكيم من خلال كراسه المشهور، الذي وزع في جنوب العراق ضد ظاهرة الشهيد الصدر الثاني قبل استشهاده، والذي أوردناه بالكامل ــ الكراس ــ في ملاحق كتابنا «مرجعية الميدان»، واليوم، وفي ظل الاحتلال الأميركي، عمار

الحكيم ووالده الذي استدرك ما قاله ذات مرة، رفيقه عضو المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، صدر الدين القبانجي في إحدى خطبه في صلاة الجمعة في النجف الاشرف، حيث جاء فيها ما يشير إلى «الزامية» إخراج الوافدين إلى النجف منها، وكان يعني بهم جمهور الصدر الثاني، فاستدرك عبد العزيز الحكيم الموقف «مؤنبا» القبانجي على ما قاله، ومحذرا إياه من تكراره، بحكم تغير الظروف، التي ما عاد في ظلها مثل هذا الكلام يخدم مصالح الظاهرة الحكيمية، التي أبدلت معظم ثوار «فيلق بدر»، بأبناء العشائر الجنوبية، الذين انخرطوا معه بسبب منظومة من العوامل «البطالة، الغيرة على الدين، عدم معرفتهم بتاريخ ما جرى لهذا العراق»، وهم لا يعلمون بأن مَنْ أدخلهم ضمن «فيلق بدر»، كان يطلق عليهم اسم «المعدان»، وبأنهم سيكونون مشروعا مؤجلا للمتاجرة، وربما الموت في دورة من دوراته اللاحقة، التي «اعتادها» العراق، ووضعهم من حيث لا يشعرون بوجه أبناء الصدر الثاني، ربما انتقاما منهم ومن الصدر الثاني ومن كل أبناء العراق الشرفاء، لان حادثة «مسجد أعظم»[١] تحولت حقدا دفينا على العراقيين.

على أية حال: وعودة إلى ملف صدام حسين مع «المرجعية»، وتوظيفه لها حسب ما يريد، نطل على مثال آخر نشرته صحيفة «القادسية» بتاريخ ٤/ ايلول/١٩٩١م، تحت عنوان «القادسية تلتقي العلماء أعضاء الحوزة الدينية الكبرى في النجف ــ تثمين اهتمام القائد صدام حسين بالمراقد المقدسة في النجف وكربلاء» جاء ما يلي:

« النجف / من عبد الحسن الجنابي: عبر السادة العلماء الأجلاء أعضاء الحوزة العلمية الدينية الكبرى في محافظة النجف عن عظيم اعتزازهم بالدور الرائد، الذي اضطلع به القائد المجاهد صدام حسين في إعادة تعمير وتجميل المراقد المقدسة في محافظتي النجف وكربلاء رغم الظروف الصعبة، التي يمر بها العراق جراء الحصار الاقتصادي الظالم المفروض عليه من قبل الدول الاستعمارية والامبريالية.

---

(١) حول هذه الحادثة راجع كتابنا (محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغيري ووقائع الاغتيال)، مصدر سابق.

جاء ذلك في لقاءات أجراها مراسل القادسية في محافظة النجف خلال حضورهم الاحتفال الديني الكبير، الذي أقيم في الصحن الحيدري المقدس برعاية السيد الرئيس القائد بمناسبة بدء مراسيم الزيارة للمرقد.

فقد قال العلامة المجتهد حسين محمد تقي بحر العلوم لقد سعدت كثيرا وأنا ادعى لحضور هذا الاحتفال الكبير، الذي اقيم بمناسبة إكمال مراحل مهمة من عمليات التعمير والتجميل وبدء مراسيم الزيارة التي انتظرها المواطنون بلهفة كبيرة، وإنني على ثقة بأن الفضل الأول في هذا الانجاز يعود لدعم القائد صدام حسين واهتمامه بالمراقد المقدسة.. فتحية كريمة لسيادته بهذه المناسبة ودعوانا إلى الباري عز وجل أن يحقق الآمن والأمان والسلام الدائم في ربوع الوطن والأمة العربية والإسلامية ويوحد الكلمة والصف لما فيه خير العرب والمسلمين وكل الخيرين في العالم.

وقال العلامة المجتهد محمد كلنتر إن ما رأيناه هذا اليوم من جهد كبير بذلته الجهات المختصة من اجل إعادة اعمار مرقد الإمام العظيم علي بن أبي طالب (ع) يؤكد لنا الاهتمام الكبير، الذي يوليه الرئيس القائد صدام حسين لمراقد الأئمة الأطهار والقادة العظام وكل دور العلم والعبادة، وحتى في الحالات الطارئة كالحالة التي نعيشها الآن نتيجة العدوان الثلاثي.. وإننا في الوقت الذي نعبر فيه عن اعتزازنا ببدء أداء مراسيم الزيارة، نعبر عن أسفنا بل استنكارنا للأعمال التخريبية التي مارسها المجرمون في المراقد المقدسة والتي لاتزال آثارها واضحة في كل مكان من المرقد المقدس الشريف.

أما العلامة المجتهد محمد سلطان مصطفى فقد قال ونحن نحضر هذا الاحتفال الديني المهيب وفي رحاب الحظرة الحيدرية المقدسة وبمناسبة مهمة هي بدء الزيارة لمرقد الإمام علي بن ابي طالب (ع) والتي توقفت لفترة نتيجة الأضرار البالغة التي أصابت المرقد والصحن خلال الأحداث التي نفذها العملاء والمأجورون.. ندعو الباري عز وجل ونتذرع اليه أن تتعزز حالة الأمن والسلام في بلادنا وأن يلم شمل المسلمين على الخير والعمل الصالح من اجل رقي امتنا وبما يجعلها أكثر قوة بوجه تحديات الكفار والمستعمرين كما نود أن نشكر القائد صدام حسين على ما بذله من

جهد كبير من اجل تعمير وتطوير مراقد الأئمة الأطهار متمنين لسيادته التوفيق في سعيه الخير من اجل رفعة العراقيين والعرب والمسلمين.

وحدثنا العلامة المجتهد محمد الصدر قائلا: نحمد الله ونشكره على أن المحنة التي مر بها بلدنا قد ولت وها نحن نعيش حالة الأمن والاستقرار وها هي مراقدنا تفتح أبوابها للزائرين بفضل جهد الحكومة وعلى رأسها السيد الرئيس القائد صدام حسين الذي وفر كل مستلزمات إكمال عمليات ترميم المراقد خاصة مرقد الإمام علي بن أبي طالب (ع).. فتحية احترام وتقدير لسيادته داعين الباري عز وجل أن يأخذ بيده ويعينه في خدمة الوطن والأمة. والتقينا أيضاً بالعلامة المجتهد محمد علي الحكيم الذي عبر عن سعادته وسروره بهذه المناسبة داعيا الجميع إلى التكاتف وعمل الخير والسير على نهج القادة العظام ونبذ الفرقة والحرص على المقدسات معبرا عن شكره لمبادرة الرئيس القائد صدام حسين بفتح أبواب المراقد الحيدرية المقدسة للزائرين رغم استمرار العمل على آثار التخريب. كما أكد عدد من السادة رجال الدين وهم محمد جعفر الكرباسي ومهدي الخرسان ومحسن الحمامي ونوري الموسوي وجمعة الموسوي عن فرحتهم الكبيرة بهذا الحدث المهم واعتزازهم برعاية السيد الرئيس القائد لهذا الاحتفال ودعمه الكبير للجهات المختصة من اجل انجاز عمليات اعمار مرقد الكرار العظيم وكل المراقد المقدسة في المحافظة.»[١].

وكذلك نشرت «الجمهورية» التي كان يرأس تحريرها آنذاك سعد البزاز، مقالاً بعنوان «علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف يحرمون الاستعانة بالقوة الكافرة على المسلمين المجاهدين في العراق» وكان ذلك بتاريخ ٢٧/ كانون الثاني/١٩٩١م. جاء فيه ما يلي: «إثر العدوان الكافر الفاجر على العراق المسلم المجاهد الصابر وتعرض المقدسات الإسلامية عامة ومراقد آل البيت في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة خاصة للقصف الوحشي الغادر تنادى علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف إلى اجتماع ديني كبير في الروضة الحيدرية المطهرة في السنة

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٦).

١١/رجب/١٤١١هـ استشعارا منهم بالجريمة الكبرى التي يقترفها الكفرة بحق العراق وبلد المقدسات وما يتعين عليهم شرعاً من دور جهادي لاستنهاض همم المسلمين وطاقاتهم لرد عدوان الكافرين عن هذا البلد الأمين. فصدروا النداء الإسلامي الجهادي الآتي نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم **(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)**، يتعرض الشعب المسلم في العراق هذه الأيام إلى الملحمة الشرسة الضالة المضلة من قبل جيوش الكافرين المعتدين وعملائهم المنافقين وحلفائهم الخاسئين مستهدفة احتلال أرضنا المقدسة واهانة حرماتنا وهدم تقاليدنا. والحوزة العلمية الإسلامية في النجف الاشرف إذ تعين وعلى أي شعب حسم موقفه (........) حيث كان، اعتداء على المسلمين جميعاً واهانته للدين الحنيف، نهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا يتقاعسوا أو يتماهلوا في رد عادية الكافرين وحماية الحرمات المقدسة، التي انتهكت في العراق عامة وفي النجف الاشرف وكربلاء المقدسة خاصة، فان الذي يتقاعس عن هذه المهمة المقدسة انما هو إهمال للدين وإعراض عن شريعة سيد المرسلين، وأنه قد يؤدي ــ لا سامح الله ــ إلى انتشار هذا العدوان إلى مجتمعات إسلامية أخرى ويجدر بالمسلمين عموما أن يجمعوا صفوفهم ويوحدوا كلمتهم ويتصدوا لإنقاذ الدين في هذا البلد الأمين، ويستنكروا الاستعانة بالقوى الكافرة من اجل اللذات الرخيصة و(.........) المسلحة العاجلة، فإن ذلك من المحرمات الكبيرة في الإسلام. قال الله سبحانه وتعالى: **(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً)**. ونتضرع إلى الله عز وجل أن يجمع شمل المسلمين على الهدى والإصلاح وأن يجنبهم عاديات البلاء ويوفقهم لرد كيد الكافرين ويوحد كلمتهم العليا انه على كل شيء قدير. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين. ٧ / رجب /١٤١١. عز الدين آل بحر العلوم، السيد علاء الدين بحر العلوم، ومحمد الخرسان، السيد محمد الصدر، على الموسوي

السبزواري، محمد الطباطبائي الحكيم، احمد كاظم البهادلي، محمد حسين السيد موسى بحر العلوم، علي الغروي، هادي فياض، محي الدين الغريفي.»[١].

ويمكن أن نقرأ في الصحيفة ذاتها بيان لآية الله الخوئي حول الأمر ذاته، ومما جاء في هذه البيان: «بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) صدق الله العظيم. تمر بالأمة الإسلامية في هذه الأيام وبسبب تفرق كلمتهم ظروف قاسية وفجائع مؤلمة ومحن تحز في نفس كل غيور. مما أدى إلى اعتداء الكفار عليهم وإراقة الدماء البريئة وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات.

ومما يزيد في النفس ألماً يكون ذلك بفعل الأجنبي الكافر الذي ما انفك يوما عن التآمر جاهدا للوقيعة بين المسلمين وتحطيم مبائدهم وطمس حضارتهم»[٢].

لقد شكلت محطة وفاة الخوئي لصحافة النظام آنذاك، بعد اشكال الممارسة الاستغلالية، التي مارسها النظام لـــ «مرجعيته» باتجاه توظيفها إزاء سياسته الخارجية، وإزاء الرأي العام الداخلي، وفي أخطر مرحلة ثورية شهدها العراق خلال القرن الماضي، شكلت هذه المحطة مادة للتغطية من قبل صحف النظام وبالأخص صحيفة «العراق» الصادرة في ١٠ / آب / ١٩٩٢[٣]. وصحيفة «الثورة» الصادرة بالتاريخ ذاته[٤]. وكذلك صحيفة «القادسية» بتاريخ ١١ / آب / ١٩٩٢[٥]. وكذلك صحيفة «بابل» ومجلة «ألف باء» في ٢ / أيلول/ ١٩٩٢[٦]. و«الجمهورية» بتاريخ ٢٨ / أيلول / ١٩٩٢م[٧]. و«القادسية» الصادرة بتاريخ ٨ / تشرين الأول

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٧).
(٢) انظر صورة الملحق نفسه.
(٣) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٨).
(٤) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (١٩).
(٥) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٠).
(٦) انظر نص وصورة الصحيفة والمجلة في الملاحق، ملحق رقم (٢١).
(٧) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٢).

/١٩٩٢م[١]. و«القادسية» في ٢ / آب / ١٩٩٤م[٢].

لم يكن لننقل القارئ بهذه النصوص الصحفية لولا الأهمية القصوى لإعادة قراءتها، والوقوف عند دلالاتها، في إطار المبحث، الذي نحن بصدده، فقد أكدنا سابقا أن هذه «الحوزة» النجفية، التي وظفها صدام حسين بهذا الشكل، الذي يصب في اتجاه سياساته الخارجية والإقليمية والمحلية، برموزها وأسمائها التي أوردتها تلك الصحف، إنما استجابت لذلك مكرهة... إلا أن الثابت في الأمر الذي لا يستطيع أن ينكره أحد، هو مبدأ الاستجابة، الذي عبرنا عنه في ما مضى، بأنه يعبر عن «حوزة مهزومة ذاتياً»... وما يمكن أن يثار بهذا الصدد هو هل أن الواقع ما كان يسمح لكل هؤلاء ـ باستثناء محمد الصدر الذي كان يخبئ مشروعه واحمد الحسني البغدادي الذي كان لديه تنظيم سري يعمل ضد النظام ـ بأن يضعوا أنفسهم في موقع الذل تحت عنوان «التقية»، لو اخلصت النوايا فعلا؟ وهل مبدأ «التقية» يبرر إذلال الأمة من خلال عملهم به الذي قلنا عنه إنه إذلال لا بعده إذلال؟ إننا نعتقد انه إذا توقف الأمر على هذا الإذلال لهم وللأمة، وعلى خيارات أخرى كانت متاحة، فلا يمكن لعاقل أو متدين أن يرجح هذا الإذلال على خيار الهجرة خارج العراق، أو على خيار ترك «الحوزة» وجلوسهم في بيوتهم، إذا ما كانوا لا يملكون جرأة وشجاعة الصدرين الأول والثاني... وإذا كانت الذريعة ـ السيمفونية ـ المعتادة التي ستقال إزاء مثل هذا الكلام بأن أمر بقائهم يرتبط بـ «حفظ الكيان الحوزوي»... فأي كيان هذا الذي نحافظ عليه بالذل؟ وما فائدة «حوزة» ذليلة تنفذ إرادة السلطان وستكون مساهمة في قتل الناس الأبرياء؟ وما الذي ستخسره الأمة من هكذا «حوزة ذليلة» تؤدي إلى إذلالها بالكامل؟ وأي منجز معرفي لهذه «الحوزة» يبرر ذبح الأمة وإذلالها؟ إنه لأمر غريب أن تدعو هذه «الحوزة» للجهاد «مكرهة» من قبل صدام حسين ضد الأميركان... فيما هي تتخلف عن الجهاد، الذي خاضه الشهيدان الصدران الأول والثاني، وتوجا جهادهما

---

(١) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٣).

(٢) انظر نص وصورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٤).

بالاستشهاد... وإن لأمر غريب أن الشعب العراقي يكون ضحية «نخبه» الفكرية والثقافية والسياسية، التي لم توضح له الفرق بين هذين «الجهادين».. «الجهاد الإكراهي» تحت راية صدام حسين.. و«الجهاد الميداني» للصدرين.. وإنه لأمر غريب أن هذه «النخبة» تصالح بين هذين «الجهادين» لـــ «حوزة» النجف، ولا تفصل بشكل واضح بين الصدرين ورموز العراق الجهادية الأخرى.. وبين «حوزة» النجف بزعامة «مرجعها» الأعلى.

على أية حال ولكي تتضح الصورة بشكل أدق، لابد من الرجوع إلى صحافة النظام قبل سقوطه بسنوات قليلة لمواكبة عملية توظيفه لهذه «الحوزة» إذ ذهب عهد الخوئي، وجاء عهد السيستاني والباكستاني ومحمد سعيد الحكيم وبحر العلوم و«حوزتهم»، فقد أوردت صحيفة «الجمهورية» الصادرة بتاريخ ١٩/كانون الأول/١٩٩٨م، ما يلي: «علماء النجف الاشرف: الدفاع عن العراق واجب مقدس

ــ من النجف الاشرف / الجمهورية: اصدر عالمان دينيان من علماء مدينة النجف الاشرف فتوى اعتبرا فيها أن الدفاع عن العراق المسلم وكيان المسلمين واجب مقدس، وأهاب الإمام محمد سعيد الحكيم الطباطبائي والسيد الحسين التقي آل بحر العلوم المسلمين، أن يوحدوا كلمتهم في وجه العدو الغاشم، ويتمسكوا بتعاليم دينهم، ودعا السيد الحسين التقي آل بحر العلوم المسلمين إلى رد الاعتداءات الظالمة بوجه واحد وإيمان صامد، معتمدين على الله. واعتبر أن الدفاع عن الوطن المسلم وكيان المسلمين من الواجب المقدس على كل من استطاع إليه سبيلا»[1]. وقد جاء في الصحيفة ذاتها بعد يومين من النص المتقدم، ما يلي:

«بغداد / واع: أصدر سماحة السيد آية الله العظمى المرجع الديني الكبير علي السيستاني فتوى دعا فيها المسلمين إلى الجهاد من أجل الدفاع عن العراق وإفشال العدوان الأميركي البريطاني البغيض الذي يتعرض له شعبه الصابر. وجاء نص الفتوى. (بسم الله الرحمن الرحيم **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ**

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٥).

مُصْلِحُونَ، إلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) صدق الله العظيم

نستنكر ما يتعرض إليه العراق العزيز من عدوان غربي سافر وندعو إلى وقفة بجميع اشكالها سائلين الله العلي القدير أن يوحد كلمة المسلمين في مواجهة المعتدين ويدفع عن هذا البلد المسلم شر الأشرار وكيد الكفار وينعم عليه بالأمان والرخاء **(رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)** صدق الله العظيم

سماحة السيد آية الله العظمى المرجع الديني الكبير

علي الحسيني السيستاني)

ـ بغداد/ واع: وجه سماحة آية الله السيد حسين الصدر إمام الروضة الكاظمية المقدسة نداء إلى المسلمين عامة والى الشعب العراقي خاصة دعا فيه إلى الوقوف صفا واحدا خلف قيادة السيد الرئيس المجاهد صدام حسين حفظه الله ورعاه وفي ما ياتي نص النداء:

(بسم الله ارحمن الرحيم قال تعالى **(وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ)** وقال تعالى **(إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**. صدق الله العظيم

ونحن بمقدار ما نستنكر العدوان الجائر على وطننا الحبيب العراق العظيم من قبل الكفرة الملحدين والصهاينة المجرمين ومن اتبعهم ووالاهم ممن يدعون العروبة والإسلام، نهيب بشعبنا الصامد المجاهد الوقوف صفا واحداً بقيادة السيد الرئيس القائد صدام حسين متكاتفين متضامنين كالبنيان المرصوص أمام الأعداء الحاقدين الطامعين بأرضنا ووطننا وعزتنا وكرامتنا لنكون قد قمنا بالمسؤولية الشرعية وادينا الأمانة والله من وراء القصد إنه ارحم الراحمين.

الكاظمية المقدسة السيد حسين الصدر)

ـ بغداد/ واع: وجه المرجع الديني السيد محمد كلنتر الموسوي والمؤرخ الكبير الشيخ باقر شريف القرشي نداءين إلى جميع المسلمين وأبناء العراق دعوا فيهما إلى الاستبسال للدفاع عن العراق وترابه المقدس وفي ما يأتي نص النداءين:

(بسم الله الرحمن الرحيم قال عز من قائل: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ)** وقال عز من قائل: **(أَعِدّواْ لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ)** وقال عز من قائل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**. صدق الله العظيم

إن الدفاع عن الوطن والبلاد الإسلامية العراقية وكيان المسلمين ومقدساتهم واجب شرعي على كل من استطاع إليه سبيلا.. أخذ الله بيد المسلمين اتجاه هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله الذين يتربصون للمسلمين عليهم دائرة السوء.

السيد محمد كلنتر الموسوي

(بسم الله الرحمن الرحيم إن الاعتداء الصاروخي على وطننا العزيز من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا بفرض الحصار الغادر علينا وضرب منشآتنا الحيوية والاقتصادية وإزهاق الأنفس البريئة بصواريخهم وقنابلهم المدمرة الذي ينم عن حقدهم البالغ على هذا الوطن العظيم الذي هو القلعة الحصينة للعروبة والإسلام.. إنا نهيب بأحرار العالم أن يهبوا لإدانة هذا الاعتداء الذي هو اعتداء على العالم الإسلامي والعربي، وإنا نسأل من الله تعالى أن يمزق شمل المعتدين ويجعل عليهم غضبهم وأن يتغمد أرواح الشهداء بالرحمة والرضوان إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

باقر شريف القرشي

النجف الاشرف»[1]

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٦).

وجاء في صحيفة (الثورة) بتاريخ ١١/٢/١٩٩٩م ما يلي:

«نداء من آية الله السيد بحر العلوم إلى شعب العراق

صدر عن مكتب آية الله الحسين بن التقي آل بحر العلوم نداء موجه إلى شعب العراق في ما يأتي نصه: بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد: **﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾**. **﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾**، **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾** صدق الله العظيم

يا أبناءنا العراقيين الغيارى على إسلامهم وكرامتهم ووطنهم الحبيب يا أبناء (ثورة العشرين) المنتصرة بالإيمان الأعزل في وجه الكفر المدجج بالسلاح.

نهيب بكم يا أبناء العراق المسلم أن تقفوا صفا واحداً كالبنيان المرصوص في وجه الاستعمار الكافر بثالوثه الخبيث (الأنكلو أميركي الصهيوني) وبالضالع وراء ركابه الأهوج من بعض الدول القريبة المحسوبة على الإسلام وهو من نفاقها براء. نهيب بكم يا أبناء العراق اليوم أن تقفوا كما وقف آباءكم بالأمس في وجه الاستعمار الكافر بذاته وذاتياته لتردوا الغارات الصاروخية الموجهة إلى عامة محافظات القطر وبالأخص على النجف الاشرف مثوى الإمام العظيم رائد الإنسانية والإسلام علي بن أبي طالب (ع). دافعوا أيها العراقيون النشامى عن وطنكم وإسلامكم وكرامتكم وممتلكاتكم الحيوية ومن الواجب المقدس على كل من استطاع إليه سبيلا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحسين بن التقي آل بحر العلوم

صدر عن مكتب السيد بحر العلوم

النجف ـــ جامع الطوسي ١٨ / شوال لسنة ١٤١٩هـ»[١]

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٧).

وقبل ذلك بتاريخ ٢/كانون الثاني/١٩٩٩ نشرت صحيفة «العراق» التالي:

«المراجع الدينية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف / العدوان الهمجي الذي شنته أميركا وبريطانيا ضد العراق.

استنكر عدد من المراجع الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الاشرف العدوان الهمجي الذي شنته أميركا وبريطانيا ضد العراق. وأكدوا في فتاوى أصدروها حول العدوان الغاشم أن هذا العدوان الذي يتناقض مع كل القيم السماوية لا يستهدف العراق حسب بل الأمة الإسلامية جمعاء.. مطالبين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بإدانة هذا العدوان السافر الذي يهدف إلى إطالة أمد الحصار الجائر المفروض على الشعب العراقي. فقد اصدر الفتاوى كل من السيد علي الحسيني البهشتي، والسيد محمد مهدي سيد حسن الموسوي الخرسان، والشيخ بشير حسين (الباكستاني) النجفي، والشيخ احمد البهادلي، والسيد عدنان البكاء»[١].

وبعد وفاة السيد بحر العلوم، الذي كان مرشح النظام لـــ «المرجعية العربية» بعد صراعات مريرة خاضها جميع «المراجع» ضد «مرجعية» الشهيد محمد محمد صادق الصدر، أعطى النظام أهمية بارزة له[٢]. وقبل ذلك جاء في «القادسية» الصادرة بتاريخ ٤/آذار/٢٠٠١م، استنكار مجموعة من المراجع للعدوان الأميركي، إذ «اصدر عدد من رجال الدين في العراق فتاوى دانوا فيها عدوان الرجعة الرابعة الأخيرة على العراق.. اصدر السادة العلماء الشيخ بشير حسين (الباكستاني) النجفي الفتاوى التي شجبوا واستنكروا فيها العدوان الأميركي البريطاني الصهيوني على قطرنا المجاهد وننشر في ما يلي يا صوراً لفتاوى السادة العلماء»[٣].

وقبل ذلك بتاريخ ١٢/تشرين الأول/٢٠٠٠ نشرت صحيفة «العراق» ما يلي:

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٢٨).

(٢) انظر نص وصورة صحيفة الرأي التي جاء فيها موضوع بعنوان «ماذا تضمنت وصية السيد بحر العلوم» في الملاحق، ملحق رقم (٢٩).

(٣) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٣٠).

«رجال الدين الأفاضل في النجف الاشرف يدعون للجهاد ومقاتلة الصهاينة اليهود المفسدين: (وجه علماء الدين في النجف الاشرف نداء إلى أبناء الأمة العربية والإسلامية للجهاد ومقاتلة الصهاينة اليهود المعتدين على أرض المقدسات في القدس الشريف موضحين في نداءات.. أن وحدة العرب والمسلمين في مواجهة العدو الصهيوني كفيلة بالتصدي لمخططاتهم الخبيثة التي تستهدف قيم ومبادئ أمتنا العربية والإسلامية، وأهاب العلامة السيد حسين بحر العلوم بالغيارى على عروبتهم وإسلامهم في كل مكان أن يقفوا باسم الإسلام موقف الجهاد المقدس بوجه الصهاينة المتمردين مشيرا إلى أن إسرائيل اللقيطة لن تتجرأ بعدوانها الشرير ضد العرب والمسلمين إلا بدافع ودعم من الاستعمار الغربي الكافر، ودعا العلامة السيد علي السيستاني أبناء الأمة الإسلامية إلى رص صفوفهم ويوحدوا كلمتهم ويستجيبوا لأمر الله عز وجل بقوله (**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) وأن يكونوا يدا واحدة على من تكالب عليهم من قوى الشر والكفر. وأكد العلامة السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم أن الكيان الصهيوني فئة ملعونة مغضوب عليها بالجريمة والعدوان ما زالت تمارسها في تاريخها الطويل مستنكراً بمرارة وأسى ما قامت به العصابات الصهيونية من انتهاك لحرمة المسجد الأقصى أولى القبلتين والاعتداء على الشعب العربي في فلسطين.

وقال العلامة الشيخ بشير النجفي إن من المحزن أن تتمكن زمرة من الصهاينة مليئة بالحقد والكراهية على العدالة والإنسانية من زرع كيانها في قلب البلاد الإسلامية.. مباركا انتفاضة الأقصى والدور الفاعل لأطفال وشبان فلسطين الواعي المتحمس لمواجهة العدو الصهيوني المدجج بأحدث الأسلحة وافتك آليات الحرب المدمرة المبيدة وشفاههم تبتسم للموت على الحق دفاعا عن أنفسهم وأعراضهم ومقدساتهم»[١].

---

(١) انظر صورة الصحيفة في الملاحق، ملحق رقم (٣١).

"الرباعي المرجعي"
بين
السلطة الصدامية والسلطة الاميركية

علينا أن نتوقف من جديد إذن على ضوء مجموعتي النصوص المطولة حول ذات المجموعة «المرجعية» الرباعية «علي السيستاني (الايراني)، واسحاق فياض (الافغاني)، وبشير النجفي (الباكستاني)، ومحمد سعيد الحكيم»، و«حوزتهم» في مرحلتين، مرحلة نظام صدام حسين البائد، ومرحلة العراق المحتل أميركيا، وعلينا أن نلحظ الواقعين للمرحلتين... والتوقف عندهما، و«المرحلة» لا شأن لها هنا بأي منجز فكري أو معرفي أو حتى فقهي، لان هذه الرموز لا شأن لها بما هو فكري ومعرفي معاصر، أما في الجانب الفقهي فإن تمايزوا وإن لم يتمايزوا في المنجز، فالأمر سيان، كون هذا المنجز في الحالتين ما هو إلا امتداد لـــ «مدرسة» فقهية ــ اجترارية ــ تقليدية، يتساوى فيها العمق واللاعمق من حيث العلاقة مع شؤون الأمة، وشؤون العصر... فعنوان التوقف والملاحظة الأبرز ارتبط بـــ «الجهاد» و«فتاواه» الإكراهية، في ظل نظام صدام حسين، و«فتاواه الواقعية» في ظل الاحتلال الأميركي.. فالأمر بدا أنه انتقال من «الجهاد الإكراهي» إلى «المرونة والواقعية مع الاحتلال»... وبما أن هذا «الجهاد» كان إكراهياً، فإن الانتقال بمعنى آخر سيكون من «التقية» الدفاعية عن صدام حسين[1] إلى «الواقعية»، ومن الإذلال إلى «الفضيحة»، ومن «الارتباط

---

(١) انظر نص وصورة مقال نشرته مجلة «الف باء» بتاريخ ١١/ تشرين الاول/١٩٩٥م حول موقف بعض الرموز العمائمية النجفية من نظام صدام حسين في الملاحق، ملحق رقم (٣٢).

المحلي» إلى «الارتباط مع المحتل الأميركي»، ومن توظيف صدام حسين إلى توظيف الاميركان، ومن المؤثر المحلي إلى المؤثر الإقليمي، ومن المؤثر المحلي إلى المؤثر الدولي الاحتلالي، ومن اصطفاف «مرجعي» رباعي، إلى اصطفاف «مرجعي» رباعي مميز برمز اعلى، ومن دور إلى الدور ذاته في أحد محاوره، ففي مرحلة صدام حسين كان هذا الرباعي قد اتخذ موقفا عدائيا ضد الشهيد محمد صادق الصدر، وفي مرحلة الاحتلال الأميركي اتخذ أيضاً الموقف ذاته، إزاء امتداد ظاهرة الصدر الثاني المليونية، فهذه الظاهرة بغض النظر عما آلت إليه، وبغض النظر عن الجوانب المعرفية والتنظيمية والانقسامية إلا أنها يمكن القول عنها.. إنها ظاهرة لم يشهد تاريخ العراق مثيلا لها من حيث حجمها الجماهيري المليوني، وكان من الممكن تصور حمايتها وتفعيلها والوقوف بوجه الاستهداف الأميركي لها، الذي لا يحتاج إلى معرفة، لو توفر لها «الغطاء المرجعي» الفاقدة له، إلا أن الظروف، التي حكمت ظاهرتي الصدرين الأولى والثانية تتشابهان في هذا الإطار، ففي حين «مرجعية» الخوئي «الأحادية» المتحكمة بـ «الحوزة» اختارت أن تترك الشهيد محمد باقر الصدر وامتداده الجماهيري لقدره، فإن «المرجعية الرباعية» برمزية السيستاني اختارت أيضاً أن تترك الشهيد محمد محمد صادق الصدر وامتداده الجماهيري لقدره أيضاً، ولكن بشكل أمر وأقسى، وما يمايز هذه المرارة والقساوة هو التعاون العلني مع المحتل الأميركي تحت عناوين «المرونة والواقعية والعقلانية والأمر الواقع»!!!!!

فكثيرا ما يجد المرء نفسه أمام أسوء حالات الهزيمة النفسية إزاء هذه الأفعال العمائمية للسيستاني وغيره من أنصار هذا الرباعي «المرجعي».. وذلك عندما يقولون علنا بلا خجل أو تردد «إن هذه أميركا.. فهل يمكن لأحد أن يقاومها كأكبر قوة في العالم»؟، إن هؤلاء المهزومين المرتزقة ينظرون بعين الجبن والخواء الداخلي والارتزاق والتبرير، فيما عينهم الأخرى عمياء لا تنظر إلى تاريخ الأمم والشعوب وتجاربه المقاومة للاحتلال ــ القاعدة ــ التي حكمت التاريخ.. قاعدة واضحة قوامها الدفاع عن الأوطان، ومقاومة المحتلين، وتحرير الأرض، وصون الكرامة، ورفض

نل الاحتلال ودفع ضريبة الشرف والدين، ومَنْ شذ من الأمم والمجتمعات عبر التاريخ عن ذلك يمثل استثناءً محكوما إلى ظروف تعجيزية، كما أن هؤلاء «المعممين» المرتزقة الناطقين دفاعا عن رموزهم العليا وعينهم الثانية عمياء عن الثورة الإسلامية، التي هزت الكون ولاتزال تفاعلاتها قائمة وهي ملاصقة للعراق، وقادها الإمام الخميني ضد حاكم محلي، وليس ضد محتل أجنبي، بمعنى الاحتلال المباشر.. كما أن عينهم الثانية عمياء عن أصغر دولة عربية وحزب واحد في داخل هذه الدولة يهدر خطاباً ثوريا، وفعلا ميدانيا ــ مقاوماتياً ضد المحتل الإسرائيلي، وحليفه الأميركي، وهو حزب الله، وعينهم عمياء أيضاً عن ملحمة المقاومة الفلسطينية في غزة، أن هؤلاء لم يكونوا قراءً للتاريخ الإنساني، وهم لم يكونوا كذلك، فإنهم عاشوا وعايشوا جدل ثورة الإمام الخميني وجدل حزب الله، الذي هزم إسرائيل مرتين وجدل الملحمة الغزاوية «الاعجازية»... إنهم نتاج لهذه «الحوزة» النجفية، بقاعدتها، وليس باستثنائها الثوري ورموزه وصولاً إلى الصدرين منهما.. كما أنها «حوزة» تمثل امتداداً لرموزها القدامى المتحالفين مع السلطان في القاعدة ما قبل العصر المغولي وما بعده[1]... مع الفارق بين معاناة الأمتين، الأمة أيام الحلي، والأمة أيام

(١) يمكن العودة الى تاريخ الترجمات «الشيعية» للاطلاع على علاقة «الفقيه» بالسلطان، ويمكن الوقوف على العلامة الحلي كنموذج تعايشي مع السلطان المغولي في كتاب (روضات الجنات في احوال العلماء والسادات)، تأليف العلامة محمد باقر الموسوي الخونساري الاصبهاني، الدار الاسلامية، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٩٩١م حيث جاء فيه: «ومن سوانح سنة سبع وسبع مئة اظهار خدا بنده شعار التشيع باضلال ابن المطهر، وانت خبير بأن مثل هذا الكلام المنطوق صدر من أي قلب محروق والحمد لله. ثم ان العلامة ــ اعلى الله مقامه ــ اخذ من بعد ذلك بمعونة هذا السلطان المستبصر الرؤوف في تشييد اساس الحق، وترويج المذهب على حسب ما يشتهيه، ويريد، وكتب باسم السلطان الموصوف كتابه المسمى بــ (منهاج الكرامة) في الامامة وكتاب (اليقين) المتقدم، ومسائل شتى وغيرهما، وبلغ ايضا من المنزلة والقرب لديه بما لا مزيد عليه، وفاق في ذلك على سائر علماء حضرة السلطان المذكور مثل القاضي ناصر الدين البيضاوي، والقاضي عضد الدين الايجبي، ومحمد بن محمود الآملي صاحب كتاب (نفائس الفنون) و(شرح المختصر) وغيره، والشيخ نظام الدين عبد الملك المراغي من

←

السيستاني، فالأمة والوطن في أيام هذا الأخير، وفي ظل الاحتلال الأميركي للعراق، تحولا إلى «إعلان تلفزيوني تجاري ــ مدفوع الثمن» من على فضائيات العالم... وربما لا يعرف لا السيستاني ولا غيره بان هذا الإعلان، الذي يرمز أو يخبئ ما لا يوصف من استفزاز ودلالات سيتحول إلى إعلان حقيقي لنهاية هذا الكون، ولنهاية التاريخ.. وهذا ما له حديث مفصل آخر.. ومهما يكن نعود لنقول إن «حوزة النجف حوزة متأثرة».. وليس مؤثرة، لا بل انها «حوزة تابعة» يؤثر بها «الكل»، بما فيه التجار الفرادى الذين مررنا عليهم بفقرة مقارنة مع «حوزة» قم التي وأن لم تكن «حوزة» مؤثرة بالمطلق، إلا أنها على اقل تقدير بخلاف «حوزة» النجف. إنها «حوزة» ليس متأثرة بالمطلق و«حوزة» ذات دور مؤثر ومتأثر محليا وخارجيا، و«حوزة» جدلية ذات حراك اجتماعي، وحتى في ظل حراكها السيئ، فهي «تناصف» الحاكم المحلي أشياءه لصالحها ولصالح الأمة، «ويتناصف» المؤثر الخارجي أشياءه معها. واقعها هذا وتصاعد حراكها، توج بثورة الإمام الخميني، الذي اريد لخطه ان ينوي هو الاخر بالمتغيرات التي مرت معنا.

ذلك كله لان «حوزة» قم هي حوزة «وطن».. ولان «حوزة» النجف هي وافدة للوطن، لا علاقة لها به من حيث الارض ومعناها وازماتها، فهي لم تنطق

افاضل الشافعية، والمولى بدر الدين الشوشتري، والمولى عز الدين الايجبي، والسيد برهان الدين العبري، وغيرهم. وكان ــ رحمه الله ــ في القرب والمنزلة عند السلطان المذكور بحيث كان لا يرضى بعد ذلك ان يفارقه في حضر ولا سفر بل نقل انه امر لجنابه المقدس، وطلاب مجلسه الاقدس بترتيب مدرسة سيارة ذات حجرات ومدارس من الخيام الكرباسية وكانت تحمل مع الموكب الميمون اينما يصير، وتضرب بأمره الانفذ الاعلى في كل منزل ومصير. ونقل انه وجد في أواخر بعض الكتب وقوع الفراغ منه في المدرسة السيارة السلطانية في كرمانشاهان، ومثل ذلك غير بعيد عن السلطان المعظم اليه المذكور مع ما هو المشهور انه ــ رحمه الله ــ كان يعتني بالعلماء والصلحاء كثيرا، ويحبهم حبا شديدا، وانه قد حصل للعلم والفضل في زمان دولته العالية رونق تام ورواج كثير، ومن العجيب ان وفاته ــ رحمه الله ــ اتفقت في سنة وفاة السلطان المذكور كما في (الرياض) وغيره».

مرة واحدة ازاء هذه الارض عندما «اهدى» «اطرافها» نظام صدام حسين الى دول الجوار الملتصقة بالعراق، واذا كان احد في هذا الكون لديه قصاصة ورق مخبوءة لـــ «المراجع» الذين مررنا عليهم تدون موقفاً ازاء أي ترسيم من ترسيمات الحدود مع دول الجوار على حساب ارض العراق، فليظهرها للعالم، ونحن اذ نسوق ذلك كمثال حول الارض الرامزة للوطن في احد مكوناته، فاننا نسوقه تحدياً في ان يكون احد رموز «الحوزة» كان قد سجل موقفاً حيال ارض العراق «المهداة» والمنهوبة، واذا كانت الارض غائبة في «فتاوى المفتين» الوافدين الى العراق و«الناطقين باسم مؤسسته الشيعية الدينية»، فقد مر معنا ما يكفي من «فتاوى» ترتبط بالموقف من الانظمة السياسية اسميناها «فتاوى اكراهية» صادرة تحت سلطة الخوف والذل والتهديد، و«فتاوى واقعية» تحت سلطة الاحتلال الاميركي ازاء اشياء الوطن المرتبطة بالامة، او الشعب كمكون ثاني من مكونات الوطن يضاف الى مكون الارض، ونحن لم نحشد نصوص صحافة نظام صدام حسين، والانظمة التي قبله المتضمنة لـــ «فتاواهم» الاكراهية لارهاق القارئ، وتكرار سمفونية مشروخة يعرفها العراقيون جميعاً.. نعم العراقي يعرف لكنه قد ينسى، والعراقي يعرف لكنه ليس بالضرورة ان يملك ادوات التحليل، والعراقي يعرف لكن مشاغله قد لا تسمح له ان يكون مواكباً لهذا التكرار.. والعراقي يعرف باجياله التي عايشت ذلك الواقع، لكن الاجيال اللاحقة قد تضيع عليها الحقيقة، كما ضاعت حقائق على الاجيال السابقة... ولهذه الاسباب واخرى غيرها اقتضى التحشيد لهذا الكم من «الفتاوى» الاكراهية لهذه «المرجعية» ازاء الانظمة العراقية وممارساتها حيال الامة.

وكانت حصيلة هذه «الفتاوى».. «نعم لذبح الشهيد الصدر الاول وجيله الثوري، ونعم لذبح ثوار الانتفاضة، ونعم لذبح جيل الصدر الثاني ورمزه، ونعم لكل ما يريده صدام حسين»... وهل غير ذلك من «نعم» واحدة للوطن بمكون الامة فيه؟ فلا الارض ولا الامة كمكونين من مكونات الوطن حضيا بـــ «نعم» واحدة.. و«النعم» المكرورة كلها كانت لـــ «النظام السياسي» الحاكم كـــ «مكون»

ثالث لهذا الوطن، فماذا تبقى من هذا الوطن اذن؟ هذا في مباني الوطن ومكوناته، اما في تفاصيله المرتبطة بمعرفة الوطن واشياءه فقد تحدثنا وسنتحدث عنها، وحتى الان تجلت لنا عبر ظاهرة «القائد الديني بلا لسان» كظاهرة غريبة لم يشهدها تاريخ البشرية، ولا عالم الكرة الارضية الآني.

ان جدلية «المرجعية النجفية» والوطن.. جدلية «هزلية» و«فكاهية» و«بكائية» في آن معاً... حتى عندما تحاول ان تضع على كتفها «شارة الوطن»، فهي ستضعها عنواناً مخجلاً يكتبه «كُتّاب الصدف».. وازاء السيستاني كرامز لـ «حوزة النجف»، فلم يجد بـ «اموال المرجعية» و«دعم قوات الاحتلال الاميركية» و«النخبة السياسية المحلية» ووكلائه ومؤسساته و«مكاتبه المرجعية» من يضع على كتفه «شارة الوطن كتاريخ»... لم يضعها سوى «كاتب» يعرفه «العراقيون المعارضون السابقون».. ان لا يكتب الا تحت سلطة «احد الكتبة المعرفية، لانه اذا ما ترك لشأنه فهو «لا يعرف ماذا يكتب».. انه «يعرف ان يمدح» فقط مقابل المال، وبعبارة اخرى فانه كاتب «حسب الطلب»... ولانه كذلك فقد كتب يوم ما في صحيفة «شيرازية» «نعم للشيرازية اذا كانت الشيرازية كذا وكذا، ونعم لها اذا كانت كذا وكذا... الخ»، وكتب مرة اخرى حول «عبقرية محسن الحكيم في جريدة نداء الرافدين» ـ ونحن نحتفظ بما كتب ـ لم يجد مكتب السيستاني في دمشق سوى هذا الكاتب ذاته لكي يضع «شارة الوطن» على كتف السيستاني، فهو ـ هذا الكاتب ـ يُستدعى لمثل هذه المهمات لكنه يضع عناوين ولا يضع «شارات وطن».. وبالتالي فهو ومن حيث لا يشعر، ولا يشعر الاخرون الذين كلفوه الكتابة انه عندما يكتب فهو لا يضع «شارة وطن » على كتف «المراجع» السيستاني او غيره.. وانما يكشف عبر عناوين ما يكتب لمن لا يعرف عن غياب هذه «الشارة الوطنية»!!

وحسناً يفعل هكذا «كتبة بالصدفة» لان مجيئهم في الزمن يأتي بالصدفة، وهم لا ينتمون الى الكتبة المعتاشين او المرتزقة، لان لهؤلاء «ادواتهم الكتابية»

و«منهجهم التلاعبي» لـ «صناعة الكتابة». وحسناً «وقع» السيستاني في فخ هذه الشاكلة من الكتبة، فلنرى كيف وضع الكاتب «شارة الوطنية» على كتف السيستاني، فقد جاء في كتاب صدر بعد احتلال العراق باشهر تحت عنوان «لمحات من حياة الامام السيستاني، فقيه عصر ورجل سياسة»، وفي فقرة داخلية فيه تحت عنوان «الامام المرجع والحركة الوطنية الاستقلالية» ما يلي: «شكل سقوط النظام الدكتاتوري في بغداد بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٩ حدثاً سياسياً ودولياً عظيماً وهاماً. واحدث دون شك دوياً هائلاً في كل مكان، في العالم العربي والاسلامي وفي ارجاء العالم. واهمية هذا الحدث نابعة دون مواربة من اهمية الازمة الوجودية التي اسسها النظام السابق في العراق وبين العراق وبقية المكونات العربية والاسلامية والدولية عبر حروبه ونزاعاته واحتلاله دولة الكويت وحربه ضد ايران واستخدامه الاسلحة المحرمة ضد الاكراد في الشمال والشيعة في الجنوب وقتل الناس وقمع الحريات وتحويل البلاد الى مزرعة لرجال السلطة واحفاد عوائلها وزبانيتها وحزبها.

وقد اكد سقوط النظام سقوط الدكتاتورية والعنف المسلح وقمع الحريات وبداية مجيء مرحلة سياسية خالية من اسلحة الدمار الشامل وحكم الفرد الواحد والحزب الواحد والايديولوجية المتفردة وتلك البداية لابد ان يتم تشكيلها بارادة الشعب العراقي ومرجعيته الدينية وقواه الوطنية السياسية من كافة المشارب والتوجهات والتيارات» ويضيف: «فالعراق القادم هو عراق مختلف تتشكل ادوات ومكونات دولته من خلال توافق الارادات واتفاق المواقف ولو بحدودها المعقولة لبناء نظام وطني دستوري برلماني تعددي يقوم على اساس ان يكون الاسلام دين الدولة كون الاسلام يمثل اكثرية الشعب العراقي ومن هنا تدرك المرجعية الدينية الممثلة بالامام آية الله العظمى السيد علي السيستاني انها معنية بتأصيل وتكريس حقوق العراقيين وحماية مكتسبات انتفاضته وثوراته وكفاحه السياسي الطويل ضد الدكتاتورية وتدرك ايضاً موقعها في دائرة التحول الوطني من الدكتاتورية الى الدولة القانونية ــ الدستورية ــ لكنها تعلم ايضاً ان اهمية المرجعية الدينية تكمن

في تفاعلها الفقهي والفكري والسياسي مع اجراءات وتفاصيل وحيثيات التحول خصوصا وان القوات الامريكية وادارتها المدنية حسمت امر اعادة السلطة للعراقيين بقرارها تسليم مقاليد الحكم بعد حزيران سنة ٢٠٠٤ كما اكد ذلك الحاكم المدني الامريكي بول بريمر.» ويواصل «ما بذله ويبذله الامام السيستاني في هذا المجال كبير جداً بالقياس الى قصر مدة دخول العراق في دائرة الاستهداف العسكري الامريكي ووقوع البلاد تحت الاحتلال وبالقياس الى الترتيبات التي سبقت قيام مجلس الحكم حيث كانت البلاد بدون سلطة مؤقتة او حكومة شكلية تسيّر الشؤون وتتولى بعض المقاليد والقرارات. الامام ادى وبحزم ارادة واعية وذهنية منفتحة على التطورات السياسية والعسكرية العاصفة التي شهدها العراق الدور المفترض ان يؤدية فقيه كبير مثله، فقد تصدى للمسألة العراقية بكل التعقيدات التي تحملها في داخلها بروح مخلصة لشعبها ودينها ومشروعها الاجتماعي ومستقبل انسانها، ومن بين اهم المسائل الوطنية التي اهتم الامام بها واولاها الاهمية الاستثنائية مسألة صياغة الدستور الذي سيضع العراق على سكة الامن والاستقرار والرفاهية والتطور والمدنية والديمقراطية وآفاق علاقاته العربية والاسلامية والدولية وكانت له آراءه وتوجهاته الفقهية والفكرية والسياسية حيث اصبح ما بعد سقوط النظام وتحريك ملف اعادة نظم ايقاع الحركة السياسية في البلاد بعد عهود من الديكتاتورية والاستبداد ملاذ القوى السياسية الوطنية الباحثة عن استقلال بلادها ورفاهيتها فضلاً عن تحول الامام المرجع الى مرجعية قرار خاص بتوجهات البلاد القادمة يؤخذ رأيه في كل صغيرة وكبيرة ويتطلع كل الذين يهمهم امر العراق الى النجف ومرجعيته الدينية باعتبارها القاعدة الفقهية والسياسية والفكرية التي تنظم الفعل السياسي الوطني وتوفق ما بين الفرقاء وتعيد انتاج الحياة السياسية على اساس المشاركة والتعايش وقبول الآخر مهما كان هذا الآخر» ويسهب بالقول «المسألة الدستورية التي يلح الامام السيستاني على ضرورة ان تكون المسألة الاولى نابعة من كون الامام يريد تأسيس نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي في بلاد غير قائم على حاكمية الفرد المطلقة ــ الحاكمية التي

كلفت البلاد اكثر من ثلاثة عقود من الحروب والازمات الحدودية والقتل والتعذيب والاعتقال والاختفاء لاكثر من اربعة ملايين مواطن عراقي. ان الامام لا يريد اعادة الدكتاتورية ونظام الاستبداد ببراقع ووجوه اخرى تحت غطاء الديمقراطية ولوائها ولا يريد استعادة النهج السابق في التعاطي مع القيم والنظم التي لها علاقة باخلاقيات الامم وتوازناتها السياسية والثقافية كمسألة الدستور وكتابته والاتفاق على رأي عراقي واحد يقود البلاد الى الوحدة لا الفتنة والتماسك لا التشرذم».

ويختم فقرته بالتالي

«ففي جوابه لمراسل وكالة انباء اسوشيتد بريس الامريكية في بغداد بتاريخ ٢١/ شعبان/١٤٢٤هـ رداً على سؤال حث الامام على انتخاب من يكتب دستور العراق الجديد ان الاستفتاء على الدستور كتبه اناس تم اختيارهم من كل شرائح المجتمع وفئاته فهل تتم شرعيته على اساس اختيار فئات اجتماعية لكتابة الدستور يجيب الامام على ذلك قائلاً: (في وضع العراق الحالي لا توجد أية جهة يمكنها ان تقوم باختيار اعضاء مجلس كتابة الدستور بصورة مقبولة من الجميع بحيث يتمثل في المجلس المشكل جميع شرائح المجتمع العراقي تمثيلاً عادلاً بل ان المؤكد ان المصالح الشخصية والفئوية والعرقية والحسابات الحزبية والطائفية ستتدخل بصورة او باخرى في عملية الاختيار ويكون المجلس المشكل فاقداً للشرعية ولا يجدي عندئذ اجراء الاستفتاء على ما يضعة من الدستور بـ نعم او لا فلا بديل عن اجراء انتخابات عامة لاختيار اعضاء المؤتمر الدستوري)» [١].

الى هنا لا نريد ان نسهب في التعليق على هذه النصوص، فعلى القارئ ان يقارن بين «الفتاوى الاكراهية» ازاء الحرب العراقية الايرانية، وحرب الخليج الثانية، واحداث الانتفاضة الشعبانية، وتصفية الرموز الوطنية، وقصف العراق

---

(١) عمار البغدادي، (لمحات من حياة الامام السيستاني، فقيه عصر ورجل سياسة)، ص ٣٩ ـ ٤٢، قمر العشيرة للطباعة والنشر.

بالطائرات الاميركية، للرباعي «المرجعي» برمزه السيستاني الاعلى في صحف النظام التي حشدناها توثيقا، وبين نصوص الكاتب المارة عن «الحركة الوطنية» و«الحركة الوطنية الاستقلالية» اسماءها، احزابها، رموزها، فعلها، ملامحها، قبل ان يبحث عن موقف «الامام السيستاني» ازاءها، انه سوف لا يجد الا عنوان ومتون بأسم «الوطن وامامه الحنون»!!

الفصل السادس

"حوزة" بشرية..

"حوزة" صنمية

الصنم البشري .. والصنم الحجري

بعد كل ما مر علينا، صار واضحاً أن واحدة من أكبر أزمات الواقع «الشيعي» العراقي ترتبط بهذه المفارقات، التي تقود إلى مفارقة أخرى لا تقل غرابة عن تلك المفارقات، وتتمثل بجزء كبير من طبيعة الوعي «الشيعي» لدى الناس، الذين يتعايشون مع هذا الواقع القيادي الغريب، وبالتالي فإنهم يشكلون حاضنة اجتماعية له، أو تياراً جماهيرياً «شيعياً» يأتمر بأمر قائد ديني بلا لسان عربي، فإذا سكت هذا القائد سكتوا، وإذا كتب أخذ بعضهم بما يقول، وهذه بلا شك أزمة شائكة ترتبط بالدين الموروث وحراسه، وترتبط بموضوعة «التقليد الشرعي» وثم ترتبط بالاختلاط والالتباس في المفاهيم الدينية كالتقية والشفاعة والانتظار والصبر لدى الناس ــ وهذا ما له مجاله الآخر ــ وبعيداً عن الجانب الديني، فإنها ترتبط بالديمغرافية العراقية، ووعي بعض الشرائح الاجتماعية، التي تعود إلى أصول قومية غير عربية، فهو وعي حذر من إثارة هذه الأزمة لأنه اختلط لديها مع سياسات الأنظمة، التي حكمت العراق، وخوفها من التسفير إلى بلدانها، كما حصل أكثر من مرة. ولاسيما في بداية السبعينيات ونهايتها، وبداية الثمانينيات[1]. في حين أن هؤلاء هم مواطنون عراقيون ولدوا في

(١) إن من المفارقات، التي تؤشر على عمق النخر القائم في «الحوزة النجفية» وعدم انتمائها للوطن واندكاكها بشؤون الناس، هو مواقفها مما عرف بحملات التسفير، التي مارسها نظام البكر ــ صدام حسين البائد ضد مواطنين عراقيين بحجة انتمائهم إلى أصول إيرانية.. إذ لم ←

العراق، وأصبحوا أبناء لهذا الوطن وليس من حق أحد أن يشكك في مواطنيتهم، والذين سُفروا منهم وهم يحملون الجنسية العراقية كانوا ضحايا سياسات إجرامية، وحجز صدام حسين من أولادهم الشباب ثمانية آلاف شاب، ولم يسفرهم مع عوائلهم، ولم يعرف أحد مصيرهم حتى بعد سقوط النظام في جريمة من جرائم الإنسانية الكبرى، التي لم تثر أحد من ناطقي حقوق الإنسان في حينها..

إن هذا الواقع أسس لدى هؤلاء وعياً حذراً من إثارة هذه الأزمة، وخوفاً مفهوماً حتى إذا كان يرتبط بموضوع آخر، هو موضوع القيادة، التي لا تنطق لغة الوطن، ولا تتدخل في شؤون المجتمع والسياسة. في حين أن ذلك لا علاقة له إطلاقاً بمواطنة هذه الشريحة، التي لم تكن مسؤولة حتى عن هذا الخوف والحذر الذي يعتريها، بقدر ما أن الأنظمة هي المسؤولة عبر ممارساتها عن ذلك. والخطورة التي تنجم في نهاية المطاف عن وعي الحاضنة الاجتماعية لقائد لا يتحدث لسانها سواء كانت عراقية عربية، أم من أصول أخرى هي من هذا «الصمت» القيادي الديني، أو ما أسماه الشهيد الصدر الثاني «المرجعية الساكتة»، وليس بالضرورة أن يكون سبب سكوتها لأنها لا تجيد اللغة دائماً، فهنالك «مرجعيات» عربية عراقية صامتة، إلا أن صمتها

يلاحظ أن «الحوزة» برمزها الأعلى قد اتخذ إجراء ما أو موقف ما إزاء ذلك، فيما أن مثل هذا الأمر ـــ التسفير عندما يستهدف «الحوزة» ذاتها ـــ فانه يؤدي إلى إثارة «الحمية» داخلها... ومحاولات التحرك التي يقوم بها بعض الأطراف داخلها لوضع حد لمثل هذه الإجراءات، والتحرك نحو «المرجع الأعلى» من أجل دفعه لمواقف ضاغطة على السلطة.. وبالطبع ليس المقصود هنا هـــو «خطأ تحرك من يتحرك» مـــن أجـــل ذلك ولا «المرجع الأعلى» سوف «يبادر أو لا يبادر» كأستجابة لهذا التحرك، وإنما المفارقة تكمن في وجوده سواء تحرك هذا «المرجع الأعلى» أم لم يتحرك، أم تحرك بانتقائية ثأرية لطلابه ووكلائه دون غيرهم، أو، لا... فمثل هذه الإجراءات عندما تحصل لشرائح من المجتمع لا يلاحظ أي موقف لـــ «الحوزة» منه، وعندما تستهدف «الحوزة» يحصل مثل هذا التحرك، بغض النظر عن نتائجه، وربما أن الذين يندفعون لممارسة هذا التحرك يندفعون بدافع «الحمية الدينية» الصادقة.. إلا أن حميتهم هذه إزاء «الحوزة» فقط، في حين تموت هذه الحمية إزاء الأمة عندما تتعرض لمظالم السلطة.

العراق، وأصبحوا أبناء لهذا الوطن وليس من حق أحد أن يشكك في مواطنيتهم، والذين سُفّروا منهم وهم يحملون الجنسية العراقية كانوا ضحايا سياسات إجرامية، وحجز صدام حسين من أولادهم الشباب ثمانية آلاف شاب، ولم يسفرهم مع عوائلهم، ولم يعرف أحد مصيرهم حتى بعد سقوط النظام في جريمة من جرائم الإنسانية الكبرى، التي لم تثر أحد من ناطقي حقوق الإنسان في حينها..

إن هذا الواقع أسس لدى هؤلاء وعياً حذراً من إثارة هذه الأزمة، وخوفاً مفهوماً حتى إذا كان يرتبط بموضوع آخر، هو موضوع القيادة، التي لا تنطق لغة الوطن، ولا تتدخل في شؤون المجتمع والسياسة. في حين أن ذلك لا علاقة له إطلاقاً بمواطنة هذه الشريحة، التي لم تكن مسؤولة حتى عن هذا الخوف والحذر الذي يعتريها، بقدر ما أن الأنظمة هي المسؤولة عبر ممارساتها عن ذلك. والخطورة التي تنجم في نهاية المطاف عن وعي الحاضنة الاجتماعية لقائد لا يتحدث لسانها سواء كانت عراقية عربية، أم من أصول أخرى هي من هذا «الصمت» القيادي الديني، أو ما أسماه الشهيد الصدر الثاني «المرجعية الساكتة»، وليس بالضرورة أن يكون سبب سكوتها لأنها لا تجيد اللغة دائماً، فهنالك «مرجعيات» عربية عراقية صامتة، إلا أن صمتها

يلاحظ أن «الحوزة» برمزها الأعلى قد اتخذ إجراء ما أو موقف ما إزاء ذلك، فيما أن مثل هذا الأمر ــ التسفير عندما يستهدف «الحوزة» ذاتها ــ فانه يؤدي إلى إثارة «الحمية» داخلها... ومحاولات التحرك التي يقوم بها بعض الأطراف داخلها لوضع حد لمثل هذه الإجراءات، والتحرك نحو «المرجع الأعلى» من أجل دفعه لمواقف ضاغطة على السلطة.. وبالطبع ليس المقصود هنا هــو «خطأ تحرك من يتحرك» مــن أجــل ذلك ولا «المرجع الأعلى» سوف «يبادر أو لا يبادر» كأستجابة لهذا التحرك، وإنما المفارقة تكمن في وجوده سواء تحرك هذا «المرجع الأعلى» أم لم يتحرك، أم تحرك بانتقائية ثأرية لطلابه ووكلائه دون غيرهم، أو، لا... فمثل هذه الإجراءات عندما تحصل لشرائح من المجتمع لا يلاحظ أي موقف لــ «الحوزة» منه، وعندما تستهدف «الحوزة» يحصل مثل هذا التحرك، بغض النظر عن نتائجه، وربما أن الذين يندفعون لممارسة هذا التحرك يندفعون بدافع «الحمية الدينية» الصادقة.. إلا أن حميتهم هذه إزاء «الحوزة» فقط، في حين تموت هذه الحمية إزاء الأمة عندما تتعرض لمظالم السلطة.

يرتبط بمفاهيم دينية مشوهة ــ أشرنا إليها ــ وملاحظة أخرى تتمثل بأن الصمت عندما أطلقه الشهيد الصدر الثاني أطلقه ككناية عن نمط «المرجعية التقليدية» التي لا يهمها أمر الأمة، بقدر ما يهمها أمر «الدرس الحوزوي» فقط، وإلا فليس الصمت هنا بمعنى الخرس، ونحن نقول هنا ــ لا في مجال «المرجعية» العربية العراقية الصامتة ــ وإنما في ما يتعلق بـــ «المرجعية»، التي لا تستطيع أن تتحدث اللغة العربية إلا بصعوبة، والتي تكون أكثر قابلية للصمت من غيرها، لاسيما إذا ما اختلط هذا الصمت المرتبط باللغة مع المفاهيم المشوهة للدين، التي تجعل منها صامتة فكرياً... فعندئذٍ نكون أمام نوعين من الصمت هما «الصمت الفكري» المتمثل بانعزال «المرجع» عن حراك الأمة و«الصمت اللغوي». فتتحول الحالة هنا إلى ما يشبه الصنمية أو «القائد الصنم»، فالصامت، أو الذي لا ينطق هو الجماد، أو هو الحجر.

وإلا فعندما قسم الشهيد الصدر الثاني القيادة إلى «قيادة ناطقة.. وقيادة صامتة»، فهو يعني النطق بقضايا الأمة، والسكوت عن قضايا الأمة، ليجعل منها ــ حسب طموحه إما أمة ناطقة أو أمة ساكتة ــ فاعتبر من هو معزول إزاء قضايا الأمة صامتاً كالحجر... وقبل الشهيد الصدر الثاني كان الإمام الخميني، وصف القائد المعزول عن قضايا الأمة، ولا شأن له بالسياسة، بوصف يتطابق في نهاية المطاف مع وصف الشهيد الصدر الثاني لهذا القائد.. فالإمام الخميني كان قد اختصر الطريق في وصفه لمثل هذا القائد، وعبّر عنه بالمتحجر، وقال بألم وقسوة ما مفاده ان «هؤلاء المتحجرين المتظاهرين بالقداسة الأراذل، الذين يقولون بعدم تدخل الدين بالسياسة...الخ»[1] فهو أحالهم وصفياً إلى حالة التحجر، التي تحيل إلى الحجر، وهو وصف أطلقه الإمام الخميني على مَنْ يقول لا علاقة للدين بالسياسة والاجتماع. مع أنه يتحدث لغة قومه الفارسية، فكيف بمَنْ لا يتحدث لغة قومه، ولا يظهر متحدثاً أمامهم، لأن عربيته، التي تعلمها من «الدرس الحوزوي» لا تساعده على التحدث الطلق. وإنما

(١) راجع كتابنا (الإمام الخميني، رجل القرن الحادي والعشرين، ركائز في مقومات مشروعه الإسلامي)، دار الحق، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

يتحدث بالفصحى ذات اللكنة، التي لا تسمح له بسيولة وسهولة الخطابة أمام الناس، وأمام شاشات التلفزيون، وإنه إذا ما ظهر في وسائل الإعلام بعربية «الدرس الحوزوي» ستظهر معه علامات العجز التعبيري، وستظهر صورته أمام الناس مهزوزة تفقده «هالته المرجعية».

على أية حال، ستكون المحصلة لقائد من هذا القبيل جامعة للصنمية الفكرية وللصنمية اللغوية، مع أن الصنمية الأخيرة كافية لتحقيق مقولة «الصنم البشري».

أن شرط القيادة الأساسي لأمة ما أو شعب ما، التحدث بلغتهم بسيولة وسهولة، ولا يكفي توافر كل الشروط الأخرى، إذا ما غاب هذا الشرط. وهذا ما يُفسر عزوف الإمام الخميني من توظيف موقعه القيادي في العراق ــ ولا يشمل هذا العزوف بالطبع المواقف السياسية في المنعطفات المهمة، التي لم يتخلف عن مسؤوليتها ــ وإصراره على أن إيران وإزالة الشاه «الشيعي» هما ساحته وهدفه الأساسي، رغم طول الفترة الزمنية التي قضاها في العراق، لأن الإمام الخميني يدرك أنه لا يمكن ولا يجوز أن يقود شعباً لا يجيد التحدث إليه، ومكاناً لا يحيط بكل تفاصيله، ولذلك لجأ إلى السيد محسن الحكيم يناقشه حول أسباب عدم تصديه للثورة، كما أن البعد «الطائفي» لديه لا يسوغ الظلم أو التعامل مع المحتل، هذا فضلا عن توجهاته الوحدوية رغم بعض الحصار، الذي فرض عليها.

الصنمية الفكرية.. والصنمية القيادية

على أية حال: إنه صنم بشري وحجري يعبد، كما كانت الحال قبل الإسلام، وشتان ما بين الصنم البشري والصنم الحجري، فالثاني لا يضر ولا ينفع، ولا لسان له لكي ينطق، لا يتآمر، ولا يمارس دوراً قصدياً، ويوظف ليس بإرادته، ونبي الله إبراهيم عليه السلام له قصة ككل الأنبياء مع الأصنام يوجزها كتاب الله من خلال آياته الكريمة:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِيَ أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَاْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَآ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوٓاْ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَإِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

فليتأمل القارئ معي قول نبي الله إبراهيم: «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ»، فالمسألة هي في النطق واللانطق للإله المعبود أو «البشر» الذي وضع نفسه في موقع الالوهية تحت عنوان الزعامة «المرجعية» أو غيرها. والذين يعبدون الأصنام بعضهم يقول: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَـفَّارٌ﴾[2].

الآية تؤكد المعنى «الصنمي، البشري، الربوبي» ــ الواسطة مع الله سبحانه وتعالى ــ ونبي الله نوح (ع) كانت له القصة الأطول مع الأصنام والملأ، الذين يدافعون عنها، ويعبّدون الناس لهم من دون الله، وعلي بن أبي طالب عليه السلام رفس الأصنام بقدميه وأسقطها من ظهر الكعبة المشرفة دون أن تنطق، ومع ذلك، فهذه الأصنام ــ هي واسطة ــ إلى الله وهي لا تضر ولا تنفع إلا أن الله سبحانه وتعالى أرسل خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (ص) برسالة الإسلام لعبادته بدلاً من

---

(١) سورة الأنبياء: آيات ٥١ ــ ٦٤.

(٢) سورة الزمر: آية ٣.

عبادة الأصنام الحجرية، هذه هي حال الصنم الحجري.

ويقول العلامة الطباطبائي:

«(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) (النساء: آية ١١٦) وهذا محصل ما يعطيه التدبر في الآيتين الكريمتين وهو في معزل عما استشكله المفسرون في أطراف الآيتين، ثم ذهبوا في التخلص عنه مذاهب شتى بعيدة عن الذوق السليم.

فقد استشكلوا أولاً قوله (ع) (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) (سورة إبراهيم: آية ٣٥). من حيث أن ظاهره سؤال الحفظ عن عبادة الأصنام لنفسه ولبنيه جميعاً فيكون دعاء غير مستجاب فإن قريشاً من بنيه، وقد كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، وكيف يمكن أن يدعو مثل الخليل (ع) ثم لا يستجاب له؟ أم كيف يمكن أن يذكر تعالى دعاءه وهو لغو غير معني به، ثم لا يذكر رده على خلاف مسلك القرآن في جميع المواضيع المشابهة؟ ثم كيف يمكن أن يسأل لنفسه المصونية والعصمة عن عبادة الأصنام وهو نبي والأنبياء معصومون؟»[1].

ويضيف قائلاً:

«وقد قيل في الجواب عن أشكال عدم استجابة دعائه في بنيه أن المراد ببنيه أبناؤه بلا واسطة كإسماعيل وإسحاق وغيرهما وقد استجيب دعاؤه فيهم، وقيل: المراد الموجودون من بنيه وقت الدعاء وهم موحدون، وقيل: إن الله قد استجاب دعاءه في بعض بنيه دون بعض ولا نقص فيه. وقيل: إن المشركين من بنيه لم يكونوا يعبدون الأصنام وإنما كانوا يتخذونها شفعاء، وقيل: إنهم كانوا يعبدون الأوثان دون الأصنام وبينهما فرق، فإن الأصنام هي التماثيل المصورة والأوثان هي التماثيل غير المصورة، وقيل إنهم ما كانوا يعبدون الأصنام بل كان الواحد منهم ينصب حجراً ويقول: هذا حجر والبيت حجر، فكان يدور حوله ويسمونه الدوار.

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، (الميزان في تفسير القران)، ص ٧١، ج ١٢، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المحققة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

وسقوط هذه الوجوه ظاهر: أما الأول والثاني فلكونهما خلاف ظاهر اللفظ وأما الثالث فلأن الإشكال ليس في ورود نقص على النبي بعدم استجابة دعائه أو بعضه لحكمة بل من جهة منافاته لمسلك القرآن في حكاية لغو الكلام من غير رده، وأما باقي الوجوه فلأن ملاك الضلال في عبادة الأصنام هو شرك العبادة وهو موجود في جميع ما افترضوه من الوجوه»[١].

ونعود هنا إلى كلام الطباطبائي، الذي أشبع هذا الموضوع بحثاً، فهو يقول:

«وقد بدأ النبي محمد (ص) في دعوته العامة بدعاء الوثنيين من قومه إلى التوحيد بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن فلم يجيبوه إلا بالاستهزاء والأذى وفتنة من آمن به منهم وتعذيبه أشد العذاب حتى اضطر جمع من المسلمين إلى ترك مكة والهجرة إلى الحبشة، ثم مكروا لقتله (ص) فهاجر إلى المدينة ثم هاجر إليها بعده عدة من المؤمنين. ولم يلبثوا حتى تعلقوا به بالقتال، وقاتلوه ببدر واحُد والخندق وفي غزوات أخرى كثيرة حتى اظهره الله تعالى عليهم بفتح مكة فطهر (ص) البيت والحرم من أوثانهم، وكسر الأصنام المنصوبة حول الكعبة المشرفة، وكان هبل منصوباً على سطح الكعبة فاصعد علياً (ع) إليه فرماه إلى الأرض وكان ــ على ما يقال ــ أعظم أصنامهم فدفن ــ على ما ذكروه ــ في عتبة باب المسجد»[٢]. ويواصل القول:

«والإسلام شديد العناية بحسم مادة الوثنية وتخلية القلوب عن الخواطر الداعية إليها وصرف النفوس حتى عن الحومان حولها والاشراف عليها، وذلك مشهود مما ندب إليه من المعارف الأصلية والأخلاق الكريمة والأحكام الشرعية فتراه بعد الاعتقاد الحق انه لا اله إلا الله له الأسماء الحسنى يملك كل شيء، له الوجود الأصيل، الذي يستقل بذاته، وهو الغني عن العالمين، وكل ما هو غيره منه يبتدىء وإليه يعود، وإليه يفتقر في جميع شؤون ذاته حدوثاً وبقاء فمن أسند إلى شيء شيئاً من الاستقلال بالقياس

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

إليه تعالى ــ لا بالقياس إلى غيره ــ في شيء من ذاته أو صفاته أو أعماله فهو مشرك بحسبه.

وتراه يأمر بالتوكل على الله، والثقة بالله، والدخول تحت ولاية الله، والحب في الله، والبغض في الله، وإخلاص العمل لله، وينهي عن الاعتماد بغير الله، والركون إلى غيره، والاطمئنان إلى الأسباب الظاهرة ورجاء من دونه، والعجب والكبر إلى غير ذلك مما يوجب إعطاء الاستقلال لغيره والشرك به»[1]. ويضيف:

«وتراه ينهى عن السجدة لغيره تعالى، وينهى عن اتخاذ التماثيل ذوات الاظلال وعن تصوير ذوي الأرواح، وينهى عن طاعة غير الله والإصغاء إليه في ما يأمر وينهى إلا ما رجع إلى طاعة الله كطاعة الأنبياء وأئمة الدين، وينهى عن البدعة واتباعها وعن اتباع خطوات الشيطان.

والأخبار المأثورة عن النبي (ص)، وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام متظافرة في أن الشرك ينقسم إلى جلي وخفي، وأن الشرك ذو مراتب كثيرة لا يسلم من جميعها إلا المخلصون، وانه أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وقد روى في الكافي عن الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) (الشعراء: ٨٨ ــ ٨٩). القلب السليم، الذي يلقى ربه ليس فيه أحد سواه. قال: وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة. وورد أيضاً أن عبادته تعالى طمعاً في الجنة عبادة الاجراء، وعبادته خوفاً من النار عبادة العبيد، وحق العبادة أن يعبد تعالى حباً له وتلك عبادة الكرام وهذا مقام مكنون لا يمسه إلا المطهرون وقد تقدمت عدة من هذه الروايات في بعض الأبحاث السابقة من الكتاب»[2].

«بناء سيرة النبي على التوحيد ونفي الشركاء: أجمل تعالى سيرته (ص) التي أمره باتخاذها، والسير بها في المجتمع البشري في قوله:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

﴿قل يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إلى كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلا نَعْبُدَ إلا الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤). وقال تعالى: يشير إلى ما داخل دينهم من عقائد الوثنية ﴿قُلْ يَـأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة:٧٧). وقال أيضاً يذم أهل الكتاب: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إلا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:٣١).

ومن هنا ما نرى أن الإسلام لم ينه عن اتخاذ آلهة دون الله وعبادتهم إلا بعد ما بيّن للناس أنهم مخلوقون مربوبون أمثالهم، وأن العزة والقوة لله جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأعراف ١٩٤).

وقال ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف ١٩٨)»[1].

هذه الآيات جميعها دالة على عبادة الإنسان إذا كان فقيها أو سلطانا، وتدلل على عبادة البشر للبشر، وتبلور فكرة «الإله البشري» المرموز له بالصنم البشري، فـ «المرجعية الدينية» كانت قائمة قبل الإسلام لدى أهل الكتاب، ورمزت لها تلك الآيات بعبودية البشر للبشر «الوسيط الديني». وحتى نستكمل هذا المبحث وجذوره ولو بحدود نعطي القارئ تصوراً عن عبادة الأصنام، منشأها، وما الفرق بينها وبين الأوثان، وتاريخهما قبل الإسلام، وعلاقتهما بالشرك، وعلاقة الإنسان بالمادة المحسوسة، وحتى أفكار ــ تجسيم الله ــ التي سربت إلى الإسلام بعد نزوله، وبعد أن هجرت الأمة القران الكريم كـ «مرجعية» جاء بها نبينا محمد (ص) لابد من التأكيد على أنه «كيف نشأت الوثنية؟ وبماذا بدأت؟ اتضح في الفصل القادم أن الإنسان في نزلة من تجسيم الأمور المعنوية وسبك غير المحسوس في قالب المحسوس بالتمثيل والتصوير، وهو مع ذلك مفطور للخضوع أمام أية قوة فائقة قاهرة والاعتناء بشأنها.

ولذا كانت روح الشرك والوثنية سارية في المجتمع الإنساني سراية تكاد لا تقبل

(١) المصدر نفسه، تفسير سورة هود.

التحرز والاجتناب حتى في المجتمعات الراقية الحاضرة، وحتى في المجتمعات المبنية على أساس رفض الدين، فترى فيها من النصب وتماثيل الرجال وتعظيمها واحترامها والبلوغ في الخضوع لها، ما يمثل لك وثنية العهود الأولى والإنسان الأولي. على أن اليوم من الوثنية على ظهر الأرض ما يبلغ مئات الملايين قاطنين في شرقها وغربها.

ومن هنا يتأيد بحسب الاعتبار أن تكون الوثنية مبتدئة بين الناس باتخاذ تماثيل الرجال العظماء، ونصب أصنامهم وخصوصاً بعد الموت ليكون في ذلك ذكرى لهم، وقد ورد في روايات أئمة أهل البيت ما يؤيد ذلك ففي تفسير القمي مضمر أو في علل الشرائع مسنداً عن الصادق (ع) في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ (سورة نوح: آية ٢٣)، قال: كانوا يعبدون الله عز وجل فماتوا، فضج قومهم وشق ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله وقال لهم: اتخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعد لهم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز وجل وينظرون إلى تلك الأصنام فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت.

فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى ذلك القرن ونشأ أولادهم فقالوا: ان آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم من دون الله عز وجل فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً﴾ (سورة نوح: آية ٢٣)»[1].

«وكان رب البيت في الروم واليونان القديمين ــ على ما يذكره التاريخ ــ يعبد في بيته فإذا مات اتخذ له صنم يعبده أهل بيته، وكان كثير من الملوك والعظماء معبودين في قومهم، وقد ذكر القرآن الكريم منهم نمرود الملك المعاصر لإبراهيم (ع) الذي حاجه في ربه، وفرعون موسى. وهو ذا يوجد في بيوت الأصنام الموجودة اليوم، وكذا بين الآثار العتيقة المحفوظة عنهم اصنام كثير من عظماء رجال الدين كصنم بوذا وأصنام كثير من البراهمة وغيرهم.

واتخاذهم أصنام الموتى وعبادتهم لها من الشواهد على أنهم كانوا يرون أنهم لا يبطلون بالموت، وأن أرواحهم باقية بعده، لها من العناية والأثر ما كان في حال

---

(١) المصدر نفسه، ج١٢، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤.

حياتهم، بل هي بعد الموت أقوى وجوداً وأنفذ إدارة واشد تأثيراً لما أنها خلصت من شوب المادة ونجت من التأثرات الجسمانية والانفعالات الجرامانية، وكان فرعون موسى يعبد أصناما له وهو إله معبود في قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَىَ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الأعراف ١٢٧)»[1]. وما تقدم يوصلنا إلى علاقة بين الصنم الحجري وعلاقتها بالمحسوس و«التجسيم». ويتوسع صاحب تفسير الظلال بمعنى الصنمية والوثنية ليعممها على ما ينطبق على معبود من دون الله سواء كانت فكرة أو شخص ويربطها بواقع الصراع الكوني، فهو يقول: «ويحسن أن نذكر أن أعداء هذا الدين، الذين يعرفون مواضع القوة في طبيعته وحركته، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥. يقول العلامة الطباطبائي: «... (فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَىَ اللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىَ شُرَكَآئِهِمْ) (الانعام: ١٣٦). وكان بعضهم يعبد الملائكة، وآخرون يعبدون الجن، وقوم يعبدون الكواكب الثابتة كشعرى، و(طائفة) تتخذ بعض السيارات إلها ــ وقد أشير إلى جميع ذلك في الكتاب الإلهي ــ كل ذلك، طمعا في خيرها أو خوفا من شرها. وقل أن يتخذ إله من دون الله ولا يتخذ له صنم يتوجه إليه في العبادات به بل كانوا إذا اتخذوا شيئا من الأشياء الها شفيعا عملوا له صنما من خشب أو حجر أو فلز، ومثلوا به ما يتوهمونه عليه من صورة الحياة فيسوونه في صورة إنسان أو حيوان وان كان صاحب الصنم على غير الهيئة التي حكوه بها كالكواكب الثابتة والسيارة واله العلم والحب والرزق والحرب ونحوها. وكان الوجه في اتخاذ أصنام الشركاء قولهم: إن الإله لتعاليه عن الصورة المحسوسة كأرباب الأنواع وسائر الإلهة غير المادية أو لعدم ثباته على حالة الظهور كالكوكب الذي تحول من طلوع إلى غروب يصعب التوجه إليه كلما أريد بالتوجه فمن الواجب أن يتخذ له صنم يمثله في صفاته ونعوته فيصمد إليه بوسيلته كلما أريد» المصدر نفسه، ص٢٦٦. «الوثنية الصابئ: الوثنية وان رجعت ــ بالتقريب ــ إلى أصل واحد هو اتخاذ الشفعاء إلى الله وعبادة أصنامها وتماثيلها، ولعلها استولت على الأرض وشملت العالم البشري مرارا كما يحكيه القران الكريم عن الأمم المعاصرة لنوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام إلا أن اختلاف المنتحلين بها بلغ من التشتت واتباع الأهواء والخرافات مبلغا كان حصر المذاهب الناشئة فيها كالمحال وأكثرها لا تبتني على إصول متقررة وقواعد منتظمة متلائمة. ومما يمكن أن يعد منها مذهبيا قريبا من الانتظام والتحصل مذهب الصابئة والوثنية البرهمية والبوذية». المصدر نفسه.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة ١٤٦).. لم يفتهم أن يدركوا أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار قوة هذا الدين، وقوة المجتمع الإسلامي، الذي يقوم على هذا الأساس.. ولما كانوا بصدد هدم ذلك المجتمع أو إضعافه إلى الحد، الذي يسهل عليهم السيطرة عليه، وشفاء ما في صدورهم من هذا الدين وأهله، ولاستغلالهم كذلك واستغلال مقدراتهم وديارهم وأموالهم.. لما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع لم يفتهم أن يوهنوا من القاعدة التي يقوم عليها؛ وأن يقيموا لأهله المجتمعين على إله واحد، أصناماً تعبد من دون الله، اسمها تارة (الوطن) واسمها تارة (القوم) واسمها تارة (الجنس). ظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم (الشعوبية) وتارة باسم (الجنسية الطورانية) وتارة باسم (القومية العربية) وتارة بأسماء شتى، تحملها جبهات شتى، تتصارع فيما بينها في داخل المجتمع الإسلامي الواحد القائم على أساس العقيدة، المنظم بأحكام الشريعة... إلى أن وهنت القاعدة الأساسية تحت المطارق المتوالية، وتحت الإيحاءات الخبيثة المسمومة، والى أن أصبحت تلك (الأصنام) مقدسات يعتبر المنكر لها خارجاً على دين قومه! أو خائناً لمصالح بلده.!!!»[١].

«وأخبث المعسكرات التي عملت وما زالت تعمل في تخريب القاعدة الصلبة التي كان يقوم عليها التجمع الإسلامي الفريد في التاريخ.. كان هو المعسكر اليهودي الخبيث، الذي جرب سلاح (القومية) في تحطيم التجمع المسيحي، وتحويله إلى قوميات سياسية ذات كنائس قومية... وبذلك حطموا الحصار المسيحي حول الجنس اليهودي؛ ثم ثنوا بتحطيم الحصار الإسلامي حول ذلك الجنس الكنود!

وكذلك فعل الصليبيون مع المجتمع الإسلامي ــ بعد جهد قرون كثيرة في إثارة النعرات الجنسية والقومية والوطنية بين الأجناس الملتحمة في المجتمع الإسلامي.. ومن ثم استطاعوا أن يرضوا أحقادهم الصليبية القديمة على هذا الدين وأهله. كما استطاعوا أن يمزقوهم ويروضوهم على الاستعمار الأوربي الصليبي. وما يزالون..

---

(١) سيد قطب، (في ظلال القران)، ص١٨٩١، المجلد الرابع، دار الشروق، الطبعة الشرعية الأولى ١٩٧٢، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

حتى يأذن الله بتحطيم تلك الأصنام الخبيثة الملعونة، ليقوم التجمع الإسلامي من جديد، على أساسه المتين الفريد»[1]... «وأخيراً فإن الناس ما كانوا ليخرجوا من الجاهلية الوثنية بكلياتهم حتى تكون العقيدة وحدها في قاعدة تجمعهم. ذلك أن الدينونة لله وحده لا تتم تمامها إلا بقيام القاعدة في تصورهم وفي تجمعهم. يجب أن تكون هناك قداسة واحدة لمقدس واحد، وألا تتعدد (المقدسات)! ويجب أن يكون هناك شعار واحد، وألا تتعدد (الشعارات) ويجب أن تكون قبلة واحدة يتجه إليها الناس بكلياتهم وألا تتعدد القبلات والمتجهات.. أن الوثنية ليست صورة واحدة هي وثنية الأصنام الحجرية والآلهة الأسطورية! إن الوثنية يمكن أن تتمثل في صور شتى؛ كما أن الأصنام يمكن أن تتخذ صوراً متعددة؛ وآلهة الأساطير يمكن أن تتمثل مرة أخرى في المقدسات والمعبودات من دون الله أيا كانت أسماؤها. وأيا كانت مراسمها. وما كان الإسلام ليخلص الناس من الأصنام الحجرية والأرباب الأسطورية، ثم يرضى لهم بعد ذلك أصنام الجنسيات والقوميات والأوطان.. وما إليها.. يتقاتل الناس تحت راياتها وشعاراتها. وهو يدعوهم إلى الله وحده، وإلى الدينونة له دون شيء من خلقه!»[2].

إن سكوت القائد البشري له دور خطير على الدين لاسيما عندما يتحول إلى واسطة إلى الله عبر «التقليد الشرعي» و«الراد عليهم راد على الله». وبإمكان القائد أن يتأمر أو أن يعي توظيف سكوته من قبل الآخرين. بخلاف الصنم الحجري الذي لا يعي ذلك، إذن ليتصور الإنسان مقدار الخطورة، التي تنجم عن «القيادة الصامتة»، كما أسماها الشهيد الصدر الثاني.

إن خطورة الصنم البشري بلا شك خطورة لا تقارن بخطورة الصنم الحجري، ولكن لأن الإسلام العظيم هو خاتم الأديان، والرسول الكريم هو خاتم الرسل، فالبشرية سائرة إلى قدرها المحتوم، ولولا هذه الخاتمية، لربما تطلب الأمر من الله سبحانه وتعالى أكثر من نبي لتحطيم هذه الأصنام البشرية في حاضر المسلمين... إنها أزمة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

القائد الديني، الذي لا ينطق، ولم تتجلى في التاريخ والحاضر في أي مكان في العالم، إلا في العراق المستهدف. وهي ستضاف إلى أزمة مكان هذا القائد وهي النجف الأشرف، مدينة علي (ع) التي ستشكل حاضنة اجتماعية له، وسيقتلان علي (ع) والأمة معا وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً[1].

نقول إنه إذا كانت «الصنمية» الحجرية هي مشترك بين «الحوزتين»... «حوزة النجف» و«حوزة قم».. فإن تجذرها في «حوزة النجف» جعل منها ما يشبه القاعدة مع مرور الزمن... فحراك التاريخ الإيراني عاش هذه «الصنمية» كخط... يقابله خط آخر هو خط «البشرية» والحراك الإيجابي، لاسيما في القرون الأخيرة. أما التاريخ العراقي فقد طغى عليه «النموذج الصنمي» فيما تحول النموذج البشري ـــ النبوي مجازاً ـــ «نموذج الصدرين ورموز العراق الثورية الأخرى» إلى استثناء مستهدف من ذات الخط الصنمي ـــ القاعدة ـــ الحاضر، فضلا عن التاريخ، بما يوضح هذا الفارق الشاسع في حجم «الصنمية» بين «الحوزتين» قم والنجف، فقم تختزن

---

(١) يقول د. علي شريعتي وهو ما يلامس هذا المعنى ما يلي: «إذن فبدلا من معرفة محمد وعلي وقراءة القرآن وفهمه وقبول المسؤولية، فلنبحث عن حل ونجده.. وبدلا من معرفة رسول الإسلام والإنصات إلى كلامه.. وبدلا من معرفة علي وحياته وقراءة نهج البلاغة، عليك بحبهم ودعك من معرفتهم!! لأن حب علي غير المعروف لا يجلب المسؤولية، ولنعبد علياً المجهول كما نعبد الصنم دون أن تكون بيننا وبينه أدنى صلة.. وبدون المعرفة.. على مثل الآخرين، لا توجد بينه وبين محبيه دون أن يعرفوه أي نوع من الإجبار أو الأمر والنهي والمسؤولية.. هيا.. اقتل نفسك كما شئت، اضرب راسك، وافقد الوعي، وابك كما شئت.. وزاول العشق والمحبة بلا أدنى معرفة.. اجعل من علي ملاكاً، واجعل منه إلها.. فلا يمكن أن يكون له اقل دور في حياتك.. أو يضع على كاهلك ما يجب. لكن لا تعرفه.. فإن معرفته تجلب المسؤولية!! وهكذا تكون معرفة علي جرماً.. ومن هنا إننا اليوم وبعد قرون ينبغي علينا أن نعرف علي على لسان (سليمان الكتاني) و(جورج جرداق) الأبيين المسيحيين، ونرى (نهج البلاغة) بتحقيق الشيخ محمد عبده المفتي الأعظم، وإمام أهل السنة وتحشيته وطباعته، فمحبوا علي لا حاجة لهم بمعرفة علي، أو نهج البلاغة وفهمه». علي شريعتي، (التشيع مسؤولية)، ص٣٩، دراسة وترجمة د. إبراهيم دسوقي شتا، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط١، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٦م.

أصنامها، إلا أنهم مرصودون ومحاصرون، بعكس النجف، التي تحولت أصنامها إلى آلهة يعبدون.!![1].

(١) يقول الدكتور علي شريعتي: «الرسول وعلي بأول ضربة قاما بتوجيهها ونزلا بها على جسدي اللات والعزى إنها كانت موجهة إلى كانزي الذهب، وأرباب العبيد، وأرباب الأرض.. وكل طبقة فهمت التوحيد بسهولة ما عدانا نحن، إذ نظنها قضية فلسفية وميتافيزيقية وذهنية.. فقد اتخذت طبقة الاشراف موقفاً وأحست بالخطر، أما أولئك الذين كانوا يفتقدون كل القيم الارستقراطية الجاهلية فقد وجدوا شعارهم.. وسمعوا نداء مخلصهم (وهنا توضيح: أنه من حيث اتخاذ المواقف الطبقية.. ليس المراد أن كل ثري كان في الطبقة المضادة وكل فقير كان في الطبقة المؤيدة.. إذ كان هناك من الأثرياء من ينضمون عند اتخاذ الموقف الاجتماعي إلى اليسار، كما أن هناك فقراء في اليمين.. لكن الطبقة الاجتماعية ليست هكذا.. فهناك فرق بين الطبقة الاجتماعية والفرد). وعلى نفس المستوى الذي كان رسول الإسلام يقوم به مسيرة القيم الإنسانية والأخلاقية والعقائدية، كان يقوم بتوسيع نطاق رسالته الاجتماعية في مسيرة مكافحة الطبقة الارستقراطية في زمانه تلك الطبقة المكونة من أصحاب القوافل، وأرباب العبيد، وأصحاب البساتين في الطائف، وكان يعيد الشخصية الإنسانية للجماهير إليها، ومن هنا فإن عبداً حبشياً اسود مثل بلال يكون في حركة الإسلام ذلك الشخص المحبوب البارز رفيع الدرجة بحيث يحس أشراف قريش العظام بالنقص أمامه.. وهذا يدل على مرتكز الحركة وموقعها من ناحية الجناح الطبقي والاجتماعي.. وأية طبقة توجهت إليها أنظار لطف الله ــ إله هذه المدرسة الفكرية ــ ومنته ونعمته. ومن هنا فرسالة الإسلام كإيديولوجية إلهية هي خلاص الطبقة المحكومة والمحرومة.. ومكافحة القوانين الوضعية، والقيم الفنية والأخلاقية المرتبطة بالطبقة الحاكمة.. وهكذا كان، فبتحطيم اللات والعزى وانهيار الأصنام الجاهلية.. اختفى الشعر الجاهلي الذي كان ممتلئاً بالصنعة والجمال، وفي نفس الوقت حافلا بانواع التفنن الارستقراطي: كما انهارت الملابس وأنواع الزينة والفخامة والعظمة والجلال المرتبطة بالارستقراطية، ولم يعد أحد يستطيع أن يفخر بأجداده، أو أن يجلس مادحاً فلاناً الغني أو أسرة كذا. ذلك لأن (الحمد لله رب العالمين) هو الجدير فحسب بالثناء سبحانه وتعالى. الرسالة في يد والسلاح في اليد الأخرى: قام رسول الإسلام برسالته: الأولى: النبوة والبلاغ والرسالة، وكانت كسائر ما كان للأنبياء الآخرين، كان قد تلقى رسالة، وعليه أن يبلغها للناس وقد ابلغها.. أما الرسالة الأخرى: فهي وضع هذه الرسالة الأولى موضع التطبيق والإمامة، والقيام بقيادة المجتمع، والتعليم الجماعي للبشر لتشكيل أمة تكون نموذجاً للمجتمع الإنساني، وهذا يتطلب القيادة السياسية الاجتماعية والمسؤولية والالتزام والصدام والحرب والجهاد. ومن هنا أمسك الرسول الرسالة في يد والسيف في اليد الأخرى. المصدر نفسه، ص٧٢ ــ ٧٣.

الفصل السابع

الشهيد محمد محمد صادق الصدر
"ضحية الحوزتين" الثانية

صراع "الأنظمة" في زعامة "الحوزتين"
"المرجعية" العربية و"المرجعية" اللاعربية

نقول أن دينية الحرب، التي خضع لها العراق منذ نهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي حتى اليوم بكل أبعادها وأسبابها تركت بصماتها بشكل واضح على تفصيلات الملف السياسي والفكري العراقي كله، بأبعاده الداخلية والخارجية، واختلط فيها «الطائفي» بـ «القومي»، والإسلامي باللاإسلامي، كما طغت في ما بين السلطة والمعارضة.. والمعارضة والمعارضة أيضاً.. الأمر الذي أعطى الصورة شيئاً من التداخل والتعقيد وجعل من قراءتها عملية ليست سهلة إطلاقاً، إذ إن كل مفصل أو مفردة من مفردات ومفاصل الحياة السياسية العراقية خلال تلك الفترة تشي بلونها الديني المباشر تارةً واللامباشر تارةً أخرى.. والفاقع تارةً ثالثة... والمخفف تارةً رابعة. فعلى صعيد الداخل العراقي وصراع السلطة مع الشارع العراقي، فإن إيغال سلطة صدام حسين البائدة في العنف يتكرّس على البُعد الديني.. وبالاتجاه المعاكس تماماً كلما مورس العنف السلطوي، كلما تلوّن هذا الشارع بلون إسلامي وديني.. وبدءاً بتجربة الشهيد الصدر الأول، وتعامل السلطة معها ومروراً بحدث الانتفاضة الإسلامي في العام ١٩٩١م، وانتهاءً بتجربة الشهيد الصدر الثاني، كان هنالك مخاض تصاعدي مطبوع بلون «العنف»، ومعنون بعنوان الدين ــ بغض النظر عن طبيعة ودرجة الوعي الديني وأسباب الانخراط في الحالة الإسلامية ــ وقد أمسك الشهيد

الصدر الثاني «العصا من الوسط» في صناعة وإيجاد مفصل تاريخي لتوضيح ملامح الصورة.. صورة الأزمة، وساعد هذا المفصل في توضيح الأبعاد العميقة للازمة.. والمساعدة على قراءة جذور خليط التناقضات والتداخلات والصدامات ما بين الديني والديني، والقومي والقومي، والسلطة والمعارضة والسلطة و«المؤسسة الدينية»... وبعبارة أخرى، إنه أرسى جذور قراءة علمية لمستقبل العراق من خلال ثمن باهظ تمثل بحياته..

وهذا المفصل الصدري الثاني بقدر ما كشف عن ذلك كله، فإنه كشف أيضاً عن البعد الخارجي للمكوّن الديني العراقي، سواء تمثّل هذا البعد بإيران «الإسلامية الثورية» أم بأميركا ودورها في العراق، فعلى البعد الايراني أراد الصدر الثاني أن يؤسس للبعد الثوري للحالة الإسلامية، وعلى البعد الأميركي أراد أن يوجه هذه الحالة الإسلامية إلى مقاومة المؤثر الأكبر في محنة الإسلام «العراقي» وهو المؤثر الأميركي، فصدام حسين وبرعاية أميركية قضى على الشهيد الصدر الأول، وبخطة وبقرار وإرادة أميركية قضى على الانتفاضة الشعبانية ـ الآذارية ـ ١٩٩١م، وبرعاية أميركية مرّر كل حملات الإبادة للإسلاميين، ولاسيما في أهوار العراق ما بعد الانتفاضة.. وبالتالي، فإن مهمة التأسيس للبعدين معاً، البعد الثوري للحالة الإسلامية، والبعد المقاوم للمؤثر الأكبر في إبادة هذه الحالة لم تكن مهمة ممكنة، إلا من خلال ما قام عبر نظرية تحييد السلطة، التي وصلت إلى طريق مسدود بالنسبة للنظام آنذاك، في مواجهة الحالة الإسلامية، والتي كانت ترغب في توظيفها و«إبرازها» كخط مستقبلي أمام الأميركي لإقناعه باعادة تأهيلها، فكما ـ أشرنا سابقاً ـ إن إبقاء صدام حسين في السلطة من قبل الأميركان بعد الانتفاضة ١٩٩١م، كان لمهمة إتمام القضاء على الحالة الإسلامية، ولمهام أخرى ليس هنا مجال الخوض فيها.

وقد مارس النظام هذا الدور بجدارة في الأهوار... إلا أن جدل «المواجهة» مع الأميركان من خلال العامل الإسلامي، الذي كان يلوح به النظام من الخارج، أي تخويف الأميركان منه على المحور الإيراني.. انتقل تدريجياً إلى خيار التخويف به للأميركي من الداخل، بعد أن استنفذ المحور الإيراني الإسلامي أغراضه، ولم يعد

مجدياً للنظام.. ولعل سياسته إزاء الحالة الإسلامية في الداخل بقدر ما كانت نابعة من وصوله إلى طريق مسدود وفق سياسة الإبادة لها، كان نابعاً أيضاً من إرادة توظيفها أمام الأميركي على أساس تخويفه من البديل القادم على أمل تأهيله للبقاء في السلطة وللسببين معاً، طرح النظام ـ نظام صدام ـ فكرة «المرجعية العربية» ـ في لحظة تقاطع أزمات ـ أزمة «المؤسسة الدينية»، وأزمة السلطة.. ودخل الطرفان الشهيد الصدر الثاني والسلطة في «صفقة» تحييد حذرة تحكمها نوايا متغايرة لدى الطرفين.. وشتان`ما بين هذه النوايا.. نية السلطة.. ونية الشهيد الصدر الثاني في المحورين معاً، محور الإسلام الثوري ومحور المؤثر الأميركي في معادلة العراق الدينية ـ السياسية، فالصدر الثاني كان تأسيسياً في نواياه، فيما صدام حسين كان توظيفياً في نواياه ـ أي أنه أراد أن يبعث برسالة للأميركان بأنكم إذا كنتم تنوون إسقاط النظام فالبديل، الذي سوف تواجهونه هو البديل الإسلامي بما عكسته ظاهرة الشهيد الصدر الثاني من حضور مليوني علني من خلال صلاة الجمعة ـ والصدر الثاني كان يعلم سلفاً أن خياره التأسيسي سيؤدي به إلى الاستشهاد، بينما صدام حسين كان يخطط للبقاء في السلطة، رغم أزمته الذاتية بالحالة الإسلامية.

وقد أدى تقاطع تلك الأزمات بين السلطة والحالة الإسلامية إلى ـ اتفاق تحييدي حذر ـ للصراع، لكن هذا «التحييد» قام على أساس ومحور إشكالي سياسي ـ فكري ـ ديني، شكّل ويشكّل أزمة للطرفين، وهو المحور الانتمائي لـ «المرجعية» على أساس التصنيف القومي، لما لـ «المرجعية الدينية» من تأثير كبير على «الشارع الشيعي».. وهنا اشتبك العامل الديني بالعامل القومي في طرح علني على صعيدي السلطة و«المرجعية» لأول مرة في جدليته في تاريخ دولة العراق الحديث... رغم «الهدنة» اللامعلنة بين «المرجعية اللاعربية» والأنظمة التي حكمت العراق، بما فيها نظام صدام حسين. فالصدر الثاني وجد نفسه مدفوعاً إلى التأسيس انطلاقاً من محنة الإسلام في العراق، ومحنة حالته، التي تحدثنا عنها في ما مضى، ومحنة «الحوزة

الدينية» ذاتها المزمنة عبر تاريخها، بما فيها طبعاً تلك «الهدنة اللامعلنة»[1] بين الأنظمة السياسية، والمرجعيات «اللاعربية» التي لا لسان لها أمام الناس. ونظام صدام حسين وجد نفسه مأزوماً في سياسة الإبادة للحالة الإسلامية، التي ترتد عليه بعد حين على شاكلة أوسع امتداداً.. ولم تحول عن اتساعها «هدنته» مع «المرجعيات اللاعربية» رغم دورها المباشر واللامباشر في تمرير سياساته.. كما وجد نفسه بحاجة ماسة إلى توظيف هذه الحالة إزاء الأميركي، الذي يخشاها داخل وخارج العراق لتخويفه من احتمالات خطرها المستقبلية.. ومثل هذا التوظيف يتطلب إبراز حجمها الحقيقي داخل الشارع العراقي، ولا يمكن لذلك أن يتم إلا من خلال بروز فعلي لها.. فكانت الحاجة إلى هذا البروز مضافة إلى أزمته الذاتية.. مضافة أيضاً إلى رغبة اختراقها والسيطرة عليها بشكل أكبر دفعته إلى خنق المسار المخفي لعلاقة «الهدنة» بينه وبين «المرجعيات» اللاعربية واللاناطقة واللاثورية لإعلان الانتماء القومي لـ«المرجعية الدينية» في العراق ـ خنق هذا المسار ـ والتداول به علناً، وقد حانت آنذاك لحظة إخراج هذا البعد من مخبئه بالنسبة للسلطة.. وبالنسبة للشهيد الصدر الثاني، الذي عاش حقبة من أشد حقب العراق مأساةً للدين وللمتدينين الإسلاميين العراقيين، ولتخلف «المرجع الديني التقليدي الأعلى» عن مواكبة هذه المحنة، التي كان ثمنها كتحصيل حاصل تسقيط أو قتل أو حصار «المرجعيات العربية» بدءاً من محمد حسين كاشف الغطاء وعبد الكريم الجزائري ومحمد الحسني البغدادي وانتهاءً به هو نفسه في نهاية المطاف.. فخط «المرجعية العربية» كان مُبعداً ومحارباً على طول تاريخ دولة العراق المنهارة بفعل ما أسميناه «الهدنة اللامعلنة» بين «المرجعية اللاعربية التقليدية» والانظمة، التي حكمت العراق.. وبفعل تخلّف الخطاب الإسلامي الحركي عن مناقشة هذه الإشكالية الخطيرة، وبفعل عوامل إقليمية وأخرى دولية

(١) من الواضح أن العلاقة بين «المرجعية» والأنظمة السياسية لم تحكم تاريخيا وآنيا إلى مفهوم «الهدنة»، إلا أننا استخدمناها هنا، تعبيرا عن «أمر واقع» لمرتكزات هذه العلاقة، في «الذهنية» العامة للناس، والوعي السائد لدى بعض الشرائح الاجتماعية.

تزعمتها كل من بريطانيا، التي احتلت العراق في بدايات القرن الماضي، حتى أميركا، التي احتلته في بدايات القرن الحالي.

ومن هنا لا يمكن الفصل إطلاقاً بين هذه العوامل في تسقيط أو تصفية «المرجعيات العربية»، عامل السلطة وعامل «المرجعية اللاعربية اللاثورية» مُمثلاً بالهدنة اللامعلنة معها، والعامل الإقليمي، والعامل الدولي، والعامل المرتبط بالخطاب الحركي الإسلامي، الذي تخلف عن مواكبة هذه الحالة.. إذا كان هذا الخطاب الحركي «شيعياً» أو «سنياً».. وقد كانت منظومة هذه العوامل من القوة بحيث تفشل أي نية صادقة في تجاوزها ـ تجاوز هذه العقدة عقدة «المرجعية اللاعربية» ـ سواء انطلقت هذه النية من حاكم عراقي قبل صدام حسين، أو من جهة قومية، أو من أية «مرجعية دينية» عربية ـ وما سمح للصدر الثاني أن يخوض فيها بشكل غير مباشر طبعاً هو الاحتقان، الذي وصل الموقف اليه بشكل عام داخل العراق في ظل ظروف القهر والمعاناة والإحباط والنكبات، التي وصل إليها معظم العراقيين، والمحن، التي عاشها الشارع العراقي.

وكان واضحاً أن مفصلاً تحولياً في وعي مأزق الحالة الإسلامية في العراق كهذا. سيكون زمنه قصيراً، إلا أن آثاره ستكون بعيدة المدى، وسيدخل عملياً الحالة الإسلامية في العراق بـ «كارثة» مفتوحة تضاف إلى تاريخ كوارثه الدامي من حيث استهداف الآخرين لتداعيات هذا المفصل بعد استشهاد الصدر الثاني، الذي يكون قد أنجز بعض ما يريد من تأسيس... وذلك لأن حاكم العراق ـ صدام حسين آنذاك ـ فقد السيطرة على هذا التأسيس الصدري وتحدياته الأمنية... ولأن القضاء عليه سيقع في إطار المهمة، التي أبقي أساساً من أجلها.. وهي مهمة القضاء على التيار الإسلامي.. لا بل ستكون مهمة مطلوبة أميركياً أكبر في حينها... في ظل شعارات الصدر الثاني إزاء أميركا «كلا كلا أميركا.. كلا كلا للشيطان»... ولهذا كانت أميركا، التي ترفع عصا القرار الدولي «٦٨٨» في انتهاك حقوق الإنسان في العراق من قبل السلطة في بعض الأحيان، لم تلوح بهذا القرار إزاء اغتيال الشهيد الصدر الثاني وولديه حتى ولو شكلياً... وكانت عينها في الوقت ذاته على «المرجعيات»

الأخرى، التي واجهت مشروعه... فعادت هذه «المرجعيات» من جديد مطلباً للأميركي، ومطلباً تكتيكياً للإيراني... كما أصبح احتواء الحركات الإسلامية في العراق من خارج ظاهرة الصدر الثاني مطلبا ثالثا لهذا الأميركي، وسيكون مصير هذه الحركات معلقا بين أميركا وإيران، في حين أن السلطة ارتكست إلى أزمتها بشكل أكبر باحثةً عن «مرجعية عربية» جديدة، وباحثة عن حلول تكتيكية واستراتيجية في إدارة أزمة الحالة الإسلامية... ولعل إحدى الوثائق السرية، التي كشفت عن حالة سلطة صدام حسين بعد إعدام الشهيد الصدر الثاني.. توضح إلى حد كبير أحد بعدي التفكير الأساسيين، اللذين جعلا من صدام حسين يخرج «الانتماء القومي للمرجعية» من مخبئه علناً للشارع، وهو البعد الأزموي الداخلي المتمثل بالحالة الإسلامية... بعدما انتفى البعد الآخر، البُعد التوظيفي ــ التخويفي للأميركان من هذه الظاهرة.

وعلى أية حال سنناقش في هذا الفصل محور «المرجعية العربية». لكن ما نريد أن نشير إليه هنا هو أن هنالك اشتباكين ارتبطا بالعراق وإيران، الاشتباك الأول كان عنوانه ــ كما مر معنا ــ جغرافي ديمغرافي ديني قومي، والاشتباك الثاني عروبي قومي إسلامي «طائفي»، وهما في تأثيراتهما يتغايران ما بين العراق وإيران، فتأثيرهما في العراق كان على الدرجة من الخطورة، التي أسهبنا فيها، فيما أن تأثيرهما في إيران يمكن القول أن خطره يكاد يكون ضئيلاً جداً، إن لم يكن «معدوما»، والأسباب في ذلك واضحة، وتتمثل كما مر معنا بالفارق الجغرافي والديمغرافي والثقل السكاني، والفوارق الأخرى، التي مرت معنا، إلا أن ما يحتل موقع القمة في هذه الأسباب، التي جعلت من هذا الخطر في إيران معدوما، هو العامل «الطائفي»، حيث أن «شيعية» إيران شبه المطلقة أعطتها على طول تاريخها «الإسلامي ــ الشيعي»، حصانة هي الأكبر في تماسكها كدولة إقليمية «عظمى»، لاسيما وأن هذا العامل «الطائفي» مثل هوية لها، وساهم في ترسيخ الوطنية الإيرانية، مضافاً إليه الفكر الديني الايراني المؤسس على الوطن والمتصالح معه. بحكم تلك الفوارق كلها، أصبحت إيران دولة مستقرة بخلاف العراق الذي بقي خاضعا إلى حد ما لنفوذها، وجعلت من «حوزة» إيران «حوزة مؤثرة» على «حوزة» النجف،

وجعلت من هذه الثانية تمثل «الفرع» بالنسبة لها.

وعودة للوثيقة السرية للنظام حول «حوزة» النجف و«تعريبها» يمكن القول:

أولاً: إن القارئ الذكي للوثيقة، التي سندرجها سوف لا يتفاجأ بأن الوثيقة لم تكن «خزاناً» لأسرار «الحوزة»، ولا هي دراسة معمقة لها، وسيفهم أنها دراسة «إعدادية»، إلا أن هذا الإعداد بالإمكان أن يفتح آفاقا للرؤية ستوفرها هذه الدراسة بما لا يمكن الاستغناء عنها في هذا المجال.

ثانياً: وهي ــ أي الوثيقة ــ لم تكن دراسة معمقة أو ذات عمق معرفي بــ «الحوزة» ومناهج تدريسها بما يعكس أقصى قدرة لــ «العلماني» ليس الشخص، بل النظام، وليس أي نظام، بل نظام مثل نظام صدام حسين، وليس في ظرف طبيعي في تعاطيه مع «الحوزة» شبيه بظروف ما أسميناه «الهدنة اللامعلنة» بينها وبين الأنظمة التي سبقته، بل أن هذا النظام كان في ظرف استثنائي إزاءها بخلفياتها كلها، التي شرحناها، والتي هي على علاقة أيضاً ــ كما مر معنا ــ بالمؤثرين الإيراني من جهة، والأميركي من جهة أخرى، كما أن لها علاقة بالصراع العراقي ــ الايراني الذي بدأه صدام حسين بشن الحرب على الجمهورية الإسلامية لمدة ثمانية سنوات، وتوظيفه القسري لهذه «الحوزة»، كما مر معنا في فصل «الحوزة المؤثرة.. والحوزة المتأثرة».

ثالثاً: ونظام صدام حسين «معذور» في كون أجهزته الأمنية حتى المخترِقة لــ «الحوزة»، غير قادرة أن تقدم دراسة إعدادية كهذه، فقضية كقضية «الحوزة» بتاريخها المعقد و بــ «نظامها ولا نظامها» الذي لا شبيه له في العالم، وبمناهجها الدراسية المتحركة السيالة، والمتعددة في آن معا، والذي لا يسمح لكثير ممن يدرسون «الحوزة» بفهمه واستيعابه، وبناه التحتية المعقدة وخطابه الطلاسمي «الجني»، كيف يتسنى للعلماني أن يحيط به، ويقدم دراسة معرفية حوله، فهو كل ما يستطيع فعله كنظام أن يقدم ما قدم من هذه الدراسة الإعدادية، إذ إن الأمر صعب على الكثير من رجال الدين ذاتهم، وأكثر صعوبة على ما يسمى المفكر أو المثقف الديني، فكيف نريد من «العلمانيين» أن يستوعبوا أمور هذه «الحوزة»؟ علماً بأن كاتب هذه الدراسة اذا

كان شخصاً او جهة لم يكن «علمانياً» على ما يبدو بل هو من داخل «الحوزة».

رابعاً: مع أن الدراسة كانت إعدادية ومن قبل نظام يمسك بإمكانات كبيرة، ويحتفظ لنفسه بما يكفي من «طلابه» و«موظفيه» و«مرتزقته» وبـــ «وزارة الأوقاف»، وبـــ «رجال دين سنة» يقدمون بدورهم له ما بجعبتهم من معرفة حول «الحوزة الشيعية»، مع ذلك كله إلا أننا لا يمكن أن نجازف إذا ما قلنا بأن هذه الدراسة الإعدادية تبقى «منجزا مهما»، إذا ما قورن الأمر بواقع هذه «الحوزة»، وما يفترض لها أيضاً أن ترصد النظام ذاته بـــ «دراسة إعدادية» حوله، فهذه «الحوزة» لم ترتق في يوم ما إلى هكذا تفكير، أو تشعر بأن هكذا مهمة تقع في حيز «واجبها»، بما فيهَا رموزها الثورية، لأن هؤلاء الرموز محاصرون بألف حصار من داخل «الحوزة»، بما يفقدهم القدرة على توفير الكوادر الكفيلة بانجاز هكذا دراسة وما تحتاج إليه من مستلزمات أخرى.

خامساً: إن الشعور الذي سيطغى على قارئ هذه الدراسة يتعدى أنها أعدت لـــ «الحوزة» لذاتها، وإنما للاحاطة بالواقع «الشيعي» العراقي برمته، وكيفية إدارته وفق متطلبات النظام، وهو مبنى «صحيح» لأن هذا الواقع يتأثر بهذه «الحوزة»، بغض النظر عما ينطوي عليه ذلك من أبعاد «طائفية»، وما له علاقة تاريخية مع مقولة «الدولة الطائفية اللامعلنة في العراق».

سادساً: وبناء على ما تقدم يمكن القول إن الهدف المركزي من هكذا دراسة، كان هدفا أمنيا بالدرجة الأولى، وإلا، فمن المستحيل أن نتصور بأن النظام كان جاداً في أبعاد دراسته معرفياً وثقافياً، على الرغم مما يبدو أنه على علاقة بهذه الجوانب المعرفية والثقافية، فهي ــ هذه الجوانب ــ إذا افترضنا لها شيئا من الجدية، فالأمر ــ كما سيتضح لاحقا ــ لا يعدو عن كونه معبرا عن إرباك واضح لهذا النظام، وفي هذا الإطار.

وثيقة سرية
من ملف المخابرات العراقية

«نص الوثيقة، الحوزة العلمية تاريخها... واقعها.. وخطة العمل المرحلية والمستقبلية

الفصل الاول

تعريف الحوزة العلمية

هناك عدة دراسات حدّدت تعريف الحوزة، إلا أن التعريف الذي يمثل واقع الحوزة يمكن صياغته بالآتي: (مجموعة من العلماء ورجال الدين الذين يمتلكون معلومات عن فقه المذهب الجعفري ويقومون بتدريس الطلبة الراغبين بالانتماء إلى الحوزة العلمية في المدارس الدينية أو الجوامع أو أماكن استقبال المراجع لطلابهم (البراني) والتي يحضر فيها الطلبة على شكل حلقات دراسية، ويشرف على هذا الكيان أحد العلماء الذين يصل بعلميته إلى موقع زعيم الحوزة العلمية من الناحية العلمية والإدارية).

بدايات ظهور الحوزة

توجد آراء مختلفة حول بدايات ظهور الحركة العلمية في النجف وتأسيس الحوزة العلمية، وإن أقرب تلك الآراء إلى الواقع، هو أن الحركة العلمية في النجف انتشرت في مراحل تاريخ الحوزة بعد الطوسي (عام ٤٦١ هـ ـ توفى الطوسي)، وتولى زعامة الحوزة بعده ولده (الحسن)، وهكذا تواصل عملها من مرجع إلى آخر منذ وفاة الطوسي حتى الآن. وخلال المدة المذكورة انتقلت الحوزة من النجف إلى مدن أخرى وعادت إليها، وأن كتب التاريخ توضّح ذلك، وهي كالآتي:

١ ـ انتقلت إلى الحلة خلال مدة رئاستها من قبل (محمد بن أحمد بن إدريس الحلي) المتوفى عام ٥٩٨ هـ والمذكور هو سبط الطوسي.

٢ ـ أواخر القرن العاشر الهجري عادت إلى النجف.

٣ ـ أواخر القرن الحادي عشر انتقلت إلى كربلاء وذلك بانتقال الشيخ (أحمد بن محمد الأردبيلي) إلى كربلاء.

٤ ـ بداية القرن الثاني عشر الهجري عادت إلى النجف وتزعمها (السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي).

٥ ـ عام ١٣١٢ هـ أصبح المرجع الديني (محمد حسن الشيرازي) الذي انتقل للسكن في سامراء وانتقلت الحوزة من النجف إلى سامراء.

٦ ـ بعد أن أصبح (السيد محمد كاظم اليزدي) المتوفى عام ١٣٣٧ هـ، المرجع الديني للحوزة انتقلت الزعامة الدينية والدراسة العلمية إلى النجف وما زالت.

الفصل الثاني

العناصر التي تتكوّن منها الحوزة

الحوزة العلمية كيان يتكوّن من عناصر مختلفة تؤدي بمجملها مهام متفرقة هدفها استمرار مواصلة التدريس في النجف من أجل إيجاد ضرورة لبقاء المراجع الدينية والمجتهدين وكنتيجة لذلك استمرار تقليد هؤلاء المراجع، وهذا يعني استمرار الحصول على المبالغ المالية من خلال الحقوق الشرعية.

إن آلية العمل في الحوزة العلمية أوجدت ضرورة وجود أشخاص يكلفون بمهمات محددة من قبل المراجع ويرتبطون بهم بشكل مباشر أو غير مباشر، وكذلك وجود أماكن للتدريس، لذلك فإن الحوزة العلمية وفق هذا الوصف تتكوّن عملياً من العناصر الآتية:

١ ـ المرجع الديني الأعلى: ويسمّى (زعيم الحوزة) أو (رئيس الحوزة).

٢ ـ المراجع الدينية: وهم رجال الدين الذين حصلوا على درجة الاجتهاد وأعلنوا عن مرجعيتهم وأصبح لهم من يقلّدهم.

٣ ــ المجتهدون: وهم رجال الدين الذين حصلوا على درجة الاجتهاد واستمروا بتقليد أحد المراجع ولم يعلنوا عن مرجعيتهم.

٤ ــ حاشية المرجع: وهم مجموعة من طلاب الحوزة الذين يعملون في مكتب المرجع ويشرفون على الأمور الإعلامية والإدارية واستلام الحقوق الشرعية وتوزيع الرواتب على طلاب الحوزة وتنظيم زيارات الطلاب للدراسة والمواطنين لغرض استلام الفتاوى حول استفساراتهم.

٥ ــ وكلاء المرجع: لكل مرجع مجموعة من الوكلاء في النجف والمحافظات وبعضهم لديه وكلاء خارج العراق مهمتهم تمثيل المرجع في المنطقة الموجودين فيها واستلام الحقوق الشرعية وترويج كتب وإصدارات المرجع ويكلفون بالإمامة في الجوامع والحسينيات.

٦ ــ طلاب الحوزة العلمية: وهم مجموعة الأشخاص الذين يدرسون لدى المراجع والمجتهدين وزيادة عددهم لدى المرجع أو المجتهد يساهم في توسيع الترويج لمرجعيته وإمكانياته العلمية، وأن زيادة مجموع عدد الطلاب يعني وجود الحوزة وقوتها والعكس صحيح.

٧ ــ المدارس الدينية: تستخدم لسكن الطلاب وهي بمثابة (أقسام داخلية) وبعضها يستخدم للدراسة أيضاً مثل (مدرسة كلنتر) ويكون لكل مدرسة (متولّي) يعينه المرجع المسؤول عن المدرسة ويكون على الأغلب من طلاب الحوزة الساكنين فيها لكي يتابع أمورها الإدارية، أما التدريس بشكل عام فيكون في الجوامع المخصصة للتدريس و(برانيات) المراجع الدينية.

٨ ــ المُقَلِد: وهو الشخص الذي يتبع أحد المراجع ويلتزم بالأحكام التي يحددها المرجع في (رسالته العملية) ويدفع الحقوق الشرعية له بشكل مباشر أو لأحد وكلائه.

٩ــ الحقوق الشرعية: هي مصدر التمويل المالي للحوزة، وإن المرجع الديني كلما ازدادت الحقوق الشرعية التي يتسلمها، فإن ذلك يزيد من رصيده في الحوزة باعتبار أنه سيتمكن من إعطاء رواتب ومساعدات للطلاب وبعض المساعدات للمواطنين الذين يراجعون مكتبه أو أحد وكلائه لطلب المساعدات.

الفصل الثالث

الواقع الحالي للحوزة

إذا نظرنا إلى الحوزة العلمية ككيان أو مؤسسة علمية لها طقوسها وتقاليدها الخاصة، فإننا يجب أن نشير إلى أنها تتأثر بالظروف المحيطة بها سواء كانت مادية أو معنوية وينعكس ذلك على استقرارها أو عدمه، وهذا ما سيتضح من خلال بحث الواقع الحالي لها. لقد كانت للحوزة العلمية في جميع مراحلها التاريخية مركزية عليا لإدارتها متمثلة بشخص (المرجع الأعلى للحوزة العلمية)، وقد استمر هذا الواقع حتى وفاة (الخوئي) وبعده لفترة قصيرة عندما خلفه (عبد الأعلى السبزواري) إلا أن تولي (محمد محمد صادق الصدر) زعامة الحوزة أدّى إلى اختلال في القاعدة، وبالتالي فقدان المركزية، التي كانت عليها، ويعزى سبب ذلك لعدم قناعة المراجع الآخرين بأهليته الشرعية والعلمية لهذا الموقع، والذي أدّى بهم إلى عدم الامتثال لأوامره وفتاواه والوقوف في خندق مجابه له، وحدوث الخلافات بين الطرفين، الذي انسحب بالتالي على وضع الطلبة أيضاً من مقلدي (السيستاني ومحمد سعيد الحكيم وبشير الباكستاني).

وبعد وفاة السيد محمد محمد صادق الصدر بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٩٩ أصبحت الحوزة بدون (مرجع أعلى) وما زالت، وفي ضوء هذا الوضع سنتناول الواقع الحالي للحوزة من خلال عناصرها المهمة وكالآتي:

المراجع

المراجع الموجودين حالياً في النجف، هم:

١ ــ محمد علي محمد باقر علي مجتهد السيستاني:

من مواليد ١٩٣١ إيران، دخل القطر عام ١٩٤٤، متزوج من إيرانية تقيم معه في النجف، حصل على درجة الاجتهاد عام ١٩٩٣، يعتبر حالياً من أكثر المراجع تأثيراً في النجف والمحافظات الأخرى وله مقلدون خارج العراق.

٢ ــ محمد سعيد محمد علي أحمد محسن الحكيم:

من مواليد ١٩٢١ نجف، حصل على درجة الاجتهاد عام ١٩٩٢، لديه تقليد داخل

وخارج القطر ويأتي من ناحية الأهمية والمكانة والتأثير بعد السيستاني.

٣ ــ حسين محمد تقي حسن إبراهيم بحر العلوم:

من مواليد ١٩٢٩ نجف، متزوج ولا يوجد لديه أولاد كونه عقيم، حصل على درجة الاجتهاد، لديه تقليد داخل العراق وتقليده خارج العراق محدود، يأتي من ناحية الأهمية والتأثير بعد محمد سعيد الحكيم.

٤ ــ بشير حسين صادق علي الباكستاني، يلقّب نفسه بــ (النجفي):

من مواليد ١٩٤٢ باكستان، حصل على درجة الاجتهاد عام ١٩٩٢، لديه تقليد ضعيف ويكاد لا يذكر داخل العراق ولديه تقليد قوي في الباكستان ومكانته من ناحية التأثير في الداخل ضعيف قياساً للمراجع الأخرى.

المجتهدون:

وتسلسلهم حسب الأهمية:

١ ــ محمد إسحاق محمد رضا حمزة الفياض:

من مواليد ١٩٢٦ باكستان، أفغاني الأصل ومتجنس بالجنسية الباكستانية ويعرف بالأفغاني، دخل القطر عام ١٩٥٠ رجل يتمتع بمكانة علمية مرموقة على ساحة الحوزة، قام بإصدار رسالته العملية ونشر منها ثلاثة أجزاء وبدأ يروج لنفسه كمرجع ديني والمذكور أشار لمكانته وعلمه محمد محمد صادق الصدر قبل وفاته ووجه طلابه ومقلديه بأتباعه في حالة وفاته.

٢ ــ علي كاظم محمد صادق البغدادي:

من مواليد ١٩٥٥ نجف، ادعى الاجتهاد حديثاً وأعلن عن عزمه بنشر رسالته العملية التي أكملها، ودعى إلى تقليده كمرجع ديني يمثل امتداداً لمرجعية السيد محمد محمد صادق الصدر، وخلال المدة الأخيرة ظهرت له خلافات مع (مقتدى محمد محمد صادق الصدر) حول استلام الحقوق الشرعية.

٣ ــ محمد مهدي حسن عبد الهادي الخرسان:

من مواليد ١٩٢٧ نجف، مجتهد وليس لديه رسالة عملية وليس له تأثير يذكر على

ساحة الحوزة، إلا انه يمثل عائلة معروفة بجذورها التاريخية العلمية وهي عائلة (الخرسان).

٤ ـ علي حسين إسماعيل نصر الله بهشتي:

من مواليد ١٩٠٤ إيران، دخل العراق عام ١٩٣٤، حصل على درجة الاجتهاد منذ عام ١٩٩٢، مريض وعاجز منذ عدة سنوات، ليس لديه تأثير على ساحة الحوزة. إن استمرار الدراسة في الحوزة العلمية في النجف يعني حصول بعض الطلاب من المتفوقين بالدراسة، أو من أبناء المراجع أو المقربين لهم على درجة الاجتهاد بعد اجتيازهم مرحلة (البحث الخارجي)، لذلك توجد أسماء أخرى لبعض الذين حصلوا على درجة الاجتهاد لكن تأثيرهم ما زال محدودا، واهتماماتهم تتركّز على تدريس الطلاب من أجل تكوين رصيد لهم في المستقبل.

وكلاء المراجع:

الوكلاء حالياً على أنواع وهم كالآتي:

١ ـ الوكيل العام: يشرف هذا الوكيل على الوكلاء المرتبطين به ضمن محافظة واحدة أو عدة محافظات.

٢ ـ وكيل الحقوق المالية: يقوم بقبض الحقوق الشرعية واستلام الاستفسارات الشرعية (الاستفتاءات) وإيصالها إلى الوكيل العام أو المرجع حسب طلب (المقلد) وأخذ الأجوبة ووصولات استلام الأموال، ولقاء ذلك يعطيه المرجع أو الوكيل العام ما يؤيد ذلك، وفي بعض الأحيان يجيز المرجع وكيله بالتصرّف بالحقوق.

تعليق:

ظهرت كثير من الحالات التي يقوم بها الوكلاء بسرقة الأموال لحسابهم الخاص عندما لا يطلب المقلد تزويده بوصل الاستلام.

٣ ـ وكيل الإمامة: يتم اختيار هؤلاء من خلال قيام أبناء المنطقة الموجود فيها جامع أو حسينية تعود ملكيته لأحدهم بالذهاب إلى المرجع والطلب منه منح أحد الأشخاص المرشح من قبلهم إجازة شرعية لامامتهم في الصلاة، على أساس ان

المنطقة تحتاج لذلك، ويقوم المرجع بطلب تزكية وكيله في المنطقة للشخص المرشح وبعدها يمنحه الإجازة ولا ينطبق ذلك على ما تملكه وزارة الأوقاف.

تعليق:

ملحق رقم (١) يوضح عدد الجوامع والحسينيات موزع على المحافظات ويبلغ عددها (١١٢٣) مع مقارنة بعدد الجوامع للمذاهب «السنية» في كل محافظة.

٤ ــ وكيل الخطابة: بعد قيام محمد محمد صادق الصدر بإصدار فتوى تؤكد على وجوب أداء صلاة الجمعة والتي يطلق عليها في المذهب الجعفري (الفريضة المعطلة)، أصبحت الحاجة ملحة إلى تعيين وكلاء للمرجع لأداء الخطابة يوم الجمعة وامامة المصلين. وقد أفرزت هذه الحالة قيام كثير من الأشخاص باتباع هذا الخطيب الذي بدوره يقوم بتوجيههم لتقليد المرجع الذي يقلده ولغرض الاستفادة المادية للوكيل والمرجع في آن واحد، فقد أعطى محمد محمد صادق الصدر إجازة عامة لخطبائه تشمل (استلام الحقوق الشرعية والتصرّف بها). واستمر من بعده السيد حسين محمد تقي بحر العلوم الذي أفتى هو الآخر باستمرار صلاة الجمعة بعد غياب المرجع الذي أفتى بوجوبها وأخذ يزود الخطباء بوكالة للخطابة وأداء صلاة الجمعة. ان الوكلاء الرئيسيين الموجودين حالياً في المحافظات والموضحة أعدادهم في أدناه مقسمين على المراجع حسب التقليد وكالآتي:

١ ــ محمد محمد صادق الصدر (٧٦)

٢ ــ محمد علي محمد باقر السيستاني (٢٩) ويوجد لديه وكلاء في الخارج بعدد كبير.

٣ ــ محمد سعيد محمد علي محسن الحيكم (٣) ويوجد لديه وكلاء في الخارج.

٤ ــ حسين محمد تقي بحر العلوم (٢١)

٥ ــ بشير حسين صادق الباكستاني (١) ويوجد لديه وكلاء في باكستان.

المدارس الدينية

إن المدارس الدينية في الحوزة العلمية تختلف عن المدارس بمعناها المتعارف

عليه، حيث أن معظم المدارس المذكورة والتي يبلغ عددها (٣١ مدرسة ــ ثمانية منها مغلقة لأسباب مختلفة، وكما موضح بالملحق رقم ٢) يمكن اعتبارها بمثابة أقسام داخلية، إذ انها تحتوي على غرف مخصصة لمبيت الطلبة الوافدين إلى النجف من المحافظات الأخرى واحتواء بعض المدارس الكبيرة مثل (اليزدي، الاخوند، القوام) على غرف للمبيت وقاعات للدرس (ديوانية) جلوساً على الأرض على غرار حلقات الدرس في الجوامع. ان الطلبة الذين يقيمون في المدارس التي لا تحتوي على قاعات للدراسة يأخذون الدروس في الجوامع التي فيها مكان للدراسة مثل (الهندي، الرأس، السبزواري).

ان هذه المدارس يشرف على إدارتها طلبة أيضاً يطلق عليهم اسم (متولي المدرسة)، وهو الذي يقوم بتأمين احتياجات المدرسة وإدامتها من خلال طلب المستلزمات من المرجع الأعلى للحوزة العلمية في حالة وجوده أو من المراجع في حالة عدم وجود المرجع الأعلى كما هو الحال الآن.

خلال وجود محمد محمد صادق الصدر كان مسؤولاً عن جميع المدارس وبعد وفاته استمر أغلب المتولين في مراجعة ولده (مقتدى الصدر) باعتباره في قناعتهم ممثلاً لمرجعية والده وذلك في الأمور المادية فقط، حيث أن إدارته لهذه المدارس حالياً تعتبر غير شرعية في فقه المذهب لأنه ليس بمرجع لكنهم تمسكوا بذلك لاستمراره بتأمين احتياجات المدارس.

إن ملكية هذه المدارس جميعاً تعتبر من الملكيات الخاصة بالحوزة، حيث قام أشخاص ببنائها على نفقتهم الخاصة وتسليمها إلى زعيم الحوزة العلمية في حينه على مختلف الأزمنة لتؤول ملكيتها إلى الحوزة العلمية بصفتها (كيان قائم بحد ذاته) واستمرت إلى يومنا هذا ملكية (موقوفة) للحوزة يتصرّف بها زعيم الحوزة العلمية أو من يخوله.

إن وضع المدارس في الوقت الحالي لا يشبه أي وضع آخر خلال تاريخ الحوزة، حيث أن أغلبها (كما أشرنا) يديرها (مقتدى الصدر) ما عدا المدارس التي تعود ملكيتها لعوائل أو أشخاص موجودين حالياً ومنها:

١ ــ جامعة النجف الدينية (مدرسة كلنتر) يديرها حالياً ولده (ضياء) بعد ان تُوفي والده.

٢ ــ مدرسة دار الأبرار ــ يديرها بشير الباكستاني.

٣ ــ مدرسة كاشف الغطاء والمهدية ــ تديرها عائلة كاشف الغطاء.

٤ ــ مدرسة الحكيم ــ استلمتها عائلة الحكيم وحالياً مغلقة.

طلاب الحوزة العلمية

ويطلق على طالب الحوزة (طالب علم) وهو الذي يقوم بدراسة العلوم الدينية الخاصة بالمذهب الجعفري (الإمامية) وفق المناهج والكيفية التي تحددها طبيعة الحوزة التي ينتمي اليها الطالب.

طريقة القبول: عندما يجد الفرد في نفسه الرغبة لدراسة العلوم الدينية والانتماء إلى الحوزة والتي تتكوّن لديه غالباً من خلال طالب حوزة آخر قريب له أو صديق له أو من خلال إمام أو خطيب أو وكيل المرجع، فانه يطرح عليه بادىء الأمر ذلك فيزوده ذلك الشخص بورقة تسمى (تزكية) وتحتاج هذه التزكية إلى تأييد من وكيل آخر للمرجع الذي يقلده الوكيل الأول، ثم يذهب الشخص إلى ذلك المرجع ويقدم له التزكية فيحيله إلى أحد أفراد حاشيته لامتحانه شفوياً ببعض الأمور العامة في المذهب، فإذا اجتاز الطالب هذا الامتحان يحدّد له موعد لأداء امتحان آخر يسمى (الامتحان الفقهي) حيث يقوم كل مرجع بالإعلان بين مدة وأخرى عن موعد أداء الامتحان الفقهي للراغبين بالدراسة وعند اجتيازه لهذا الامتحان يعطى مبلغ نقدي يتراوح من (٥٠٠٠ ــ ١٠٠٠٠) ديناراً حسب تقدير كل مرجع وكذلك اعطاءه ورقة إلى احد متولي المدارس لإسكانه في إحدى الغرف باعتباره طالب حوزة، وحالياً لا تتوفر أماكن للسكن في المدارس، لذا فإنه هناك الآن عرف يسمى (ضيفية) وهي ان يتم إشراك الطالب الجديد في غرفة مع طالب أخر، وبعد ذلك يسأله المرجع إذا كان يريد ان يرتدي العمامة أم لا وهذا يعود للطالب نفسه، وهناك الكثير ممن يرفضون (العمامة) لاعتبارات كثيرة أفرزتها الظروف المحيطة بالحوزة.

تعليق:

ان موضوع جلب التزكية من وكيل المرجع يعني ان الطالب يحتاج إلى سكن وراتب، لذلك يطلب منه ان يجتاز الاختبار، أما الذي لديه سكن ولا يحتاج إلى راتب فإنه يستطيع الانضمام إلى حلقات الدرس حسب رغبته دون ضوابط.

يتفق جميع المراجع على شروط يجب ان تتوفر في الطالب كالبلوغ والقراءة والكتابة والاعتقاد بعصمة الأولياء الاثنى عشر ولا يسأل الطالب عن شهادته الأولية مهما كانت إضافة إلى عدم وجود تحديد للعمر.

ملحق رقم (٣) يوضح عدد الطلاب من العراقيين والعرب والأجانب.

الرواتب:

بعد ان يقبل المتقدم كطالب في الحوزة يمنحه المرجع الذي اختبر لديه بطاقة لصرف راتب شهري له ويكون بذلك مسجلاً في سجل خاص لدى مكتب المرجع، وعند مواصلة الطالب الدراسة يتعلم من الآخرين انه بالإمكان الحصول على بطاقات أخرى من المراجع الآخرين للحصول منهم على راتب شهري أيضاً، حيث ان المراجع لا يرفضون ذلك باعتبار ان نسبة من الحقوق الشرعية التي يحصلون عليها مخصصة لطلاب الحوزة وأن طريقة حصول الطالب على هذه البطاقة تتم من خلال أدائه الاختبار الذي يعلنه المراجع للطلبة الذين يواصلون الدراسة وفق مستوياتهم العلمية. ان البطاقة يمكن ان يحصل عليها الطالب بدون أداء الاختبار وذلك إذا كان من عائلة معروفة أو لديه علاقة مع حاشية المرجع والعاملين في مكتبه أو مع المرجع نفسه، وأن مقدار هذا الراتب يختلف من مرجع إلى آخر، ولتوضيح ذلك ندرج في أدناه نسب الرواتب التي توضح الاعتبارات التي تعتمد في صرف الراتب بالاستناد إلى المستوى العلمي للطالب وحالته الاجتماعية فضلاً عن الامكانيات المالية المتوفرة للمرجع.

تعليق:

اعتمدنا في جدول الرواتب على أمثلة لثلاثة من المراجع.

اسم المرجع	المرحلة الدراسية	الحالة الاجتماعية	مقدار الراتب
محمد علي السيستاني	المقدمات	أعزب	(١٠,٠٠٠)
	المقدمات	متزوج	(١٥,٠٠٠)
	السطوح	أعزب	(١٥,٠٠٠)
	السطوح	متزوج	(٣٠,٠٠٠)
	البحث الخارجي	أعزب	(٤٠,٠٠٠)
	البحث الخارجي	متزوج	(٥٠,٠٠٠– ٦٠,٠٠٠)

اسم المرجع	المرحلة الدراسية	الحالة الاجتماعية	مقدار الراتب
محمد سعيد الحكيم	المقدمات	أعزب	(١٠,٠٠٠)
	المقدمات	متزوج	(١٠,٠٠٠)
	السطوح	أعزب	(١٥,٠٠٠)
	السطوح	متزوج	(٢٠,٠٠٠)
	البحث الخارجي	لا يوجد لديه طلبة بحث خارج حاليا	

اسم المرجع	المرحلة الدراسية	الحالة الاجتماعية	مقدار الراتب
محمد محمد صادق الصدر تدفع الرواتب حالياً من قبل ولده (مقتدى)	المقدمات	أعزب	(٤,٠٠٠)
	المقدمات	متزوج	(٧,٠٠٠)
	السطوح	أعزب	(٤,٠٠٠)
	السطوح	متزوج	(٧,٠٠٠)
	بحث خارج	أعزب	(١٦,٠٠٠)
	بحث خارج	متزوج	(١٦,٠٠٠)

بالإضافة إلى الرواتب التي يحصل عليها الطالب فإن بعض المراجع يقوم بتجهيز الطلبة بالمواد الغذائية أو الكتب أو الملابس عند توفرها لديه، وهناك مصادر أخرى يعتمد عليها الطالب في الحصول على موارد مالية أخرى هي:

١ ــ المساعدات:

وهي الأموال التي يقدمها المجتهدون الذين يعملون لاعلان مرجعيتهم أو لكونهم من عوائل دينية (ويحصلون على الحقوق) من أجل كسب المقلدين وتتراوح هذه المساعدات شهرياً (٥٠٠٠ ــ ١٠٠٠٠) دينار لكل طالب يراجعهم، ومن الذين يدفعون مثل هذه المساعدات حالياً (محمد إسحاق محمد رضا الفياض ــ باكستاني الجنسية ــ أفغاني الأصل، علي كاظم محمد صادق محمد الحسني البغدادي ــ عراقي الجنسية من أسرة آل الحسني في بغداد، هاشم مرتضى هاشم حبيب الموسوي عراقي الجنسية، من أهالي البصرة).

٢ ـ صلاة وصيام الاستئجار:

وتعني استئجار الطالب لأداء الصلاة والصيام بدلاً عن شخص متوفى أو صاحب عذر شرعي كأن يكون والده مثلا ويصل مبلغ الاستئجار إلى(١٠٠,٠٠٠ ـ ١٥٠,٠٠٠) ألف دينار عن كل شهر صيام أو سنة صلاة علماً ان ذلك يخضع للاتفاق بين المؤجر والمستأجر وأن أغلب طلاب الحوزة يحصلون على مثل هذه المبالغ حالياً.

٣ ـ القراءات ومجالس التعزية:

يتم جمع مبالغ مالية للطلبة الذين يجيدون إقامة القراءات الحسينية والتعازي وإعطائها لهم من قبل صاحب التعزية أو المجلس.

٤ ـ مواسم الزيارات:

يتواجد الطلبة في الحضرات المقدسة أثناء الزيارات المتعارف عليها، حيث يقوم كثير من الناس بإعطائهم الأموال والمساعدات باعتبار أن تلك الأيام مباركة ويستحب مساعدة طلبة العلم فيها.

٥ ـ الهدايا والحقوق:

كثير من المراجع الدينية لا يقومون باستلام المبالغ القليلة التي يجلبها إليهم الناس أو وكلائهم ويعطوهم الرخصة للتصرف بها وبذلك فهي تكون بتصرف الوكيل الذي يرسل نسبة منها إلى طلاب الحوزة الموجودين في منطقته.

٦ ـ النسبة في الخمس والزكاة:

أغلب الطلبة وخصوصاً في المراحل المتقدمة من الدراسة يمنحون وكالات لاستلام الحقوق وجلبها للمرجع الذي يقوم بإعطائهم نسبة تقدر بثلث المبلغ، ويقوم بعض المراجع بإعطاء نسبة ٥٠ % للوكيل من أجل دفعه لجمع حقوق أكثر.

ان المبالغ المشار إليها آنفاً هي المحددة وفق ما متعارف عليه، ويضاف إليها ان المراجع يقدمون مساعدات مالية أخرى للطلاب في حالات (الزواج، الأعياد، عندما يرزق الطالب بمولود، والمرض وإجراء العمليات له ولعائلته) ومن هذا يتوضح مقدار المبالغ المالية التي يحصل عليها طالب الحوزة، وأن ذلك هو أحد أسباب الإقبال على الدراسة في الحوزة العلمية في النجف.

تعليق:

يمنح الطلبة العرب والأجانب أكثر مما يمنح للطلبة العراقيين.

المناهج والمراحل الدراسية

ان المناهج المقررة من قبل المراجع تخضع لاعتبارات شخصية خاصة بالمرجع لذلك نجد ان هذه المناهج تختلف من مرجع لآخر حيث انهم يحاولون إعداد مناهج واسعة لكي لا يوجه لهم ولدراستهم النقد.

تعليق:

الملحق رقم (٤) يوضح المنهاج الذي أعده محمد محمد صادق الصدر (قبل وفاته) والملحق رقم (٥) يوضح المنهاج الذي أعده بشير الباكستاني. إن القاسم المشترك لجميع المناهج هو اتفاق جميع المراجع على ان الدراسة في الحوزة تقسم إلى ثلاث مراحل ولكل مرحلة مستويات من الدروس وهي كالآتي:

١ – **مرحلة المقدمات:** وهي المرحلة الأولى والتي يأخذ الطالب فيها قواعد اللغة العربية وعقائد الامامية والمنطق، وتقسم هذه المرحلة إلى عدة مستويات يحددها المنهج الذي يضعه المرجع فمنهم من يجعلها أربعة مستويات أو أكثر:

تعليق:

المستويات هي انتقال الطالب في دراسته لهذه المواد من المستوى البسيط إلى الأصعب ويمكن تمثيلها بانتقاله ضمن أجزاء المجموعة الكاملة لمؤلفات الفقهاء في أوليات الفقه والصرف والنحو والشرائع والعقائد والأصول.

٢ – **مرحلة السطوح:** وهي (سطوح العلم) الديني حيث يتلقى الطالب فيها

الدروس في نفس المواد لكن بمستويات أعمق مع إضافة دروس في الفلسفة والفقه والأصول وبمستويات عميقة وذات أفكار واسعة الآفاق وكثيرة الاستدلال ويبدأ الطالب فيها بتدوين الملاحظات التي يطرحها أستاذه ويوثقها لديه.

٣ ـ **البحث الخارج:** عندما يكمل الطالب مرحلة المقدمات والسطوح فإنه سيكون معروفاً وصاحب شهرة على نطاق الحوزة وبالذات (برانيات المراجع) والمراجع أنفسهم بفضل الاحتكاك المستمر، حيث يدعو المرجع الطالب لكي يحضر إلى درسه في البحث الخارج بعض الأحيان أو يتهيأ الطالب لأداء الاختبار الخاص بالانتقال إلى آخر مرحلة في الدراسة وهي البحث الخارج.

ان المقصود بالبحث الخارج هو قيام المرجع بإلقاء مسألة على تلاميذه مع ذكر الأدلة المقامة للمسألة والأقوال الموجودة عنها وما ذكره هو في رسالته العملية وتفنيد ما لا يتفق ورأيه الخاص وذكر الأدلة التي تدعم رأيه وهذا السياق يتبعه المرجع في تناول الفقه وأصوله باباً تلو الآخر، وتمتاز هذه المرحلة بالمناقشات الواسعة بين الأستاذ وتلميذه حيث (يبحث) الطالب أيضاً عن أدلة لآرائه التي قد تتناقض مع آراء أستاذه أو تؤيده ويمتاز الأستاذ (المرجع) في هذه المرحلة بالاستماع إلى آراء طلبته بكل تواضع وعلمية، ويوجد في حلقات الدرس طالب يسمى (المقرر) وهو أذكى الطلبة في الحلقة، حيث يقوم بإعادة الدرس وشرحه إلى الطلبة الذين يقل ذكاؤهم عنه في الفهم العميق للأستاذ، إضافة إلى تكوين حلقات تسمى بحلقات (المباحثة) بين الطلبة لإعادة الدرس أيضاً والاستفادة.

تصل مدة الدراسة في هذه المرحلة إلى (عشرين سنة) بعض الأحيان، وبعد انتهاء هذه المرحلة تصبح لدى الطالب القدرة على التمييز بين الأحكام الشرعية والفتاوى وبعدها يمنح المرجع طالبه درجة الاجتهاد.

أما صيغة الدراسة فإن طلبة مرحلة السطوح يقومون بتدريس طلبة المقدمات بينما يقوم طلبة البحث الخارج بتدريس طلبة السطوح، أما طلبة البحث الخارج فإنهم يدرسون لدى المرجع نفسه أو بعض المجتهدين المشهورين.

المناسبات

نظراً لأن الحوزة العلمية تعتبر هي الموجّه لأبناء المذهب، فإننا وجدنا أن إعطاء صورة مبسطة عن المناسبات الخاصة بهذا المذهب سيوضح كثرة هذه المناسبات التي أغلبها مناسبات حزن. إن كثرة المناسبات الدينية يأتي من خلال (إن كل ولادة ووفاة للائمة الاثنى عشر إضافة إلى فاطمة الزهراء وكل حدث يخصّهم) مناسبة أيضاً. وأغلب هذه المناسبات تقام فيها مجالس العزاء و(اللطم) وذلك لوجود رواية لديهم عن الإمام جعفر الصادق انه قال: (نحن الشيعة أفراحنا مآتمنا). وتمارس في كل مناسبة طقوس نبيّنها في أدناه:

١ ـ (١ محرم) رأس السنة الهجرية: والتي يفترض أن تكون مناسبة فرح، لكنه تظهر مظاهر الحزن على أبناء المذهب منذ بداية شهر محرم ولا زواج ولا أفراح بحلول محرم واقتراب استشهاد الإمام الحسين، وبعضهم يرتدي السواد وتقام مجالس العزاء واللطم.

٢ ـ (١٠ محرم) استشهاد الإمام الحسين: وفيه يتم زيارة مرقد الحسين في كربلاء بأعداد ضخمة واللطم ومجالس العزاء وينوي أكثرهم الزيارة سيراً على الأقدام.

٣ ـ (٢٥ محرم) استشهاد الإمام (علي بن الحسين) زين العابدين: وفيه زيارة إلى كربلاء.

٤ ـ (٢ صفر) مولد الإمام الباقر (محمد بن علي): احتفال بسيط في الحوزة بدون زيارات غالباً.

٥ ـ (٣ صفر) استشهاد زيد بن علي بن الحسين: لا توجد فيه زيارة.

٦ ـ (٧ صفر) استشهاد الإمام الحسن: زيارة إلى النجف.

٧ ـ (١٧ صفر) مولد الإمام الكاظم: زيارة إلى الكاظم.

٨ ـ (١٧ صفر) استشهاد الإمام الرضا: زيارة إلى النجف ثم كربلاء.

٩ـ (٢١ صفر) زيارة الأربعين: وفيها يذهب الناس لزيارة كربلاء وكانت تمارس

فيها سابقاً (ركضة طويريج) وتتم الزيارة سيراً على الأقدام وزيادة في التقرّب والأجر يكونوا حفاة.

١٠ ــ (٢٨ صفر) وفاة الرسول (ص): زيارة النجف.

١١ ــ (٩ ربيع الأول) تتويج الإمام المنتظر (المهدي): زيارة إلى سامراء.

١٢ ــ (١٧ ربيع الأول) ولادة الرسول (ص) وكذلك ولادة الإمام جعفر الصادق: زيارة إلى النجف.

١٣ ــ (٤ ربيع الثاني) ولادة الإمام الحسن العسكري: لا توجد زيارة.

١٤ ــ (٥ جمادي الأول) ولادة السيدة زينب: زيارة إلى كربلاء مروراً بالمكان الذي يسمى (المخيم).

١٥ ــ (١٣ جمادي الأول) وفاة فاطمة الزهراء: زيارة كربلاء والنجف لتعزية الإمام علي ثم تعزية أولادها.

١٦ ــ (٢٠ جمادي الثانية) ولادة فاطمة الزهراء: يستحب فيها زيارة كربلاء.

١٧ ــ (٢ رجب) ولادة الإمام الهادي: فيها زيارة سامراء خلال اليومين ٢ ــ ٣ رجب.

١٨ ــ (٣ رجب) استشهاد الإمام الهادي: فيها زيارة سامراء.

١٩ ــ (١٠ رجب) ولادة علي بن أبي طالب: زيارة إلى النجف بأعداد ضخمة.

٢٠ ــ (١٤ رجب) وفاة السيدة زينب: زيارة إلى كربلاء.

٢١ ــ (٢٥ رجب) استشهاد الإمام موسى الكاظم: مسيرات راجلة إلى مرقد الإمام الكاظم بأعداد ضخمة وترديد الهوسات واللطم. ومن أشهر الهوسات (موسى بن جعفر عالجسر ــ يله يشيعه شيلوه) ويستحب عبور الجسر من جانب الرصافة إلى الكرخ.

تعليق:

إن الإهتمام بعبور الجسر هو مستحدث القصد منه الاستفزاز وإظهار القوة.

٢٢ ــ (٢٦ رجب) وفاة أبي طالب: لا توجد زيارة.

٢٣ ــ (٢٧ رجب) المبعث النبوي الشريف: لا توجد زيارة.

٢٤ ــ (٣ شعبان) ولادة الحسين / زيارة إلى كربلاء / من ٣ شعبان إلى ٥ شعبان.

٢٥ ــ (٤ شعبان) ولادة العباس / زيارة إلى كربلاء. من ٣ شعبان إلى ٥ شعبان.
٢٦ ــ (٥ شعبان) ولادة السجاد / زيارة إلى كربلاء من ٣ شعبان إلى ٥ شعبان.
٢٧ ــ (١٥ شعبان) ولادة الحجة المنتظر (الإمام المهدي): زيارة إلى كربلاء (جامعة) وقبل عامين أصدر محمد محمد صادق الصدر فتوى بوجوب تأديتها ولكن سيراً على الأقدام خلافاً مع كافة المراجع الذين يؤكدون بوجوب تأديتها ولكن ليس سيراً على الأقدام، وهي مناسبة فرح يوزع فيها (الزرده، الشربت، الحلوى).
٢٨ ــ (١٥ رمضان) ولادة الإمام الحسن: زيارة إلى النجف.
٢٩ ــ (١٩ رمضان) جرح الإمام علي: زيارة الكوفة لأنه جرح فيها ثم زيارة النجف.
٣٠ ــ (٢١ رمضان) استشهاد الإمام علي: زيارة بأعداد ضخمة إلى النجف.
٣١ ــ (٢٣ رمضان) زيارة إلى كربلاء بحجة ان جميع ارواح ال البيت تجتمع في هذه الليلة قرب الحسين.
٣٢ ــ (١ شوال) عيد الفطر: زيارة القبور في مقبرة النجف وكربلاء.

تعليق:

يقوم الشيعة بدفن موتاهم في النجف خاصة باعتقاد أن الدفن في النجف يقلّل من عذاب القبر ولا يسري ذلك على أرض كربلاء مع أنها أكثر قدسية لدى المذهب.

٣٣ ــ (٨ شوال) هدم القبور في مقبرة البقيع بمكة المكرمة: استذكار الواقعة.
٣٤ ــ (٢٥ شوال) استشهاد الإمام الصادق: زيارة إلى كربلاء.
٣٥ ــ (١١ ذي القعدة) ولادة الإمام الرضا: لا توجد زيارة.
٣٦ ــ (آخر ذي القعدة) استشهاد الإمام الجواد: زيارة بأعداد ضخمة إلى مرقد الإمام الكاظم.
٣٧ ــ (١ ذي الحجة) زواج علي من فاطمة (رض): زيارة إلى النجف وهي مناسبة فرح.
٣٨ ــ (٧ ذي الحجة) استشهاد الإمام الباقر: زيارة إلى كربلاء.
٣٩ ــ (٨ ذي الحجة) استشهاد مسلم بن عقيل: زيارة إلى النجف ثم كربلاء.

٤٠ ــ (٩ ذي الحجة) يوم عرفة: زيارة إلى كربلاء.

٤١ ــ (١٠ ذي الحجة) عيد الأضحى المبارك: زيارة إلى كربلاء ويستحب زيارة مرقد العباس ثم مرقد الحسين.

٤٢ ــ (١٨ ذي الحجة) عيد الغدير: وهو اليوم الذي يشيرون انه فيه بايع الرسول (ص) الإمام علي (رض) بانه الوصي من بعده على أمته وكان ذلك قرب بئر يسمى (خم) يقع بين مكة والمدينة وسماه الشيعة (غدير خم) أي (بئر خم) وتحدث فيه احتفالات تلقى بها قصائد شعر في النجف وكذلك في المساكن ويوزع الناس فيه (الشربت والحلوى) وتسمى الزيارة (الغديرية) وهي مناسبة فرح.

٤٣ ــ (٢٤ ذي الحجة) يوم تصدّق الإمام علي (رض) بالخاتم لأحد المساكين: ولا توجد فيه زيارة والبعض يقومون باستذكاره وزيارة النجف وممارسة عبادات مخصوصة.

تعليق:

يظهر من تواريخ المناسبات انه توجد فيها خلاف مع المناسبات المعتمدة رسمياً ومنها:

ا ــ ميلاد الرسول (ص) حيث يشيرون بأنه (١٧ ربيع الأول) وليس (١٢ ربيع الأول).

ب ــ ليلة القدر يشير بأنها (٢٣ رمضان) وليس (٢٧ رمضان)

ج ــ الخلاف مستمر في تحديد يوم عيد الفطر، حيث يعتمدون غالباً على ما تحدده إيران. إن سبب إهتمام المراجع بهذه المناسبات هو كونها تؤدي إلى تقرّب المقلدين منهم وبعضهم فسّرها بأنها ممارسة (تطويعية) لتعليم أبناء المذهب على طاعة أوامر الحوزة، حيث أشار محمد محمد صادق الصدر في أحد أحاديثه إلى ذلك، فضلاً عن ان هذه المناسبات وحضور الأعداد الكبيرة من المواطنين إلى المراقد المقدسة في النجف وكربلاء يعني زيادة عدد المراجعين إلى المرجع وهذا يعني زيادة تقديم الحقوق والهدايا.

تعليق:

إن الهدف من هذه المناسبات هو إعداد المقلدين إعداداً نفسياً وعملياً لقبول أوامر

مراجعهم ويعمل من يعنيه الأمر من ذوي المصالح في المنطقة على الترويج لها بالدرجة الأساس ليرتزقوا منها (هبات وصدقات وبيع وشراء وما شابه بما في ذلك تأثيرها على الانغلاق الاجتماعي وجعله أخف في منطقته في مثل هذه المناسبات).

إن المناسبات التي أشرنا إليها هي المناسبات العامة التي يتفق عليها الجميع وتوجد مناسبات أخرى تمارس من قبل مجاميع من أبناء المذهب ولا تمارس من قبل الآخرين ومنها:

ا ـ فرحة الزهرة: ويكون تاريخ هذه المناسبة يوم ٩ ربيع الأول على أساس ان فاطمة الزهراء (رض) فرحت عندما أصبح الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر ولاعتباره من أحفادها وسيأخذ بثأر من قتل ولدها، على أساس أن الإمام الحسن العسكري توفي يوم ٨ ربيع الأول وهي فرحت في اليوم التالي.

إن ما ورد آنفاً هو ما يتداول بين العلماء في حين أن الذي يتداول بين المواطنين، ان مناسبة (فرحة الزهرة) كانت في يوم مقتل سيدنا عمر بن الخطاب (رض) على يد أبو لؤلؤة، ومن هذا يظهر التأثير الفارسي على تشويه معتقدات هذا المذهب بحيث انهم استطاعوا التأثير على أفكار البسطاء الذين كانوا يرددون في هذه المناسبة أشعاراً من ضمنها:

هبت ريحك يا فيروز

خليت الخنجر مبزوز

فَرِحَت كل الشيعة

حتى الشايب والعجوز

ب ـ عيد النوروز: الذي يصادف (٢١ آذار) ويوافق اليوم الأول من السنة في التقويم الفارسي وأن الاحتفال بهذا اليوم يستند على قول الإمام الصادق (النوروز عيد نسيتموه وتذكره العجم)، ولذلك يستحب لديهم شرعاً الصيام وزيارة الإمام علي (رض) وبشكل خاص من قبل الشيعة الأكراد والأفيلية ومن لا يستطيع الذهاب إلى النجف أو كربلاء فيذهب إلى أي مرقد قريب.

المُقَلِد:

هو الشخص الذي يعتمد على رأي المرجع الذي يختاره ليكون مقلداً له ويطبّق كل ما تعلّق بالعبادة وفق ما يحدّده المرجع بـ (رسالته العملية) ويقوم بدفع الحقوق من زكاة وخمس إليه، ويلتزم بما يوجهه المرجع في أمور دينه ودنياه.

إن التقليد بالنسبة لأبناء المذهب مسألة ملزمة وواجبة لكل شيعي لأن الأحاديث والروايات المعتبرة لدى فقهاء وعامة الشيعة توجب رجوع العامي إلى الفقيه لكي يعلمه كيفية العبادة ويقوم بتزكية وتبرئة أمواله وبذلك يكون الإثم في تطبيق كل العقائد والعبادات في ذمة المرجع ويكون المقلد (بريء الذمة) على أساس أنه وضع أموره الدينية والدنيوية (قلادة في رقبة المرجع).

إن أساس قيام مذهب الأمامية الذي تعتنقه الغالبية العظمى من الشيعة في العراق قائم على اتباع المرجع الفقيه في إدارة دفة الأمور وتطبيق فتاواه وأوامره الشرعية وبدون ذلك ينتفي بالأساس كيان هذا المذهب، وهذا يعني أنه لابد لكل شيعي ان يكون له مرجع يقلده، فإذا لم يجد مرجع في العراق فإنه سوف يفتش عن مرجع من خارج العراق لأنه بدون ذلك يعتقد ان صلاته وصيامه وكل ما يتعلق بأمور الدين غير مقبول، فضلاً عما يحتاجه في أمور التعامل مع الناس.

لذلك، فإن الخطورة في الموضوع تكمن بما تخطط له إيران، حيث تروج حالياً لمرجعية (خامنئي) باعتباره (ولي أمر المسلمين في العالم) وأن المكلف بالتحرك لترويج هذه المرجعية داخل العراق أحد العناصر التي كانت مقيمة في العراق والموجود حالياً في إيران المدعو (كاظم الشيرازي الحائري) الذي هو أحد طلاب المقبور (محمد باقر الصدر)، وأن نجاح إيران في تحقيق أية خطوة بهذا الإتجاه، فإن ذلك يعني أن العراقي الذي يقلّد (كاظم الحائري أو خامنئي) سوف يرتبط بإيران وينفّذ أوامرها وتوجهاتها، وهذا ما يجب ان يلاحظ عند التعامل مع موضوع التقليد والحوزة العلمية.

الفصل الرابع

خطة العمل.. المرحلية والمستقبلية

الهدف من تطبيق الخطة

السعي لمتابعة الحوزة العلمية متابعة متوازنة تكفل السيطرة عليها في العراق من أجل وضعها بإطار خدمة الإسلام والمسلمين والوطن في الوقت نفسه، واستثمارها لصالح العراق وإضعاف صلتها بإيران وكل أعداء العراق الذين يحاولون استثمارها لتحقيق أهداف سياسية مضرة بالعراق تحت غطاء الدين، وإعطاء هذا الموضوع حجمه الحقيقي، والتعامل معه كموضوع أمني مهم وذلك باعتباره المفتاح الرئيسي للسيطرة على القضية (الطائفية) التي يراهن عليها الأعداء.

مفردات الخطة:

من أجل الوصول إلى الهدف من إعداد الخطة، فإن ذلك يتطلّب أن تكون ذات إتجاهين:

الأول: مرحلي (تكتيكي).

الثاني: طويل الأمد (استراتيجي).

وعند تطبيق الخطة يمكن التداخل بين المراحل وفق الظروف التي لها علاقة بتنفيذ الخطة، وتطبيق الخطوات المحددة لتكون وفق المرحلة (الاستراتيجية) كلما أصبح من الممكن تطبيقها بدون ان تؤدي إلى خسائر كبيرة.

إن مفردات الخطة يمكن تنفيذها وفق المحاور الآتية:

١ ــ جهة التنفيذ:

ا ــ تأليف لجنة مركزية سرية يرأسها قيادي عارف بهذا الأمر، تتولى مهمة تنفيذ مفردات هذه الخطة، وتحدد الصيغ والأساليب الكفيلة بذلك وفيها ممثلين عن مديرية الأمن العام، وجهاز المخابرات ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية ومكتب أمانة سر القطر، وتستعين بعدد من ذوي الخبرة والاختصاص في هذا المجال، من الذين لديهم

معرفة بطبيعة هذه الشريحة حسب الحاجة.

ب ـ تتفرّع عن اللجنة المذكورة آنفاً لجان تحدد عند تنفيذ الخطة، تعمل على تنفيذ قرارات وتوجهات اللجنة المركزية وكل حسب اختصاصه.

ج ـ لا يجوز لأية جهة أخرى التدخل بكل ما له علاقة بأمور الحوزة إلا بتوجيه من اللجنة منعاً للتقاطع وحفظاً لسرية العمل وتجنباً لأية مشاكل يمكن ان تستغل من قبل أعداء العراق.

٢ ـ الخطة المرحلية (التكتيكية):

أ ـ ضرورة إقامة علاقات خاصة غير منظورة مع جميع المراجع الدينية، والعمل على التأثير عليهم واحتوائهم، سواء بالصيغ المادية أو المعنوية على ان يكون هذا العمل بشكل سري جداً، بما يجعل المرجع الديني يشعر بالانتماء والامتنان للدولة من غير ان يعرف الآخرون بذلك لحساسية هذا الموضوع بالنسبة للمراجع الدينية كونهم يعتبرون معرفة غيرهم بذلك يمكن ان يستغل لاضعاف دورهم وسط الحوزة وأفضل صلة هو ان يكون من ينقل إلى المرجع والدولة الرأي من بين من يعتمده المرجع بقربه بعد ان توكل مهمة إعداده إلى جهة بعينها.

ب ـ تشخيص الخط الثاني من علماء الدين من غير المراجع الحاصلين على درجة الاجتهاد لإقامة علاقات وطيدة معهم ودعمهم مادياً ومعنوياً لضمان احتوائهم كونهم من المؤثرين على مواقف المراجع الدينية حالياً باعتبارهم وكلاء لهم أو من حاشيتهم فضلاً عن أنهم سيكونوا مستقبلاً ضمن الخط الأول من المراجع الدينية.

جـ ـ لما كان لابد للحوزة من مرجع أعلى فإننا نرى ان أفضل الموجودين حالياً هو (السيد حسين بحر العلوم)، لذا نوصي بدعمه ليكون المرجع الأول في الحوزة العلمية، واشعاره بفضل الدولة عليه، وما هو مطلوب منه لخدمة العراق، وأن ذلك سيضعف دور السيستاني ويحدد من وضعه لاستغلال غياب المرجع الأعلى في الوقت الحالي.

د ـ السماح لبعض المراجع من غير العراقيين بإدخال (١٠ ـ ١٥) طالب عربي

وأجنبي للدراسة في الحوزة العلمية بالنجف، واعتبار ذلك مكرمة لهم ومن صيغ دعم السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه للمسلمين الشيعة في تلك الأقطار، مما يعزّز منزلته حفظه الله بينهم، ويقدم صورة حقيقية عن رعاية قيادة العراق لطلبة العلم، فضلاً عن ان هذه الخطوة تساهم في إضعاف دور إيران لاستقطاب هؤلاء للدراسة في (حوزة قم) ويجري قبولهم عن طريق تقديم طلباتهم إلى السفارات العراقية في بلدانهم.

هـ ــ استثمار دعم المراجع وتطوير العلاقة معهم للتصدي إلى توجهات (محمد باقر الحكيم) ومحاولاته للتأثير على مجاميع من العناصر داخل العراق وكذلك التصدي لـــ (مرجعية خامنئي) وما يروجه (كاظم الحائري) ومحاولاته لكسب مقلدين له.

و ــ إعطاء دور معنوي ورعاية محددة للمرجع (محمد سعيد الحكيم) وهو من العائلة المذكورة من الموجودين في النجف، واستثمار ذلك لإضعاف دور (محمد باقر الحكيم).

ز ــ اتباع مختلف الأساليب السرية والهادئة التي تنفذ بشكل دقيق لإضعاف مرجعية (السيستاني) و(محمد إسحاق الفياض)، من أجل ضمان عدم توسيع تأثيرهم في وسط الحوزة مستقبلاً، والعمل بالإتجاه نفسه لعرقلة بروز ابن السيستاني المدعو (محمد رضا).

ح ــ ضرورة تعامل وزارة الأوقاف مع المراجع الدينية بشكل إيجابي ومحاولة دعوتهم أو من يمثلهم في المناسبات الدينية وبطريقة غير قسرية لضمان تفاعلهم مع هذه الدعوات كبداية لتطوير العلاقة معهم على ان تكون المناسبات المذكورة من التي تهتم بها الحوزة وعلى سبيل المثال (استشهاد الإمام علي «رض») وغيرها من المناسبات.

ط ــ المدارس الدينية:

أولاً: العمل على عدم إنفراد أحد المراجع بإدارة المدارس كما هو حال مدارس الحوزة تاريخياً لفرض عدم إعطاء فرصة لهذا المرجع أو ذاك لاستغلالها لتقوية مرجعيته.

ثانياً: السماح للعوائل الدينية باستلام المدارس التي تعود ملكيتها لأجدادهم لأنهم

يروجون منذ استلامها من قبل محمد محمد صادق الصدر بأنها قد اغتصبت منهم.

ثالثاً: توزيع عدد من المدارس الأخرى على العناصر المعروفة بمواقفها الوطنية والايجابية لإدارتها من قبلهم واعتبار ذلك تكريماً لهم.

رابعاً: إبقاء الإشراف على (مدرسة كلنتر) من قبل ولده (ضياء) الذي لديه تولية عليها لأن ملكيتها تعود لوالده وأن نظام الدراسة فيها ووضعها بشكل عام يعتبر من أفضل المدارس من حيث الإلتزام وانضباط الطلاب وعدم تدخلهم بأمور ليس لها علاقة بالدين وتطوير العلاقة مع المذكور من قبل مديرية الأمن العام التي لها علاقة جيدة معه كون والده قد أوصاه قبل وفاته بالاستمرار بهذه العلاقة.

خامساً: اختيار (٢ ــ ٣) من المدارس ليكون الإشراف عليها من قبل دائرة أوقاف النجف وتهيئتها بشكل متميّز لفرض استقطاب الطلاب كتجربة يمكن تطويرها في المستقبل فيما إذا حققت نتائج ايجابية.

سادساً: التنسيق مع المشرفين على هذه المدارس لتعيين متولين من العناصر الجيدة وإبعاد المسيئين منهم، وتعمل مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات على إقامة علاقات مع هؤلاء للاستفادة منهم في متابعة المدارس.

ي ــ الطلاب:

أولاً: تقوم مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات ومن خلال قاعدة المعلومات المتوفرة لديهما باتخاذ مختلف الإجراءات لإبعاد العناصر السيئة أو التي توجد ضدها مؤشرات سلبية من الدراسة في الحوزة.

ثانياً: العمل على كسب أكبر عدد ممكن من طلبة الحوزة من العراقيين والعرب والأجانب ورعايتهم مادياً ومعنوياً وايجاد (صلة ما) لهم بالجهات الأمنية بشكل سري مدروس للاطلاع من خلالهم على ما يجري داخل المدارس الدينية وبين المراجع من نشاطات وتوجهات، وإعداد المتفوقين منهم للارتفاع بهم مستقبلاً إلى مستوى الإجتهاد والتصدي للمرجعية.

ثالثاً: التحرك بشكل سريع على الطلبة من العسكريين السابقين أو من الحزبيين أو من العوائل البعثية وتكوين علاقة أمنية معهم وتوجيههم بما يخدم أهداف الخطة.

رابعاً: فتح فروع لكلية صدام لإعداد الأئمة والخطباء في محافظات البصرة، واسط، بابل لقبول الطلاب من المحافظات الجنوبية والفرات الأوسط فيها فضلاً عن قبول طلاب من المحافظات المذكورة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ورعايتهم رعاية خاصة في أثناء دراستهم وفق الخطة التي كانت جامعة صدام قد اعتمدتها في سنواتها الأولى وفسح المجال للمتميزين المخلصين منهم لإكمال دراستهم العليا ليكون لهم الدور المتميّز في وسط الحوزة مستقبلاً ويمكن توجيه كوادر الحزب في المحافظات المذكورة لتوجيه أبنائهم للدراسة فيها لضمان تخرج عناصر محسومة الولاء يمكن استثمارها مستقبلاً، وبهذا الصدد يمكن الاستفادة من تجربة محافظ ذي قار عام ١٩٩٣ عندما طلب قبول طلاب في الكليات المذكورة وقد تخرج حالياً ثمانية منهم ويمارسون دور إيجابي في الوقت الحاضر.

ك ــ الوكلاء والأئمة والخطباء:

أولاً: ضرورة التنسيق مع أكبر عدد من هؤلاء من قبل مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات.

ثانياً: فرز الخطباء والأئمة السيئين وإيجاد وسائل هادئة لإسقاطهم اجتماعياً لغرض إبعادهم بهذه الطريقة وليس الإبعاد قسراً أو بالقوة لكي لا يحصلوا على شعبية بين المواطنين على حساب الدولة.

ثالثاً: إتخاذ مختلف الإجراءات الأمنية لغرض توثيق سلبيات هؤلاء التي تتقاطع مع الشريعة الإسلامية واستخدام ذلك كسلاح بيد الأجهزة الأمنية لاستخدامه في الوقت المناسب.

رابعاً: دفع العناصر الجيدة منهم لغرض التعيين في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والتوصية برعايتهم لكي يكونوا حافزاً للآخرين ليحذوا حذوهم.

خامساً: استمرار متابعة خطباء الجمعة الموجودين حالياً وفق الخطة المرسومة والتي حققت نجاحاً ملموساً حيث انحسر عدد هؤلاء وتمّ إبعاد السيئين منهم واتّسمت الصلاة بالهدوء والانضباط وعدم ترويج الأمور الطائفية وبدأت تنحسر تدريجياً حيث ترك أغلب الخطباء في المحافظات أدائهم لصلاة الجمعة واستمروا بأداء صلاة الجماعة.

ل ــ المناهج والمطبوعات:

أولاً: تأليف لجنة فنية من علماء ترشحهم اللجنة الرئيسية لدراسة كتب المناهج التي تدرس في الحوزة ومعرفة المعلومات السلبية فيها.

ثانياً: في حالة قيام اللجنة بتشخيص فقرات واردة في الكتب ذات اتجاهات طائفية أو محدثات فارسية ليس لها علاقة بالدين تقوم اللجنة الفنية بوضع بدائل لهذه الفقرات المنحرفة ويجري تنفيذها عن طريق وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والعمل على عدم ترويجها بين الطلاب لأنها تسيء إلى الدين الإسلامي ومتابعة النتائج من قبل مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات.

ثالثاً: العمل بشكل هادئ من خلال الأمن والمخابرات لتكليف رجال دين لتأليف كتب جديدة بديلة عن الكتب الطائفية التي تدرس حالياً في الحوزة وترويجها بين طلاب الحوزة مع دعم الدولة لهذا المشروع.

رابعاً: استمرار لجان الرقابة ومفارز مديرية الأمن العام بمتابعة موضوع ترويج الكتب الطائفية وسحبها من الأسواق واتخاذ إجراءات بحق مروجيها.

خامساً: إعادة طبع الكتب التي تتحدث عن علاقة النسب والمصاهرة بين الصحابة وآل البيت (رض) وترويجها بشكل واسع ومن هذه الكتب (علي والخلفاء ــ تأليف الدكتور بشار عواد) و(حقائق عن علاقة آل البيت بالصحابة ــ تأليف الشيخ يونس السامرائي) والنسب والمصاهرة بين آل البيت والصحابة ــ تأليف علاء المدرس) وأي كتاب آخر بهذا الاتجاه.

م ــ الزيارات:

أولاً: قيام وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بتوجيه الخطباء وأئمة الجوامع والحسينيات من المعينين لديها بإفهام المواطنين ان مثل هذه الزيارات مستحبة وليست واجبة وبعضها من البدع الفارسية.

ثانياً: استمرار المنظمات الحزبية بدورها في تثقيف المواطنين واتخاذ الإجراءات للتقليل من هذه الزيارات وفق التعليمات المحددة لهذا الموضوع، وتمنع الزيارات المستحدثة خلال السنوات الأخيرة والتي لم تمارس سابقاً.

ثالثاً: اتخاذ الإجراءات بحق العناصر التي تحاول استغلال هذه الزيارات لأغراض

غير دينية.

رابعاً: منع الأشخاص الذين يقومون بتنظيم سفرات للزيارة على شكل قوافل من خلال تهيئة سيارات والاتصال بالمواطنين للسفر معهم لأداء الزيارة مقابل مبلغ مالي.

ن ــ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية:

أولاً: العمل على تطوير وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بما يكفل إمكانية توليها بعض المهمات المتعلقة بهذا الموضوع وفق الآتي:

(١) ــ توسيع اهتمامات الوزارة بحيث تكون في الشؤون الدينية أكثر منها في الأوقاف.

(٢) ــ العمل على تغيير نظرة الحوزة تجاه الأوقاف حيث انها بعيدة عنها مما يؤدي إلى عدم التفاعل معها.

(٣) ــ توسيع بعض هيكلية الوزارة وتعيين وكيلين لها، أحدهما يتم إختياره من أبناء المذهب الشيعي ضمن مواصفات وطنية تؤهله لهذا المنصب على ان يكون من العناصر القادرة على التأثير في هذا الوسط.

(٤) ــ ضرورة قيام وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بإصدار مطبوع أسبوعي أو شهري، وكذلك مجلة فصلية لنشر مواضيع دينية يكتبها علماء دين وأساتذة جامعات واستثمار هذه المطبوعات لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والرد على ما يروّجه الأعداء.

س ــ ان تنفيذ الواجبات في مثل هذا الوسط الذي يعتمد كثيراً على الأمور المالية، فإن مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات يحتاجان إلى مبالغ مالية مرصودة خصيصاً لأغراض التحرك في وسط الحوزة وأن ذلك يسهّل عملها في هذا المجال. ويخصّص إلى اللجنة المختصة.

٣ ــ الخطة المستقبلية (الاستراتيجية)

تعتبر هذه المرحلة امتداداً للمرحلة الأولى ومتداخلة معها وهي مرحلة تطوير للنتائج التي تتحقق من خلال تطبيق مفردات المرحلة الأولى ويكون العمل فيها وفق المحاور التالية:

أ ـــ قيام كل من مديرية الأمن العام وجهاز المخابرات بزرع أكبر عدد ممكن من طلبة العلم الدارسين في الحوزة ودعمهم مادياً ومعنوياً ليكونوا قوة مؤثرة في وسط الحوزة وللهيمنة عليها مستقبلاً لكي يتم تحويل مواقف الحوزة بالاتجاه الايجابي.

ب ـــ تهيئة الأئمة والخطباء من ابناء المذهب الجعفري وفق المنهج الإسلامي المعتدل الذي يخدم أهداف الدولة في توحيد المجتمع العراقي وتعيينهم في المساجد التابعة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والاستفادة في هذا المجال من الطلاب الذين سبق وأن تم قبولهم في كلية صدام لاعداد الأئمة والخطباء وكذلك في جامعة صدام للعلوم الإسلامية والذين تخرّجوا منها وتوجيههم لتصحيح الانحرافات العقائدية والمحدثات الفارسية الدخيلة على مبادىء الدين الإسلامي الحنيف.

ج ـــ خلال هذه المرحلة يتم ربط جميع المساجد بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية ولا يسمح لغير المرتبطين بها إقامة الصلاة في هذه المساجد على ان يشرف على ذلك أحد وكلاء الوزارة.

د ـــ في حالة نجاح تجربة المدارس التي تمّ الإشراف عليها من قبل دائرة الأوقاف يتم توسيع هذه التجربة للإشراف على مدارس أخرى بشكل تدريجي.

هـــ ـــ في ما يخص الكتب ذات التأثير الطائفي يمنع تداولها بشكل نهائي ويمنع تدريس مثل هذه الكتب في الحوزة ويجري إعداد كتب المناهج التي تدرس في الحوزة من قبل مختصين تشرف عليهم اللجنة المركزية الخاصة بشؤون الحوزة ودراسة موضوع منح الخريجين شهادات بعد كل مرحلة دراسية ومعادلتها لأغراض التعيين.

و ـــ تقوم وزارة الثقافة والإعلام بالآتي:

أولاً: التنسيق مع اللجنة المركزية المشرفة على الحوزة لإجراء لقاءات صحفية وإذاعية وتلفزيونية مع المراجع الدينية والمجتهدون في الظروف التي تستدعي ذلك.

ثانياً: تؤلف لجنة فرعية فنية من جهاز المخابرات ومديرية الأمن العام ووزارة الثقافة والإعلام ووزارة الأوقاف للرد على ما يروّجه الفرس في ما يخص الطائفية وتهيئة الكوادر المناسبة بذلك للرد إعلامياً.

ثالثاً: تقوم اللجنة المذكورة آنفاً بنشر مواضيع عن المدن الدينية ومراقد (أهل

البيت) للتعريف باهتمام السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه بهذه الأماكن.

رابعاً: إعداد وعرض ندوات تلفزيونية في المناسبات حول علاقة الصحابة بآل البيت والنسب والمصاهرة بينهم والرد على الروايات والقصص والأخبار الملفقة التي اختلقها الفرس لتشويه هذه العلاقة ويمكن استثمار الكتب الدراسية في مرحلتي المتوسطة والإعدادية لنشر مثل هذه المواضيع بالتنسيق مع وزارة التربية.

ز ـ تعمل وزارة الأوقاف على تطوير علاقتها مع (مرجع الحوزة) من أجل حسم موضوع الاختلاف في تحديد يوم عيد الفطر وبداية رمضان.

ح ـ تعميق وتوضيح أبعاد الحملة الإيمانية وإعطاء دور كبير لهذه الثورة العظيمة التي قادها السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه.

ط ـ في هذه المرحلة تزداد حاجة وزارة الأوقاف ومديرية الأمن العام وجهاز المخابرات إلى المبالغ لتوسيع عملها في مجال متابعة الحوزة والسيطرة عليها. وعليه نقترح تخصيص مبلغ إلى اللجنة المركزية لتغطي نفقات الأجهزة المعنية كافة.

ي ـ إذا ما تحقق كل ما تقدم فسوف نضمن خلق حوزة في النجف تكون غير قادرة على التآمر على العروبة والإسلام وتسقط تآمر الفرس والصهيونية والجهات المعادية. فضلاً عن تنقية المذهب من جميع المسائل التي أحدثها الفرس لكي يمارس المواطنون معتقداتهم الدينية وفق المنهج الصحيح، ومن خلال ذلك سوف تقلّ الزيارات وربما تصل إلى مرحلة تكون فيها الممارسة هذه بشكل طبيعي مثل زيارة مراقد الصحابة والأولياء في المدن الأخرى وكل ذلك سيؤدي بالمرحلة النهائية إلى تحقيق السيطرة على قيادة الحوزة وتوجيهها بما يخدم نهج حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث سيظهر ذلك من خلال ممارساتها وتدريسها وسلوك مراجعها وطلبتها، وهو بحد ذاته رد على توجهات الفرس لاستغلال الحوزة وتشويه الدين الإسلامي.» انتهى نص الوثيقة[١].

---

(١) انظر صور الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الوثيقة في الملاحق، ملحق رقم (٣٣). وانظر نصوص وصور ملاحق الدراسة في نفس الملحق.

تعليقات حول الوثيقة

أشرنا في ما مضى إلى أهمية زمن هذه الوثيقة ـ الدراسة ـ كسبب للوقوف على دلالاتها ومضامينها المرتبطة بموضوع هذا الكتاب، فسلطة صدام حسين الماضية بدأت صداماً قاسياً ومريراً مع الحالة الإسلامية في العراق كله، وكان رموزها على وعي أولي بصيرورة هذه الحالة بشكلها التنظيمي السياسي منذ وقت مبكر ـ أي منذ خمسينيات القرن الماضي ـ إلا أن قسوة الصدام الحادة جاءت بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فقد اختارت أن تواجه التيار الإسلامي «الشيعي»، بعد أن كان التيار الإسلامي «السني» آنذاك ضعيفاً بالنسبة للتيار الأول، ولاسيما بعد حل حركة الأخوان المسلمين.

وقد جاء استخدام هذه القوة بشكل مفرط، فأنتج عشرات الآلاف من حالات الإعدام، وامتلأت السجون بهم، وشاعت حمامات الدم والاعتقالات وسياسة التخويف والرعب بصورة خيالية.. والواضح أن العنف الحاد ليس بإمكانه أن ينهي ويقضي على تيار راسخ يتأثر بأجواء ثورية إسلامية هادرة في حينه، لاسيما بعد تصفية رمزه «المرجعي» الشهيد محمد باقر الصدر ودور «المرجعية الدينية» الأخرى إزاء هذا الحدث المهول، فنحن عندما نتحدث عن مراحل أو أساليب لتعاطي السلطة مع «المرجعية الشيعية»، لا يمكن في أية حال من الأحوال أن نفصل فصلاً تاماً بين مرحلة وأخرى، وأسلوب وآخر، على طول الفترة الزمنية لهذا التعامل، إلا أن لكل فترة زمنية ما يمايزها من أسلوب يشكّل ثقلاً مركزياً لا يلغي الأساليب الأخرى أو الخيارات الأخرى، التي تبقى ثانوية إلا أنها فاعلة وموجودة، لاسيما وأن طابع هذه السلطة على طول الخط بقي طابعاً دموياً، وقد أدخلت العراق كله في دوامة من الدم، سواء من خلال الحروب، أو داخلياً في مواجهة التيارات السياسية الأخرى.

وعليه، فإن مراحل وخيارات وأساليب السلطة في دورات الذبح أو الاختراق، أو

سياسة شق الصف الداخلي، أو الاغتيالات بقيت تقريباً تعمل جميعها على طول الخط، إلا أن حقبة زمنية يأخذ فيها خيار العنف الحاد ثقلاً مغايراً مركزياً، وحقبة أخرى يخف فيها هذا الخيار ـ ليس إلى حد التلاشي ـ ليبرز خيار الاغتيالات، فيما يبقى الاختراق أساساً تصاعدياً لكل الحقب الزمنية، ويأتي خيار شق صف الساحة ليشكّل في حقبة ما هو الخيار الأساسي، ذلك كله تبعاً لظروف السلطة السياسية الخارجية والأمنية الداخلية.. وعليه فإن أهمية هذه الدراسة جاءت في زمن تكون فيها السلطة قد مارست معظم الخيارات ودرست نتائجها، ولاحظت أن نجاحها في إدارة ما يسمى المؤسسة الدينية «الشيعية» في كل مرحلة يفرض عليها تحدياً معاكساً.. ويولد بالمقابل انفجارات شعبية خطيرة يعيدها دائماً إلى ثنائية القوة ـ الاختراق، بعد القضاء على هذه الانفجارات وهذا ما وضعها في مرحلة من المراحل المرهقة أمام الإرباك الواضح في إدارة «المرجعية الدينية الثورية» في ظل تجربة الشهيد محمد محمد صادق الصدر، وجعلها تفكر بعد أكثر من ثلاثين عاماً على وضع «خطط» جديدة مرحلية و«استراتيجية».. تغطي ليس «المرجعية» فقط.. وإنما كل الوجود «الشيعي»، مما يشير إلى هذا الارتباك بشكل واضح وواسع مع سعة ـ الوثيقة ـ الدراسة لتفريعات موضوعها الذي هو «الحوزة العلمية»، إذ جاءت الدراسة هذه المرة شمولية وراصدة لكل صغيرة وكبيرة في المناسبات والطقوس الشيعية، ودور «الحوزة والمرجعية» فيها..

تجربة الصدر الثاني ـ ضربة نفسية

من خلال ما تقدّم توضح ـ الدراسة ـ مدى الضربة القاصمة والموجعة، التي تلقاها نظام صدام حسين الدموي من الشهيد الخالد محمد محمد صادق الصدر وخياره التجريبي ـ إذا صح الأفتراض ـ في اعتماده «مرجعاً أعلى» على أساس مقولة «المرجع العربي»، إذ إن هذه التجربة قدمت نمطاً غير مسبوق في تاريخ «التشيع» العراقي خلال «دولته الأولى» المنهارة، فهي تجربة قوامها طرفان عقل السلطة وعقل

الصدر الثاني ــ كما أشرنا ــ ولا يحتاج الأمر إلى التعريف بطبيعة هذه السلطة، وإمكاناتها، والأدوات والإجراءات الاحتياطية، وما تعتبره ضمانات في إمكانية ضبط الطرف الآخر في الاتفاق، إذ من الناحية المنطقية والعقلية كان بإمكان السلطة أن تراهن على ضبط ــ الشهيد الصدر الثاني ــ فهي إذا كانت تملك كل شيء من «الضمانات» الطبيعية والافتراضية بما يسمح لها أن تروج له في بداية الأمر، وأن تعطيه مجال الحركة المرصودة، وحرية التحرك له كــ «منفذ» لما تصبو إليه، فهو ــ أي الشهيد الصدر الثاني ــ لم يكن يملك في بادىء الأمر شيء، لا بل يبدو الأمر أعقد من ذلك بكثير، حيث أن الظروف المحيطة به، والتحديات التي عليه أن يواجهها، والخصومات التي سيدخل بها، والموروث المستقر في وعي الشارع العراقي، وإيران «الشيعية» التي لها خياراتها في الساحة «الشيعية» العراقية من مراجع وأحزاب وحركات، والإمكانات المادية، التي هي بيد غيره من «المراجع»، وليس بيده، كلها أمور وظروف ستجعل منه يخوض تجربة ليس مع طرف يملك كل شيء وضمانات لا حصر لها في حسم الصراع لصالحه معه، الذي لا يملك أي شيء... وإنما سيضاف إلى مفارقة «اللاشيء» هذه تلك الظروف والتحديات، التي كلها لا تصب في صالحه أو أنها ــ أي تلك الظروف ــ لوحدها ستجعل منه يدخل رهاناً خاسراً من «الناحية العقلية والمنطقية»... وهكذا بدت معادلة الصدر الثاني «لا شيء» يملكه أمام سلطة بالمواصفات المعروفة زائداً ظروف ستفرض عليه تحديات قاسية، وأشياء قاسية.. فهو إذن كان بين مفارقة «الإفلاس» مع السلطة وبين مفارقة «قسوة المهمة» وعوائقها التي يصبو إليها، وسيكون بين قمعين، قمع السلطة، وقمع الظروف التي ذكرنا... كيف يدخل إنسان تجربة كهذه؟ وكيف يُنتظر أن يؤسس تياره وخطه؟ وكيف يتقن لعبة «التحييد» ــ تحييد السلطة ــ، الذي تحدثنا عنه بإيجاز في كتابنا مرجعية الميدان؟. وكم من اليقين والذكاء والصبر والإرادة والقوة تحتاج هذه المجازفة؟ كان على الصدر الثاني أن يعمل ليس على جبهتين فقط، في ظل هذه المعادلة، وإنما على جبهات، إن لم نقل عشرات الجبهات لكي يستطيع التأسيس، ولكي ــ في نهاية المطاف ــ يهزم السلطة، لا أن تهزمه في تجربة تنطوي على الكثير من الأبعاد الاستراتيجية، فهو هزم سلطة ترتكز على خبرة استثنائية سياسية ودبلوماسية عمرها أكثر من ثلاثة

عقود، وهزم «خيارها التجريبي» المرتكز على مقولة «المرجع العربي» فهو فعلاً أثار إشكالية «استهداف المرجع العربي» لكن ليس وفق ما تريده السلطة، وأوقع ضربة نفسية قاسية بها انعكست بعد حين من اغتياله وولديه من خلال كلام علي حسن المجيد، الذي عمّم كإجراءات تعامل مع تياره على اعضاء الحزب، والذي نشرناه في كتابنا «العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية»، وارتباك هذه الوثيقة ـ الدراسة ـ يُعبر بعمق عن الأزمة، التي أوقع بها الصدر الثاني نظام صدام، والارتباك المرير في إدارة الحالة «الشيعية» بعد استشهاده.. هذا الارتباك تعكسه الدراسة بواقعها الإجمالي. وتعكسه إشارة إلى خطه بشكل عام، وإشارة إلى تراثه وابنه السيد مقتدى، وكيفية سحب ما تبقى من إمكانات، أو صلاحيات في إدارة المدارس، التي كان يشرف عليها والده. نقول إن واحدة من أعمق الدلالات، التي تشي بها هذه الدراسة المخابراتية لسلطة صدام حسين ترتبط بالمنعطف الهائل، الذي أوجده الصدر الثاني في الحالة «الشيعية» العراقية ـ والهزيمة النفسية التي ألحقها بالسلطة، والإرهاق الأمني، الذي أوقعه فيها أيام حياته وبعد استشهاده. إذ بعد استشهاده وجد النظام نفسه امام:

أ ـ تحدي تصفية تياره عملياً عبر لغة الدم، التي خفف منها قبل تجربة الصدر الثاني على صعيد الشارع العراقي.

ب ـ تحدي تبرير هزيمته السياسية والدبلوماسية، وسقوط كل خزين تجاربه الداخلية والخارجية والسرية والعلنية أمام شخص ارتضى أن يخوض التجربة انطلاقاً من قسوتين، قسوة «اللاشيء» الذي يملكه أمام السلطة، وقسوة الجبهات، التي ستحاربه، وهي فعلاً حاربته.

جـ ـ تحدي تسويغ فشله نظرياً، وهذا كان أقسى عليه من تحدي تصفية تياره ميدانياً عبر لغة الدم ـ بحدود إزالة الخطر الداخلي ـ فهو ـ أي النظام ـ وقع في أطوار مضحكة من التسويغ لما حصل في حينه لإدارة فشله في هذه التجربة، بدءاً من إلقاء مسؤولية تصفيته على أطراف خارجية، وانتهاءً بوثيقة علي حسن المجيد.

د ـ تحدي ما بعد استشهاده الذي عكسته الدراسة في إدارة أزمته مرحلياً و«استراتيجياً».

الدراسة مقترح معتمد

إن واحداً من الأسباب الجوهرية، التي دفعتنا إلى أن نختار هذه الوثيقة ـ الدراسة ـ كنموذج لما آلت إليه أوضاع المرجعية و«الحوزة العلمية» و«الوجود الشيعي» من زاوية رؤية النظام وأزمته، هو أنها ـ أي الدراسة ـ يمكن القول عنها إنها تتجاوز كونها مقترحاً كباقي المقترحات لجهازه الأمني آنذاك في هذا الإطار، بل هي ترتفع إلى مستوى مقترح معتمد تحول إلى خطة عمل على الأرض كما تشير إلى ذلك الكثير من فقراتها والتي وجدت طريقها إلى التنفيذ والعمل بها في ما بعد من قبل السلطة الحاكمة. ولا نريد أن نقف هنا على الفقرات كلها، التي تدلّل على هذا المعنى. ونكتفي بثلاثة أمثلة للتدليل على كونها مقترح معتمد، أخذ طريقه إلى التنفيذ في تعاطي السلطة مع «الحوزة العلمية».

المثال الأول: يتمثل بالعلاقة المرحلية مع «المرجعية» بعد تصفية الشهيد الصدر الثاني، فقد نصحت الدراسة بتمتين العلاقة مع مرجعية محمد سعيد الحكيم وأفراد أُسرته لأسباب سياسية تتعلق بمواجهة محمد باقر الحكيم، الذي كان يُمثل الخيار الإيراني السياسي الأساسي في المعارضة الإسلامية في العراق.. وفعلاً أخذت هذه الرؤية النظرية واقعها العملي قبل سقوط نظام صدام حسين، حيث تُرجم ذلك بشكل صارخ أثناء جولة آية الله محمد سعيد الحكيم إلى سوريا قبل سقوط هذا النظام، من خلال اهتمام ملحوظ أبدته السفارة العراقية بزيارته إلى سوريا ومنها إلى لندن. وترجم هذا الاهتمام باستقباله رسمياً من قبل بعض أفراد طاقم السفارة لدى وصوله إلى دمشق، كما قامت السفارة بضيافته من خلال «غداء» أرسل إلى مكتبه، وقد أثار ذلك في حينه استياء بعض أطراف المعارضة الإسلامية، التي أصدرت بياناً يستنكر هذا العمل، ونشرناه في كتابنا «عراق بلا قيادة»، ولم يردع هذا البيان محمد سعيد الحكيم، الذي اجتمع مع المعارضة آنذاك في لندن «لينصحهم» بالعودة إلى العراق، مما أثار

حفيظة أحدهم وقام محتجاً ليخاطبه «نفهم من كلامك أنك مندوباً للنظام» وخرج هو مع آخرين من الاجتماع. وعاد بعدها الحكيم ــ محمد سعيد ــ إلى العراق. وكان المثير في الأمر، هو أن نظام صدام حسين لم يسمح حتى زواله بمثل هذه النشاطات لأي كان من «المراجع»، وهذا أحد الأسباب ــ ربما ــ التي كرّست الانطباع بأن الزيارة كانت بالأساس تقوم على إعطاء ضوء أخضر له بالقيام بهذه النشاطات.

المثال الثاني: وهو يرتبط بـــ «مرجعية» السيد حسين بحر العلوم، الذي رشحته الدراسة لأن يكون البديل المرحلي لموقع «المرجعية العليا»، بعد استشهاد محمد محمد صادق الصدر، فما حصل على الأرض بعد هذا الاستشهاد هو أن بحر العلوم، الذي كان كرفاقه الآخرين يقفون موقفاً سكونياً من صلاة الجمعة، التي أقامها الصدر الثاني.. تصدى هو إلى الدعوة إلى إقامة هذه الصلاة في أجواء غير صدامية،[1] إن لم نقل تصالحية مع النظام الحاكم آنذاك، مما يؤشر إلى أن تصديه لهذا الأمر لم يكن هو الآخر عفوياً أو انه يقع في سياق التنافس الطبيعي أو حتى السلبي، الذي يحكم في بعض الأحيان العلاقات «المرجعية ــ المرجعية.»

المثال الثالث: المثالان السابقان يشيران إلى مثال يأتي كتحصيل حاصل من خلالهما، ومن خلال بعض فقرات الدراسة الأخرى، التي لا تخوض في تفصيلات علاقاتها مع «المراجع» بصورة مسهبة، إلا أن اللافت فيها ومن خلال الحلول المرحلية والاستراتيجية، التي تتحدث عنها هو أن نصوصها تنم عن ثقة عالية بالقدرة الاختراقية لكل مكونات ما يسمى بالحوزة العلمية، «المرجع»، الخطيب، المنبري، المجتهد، المتولي، طالب الحوزة، ...الخ فهذه «الثقة العالية» التي تشي بها النصوص يمكن أن تأخذ طريقها إلى التصديق العملي النسبي، الذي كشفت عنه التجربة التاريخية لتعامل النظام مع «الحوزة العلمية» وتدعمها الكثير من الملفات المخابراتية السرية، التي كشفت بعد احتلال العراق، وثم أوضحت ــ هذه الملفات ــ الشخصية درجة

---

(١) انظر نص وصورة دعوة وجهها بحر العلوم في اطار الاستمرار بأداء صلاة الجمعة بعد استشهاد الصدر الثاني في الملاحق، ملحق رقم (٣٤).

اختراق النظام الكبير لـ «الحوزة». هذا الاختراق الذي أشار إليه الشهيد الصدر الثاني في أحد أحاديثه، التي نشرناها في كتابنا «مرجعية الميدان»،... كشف عن ذاته بشكل تقريري مكتوب لا تصمد معه بعض المبررات، التي سعت إلى التغطية عليه، أو التشكيك به من خلال القول، بأن نظام صدام حسين حاول أن يوجد ملفات ملفقة لأشخاص في الحوزة، حتى إذا ما سقط، فإن ذلك سيؤدي إلى إحداث فتن ومشاكل!! وقد ورد هذا القول من قبل البعض عندما كشفت تلك الملفات.

إن ــ الدراسة ــ تفترض بصورة غير مباشرة إمكانية الإحاطة بكل «الحوزة» وإدارتها، وهذا الإفتراض الضمني، الذي يأتي من السياق العام لها، وليس من خلال الخوض في تفصيلات هذه العلاقة بالتأكيد فيه شيء كبير من المبالغة، إلا أنه يرتكز إلى اختراق عميق علني وسري وبأشكال متعددة، سواء كان بالإكراه أو طواعيةً كمهنة ارتزاقية يندفع إليها بعضهم في ظل الأوضاع المالية اللامتوازنة، وبؤس حياة طلبة «الحوزة»، الذي تشير إليه الدراسة أيضاً.

إن هذه الأمثلة الثلاثة تجعل من هذه الدراسة ــ كما أشرنا ــ ليس مقترحاً كباقي المقترحات... إنما مقترح اعتمد فعلاً كخطة سارت السلطة في تطبيقها، وهذا هو أحد الأسباب الجوهرية، التي جعلتنا أن نأخذها نموذجاً في سياق الكتاب يقتضيه موضوعه في الإطار العام، والثقل المركزي فيه.

المسألة الأمنية .. والمسألة الفكرية

لعلّ من أشد أوجه الإرباك والأزمة، التي تتناولها الدراسة الآنفة حول «المرجعية الدينية» في العراق، وكيفية إدارتها تمثل بالتعاطي معها على أساس قومي، أي أن الدراسة أسهبت في التوصيفات والحلول عن أزمة خطيرة هي تصنيف التعامل مع تلك «المرجعيات» على أساس «المرجعية العربية»، و«المرجعية الفارسية والتركية والأفغانية والباكستانية». وهذه هي واحدة من أكثر الأزمات خطورة في الواقع «الشيعي» العراقي ــ كما أشرنا من قبل ــ وكانت مدفونة في جسد الدولة العراقية

الحديثة الأولى تبرز بين الحين والآخر في طور من الأطوار اللامنطوقة، وأنها كأزمة لذاتها طال الحديث بها من حيث خلفياتها التاريخية وإسقاطاتها على مسار الحدث «الشيعي» طوال أكثر من قرن، وإذا كنا في كتبنا السابقة قد عالجناها من خلال بعض الفقرات، لاسيما كتاب «عراق بلا قيادة»، إلا أننا حاولنا الوقوف عليها أيضاً في هذا الكتاب، وبأهم الملاحظات حول الدراسة المذكورة، وتعاطي نظام صدام حسين مع «الحوزة العلمية» و«المرجعية» الدينية، إذ يبدو ليس من الغريب جداً أن تتحدث الوثيقة عن المسألة «المرجعية» على أساس قومي، إلا أن السؤال هو هل نظام صدام فعلاً، الذي ترجم توجهه عبر علاقة تجسيدية لهذا المعنى مع الشهيد الصدر الثاني كان مؤمناً فعلاً بأن هذا التوجه يمثل الحل النهائي له بعد تجريبه الفاشل لخيار الإبادة، الذي لم يوصله إلى حلول في هذا الإطار؟

هذا هو السؤال الجوهري، والذي يحظى بالأهمية والأولوية هنا، النابعة أيضاً من كون الدراسة جاءت بعد تجربة مريرة بهذا الاتجاه، وهي تجربة الصدر الثاني، الذي تم الاتفاق معه مبدئياً على أساس مقولة «المرجعية العربية»، إذ كان لهذه التجربة ونهايتها أن توقفه عن المضي بنفس الاتجاه، إلا أن الدراسة، التي أخذت حيزها إلى التنفيذ العملي كانت تشدد على المضي بهذا الخيار وهذا الاتجاه، وتركّز على ضرورة تبني «المرجعية العربية» مقابل إضعاف «المرجعية» ذات الانتماء القومي الآخر.

إن الإجابة على هذا السؤال ترتبط بالمسألة الأمنية، والهاجس الأمني الداخلي والخارجي في بنية نظام صدام حسين، وهو في خضم المرحلة، التي كتبت فيها الدراسة، لم يعد له خيارات متاحة بعد أن جرّب الخيارات كلها، سوى المضي بهذا التوجه، أما في ما يرتبط بوضع الحلول للمسألة الفكرية بشكل عام وليس بشكل تكتيكي، كمسألة تحاول الدراسة أن تضعها حلاً مرحلياً و«استراتيجياً» وصولاً إلى «تعريب المرجعية»، فإن هذا الأمر لا يصمد إطلاقاً مع تجربة النظام الحاكم آنذاك الشمولية، التي تغطي تاريخ ممارساته وأدبياته كلها، فهو إذا كان يضع المنطلق الفكري ــ القومي كخيار أخير متاح أمامه، فإن هذا الخيار لم ينطلق في واقع الحال إلا من الهاجس الأمني لا غير، حتى وأن بدا الإرباك واضحاً في بعض نصوص

الدراسة، التي تغطي ضرورة تغيير مناهج التدريس الحوزوية، وإنتاج مناهج بديلة، وتقترح إعادة النظر في الفكر الإسلامي «الطائفي» المروّج، وضرورة إيجاد إنتاج فكري ـ إسلامي وحدوي في العراق. وحتى مع التركيز على إشاعة أدبيات إسلامية وحدوية متوفرة فعلاً كنتاج معرفي وحدوي مكتوب، وبما أن البنية الأمنية بقيت هي الركيزة، التي ينهض عليها النظام في السلوك والعمل، فلا يمكن النظر للمبدأ، ولتلك المقترحات التفصيلية في الدراسة إلا من زاوية أمنية، وذلك لأن النظام لم يكن في يوم ما بصدد حماية الفكر أو صيانته أو حرية إنتاجه، أو حتى احترام الفكر الذي يمثله، فهو قد وجّه ضربة قاصمة للفكر القومي قبل غيره، لا بل وعلى حدّ قول المفكر الشهيد محمد باقر الصدر إنه «لم يحترم حتى فكر حزب البعث العربي الإشتراكي» بغض النظر عن طبيعته، ومن هنا يبدو أن استدعاء المبنى الفكري في هذا السياق لا يأتي إلا باللحاظ الأمني، الذي أشرنا له، فهو قد دمّر الفكر القومي من خلال ممارساته قبل أن يواجه الفكر الإسلامي المغاير لتوجهاته الأمنية بكل تلويناته، وإذا كان مثال الشهيد المفكر العربي محمد باقر الصدر، وإعدامه في حقبة متقدمة من عمر النظام الحاكم آنذاك، والذي لا نريد أن نسهب فيه كمثال في سحق المسألة الفكرية ورموزها العروبية الإسلامية سحقاً مروعاً وقاسياً، فإن مثال الشهيد محمد محمد صادق الصدر يجسد المعنى بشكل أكثر وضوح، فالنظام يريد «مرجعاً عربياً» فعلاً، إلا أنه يريده نسخة من تصوراته لخدمة دوره الأمني، وحتى هذه الدراسة التي عمل بها النظام فإنها تسرح بـ «المستحيل الاستراتيجي» في محاولة للوصول إلى إنتاج «الحلم المستحيل» في نمط «المرجعية العربية» التي يبحث عنها، فإذا كانت القومية كفكر عندما تتعارض مع توجهاته الأمنية ـ السلطوية ـ الدكتاتورية يكون مصيرها الدمار، ومصير رموزها الموت المحتوم، وإذا كان الإسلام كفكر لكنه ثوري أو مستقل في توجهاته يكون مصيره القضاء المبرم عليه، ومصير رموزه العليا الإعدام الذي يعني إعدام الوطن كل الوطن، في بناه العقلية والمعرفية والفكرية، دون التوقف على الخسائر، ولا على المستقبل وتطوراته التي ستلد ما يعاكس أهدافه وفق منطق خلود المعرفة، الذي تحدثنا عنه في كتابنا «محمد باقر الصدر.. بين دكتاتوريتين».

إذن ليس الأساس في اعتماد «المرجعية» في عقل السلطة هو الفكر الوحدوي، بقدر ما هو الهاجس الأمني، ولعلّ فترة ما بعد الشهيد الصدر الثاني جسّدت هذا المعنى عندما تمّ التفاضل بين «المرجعيات» العربية، التي ينبغي دعمها والتعامل معها، كما أنه من الناحية الفكرية فإن النظام، الذي يقتل المراجع «العربية»، بإمكانه أن يسفر «المراجع الفارسية والتركية والأفغانية والباكستانية» إلى بلدانها، ويكتفي فقط بـ «المراجع العرب»، وسبق له أن سفر بعضهم دون الآخر، والأمر كله يرتبط مرة أخرى بالمسألة الأمنية، فـ «المراجع الفرس أو الأتراك أو الأفغان أو الباكستانيين» يحتاجهم النظام كأوراق في إدارته لـ «الحوزة العلمية»، لاسيما إذا ما شكّل التسفير هاجساً لدى بعضهم، وبالتالي، فإن وجودهم انطلاقاً من الخوف من التسفير سينعكس بلا أدنى ريب على موقفهم الثوري والميداني من أحداث العراق والعالم، وهذا ما يحتاجه النظام، وما حصل فعلاً عندما تعايش مع «مرجعية» الخوئي اللاثورية الفارسية ـ التركية، التي اعتمدها فيما هو أعدم «المرجعية العربية» المفكرة الممثلة بالشهيد محمد باقر الصدر، وما حصل أيضاً في إبقاء التعددية «المرجعية» اللاعربية، رغم خياره «المرجعي العروبي» الذي يريده، ولكن وفق مواصفاته ومقاساته، إذ متى ما لاحظ إخلالاً أمنياً في مسار هذا الخيار، فسح المجال لـ «مرجعيات» لا عروبية أن تتخندق ضده، وشجعها لأن تكون سكيناً في خاصرة «المرجع» العربي.

وخلاصة القول هنا أن نظام صدام حسين البائد كان يريد «مرجعية» دينية في خدمة الأمن، ويريد الفكر الوحدوي الإسلامي في خدمة المسألة الأمنية له. وحتى لو تحقق له «مرجعاً» عربياً طبقاً لمواصفاته الأمنية، فهذا يقع في الحيز المرحلي الذي لا يسوغ الاستغناء عن «المرجعيات» اللاعربية حتى يتحقق «حلم المستحيل» في «تعريب» «الحوزة» والوجود «الشيعي» برمته وفق مقاسه الأمني، وإلا فإن عراقية ـ وليس عروبة ـ «المرجع» هي واحدة من أهم المسائل، التي تشكل محوراً مطلوباً للمراجعة والدراسة على ضوء الإسلام نظرياً، وعلى ضوء محنة الشعب العراقي تاريخياً بعيداً عن دراسة مخابرات صدام تلك، وبعيداً عن الطريقة، التي تعاطى به نظام صدام حسين نفسه مع المسألة «المرجعية» انطلاقاً من المبنى الفكري ـ القومي المنسجم مع مصالحه الأمنية.

الثقافة الفارسية

إن أحد الأمور اللافتة في هذه الوثيقة ــ الدراسة ــ هو تركيزها على الثقافة الفارسية لدى «شيعة» العراق، وأدوات هذه الثقافة بدءاً بـ «المرجع الأعلى» ومروراً بـ «الفكر» وانتهاءً بالطقوس والشعارات والمناسبات، إذ نكاد أن نقول إن الدراسة تضع هذا المحور ركيزة متحركة من ركائزها، إلى حدٍ تبدو فيه أنها تتظاهر بـ «تنقية» المذهب «الشيعي» من «انحرافاته الفارسية»، وبلحاظ زمن كتابة هذه الدراسة يبدو الأمر مثيراً إلى حد ما، وذلك لأن التحدي الإيراني الأمني بالنسبة إلى النظام قد خف إلى حد كبير، ولأن مواقف إيران أيضاً من السجال «المرجعي» الذي كان سائداً إزاء «المرجعية» في العراق وتعاطي نظام صدام معها، قد تراجعت لـ «صالح» النظام، ونفوذ إيران داخل الحالة «الشيعية» آنذاك، كان إلى حدٍ ما مرتبكاً، إن لم نقل سلبياً وكلف إيران خسائر نفوذية لها داخل «شيعة» العــراق ــ في حينها ــ ولاسيما في موقفها من «مرجعية» محمد محمد صادق الصدر الذي تزامن مع سياسة إيرانية مرتبكة في ما يرتبط بملف العراقيين المقيمين في إيران، وهجرة الآلاف منهم بعد مطاردتهم بحجة أن إقامتهم غير قانونية الأمر الذي أدّى إلى موت الكثير منهم في البحار.

إن هذا التزامن بين فترة كتابة الدراسة، والموقف الإيراني المتقدم كان المفروض أن يقلل من قلق النفوذ الإيراني الأمني لدى نظام صدام داخل «شيعة» العراق.. بعكس ما جاءت به الدراسة المعتمدة بمقترحات لمواجهة الهاجس الإيراني، ولا شك أن ملف العلاقة بين «شيعة» العراق و«شيعة» إيران موضوع ضخم وهائل، كما أن الفكر «الشيعي» بحد ذاته هو محل إشكال تاريخي يرجع إلى مئات السنين بمعزل عن رؤية دراسة نظام صدام المخابراتية له، إلا أن التزامن، الذي أشرنا إليه ما بين الدراسة، ومواقف إيران يقود إلى مفارقة واضحة لا تنسجم مع هذا الثقل التركيزي في الدراسة على الثقافة الفارسية، في حين أنها ــ أي الدراسة ــ تتجاهل المؤثرات الأخرى في

ملف «المرجعية» من جهات إقليمية ودولية، كان النظام البائد على علم بها، فهو لا يشير إلى هذه المؤثرات إلا بشكل عابر جداً، ومن خلال إشارات ضعيفة عامة، وفقط في ما بين السطور يمكن للمحلل أن يرجح أسباب ذلك من خلال تقييم نفوذ «المرجعيات» والموقف منها داخل وخارج العراق، فـ «المرجعيات» التي لها نفوذ في الخارج ــ كما تفترض الدراسة ــ كان النظام يحاول «تهميشها» دون أن يقطع العلاقة معها ويستفيد من دورها اللاثوري في مواجهة الثوريين لاسيما العروبيين والعراقيين من «المراجع»، وربما أن هذه المفارقة بقدر ما تندرج ضمن الإرباك العام، الذي تشي به الدراسة، إلا أنها ربما تنطلق من ضخامة التحديات الخارجية، التي كانت تواجهه حينها و«اطمئنانه» إلى أن نفوذ هذه «المرجعيات» اللاعربية ــ كما تصف الدراسة نفوذ «مرجعية» السيستاني والباكستاني والأفغاني مثلاً ــ إن هذا النفوذ وما يمليه من علاقات دولية لها ــ «المرجعيات» اللاعربية ــ يقع تحت المجال المسيطر عليه، ومعالجته بالقوة متى ما أراد النظام ذلك في خضم تحديات هائلة وكبرى كانت تواجهه. هذا بالإضافة إلى أن الذي يكرّس من اطمئنانه هو اتجاه هذه «المرجعيات» التقليدي البعيد عن السياسة في حينه، وعن الشأن الاجتماعي، وعن المنحى الثوري، وبالإضافة أيضاً إلى القنوات ذات العلاقة بهذه المرجعيات، التي تغذيه هي الأخرى بهذا الاطمئنان سواء بتوجيه مباشر منها أو غير مباشر. أو أن الأمر يحتمل عدم قدرة نظام صدام حسين على تصفية هذه «المرجعيات» لاسيما زعيمها السيستاني في حينه، لأن هذه التصفية كانت خطاً أحمر أمامه من قبل من رشحوه لــ «المرجعية» في سياق الصراع «الأميركي ــ الإيراني». فالمعادلة كانت صعبة آنذاك، لاسيما وأنها وصلت إلى حد تصفية بعض «المراجع» اللاعربية مثل الغروي والبروجردي، وهذا ما كان يُعد محفزا للاميركان على وضع السيستاني كخط أحمر أمام صدام حسين في ما لو فكر بتصفيته.

لكن وبمجرد أن بدت بوادر سقوط النظام على السطح بدأت وتيرة أخرى لنفوذ هذه «المرجعيات» الخارجي واتجاهات علاقاتها، الأمر الذي يوضح أن هذه الوتيرة الجديدة كانت لها أسبابها وخلفياتها العديدة، سواء تمثلت بردة فعل حادة منها إزاء نظام

أوغل في سحق إرادتها، ام لا، إن تفاهماً مسبقاً كان قائماً بالفعل بين هذه «المرجعيات» وجهات خارجية، أو بسبب الوعي «الطائفي» الذي ساهم النظام والخارج في خلق مناخه منذ العام ١٩٩٠م، حتى العام ٢٠٠٣م وهو وعي يرتكز إلى بنى تاريخية ـ فقهية ومعاناة ميدانية، ومقولات انتهاز الفرصة و«عدم تكرار ما حصل في ثورة العشرين» في مواقف الملف «المرجعي»، وقد وقفنا سابقا على هذه الأسباب وغيرها، وتفاوت درجاتها بما يفسر وتيرة الانتقال الحاد في موقف «المرجعيات» وأداءاتها قبل وبعد سقوط النظام، وأثار ذلك الوخيمة على ما حصل لكل العراق من جرّاء هذه المواقف بعد دراسة أسبابها، لاسيما وأن الرباعي «المرجعي» المتمثل بـ «السيستاني والأفغاني والباكستاني والحكيم» الذي هيمن على «الحوزة العلمية» والذي أخذ الحيز الأساسي في وسائل الإعلام هو رباعي برأس ايراني و«مرجعين» غير عربيين باستثناء محمد سعيد الحكيم الـ «نصف عربي»، وتلك مفارقة غريبة لا تنسجم مع الدين ولا مع المنطق، ولا مع العلم، كما مر معنا.

اميركا ـ صدام
ملابسات اغتيال الصدر الثاني

ومهما يكن من أمر.. فإن إشارة الدراسة بشكل عابر إلى الصهيونية، دون أن تشير إلى أميركا.. كما أن إشاراتها إلى نفوذ «المرجعيات الدينية» في الخارج.. دون أن تدرس «احتمالات» الارتباط «السياسي» لها مع الدوائر الخارجية، إما أنها تعبّر عن «غفلة» أو «تغافل» عن هذا البُعد وانعكاساته في جدل الصراع.. والدور الأميركي في هذا الجدل ـ جدل الظاهرة الصدرية الثانية ـ فهو قد عُولج في حينه بعدما بات الملف العراقي ممسوكاً بقوة باليد الأميركية.. وقد أوجزنا في حينه في كتابنا

«محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان.، ووقائع الاغتيال» الدور الأميركي على الشكل التالي: «إن قرار اغتيال الصدر الثاني، بعد أن شكّل ظاهرة ملفتة للنظر وملابسات هذا الاغتيال، وتوصيف المواقف الخارجية، ولاسيما الأميركية إزاءه، لابد أن يقود إلى فهم هذه الظاهرة من خلال المواجهة الأميركية ـــ الإسلامية الكلية، إذ إن فهم الموقف الأميركي السلبي من اغتيال آية الله محمد محمد صادق الصدر يتطلّب تحليلاً على مستويين، المستوى العراقي البحت المحدود بدائرة العراق في الاهتمام الأميركي، ومسار الدور الأميركي المتصاعد في ملفه، ومستوى المواجهة الأميركية ـــ الغربية ـــ الأوروبية مع (الإسلام السياسي) الصاعد منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحتى اليوم، وفي المستوى الأول، ربما شكّل اغتيال الصدر الثاني، هدفاً مشتركاً أميركياً ـــ صدامياً.

فواشنطن التي (تبحث) عن بديل لصدام حسين على مدى ما يقارب التسع سنوات، كانت ترصد نمو الظاهرة الإسلامية في العراق، التي قادها وأسّسها بعد الصدر الأول الشهيد محمد محمد صادق الصدر، وانطلاقاً من سلبيتها إزاء الإسلاميين والمعارضة العراقية الإسلامية، التي تجلّت في محطات مهمة من تاريخ الأزمة العراقية الراهنة كانتفاضة شعبان / آذار / ١٩٩١م، وحصار السلطة للإسلاميين في الأهوار، والتفرّج على إبادتهم، وخلق (معارضات) عراقية تعرقل عمل المعارضة الإسلامية وتخفّف من لونها، ومحاولة اختراق المعارضة الإسلامية العراقية.. انطلاقاً من ذلك كله، فإن شعورها إزاء ظاهرة الصدر الثاني الإسلامية ومشروعه التغييري سيكون شعوراً متّسماً بالخوف على مصالحها، من تطوّر هذه الظاهرة ونجاحها، وقد تجسّد هذا الخوف الأميركي السلبي من خلال مواقفها من عملية اغتيال الصدر الثاني، فهي مواقف جسّدت سلبية عميقة لمن يحاول أن يصل إلى حقيقة (الضوضاء) الأميركي الذي سبق اغتيال الصدر الثاني بأربعة أو خمسة أشهر تقريباً، أي قبل وبعد ما سمي بقانون (تحرير) العراق الذي اتخذه الكونغرس الأميركي والـــ (٩٧) مليون دولار، التي رصدها كمساعدات للمعارضة العراقية فلقد ملأت الدعاية الأميركية العالم ضجيجاً حول (جديتها) في التغيير هذه المرة، عبر كل السيناريوهات بما فيها سيناريو

تفجير انتفاضة جديدة ضد النظام الحاكم في العراق، إلا أن درجة وسياق التوتر، الذي خيّم على الشارع العراقي، وانفجاره على شكل صدامات واحتجاجات محدودة مع قوات أمن السلطة في العراق، كان يشكّل احتمالاً شبه أكيد لانفجار كلّي في الشارع العراقي لو أن واشنطن تدخلت بشكل من الأشكال، إلا أنها ــ أي واشنطن ــ بقيت متفرّجة على الاغتيال وما بعده من ردود فعل، من وحي الإحساس والشعور المشترك مع صدام حسين برغبة التخلّص من هذه الظاهرة الصدرية الثانية، ومن هنا فإن الاغتيال تحوّل إلى هدف مشترك للاثنين، الولايات المتحدة وصدام حسين»[1].

«وربما ذهب بعض المحللين الذين ناقشتهم بهذا الموضوع إلى حد اتهام أميركا بتنفيذ هذا الاغتيال سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء بإعطاء صدام حسين أوامر تنفيذ هذه المهمة، أو أنها نفذتها عبر أساليبها الخاصة، ولـ (حسن حظ) واشنطن أنها على عداء مع صدام، وأن هذا الأخير (اتهمها) بأنها تقف وراء محاولة الاغتيال وأنه ــ أي صدام ــ له باع طويل في جرائم الاغتيال، التي طالت (المراجع ورجال الفكر الإسلامي والعلماء)، والتي كان آخرها اغتيال آية الله البروجردي وآية الله الغروي، ومحاولات (مفتعلة) لاغتيال آية الله السيستاني ــ لأن تصفية السيستاني كان خطأً أميركياً أحمر على صدام حسين ــ راح ضحيتها بعض مرافقيه، كل هذا الواقع الدموي لصدام حسين، وإرثه السلبي في المواجهة مع المؤسسة الدينية (الشيعية) والحركة الإسلامية في العراق خلط الأوراق بما يخدم الأميركان (وغطّى) على ما يعتقده البعض دوراً أميركياً في اغتيال الشهيد محمد محمد صادق الصدر، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ولا شك أن خلفية الدور الأميركي إزاء (الإسلام السياسي) في العراق يجعل من عملية اغتيال الصدر الثاني هدفاً أميركياً ــ صدامياً مشتركاً. إلا أن الباحث لا يستطيع أن يحسم ويحدد حسماً وتحديداً نهائياً في مسؤولية واشنطن المباشرة عن هذا الاغتيال، فيما أنه يستطيع أن يرتّب معطيات (حاسمة) من خلال مقدمات كبيرة أقدم عليها نظام صدام حسين، بأن هذا الأخير هو الذي نفّذ الاغتيال، وبين هذا

---

(١) راجع كتاب (مرجعية الميدان)، الخاتمة، مصدر سابق.

اللاحسم والحسم يبقى هناك هامش من الاجتهاد حول تنسيق أميركا وصدام بشكل ضمني أو غير ضمني حول تنفيذ هذا الاغتيال، الذي نفت واشنطن مسؤوليتها عنه. وفي المستوى الثاني من رؤية الدور الأميركي لاغتيال الصدر الثاني أو الموقف الأميركي، من هذا الاغتيال، فإن واشنطن، التي عاشت ولا زالت تعيش عقدة إيران الإسلامية الثورية الخمينية، راحت تفكّر بمنهج ترابطي لمشابهات هذه العقدة أو ما يندرج في سياق نتائجها الإسلامية الثورية في العالم الإسلامي من تجارب وأحزاب وحركات وحالات وانفجارات تأثرت بالوعي الثوري ــ الإسلامي لتجربة الإمام الخميني (رض)، وهي كانت ولا زالت تخوض فصولاً من المواجهة العلنية والسرية معها وتخبّىء فصولاً أخرى لاحقة لهذه المواجهة، كما تعكس سلوكياتها السياسية اليومية، التي تتخذ طابعاً عدائياً استنفارياً حساساً إزاء (الإسلام السياسي) في العالمين العربي والإسلامي وفي نقاط عالمية أخرى»[1].

وما يمكن أن نقول هنا بعدما ناقشنا «الأصل القومي للمرجعية الدينية» وإشكاليتها التاريخية، والطريقة التي عمل بها صدام حسين إزاءها.. ودور أميركا في السياق الكلي لمواجهتها للصحوة الإسلامية في العالم. وفي العراق.. ما يمكن قوله هنا.. هو ان «أميركا» كما كانت بريطانيا فضلت التعامل مع جدل العراق الداخلي في البعد الديني الإسلامي مع «المرجعيات» اللاعربية.. ففي عصر الاحتلال الأميركي للعراق برز نجم «الرباعي المرجعي اللاعربي السيستاني والأفغاني والباكستاني» ومحمد سعيد الحكيم «النصف عربي». ممثلاً لــ «شيعة» العراق، وكان هذا البروز مصحوباً بالبعد «الطائفي» ودور أميركا فيه ــ كما بدا ذلك واضحاً من خلال فقرة «أميركا الشيعية... وبريطانيا السنية» ــ فقرة خارج حيز هذا الكتاب ــ وقد نحيت مرةً أخرى «المرجعية العربية» في بلد ذو «أغلبية عربية» حسب التوصيف الأميركي.. فأصيبت «المرجعية» كرمز للإسلاميين بضربة قاسية.. وأصيبت «العروبة» كعنوان للقوميين بضربة قاسية أيضاً. وبمعنى آخر، ضربت «المرجعية الدينية» الثورية الوطنية،

---

(١) المصدر نفسه.

والعروبية الثورية الوطنية في آنٍ معاً.. وعاد العراق من جديد كما أُسس في دولته الأولى بين «مرجعية مستوردة»، وقومية «تعصبية» إلا أنها هذه المرة ليست قومية «عربية». وربما في الطريق إلى قيادة سياسية مستوردة أيضاً.

إنها دورة قاسية من الحياة السياسية العراقية يختلط فيها «الطائفي» والقومي والإسلامي، في تحالفات سرية وصدامات علنية استمرت أكثر من ثمانين عاماً.. ودورة أخرى مع محاولة تأسيس الدولة من جديد بذات الأدوات، لكن هذه المرة بشكل فاقع في استخدام هذه الأدوات، مع إجراءات إقصاء قاسي للإسلام الحقيقي، والعروبة الحقيقية وبالتالي اقصاء ارادة العراقيين في تأسيس دولتهم، كحصيلة لاحتلال بريطاني في العشرينيات واحتلال أميركي في العام ٢٠٠٣م.

نقول اذا كان الدور الأميركي إزاء اغتيال الشهيد الصدر الثاني مثيراً، فان الدور الايراني كان أكثر إثارةً منه، ولقد قلنا من قبل ان دور إيران قبل ذلك إزاء «المرجعية» في العراق اخذ عهدين منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وهما عهد الإمام الخميني وما رتبه من أخطاء إستراتيجية في هذا الإطار، إلا أنها أخطاء غير قصديه ومفهومة الأسباب ــ كما مررنا عليها ــ وعهد ما بعد الإمام الخميني الذي لا ترتكز سياساته إزاء العراق إلى أي تبرير، واتسم بجوانب سلبية خطيرة مررنا عليها، إلا انه فيما يرتبط بظاهرة الشهيد محمد محمد صادق الصدر يمكن إيجاز الدور الايراني عبر ما يلي:

اولاً: إن سياسة إيران الثورة كانت اقرب إلى السلبية من تجربة الصدر الثاني منها إلى الايجابية على الرغم من ان الصدر الثاني حاول طمأنتها، وأرسل ممثلاً له الى إيران.

ثانياً: وتكرست هذه السلبية بشكل اكبر في تعاطي ايران مع ممثل الصدر الثاني جعفر محمد باقر الصدر، الذي لم يعط فرصة العمل المطلوبة، وتعرض إلى إيذاء، الأمر الذي اضطره أن يجلس في بيته.

ثالثاً: كما ان «الاطلاعات» الإيرانية لم تكن بعيدة عن محاربة ظاهرة الشهيد محمد الصدر الثاني في حياته من خلال دفع «أولاد الحكيم» إلى العمل السري ضده

داخل العراق.

رابعاً: كما ان موقفها من اغتيال الصدر الثاني توج هذه السلبية، وذلك عندما جاء بيان الخامنائي «مطالباً» نظام صدام حسين في حينه «الكشف عن الجهة التي اغتالت محمد الصدر»، في حين ان بيانات الخامنائي إزاء اغتيال البروجردي والغروي أدانت هذهِ الاغتيالات وحملت النظام المسؤولية المباشرة إزاءها.

خامساً: كما أن إيران مارست قسوة بالغه إزاء العراقيين المقيمين فيها من المناصرين للشهيد محمد محمد صادق الصدر الذين تظاهروا أثناء استشهاده غاضبين، وحصلت على أيديهم احداث مسجد أعظم ضد محمد باقر الحكيم. ولقد عالجنا تفصيلات ذلك في كتاب آخر.

سابعاً: كما انها لعبت دوراً مزدوجاً إزاء ظاهرة الصدر الثاني بعد احتلال أميركا للعراق، ومهما يكن من أمر، فان الصدر الثاني كظاهرة «مرجعية» تحولت هي الأخرى إلى «ضحية» لـ «الحوزتين» العراقية والإيرانية، وعاش محمد الصدر أيام «انتفاضته» محاصراً بين السلطة و«الحوزة»، وبين ضغط هذه السلطة، وضغط «إيران الثورية»، وبين استهداف هذه الاخيرة، واستهداف أميركا.

الفصل الثامن

"المرجعية الدينية" في العراق
الفراغ الفكري العالمي..
وجـــدل الفكر الديني

أزمة الأولويات في المنهج

لعل ما شهده العراق بعد أكثر من سنة ونصف في ظل الاحتلال الأميركي، البريطاني من أحداث وتطورات وكوارث وصدمات يقع فوق إمكانية التدوين التاريخي في العناوين الكبرى فضلاً عن التفاصيل، فلا أحد بإمكانه أن يدعي أنه قادر على هذا التدوين الكلي حتى بعد مرور سنوات طويلة، فضلاً عن أن التدوين التفصيلي الكامل يُعد أمراً مستحيلاً، مستحيلاً في الميدان العراقي بحدوده الجغرافية، فكيف الحال في كون العراق في هذه الحقبة الزمنية اندمج ملفه الخاص بملف المنطقة والعالم بشكل استثنائي صارخ، لا يحدث إلا في حروب عالمية، استثنائية أو منعطفات دولية مصيرية كبيرة ترتبط بدولةٍ ما أو نقطة جغرافية معينة من نقاط العالم، في مثل هذه الحالة تطغى كتابة المقال على المؤلف أو الكتاب، والمقال متحرك يرتبط بطبيعته بحدث تفصيلي، وغالباً ما يكون موجه بمضمونه التحليلي أو التعليقي بأهداف سياسية لكاتب المقال ومن يمثل من اتجاهات حزبية وحركية أو سلطوية أو اتجاهات أخرى ــ وهذا الكلام لا يهدف إلى التهوين من أهمية المقال أو الدراسة المحدودة الآنية لقضية أو حدث ما ــ بقدر ما يقودنا إلى القول بأنه لا يفضي إلى وعيٍ تأسيسي مستوفي حول مسألة ما، إنه يراكم أرقاماً ومعلومات وقناعات موجهة وغير موجهة تتحول مع مرور الزمن وبالتراكمية إلى مادة مطلوبة في بعدها الايجابي للمؤلف والكتاب الذي يعالج هذه المسألة.

هذه المقدمة الموجزة قد يرى فيها بعضهم أنها غير ضرورية، إلا أن ضرورتها

تبرز بإلحاح أمام المثقف والكاتب والمفكر، الذي يريد أن يخوض في عملية التأليف أو الكتابة التأسيسية حول أزمة مثل أزمة العراق، التي وصفناها بإيجاز في فنائها الشاسع في العناوين الكبرى، فضلاً عن التفصيلات، إذ على مستوى العناوين الكبرى فهو أمام كم ضخم منها يفرض عليه أن يضع لها جرداً أولياً شاملاً هذا أولا.. وثانياً سيقوده ذلك حتماً إلى التفكير في الأوليات، التي ينبغي أن يكتب عنها ـــ وكل باحث يختلف عن الآخر في تشخيص هذه الأولويات ـــ على أقل تقدير في محور أساسي منهجي، وهو محور الجبهة الداخلية أو الجبهة الخارجية، فهذا المحور مفصلي في وعي الكثير من الباحثين وحكم التاريخ ودور الأمة فيه، وأنا من الباحثين، الذين يعتقدون بأن ضعف أو قوة الجبهة الداخلية هي المرتكز الأساسي، الذي يحظى بالأولوية والذي يتحكم أكثر من غيره في مصير أي بلد، لأن الخارج المحتل أو المؤثر أو صاحب النفوذ يتحدد فعله ودوره ونجاحه وفشله على هشاشة أو عدم هشاشة الجبهة الداخلية أو البلد ـــ محور الأزمة ـــ والخارج كمكون في الفعل والقرار يستمد ذاته من فهم هذا البلد وتاريخه والإمساك بأدواته والإحاطة بمكوناته، وثم إدارتها.. وذلك كله يدعونا إلى رصد الداخل ـــ العراق ـــ بمكوناته السياسية واتجاهاته الحركية وأصحاب القرار فيه، ودور ما يسمى بالنخب الفكرية والثقافية والسلطات السياسية والدينية، وأداءتها جميعاً باعتبارها مؤثرة في فعل الأمة ودورها في الأزمة لكي نصل في نهاية المطاف إلى جذور هذه الأزمة انطلاقاً من الواقع، أو مسار هذا الواقع ونتائجه خلال فترة زمنية تسمح بالبحث في مسألة أساسية ما تعين الباحث إلى حدٍ كبير في أوقات لاحقة أن يضع يده أو أن يعالج المباني الأساسية النظرية للأزمة في هذه المسألة من خلال المنهج الذي يعتمده، إذ كثيراً ما يقال إن المرحلة أو التحدي لا يسمحان بالخوض رأساً في هذه المباني النظرية ـــ وهو كلام فيه نقاش وجدل كبيران ليس هنا مجال معالجتهما ـــ لكن وتماشياً مع الواقع واندفاعات هذا الواقع وتطوراته وإفرازات وحصيلة الإدراك يجد الباحث نفسه أمام واجب إرساء لبنة معرفية بأتجاه الخوض في المباني النظرية، التي تدخل في حيز الممنوع الآن في موضوعنا هذا، ولا أخفي على القارىء أن الكثير من المباني في موضوع الكتاب هذا منجز كتابياً لدي منذ زمن، إلا

أن عدم نشرها يعود إلى «سيف» هذا الواقع المسلط عليه من الأصدقاء والخصوم كل من منطلقاته، وقد اعترفت في كتبي السابقة بتسليمي لنظام الجرعات التأسيسية انطلاقاً من تعقيدات الموروث لدى شرائح واسعة من الناس، هذا الموروث «المنظم» والراسخ في وعي الناس منذ ما يقارب الألف عام وليس الموروث وحده هو العائق من «فلسفة الصدمة» التي ينادي بها بعضهم ولم يعمل بها.. بل إن عشرات التحديات المعرفية وغير المعرفية الأخرى تصطف مع هذا الموروث لتجبر الباحث على نظام الجرعات المعرفية التأسيسية، هذا فضلاً عن المعاناة الذاتية للباحث الذي يخوض في أنظمة «معرفية» ملغزة، ليفك بعناء شديد رموزها «المحكمة»، فهذه مهمة معقدة على الباحث ذاته، الذي يحترق مع نتائجها في كل لحظة من لحظات حياته أثناء التنقيب والبحث وبعد إنجازه لهذا البحث، فكيف الحال بالقارىء العادي، الذي سيصطدم بها. وقد عانى من هذه المرارة وهذا الهم والاحتراق الذاتي كل الباحثين والمفكرين الأحرار، ومنهم من اتخذت حياته أطواراً من الانفجارات في مساره المعرفي، ومنهم من مات بحسرة ما يخبئه قسراً من معارف وحقائق، ومنهم من راهن على جدلية الوعي، وهي ذاتها نظام الجرعات الكفيلة في نهاية المطاف بتصاعد المعرفة الحقيقية عقب تعاقب الأجيال، وتعاقب الباحثين والمفكرين، الذين سيحملون الأمانة في كل عصر، إذ لا يخلو عصر من صوت معرفي في حالتي المد والجزر لهذا الصوت، وهذا الصوت قد يكون رمزاً أو فريقاً أو ظاهرة أو تيار.

على أية حال، نعود إلى الأولويات في ظل صخب العراق المدمر أثناء وبعد الاحتلال الأميركي له، فإذا ما أشرنا إلى أن الجبهة الداخلية تبقى هي الأساس في المنهج والرؤية في الاهتمام الكتابي ـــ ولا يفهم الأمر خطأً على أن إعطاء الأولوية لهذه الجبهة سيكون على حساب مواجهة التحديات الخارجية ـــ فإن أولويات الجبهة الداخلية قادتنا من خلال هذه القاعدة، ومن خلال مسار الأحداث في هذه الحقبة إلى ملف «المرجعية الدينية» كمحور له الأولوية في إطار «العراق وأميركا»، ورغم أننا كتبنا عن هذا المحور الكثير، وسبب الكثرة الكتابية فيه ناجم من وعي مبكر بخطورته المستقبلية، وهذا ما يبرّر بالضبط كثرة إضافية، لا لتعزيز الكثرة الكتابية الأولى، أو

تؤكد صحة خطورة محورها فقط، بل لأنها كثرة كتابية مطلوبة لذاتها كتاريخ ومأزق في آنٍ واحد ولأنها مصداق ميداني مباشر يرتبط أداءه بدماء عشرات الآلاف من الناس المُسالة في أرض العراق حالياً، ولأن المستقبل مستقبل هذا البلد ــ العراق ــ وربما بلدان أخرى يرتبط بدور «المرجعية الدينية» وأدائها قبل وأثناء وبعد الاحتلال الأميركي للعراق. هذه هي الأسباب التي ترتبط باختيار هذه الأولوية، أما الأسباب التفصيلية، التي فرضها مسار الأحداث، فهي عديدة. ان أولوية أزمة الوطن تبقى للداخل قبل الخارج، وفهم الوطن قبل العوامل الخارجية.

"دينية" الحرب

ان رؤية عابرة لواقع العالم الفكري الآن بكل مدارسه ونظرياته وخطوطه الفكرية التي حكمته ما يقارب المئة عام توضح الفارق الجدلي الفكري الهائل بين ما كان عليه هذا العالم، وبين ما يعيشه اليوم... اذ بعد انهيار الكيانية الإسلامية المركزية المتمثلة بالدولة العثمانية أصبح هذا العالم واقعاً تحت هيمنة تيارات فكرية «رأسمالية ــ ديمقراطية» و«ماركسية شيوعية» وقومية على مسافات موقفية متغايرة من «الإسلام» و«عنصرية» فجه، و«إسلامية» مصنعة على الطراز الغربي، و«دينية» مخبوءة إلى حد ما تأخذ شكلها العلني عبر «اسرائيل» ومرتكزات فكرها اليهودي، وتيارات إسلامية اجتماعية تحاول تصحيح الواقع ... ولقد حكمت هذه التيارات الفكرية العالم، وتجسدت «صراعاً حاداً» فيه حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي مثلت منعطفاً في «رتابة» هذا الصراع الفكري الكوني.. وبما اعاد الإسلام كتيار فكري عالمي إلى محور الجدل المركزي، وأعاد إلى حد ما مراجعة رموز هذهِ التيارات كدول أو أشخاص لأفكارهم انسجاماً مع مصالحهم، وبما يحد من اندفاع هذا المتغير الفكري الهائل. وسار الصراع دامياً ومضنياً ومريراً حتى اللحظة الحالية التي انهارت فيها «الماركسية ــ الشيوعية» كفكر تقريباً، وتراجعت فيها القومية بمعظم ألوانها،

ودخلت «الرأسمالية ــ الديمقراطية» مرحلة العد العكسي، حتى أصبح في ظل ذلك كله القول بأن العالم يعيش «فراغاً فكرياً» أو ان القول بانه يعيش ما هو قريب من معنى الفراغ، كلاماً «مقبولاً».. وبات على وشك أن يودع آخر «قلاعه» الفكرية التي أرادت تعميم نموذجها على العالم بزعامة أميركية[1]... ويتزامن هذا «التوديع» في

---

(١) ما يخص المجتمع الاميركي فانه نهض منذ اكثر من قرن او يمكن القول ما بعد ولادة الدولة الاميركية على اساس الثقافة اليهودية وبقيت هذه الثقافة غير مسيلة سياسيا على مستوى سياسات هذه الدولة العلنية الا ان هذه العلنية اخذت طريقها منذ العهد الرغيني وقد بحث الدكتور يوسف الحسن هذا الموضوع باسهاب وعلمية من خلال اطروحتة لشهادة الدكتوراه وجاء في خلاصة هذه الدراسة ما يلي «أ ــ على الرغم من دستورية فصل الدين عن الدولة، فإن الجدار بينهما كان واهياً. وان الفصل كان مقصوداً به حماية الدين من تدخل الدولة في شؤونه. وان تنفيذه علمياً ظل عرضة للتغير تبعاً لموازين القوة داخل المجتمع، ولاطماع الدولة والكنيسة، وقدرة احدهما على ان تسود على الاخرى، فتتجاوز حدود المستوى النظري لعملية الفصل. وقد تبيّن ان الكنيسة الامريكية نظام شمولي في اغراضه وانشطته وعلاقاته. وتمزج الدين بالتعليم وبالخدمات الاجتماعية وبالطب وبالسياسة وبالفن والحرب والسلم...الخ ولا يفلت من شباكها شيء يتعلق بالحياة اليومية للانسان. وقد استنتجت الدراسة ان البروتستانتية هي التي تمثل الاكثرية الغالبة للشعب الامريكي وتكمن فيها مصادر النفوذ السياسي، ليس بسبب كثرة عددها فحسب، بل لكونها كنيسة الطبقة العليا او ما يسمّى كنيسة الانكلوسكسون البيض التي تختصر عادة بكلمة (واسب) (WASP). وقد استخدمت الكنيسة الوسائل والاساليب نفسها التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات المدنية، من حيث التأثير في السياسات العامة للمجتمع، وخاصة ممارسة اساليب الضغط المنظم المسمى اللوبي، ووسائل استطلاع الرأي العام، واجهزة الاعلام الحديثة، وادوات الاتصال الجماهيري. كما ملكت وادارت جامعات، ومؤسسات تربوية وتعليمية واعلامية واستثمارية، مما وفّر لها امكانات مالية ضخمة وملكت بذلك عقول الملايين من الامريكيين وجيوبهم. وقد وجدت الدراسة ان العقدين الاخيرين شهدا توسعاً في التعليم الديني في الولايات المتحدة الامريكية، سواء من حيث عدد المؤسسات التعليمية او في عدد التلاميذ. فضلاً عن انتخاب رئيسين للجمهورية يؤمنان بأهمية الدين وبدوره الجوهري في المجتمع. فالرئيس السابق جيمي كارتر اعلن عن شعاره وايمانه بعقيدة (الولادة ثانية) كمسيحي اصولي، وجسد ما في هذه العقيدة من اتجاهات صهيونية نظرياً وعلمياً. كما عبر عن ذلك ومارسه الرئيس رونالد ريغان، واعتبر ان للدين دوراً اساسياً في الحياة السياسية للولايات المتحدة الامريكية. وفي النتيجة فان حركة المسيحية الاصولية، التي هي في غالبيتها بروتستانتية، هي اهم ظاهرة سياسية في العقدين الاخيرين من هذا القرن. وقد

←

جدله من وعلى الساحة العراقية التي أمسكت أميركا بأكبر رموز «مكوناتها الإسلامية الحركية والمرجعية» والتي لا زالت ترزح تحت سلطة هذهِ الرموز بشيء من الغليان الداخلي، والقلق، والمجهول الذي ينتظرها. وعليه يمكن القول ان الصراع الكوني الفكري اخذ طابعه الديني[1]، وما يرتبط بالعراق فانه ارتبط ببعده المركزي بـ «الحوزة والمرجعية» ولذا فان الأسباب الرئيسية والتفصيلية عن الكثرة الكتابية حول

مثلت اسرائيل في هذه الظاهرة، محوراً مميزاً. وكثر استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الامريكي نتيجة تأثير المسيحية في المجتمع المدني، وبخاصة في ثقافته العامة، بحيث صور الصراع العربي ــ الاسرائيلي في الخيال العام الامريكي وثقافته على انه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغير اليهود، وان اسرائيل القرن العشرين هي اسرائيل التوراة نفسها، التي يبشر قيامها باقتراب المجيء الثاني للمسيح، فضلاً عن جعل العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل علاقة خاصة ومميزة وقائمة على فهم توراتي تراثي مشترك». د. يوسف الحسن، (البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ــ الصهيوني، دراسة في الحركة المسيحية الاصولية الامريكية)، ص ١٨٨ ــ ١٨٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان، ط ٣، شباط ــ فبراير ٢٠٠٠م.

(١) ان العامل الديني لم يغب اطلاقا عن العقل الاميركي في أي مرحلة من مراحل الحروب الاميركية في العالم، وغالبا ما يأتي مسيلا تحت العنوان الاقتصادي، وعلى سبيل المثال «كتب ثيودور روزفلت، الذي اصبح رئيسا للولايات المتحدة في العقد الاول من القرن العشرين، الى صديق له يقول: (اريد ان أُسر لك بشيء... انا في وضع يجعلني ارحب بأي حرب... اعتقد ان هذه البلاد بحاجة الى حرب). قبل ذلك بأعوام، وعندما وجدت الولايات المتحدة بأن ثورتها الصناعية أدت الى فائض في الانتاج يحتاج الى اسواق اجنبية، قررت سلوك سبل الاستعمار، فكانت الحرب الامريكية الاسبانية عام ١٨٩٨ حيث اقدمت امريكا على غزو كوبا وجزر الكاريبي الاخرى، واحتلت الفلبين. اما الدوافع السياسية والاقتصادية الحقيقية لاحتلال الفلبين، فكانت تلك التي عبر عنها بوضوح السيناتور البرت بيفيردج Albert Beveridge بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٠٠ بالقول: (سيادة الرئيس... هذا وقت الصراحة... لقد اصبحت الفلبين لنا وستبقى كذلك الى الابد.. وخلف الفلبين تنتظرنا اسواق الصين اللامحدودة.. ولن نتراجع عن أي منهما، ولن يتخلى الامريكيون عن المهمة الملقاة على عاتقهم من السماء، باعتبارنا اوصياء على الحضارة البشرية باسم الله..)». رعد الجبوري، (العصف المأكول، ما تبقى من مشروع الاحتلال الامريكي في العراق، محاضرة القيت في المنتدى الاجتماعي، دمشق ــ الجمهورية العربية السورية، الثلاثاء ــ ١٥ آيار ــ مايو ٢٠٠٧م)، ص ٦٠ ــ ٦١، طبعة محدودة.

«المرجعية الدينية» التي أشرنا لها في هذه المرحلة تكاد تكون عديدة إلى درجة التصور إنها تحتاج لوحدها إلى كتب مستقلة. إلا أننا وتماشياً مع أصول البحث. وحاجة محور الكتاب نحاول أن نرقم أهم وبعض تلك الأسباب بشكل إيجازي ربما بعضها سيجد شروحاً كافية في طيات الكتاب الضمنية، وفي النصوص المتداخلة بين هذه الأسباب، وبين بعض فقرات الكتاب... ونشير أيضاً إلى أن بعض الأسباب مكتوبة فعلاً لدينا في مسودات كتب أخرى اقتضت قواعد البحث أن تأخذ مكانها في سياق تلك الكتب ومنها على سبيل المثال السبب الأول، الذي سنبدأ فيه قائمة الأسباب التالية الأهم التي توقفنا عندها.

إننا في الرؤية الإجمالية لاحتلال العراق نعتقد أن هذا الاحتلال قام أساساً على ما افترضناه من مقولة الحرب الدينية ــ في الكتابات السابقة ــ أي أن المحتل بادر إلى هذا الاحتلال على أساس منظومة من الأسباب والمصالح والاستراتيجيات الدينية، وأن المحور الاستراتيجي المركزي في تفكير المحتل هو محور ديني، والمحور الديني هنا قد يقود إلى معان وأبعاد عديدة قد تتجلى بأن هذا المحتل انطلق من قناعات ومنطلقات دينية خاصة به، وازدهرت لديه منذ عهد رونالد ريغان. وفي بعدٍ آخر يمكن وصف الحرب الدينية بأن المحتل يواجه تحدياً دينياً قاده إلى هذا الاحتلال، أو أنه قد يكون ــ في بعد ثالث ــ استعار العنوان الديني للاحتلال كأفضل عنوان يعطيه مرونة في تحقيق استراتيجيته الساعية إلى الهيمنة الاحادية على العالم وإلى قيادة الحرب الدينية، اقتناعاً منه بأن العنوان الديني يوفر له الكثير من أساليب وأدوات التحرك في العراق والعالم الإسلامي والعالم أجمع بالقياس إلى عناوين أخرى للوصول إلى استراتيجيته أو تحقيق قيادته للعالم..

هذه بعض الأبعاد للحرب الدينية ترتكز على قراءات رجوعية سابقة لما يقارب الخمسة وعشرين عاماً من جدل المسألة الدينية في العالم بصورة عامة والعراق بشكل خاص، وليس هنا مجال الوقوف على ذلك كله بالتفصيل، ولا مجال لتحليل الأبعاد ورسم سيناريوهاتها على أساس الخلفيات والتاريخ السابق لبروز المسألة الدينية في بعديها السياسي والثوري بكل التفاصيل... ولكن مع طقس صيرورة هذه الخلفيات

والممارسات، التي تحدثنا عنها في الكتب السابقة وما حاصل في واقع العالم منذ سنوات يمكن القول ان احتلال العراق يقع تحت عنوان حرب دينية حقيقية، كما أن الطبيعة الأدائية والإجرائية والميدانية ــ أي الخطط الميدانية التي سارت عليها الحرب ــ والتي جرى فيها الاحتلال بإمكانها أن تعزّز هذا المعنى الديني للحرب، مع إطلاق بعض التصريحات التي تشي بهذا المعنى لاسيما على لسان جورج بوش الابن، الذي وصف الحرب بأنها «حرب صليبية»، وتم اختفاءها لأسباب تكتيكية تقتضيها مهمة الوصول إلى الهدف على مراحل، وتقتضيها تجزئة الحرب بما تتطلبه من درجة أقل استفزازية لمشاعر المسلمين. وكما هي الحال بالمعنى الاستراتيجي العالمي لدينية الحرب من خلال احتلال العراق، الذي تشير إليه حركة الإعلام الدولي من أي وسيلة انطلق وبأية صورة كان من خلال العراق هذه المرة كمحور لهذه الحرب يغاير المحاور الأخرى.. كذلك هي الحال بالنسبة للطبيعة الأدائية والإجرائية والميدانية ــ أي الخطط الحربية الميدانية ــ التي رافقت عملية الاحتلال على الأرض وعلى صعيد الأساليب والممارسات وبعض التصريحات، إذ لا يمكن لأحد مثلاً أن يجّرد ما جرى في سجن أبو غريب من أبعاد حضارية ودينية لتلك الأحداث الفظيعة في دلالاتها. إن دينية الحرب هذه، وإن كانت تندرج في إطار الأسباب الخارجية في الأولويات الكتابية، التي تحدثنا عنها، ألا أنها بالتأكيد على علاقة وطيدة بالجبهة الداخلية، وأنها ستضع الحالة الدينية ممثلة بـــ «المرجعية الدينية» في العراق في خضم التحديات وفي سلم الأوليات، وأن الباحث سيجد نفسه مضطراً إلى مراقبة أداء هذه «المرجعية» إزاء الحدث الاحتلالي الصاخب للعراق، الذي هزّ العالم بأسره، فـــ «المرجعية» التي ترتكز إلى الاجتهاد في ظل هذا الواقع ستكون محل أنظار العالم في دورها والمؤثر الأكبر في عملية الاحتلال سلباً أو إيجاباً. وسيؤدي دوراً ما في توجهات الشارع العراقي كما حصل بالفعل. وهذا هو السبب الأول، الذي دعانا إلى إعطاء محورها كثرة كتابية في هذه المرحلة.

وسيبرز دور الشارع العراقي تلقائياً هنا كسبب ثاني لهذا الاختيار وهذه الأولوية. إذ لم يعد خافياً أن حيزاً واسعاً من هذا الشارع، ولمنظومة من العوامل والمفاعيل والأسباب الداخلية والخارجية أصبح يسمى حيزاً متديناً، وإذا كانت إحدى الإحصائيات ـ بغض النظر عن دقتها أو عدم دقتها أو تقريبيتها ـ تقول إن ٦٠ % من الشارع العراقي هو شارع متدين، فإن أحداً لا يمكن أن يجزم بنسبٍ دقيقة ونهائية هنا، ولكن يمكن الجزم بأن الجزء الأكبر من العراقيين هم «متدينون» أو أصحاب ميول دينية ذات توجه سياسي في جزء منهم، ولا نريد هنا أن نقف على دقة المصطلحات ونعرّف ما هو المتدين لأن هذا التعريف بحد ذاته يمثل إشكالية فكرية... وإذ لا يوجد إنسان في هذا الكون غير متدين بمعنى أن ليس له دين ما، انطلاقاً من تعريف الدين الاصطلاحي، الذي جاء به القرآن الكريم، فالقرآن يقرّر هذه الحقيقة من خلال نص من نصوصه المباركة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1].

وبالتالي، فإن الكافر أيضاً له دين، والإمام علي (ع) يعرّف الدين على أنه «أمر بين رقين» وهو أجمل وأوفى وأرقى تعريف للدين ينطبق مع مضمون كتاب الله العزيز فكلمة دين تعني العبودية، وهذه العبودية هي إما أن تكون لله سبحانه وتعالى أو لغير الله من البشر أو الحيوان أو الجماد أو الهوى ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ﴾. فالهوى مهما اتخذ من أنماط وأساليب وأشكال من الفجور والعهر والاستهتار، بالتالي هو دين ولكن غير دين الله الحقيقي. وعبودية من الإنسان لغير الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الكافرون.

ولا نريد أن نسهب كثيراً في هذا الحديث، إذ لنا وقفات مطولة معه في كتب لاحقة، وقد ناقشه بإيجاز عدد من الباحثين والمفكرين مثل المرحوم الدكتور علي شريعتي والمرحوم الدكتور علي الوردي، الذي يقول إزاء هذه المسألة، ما يلي:

«يميل الكثيرون من الفلاسفة والعلماء إلى القول بأن النفس البشرية تحتاج إلى التدين مثل ما يحتاج البدن إلى الغذاء. إن التدين يشبه أن يكون غذاءاً نفسياً للإنسان. فالإنسان مهدد بالأخطار والمشاكل دائماً، وهو يخشى الموت، فهو إذن في حاجة إلى عقيدة وطقوس دينية تساعده على مواجهة تلك الأمور المرعبة وعلى تقوية عزيمته وبعث الطمأنينة في نفسه اتجاهها. إن الإنسان يختلف في هذا عن الحيوان. فالحيوان يعيش في لحظته الحاضرة، ولا يدرك ماذا يخبىء له القدر من كوارث. أما الإنسان فهو يملك المقدرة على التفكير والاستنتاج، فإذا رأى غيره يصاب بكارثة تخيل أن الكارثة ستحل به عاجلاً أو آجلاً. وإذا وجد الناس قبله قد ماتوا كلهم، أو هم على وشك الموت، أدرك بأن الموت لابد أن يصيبه أيضاً. ولهذا فهو يحتاج إلى وسيلة للأمل والتفاؤل ليتمكن بها من مواجهة الموت أو الكارثة. توغل الباحثون في أكثر بقاع الأرض، ودرسوا مختلف الشعوب فيها، البدائية منها والمتحضرة، فلم يجدوا بينها شعباً غير متدين على وجه من الوجوه. إن العقائد والطقوس الدينية تختلف من شعب إلى آخر، ولكنها موجودة في جميع الشعوب على أي حال»[١].

ويضيف الوردي قائلاً: «قد يظهر أحياناً، في بعض الشعوب المتحضرة، أفراد لا يؤمنون بدين، أو ينتقدون الأديان. والظاهر أن عدد هؤلاء أخذ في التكاثر منذ بداية العصر الحديث. ولكنهم على كل حال قلائل بالنسبة إلى الجمهور الأكبر من سكان العالم. ويمكن اعتبارهم من قبيل الشذوذ عن القاعدة العامة. ولا ندري ما هو مصيرهم في المستقبل، فهل سيظلون في ازدياد أم يقلون؟ علم ذلك عند الله!

مهما يكن الحال فإن هؤلاء، على الرغم من تظاهرهم بعدم التدين، لا يخلون من

---

(١) الدكتور علي الوردي، (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي)، ص٢٢٢، انتشارات المكتبة الحيدرية، مطبعة أمير، قم، الصحاف: دهقان، ط٢، ١٩٩٨م.

شيء من التدين كامن في أعماق نفوسهم، قليل أو كثير. فإذا حلت بهم الكارثة أو أدركهم الموت، نظروا إلى السماء يستمدون منها شيئاً من الرجاء والثقة بالخلاص. وقد فطن إلى ذلك القدماء. فهم إذا كانوا في سفينة مشرفة على الغرق، وكان بينهم أحد (الدهريين)، رأوه مثلهم يرفع يديه نحو خالق الكون داعياً بحرقة أن ينجيه من الهلاك»[١]. إن الوردي يناقش الأمر هنا ليس من زاوية قرآنية ــ فكرية، إنما من زاوية اجتماعية ــ نفسية، وإلى ذلك وللإشارة هنا نقول إن نصوص د. علي الوردي جاءت قبل انهيار الاتحاد السوفيتي القديم، وبالتالي انهيار الفكر المادي الإلحادي في جزءٍ كبير من هذا العالم، إنها لفتة ذكية من علي الوردي عندما قال في ما تقدم «أنه لا يعرف مستقبل أو مصير» هؤلاء الذين ينكرون الدين، ويعلنون الإلحاد، فعلى أقل تقدير، أن عبارته هذه تشي بشكل غير مباشر ربما بأن هؤلاء الملحدين سيتراجعون، وأن فكرهم الإلحادي سيضعف. وهذا ما حصل بالفعل.. وفي مقابل ذلك، فإن النفوذ الإسلامي في العالم أو ما يسمى بالصحوة الإسلامية بغض النظر عن اتجاهاتها، التي تصل حد التناقض الفكري في بعض الأحيان قد برزا بقوة في فترة لم يستطع الوردي الكتابة عنها لكبر سنه قبل وفاته ولأسباب أخرى. كما أن الاتجاه الديني العالمي هو الآخر نشط خلال العقدين الماضيين بما يمكن أن يسمى بشيء من العودة إلى الدين في أوساط البشرية غير المسلمة، ولدى أصحاب الديانات الأخرى.

إن النفوذ الديني الإسلامي من جهة والعودة إلى الدين ــ النسبية ــ لدى أصحاب الديانات الأخرى في العالم، دخلتا سياسياً بشكل واضح على مراكز القرار السياسي الدولي، وكتب عنهما الكثير في تأثيرهما على النظام الدولي الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم، وافتراض أن استقرار النظام الآحادي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية يواجهه التحدي الإسلامي الناهض والمتصاعد منذ ثورة إيران الإسلامية وتراجع الفكر القومي والدولة القومية من ناحية أخرى.

ففي مثل هذه الأجواء يمكن أن ينتصب التاريخ كعامل يقفز إلى الذاكرة مستدعياً

---

(١) المصدر نفسه.

حقد الحروب الدينية ــ الدينية فيه حيث «أخذت المسيحية بيدها حراب القتل وطفقت تمسح، بالسوق والأعناق، سائر الأمم والشعوب والأديان والثقافات والفنون ومصادر الثروة والعزّة في هذا العالم، خاصة العالم الإسلامي الذي ما زالت تختزن حياله أحقاداً دفينة وعقداً قديمة أفرزتها وقائع كثيرة من قبيل تحويل كنيسة (أيا صوفيا) الكبرى إلى مسجد، وتسمية القسطنطينية بإسلامبول، وقذف المسيحية إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط...

المسيحية ما زالت تصغي لقرقعة سيوف خالد وطارق وصلاح الدين والسلطان محمد الفاتح وغيرهم من صناديد الحروب الصليبية، يتلألأ بريقها من فلسطين إلى إسبانيا، وتمعن في إذلال المسيحية عبر انتصاراتها المتوالية، والتي يأبى التاريخ إلا تذكرها إيغالاً في إيلام المسيحية وتأجيج حقدها اتجاه الإسلام والمسلمين.

أما الآن فقد آن أوان الثأر والانتقام والتشفي، وها هي المسيحية تقطّع أوصال العالم الإسلامي إرباً إرباً بنصل القومية، وها هو الإسلام يحاول عبثاً الانتصار لنفسه»(١). إذن يبقى هنا نصل القومية هو النصل الأساس، الذي استهدف الإسلام.

... نعود هنا إلى القول بان استخدامنا لمصطلح المتدين لا يتأسس على المباني الفكرية الحقيقية للإسلام، وكذلك الحال على مصطلح «المرجعية» والكثير من المصطلحات الأخرى.. بل إنه يتماشى مع المستقر من معاني في عقل الناس العام. وفي الخطاب السائد في تصنيف الناس إلى متدين وغير متدين وهو تصنيف يحتاج إلى مراجعة جذرية ولا نريد أن نخوض هنا في أكبر عدد من المصطلحات لاسيما مصطلح «المرجعية» والبحث في مبانيه ومناشئه الأساسية، فهو كمصطلح وليد لحظة تاريخية معنية، يرتبط بـــ «رجل الدين» في الإسلام والديانات الأخرى، كما يرتبط بمصطلح «الاجتهاد» و«التقليد» وهذا ما ناقشناه في كتابنا «صناعة العقول».

«ولقد حاول بعض المسلمين حصر العلم الوارد في الاصطلاح القرآني في إطار

---

(١) د. علي شريعتي، (معرفة الإسلام)، ص ٢٣، دار الامير، بيروت ــ لبنان، طبعة عربية أولى، ١٤٢٤ هــ ــ ٢٠٠٤م.

العلوم الدينية، بل الفقهية على وجه الخصوص، في حال أن التعبير بالعلم ورد مطلقاً في جميع الموارد وفي أقوال كثيرة من قبيل قول النبي: (اطلبوا العلم ولو كان في الصين)، ويقول علي: (من علّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً).

إن العديد من الأديان والمذاهب الفلسفية ــ والعرفانية خاصة ــ تعتبر العقل عاجزاً عن إدراك الحقائق، حتى قال بعضهم (لا يمكن الاعتماد على ما يكتسبه العقل، وبالتالي فإن الاستدلال العقلي يقوم على دعامة من خشب، ونتيجته هشة وسطحية..). وقد تسلّلت مثل هذه ألافكار بين صفوف المسلمين عن طريق الاسكندرية أو الهند أو الديانة المسيحية، غير أن العقل ظلّ محافظاً على مكانته في النصوص الإسلامية الأصلية، وبقي هو الآلة المعتمدة في فهم الحقائق حتى ما كان منها حقائق دينية وإلهية، ولم يكن ثمة فرق من الناحية المعرفية بين قيمة العقل في العلوم الإلهية أو العلوم المادية والوضعية. العقل لا يخالف الدين، ليس هذا فحسب، بل (الدين هو العقل)»[1]. وبصدد تعريف الدين ينبغي الالتفات لمستويات متعددة وصياغات مختلفة لتعريف الدين كمصطلح، فإذا كان الدين عبودية أو رق لله كما عبّر عنه الإمام علي (ع)، فإن تحقيق هذه العبودية ينبغي إلا يُفهم وفق سياقات تاريخية محددة لمعناها الثنائي الفاصل بين الجانب المعنوي والجانب المادي وبين الدين والآخر وتلك مسألة جوهرية تطرق لها الدكتور علي شريعتي في كتابه «معرفة الإسلام» حيث قال: «غالباً ما ينظر إلى الدين من زاوية أنه رد فعل معنوي يظهر لدى الإنسان في قبال الحياة المادية والتوثب الطبيعي نحو النعم الدنيوية، فيكون الدين ممثلاً للحياة الاخروية إزاء الحياة المادية، والآخرة حيال الدنيا، وعبادة الله مقابل عبادة الهوى، والمعنوية إزاء المادية، والروح في مقابل الجسم. إن التناقض والتدافع بين هاتين الحيثيتين المتضادتين يمثل الأساس الذي تقوم عليه الأديان والمذاهب الأخلاقية والعرفانية الشهيرة. ولقد تأثر المجتمع الإسلامي بشدة بهذه الظاهرة الوافدة مع الطقوس الهندوسية والرهبنة المسيحية والثنوية الفلسفية لدى المذاهب العرفانية الأفلاطونية والزرادشتية

(١) المصدر نفسه، ص ٨١.

والمانوية وغيرها... إن شيوع النزعة اللامادية في الأديان القديمة وحرصها على ترويج مبادىء الزهد والإعراض عن الدنيا يعدّ بمنزلة ردّ فعل طبيعي إزاء تنامي مظاهر الترف والغرق في الملذات والمفاسد الناجمة عن حب الدنيا واتباع الهوى وطلب الجاه والسلطة. ولقد سعت المسيحية لضبط حالات الإفراط في حب الدنيا وإتباع الهوى والخلاعة والمجون والتي عمت المجتمع الامبراطوري الرومي»[١].

وعبارة «عبادة الله مقابل عبادة الهوى» لا تأتي هنا في سياق المبنى النظري، الذي عكسه كلام الإمام علي (ع)، إنما في مبنى ما أسميناه السياقات التاريخية البشرية في تطبيق الدين، والتحريف الذي لحق بمعنى الدين من وراء ذلك من خلال ادلجة مفاهيمه حول الزهد والصبر وغير ذلك لا تطابق المفاهيم الحقيقية لها التي تجسد طاعة الله كمعنى للدين: انها طاعة في المادي والمعنوي على حدٍ سواء، وتلاحم مصيري بين الدنيا والآخرة، واكتشاف الطبيعة والمادة وتسخيرها والاستفادة منها من خلال العلم وعلى أساس التقوى ومن ثم تحقيق العدالة.

لاحظ عبارة الدكتور علي شريعتي في الفقرة السابقة «وها هي المسيحية تقطع أوصال العالم الإسلامي أرباً أرباً بنصل القومية» إنه لم يقل بنصل الماركسية مثلا كما أن الوردي ـ كما أشرنا ـ سابقاً اعتبر ظاهرة الإلحاد ظاهرة طارئة فاي دين ينشطر إلى طوائف، يصبح اديانا غير الدين الحقيقي... والحوار بينهما، سيصبح حوار بين «اديان» لا علاقة لهما بالدين الإسلامي الحقيقي، الذي ينهض على معنى العبودية لله وينطبق هذا الأمر على شعار «الحوار بين الاديان».. وأن القومية التي أراد لها الغرب أن تكون نداً للدين نجحت في العراق خلال الدولة العراقية الأولى أكثر مما تنجح في أي مكان آخر في العالم الإسلامي.. إذ هي تراجعت في تركيا كقومية معادية للدين، و«تصالحت مع الدين» في إيران في الثقافة الدينية الإيرانية واتخذت أطواراً أخرى في نقاط العالم العربي الإسلامي.. ولقد تراجع هذا العداء القومي للدين في العراق خلال السنوات الأخيرة.. وها هي تقترب كثيراً من معنى العروبة كحامل

(١) المصدر نفسه.

لغوي للإسلام، فتحركت أنصال المسيحية من الأداة القومية إلى استهداف العروبة. إذ عندما تراجعت أداة القومية المؤدلجة المعادية للدين، وأداة الإلحاد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، تحولت «الطائفية» إلى «نصل مسيحي» أشد دماراً للإسلام في المرحلة الحالية يدعمه «النصل القبلي».. وأصبح الحديث عن «أميركا شيعية» و«بريطانيا سنية» وبالعكس متى ما اقتضت الحاجة إلى ذلك.

إن الذي دعانا إلى استدعاء معنى الدين في هذه الفقرة هو التدليل على ضرورة نزع الإيديولوجيا عن المعنى القومي واستبدالها بالمعنى العروبي اللغوي الحامل للإسلام.. إذ لا يتعارض ذلك مع وحدة عربية في طريق وحدة إسلامية.. فواقع الحال أن أدلجة القومية ــ بخطة ذات دوافع مسيحية أو كردة فعل تاريخية على سياسة التتريك العثمانية ــ يعني وضعها كمضاد للدين حتى دون الحاجة إلى أسس فلسفية تنهض عليها، أو جهد تنظيري ينظمها مع أنها ستكون في الواقع وصفه اقرب إلى «الإلحاد» فلسفياً في الكثير من الحالات.

وبالتالي، فإن العروبة كحامل لغوي للإسلام تبقى مستهدفة مسيحياً ويهودياً أيضاً انطلاقاً من عقدة المكان النبوي وعقدة التاريخ النبوي الذي هيمن على العقل الأميركي خلال العقود الأخيرة.. وما يخص العراق ــ في بحثنا هنا ــ ليس الإسلام وحده مستهدف كما بدا ذلك من خلال السياسة الأميركية، بل العروبة أيضاً.. عروبة هذا العراق الذي استهدفه نص قانون إدارة الدولة العراقية وثم «الدستور العراقي». وعندما تنزع حالة اليسار ثوبها الإلحادي.. وتتحول إلى منهج سياسي غير مؤدلج هي الأخرى، سيسهل هذا الأمر في إيجاد كتلة منسجمة مع الإسلام والعروبة في مواجهة الحرب الدينية الأميركية ليس ضد العراق فقط، ولكن أيضاً ضد المنطقة كلها.. فالدين في أحد معانيه هو العطاء للآخر، والدين في معنى آخر له هو الإيمان والعمل الصالح، ــ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ــ كما تعبر عن ذلك التشريعات القرآنية. فالقومية المتسامحة اللامؤدلجة والماركسية اللاإلحادية[1].. والإسلام «اللاطائفي»

---

(١) يمكن القول بان التيار الماركسي في العراق لم يدرس ازمة الوطن في ادبياته بشكل معمق ←

واللاشخصاني يمكن تصور اندماجهم في مشروع نهضوي، لا يثير حساسية تيار ضد تيار.. ويمكن انضواءهم جميعاً تحت عنوان الإسلام المحمول باللغة العربية والساعي إلى منطق العدالة وسحق الفوارق الطبقية كمطلب ومنهج يساري تدخل في نسيج المضامين الإسلامية.. وإذا كان الإسلام الحقيقي مستهدفاً غربياً وأميركياً بطريقة صليبية، وإذا كانت العروبة ـ كما مرّ معنا مستهدفة ـ وإذا كانت الماركسية قد تراجعت... فإن مشترك الاستهداف هذا بإمكانه أن يشكّل أرضية مشتركة لتأسيس المشروع المضاد للمشروع الغربي ـ الديني المناهض بزعامة أميركا.. دون العودة إلى منطق الصدام، والتوقف عند عقد الإلحاق... هذا الافتراض هو الافتراض المتاح لمواجهة العقد الايديولوجية التي سادت أيام لجنة العمل المشترك للعراقيين[1]. وسادت

بسبب وافدية فكره وتمثلها القالبي الخارجي من قبله. وهو عندما سقطت الماركسية تناول بعض المنشقين فيه «ازمة الوطن» بشكل غير معمق، وعلى سبيل المثال يحاول باقر ابراهيم احد اقطاب الشيوعية العراقية القدامى ان يقدم تصورا لهذه الازمة ويقول: «نحن عانينا من سعة التشوه للوطنية العراقية وسعة قاعدة الارتداد عنها، وخاصة بين الاحزاب والمؤسسات التي عرفها العراقيون والعالم كله، بانها مؤسسات تصدرت النضال الوطني والاجتماعي لحقبة طويلة مضت. لم يتصف العراق وحده بظاهرة هذا التشوه والارتداد عن الوطنية. بل هما وجدا في بلدان عديدة وبتأثير عوامل مشتركة. في مقدمة تلك العوامل، حدّة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية المعادية. وكذلك بتأثير الاحباط الذي غرسه في شعوبنا، نفاق وعدم مصداقية الانظمة الحاكمة في دعواها بالاصلاح والديمقراطية والتنمية الاجتماعية. فكان الخوف من الاستناد الى الارادة الشعبية الحرة، هاجسها المشترك. الا ان سعة ذلك التشوه، وتلك الردة، في العراق ، كانت بتأثير القساوة المتميزة للدكتاتورية فيه، ولطول امدها، مما ولّد اليأس الواسع من الاصلاح الداخلي، وخاصة عند رفض، او تهميش جميع الحلول والمقترحات العقلانية التي هدفت انقاذ العراق من ازمته، ومن المصير الاكثر سوءً الذي ينتظره . والعالم كله يعرف بان تلك الحلول والمقترحات كانت كثيرة وجدّية ومخلصة. وهي ان لم تكن مؤثرة بالأمس، فإن اهميتها تظهر اليوم امام المآسي الجديدة. ان رفض الاصلاح والتراجع عن سوء الحكم، سهّل هرولة المرتدين والخونة ومعهم كثير من البسطاء والسذج، نحو الحل الخارجي للأزمة الداخلية، والمتمثل بالاحتلال الامريكي البشع لبلادنا» باقر ابراهيم (الوطنية العراقية الجديدة بين الاستبداد والخيانة)، ص ٩ ـ ١٠، دار الكنوز الادبية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

(١) «لجنة العمل المشترك» هي إحدى الصيغ الحوارية للعمل السياسي العراقي المعارض لنظام صدام حسين، وبعبارة أخرى هي واحدة من اخطر محطات وأزمات مسار المعارضة قبل

←

منطق الحوار القومي ـ الإسلامي الفاشل. حيث أن البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم»، أخذت سنة حوارية كاملة بين الإسلاميين والشيوعيين وحيث أن لا القومي ولا الإسلامي، كانا بصدد حوار حقيقي يناسب محنة الأحتراب، فإن كلاً من القومية والإسلام والماركسية التي طرحتها المعارضة العراقية السابقة، ستبقى في مواقعها الاحترابية، وإذا كان الإسلام «الطائفي» هو الذي ساد بعد الاحتلال الأميركي للعراق، والماركسية «الأميركية» هي التي سادت والقومية لم تستطع أن تلملم جراحها ـ بعد أن دمرها صدام حسين فإن نظرية الخلاص لهذا العراق هو بمنطق العروبة المتسامحة، التي لا يمكن لأحد أن يزيلها لأنها ليست أيديولوجية، والإسلام الوحدوي، واليسار المتصالح مع الدين، الذي بقي يخدم مبادئه القديمة. وبالتالي انخراطه إما بالعروبة أو من خلال الكتلة السياسية الوطنية.

وعبر هذا الطرح يمكن بناء العراق. ومواجهة النصل الصليبي القومي ثم «الطائفي».. و«ديمقراطية أبو غريب» أو «ديمقراطية موت النصف مليون طفل عراقي عن عمد». وبعبارة أخرى، فإن إسلام بلا «طائفية» وشخصانية، وقومية غير مؤدلجة وتساوي العروبة المتسامحة المتصالحة مع القوميات الأخرى باعتبار العراق بلد الكثافة القومية، واليسار بلا إلحاد بما يتحقق فيه من حوار صياغة الوطن والمواطنة[١] يطرح نموذجه الديمقراطي للعراق الضدي لـ «ديمقراطية الاحتلال» و«ديمقراطية أبو غريب» وديمقراطية الحصار وقتل الأطفال و«تسييد القيم الأميركية بالقوة.. حتى على قيم الإسلام» حسب تعبير كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي سابقاً، والتي أصبحت في ما بعد وزيرة خارجية أميركا، والتي كانت من صقور حرب الاحتلال الدينية.

سقوط نظام صدام ولقد أفردنا لها دراسة خاصة في إطار كتب طبعت أثناء وبعد احتلال العراق ولم تنشر حتى الآن.

(١) كان لنا في الشهر الخامس من العام ٢٠٠١ في ندوة «مستقبل العلاقات العراقية ـ الكويتية» مداخلة اشكالية جدلية حول «قلق الدولة، قلق الهوية، قلق المواطنة» مدونة تفاصيلها لدينا في كتاب آخر.

وعودة إلى الجمهور العراقي ذي الأغلبية المتدينة ومستويات وعي هذا الجمهور بالمسألة الدينية وارتباط الجزء الأكبر منه بـــ «المرجعية» الدينية ودورها أصبح هذا السبب من الأسباب الجوهرية، التي تعطي لـــ «المرجعية» الأولية الكتابية في مرحلة العراق أثناء وبعد الاحتلال الأميركي له. وقد بدا ذلك واضحاً منذ اللحظة الأولى لدخول قوات الاحتلال الأميركي للعراق ومن ثم سقوط نظام صدام حسين الدكتاتوري، من خلال الحشود المليونية في المناسبات الدينية وبعض المناسبات السياسية، وعبر الشعارات التي رددت «حوزتنا قادتنا»، «وحدة وحدة إسلامية لا سنية، لا شيعية» والكثير من الشعارات الأخرى، كذلك عبر اللافتات والشعارات المكتوبة على الجدران، فضلاً عن صور الأحياء والموتى من الرموز الدينية «الصامتة والناطقة» حسب تصنيف الصدر الثاني، والجدل الصاخب الكلامي والميداني والقتالي في الساحة العراقية وبروز المسألة الدينية على أساس من هذا الجدل في صدارة وسائل الإعلام العالمية المسموعة والمرئية والمكتوبة والانترنت بغض النظر عن نوع تغطية هذه المسألة واتجاهاتها المضللة والحقيقية. إن ذلك كله يدعونا إلى دراسة معنى الدين، والتفريق بين الأديان الحاملة لعنوان الإسلام، لنميز بين الدين الشخصاني، الذي يرتكز إلى منشأ «الاجتهاد الفقهي»، والدين الذي يمثل إرادة الأمة، وقرار الأمة وعقل الأمة التحرري، لا العقل القالبي الموروث والمحروس من قبل «آلهة» الأديان الأخرى باسم الإسلام. ودور «المرجعية» في ذلك.. أي في إنتاج أديان متعددة الأسماء ويركب الإسلام عنواناً لها.. كالدين «الطائفي» والدين التخديري والدين الاستحماري والدين الموروث، والدين الخرافي. والدين اللامفكر فيه... النقيضة للدين الثوري الوحدوي المضاد لتلك الأديان... وسنلاحظ أي دين من هذه الأديان طغى على واقع العراق بعد الاحتلال.. لأنه ما لم يعاد «فهم الدين» لا يمكن أن يراهن على تأسيس وطن سليم في المرحلة الحالية، وفي كل المراحل... ولكن قبل ذلك وانسجاما مع «نصل القومية» الأوربية سابقا التي مزقت العالم الإسلامي وانصال أميركا اللاحقة المضافة اليها «الطائفية، والقبلية»، لابد من فهم تجربة الحوار القومي ــ الإسلامي في العراق قبل احتلاله ــ التي مررنا عليها ــ، وتركيب النصل «الطائفي» على النصل القومي لتدميره.

التبعية الحزبية لـ "المرجعية"

ولعل من أكبر النكبات، التي ألمّت بالحالة الإسلامية في العراق خلال ما يقارب الخمسة وعشرين عاماً تمثّلت بتجذر مسألة الرمز الديني الشخصاني «الصامت أو الناطق» «المنزوي أو الحاضر»، المتعالي أو المندك بشؤون الأمة، ففي ظل هذا التجذر تراجع العمل الحركي والحزبي تراجعاً مخيفاً، وتقلص نفوذه إلى درجة مذهلة داخل الشارع «الشيعي» العراقي.. ورغم العوامل والظروف والملابسات والطوارىء كلها، التي أعطت أهمية الرمز المستقرة في الوعي «الشيعي» ولكن بطريقة أخرى دفعاً هائلاً، إلا أن السبب الجوهري المسؤول عن هذه الظاهرة يتمثل بأفكار ومناهج هذه الأحزاب والحركات أكثر مما يرتبط بالمستقر التاريخي في الوعي «الشيعي» أو «السني» حول ضرورة الرمز «المرجع الديني» أو الرمز الديني «السني»، لأن الافكار الحزبية والحركية بدلاً من أن تعالج هذا المستقر من الوعي بقيت تحتمي به وتلهث وراء مشروعيته وتنتظر «الفتوى» منه، وتبحث عنه على الدوام وتساهم في إنتاجه على الطراز، الذي تريد ومن ثم تفشل المرة تلو الأخرى في ذلك. وبالتالي، فإن حزباً أو حركة إسلامية في العراق خلال أكثر من قرن لم يستقل في أفكاره ومناهجه بذاته سوى محاولة الشباب المسلم اليتيمة الضعيفة، التي انتهت إلى الفشل، وهذا ما يفسر عدم قدرة إنتاج هذه الحركات والأحزاب إلى ما يمكن تسميته بالمثقف الديني الحقيقي، الذي يؤدي دور الحراك المعرفي الاجتماعي الذي هدف إليه الإسلام... إن زمن ما بعد احتلال العراق أميركياً كشف بشكل فاضح فقدان الأحزاب والحركات الإسلامية إلى جمهورها القديم ووقوعها في غربة حقيقية في الساحة العراقية الإسلامية فوجدت ذاتها بعد إقامة مهجرية طويلة محسورة النفوذ داخل هذه الساحة ــ أي لا نفوذ لها ــ ليس بمعنى الإطلاق ولكن بالمعنى العام للكلمة، ووجدت هذه الأحزاب أن الناس ــ والكلام ليس إطلاقياً ــ متوجهة نحو «الحوزة» ونحو الرمز ونحو

«المرجع» ونحو فتواه وتعليماته، وهذا سبب إضافي يقود إلى رصد أداء ودور «المرجعية» والاصل المعرفي، الذي يرتكز الى الموروث.

النجف العاصمة الفعلية في حرب الاحتلال

ولذا يمكن القول... مجازاً أن العاصمة «الفعلية» في خطط الاحتلال كانت النجف، وليس بغداد، ويحتاج هذا الافتراض «المجازي» إلى بعض التوضيحات في ما يرتبط بميزان القوى الذي حكم معركة الاحتلال، إذ لا يوجد خبير يعتد به وفق الفارق الهائل في ميزان القوى بين أميركا وبريطانيا من جهة والعراق من جهة أخرى قدر بأن قوى الاحتلال سوف لا تصل إلى أهدافها وانها سوف لا تهزم صدام حسين والجيش العراقي وتسقط العاصمة المركزية بغداد في نهاية المطاف. لاسيما في ظل خلفيات الوضع العسكري للعراق في كل جوانبه وعلاقة السلطة مع الناس، وظروف الحصار والعقوبات والتفتيش عن الأسلحة وحالة الجيش المعنوية والتسليحية وأسباب يصعب حصرها هنا.

ولذا، فإن «العاصمة» الحقيقية التي كان المحتل يحسب حساباً لها هي ليست بغداد.. بل النجف التي عمل هذا المحتل قبل دخوله العراق عبر سنوات إلى التسرّب إليها، والإمساك بها كـ «مدينة» بعد أن أمسك برموزها «المجتهدين ــ المراجع»[1].

(١) لم يكن الصراع الحاد حول «المرجع الأعلى» البديل عن الخوئي في حينه، صراعاً تقليدياً... إنما اندرج في إطار جهد التباسي مسحي، ديني وبالأخص للرموز الدينية العليا، ولذا جاء ترشيح السيستاني بإصرار أميركي مقابل «مرجعية» الخامنائي التي أريد لها آنذاك أن تسوق خارج ايران ولـ «شيعة» العالم. وان الصراع حول ترشيحه كان حادا. واستفز الإيرانيون في حينه هذا ولقد نشرت مجلة «الحوادث» قائمة تضم عشرات الأسماء «المرجعية الدينية» التي وقعت على بيان تؤكد أن السيستاني لم يكن «مجتهدا» فضلا عن أن يكون «مرجعا» أعلى.

أما كون موقعها لديه يرتقي إلى «العاصمة» هو لما للنجف من مكانة وأهمية وتاريخ وبالتالي نفوذ فعلي حقيقي على «شيعة» العراق، الذين مارسوا الدور الأكبر في انتفاضة العام ١٩٩١م وثورة العشرين.. وكان الأميركي ينظر إلى دور النجف و«المرجعية» فيها في التأثير في مسار أحداث الانتفاضة ونتائجها، فالإمساك بالنجف في التصوّر الأميركي ــ البريطاني لا يعني الإمساك بها كمدينة فقط، وإنما الإمساك بها كعاصمة فعلية في لحظات الحرب، فلــ «مراجعها» دور كبير أثناء الاحتلال، إذ ماذا لو قال هؤلاء «المراجع» «بفتوى» توجب قتال المحتل أثناء المعارك وأثناء دخول المحتل إلى العراق؟ وماذا لو حصلت انتفاضة «شيعية» أو حركة ثورية جماهيرية عفوية أو مخططة أيضاً أثناء فترة الاحتلال؟ ماذا لو نزلوا هم وطلاب «العلوم الدينية» إلى المعركة بأنفسهم كقادة ميدانيين كما حصل ذلك في ثورة العشرين؟ ماذا لو وضعوا إيران «الشيعية» في موقف «لم تُحسد عليه» ودعوها لنصرتهم في معركة غير متكافئة سواء استجابت او لم تستجب لهم؟ كل هذه الأسئلة التي تطرح احتمالات وأسئلة غيرها قد يبدو أنها «غير مبررة» من وجهة نظر بعضهم، لأن «الشيعة» اضطهدوا ويريدون التخلّص من صدام بأي ثمن، ولأن أميركا لم تدخل النجف دون مقدمات ونفوذ واتصالات، ولأن إيران سوف لن تستجيب لهم في نهاية المطاف سواء طالبوا أم لم يطالبوا، ولأن «المرجعية» الثورية غير موجودة أساساً وانتهت مع «مرجعية» الصدر الثاني، ولأن، ولأن...إلخ. وهذه الأسباب صحيحة ولكنه مع ذلك تبقي النجف «عاصمة» الفعل، وليس العاصمة الرسمية ــ بغداد ــ التي تحكم عملية الاحتلال برمتها، إذ يبقى الأميركي يخشى الانفجارات اللامحسوبة، وبقايا الخطوط الجهادية للإنتفاضة والدليل انه وضعها في الحسبان، وتحرك عليها عبر بعض الوكلاء، لأنه كان في الواقع لا يريد انتفاضة في الجنوب ويبقى الضامن لذلك هو النجف «والمرجعية»[1]. فيها، لاسيما في ظل ــ ما أشرنا له

---

(١) لقد لمست هذا الواقع بنفسي قبل الاحتلال وعبر دور بعض «رجال الدين»... وعبر مراقبتي للواقع، فعرفت ان مبالغ مالية طائلة كانت تبعث إلى العراق قبل الاحتلال، وعرفت أن الهدف

←

ـ من تراجع نفوذ العمل الحركي والحزبي في الساحة الإسلامية العراقية وفي ظل استدعاء الذاكرة حول انتفاضة شعبان ١٩٩١م وثورة العشرين، وفي ظل «تهديدات اميركية» لإيران آنذاك بعدم التدخل أثناء الاحتلال بالشأن العراقي، وفي ظل تفاهم المحتل المسبق قبل دخوله العراق مع معظم القوى والشخصيات والأحزاب الإسلامية العراقية التي يدرك المحتل تقلص نفوذها... وبالتالي فإن الضامن والفاعل الوحيد أثناء إنجاز عملية الاحتلال هي «المرجعية»، موقفها، دورها، قرارها على أساس من الخلفية التي عمل بها المحتل مع العراق في تقسيمه إلى «شيعة وسنّة» وأكراد، فلا مشكلة له مع الأكراد الذين «ينعمون» تحت حمايته، و«السنة» سيجدون أنفسهم في أزمة حادة لها خلفياتها التاريخية و«الطائفية» وواقع الحال أن الجُهد كل الجهد ينبغي أن يقع على النجف، لا كمدينة فقط، ولا كموقع مقدس فقط، وإنما كعاصمة فعلية للعراق أثناء الاحتلال، وسقوطها يعني سقوط العراق، ولذلك فإن خططه الميدانية في الحرب سارت مبكراً نحو النجف للسيطرة على إدارة المعركة وإعطاءها أيضاً «صك الحماية» من نظام صدام حسين وتخليصها من قدرة صدام الإيذائية لها، وتوظيفها سريعاً في سياق إتمام المعارك وإنجاز «النصر»!!! ومن هنا يبرز كم كان دور «المرجعية» أثناء الاحتلال يحتل موقع الأولوية. هذا فضلاً عن المكوّن الديني للعقل العراقي وارتباطه بمدينة النجف ووجود علي بن أبي طالب (ع) فيها وابنه الحسين الثائر في كربلاء كركيزتين وملهمين مقدسين لهذا المكوّن والركام التاريخي في محاصرة كل من علي وابنه الحسين بأدوات «مرجعية» ومذهبية وفكرية وعبر أكبر مقبرة في العالم هي مقبرة وادي السلام. وهذا ما سنتناوله في كتاب آخر، وكذلك فضلاً عما شهدته مدينة النجف من معارك ضارية بعد الاحتلال كان لـــ «المرجعية» دوراً خطيراً فيها، وهذا هو الآخر يدعونا للعودة التاريخية الموجزة إلى واقع مدينتي النجف وكربلاء ودور «المرجعية» الدينية الطقوسي فيهما.

منها يصب في إطار كشف أي خط من بقايا خطوط انتفاضة ١٩٩١م.

انقلاب في الاصطفافات

إن سبباً جوهرياً يعكس نفسه في سياق منظومة الأسباب هذه بقوة يتمثل بما يمكن أن نسميه انقلاب الاصطفافات المرتبط بـــ «المرجعية الدينية» قبل وبعد الاحتلال الأميركي للعراق. إذ إن هذا الانقلاب في الاصطفافات له دلالات خطيرة ومعاني كبيرة في دور «المرجعية» أثناء الاحتلال ودورها في ما حل بالعراق من مسلسل للدماء والدمار والكوارث. ويمكننا أن نُصنف هذه الاصطفافات إلى أربعة أنماط:

اصطفاف "مرجعي - مرجعي"

النمط «المرجعي ــ المرجعي»، إذ إن حال التعدد «المرجعي» في العراق كان أكثر تعبيراً عن نفسه قبل الاحتلال الأميركي للعراق.. فرغم أن «مرجعيات» العراق الدينية قبل الاحتلال ــ تنتمي تقريباً إلى منهج ــ ففقهي متقارب في الجانب اللاثوري بعد استشهاد الصدر الثاني، ورغم أن السيستاني يأتي في الأولوية بالنسبة إلى أقرانه «المراجع» حيث إن مقولة «المرجع الأعلى» كانت بالكاد مسوقة له من قبل حاشيته وأطراف أخرى، إلا أن هذا التقارب الفقهي المنهجي في الجانب اللاثوري، ومقولة «المرجع الأعلى» بفارق نسبي عن الآخرين تحقق بشكل لافت، حيث حصل تحول بارز في بروز نجم السيستاني يقابله سكوت يساوي الرضا بهذه الحقيقة من قبل المواقع «المرجعية» الأخرى التي كانت قبل الاحتلال تحاول ان تحقق ذاتها بشكل واضح لا من خلال تمايز منهجي، ولكن من خلال ممارسات تكرس الشخصانية والخصوصية والتمايزية الشكلية ودعوى «الأعلمية» والدفاع عنها، والارتكاز إلى

الموروث، وفي أحيان الإشارة إلى عنصر الوطن، لقد كان هنالك تعدد للخصوصيات «المرجعية» الفردانية قبل الاحتلال، لا يمس المنهج، إلا ان هذا التعدد تحول بعد الاحتلال بشكل جلي إلى ما يشبه التسليم للسيستاني من «المراجع» الآخرين كـ «مرجع أعلى» بصورة غير منطوقة يعكس ذلك فتور أدوار، اختفاء أدوار، برود صراعات، وحدة موقفية سياسية بزعامة سيستانية ــ سكوت يساوي كما أشرنا الموافقة ــ وانقلاب الاصطفاف هذا، لا يعني انقلاباً إيجابياً، بل هو انقلاب سلبي أيضاً. كما لا يعني انتقالاً من تعددية سلبية قبل الاحتلال إلى وحدة إيجابية بعد الاحتلال، بقدر ما يعني الانتقال من سلبية إلى سلبية أمر وأقسى وأشد.

اصطفاف حزبي - "مرجعي"

والأغرب من انقلاب الاصطفافات داخل إطار «المرجعية الدينية»، والأكثر إثارة منه هو انقلاب الاصطفاف الحزبي ــ الحركي في ولاءاته «المرجعية» قبل وبعد الاحتلال الأميركي للعراق، إذ قبل الاحتلال لا يخفى مثلاً ان حزب الدعوة الإسلامية كان يلتف حول «مرجعية» فضل الله اللبناني.. إذ إن هذا الحزب ساهم في ترشيحه ثم دعمه إلى حد الاندماج به، ثم تراجع الدعم المطلق إلى الولاء، ثم إلى الولاء الحذر، ثم إلى ما يمكن تسميته «الالتفاف القسري» بعد تجربة طويلة ومشاكل ومعاناة غير معلنة بين الطرفين... ان حزب الدعوة انقلب على مورثه الالتفافي حول فضل الله، لا بسبب مشكلات التجربة وتمرحلها، وإنما لأسباب ترتبط بانقلاب جذري في سياسة الحزب الكلية.. وكان أحد استحقاقات هذا الانقلاب هو اختفاء اسم فضل الله من أدبياته بشكل كبير، والتسليم الضمني الذي يرتقي مضموناً إلى مستوى إعلان الولاء إلى «مرجعية» السيستاني من خلال أحاديث صريحة بهذا المعنى لرموز الدعوة عبر الفضائيات، ولعل المثال الثاني في إطار انقلاب الاصطفاف الحركي ــ الحزبي في الإطار «المرجعي» يتمثل بموقف المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الذي كان

يدعو بحذر إلى «مرجعية» محمد سعيد الحكيم، وهذا الحذر اقتضته علاقة المجلس بإيران سابقاً، وحساسية الإيرانيين من المسألة «المرجعية»، لاسيما بعد ترشيح السيد الخامنئي إلى «المرجعية»، حيث كان هذا الترشيح يعني الخارج الإيراني أكثر مما يعني الداخل الإيراني، وتعدده «المرجعي». وهذه الحساسية برزت في أحد مواسم الحج قبل الاحتلال عندما أبدى بعض المسؤولين الإيرانيين انزعاجهم من ترويج زعامة المجلس إلى السيد محمد سعيد الحكيم عبر توزيع رسالته العملية، إذ اعتبر الإيرانيون ذلك «ازدواجاً» خطيراً في ولاءات المجلس الأعلى لـــ «المرجعية».

ومع ان هذا الترويج يقوم على أساس أسري والولاء «السري» أو كما أسميناه الحذر ــ خوفاً من إيران ــ لا ينطلق من تفاهم أو انسجام في التوجه الفقهي والسياسي لكلا الطرفين، «مرجعية» محمد سعيد الحكيم، وزعامة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق[1]. ــ لأن هذه «المرجعية» ــ محمد سعيد الحكيم ــ لا تؤمن بأن للدين علاقة بالسياسة حسبما تقول، إلا انها تفعل غير ذلك في بعض الأحيان.. مع كل ذلك فالأسرية هنا لدى الجانبين هي قوية إلى درجة خلق تفاهم سري من خلال تبادل الأدوار، أو تأسيس فائدة متبادلة دون ان يتنازل كل طرف عن توجهاته العامة. ولقد بدا ذلك واضحاً من خلال لقاء مطوّل جمعني بالسيد عبد المنعم الحكيم في سوريا بعد صدور كتابي «مرجعية الميدان».. فهو كان شديد الحرص، رغم تأكيده لمعنى ان الدين لا علاقة له بالسياسة لدى محمد سعيد الحكيم على إنهاء خلاف كان قائماً بيني وبين السيد محمد باقر الحكيم، ولهذا الحوار حديث مطول آخر لا مجال لذكره هنا، وهو مدوّن لدينا في أحد مسودات كتبنا التي لم تنشر حتى الآن. بعد الاحتلال

---

(١) غير قادة المجلس اسمه ورفعوا مفردة «الثورة» عنه، حيث يبدو أنهم قد حققوا طموحهم «الثوري» عبر الاحتلال الأميركي و«نجحت ثورتهم» فلا داعي لوجود هذه المفردة مع أنها مفردة بقيت مستقرة في أسماء الأحزاب والثورات والحركات الإسلامية والعلمانية، سواء كان الادعاء بها حقيقيا أم كاذبا!!! إن رفع هذه المفردة لا يعدو أن يكون له أبعاد سياسية ارضائية للاميركان، وإظهار نوع من الإسلام «المعتدل» الذي يرضيهم لا الإسلام الثوري، الذي يزعجهم مجرد اسمه فعلا عن مضمونه.

الأميركي للعراق، اختفى بعد زمن قصير ولاء المجلس لـ «مرجعية» محمد سعيد الحكيم، وبرز بقوة اصطفافه مع «مرجعية» السيستاني، ولم يكن هذا الانقلاب بسبب العلاقة بإيران هذه المرة، ولكن أيضاً تبعاً لمرحليات سياسية فرضها الاحتلال الأميركي للعراق.

اصطفاف "طائفي - طائفي"

ولعل الطامة الكبرى تكمن في النمط الثالث من الاصطفافات وانقلاباتها، وهو ما سمي بنمط البيت «الشيعي»، فهذا النمط ولو أنه يبدو أقل مباشرة في العلاقة مع العنوان «المرجعي» للوهلة الأولى، إلا أنه في المضمون يندك اندكاكاً مباشراً به آخذاً دور النمط «الأداة» الأكثر خطورة من كل أدوات المحتل التي عمل بها قبل وبعد احتلال العراق.

إذ إنه انقلاب في الاصطفاف يتجاوز الحالة الدينية «الشيعية» برمتها، بما يكرّس الحالة «الطائفية» ذات العلاقة بـ «المرجعية»، فإذا كان الأمر قبل الاحتلال قد انطوى على ما يمكن تسميته بيتاً «اسلامياً» وكان مقره طهران، تمثل بلقاءات تشاورية تنسيقية دورية اجترارية لم تفض إلى نتيجة بين من يسمون أنفسهم أساسيين في الأحزاب والحركات الإسلامية وهم آنذاك حزب الدعوة الاسلامية، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ومنظمة العمل الإسلامي، إذا كان الأمر هكذا آنذاك داخل الحالة الإسلامية، ولا يرتقي إلى تسمية «البيت الشيعي»، فإن الحال بعد الاحتلال نجم عن «بيت شيعي» معلن الاسم والأسماء، يتجاوز الإسلام إلى «الطائفة»، يتجاوز التدين بالمعنى التقليدي الذي تحدثنا عنه إلى الهوية «الطائفية» الشكلانية... فيتحول هذا البيت صاهر للأيديولوجيات، وإلى سقف يغطي الإلحاد، إذا كان هذا الإلحاد «شيعياً» ولا يغطيه إذا كان إلحاداً «سنياً»!! يغطي الليبرالية والديموقراطية والاستقلالية والبعثية المنشقة إذا كانت «شيعية»، ويلفظها لفظاً غليظاً إذا كانت

«سنية»!!! كل ذلك تحت حاجات الاحتلال، واستحقاقات المرحلة، وربما «مستلزمات بناء العراق الديمقراطي». وذلك كله يتكامل مع «المرجعية العليا». تبارك لهذا البيت ويبارك لها، أو يحتمي بها أو يروج لها، يبرر خطواته ومواقفه بعنوانها!! إن مكمن الخطورة في هذا الإطار أن عباءة «المرجعية» التي تغطي الإلحاد، لا تغطي الوطن ــ كتحصيل حاصل لذلك ــ لا بل انها ستمزق الوطن «طائفياً»، وإذا كان الأمر لا يصل إلى هذا الحد من «التضخيم» ــ كما قد يقول البعض ــ وأن هذا الواقع هو تحصيل حاصل لتطورات سياسية وغير سياسية متلاحقة، وهو لا يقوم على خطط مسبقة، ولا تنسيق منتظم، فإن السكوت، فقط السكوت «المرجعي» إزاء هذا الواقع، بلا تبريكات من الجانبين «المرجعية» و«البيت الشيعي» ولا استقواءات، ولا حتى اصطفافات.. السكوت فقط هو يكرس أيضاً ــ كتحصيل حاصل ــ الانتماء «الطائفي» على حساب الوطن الكلي ــ العراق ــ ويبلور نظرياً أولويات جديدة لا تندرج إطلاقاً تحت عنوان إسلامي، إذ عند ذاك سنكون أمام ملحد «شيعي» وملحد «سني» ليضيع الدين تحت مطرقة الإلحاد أولاً وتحت «السنية» و«الشيعية» ثانياً. وإذا ما نظرنا إلى المعادلة من جانب آخر، سيكون الملحد «الشيعي» عضواً مطلوباً في «البيت الشيعي» وسيكون المتدين «السني» خارج هذا البيت. متى وفي أي وقت من الأوقات كانت «الطائفة» فوق الإلحاد؟ متى وفي أي وقت كانت «الطائفة» فوق الإعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى؟ إذا كانت الأمور في هذا السياق موجودة فعلاً في بعض التجارب فلم يجرؤ أحد على الإعلان عنها، فضلاً عن تقنينها كإطار، وعنوان واسم يضع لنفسه عناوين «شيعية» سيكون له الدور البارز لتبرير التخندق «السني» داخل الوطن وحتى الاستعانة من بعض رموزه من خارج الوطن. إن ما تقدم من كلام، لا يمت إلى مبدأ الحوار بصلة، سواء مع الملحد أو الديمقراطي أو الليبرالي أو بما يسمى اللاديني، فالحوار مبدأ يفرش الوطن، كل ساحة الوطن... فحتى لا يفهم الكلام خطأً، فإن ما نعنيه بالضبط هو أن هنالك فرقاً شاسعاً بين عباءة «المرجعية» التي تغطي الإسلام والوطن بمبدأ الحوار والتعايش والتقارب وإدارة التناقضات ورعاية كل التيارات السياسية على أسس متوازنة، وبين عباءة «المرجعية» التي يراد سحبها أو ان ساحتها

لا تغطي إلا النسيج «الطائفي» حتى لو انكرت بعض كتل هذا النسيج وجود الله، فلا يكون الدين هو المبنى ولا يكون الله جل وعلا هو الأساس، ولا يكون الوطن هو الهوية.. لقد كان العراق قبل الاحتلال يعيش قلق المواطنة فكيف الحال بهذه المواطنة القلقة إذا ما رميت عليها عباءة بمساحة «الطائفة»؟

اصطفاف "مرجعي" - سلطوي - اميركي

لعلّ شكلاً آخر من أشكال الاصطفاف ذي دلالات سياسية يندرج أيضاً في هذا السياق. وهذا الشكل يرتبط بطبيعة العلاقة بين «المرجعية» والسلطة، فقد كانت تلك العلاقة قبل الاحتلال الأميركي للعراق محكومة بأنساق معينة، إما أن تكون إكراهية، كأن تكون مفروضة على «المرجعية» من قبل السلطة. ويتم القبول بها كأمر واقع تحت مبدأ التقية وإما تقليدية تحقق حاجات «المؤسسة الدينية» وهي علاقة أخذت نسقاً عرفياً لا يثير الاستغراب أو الاستنكار وإما سرية بحتة تقوم على تواصل وتنسيق خفي لا تعرف أسراره عامة الناس باستثناء الحواشي المزودين بوثائق أمنية من أجهزة السلطة أو العرابين والرابطين، وإما علاقة اجتماعية تنبع من الواقع الصراعي «المرجعي» الداخلي وتأخذ بعداً تكتيكياً أو تحالفياً أو إلتحاقياً ــ بالسلطة.

هذه الأشكال من العلاقة هي التي كانت سائدة قبل احتلال العراق أما بعده، فقد بدا شكلاً آخر يغاير كثيراً تلك الأشكال، هو شكل انفتاحي علني حواري، إن لم نقل تنسيقي ــ كما توحي ــ بعض أداءاته، لا يستدعي التقية، ولا يرتكز إلى السرية ولا يقوم على مقولة فقه المقاطعة للسلطة التاريخي ولا إلى «عدم التدخل في السياسة»، ولا إلى «التدخل في السياسة» بوصفه المتعارف.. إنما يمكن ان نطلق عليه وصف «التدخل السلبي المخطط في السياسة» الذي يخدم أهداف الاحتلال، ولقد تجسّد ذلك الشكل بوضوح في فترة ما بعد الاحتلال من خلال زيارات، رسمية وغير رسمية متواصلة من قبل أعضاء مجلس الحكم، ومن بعده الحكومة الانتقالية وأعضاء الحكومة

«المنتخبة الرسمية» إلى «المرجعية»، رغم أن التأمل في هذا الانقلاب في أشكال العلاقة يثير استغراباً واضحاً، أو على الأقل مفارقة واضحة، تتمثل بكون أن مجلس الحكم عينته قوات الاحتلال، كما هي الحال بالنسبة للحكومة العراقية، التي تلته، وإزاء الانتحابات المرعية اميركياً، وربما أن هذه المفارقة تأخذ حيزها الاستغرابي والتساؤلي خارج العراق، وفي الأوساط العربية والإسلامية، التي تنظر إلى الداخل العراقي وعلاقاته من خلال موقفها من المحتل الأميركي، وهي لا تنظر إليه من زاوية العراق فقط وإنما من زاوية كون هذا المحتل أعلن عن نواياه في استهدافها هي أيضاً.

وأخيراً لابد من القول بأن هذه الاصطفافات كلها هي اصطفافات أملاها متغير الاحتلال وهي تحمل بذور انهيارها ولا بد لهذا الانهيار ان يحصل.

تشرذم الظاهرة الإسلامية "الشعبية"

نعني هنا تشرذم الظاهرة الإسلامية بصورة عامة وانقسامها إلى أحزاب وحركات وتيارات وقوى وشخصيات من خلال القواعد الشعبية لا من خلال الرموز والقيادات ـ فكما أشرنا ـ أن هنالك شرائح متدينة ذات توجه سياسي أو ثقافة سياسية لكنها غير مؤطرة، وبعبارة أخرى نعني انقسام الشارع المتدين، ودور «المرجعية» فيه وكيفية تعاطيها معه بعد الاحتلال الأميركي للعراق. فهذا النوع من الانقسام لا علاقة له بالمباني الفقهية الكلاسيكية.

إن انقسام الشرائح الشعبية المتدينة هو ذلك الانقسام، الذي شكّل امتداداً للانقسام «المرجعي ـ المرجعي» السياسي، والانقسام الحزبي ـ الحركي قبل الاحتلال، إذ شتان ما بين هذا الانقسام بعد وقبل احتلال العراق من حيث خطورته ومكبوتاته على ضوء انهيار الدولة وتحول بعض الشرائح من شرائح مقيدة بنظام دكتاتوري إلى شرائح مليشياوية مسلحة يحتاج ضبطها إلى عقل «شيعي موحد» وإلا سيبقى الرموز، رموز هذه القواعد على درجة كبيرة من الحذر والضبط والاستقواءات بالخارج أو بمليشياتها.

اتخذ هذا الانقسام منذ احتلال العراق حالات متعددة في التعبير الحذر من ذاته، وأثار تخوفاً واضحاً في بعض المراحل من اثارة حرب «شيعية ــ شيعية» ــ على الأقل في بعض المراحل، كما عكست ذلك وسائل الإعلام العالمية من خلال تغطيتها المتواصلة لأحداث العراق، وبدا في مرحلة ثانية أن قواعد «المرجعية» الشعبية تمايزت بشكل واضح من قواعد مختلفة كالتيار الصدري وخطوط أخرى. والعقدة الأساس لهذه الحالة تمثلت ــ كما أشرنا ــ بالامتداد، فقبل الاحتلال كانت آخر محطة انقسام «مرجعي» حاد تمثلت بين «مرجعية» الشهيد محمد محمد صادق الصدر و«المرجعيات» التقليدية الأخرى. وربما أن الطريقة التي استشهد بها الأول هو وولديه كرّست من الأسباب، التي جعلت من التيار الصدري يحاول أن يحافظ على خصوصيته، ولو أن هذا التيار انشق على ذاته فيما بعد الاحتلال. كما أعطته إحساساً أكبر بمظلومية رمزه، الذي رحل إلى الملكوت الأعلى، ولم تجعله ينسى من تواطؤوا على هذا الرمز. إن محاور المقارنة في هذا المجال كثيرة بين الفريقين على صعيد القواعد والرموز، وهي لا تقتصر فقط على من كان أكثر حرصاً من الآخر، «المرجعية» أو التيار الصدري، على درء مخاطر صدام «شيعي ــ شيعي».

لا نريد أن نسهب أكثر بالأسباب الجوهرية، التي دعتنا لإعطاء الأولوية لملف «المرجعية» في ظل الاحتلال الأميركي للعراق، فبالإمكان سرد العديد من الأسباب الأخرى، التي لم ترد في السياق العام للكتاب ودون إدراجها بالضرورة في ما تقدم من منهجه لهذا الفصل منه، ولكن يبقى أن نشير أيضاً إلى ضرورة التدوين التاريخي القائم على تحليل الأحداث وإنتاج الرؤى والأفكار، وربما أن هذا التدوين التاريخي لهذا الدور وتحليل أبعاده وإنتاج أفكار جديدة حوله لا يحتاج كثيراً إلى الوثائق السرية، التي قد تثبت أموراً كانت في الماضي تحتاج إلى إثبات بتلك الوثائق، لان علنية الأحداث المرتبطة بالملف «المرجعي» بعد الاحتلال وجدله، ومعايشة الناس لها، أو أن الناس أصبحت جزءاً من جدلها الصاخب، بالإضافة إلى النصوص الصحفية الوفيرة حولها يجعل المهمة، التي نقوم بها أقل عناءً وأكثر تماسكاً، وهذا ما قد يلمسه القارىء ببساطة في فصول الكتاب ويحكم على أفكاره وتحليلاته بمعاناة أقل ودون الحاجة إلى وثائق سرية غير منشورة من قبل.

الفصل التاسع

"حوزة" ثورية .. "حوزة" اميركية
مقارنة .. بأختزالات ثورية !!

صدمة فجائية وهذيان "قيادي"

حول رؤية مقارنة للفعل الثوري بين «حوزتي» قم والنجف يمكن القول: إن العودة إلى تاريخ «الحوزتين» البعيد، يدخل في إطار المكرور الكتابي المعروف، المدون بمئات الكتب والمجلدات.. ولذا فإن أية مقارنة في الإطار الثوري يمكن أن تعود إلى النصف الثاني من القرن الماضي في كل من إيران والعراق.. ففي إيران بدأت إرهاصات حادة وقوية تتدرج في إطار العمل الثوري «الحوزوي والحركي» كتلك التي قام بها الشهيد نواب صفوي، ثم آية الله كاشاني، وثورة مصدق، وصولاً إلى أحداث خرداد الثورية، التي قادها الإمام الخميني، وختاماً بانتصار ثورته في العام ١٩٧٩م، هذا في إيران أما في العراق فإن بداية تأسيس العمل الإسلامي على يد الشهيد الصدر الأول، كانت هي البداية الفكرية، التي كان ينبغي لها أن تندفع اجتماعياً في مرحلة كانت تسمح بهذا الاندفاع.. وفي ظل ممكن احتضاني ـ اجتماعي لهذا التأسيس الفكري بما يحوله إلى عمل ثوري ميداني للانقضاض على السلطة، إلا أن «إصلاحية محسن الحكيم المحدودة» و«مرحلية حزب الدعوة القالبية، الهندسية» حاصرت هذا الممكن الثوري، الذي ضيع في مراحل صراعية «هشة» كانت تسمح له بالانفجار، لولا محاصرة الفكر الثوري الصدري بهاتين الكماشتين.. إضافة إلى بعض العقبات الثانوية، التي كان يمكن لها أن تزال لو قدر لذلك الحصار أن لا يكون بشكله الذي حصل، ولانتهى واقع العراق الى واقع مغاير.

وقد كتبنا ما يكفي عن هذه الممكنات المضيعة في مسار العمل الإسلامي في العراق... وبدا للقاصي والداني حقيقة ذلك الواقع المأساوي، الذي تُوج باستشهاد الصدر الأول بقرار ذاتي، كان يرى فيه «حلاً» وحيداً لتشريع تثوير الواقع الاجتماعي وإحراج «الحوزة» الخاضعة والراضخة إلى السلطة. وسارت الأمور بإيقاعها الدموي السلبي حتى انفجار الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١م، كحدث ثوري مفصلي جماهيري في تاريخ العراق، غابت عنه «الحوزة وزعاماتها الداخلية والخارجية»، وهي إذا ما حضرت في الداخل فحضورها لا يعدو أن يكون إلا حضوراً لإدارة الموتى وحفظ «النظام» العام فقط!!! واختزن هذا الحدث معاني حضور الأمة وإمكانية استجابتها، التي ضيعت تاريخياً، وبدت الصورة المقارنة بحيث أن «زعامة حوزوية» إيرانية كانت تسعى لتثوير الأمة فنجحت وأسست دولة، بينما في العراق كانت امة ثورية تحضر في لحظات أزموية فتتنصل عنها «زعامة الحوزة» النجفية. وبما أن موقع «الزعامة الحوزوية العليا» في النجف ممسوك دولياً واقليمياً، تحولت على اثر ذلك إلى قاتل لزعماء «الحوزة» الثوار ــ الصدرين، ومن سبقوهم ــ وأمتهما الثورية... واندفع هذا المشهد بشكل مأساوي أيام الاحتلال الأميركي للعراق، فقد اصطفت «الحوزة» إلى جانب المحتل، والتعاون معه للإجهاز على أية مقاومة ثورية إسلامية له.

إنها مفارقة مؤلمة بحق، تضطرنا إلى النظر فيها من وجهة نظر أخرى طرحها محمد باقر الحكيم، حاولت ملامستهما بما يشبه «الهذيان المقارن»... في لحظة انكسار وعناد وفشل لتقديم صورة قسرية التركيب، تغيب ما تريد من التاريخ المعاصر بشكل فاضح.. ونحاول أن نناقش وجهة نظر السيد محمد باقر الحكيم، التي عبر عنها في محاضرة نشرتها صحيفة «الشهادة» للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ونشرناها كملحق في كتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين» وفيما يلي نص المحاضرة:

نص محاضرة لمحمد باقر الحكيم
"انتصار الثورة الاسلامية في ايران
وعدم انتصارها في العراق"

«نص محاضرة السيد محمد باقر الحكيم حول سبب انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وعدم انتصارها في العراق، كما جاء في صحيفة الشهادة العدد ٨٧٨ بتاريخ ٢/١٣ /٢٠٠١م، ضمن تحليله لظاهرة انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتأخرها في العراق، آية الله الحكيم: الساحة العراقية لم تحظ بأي هامش إعلامي أو سياسي ولو ضئيل جدا لنجاح الحركة الجماهيرية فيها.

تنويراً لأذهان الأمة وإزاحة الشكوك والأوهام، استقبل آية الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق جمعاً من السادة العلماء وطلبة الحوزة والعلماء ووجهاء الجالية العراقية المقيمة في قم المقدسة وعدد من مجاهدي فيلق بدر ليلقي فيهم محاضرة قيمة يجيب فيها عن التساؤل الثاني الذي طرحه سماحته في الأسبوع السابق وهو: (ما هي العناصر المساعدة في تحقيق انتصار الثورة الإسلامية في ايران؟)، وسؤال: ما هي الفروق الواضحة بين ظروف انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبين ظروفنا في الساحة العراقية؟

وجواباً على السؤال الأول قال سماحته: هذه العوامل إنما نشير إليها باعتبار أنها عوامل تؤثر في نجاح الثورة وأسلوبها المتبع في عملية التغيير ومن أهم هذه العوامل:

العامل الأول: شيخوخة النظام الايراني آنذاك، حيث انه لم يكن آنذاك فتياً، من خلال ما كان يعيشه النظام أيام رضا خان وانفصاله الكامل عن الأمة ونفرة الناس منه ثم الإذلال الذي مارسته قوى الاستكبار العالمي لهذا النظام وخصوصاً عندما دخلت قوى التحالف الدولي أيام الحرب العالمية الثانية إلى إيران وأسرت رضا خان ونفته

إلى جزيرة نائية حتى مات فيها ومجيء ولده كصنيعة للاستعمار، وعليه فقد كان النظام الايراني مصنفا بصورة واضحة في تبعية الغرب بحيث لا يمكن أن يعرف للناس حتى تكون له قيمة حقيقية إضافة إلى العديد من الأعمال الوحشية التي ارتكبها وانتهاكه للحرمات.

العامل الثاني: أن النظام الايراني لأسباب كثيرة اضطر إلى أن يعطي هامشاً من الحرية السياسية والإعلامية للشعب الايراني، ولذلك نلاحظ من خلال الأفلام المعروضة أن الناس كانوا يخرجون إلى الشوارع بمئات الآلاف، ويهتفون هتافات ضد الحكم ويكتفي الحكم من هؤلاء الناس بان يطلق عليهم الرصاص أحيانا والقنابل المسيلة للدموع، وعندما يهرب هذا الإنسان ويرجع الى البيت، لا يلاحق ولا يطارد ولا يصنع معه شيء، وفي اليوم الثاني يعيد الكرة، وكذلك في اليوم الثالث والرابع، والناس عندما يسقط عندهم شهيداً كانوا يشيعونه، والجريح منهم يذهبون به إلى المستشفى ويعالجونه كما هو الحال في أي بلد من بلدان العالم التي تعيش حالة من الحرية. وأما في الهامش الإعلامي فإن وسائل الإعلام العالمية كانت إبان أحداث الثورة في إيران موجودة وحاضرة في الساحة تعكس التحركات اليومية لأبناء الشعب الايراني. وهذان الهامشان عاملان مهمان جداً في العوامل المساعدة لتنامي الثورة والوصول إلى أهدافها ويعطي كذلك زخماً معنوياً كبيراً جداً للناس مما يؤدي إلى تفاعلهم مع الأحداث وخصوصاً عندما تنشر وتشاهد على شاشة التلفزيون أو صفحات الجرائد اليومية.

العامل الثالث: القمع كان محدوداً بمعنى أن النظام كان يقمع تحركات الشعب الايراني ولكن هذا القمع كان محدوداً، فمثلاً كان يطلق الرصاص على المتظاهرين أحيانا وليس في كل حين، ويستخدم القنابل المسيلة للدموع في تفريق المتظاهرين إلى غير ذلك من الوسائل التي تتناقلها وسائل الإعلام، ففي طيلة خمسة عشر عاما منذ حركة الإمام (رض) وحتى انتصارها مع كثرة الأحداث لم يستخدم النظام ولا مرة واحدة سلاح الدبابات، نعم قد نزلت الدبابات إلى الشوارع ولكن لم تستخدم أسلحتها، كما لم يستخدم كذلك ولا مرة واحدة طائرات الهيليوكوبتر كسلاح ضد المتظاهرين.

نعم قد تحلق احياناً لغرض الاستطلاع ولكنها لم تستخدم كسلاح ضد المتظاهرين إلى غير ذلك من الأمثلة فهو لم يستخدم صواريخ ارض ارض أو غير ذلك من الأسلحة المدمرة والفتاكة ضد المتظاهرين ولا مرة واحدة، كما انه لم يهدم ولا مؤسسة واحدة من المؤسسات التي ينطلق منها المتظاهرون، فالمدرسة الفيضية مثلا بالرغم من أنها كانت مركزا للأحداث خلال سنين الثورة إلا أنها لم تتعرض لأي إيذاء على مستوى البناء.. كل هذا وغيره يدل على أن القمع كان محدوداً، ومن خلال الأرقام يمكن معرفة حقيقة ذلك ان المعممين مثلاً في إيران كانوا حوالي مائة وخمسون ألفاً من خلال المعلومات المتوفرة لدينا آنذاك ولكن عدد الذين استشهدوا خلال سنوات الثورة قد لا يصل إلى عشرة فقط من ذلك العدد، أما في العراق فإن عدد المعممين حوالي سبعة آلاف أي انه أقل من عشر ذلك العدد ولكن المئات منهم قتلهم النظام في العراق، ومن خلال هذا يمكن المقايسة ومعرفة كون القمع محدودا وبلا حدود وعلى هذا يمكن معرفة الأسباب الحقيقية وراء عدم تحرك الشعب العراقي قياساً إلى حركة الشعب الايراني.

العامل الرابع: وحدة الموقف (الطائفي) والقومي للشعب في ايران، بمعنى أن السلطة في إيران لم يكن لديها موقف مضاد لحركة الشعب من الناحية المذهبية، أي أن السلطة الحاكمة تنتمي إلى غير مذهب الجماهير المتظاهرة في الشوارع الأمر الذي يقلل من أحقادها نحوها، وكذلك من الناحية القومية فإن الذين بيدهم السلطة لم يختلفوا قومياً مع الناس المتظاهرين في الشوارع بمعنى انه لم يكن انقسام قومي أو مذهبي كما هو الحال مثلا الآن في اسرائيل، فلو كانت المظاهرات التي يقوم بها الشعب الفلسطيني مثلاً من اليهود لأسقطت الكيان الصهيوني وأن كان ان شاء الله سيسقط، وهذا في الفهم والتحليل السياسي لابد أن يلحظ وإن كان مع الأسف أن الكثير من المحللين السياسيين لا يفهمون هذه الحقيقة بالنسبة إلى أوضاعنا في العراق. فالساحة العراقية لم تحظ بأي هامش إعلامي أو سياسي ولو ضئيل جدا، فالنظام العراقي يقتل على الكلمة بل حتى على المنام، الإنسان عندما يرى مناماً مثلا في صدام فانه يقتل فضلا عن أن يرمي رصاصة أو ينزل إلى الشارع مثلاً، فكثيراً من الناس قتلوا بسبب

خطابا واحدا كالشيخ عبد العزيز البدري فانه بمجرد أن ألقى خطاباً واحداً انتقد فيه الاشتراكية فإن النظام اعتقله في اليوم التالي وأعدمه وألقى بجثته أمام المسجد الذي خطب فيه. إذا فالهامش السياسي غير موجود في العراق اطلاقاً وهكذا الأمر بالنسبة إلى الهامش الإعلامي، فالأحداث التي تشاهدونها عن الساحة الفلسطينية مثلاً لم ينقلها الفلسطينيون وانما تنقلها وسائل الاعلام العالمية لأنها حاضرة في الساحة تنقل الأخبار والأحداث أولا بأول، أما في العراق فلا توجد وسائل اعلام، وأن وجدت فهي مقيدة بحركة النظام ولا يسمح لها بنشر أو نقل أي خبر إلا بعد موافقته.

الموضوع المهم في أوضاعنا عندما نريد اجراء المقارنة هو موضوع القيادة فالقيادة في إيران قيادة ربانية متمثلة بالإمام (رض) وهو (مرجع) المسلمين فالناس مرتبطون به سياسياً وأن كان خطابه السياسي له تأثير طبعاً ولكن قبل هذا الخطاب الناس مرتبطون به معنويا وشرعياً ودينياً وثقافياً إضافة إلى أنهم يرجعون إليه في التقليد والارتباط السياسي في الحقيقة عبارة عن توسعة لدائرة ذلك الارتباط المعنوي وتعميق وتجذير وتطوير له، فحتى الناس الذين لا يقلدونه مثلا كانوا ينظرون إليه كـ (مرجع) من (مراجع) المسلمين وعليه فيكون قوله له انطباع خاص، لأنه يمثل موقفاً وحكماً شرعياً خصوصاً وأن (المرجعية) في إيران تعيش تشكيلات قوية جداً في الأمة من خلال مؤسسات قوية جداً كالمساجد والحسينيات. وهذا بخلافه في العراق فالإمام الحكيم (رض) مثلاً بالرغم من كونه (مرجعاً) عظيماً من (مراجع) المسلمين إلا أن الزمن لم يسمح له إلا في سنة واحدة وبعدها بسنة واحدة نال شرف الشهادة، أو الوفاة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشهيد الصدر (رض) بمجرد تصديه بسنة واحدة نال شرف الشهادة وعلى هذا فساحتنا العراقية فاقدة لهذا النوع من القيادة الربانية. قد يكون هناك بعض العلماء جزاهم الله خيراً قصدوا الاستمرار بهذه المسيرة ولكنهم لم يتصدوا من موقع القيادة الربانية أي من موقع (المرجعية الدينية). وهذه قضية مهمة جداً عندما نريد أن نقارن بين أوضاعنا في الساحة العراقية والايرانية. وأوضح مثل في هذا المجال مقايسة الانتفاضة الشعبانية بما جرى في يوم الثاني والعشرين من بهمن فيقول البعض ان الناس ثاروا في الثاني والعشرين من بهمن وانتصروا بينما أبناء الشعب

العراقي انتفضوا وقاموا بهذه الحركة المجيدة ولكن لم ينتصروا؟

إن من الأسباب في ذلك التي يدعيها البعض هو عدم توحد الشعب وفقدان عنصر النظام، وآخرون يقولون إن السبب هو عدم دخول القيادة إلى داخل العراق لقيادة الناس[1]، ورابع يقول: إن السبب هو تدخل القوى الأجنبية وهي التي أفشلت الانتفاضة إلى غير ذلك من التفسيرات. إن الفارق المهم بين الحدثين هو تلك الخصوصيات والعوامل المساعدة التي أشرنا اليها فالانتفاضة واجهت قمعاً لا محدوداً حيث استخدم النظام فيها صواريخ ارض ارض ضد المتظاهرين، واستخدمت مختلف أنواع الأسلحة الفتاكة من خلال طائرات الهيليوكوبتر والدبابات ومدافع بعيدة المدى حتى قصفت مراقد أهل البيت (ع) والمؤسسات الدينية من مساجد ومدارس علمية إلى غير ذلك من الشواهد التي لا تحتاج إلى مزيد بيان.

وهكذا بالنسبة إلى قضية القوى الأجنبية، فاميركا لم تتدخل في إيران لأن حركة الشعب قد بلغت مستوى معين من ناحية كما ان الهامش السياسي والإعلامي الموجودان آنذاك لم يسمحا لأميركا بالتدخل لأنه يجعلها مكشوفة ومفضوحة. أما في العراق فإن أميركا هي التي زودت النظام العراقي بالوقود ليستخدم الدبابات والطائرات والمدافع والصواريخ ضد المتظاهرين وتدمير المؤسسات، ولذلك عندما ذكرت هذا الأمر عند اللجنة العسكرية في مجلس العموم البريطاني في لندن اندهشوا وقالوا سوف نتحقق من الأمر ونفضح الولايات المتحدة الاميركية.. فلو كان هناك هامشاً اعلامياً وسياسياً ولو ضئيلاً في الساحة العراقية لما اختفت هذه الأمور وكثير غيرها على العالم.. النظام استخدم الأسلحة الكيماوية في الانتفاضة، ولكن الفرنسيين مثلاً لم ينشروا هذا الخبر على قناة التلفزيون الثانية إلا بعد شهر من قمع الانتفاضة. ولو كان في وقته لأمكن على الأقل فضح النظام اعلامياً وتشكيل ضغط ولو قليل عليه. وهكذا

---

(١) إن هذا السبب يعد السبب المركزي الذي دفع باقر الحكيم في حينه الى إلقاء محاضرته هذه، وهو السبب الذي أثرناه نحن في كتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، وفي كتابات أخرى، كما أثاره بعض الكتاب من العراقيين.

الأمر بالنسبة إلى موضوع فقدان القيادة الربانية وبالتالي عدم حضورها في الساحة فالإمام الخوئي (رض) (مرجع) كبير ودخل الساحة بكل وجوده وشكل لجنة، وقد يقول البعض إن السبب ان القيادة السياسية لم تحضر، مثلاً لم يحضر محمد باقر.. فيقيسون قضيتنا مع ما بالساحة الإيرانية.. الإمام (رض) حضر في الساحة وقاتل بينما هؤلاء البعض جالسين في قصورهم، بمعنى ان السبب في فشل الانتفاضة أربعة أو خمسة أشخاص جالسين في طهران أو في قم! ولو دخلوا لانتهت الأمور ونجحت الانتفاضة. إن هذا الكلام في الواقع يدل على بساطة وسذاجة وعدم فهم لأغراض تختلف باختلاف الأشخاص الذين يتكلمون به، إذا أردنا أن نحلل الأمر بصورة دقيقة نتساءل: ان الإمام رضي الله عنه كيف حضر في إيران؟ أنتم تشاهدون الأفلام والإمام حضر إلى إيران بطائرة فرنسية ونزل بصورة رسمية الطائرة نزلت في مطار مهراباد الدولي واستقبلته كل الجماهير ولم يدخل إلى إيران متنكراً في زيه.. بمعنى ان الأوضاع السياسية في إيران قد نضجت إلى درجة أن الشعب الايراني تمكن أن يسيطر بصورة فعلية على العاصمة لا على مدينة بعيدة كتبريز مثلاً!!

هذه الحقائق يجب معرفتها الأمر الذي اضطرنا إلى تبديل منهجنا فعمدنا إلى تأسيس المؤسسات لأن أي (مرجع) لم يتمكن التصدي لأن من تصدى أو يتصدى يقتله النظام، النظام في إيران لم يقتل الإمام بل نفاه، والحال أنه قادر على اغتياله.

في العراق تصدى (المراجع) والعلماء، الشيخ الغزوي والبروجردي لم يتصدوا إلى أكثر من عمل ثقافي عام كصلاة جمعة أو جماعة كما هو الحال بالنسبة إلى الشهيد الصدر الثاني (رض) ولكن مع ذلك لم يتحمل النظام ذلك.

هذه الأمور هي التي اضطرتنا إلى تأسيس المؤسسات كالمجلس الأعلى وفيلق بدر والحال ان البعض يدعي أنه لا داعي لهذه الامور، ان هؤلاء في الواقع يخلطون بين الأمور.. اننا عمدنا إلى تأسيس هذه المؤسسات لأننا ومنذ ما يقرب من عشرين عاماً كانت رؤيتنا واضحة للساحة العراقية... فلا عتب اصلا على (مرجع) أبداً لأن أي (مرجع) تصدى أو يتصدى فانه يقتل، (المراجع) محجوزون في بيوتهم ولذلك لابد من تأسيس هذه المؤسسات أولاً، ثم العمل على تنظيم الأمة ثانياً، وثالثاً لابد من استخدام

العمل العسكري كمنهج عام على ساحتنا العراقية لأن لكل بلد استراتيجية خاصة تحتم عليه سلوك طريق معين.. فالساحة اللبنانية لم يجد فيها نفعاً اسلوب المظاهرات ولذلك اعتمدت الاسلوب العسكري كأساس لها.. ساحتنا العراقية كذلك تشهد فوارق قومية ومذهبية على مستوى القيادة والأمة، فأحد الأسباب الرئيسية التي اجهضت الانتفاضة ان السلطة بيد جماعة يختلفون مذهبياً وقومياً مع الناس.. ولذلك نجد الانتفاضة تحددت في مناطق محدودة، وهذا بسبب المخاوف التي يثيرها النظام دائماً الأمر الذي يتحتم علينا ضرورة ازالة هذه المخاوف وطمأنة الجميع. هذه خصوصيات وغيرها يجب مراعاتها اضافة إلى العناصر الثابتة التي أشرت اليها في المحاضرات السابقة، كلها ينبغي مراعاتها عند دراسة الثورة الإسلامية في العراق أو في أي بلد....

صحيفة الشهادة ـــ قم المقدسة»

اختزال الزمن "الحكيمي"
من اربعين سنة الى واحدة !!

إلى هنا انتهى نص محاضرة محمد باقر الحكيم.

إن قارئ هذه المحاضرة المطولة، التي ألقاها السيد محمد باقر الحكيم، ونشرتها صحيفة «الشهادة» بتاريخ ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م العدد / «٨٧٨»، لابد انه سيكون أمام «نزهة دموية» و«سياحة دموية» في ساحة العراق، وما شهده خلال التسعة سنوات الماضية، بدءاً من العام ٢٠٠١م، حتى ٢٠٠٨م.

فما بين تاريخ المحاضرة، وبين الحاضر، على القارئ أن يلاحظ الفوارق «الثورية» ليس بين «الحوزتين القمية والنجفية»، ولا بين الساحتين الإيرانية والعراقية.. ولكن بين ثورية «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق» وبين «المجلس الاعلى الإسلامي العراقي» في ظل الاحتلال.. فقد تحققت «الثورة» ومعناها

في عقل زعماء المجلس المخبوء، وعقل الظاهرة الحكيمية، انطلاقاً من مسارها الخميني، حتى الاحتلال الأميركي للعراق. أي بدءاً من «طربوش الإصلاح المحدود» الذي البس على رأس السيد محسن الحكيم، ومحطاته «الثورية» بلغة باقر الحكيم، التي اختزلها في محاضرته تلك بسنة واحدة قبل وسام «الشهادة» أو الوفاة، فـ «الإمام الحكيم (رض) مثلاً بالرغم من كونه (مرجعاً) عظيماً من (مراجع) المسلمين، إلا أن الزمن لم يسمح له إلا سنة واحدة، وبعدها بسنة نال شرف الشهادة أو الوفاة»!!!

يا له من زمن، ويا له من اعتراف، ويا له من ارتباك، ويا له من «هذيان».. ففي معادلة الزمن كم هو سيئ ذلك الزمن، الذي يقارب الأربعين عاماً، التي قضاها السيد محسن الحكيم «زعيماً للحوزة ومرجعاً أعلى لها ومرشحا لها قبل تصديه بخمسة سنوات»؟ وكم هو «ملعون» ذلك الزمن الذي سار ضد طموحاته «الثورية المرجعية» لمدة «٣٩» عاماً متواصلة؟! وكم «سريع» ذلك الزمن.. انه كلمح البصر!! وكم هو قصير وهارب بحيث لم تمسكه قبضة «المرجع الثورية»، و«إرادته النضالية»؟!! فالزمن وفق هذه الرؤية هو «المسؤول»، والذين عاشوه هم المسؤولون، والمسؤولية تقع على أحداثه وصخبه أيضاً، وليس على عاتق «المرجع الأعلى» الذي كان الزعيم عبد الكريم قاسم يجلس جنب قدميه على سريره في المستشفى!!! والذي كان ابنه «مهدي الحكيم» يرفع سماعة التلفون مهاتفاً عبد الرحمن عارف «مهدداً» اياه!!، والذي احتج قبل ذلك كله على «الملك» ولم يستقبله إلا في المكان، الذي يريد هذا «المرجع الأعلى» وليس في المكان الذي يريده الملك!!.. «المسؤول» هو «الزمن» بلقطاته المارة ذات الدلالة مع السلطان الحاكم، وبإمكانية استجابة الأمة له ــ لــ «المرجع الأعلى» ــ عندما قرر التحرك، ثم التراجع!! الزمن هو «المسؤول» عندما ملاه الشهيد الصدر الأول تأسيساً، ثم إيقافاً لهذا التأسيس وتكتيفاً له، وإعادته إلى سجن «الحوزة»!! الزمن هو المسؤول عن كل شيء!!

... زمن العراق في ظل «مرجعية الحكيم» كان نوعاً من «الهذيان» الأربعيني الناقص سنة واحدة «مُعترف» بها.. بأنها «سنة الفرصة» أو «سنة الفعل» بالنسبة لــ «المرجع الأعلى»، والسؤال هو لماذا الاعتراف بهذه السنة دون غيرها، هل لأنها

زمن قصير غير كاف لتفريغ ثورية «المرجع» وتحويلها إلى انتصار؟!!

وإذا كان الأمر هكذا، فانه لا يعدو أن يكون اعترافاً إما بـــ «حضور» أمة توفرت لهذا «المرجع» أو بتوفر «فرصة انقلاب» عسكري لم تنجح، أو...الخ، ولكن بالنتيجة إن هذا الاعتراف هو الآخر «اعتراف هذياني» لا داعي لان نكرر الكلام حوله وعنه.

وما بين ذلك الزمن الطويل «العراقي الهذياني».. والاعتراف «الهذياني» بسنة «الفرصة».. يمتد تاريخ طويل للظاهرة الحكيمية، برز فيها اسم «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق»... وكان نص المحاضرة «متمسكاً بالثورية»... إلا أنه في غضون سنتي «٢٠٠١م إلى ٢٠٠٣م» «تحققت» هذه «الثورية»، وما عاد لها من مسوغ كمفردة عنوانية من مفردات اسم المجلس، فقُرر رفعها بعد حين، ورفعت فعلاً عندما «حررت أميركا العراق من صدام حسين»!!، وعندما انتصرت «الثورية الأميركية».. إذ لا يوجد أي سبب آخر لرفع مفردة «الثورية»، سوى كون هذه «الثورية» تعني «الثورية الأميركية» والعمل معها ضد «الثورية الصدرية» التي لا تريد الاحتلال الأميركي وتؤمن بمقاومته. وبالطبع لم ينفرد المجلس الأعلى بهكذا «ثورية أميركية» كنهاية لمسيرته.. ففي زمن محاضرة محمد باقر الحكيم كانت إرهاصات «النزوح» نحو هذه «الثورية» قد شكلت ظاهرة واضحة لحزب الدعوة الإسلامية، والظاهرة الشيرازية وممثلها السياسي «منظمة العمل الإسلامي»، وهذا ما سنعود إليه لاحقاً.

"شيخوخة" النظام الشاهنشاهي و"فتوة" الانظمة العراقية !!

إن نص المحاضرة يتسلح بـــ «شيخوخة» نظام الشاه السابق، كسبب من أسباب نجاح ثورة الإمام الخميني، في وقت كان فيه نظام صدام لم يُصب بعد بهذه الشيخوخة!! وبالطبع لم يوضح النص ماذا يعني بالشيخوخة في عالم «إسلامي»

و«نظم إسلامية ملكية» في الكثير من نقاطه. فإذا كانت الشيخوخة معياراً للنظم الانقلابية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وهي لم تكن كذلك، إلا بعد أن انقضى تقريباً عصر الانقلابات العسكرية، فهي لا تصلح من الأساس كمعيار للنظم الملكية، كتلك السائدة في الخليج وشمال افريقيا، وابن شاه إيران كان أبوه يعده للزعامة الملكية ــ الوراثية.

أما إذا كانت الشيخوخة، التي يعنيها نص باقر الحكيم، هي شيخوخة «سياسية» بمعنى الجدل السياسي، الاجتماعي، الايراني، فإن هذا الجدل، الذي طغى فيه النشاط الإسلامي، وتراكم واندفع اندفاعات حادة، لم يأت من فراغ.. ولم يسجل صعوده بالصدفة، وانما جاء امتداداً لعمل إسلامي متواصل ومضن، وكفاح مسلح إسلامي شهدته الساحة الإيرانية منذ أربعينيات القرن الماضي، وكانت السبب في صعوده على حساب التيارات السياسية ــ الاجتماعية الأخرى، كالتيار القومي، وحزب «تودة» الشيوعي وقوى سياسية «وطنية» أخرى بما فيها منظمة «مجاهدي خلق»... ومن الصدف أن الساحتين الإيرانية والعراقية كانتا تعيشان الجدل ذاته تقريبا في تلك الفترة.. إلا أن الساحة العراقية كان الحكيم «الشاهنشاهي» هو المسؤول الأول عن إيقاف تصاعد التيار الإسلامي فيها، بحكم إعادة الشهيد الصدر الأول إلى «سجن الحوزة»، بينما الساحة الإيرانية، وبعد نفي الإمام الخميني اثر قيادته لأحداث العام ١٩٦٣م، كانت تعج بنشاط الإسلاميين، سواء «الحوزويين» التجديديين، أو المثقفين الدينيين كالشهيد علي شريعتي.. فأية شيخوخة إذن تلك التي يعنيها باقر الحكيم في نصه الآنف الذكر؟ وإذا كانت هذه الشيخوخة قدراً لسقوط شاه إيران، لماذا لم يسقطه «مجاهدو خلق» أو الشيوعيون الإيرانيون، أو غيرهم؟

وبعد ذلك كله إذا أريد لهذه الشيخوخة أن تفهم من سياق المحاضرة، فهي لا يمكن أن تفهم إلا تهويناً لثورة الإمام الخميني، وللجهود التي بذلها، ونضاله المرير مع شاه إيران الذي أدى به إلى نفيه، وأدى بالإمام إلى الإصرار والعناد على مواصلة العمل الثوري مع الداخل الايراني عبر توجيهاته بـــ «الكاسيت».. كما أنها لا تفهم إلا تهويناً وتسطيحاً لعمل جيل من الرواد الإسلاميين، الذين بذلوا جهوداً جبارة أثمرت انتصاراً تحت شجاعة وراية الإمام الخميني.

"التبعية" الشاهنشاهية

و"التبعية" الاسلامية !!

إن سبباً آخر يسوقه محمد باقر الحكيم في انتصار الثورة الإسلامية في إيران وعدم انتصارها في العراق، هو أكثر إثارة في خوائه وسذاجته من السبب الأول، ويتمثل بقوله «وكونه مصنفاً بصورة واضحة في تبعية الغرب، بحيث لا يمكن أن يعرف للناس حتى تكون له قيمة حقيقية إضافة إلى العديد من الأعمال الوحشية التي ارتكبها»...

... إن هذا الكلام بإيحائه الحاد ـــ سواء كان مقصوداً أو غير مقصود ـــ بتهوين انجاز الإمام الخميني كزعيم لأكبر ثورة شهدها التاريخ الإسلامي.. ينم عن المستوى المعرفي والثقافي لقائله، ذلك أن المواطن المسلم العادي بثقافته المتواضعة، يعي أن مركزية «الإسلام» انتهت مع انهيار كيانه المركزي المتمثل بـــ «الدولة العثمانية»، وبان التبعية للغرب، لم تعد تبعية نظام هنا، أو هناك... بل هي أخذت من المديات ما جعلها عنواناً للأمة الإسلامية بكاملها... وهي امة أرادت من خلال حركات التحرر العربية والإسلامية أن تخرج من إطار هذه التبعية للغرب، الذي استولى على «مركزية العالم» كبديل عن «مركزية الإسلام».. ومن ثم فشلت، وأن مشاريع فكرية وحزبية ونهضوية تحت العناوين الإسلامية والقومية والوطنية ما استطاعت ان تعيد ذات الأمة إلى هويتها كدولة ونظام. وبالتالي إذا كان نظام شاه إيران السابق معروفاً بتبعيته للغرب، فهو كباقي الأنظمة الإسلامية التابعة له، كما أن تبعيته لم تُعرف قبل انتصار ثورة الإمام الخميني بسنة أو سنتين، لا، إن هذه التبعية كانت سمة من سماته طوال قرن من الزمن، وتدخل الغرب لإسقاط ثورة مصدق، مثل محطة في مسار الحياة السياسية الإيرانية المعاصرة، فإذا كان وضوح أو عدم وضوح التبعية هو سبب

في نجاح الثورة، فهل أحداث ١٩٦٣م، التي قادها الإمام الخميني جاءت في لحظة عدم وضوح تبعية شاه إيران للغرب؟ إذ إن نص محمد باقر الحكيم، الذي يقول مواصلاً كلامه عن «التبعية» «بحيث لا يمكن أن يُعرف للناس حتى تكون له قيمة حقيقية».. إنما يحاول أن يقول إن النظام الشاهنشاهي كان في موقع متهرئ سيؤول إلى السقوط، وهو لا يحتاج إلى الكثير من الجهود، لكي يسقط!!! وهذا هو الآخر يندرج في إطار التهوين من منجز الإمام الخميني.

اسلحة شاهنشاهية "استعراضية"
اسلحة عراقية "تدميرية" !!

إن نصوص محمد باقر الحكيم المطولة، تدعي بان «القمع في إيران كان محدوداً» ولم تستخدم الدبابات وصواريخ ارض ارض من قبل شاه إيران السابق... وهذا الكلام يساق ككلام مقارن للحالة الإسلامية في العراق، التي تعرضت لأقصى حالات القمع، التي يصفها المتحدث في العراق. ولا نريد أن نذهب إلى ابعد من مفردة «الهذيان» التي أدرجناها توصيفاً في مناقشة فقرات المقارنة الآنفة... فالهذيان كصفة غير كافية هنا... عندما يختزل أربعة عقود أو أكثر من تاريخ كل من إيران والعراق إلى «سنتين» أو بالأحرى محطتين، المحطة الإيرانية، وهي محطة أو سنة انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والمحطة العراقية، وهي السنة التي تحرك فيها «الإمام» الحكيم ضد نظام البكر ــ صدام في بواكير مجيئه للسلطة.. ثم يتم ذلك «البتر التاريخي» الصارخ كله متوجاً بانتقائية، من خلال سحب التاريخ اللاحق لما بعد نجاح الثورة الإسلامية بحوالي (١٢) عام، لالتقاط أحداث عراقية إبان انتفاضة ١٩٩١م، لتعزيز هذه المقارنة، التي تختصر مسيرة أربعين عاماً من العمل الإسلامي في كل من إيران والعراق، إلى مقارنة لحظتين، أو محطتين، أو سنتين.

فيقرر باقر الحكيم أن «القمع في إيران كان محدوداً وأن النظام لم يستخدم سلاح الدبابات وصواريخ ارض ارض».. لكنه يسوق هذا الكلام بدون الـ «متى» والـ «كيف»!!! فتاريخ الثورة الإسلامية في إيران واضح ـ وسنأتي عليه ـ وتاريخ العمل الإسلامي في العراق هو الآخر واضح، والفارق بين الأنظمة، التي واجهتهما هو فارق واضح.. ففي إيران كان الشاه ـ محمد رضا بهلوي ـ الذي خلف والده في زعامة البلد رضا خان.. ولا يتزامن عهد رضا خان إلا قليلا مع فترة تصدي السيد محسن الحكيم لـ «المرجعية» في العراق.. إذا نحن أمام نظام واحد في إيران، بزعامة شاه إيران تقريباً، الذي يقول عنه السيد باقر الحكيم بأنه «كان يمارس القمع بحدود» ومحدودية القمع هذه كانت عاملاً من عوامل نجاح الثورة في إيران، وعدم نجاحها في العراق!! وما يبعث على السخرية حقاً، هو رصد الصورة على الجانب العراقي، الذي شهد ستة عهود مقابل عهد شاه إيران، فقد شهد العهد الملكي، ثم عهد عبد الكريم قاسم، وبعدها عهد عبد السلام عارف، ثم عهد عبد الرحمن عارف، وبعده عهد البكر ـ صدام، ثم أخيراً عهد صدام حسين كحاكم دكتاتوري مطلق... عهد واحد في إيران مقابل ستة عهود في العراق، ونظام حكم واحد في إيران مقابل ستة أنظمة حكم في العراق... وقد واكب السيد محسن الحكيم هذه العهود الستة، وكانت «الظروف لم تسمح له» حسب كلام باقر الحكيم، إلا في «السنة الأخيرة» لحياته، أي في عهد البكر ـ صدام حسين!!! ولا يعرف احد هل جرب الاسلاميون بـ «مرجعهم» الأعلى التحرك الثوري، وقيادة الناس في العهود، التي سبقت ذلك العهد، وقوبلت بالدبابات وصواريخ ارض ارض؟ وهل بإمكان احدٍ أن ينكر أن الناس تحركت طوعاً للالتفاف حول حركة والده في تلك «السنة» وزهد بها؟ ولماذا لم يتحرك السيد محسن الحكيم قبل هذه السنة إذا كان يفكر بالحركة الثورية واستلام السلطة أو الدولة؟ فقد قضى أربعين عاماً في موقع «المسؤولية» منها خمس وثلاثون في موقع «المرجعية العليا» وخمس سبقتها كان يفترض بها أن تكون سنوات وجود «ميداني» له لكي يحصل على هذا «الموقع المرجعي»... ثم إذا أخذنا بكلام السيد باقر الحكيم المار الذكر فيكفيه اعترافاً من خلال النص أن والده لم يفكر بـ «العمل الثوري الاسقاطي للسلطة» خلال (٣٩) عاماً... وهي أعوام «رخوة»، امنياً بالنسبة لـ

«السنة» التي قرر التحرك فيها إبان فترة البكر ـــ صدام، وهل سمع احدٌ من الناس بصواريخ ارض ـــ ارض قد استخدمها نظام من الأنظمة الخمسة، التي سبقت نظام صدام حسين داخل العراق ضد الإسلاميين أو غيرهم؟ فإذا كان سلاح «الدبابات» قد استخدم في صراع الانقلابات العسكرية لتلك العهود، ونزلت إلى الشوارع ـــ بغض النظر عن استخدامها ضد الناس أو، لا، ـــ فإن هذا السلاح لم يستخدم أصلاً ضد الإسلاميين، وضد «مرجعية» الحكيم، لأنهم لم يقرروا النزول إلى الشارع لاستلام السلطة، أو لممارسة عمل جماهيري ثوري في الطريق إليها؟ إذن أين ومتى وكيف واجهت الحركة الإسلامية في العراق، أو «مرجعية» الحكيم دبابات تلك العهود وصواريخ ارض ـــ ارض، لكي تصبح في موقع المقارنة مع «القمع الايراني المحدود للناس»؟ أم أنها «مرجعية» بادرت أو جربت العمل الثوري في أوساط الناس وحثتهم إلى العمل الثوري وصولاً إلى «تأسيس دولة إسلامية»، وجوبهت بالدبابات وصواريخ ارض ـــ ارض؟

إنه لأمر غريب حقاً، أن نسحب استخدام نظام صدام حسين، الذي استلم السلطة بعدما يقارب العشرة سنوات من وفاة السيد محسن الحكيم لصواريخ ارض ـــ ارض، ونضعه في موقع المقارنة «القمعية»، ونعتبره عاملاً من العوامل، التي أعاقت نجاح «الثورة الإسلامية في العراق في ظل مرجعية الحكيم»!!!

وفي عهد البكر ـــ صدام، لم يسمع احد بان صواريخ ارض ـــ ارض استخدمت في مواجهة تحرك ثوري إسلامي، أما ما قبل هذا العهد، فقد تحركت الناس مساندة لقرار تصدي السيد محسن الحكيم للسلطة طوعاً وهو الذي زهد بها وأوقف تحركها، وما قبل ذلك لم يجرب احد، لا «المرجع الأعلى الحكيم»، ولا حزب الدعوة الإسلامية، التحرك الثوري، حتى يتعرض لقمع الدبابات والصواريخ... نعم كان الشهيد الصدر الأول يبادر ويتحرك بألم من اجل استثمار الفرص، وتحريك الأمة وتثويرها، إلا أنهما ـــ الحكيم «المرجع» وحزب الدعوة ـــ حالا دون إتمام مشروعه واعادته «المرجعية العليا منذ المرحلة التأسيسية الأولى لعمله إلى سجن الحوزة».

إنها كانت «عهوداً ذهبية» لتحرك ثوري إسلامي «ندم» الشهيد الصدر الأول في

ما بعد على عدم استثمارها و«التمرد» على من سجنوه، وضيعوا على العراق كله فرصاً لخلاصه... عهود ستينية من القرن الماضي كانت فيها إيران تهتز بواقع ثوري أدى إلى نفي الإمام الخميني... في حين كان «الحكيم ـ الأب» الذي لم «تتوفر له فرصة التحرك إلا لسنة واحدة» كما يقول الحكيم ـ الابن، ضد تحرك الإمام الخميني في إيران، وعلى علاقات ودية مع عدوه شاه إيران.

هكذا تبدو القراءات المقارنة وإلا فلا!!! وهكذا يختزل التاريخ أو بالأحرى يحذف وإلا فلا!!! هكذا تكون القراءة العلمية للأحداث وإلا فلا!!! هكذا تكون «الحقيقة» وإلا فلا!!! أن التاريخ وقراءاته، والحقيقة وعلميتها سيكونان فداءً لــ «الأسرية» وزعامتها، ثم أي تاريخ وأي حقيقة؟ إنهما اللذان لم يمض عليهما مئات السنين.. بل هما ماثلان كتاريخ حاضر بأشخاصه ورموزه، لا الإسلامية فقط، بل اختر منها ما شئت، واذهب باحثاً أو بالأحرى سائلاً حولها آنى شئت!!! ثم إنني لا أعرف أحداً «مثقفاً» كان أم أمياً بحاجة إلى هذا السؤال، فالعراقيون عاشوا عهودهم الملكية والقاسمية والعارفية وعهد البكر ــ صدام، وبإمكان أي احد منهم أن يقول لنا إذا ما تعرض الاسلاميون إلى قمع دبابات أو صواريخ ارض ــ ارض ــ قبل عهد صدام حسين ــ، لكي نصدق بعدها «المقارنة العلمية» للسيد باقر الحكيم، وبالفارق القمعي كعامل من عوامل عدم انتصار الثورة الإسلامية في العراق، ثم انتصارها في إيران!!

"صك براءة مجاني" للاعلام الدولي !!

ومن أدوات القمع العسكرية كعامل من عوامل «المقارنة العلمية»، وكفارق ناقشناه بين الساحتين الإيرانية والعراقية وحراكهما «الثوري» الذي أوصل إلى الانتصار في إيران، ولم يوصل إليه في العراق، لم يسقط السيد محمد باقر الحكيم من هذه المقارنة، الدور الإعلامي، وعامل الإعلام كأحد العوامل المركزية المسؤولة عن النجاح

والفشل، والذي انتصب هو الآخر لصالح الساحة الإيرانية، بينما طرحت الساحة العراقية منه نتيجة غياب التحرك الإعلامي من قبل كفوئين عراقيين، ولا علاقة للأمر ـ كما ستنطوي عبارات السيد باقر الحكيم اللاحقة ـ بسلامة «الضمير السياسي والإعلامي الدولي»، فهو وبصورة غير مباشرة أعطى «صك براءة» أو «ابرء ذمة العالم» حينما اعتبره غير عارف بما كان يدور في العراق، وأن هذا «الضمير الدولي» صدم ذات مرة، عندما أطلعه السيد باقر الحكيم على الجرائم التي اقترفها صدام حسين في العراق!! وقبل أن ندرج نصوص هذا «الانجاز» الذي انتهى إلى صدمة ثم «وعد» بالحركة «الدولية» لكشف هذه الجرائم، فانه يقول في إطار مقارنته والفارق الإعلامي ودوره «واما الهامش الإعلامي، فإن وسائل الإعلام العالمية كانت إبان أحداث الثورة في إيران موجودة وحاضرة في الساحة تعلن التحركات لأبناء الشعب»..لاحظ مرة أخرى «الانتقائية العلمية» لمقارنة يفترض بها أن تغطي ما لا يقل عن أربعة عقود من العمل الإسلامي في إيران والعراق، ومحور العراق، هو «مرجعية» «الإمام الحكيم» والدفاع عنه!! فعندما نأتي بالفارق الإعلامي المقارن نختار لحظة انتصار الثورة الإسلامية في إيران ونضمها إلى المسار المقارن برمته كسبب من أسباب عدم انتصار الثورة الإسلامية في العراق... يبدو الأمر وكأن هذه الثورة التي هزت العالم برمته في لحظة أحداثها قبل وبعد الانتصار، جاءت معلقة بالهواء، وجاءت بالصدفة، كأن الشعب الايراني بملايينه، الذي اجبر العالم كله على أن يرصد تحركه إعلامياً وسياسياً، وأن دولاً كبرى كانت في حالة من الاستنفار القصوى، وأن إسرائيل كانت تراقب المشهد ليقول بعدها رئيس الوزراء الصهيوني السابق مناحين بيغن «لقد نزل الزلزال على رأس إسرائيل»... كأن هذا الشعب كان نائماً ذات ليلة، وحلم حلماً جماعياً للرجال والنساء والشباب والشابات بأن عليه أن يخرج عند الصباح، ليواجه نظام الشاه وأجهزته الأمنية!!! ثم بعد ذلك جاءت وسائل الإعلام متطوعة لتغطي «الحلم الثوري الايراني» هذا، فيما الشعب العراقي لم يرزق مثل ذلك «الحلم الليلي»، ولم «يثُر»، وبالتالي فمن أين له بإعلاميين يتطوعون لتغطية أحداثه!! بينما النظام العراقي «يقتل على المنام» ـ حسب نص باقر الحكيم ـ الذي يقول أيضاً «إذن الهامش السياسي غير موجود في الساحة العراقية أطلاقاً، وهكذا

الأمر بالنسبة للهامش الإعلامي» ما هذه المقارنة؟ وكيف نصفها؟ هل هي مقارنة «الأحلام» و«المنام» أم مقارنة «حرمة الأسرة والإمام ــ الإمام الحكيم »؟

ومهما يكن من أمر، فلنا عودة إلى حركة الشعب الايراني الثورية، وتراكمها كأحداث فرضت ذاتها على العالم اعلامياً وسياسياً.. وعندما لم يكن هنالك تراكم لأحداث شبيهة في العراق فسوف يغيب الإعلام قطعاً، لان الإحداث وحجمها وتراكمها ومسارها هي التي تفرض ذاتها على الإعلام «المتواطئ» دائماً في هذا العالم، وهو عندما يغطيها، يغطيها «مرغماً» وبطرقه وأساليبه الخاصة.

.. وعندما لا يصل التراكم الحدثي، أو يغيب الحدث أصلاً ــ خلال أربعين عاماً ــ فترة زعامة السيد محسن الحكيم ــ فكيف «يرغم» الإعلام على التغطية، ومع ذلك فإن الإعلام «أرغم» على الحضور الجزئي في تلك «السنة» التي تحرك فيها السيد محسن الحكيم، وبفضل سفر الشهيد محمد باقر الصدر إلى لبنان لاستيلاد حركة سياسية وإعلامية داعمة «عسى» أن تدفع بالحكيم ــ الأب ــ إلى الصمود في المواجهة، التي توافرت عناصرها الداخلية من خلال الوفود العشائرية وغيرها، وتطوعها للدفاع عن «المرجعية الحكيمية»، ثم جازف الشهيد الصدر الأول بحياته عندما سافر إلى لبنان، وأدى دوره بالكامل، ونجح جزئياً فيه وعاد إلى العراق بعد تراجع «المرجعية»، مهدداً بالموت دون أن يأبه به.

"الحرية" الشاهنشاهية
"دكتاتورية" الانظمة العراقية !!

عاد بعدما «أرغم» الإعلام والسياسة جزئياً على الحضور، ومن اجل ذلك الدعم الإعلامي والسياسي الخارجي كان الصدر الأول يرمي بنفسه في ساحة الموت «البعثي العراقي»... ومن اجل «عسى» اقناعية لـــ «المرجعية» بمواصلة تحركها،

وهنا سنلحظ من هو «الفدائي» في ما يرتبط بالإعلام والسياسة وغيرهما على «عسى»، وليس على «اطمئنان» بان مجازفته بحياته تلك قد تؤدي أهدافها.

سنعرف من هو الفدائي... الشهيد الصدر الأول بفعلته تلك أم السيد محمد باقر الحكيم، الذي يعطي بصورة غير مباشرة «صك براءة» للإعلام الدولي ولـ «خبثاء» السياسة الدولية؟ ومن يريد أن يسرق التاريخ وأحداثه ويطمر دور هذا الفدائي، وريث الأنبياء والأئمة (ع) على طوال التاريخ العراقي.

نعود إلى نصوص الحكيم لنرى «فدائيته الاعلامية والسياسية» مقارنة بفدائية الشهيد محمد باقر الصدر، فهو يقول ـ كما مر معنا ـ «أما في العراق فإن أميركا هي التي زودت النظام العراقي بالوقود ليستخدم الدبابات والطائرات والمدافع والصواريخ ضد المتظاهرين، وتدمير المؤسسات، ولذلك عندما ذكرت هذا الأمر عند اللجنة العسكرية في مجلس العموم البريطاني في لندن اندهشوا، وقالوا سوف نتحقق من الأمر، ونفضح الولايات المتحدة الأميركية»!!!

قارن بين فدائية الصدر الأول ومنجزاته وتهديد حياته بالموت، رهاناً على الـ «عسى» التي تطرقنا لها، وبين «منجز» باقر الحكيم، الذي استقبل استقبالاً رسمياً أثناء زيارته إلى لندن! قارن بين من يريد أن «يرغم» الإعلام على الحضور والى ساحة الحدث العراقي، الذي تقوده «المرجعية» المترددة عبر المجازفة بحياته، وبين «ثورية» باقر الحكيم و«منجزه» الثوري الإحضاري للسياسة والإعلام في سياق أحداث لاحقة، تخلف هو، وليس والده عن اللحاق بها وقيادة الناس الثائرة ضد صدام حسين وحكمه الجائر! فهذا «المنجز» الحكيمي تمثل بـ «اندهاش» اللجنة العسكرية في مجلس العموم البريطاني!!! فقد اندهش هؤلاء «المساكين» الذين يفترض بهم إما أنهم «أميون» لا يقرأون ما كتبته الصحافة البريطانية عن انتفاضة آذار / شعبان / ١٩٩١م، التي تعتبر اكبر حدث ثوري شهده القرن الماضي في العراق!!! وإما أنهم «طرشان» لا يسمعون التغطية الإعلامية لأحداث هذه الانتفاضة، وطرق إبادتها من خلال الراديو والتلفاز!! أو أنهم «عسكر» لا علاقة لهم بالشأن السياسي، ولذلك اندهشوا!! ولا ندري بعدها لماذا يشرح لهم السيد باقر الحكيم طرق إبادة صدام حسين

للناس إذا كان «لا شأن لهم بالسياسة»؟

ثم وعدوه بأنهم «سوف يتحركون ضد الولايات المتحدة الأميركية» بعد اطلاعهم على هذه «الإبادة السرية»؟

ما هذا الهراء؟ لا بل ما هذا (؟؟؟؟)؟!!!!

إن إنساناً متوازنا لا يسمح لنفسه بأن يخوض في هكذا أمور، وباقر الحكيم لم يكن «ساذجاً» إلى هذه الدرجة، كما انه كان «يشترط» لسفره أن تستقبله مواقع الدولة المسؤولة الكبرى، التي يريد زيارتها، وهو إذن طامح سياسي نحو الزعامة، عبر بوابتها «اللندنية» والأميركية، لا عبر بوابة «الموت» اللبنانية، التي سلكها الشهيد الصدر الأول على «عسى» إعطاء «المرجعية» زخماً يدفعها نحو الحركة ضد نظام جديد العهد، قبل أن يستفحل أمره، ويقود العراق كله إلى «جهنم الدنيا».. وهذا ما حصل.

ومع ذلك كله لا يستقيم الكلام المقارن لباقر الحكيم مع طموح زعامته «اللندنية ــ الأميركية» بحيث يفترض «حرية» ايرانية في ظل الحكم الشاهنشاهي مقابل «دكتاتورية» العهود العراقية التي زامنته.. إلا أن الرجل وجد نفسه مأزوماً بين مساره ومسار والده معاً، وما رتبته هذه الأزمة عليه من نكبات كان على رأسها غضب العراقيين في أحداث مسجد إمام أعظم المعروفة، ثم كانت نكبة انكشاف التاريخ السياسي الإسلامي للعراق، الذي ينزف في حينها في حصار دولي جائر.

ولعل مقارنته تلك جاءت بعد الضجة، التي أثارها بحثنا في المؤتمر «اليتيم» للشهيد محمد باقر الصدر في طهران، فقد أثار البحث في حينه ضجة كبرى اوجزناها في كتابنا «محمد باقر الصدر بين دكتاتورتين»... إن باقر الحكيم كان يؤسس لزعامته دوليا، ويعاني من قمة الانكسار محلياً، في أزمة مصداقية «ثورية» في تاريخ العمل الإسلامي العراقي. وعناداً مع هذا الشعب العراقي، راح يقارن بهذه الطريقة بين إيران والعراق، وعناداً معه كان يتشبث بخيار الزعامة «اللندنية ــ الأميركية» ولا شيء آخر يفسر ذلك.

فرصة "المنفى"
بين الخميني والصدر الاول

نعم لنتجول مع هذه المقارنة «العلمية جداً» باعتبارها نموذجاً بارزاً تداخلياً بين العمل الثوري الإسلامي في إيران والعراق عبر قادة «حوزتين». وأسباب فشله في العراق بسبب «فوارق الساحتين» التي تجول بها هذه المقارنة، ونحن اذ نستغرق فيها فذلك مرده لانها وضعت «اليد على الجرج» كما يقولون.. بحكم تداخل محور الفعل الثوري في «الحوزتين» من خلال مكان ضم كل من الإمام الخميني والسيد محسن الحكيم لثلاثة عشر عاماً ــ وهو مكان الإمام علي بن أبي طالب ــ النجف الاشرف ــ التي حولوها إلى «قبور» وإلى «حراس» لها يحتلون في بعض الأحيان «موقع المرجعية العليا». ومرة أخرى نستغرق فيها لأنها خبطت «خبط عشواء» كل شيء، بكل شيء عبر فوارق مفتعلة، ناقشنا قسماً منها، والباقي أمر واخطر من ذلك مما يسوقه السيد محمد باقر الحكيم كدليل مقارن بين ساحتي الــ «حوزتين» ودورهما، وفشل أحداهما وانتصار الأخرى، وعلى حساب الشهيد محمد باقر الصدر، و«فشل» تحركه نتيجة وحشية النظام الحاكم، الذي لا يعرف غير لغة الدم، والقتل إزاء «أي مرجع»... وقبل أن نناقش مدلولات ذلك الإحضار لاسم الصدر الأول، لابد أن نقول إنه ليس قدراً كما يصوره محمد باقر الحكيم أن تكون حركة كل «مرجع» في العراق نتيجتها «القتل الحتمي».. ولنا في مثال الشهيد محمد باقر الصدر، بكل ما مثل تحركه من تحدي بطولي لم يعرفه لا تاريخ «الحوزة النجفية» ولا حتى تاريخ «الحوزة القمية» نموذجاً فريداً... فهو تحدى أسوء عهد من العهود الستة، أو الأنظمة الستة، التي حكمت العراق، مقابل نظام واحد حكم إيران كزمن للفترة المقارنة التي أجراها... انه عهد صدام حسين الدموي، المرشح الدولي لمهمة لا يمكن لنظام أن يقوم بها سواه، وهي مهمة التصدي لثورة الإمام الخميني بغية إسقاطها... ولا داعي لتوصيف نظام

صدام حسين، ومقارنته بالأنظمة الخمسة، التي سبقته من حيث دمويتها، أو درجة هذه الدموية... ولا داعي للمقارنة بين من يتصدى ويتحدى نظاماً صدامياً يسحب جرائمه محمد باقر الحكيم «قسراً» على العهود، التي سبقته، ومن عاش تلك العهود الرخوة امنياً ولم يتصد، لا نريد أن نقارن بين محمد باقر الصدر، الذي قضى حياته مجازفات، كمجازفته في السفر إلى لبنان من اجل إعطاء زخم معنوي لـ «مرجعية الحكيم» على رهان الـ «عسى»، و«مجازفته» الاستشهادية.. بارادة نبوية، حسينية، لم يعرفها «التاريخ الشيعي» من قبل.

إن الشهيد محمد باقر الصدر استفز النظام الدموي الأكثر رعباً وعنفاً وخوفاً من التيار الإسلامي طوال عهد الدولة العراقية الحديثة، التي انهارت بفعل الاحتلال الأميركي.. لا بل تحداها وتحدى مندوبين من المحاورين إياه، وأطلق صرخات الاستشهاد الواعي، وسجل واقعته الرامزة لكل ارث الأنبياء والأئمة (ع)... سجلها في سجل الخلود الإلهي الأرضي، الذي لا يستطيع جبابرة الكون كله، وأصنامه وخصومه كلهم من «المراجع العليا» أن يشوهوا هذا الخلود... انه.. باقر الصدر، كان يوجه لكماته لسلطة هي الأقسى ـ كما قلنا ـ بلا توقف، لكمة تلو الأخرى.. وهو لم يتردد في إعلان تأييده للخميني، بجرأة قل نظيرها، ولم يتلكأ بإقامة الفاتحة على روح مطهري في «حوزة النجف»، التي تغص في حينها بعملاء بريطانيا والسلطة معاً من «المرجعيات والعمائم»، ولم يتردد في اتخاذ قرار مواجهة هذه السلطة الدموية، بدءاً بوفود البيعة وانتهاءً برفض كل عروض السلطة عليه لإيقاف تحركه... فهل كانت أقسى سلطة دموية شهدها العراق في دولته الحديثة لا تعرف إلا لغة «قتل المراجع»؟ وإذا كانت هكذا، لماذا حاورت الصدر الأول أكثر من مرة، وهي حوارات لم تكن أقسى من قرار «النفي» الذي يسوقه باقر الحكيم بالنسبة للسيد الخميني... فقد أعطى نظام صدام حسين فرصاً للصدر الأول اكبر من فرصة النفي، وتراجع في طلباته منه إلى أن يصدر تصريحاً بأية صيغة يقول فيه «إن لا مشكلة لديه مع النظام»... الم يكن هذا الإجراء «فرصة نفي» أعطاها نظام صدام للصدر الأول؟ ثم الم يقترح عليه النعماني وأخته الشهيدة الطاهرة بنت الهدى «اختيار المنفى» ورفض ذلك بحزم وإرادة

حديدية، لا تلين؟ ولو لم تكن «فرصة النفي» ممكنة له، فكيف تتحول إلى مقترح للاثنين ــ الشيخ النعماني والشهيدة بنت الهدى ــ إذ إزاء مقولة السيد باقر الحكيم بان «شاه إيران أقصى ما فعله مع الإمام الخميني انه نفاه، ولم يقتله»؟ نقول إن أسوأ نظام عرفه تاريخ دولة العراق الحديث اعطى الشهيد محمد باقر الصدر «فرصة النفي»، ولم يقبل بها.

وللأمانة التاريخية، ونحن نؤيد ما قاله باقر الحكيم من أن قيادة الإمام الخميني هي قيادة ربانية، لم يكن لها مثيل في العراق.. للأمانة نقول، ومع قناعتنا المطلقة بـ «ربانية» الإمام الخميني، ففي محور «النفي» كان الشهيد الصدر الأول سباقاً في رفضه حتى على «الإمام الخميني»، الذي لا يشكل ذلك له مثلبة، ولا نسوقه هنا في إطار «التفاضل» بين الاثنين، لأنهم من مدرسة واحدة، مع اختلاف ظروفهم، وساحاتهم الثورية، لكن لا يستطيع احد ــ أياً كان ــ أن يقترب من دلالات رفض الشهيد محمد باقر الصدر لـ «ممكن النفي» الذي كان متاحاً أمامه... ووفرته له السلطة، في التاريخ الإسلامي كله، وليس «الشيعي» فقط، لهذا كان من الخالدين والحاملين لمشروع الحسين (ع) الاستشهادي، والباحثين عن لحظة ترجمته، والمرددين المرة تلو الأخرى للطموح الاستشهادي على الطريقة الحسينية، ثم القائل الوحيد في «حوزة» النجف، إن هذه الأمة الميتة تحتاج إلى «أرتال من الدماء تعادل دم الإمام الحسين» لكي تعود إلى دينها... إذا قارنا هذه اللحظة الصدرية ــ الحسينية إزاء صدام حسين الدموي، بلحظة الأربعين سنة، التي عاشها «مرجعاً أعلى» بمقدماته لسنوات خمسة أولى، فأين تصل بنا هذه المقارنة؟ ان السيد محسن الحكيم لم يواجه حاكماً كصدام حسين، بل واجه حاكما ملكاً «يركض» وراء اللقاء به و«بشروطه»، ولم «يواجه» سوى عبد الكريم قاسم، الذي يجلس عند قدميه على سريره في المستشفى، ويقابله الحكيم بالعداء والعمل ضده، ولم «يواجه» سوى عبد السلام عارف، الذي كان يطلب اللقاء تلو اللقاء بالسيد محسن الحكيم، وهو يرفض، ولم «يواجه» سوى عبد الرحمن عارف، الذي يهدده ابنه مهدي الحكيم بالتلفون، والذي كان قصره مفتوحاً لزيارة أي معمم في أي وقت، وبالاتصال التلفوني المباشر. ولم «يواجه» سوى عهد

حكم «البكر ـــ صدام» بالسنة، التي تطرق لها باقر الحكيم، وتلك مواجهة قيل فيها ما قيل، إذ ماذا لو كان قد واجه حكم صدام حسين الدموي؟ وهل بالإمكان تصور ذلك؟ وأين نضع ذلك التاريخ كله لـــ «مرجعية» محسن الحكيم العظيمة كما يصفها ولده في نصوصه، من مواجهة الشهيد الصدر الأول بسياقها الذي وضحنا؟ أية نكبة وأية نكبات، وأية محنة وأية محن يمكن تصورها إزاء واقع «حوزة» النجف في ضوء هذه المقارنة، وانعكاساتها على الشعب العراقي كله؟

أما إذا ما انتلقنا إلى مقارنة ثورية الصدر الأول بكل حلقاتها، مع «ثورية باقر الحكيم» ـــ صاحب المقارنة ـــ فإننا سنكون أمام امتحان أمر وأدهى، لا بل إن السؤال أصلاً هل يوجد وجه لهذهِ المقارنة مع السيد محسن الحكيم، حتى نقارن ثورية الصدر الأول مع ابنه باقر الحكيم؟ إننا هنا في الحقيقة لا نقارن ولكن نمر مروراً على الأحداث، وبما يرتبط بواقع «الحوزتين» الثوري، بحكم الأسباب، التي أثرناها في ما مضى حول «مقارنة محمد باقر الحكيم» التساؤلية ـــ لماذا انتصرت الثورة الإسلامية في إيران ولم تنتصر في العراق؟ ـــ والسؤال في إطار هذا «المرور» أو «المقارنة» بين الشهيد الصدر الأول، وبين محمد باقر الحكيم، لا يبدأ من التاريخ التضامني له مع قرار والده المرتبط بالشهيد الصدر الأول عبر قصة حسين الصافي، ولا يبدأ عما فعله باقر الحكيم عندما اُتهمَ أخوه بالجاسوسية، ولا يبدأ مع عدم تصديه «الثوري»، وغيابه عن كل أحداث ١٩٧٩م، التي قادها الصدر الأول، ولا يبدأ مع قصة «القيادة النائبة» التي اشترط الحكيم ـــ الابن ـــ أن يكون هو قائدها، ولا يبدأ من «هروبه» من ساحة المواجهة العراقية في أوج صداماتها إلى «سوريا»، شأنه في ذلك شأن معظم العمائم وقيادات أحزابها الذين «هربوا»... ولا يبدأ من قصة زعامته للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ولا يبدأ من خذلان الانتفاضة الشعبانية العام ١٩٩١م، كحدث ثوري داخلي لم يشهد تاريخ العراق المعاصر مثيلاً لها، ولا، ولا، ولا...الخ.

لقد ودعت «حوزة» النجف آخر رموزها الثوريين بالصدرين الأول، والثاني، الذي له قصة أخرى، ولا يتردد صاحب المقارنة أن يأتي باسمه «مقتولاً» على يد السلطة في سياق نصه، مع كل مواقفه العدائية إزاءه رغم ما مثله من امتداد لخط الصدر الأول، متضامناً مع «الرباعي المرجعي ـــ السيستاني، الباكستاني، الأفغاني، سعيد

الحكيم» الذي حاربه بلا هوادة في الداخل، بينما هو أكمل دوره التضامني معهم من الخارج، ومن موقعه «الثوري» كزعيم للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، مع شيء من «التواطؤ» الايراني «الإسلامي».

بين "تبريز" الايرانية واربعة عشر محافظة عراقية !!

قد توقفنا عند عبارة «ولا يبدأ» بـــ «لا، ولا، ولا،» بعد أن وصلنا فيها إلى الانتفاضة الشعبانية، التي «يعتقد بعض البسطاء على أن فشلها كان بسبب عدم دخول القائد الفلاني، أو القائد العلاني» كما ورد معنا ذلك في مقارنة السيد باقر الحكيم... فلهذهِ الانتفاضة قصة، ولباقر الحكيم معها عقدة، عقدة «الادعاء الثوري» وعقدة «الأمة اللاثورية»... التي تجعل من خياراته في المواجهة مع نظام صدام حسين خيارات «لندنية ــ أميركية» ــ كما اشرنا إلى ذلك ــ، فها هي الأمة الثورية انفجرت انفجاراً لا مثيل له في تاريخ دولة العراق الحديث، وما عاد لعدم «الرهان على الأمة» من مكان في خزان الحجج والاتهامات، التي تساق بحق هذهِ الأمة، وتشتم بها بـــ «الإشارة» من آل الحكيم. فما المخرج إذن من هذا المأزق في إطار تنظيره المقارن لدور «الحوزتين» النجفية والقمية وفشل الأولى، وانتصار الثانية؟

إن المخرج جاء كاسوأ ما تكون المخارج، وحيث يكون السكوت أفضل منها جميعاً، فهو وفي سياق «التنظير» لهذا المخرج يمر مروراً عاجلاً و«داحضاً» لرأيِ، النين وصفهم بالبسطاء، الذين اخذوا عليه انه لم يلتحق بأمة ثائرة في العراق في العام ١٩٩١م، من خلال الإشارة إلى أن الأمر، هو ليس «أن محافظة كتبريز قد تحركت» حتى يؤخذ الأمر بهذهِ البساطة ويستدعي نزول القيادة إلى ميدان الحدث الثوري!!!

... إنه لأمر غريب وعجيب، فما حصل في العراق، لم يكن تحرك محافظة واحدة، كمحافظة النجف مثلاً، وإنما سقطت في الانتفاضة الشعبانية أربعة عشر

محافظة من مجموع ثمانية عشر محافظة، وهذهِ المحافظات، ولاسيما الجنوبية، كانت بأهوارها عبارة عن حاضنات ثورية أمنية لأية قيادة ثورية.. وهذا الواقع ـ ما يتعلق بعدد المحافظات ـ كررته خطابات السيد باقر الحكيم عشرات المرات، إن لم نقل مئات المرات، كما أن صحافة المجلس دونته مئات المرات، إن لم نقل آلاف المرات فكيف يا ترى بعد هذهِ «العشرات والمئات والآلاف المرات» يربط الأمر ربطاً «ذيلياً» خجولاً «وكأن الأمر يتعلق بتحرك محافظة كمحافظة تبريز مثلاً»؟!! والأمر هنا، هو أمر الانتفاضة، وعدم التحاقه هو بالذات كقائد لأمة ثورية فرضت سيطرتها على الميدان العراقي، وعلى عاصمته الدينية ـ النجف الاشرف ـ.

ولأن باقر الحكيم يدرك بأن ربطه الذيلي الخجول هذا، لا يكفي، فقد استعان في مقارنته تلك، وعلى المحور ذاته الذي نتحدث عنه متسائلاً «ثم ألم يتحرك السيد الخوئي» لقيادة أحداث الانتفاضة، وكان واضحاً للقاصي والداني أبعاد تحرك السيد الخوئي، الذي منع الثوار وضباط الجيش العراقي من التقدم نحو بغداد للاستيلاء عليها وإسقاطها، وكان ذلك ممكناً لو أعطي الإذن في حينه، ولم يكن أكيداً أن قوات التحالف ستكون قادرة آنذاك على إحباطه، وحماية العاصمة بغداد. إن السيد باقر الحكيم توج السيد الخوئي بالصفة الـ «ثورية» لأول مرة في حياته، لأنها كانت «ثورية» لابد منها لإكمال الربط «الذيلي» الخجول «المبرر» لعدم التحاقه بثوار الانتفاضة وقيادتهم.

"العمائم الشهيدة" في ايران والعراق !!

حسناً حاول السيد محمد باقر الحكيم أن «يحصن» محاضرته المقارنة، برقم إحصائي عن عدد المعممين في إيران، وعدد المعممين في العراق، و«يحكم» في ما بعد على الرغم من نسبة الفارق في العددين، كم من هؤلاء المعممين تعرض إلى القتل على يد الأنظمة الحاكمة في كلا البلدين؟ و«ليثبت» بأن عدد القتلى من المعممين في

العراق كان اكبر من عددهم في إيران.. وذلك كله كدليل وفارق بين ظروف وواقع الساحتين الإيرانية والعراقية القمعية... لكن هذا العنصر الإحصائي لم يؤسس على زمن المسار المدروس للعمل الإسلامي في كلا الساحتين، التي نجحت فيها الثورة الإسلامية في إيران، و فشلت في العراق، فهو هنا اختار المعممين كنموذج للفارق القمعي في الساحتين، ولم يختر المثقف الديني أو أبناء الشعبين العراقي والايراني، ولنقل إن حصر الإحصاء بالمعممين أسهل بالنسبة لمحاضرة كالتي مرت علينا، من القطاعات الأخرى...

السؤال هو هل من حقنا أن نعرف أن هؤلاء المعممين الكثر الذين قتلوا في العراق على يد أي نظام، ومتى وكيف وفي أي فترة زمنية؟

والسؤال الآخر هل كان بإمكان السيد باقر الحكيم أن يقول لنا كم معمم قتل في عهود دولة العراق الحديث، التي انهارت بعد الاحتلال الاميركي لها؟

والجواب واضح لدى العراقيين جميعاً، وهو انه طوال فترة هذه الدولة المنهارة في عهودها، التي سبقت عهد البكر ـ صدام، لم يتعرض معمم واحد في العراق إلى القتل على يد نظام من أنظمة العهود الأربعة، التي حكمته منذ العام ١٩٢٢م ـ حتى العام ١٩٦٩م، وهو عام مجيء نظام البكر ـ صدام.... فبما أن العراق لم يشهد عملاً اسلامياً ثورياً «مرجعياً» ـ باستثناء ثورية الصدر الأول ذات الثقل التأسيسي المركزي النجفي المكان، التي أوقفها الحكيم ـ طوال تلك الفترة، سواء التي سبقت «مرجعية الحكيم» أو التي تلتها، فكيف يتعرض المعممون للقتل؟ ولماذا تقتل هذهِ الأنظمة المعممين، أو حتى الحركيين الذين كانوا يعملون سراً على أساس فكرهم المرحلي؟ فلم يشهد تاريخ حكم لا عبد الكريم قاسم، ولا حكم عبد السلام عارف، ولا حكم عبد الرحمن عارف، تعرض احد هؤلاء الحركيين من القادة أو القواعد إلى القتل أو الإعدام، لأنهم لم يقدموا على عمل ثوري حقيقي، ولا حتى عمل إصلاحي حقيقي يتخذ صفة المشروع المتكامل، يضايق تلك الأنظمة...

ومن هنا فإن أعداد القتلى من المعممين العراقيين، الذين قدر باقر الحكيم بأنهم أكثر من أعداد القتلى من المعممين الإيرانيين حتى نجاح الثورة الإسلامية في إيران شمل

عهدين من عهود العراق الستة، وهما عهد نظام البكر ــ صدام، وعهد صدام حسين، وهما عهدان يقعان خارج فترة «مرجعية محسن الحكيم» الذي كان هدف المقارنة، ومحورها ينصب عليه. وعلى دوره هو نفسه ــ باقر الحكيم ــ وبما أن هذا الأخير اعتمد منهج القفز العشوائي بالنسبة لفترات المقارنة وأزماته، فسيستقوي «عراقياً» بعهد التسعينيات القمعي، لتعزيز عهد الخمسينيات والستينيات، وفي ظل ذلك بإمكاننا أن نسأل صاحب المقارنة عن عدد المعممين الإيرانيين، الذين قتلوا في جبهات القتال أثناء الحرب العراقية ــ الإيرانية، وعدد المعممين الذين قتلوا في عهد نظام صدام حسين أثناء تلك الفترة ــ فترة الحرب العراقية الإيرانية ــ وليس فترة مواجهة الشهيد الصدر الأول ١٩٧٩م ــ ١٩٨٠م، باعتبار أن صدام حسين أعدمهم لأنهم اختاروا طريق الشهادة بوعي مع قائدهم الصدر الأول، وقادوا المظاهرات في عدد من المدن العراقية احتجاجاً على اعتقاله، وبالتنسيق المسبق معه.

فهؤلاء قتلوا، وهم في موقع «الثوار الشهداء» ولم يقتلوا، وهم في موقع الخائفين الساكتين على ظلم صدام حسين وتنكيله بـــ «حوزة النجف» وقراراته الثائرية أو الإدارية من اجل السيطرة على «الحوزة» كمقتل الغروي والبروجردي... تلك القرارات، التي طالت هؤلاء الساكتين والشاتمين للإمام الخميني تزلفاً للسلطة، إلا أن ذلك التزلف أو سكوتهم، لم ينقذهم من ثأرية صدام حسين، ومن كون اعتبارهم ليسوا ثواراً بوجهه.

نقول إذا كان للمقارنة أن تكون وفق منهج باقر الحكيم الخالط، الذي يحدد عنوان محاضرته زمناً للمقارنة وهو «لماذا انتصرت الثورة الإسلامية في إيران ولم تنتصر في العراق؟» فالزمن المقارن بين الساحتين يتوقف عند نجاح الثورة، إلا أن محاضرة الحكيم ــ محمد باقر ــ المقارنة تذهب بمنهجها إلى ما بعد ذلك التاريخ على الساحة العراقية، وهي تتوقف عنده في ما يرتبط بالساحة الإيرانية، إذ من المفروض أن تواصل المقارنة على الساحتين أو تتوقف عندهما، وإلا سيبرز التلفيق، واللاعلمية والتبريرية، وحتى الهراء في هكذا مقارنة، ولو واصل السيد محمد باقر الحكيم مقارنته

بين الساحتين معاً، وقدم إحصائية لعدد العمائم، التي قتلت فيهما لكان الأمر أهون، لأن هنالك سبباً جوهرياً لأسباب ذلك القتل، فالذين قتلوا في إيران من المعممين، قتلوا دفاعاً عن بلدهم، وقتلوا وهم يواصلون منهجهم الثوري، الذي سنَّه لهم زعيمهم الثوري الإمام الخميني، بينما من قُتِلَ من المعممين أيام الحرب العراقية ـ الإيرانية، وحتى أيام انتفاضة شعبان آذار ١٩٩١م، قتلوا وهم في موقع الاستسلام أو في موقع اللاحركة واللافعل إزاء النظام، وبعضهم كان في موقع التزلف له ـ عبر شتم الإمام الخميني وثورته ـ وشتم الشهيد محمد باقر الصدر ومواجهته للسلطة، ولعل بعض «المراجع» لايزالون يواصلون ذلك التعامل الشتمي المعتاد ذاته للصدر الأول.. فضلاً عن الصدر الثاني، الذي مثل امتداداً لخطه، وبعضهم ممن هو «نصف عراقي» من تلك «المراجع» طعنوا علناً بـ «نسب» مقتدى الصدر أثناء احتفال شعري علني، حيث ورد اسمه في احد قصائد هؤلاء الشعراء، فانتفض «المرجع» محمد سعيد الحكيم ناهراً إياه وطاعناً بنسب «مقتدى» الصدر، لأنه ابن الشهيد محمد محمد صادق الصدر، الذي شتموه حد «الثمالة»...

ومهما يكن من أمر، فشتان بين من يقتل من المعممين، وهو في موقع الشاتم للإمام الخميني والشهيد الصدر تزلفاً للسلطة، التي ستقتله بقرارات ثأرية، وبين معممين قتلوا قبل وبعد الحرب العراقية ـ الايرانية وهم ثوار، ولو أن السيد محمد باقر الحكيم ارتكز في جملته الإحصائية الواردة في محاضرته الى هذا المنهج المقارن الطبيعي، لما سال تعاطفه مع شاه إيران «عندما يصفه اقل قمعاً من حكام العراق»، وهو يقيم في دولة الخميني التي أطاحت به، وهوّن وقلل من انجاز الخميني الثوري. الذي سنأتي عليه لاحقاً.

قيادة "ربانية" ايرانية
قيادة "غير ربانية" عراقية !!

وفي محاولة يائسة لا تقل تخبطاً عن تخبط المحاضرة برمتها، تأتي مقولة القيادة الربانية، وهي قيادة الأمام الخميني كعامل مقارن إضافي في انتصار الثورة في إيران، وعدم انتصارها في العراق.

نكرر القول فعلاً إنها قيادة ربانية عليا، وحسناً فعل السيد محمد باقر الحكيم عندما اعترف بأن هذهِ القيادة لا تشبه قيادة السيد محسن الحكيم، التي وصفها بأنها «مرجعية عظيمة جداً»، وبالتالي فأنها قيادة «غير ربانية»، لكن السؤال هو، هل «الربانية» هي عبارة عن هبة إلهية لبشر ما بعيداً عن جهود هذا البشر وأفكاره ونضاله المرير؟ هل هي قرار إلهي يتوج بها أي إنسان ودون أن يكون هذا الإنسان قد ساس ذاته وعلاقاته وأعماله وحركاته وفكره على خط الأنبياء والأئمة (ع) وعلى خط الله وقرآنه العظيم؟

إن الإمام الخميني لم يقفز إلى كرسي القيادة قفزاً مفاجئاً، ولا الله سبحانه وتعالى أعطاه وسام الربانية، دون «ربانيته الذاتية» في الفكر والعمل الدؤوب، ولو كان الأمر كذلك لوضع الله وسام الربانية على «آيات الله» الكثر الذين قضوا حياتهم يكررون المكرور داخل مخابئهم «الحوزوية»، تاركين الأمة لقدرها، رابطين علاقتهم بها بالمال و«التقليد» الفقهي المعروف، وأيضاً لأعطاها للسيد محسن الحكيم، الذي كانت كل الظروف تسمح له بأن يتحرك في مرحلة رخوة أمنياً، ولأعطاها للرباعي «المرجعي» المتحكم بـــ «حوزة النجف» التي أصبحت «حوزة» أميركية برموزها «المرجعية» وعمائمها الملتحقة بها، ولأعطاها إلى ما قبل الخميني من عمائم «الشيعة» ونحن نسأل دائماً كم خميني جاء في التاريخ «الشيعي»؟ والجواب دائماً لا يوجد إلا هو، وسؤالنا لا يأتي من باب الانتقاص من «ثوار المراجع الشيعة» الذين سبقوا الإمام الخميني، إذ لا احد بإمكانه أن يختزل تاريخ هؤلاء «المراجع الثوار» وثوريتهم.. إلا أن هذه الثورية

لم ترتق إلى ثورية الإمام الخميني بالتأكيد، وبالتالي حق القول على قيادته بأنها قيادة ربانية. ولا ننسى أن نشير في إطار صفة الربانية ودورها في انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أن هذهِ الربانية لا تسقط العوامل الأخرى، التي أقرها السيد باقر الحكيم في مقارنته تلك، سواء كانت عوامل «حوزوية» قمية أو غير قمية، وسواء كانت عوامل ترتبط بإيران المجتمع والجغرافيا والتاريخ. أو سواء ما ارتبط منها بدور الرواد من «المراجع» الثوريين، الذين وقفوا مع الإمام الخميني في ثورته أو سواء ما ارتبط بدور المثقف الديني الجبار في المجتمع الايراني، ومثلما أن هذه الربانية لا ترتبط بمعنى الانتصار، دون غيره، فمن لا ينتصر مادياً، لا تسلب منه صفة الربانية، واغلب الأنبياء (ع)، كما الأئمة «الشيعة والسنة» لم ينتصروا مادياً، إلا إنهم كانوا ربانيين، والكثير من «المراجع الثوار» لم ينتصروا في المواجهات التي خاضوها، إلا أنهم ربانيون، وكان الشهيد الصدر الأول «رباني» العراق و«الحوزة النجفية» التي ساهمت في تصفيته، كما الشهيد عبد العزيز البدري، كما الشهيد الصدر الثاني الذي مثل امتداداً لخط الصدر الأول، ولم ينتصر كل منهم بالمعنى المادي، لا لأن نظام صدام حسين كان قمعياً فقط، بل لأن «رموز الحوزة» النجفية اصطفوا ضد هذه الربانية، وساهموا بعدم وصولهم للانتصار، ولولا دور هذه الرموز، من قال بأن الصدرين الأول والثاني والبدري سوف لن يكونا ربانيين بمعنى الانتصار المادي، وفق «القانون الإلهي» ﴿إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١].

فالله سبحانه وتعالى ربط الانتصار في كتابه الكريم بالفريق القيادي المتقي، وزعيمه، ولم يربطه بالزعيم المتقي كشخص، فالخطاب القرآني خطاب جمعي في مسألة الانتصار، وعليه فإن الربانيين، كأشخاص متقين وثوريين، لم يكن الانتصار كمنجز مادي نتيجة حتمية لثوريتهم المتقية، وتاريخ النبوات، التي لم تنتصر مادياً شاهداً على ذلك، إما لسبب غياب هذا الفريق القيادي الجمعي، او لخلل في مكون الأمة الداخلي حيث ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىَ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٢]

---

(١) سورة محمد: آية ٧.

(٢) سورة الرعد: آية ١١.

إن ربانية الإمام الخميني أتيح لها أن تتبلور وتتجسد أكثر عندما تلازمت مع الانتصار لثورته الإسلامية، وكان مفروضاً للذين التحقوا به وبثورته أن يستلهموا شروط الانتصار الرباني، الذي تحقق على يد الإمام مع توافر عواملها الخارجة عن شخصه، كما كان عليهم مع الفوارق كلها بين الساحتين الإيرانية والعراقية و«الحوزتين» النجفية والقمية أن يستلهموا الخطاب الثوري الخميني، لأن ثبات هذا الخطاب لا علاقة له بهذه الفوارق، لاسيما عندما يكون خطاباً وحدوياً للمسلمين جميعاً، وليس خطاباً «طائفياً» يمثل «طموحات» شريحة من شرائح مجتمع ما كتلك «الطائفية» التي جسدها خطاب السيد محمد باقر الحكيم، الذي التحق «خطأ» بثورة الإمام الخميني، لأن شخصيته وتاريخه لا يؤهلانه لإنتاج خطاب خميني وحدوي، ومع أنه عاش إيقاعات هذا الخطاب في كنف التجربة الخمينية، إلا أنه أنتج خطاباً «طائفياً» سيناقض نفسه فيه في محاضرته المقارنة بنصها الكلي الآنف، وذلك عندما اعتبر أن احد الفوارق بين الساحتين الإيرانية والعراقية تتمثل بالعامل «الديمغرافي ــ الطائفي» الذي يغاير هوية إيران «الشيعة» ــ وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً ــ فمثل هذا الفارق في «الهويات الطائفية» للبلدين كان مفروضاً له أن يفرض أولوية الخطاب الوحدوي الإسلامي في التعاطي مع القضية العراقية، لا تعاطي خطاب «مظلومية الشيعة» الذي بقي ثابتاً من ثوابت خطابه.. هذا أولاً، وثانياً كان ينبغي للسيد محمد باقر الحكيم الملتحق «خطأ» في إيران الخمينية الثورية، ان يتعلم ثوابت هذا الخطاب في ما يرتبط في الرؤية للعالم الغربي والولايات المتحدة الأميركية بالتحديد، فقد مثل هذا المحور ثابتاً من ثوابت خطابه في الحالات والمراحل والأزمات كلها، ولم يتراجع في أي من الظروف التي واجهها ــ ونحن معنيون هنا بخطاب الإمام الخميني ومرحلته، وليس بمرحلة ما بعد رحيله ــ وإزاء هذه الثابتة من ثوابت خطابه إزاء الغرب وأميركا جسد السيد محمد باقر الحكيم نقيضها تماماً، وعاد إلى منهج والده وأخيه ــ مهدي الحكيم ــ في الرهان على الغرب من اجل التغيير في العراق، إذ لمجرد أن توقفت الحرب العراقية ــ الإيرانية، ولم تقدم له ثورة الإمام الخميني العراق كــ «هدية» يتزعمها، بدأ علاقاته السرية مع الغرب، ومع أميركا تحديداً، وتعززت هذه العلاقات بعد فشل انتفاضة آذار شعبان ١٩٩١م، وهذا ما شكل خطراً على وعي الشعب العراقي، فباقر

الحكيم الذي كان يرفض الاعتراف العلني بحواراته السرية مع الغرب والاميركان، كان يرفع أمام الناس شعار «ولاية الفقيه»، كشعار انتمائي لثورية الخميني، ويخاطب الشعب العراقي ثورياً.. وقد اضطررت في مقابلة تلفزيونية أجرتها معي فضائية «سحر الإيرانية» التي تبدل اسمها إلى «كوثر» قبل احتلال أميركا العراق بسنتين، عندما كنت في طهران مدعواً إلى مؤتمر حول فلسطين... اضطررت إلى أن أثير خطورة هذه الازدواجية في الخطاب، وقلت من على شاشة التلفزيون إن من يحتاج إلى وثائق حول ارتباط المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بأميركا منذ العام ١٩٩١م، فليتصل بي على أرقام هواتفي.

وحاول مدير البرنامج أن يوقفني عن الكلام، فردعته وواصلت «كلامي» إلى أقصاه، لما كنت اشعر به من مخاطر حول هذه الاتصالات، ولما لهذا الازدواج من مخاطر على عقول الناس، الذين ندعوهم إلى الثورة على الغرب، فيما نحن نخطط مع هذا الغرب سراً!! ذلك أن القائد هو من يكون صريحاً مع شعبه، ولكي لا يقع هذا الشعب ضحية الارتباك والالتباس التربوي الإسلامي.

خطاب ثوري ذاتي
خطاب ثوري التحاقي

ولم يكن السيد محمد باقر الحكيم صريحاً مع شعبه، وكان كلامي قد اضطر عبد العزيز الحكيم لأن يصرح لأول مرة ما مفاده «بأن علاقتنا وحواراتنا مع أميركا متواصلة منذ عشر سنوات»[1]، كما لم يكن من المستلهمين لثوابت الخطاب الخميني

(١) لاحظ هؤلاء الملتحقين من العمائم كيف يحاورون الاميركي بـ «أدب» يصل حد الذل من خلال ما يقوله بريمر حول انضمام المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق للعملية السياسية عبر حديثه عن زعيم هذا المجلس عبد العزيز الحكيم، فهو يقول «وصلنا الآن إلى المرحلة الأخيرة، لكن مازال علينا إضافة اللمسات الأخيرة على التمثيل الشيعي في مجلس ←

الثوري ليس إزاء «المسألة الطائفية» فقط، إنما إزاء التعاطي مع الغرب واميركا، ومن هنا يمكن القول أن السيد محمد باقر الحكيم لبس لباس ثورية الخميني كطريق للزعامة على العراقيين باسم الدين، ولا علاقة لمكونه الثقافي ــ المعرفي بهذه الثورية الخمينية، كما لا علاقة لتاريخه بها، كما كشفت إحدى الوثائق، التي نشرناها ملحقاً في كتابنا «محمد باقر الصدر.. بين دكتاتوريتين» وهي وثيقة يتهجم فيها على الإمام الخميني أثناء إقامته في النجف الاشرف.

وبغية إيضاح الصورة أكثر وإعادة الاطلاع على ثوابت خطاب الإمام الخميني الثوري، والمقارنة بينها وبين ليس خطاب السيد محمد باقر الحكيم «الطائفي ــ

الحكم. في ١٠ تموز/ يوليو، عقدت اجتماعاً آخر مع عبد العزيز الحكيم الذي كان لايزال متشدداً. أراد تسمية نائبه عادل مهدي، لتمثيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق في المجلس. قال لي: (علي أن أكون متفرغاً لخدمة شعبي). في هذا الخصوص، كان الحكيم يتبع تقليد الإسلام الشيعي في المنطقة (بالزهد) طالباً للحماية الشخصيّة. فقد ركز كثير من القادة الدينيّين الشيعة طاقاتهم على العلوم الدينيّة والصالح الروحاني والاجتماعي لشعبهم، حتى ظهور الثوريين الدينيين مثل آية الله الخميني على المسرح في السبعينات. فبالابتعاد عن المسرح العلماني، كان بإمكانهم في بعض الأحيان، لا دائماً بالطبع، تجنب إعدامات صدّام. قلت، (إن مجلس الحكم هو أفضل مكان لخدمة شعبك. ففيه توجد السلطة والمسؤولية). وذكرت أيضاً بشكل عابر أن التمثيل الشيعي في المجلس سيكون مهما، مع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق أو بدونه، وتلك رسالة واضحة بأننا سنسير قدماً أيا يكون قراره. (الا يمكنك معاملة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق معاملة استثنائية، بحيث نتمثل بنائبنا) (لا، كل الأحزاب الأخرى وافقت على المشاركة شخصياً. ولن يمثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إذا لم تكن في مجلس الحكم). (سأنظر في الأمر جدياً إذا منحتني بعض الضمانات).(أي ضمانات). قال مهدي الذي بقي صامتاً حتى الآن إنهم يريدون أن يحظوا (بمعاملة تفضيلية). (ذلك غير وارد على الإطلاق. لدي مسؤولياتي أمام كافة العراقيين بأن يعمل المجلس ككل. وسأكون حاضرا أمام السيد الحكيم أو أي عضو آخر في المجلس في أي وقت، أربعاً وعشرين ساعة في اليوم. لكن جوهر الديمقراطية هو التسوية والعدالة. عليك أنت وزملاؤك في المجلس العمل بجد لتسوية الخلافات في ما بينكم). وتقرر أن يراجع الحكيم لائحة أعضاء المجلس المقترحة ثم يقرر بعد ذلك. أطلعه هيوم لاحقاً على اللائحة سرا. وكما كان متوقعاً، اعترض الحكيم على اسم أحد الخصوم، وكنا قد أضفناه في اللحظة الأخيرة كإشارة مضللة لصرف الانتباه. وعندما أرسلت خبراً بأنني سأشطب الاسم إذا وافق الحكيم على المشاركة شخصياً، توصلنا إلى اتفاق». السفير بول بريمر (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غدا مرجو)، ص ١٢٦ ــ ١٢٨، مصدر سابق.

الغربي» فقط، بل بينها وبين سياسة المجلس الأعلى بعد وفاته أيضاً، ارتأينا من المناسب أن ندرج نصوصاً مطولة من كتابنا «الإمام الخميني، الخطاب ـ الدولة ـ الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي»، من ص ٤٩ إلى ٦٠، وذلك لأهمية وخطورة ما حصل لهذا العراق في ظل زعامات عمائمية، ركبت موجة الخميني، لا إيماناً بثورته، وإنما هروباً من «العراق» تاركين الشهيد الصدر الأول لقدره «الخالد» وراكضين وراء الزعامة، التي قد توفرها ثورة الأمام الخميني لهم على العراق، حسب الوعي الهابط الذي لم يكن يقدر ويحسب تعقيدات الصراع الدولي واحتمالات طول المواجهة مع الغرب، ومن أن الحرب العراقية ـ الإيرانية قد تتوقف، دون سقوط نظام صدام حسين، فمثل ذلك العقل العمائمي «العراقي» المهووس بالزعامة كان تصل به الحال أيام الحرب العراقية ـ الإيرانية الحكم على أي محلل يتوقع توقف الحرب، دون سقوط نظام صدام.. بـ «العمالة» و«الكفر» و«الزندقة» نتيجة هبوط الوعي وجنون الزعامة، وهذا ما عايشته أنا، واضطرني إلى «الاعتزال» والابتعاد عن تلك العمائم وأحزابها الحركية. أثناء تلك الحرب. على أية حال لقد جاء في كتابنا حول الخطاب الثوري للإمام الخميني النصوص المطولة التالية:

«الخطاب الثابت... الخطاب المتغير

بعد ثلاث أو أربع سنوات من عمر الثورة الإسلامية في إيران وجد العالم ذاته أمام لون من ألوان الخطاب الثوري الجديد. لون لم يكن سائداً من قبل من حيث عنصر الثبات فيه، ومن حيث مقومات وعناصر تعاطيه مع الأحداث العالمية ورموزها والجهات المعنية بها... لون يسير على وتيرة واحدة ولا يقع في أية فجوة بين الادعاء الثوري والممارسة الميدانية الثورية، كما لا يعرض ذاته بأي شكل من أشكال الخلل التناقضي، الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى غياب مصداقية الثورة، فالخطاب العلماني أو الخطاب القومي والوطني أو الخطاب (الإسلامي ـ القومي) لم يسلم من خلال التجارب الرافعة للشعار الثوري من الوقوع في تلك الفجوة أو ذلك الخلل التناقضي، وعالم اليوم عالم معقّد، ولعل احد أساليب التعقيد فيه بالنسبة لأي خطاب ثوري هو أن يجمع هذا الخطاب في تعاطيه مع الشعوب والأنظمة الرسمية محاور مفهومية واحدة

لا تفقده المعنى الثوري، ولا يجامل على حساب هذا المعنى من خلال المجال الدبلوماسي وما يمليه من مفردات مجاملة بين الدول، أو ما يمليه من غض النظر عن أشكال الظلم، التي يمارسها الطرف الدولي الآخر»[١] ليقارن بين هذا النص، وبين ما مررنا عليه من لقاء باقر الحكيم مع اللجنة العسكرية لمجلس اللوردات البريطاني!!!

«كان الإمام الخميني باعتباره يمثل خطاب الثورة، يرفض أية ازدواجية في عرض الأهداف الثورية في صور الخطاب المتعددة لديه، فهو لم يتراجع عن عرض هذه الأهداف لمجرد الضرورة الدبلوماسية، التي تتحول لدى الآخرين إلى سبب كافٍ من أسباب تحول طرف دولي إلى صديق.. إن الإمام كان لا يتعاطى هذه اللغة، ولا يبررها بأصول الدبلوماسية الدولية، أو ضوابط عرف المخاطبة الدولية، أو أي شكل من أشكال التبرير الأخرى، فبإمكان من يتابع ويقرأ ويحلل صور خطاب الإمام الثوري أن يضع يده على التعددية الإيجابية، التي تضم في طياتها دهاءً (مشروعاً).. والتعددية التي تطرح المبدأ الإسلامي الواحد بأساليب وصيغ خطابية مختلفة.. والتعددية التي تبدو ثابتة عند هذا المبدأ أمام إشكال متغيرة من الخطاب السياسي الدولي والإقليمي، الذي يتبادل معها الحديث في المناسبات الرسمية وغير الرسمية»[٢].

«ومن خلال مجموعة نصوص متقابلة من حيث الجهات المخاطبة يمكن أن نقرأ بسهولة صفة الثبات المذكورة في خطاب الثورة منذ (بهمن) الأول لها وحتى وفاة الإمام، وقبل أن ندخل في هذه النصوص لابد أن نقول هنا بأن المجال، الذي بإمكانه أن يبلور صفة الثبات بصورة واضحة هو مجال التعاطي بالحديث مع الشعوب وحركات التحرر من جهة، والحكومات والأنظمة السياسية من جهةٍ أخرى، أو ما يقال

---

(١) راجع فصل «الثبات في الخطاب الثوري»، عادل رؤوف (الإمام الخميني ـ الخطاب، الدولة، الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي)، مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه. بإمكان القارئ أن يقارن بين خطاب الخميني الثابت وبين خطاب هاشمي رفسنجاني، الذي قاله تعليقاً على عودة السيستاني للنجف من «أنها تذكرنا بعودة الخميني إلى إيران». فخطاب رفسنجاني هذا يدرج في سياق «السياسة الانتهازية» المسيئة للإمام الخميني وثورته.

عنه لغة الثورة، التي تخاطب الشعوب وتحثها للتمرد على الواقع المأساوي، الذي يلفها، ولغة الدولة، التي تسعى إلى علاقات سياسية ودبلوماسية مستقرة..

إننا نعني بصفة الثبات في خطاب الثورة ما يتحرك عليه هذا الخطاب من محاور تعاطي مبدئية وإسلامية واحدة في كلتا الحالتين، أي سواء كان موجهاً إلى الشعوب وحركات التحرر العالمية، أم موجها إلى الأنظمة السياسية ورموزها، ولنقرأ الآن نماذج من خطاب الإمام الراحل موجهاً إلى الشعوب.

يقول الإمام في حديث له بمناسبة الذكرى الأولى لانتصار الثورة الإسلامية: (ها إني من المستشفى الذي أعالج فيه، أوجه تحذيري إلى جميع الشعوب المضطهدة، وأدعوها إلى الوحدة لتحرير أوطانها من سطوة الظل الأميركي وسائر القوى المتجبرة، التي غمست يدها حتى المرفقين بدماء جميع المظلومين المكافحين في العالم) (١١ شباط ١٩٨٠م). ويقول في نداء له بمناسبة بدء أسبوع التعبئة الجماهيرية: (يا مستضعفي العالم انهضوا وأنقذوا أنفسكم من مخالب الظالمين، المجرمين، ويا مسلمي العالم الغيارى استيقظوا من سبات الغفلة، وحرروا الإسلام والبلدان الإسلامية من مخالب المستعمرين وعملائهم، ٣ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ).

وفي نداء لحجاج بيت الله الحرام، يقول الإمام: (دافعوا حيثما كنتم عن إسلامكم ووطنكم وقاوموا عدوكم المتمثل في أميركا والصهيونية العالمية والقوى الكبرى الشرقية والغربية، ولا تأخذكم في ذلك لومة لائم، في ١٣٩٩هـ). وفي مكان آخر، وفي نداء لحجاج بين الله الحرام: (أيها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام، انهضوا ووحدوا، صفوفكم تحت راية التوحيد، وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي القوى الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام، وتجنبوا الاختلافات والأهواء النفسية فإنكم تملكون كل شيء.. اعتمدوا على الفكر الإسلامي، وحاربوا الغرب والتغرب، وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق، وجددوا هويتكم، في ١٤٠٠هـ).

إن المحاور التي تحركت عليها صور خطاب الإمام الثوري هي:

١ ـــ الدعوة إلى المبادرة الثورية.

٢ ــ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ونبذ الاختلافات.

٣ ــ محور مقاومة الصهيونية، أو محور فلسطين.

٤ ــ محور مقاومة التغريب والقوى الغربية والشرقية.

٥ ــ محور العودة إلى الذات الفكرية الإسلامية الأصيلة.

وواضح أن هذه المحاور هي جزء من مجموعة المحاور التي تتحرك على أساسها مبادئ ومفاهيم الثورة الإسلامية في إيران.. ولكن هل أن الخطاب الثوري، الذي جسّد هذه المحاور من خلال تعاطيه مع الشعوب، جسدها بنفس القوة عندما تعاطى مع الأنظمة السياسية أو من يمثلها أم إنها اندثرت تحت ضرورات المجاملة الدبلوماسية التي يفرضها التعاطي مع (الدولة). وللإجابة، لابد أن نعود ثانية لخطاب الإمام، الذي يمثل خطاب الثورة أو مقياسها الأعلى، ولنقف على بعض نصوصه الموجهة إلى تلك الأنظمة، أو إلى بعض رموزها السياسية، يقول الإمام في حديث له أمام وزير خارجية تركيا (إن الأجواء المفتعلة في بلدان الشرق أدت إلى أن تكون المظاهر الغربية هدفاً ينشده شباب الشرق حتى أن بعض هؤلاء الشباب ضحوا بكل كيان أمتهم من أجل الغرب وهذه الهزيمة الروحية أفظع من كل هزائمنا). وفي حديث للإمام أمام سفراء البلدان الإسلامية في عيد الفطر المبارك (إننا عندما نقول بأننا نريد أن نصدّر ثورتنا إلى جميع البلدان الإسلامية.. بل إلى كافة البلدان التي يسيطر فيها المستكبرون على المستضعفين، فإننا نريد إيجاد وضع كهذا.. أي وضع تنتفي فيه الحكومات الظالمة المجرمة ويزول فيه العداء بين الشعب والحكومة).

وفي نص ثالث للإمام أمام سفير سوريا في طهران جاء ما يلي: (كل ضعف في المسلمين، وكل فساد في الدول الإسلامية، نابع من الحكومات. ان الحكومات ــ بسبب أنانيتها ــ تقف أمام الأجانب كالعبيد، وأمام شعوبها كالمتسلط، وروح العبودية هذه وروح التسلط، خلقتا كل المفاسد في الدول الإسلامية.. والحل هو بيد الشعوب، وعلى الشعوب أن تعامل الحكومات، التي تعمل ضد مصالح الإسلام والمسلمين نفس المعاملة التي عامل بها، الشعب الإيراني الشاه المخلوع).

وفي نص رابع يقول الإمام مخاطباً وزير الخارجية السوري: (لو اجتمع المسلمون وأدلى كل واحد منهم بدلو من الماء لتشكل سيل أزال إسرائيل، ومع ذلك فهم ضعفاء في مقابلها، إنّ في ذلك للغزاً وهو علمهم بأن مصلحتهم في اتفاقهم ووحدتهم، فلماذا لا يتحركون لذلك؟ فمتى يحل هذا اللغز؟ وعند من؟ ومن الذي سيحله غير دول الإسلام والمسلمين؟).

أربعة نماذج من أحاديث الإمام مع رموز للأنظمة السياسية القائمة تكرر نفس المفاهيم الثورية والمبادئ التي عكستها النصوص الأولى التي كان الإمام يخاطب فيها الشعوب.. والخطاب في كلا الحالتين يتطابق أولاً في قوة الدعوة إلى المبدأ الثوري الذي يدعو إليه الإمام ويمارس هذه الدعوة بنفس الوضوح، ويتحرك على نفس المحاور التي هي في حديثنا هذا: التغريب، الوحدة الإسلامية، الفكر الإسلامي، فلسطين.. ولا يوجد فاصل سلبي أو فجوة بين الحالتين في قوة طرح المفهوم والمبدأ الإسلامي.. إنها إذاً صفة الثبات التي ينفرد بها خطاب الثورة.. حيث يعبر هذا الخطاب عن نفسه بنفس القوة حينما يوجه إلى الشعوب أو إلى الحكومات»[١].

---

(١) و«على أية حال، لقد كانت الوصية نموذجاً للخطاب الثوري.. وفي إطار (الثبات) جاء فيها: (وأما وصيتي للشعوب الإسلامية فهي: أن اتخذوا حكم الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني المجاهد نموذجاً وقدوة لكم، وضعوا حداً بكل قوة لممارسات حكوماتكم الجائرة إن هي رفضت الانصياع لمطالب الشعوب، وهي كمطالب شعب إيران، فالحكومات التابعة للشرق والغرب هي علة مسكنة المسلمين). إنّ هذا النص يكرّر الدعوة إلى الثورة، ولأن الوصية خارجة عن صور المخاطبة التقليدية ينعدم فيها عنصر المقارنة الذي اعتمدناه لبلورة عامل (الثبات) المتقدم في (جسم) الخطاب الثوري العام لدى الإمام، ويتبلور هذا الثبات من خلال مقارنة (الوصية) ذاتها وهي تدعو إلى المبادرة الثورية مع الخطاب الثوري ممثلاً بتصريحات ونصوص الإمام أيام حياته، وهي تدعو الشعوب كذلك إلى ذات المبادرة الثورية، فحتى عندما يرحل الإمام عن الحياة لا تهتز اللغة الثورية التي يتحدث بها وواضح أن الخطاب الثوري الذي اتصف بالثبات كصفة من صفاته اختزن التعددية الأسلوبية، ولم يختزن التعددية المضمونية المتناقضة، كما أنه خطاب لم يعط خصوصية لمرحلة معينة من الثورة على حساب مضمون المبادئ الثورية، ولم يخضع لمنطق التأويل أو التفسير أو الضغط السياسي، فالضغط لا يزيده إلا إصراراً ←

وتأكيداً على مبادئه الأساسية، وإذا كان لنا أن نقف على نموذج من نماذجه الرافضة لتطويعه على أساس الضغط والابتزاز، فيمكن أن نأخذ هذا النموذج من مثال الموقف من (المرتد سلمان رشدي)، إذ ان قضية (سلمان رشدي) وكتابه (آيات شيطانية) جاءت في مرحلة زمنية حساسة من عمر الثورة الإسلامية في إيران، إذ هي جاءت بعد قبول الإمام الخميني بالقرار ٥٩٨ لإيقاف الحرب بين إيران والعراق، ولقد خيل للدول الغربية الكبرى أن هذا القبول أنهى عهداً من عمر الدولة الإسلامية، وبدأ عهداً جديداً، يتسم بالضعف العسكري الذي سينعكس ضعفاً على ثورية الإمام الخميني، وخطابه الثوري وقد خيل للغرب أن فتوى الإمام بإعدام هذا (المرتد) وفرت له أرضية مناسبة للابتزاز والضغط على الثورة والإمام، لإنهاء مصداقية الثورة، ولذا جاء الموقف الغربي قاسياً في سياق الرد على فتوى الإمام، حيث سحبت دول السوق الأوروبية المشتركة سفراءها من إيران دفعة واحدة، وذلك في محاولة للضغط من أجل سحب الفتوى، ولكن عندما بدا واضحاً أن هذا الضغط لم ينجح في الوصول إلى أهدافه الأوروبية، قررت هذه الدول إعادة السفراء الى إيران. لنرى الإمام الخميني كيف واجه هذا التراجع الغربي، بأية لغة وبأي خطاب؟ وقبل ذلك لنرى الإمام كيف واجه محاولة الخطوة الأوربية الضاغطة برمتها؟ يقول الإمام الخميني حول قضية (المرتد سلمان رشدي) ما يلي:(إنه لطريف جداً ومثير جداً أن هؤلاء الذين هم في الظاهر متمدنون ومفكرون عندما يجرح كاتب مرتزق بإبرة قلمه المسموم مشاعر أكثر من مليار إنسان مسلم وسيستشهد عدد في سبيل ذلك فإن هذا ليس مهماً، بل إن هذه الفاجعة هي عين الديمقراطية والتمدن، أما عندما يجري الحديث عن تنفيذ الحكم وتطبيق العدالة فإنهم يقيمون مناحة الرأفة وحب الإنسان. إننا نستنتج حقد دنيا الغرب ضد العالم الإسلامي والفقاهة من هذه اللقطات. إن هدف هؤلاء ليس الدفاع عن شخص. بل هدفهم الدفاع عن تيار معاد للإسلام والقيم. وهذا ما حرك المحافل الصهيونية والإنجليزية والأميركية وجعلهم يضعون أنفسهم بسرعة وحماقة ضد العالم الإسلامي كله). ويحلل الإمام الخميني أهداف الغرب الأخرى ويواصل الكلام قائلاً: (لا ضرورة أبداً أن نهتم في هذه الظروف والأجواء بعلاقات وروابط واسعة، إذ قد يتصور الأعداء اننا أصبحنا نهتم بالعلاقة معهم والحاجة إليهم بحيث أننا نسكت ولا نحرك ساكناً عند إهانة معتقداتنا ومقدساتنا الدينية، أولئك الذين ما يزالون يعتقدون ويحللون أننا كنا بسطاء في سياستنا ومبادئنا الدبلوماسية، وأنه ينبغي أن نعيد النظر فيها وأن لا نكرر الأخطاء السابقة، ويعتقدون أن شعارات الحرب الحادة بسبب إساءة ظن الغرب والشرق بنا، مما أدى في نتيجته إلى انزواء البلد، ولو أننا كنا اعتمدنا سياسة واقعية لكانوا عاملونا معاملة إنسانية وكانوا احترموا الإسلام والمسلمين كما احترمناهم). من خلال هذه النصوص يمكن أن نتلمس عنصر الثبات في خطاب الإمام الخميني على أساس المرحلة، فخطابه بالشعار والمصطلح والمضمون

←

لا يتلون بلون مرحلة معينة، كمرحلة الحرب العراقية ـ الإيرانية، ليعلن بعد انتهائها لونا آخرا، وذلك لأن هذا الخطاب قام على أسس كافية من الوعي بخلفيات المواجهة مع الغرب، وعلى النوايا السيئة لأكلة العالم، كما يسميهم الإمام، وإذن فخطاب وشعارات مرحلة الحرب هي ليست استثناءً في الخطاب الخميني العام، ولا يمكن أن يقال عنها: شعارات تعبوية طارئة. ولقد جاء تحليل الإمام في هذه القضية ليساهم بشكل حاسم في فرز القناعات ووضع النقاط على الحروف، ودحر المراهنات الساذجة التي كانت ترى أن المواجهة مع الغرب قد انتهت مع الحرب، وأن الخطاب الثوري سيغير إلى ما يوائم العهد الجديد، وجاءت قضية المرتد سلمان رشدي لتضع اللمسة اليقينية على بعض القناعات المرتبكة، بأن خطاب الإمام لا يتحرك مؤشره المضموني قوةً وضعفاً بناءً على مرحلة معينة، بل هو كتلة مضمونية ذات إيقاع مبدئي واحد في المصطلح والشعار، إنه خطاب لا يتأثر بالمرحلة كما مرّ في مثال (سلمان رشدي)، ولا يتأثر بالمرحلة كما أثبت من خلال أحداث عديدة مرت بها الثورة الإسلامية، فهو أيضاً قبل وبعد نجاح هذه الثورة، عبّر عن نفسه بمفهوم الكتلة المضمونية السابق ذات الإيقاع الواحد، فلم يناور في معركة كسب الوقت للتأسيس، إنما هو كان قبل وبعد نجاح الثورة يسير بوتيرة إيقاعية واحدة. ولكن وقبل أن نعزز هذا الشكل من أشكال الثبات في الخطاب الثوري للإمام الخميني لا بد أن نعود إلى مثال المرتد (سلمان رشدي)، فماذا قال الإمام بعد عودة سفراء المجموعة الأوروبية إلى طهران؟ هل ان الإمام قابل هذا التراجع الأوروبي بليونة خطابية من نوع ما؟ للإجابة نعود للخطاب، حيث ان الإمام على الفور ـ تعليقاً على هذا التراجع كما نشرته الصحافة الإيرانية والعربية ـ ونقلاً عن وكالة الأنباء الإيرانية قال: (إن سفراء دول المجموعة الأوروبية يعودون إلى طهران مجللين بالعار، إنهم يرجعون اليوم مهانين مجللين بالعار نادمين على ما فعلوا، وربما ان دول المجموعة الأوروبية لم تكن تتوقع هذا الخزي والعار في محاولة تحقيق هدفها المشؤوم» وأضاف الإمام: «إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية للثورة الإسلامية العالمية العظمى، وعلى المسؤولين الإيرانيين أن يربطوا الأحزمة وألا يتوقفوا عن الجهاد في مواجهة فساد الرأسمالية وعدوانية الشيوعية، فنحن ما نزال في الخطوات الأولى للصراع العالمي مع الغرب والشرق). ومن هنا، ينسجم الخطاب الثوري للإمام مع نفسه، فهو قبل وأثناء وبعد قضية المرتد (سلمان رشدي)، يتحرك بإيقاع متصاعد في تبين مفاهيمه الثورية، ولا يقع في الجمود أو الانزواء تحت ثقل الابتزاز السياسي، وضغط المرحلة. وعودة إلى شكل الخطاب قبل وبعد نجاح الثورة الإسلامية، فثبات الخطاب في ذلك المقطع الزمني له دلالات مهمة أيضاً من حيث ما تفرضه عادة مرحلة التحول من الثورة إلى الدولة من ضرورات لكسب الوقت، في إشاعة الهدوء وبداية التأسيس وانعكاس ذلك على الخطاب الثوري. لنقف على نماذج هذا الشكل من أشكال الثبات. يقول

←

وقد عاد المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى رهانه الأصل على الغرب واميركا، وجسد تحالفاً هو الأكثر فجاجة مع الاميركان بعد احتلال العراق، وإذا كان هنالك من دلالة على أن المسألة لدى «آل الحكيم» ــ زعماء المجلس ــ بكل

الإمام الخميني في بيان له:(في يومنا هذا تقوم كل من الصين الشيوعية والتي تدعي الثورية والشعبية وأميركا مثال الاستكبار العالمي، وروسيا مصدر الكذب والرياء، وبريطانيا العجوز بدعم نظام الشاه ضد ثورة ونهضة شعبنا المطالب بالحرية والاستقلال، لكني على يقين كبير بأن انتصار شعبنا حتمي وقريب بإذنه تعالى). وبعد يومين يقول الإمام: (يجب أن يكون هدفنا الأول والأخير هو قطع يد الأجانب والمستعمرين وعملائهم الخونة وعلى رأسهم الشاه). كان الإمام يقول: (لقد وقفنا دائماً مع الثوار الفلسطينيين ضد إسرائيل ومواقف الشاه ولم نتوان عن تقديم أي دعم للثورة الفلسطينية على مرأى ومسمع شعوب العالم). إن محورين أساسيين يرتكز عليهما الإمام من خلال هذه النصوص، وهما: مقاومة الدول الكبرى والتنديد بدورها، ومناصرة القضية الفلسطينية ومقاومة (إسرائيل) الغاصبة، لنأخذ كذلك نماذج لهذا الخطاب بعد الانتصار. يقول الإمام في اليوم الذي أعلن فيه عن يوم القدس العالمي: (إن يوم القدس يوم عالمي لا يختص بالقدس، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين، إنه يوم مواجهة الشعوب التي رزحت طويلاً تحت نير الظلم الأميركي وغير الأميركي). وهذا النص الذي قيل بعد الانتصار يجمع المحورين: محور مقاومة الصهيونية، ومحور مقاومة الدول الكبرى معاً، وهو نص يوضح الثبات في الخطاب الثوري قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية. ومن هنا يمكن القول: إن خطاب الإمام بقي ثابتاً في المضمون والمبادئ الثورية بمجمل الأشكال والمستويات التي تبرز معنى هذا الثبات:

١- إنه خطاب ثابت في مضمونه الثوري الفكري والسياسي عندما يتحدث إلى الشعوب أو إلى الدول والجهات الرسمية.
٢- ويعكس الثبات في هذا المضمون قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.
٣- وهو ثابت بمعنى أنه لا يقع في (ضرورات) المرحلة فيضطر إلى المناورة أو التأجيل في عرض أهدافه الثورية، كما في مثال الحرب العراقية ــ الإيرانية.
٤- هو خطاب يسير على وحدة مضمونية ثورية قبل وبعد أي ابتزاز وضغط سياسي خارجي، كما في مثال قضية المرتد (سلمان رشدي).
٥- وهو ثابت المضمون منذ إرهاصات الولادة الأولى له، وحتى الوصية السياسية الإلهية».

عادل رؤوف، (الإمام الخميني، الخطاب ــ الدولة ــ الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي)، ص ٤٩ ــ ٩٠، مصدر سابق.

ما قاموا به من ادوار سياسية ــ فإن هذه الدلالة تكمن في كونهم طامحين ليكونوا زعماء ــ لا رواد تغيير ــ، ولا علاقة لهم بالثورية الخمينية، التي التحقوا بها، والتي جسدها الإمام الخميني خطاباً ثورياً مررنا على بعض عيناته، وعملاً ثورياً لنا عودة إليه... ومهما تكن الظروف والأسباب فانه لمن الغريب... لا بل من المعيب جداً، أن تقدم زعامة كيان على رفع اسم الثورة من اسم الكيان في ظل احتلال اميركي للعراق، وهذا ما فعله عبد العزيز الحكيم وابنه عمار الحكيم والمستقوون بهم من أعضاء المجلس الأعلى، فثوريتهم هي الثورية الاميركية و«حوزتهم» هي «الحوزة» الاميركية... وهذا ما يوضح أن التحاقهم بالثورة، كان التحاقاً هروبياً، والتحاقاً باحثاً عن الزعامة باسم الدين... فقد ادمن بعض أولاد «المراجع» والعمائم[1] على تصور

---

(١) لاحظ ما يقوله بول بريمر بصدد حواره مع أحد العمائم الشيعية التي بادرت مبكراً للتعامل مع الاميركان، ولاحظ هم بحر العلوم في توريث الزعامة لابنه أولا، لأنه ابنه ليس إلا، لا لكفائته العلمية او دوره السياسي، وليذهب الشعب الى الجحيم!! يقول بريمر «كانت المشكلة الأخرى هي إشتراك أحد أكثر الأئمة الشيعة احتراماً في العراق، السيد محمد بحر العلوم. وهو رجل دين شيعي كبير فرّ من دكتاتورية صدام في أثناء الانتفاضة الشيعية في سنة ١٩٩١ وأمضى معظم العقد التالي في لندن لكنه لا يتكلم شيئاً من الإنكليزية تقريباً. كنت قد التقيت به عدة مرات، وفاتحناه بالأمر من خلال العديد من الوسطاء، لكنه أصرّ على موقفه بعدم المشاركة في المجلس. كنا بحاجة إلى شيعيّ آخر لمنحهم الأغلبية في المجلس الذي يضم خمسة وعشرون عضواً. وكنا نعلم أن بحر العلوم سيضيف وزناً مهماً لمجلس الحكم. دخلنا الآن ليلة الجمعة ١١ تموز / يوليو، وكنا نعتزم الكشف عن المجلس يوم الأحد في ١٣ تموز / يوليو. توصّلت أنا وساورز إلى أن علينا القيام بمسعى أخير لإقناع بحر العلوم بالمشاركة لذا توجهنا صبيحة يوم السبت إلى منزله المتواضع في بغداد. كان بحر العلوم قصير القامة ممتلئ الجسم ذا لحية طويلة بيضاء ووجنتين مستديرتين، ونظارتين سميكتين مستديرتين. وفي أثناء الاجتماع، أظهر الإمام روحه المرحة بصورة جلية. وجادلنا، أنا وجون، طوال أكثر من ثلاث ساعات في كل ما قلناه وكان سريعاً ومجادلاً ومتطلباً ومنفتح الذهن. وكان يقوم بكل ذلك وعيناه تطوفان. وقد ذكرني بكاهن يسوعي متنكر بزيّ قزم سحريّ. قدّم بحر العلوم ثلاثة أسباب لتردّده في العمل في المجلس. قال بعد أن رفع سبّابته اليمنى، (أولاً، لقد جئتم إليّ في وقت متأخر جداً من العملية وهناك العديد من الأشخاص المقترحين للمجلس لا أعرفهم). ورفع الآن الإبهام الأيمن. (ثانياً، أوضحت فتوى آية الله السيستاني وجوب أن تكتب الدستور هيئة منتخبة. وأخيراً، هنالك ثلاث مقاطعات شيعية في الجنوب غير ممثلة في المجلس). قدمنا

←

اعتذاراً شديداً لعدم اللجوء إليه شخصياً في وقت مبكر وقلنا لا شيء مما نقترح يتعارض مع الفتوى. ونحن نأمل أن تكون من أوائل الخطوات التي يقوم بها المجلس تعيين لجنة تحضيرية لتقديم المشورة بشأن كيفية كتابة الدستور. وأوضحنا أثناء عملنا لمدة شهرين لانتقاء أصغر مجلس يحظى أيضاً بصفة تمثيلية. وقلنا إن عشرة من الخمسة وعشرين عضواً ينتمون إلى الجنوب. وتواصل حوارنا حول عدد لا يحصى من أكواب الشاي، وجاء الفرج بتقديم كاسة من بوظة الفستق الشهية. وفي مرحلة ما، لاحظ ساورز انه إذا قال الإمام (لا) فسيكون الشخص الوحيد الذي يرفضنا في العراق بأكمله. وقد أطلق ذلك انتقاداً قاسياً. (لم أرفضكم. إنني راغب في التعاون معكم، لكن لا يمكنني العمل في المجلس شخصياً. أراد أن يسمي ابنه ممثلاً. قلنا لا. لا يمكننا في هذه المرحلة السماح بأي استثناءات لقاعدة الرؤساء فحسب). قلت له، (العمل معنا لا يكفي. إذا كنت تريد خدمة شعبك، عليك أن تشارك في المجلس حيث ستتخذ القرارات المهمة). أجملنا السلطات الكبيرة التي نقترح منحها لمجلس الحكم، وأوضحنا أن اللجنة التحضيرية ستقترح آلية كتابة الدستور فحسب، ولن تكتب الدستور بنفسها. وعلى المجلس أن يقرر بشأن هذه الآلية. لم يتفهم الأمر، وبدا أن ذلك يحدث اختلافاً. تأمل برهة، ثم سأل رافعاً إصبعه ثانية، (ماذا اذا أوصى المجلس بآلية لكتابة الدستور تتعارض مع فتوى السيستاني؟ أين عندئذٍ)؟ رددت بأنّ أفضل طريقة لضمان الامتثال للفتوى هي العمل في المجلس. (أجل لكن ماذا إذا وافقت غالبية المجلس على آلية تتعارض مع الفتوى)؟ الجميع يحترم الصبر في العمل، لكن بدأ ذلك يتخذ معنى خاصاً بالنسبة لي. أشار ساورز الي أنه لا يوجد أحد ممن تحدثنا إليه يحبذ تجاهل الحاجة إلى لجنة دستورية منتخبة. أمضينا الساعة التالية نناقش رغبته في تسمية ابنه للعمل مكانه. وتمسكنا بموقفنا. (إذا أنت تصر يا سعادة السفير على مشاركتي شخصياً في المجلس، أليس كذلك)؟ رددت ما كنت أقوله لآخر مرة إنها (نقطة انعطاف) في تاريخ العراق. وعلى القادة المهتمّين في المجتمع المشاركة في المجلس لكي ينجح. ويجب ألا يرتكب الشيعة الأخطاء المأساوية التي ارتكبوها في سنة ١٩٢٠. فمجلس الحكم هو المكان الأفضل للتأثير على القضايا التي تهمّ (شعبه). بعد سماع ذلك، انتقل بحر العلوم إلى النقص المزعوم في تمثيل المحافظات الشيعيّة في الجنوب: الا يمكننا إضافة ثلاثة أشخاص آخرين من هناك. قلنا فات أوان ذلك. فنحن نعتزم الإعلان عن المجلس في اليوم التالي. وأضفت بمكر، (ربما رغب المجلس في النظر في توسيع نفسه بطريقة متناسبة لاحقاً. هناك بالطبع محافظات أخرى قد تشعر أنّها غير متمثّلة بشكل جيدّ...). فقال مبتسماً، (إنني أنوي طرح هذه القضيّة باستمرار). وتوسّعت ابتسامته، (ولأنكما أقنعتمانيّ بالفعل بالانضمام إلى المجلس فقد فكّرت في انني ربما تمكّنت من تسوية الأمر).» السفير بول بريمر، (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو)، ص ١٢٨ ــ ١٣٠، مصدر سابق.

«الوافدين» الى هذا البلد، وقد استطاعوا ان يتحولوا إلى «زعماء عالميين»، و«مراجع لشيعة العالم»... فإذا كان الأمر سهلاً وبسيطاً هكذا ــ كما عاشوا وجربوا ــ فلماذا لا يصر أولاد الحكيم وأولاد الخوئي، وأولاد الشيرازي والسيستاني على «زعامة شيعية»[1] في العراق لا غيره؟!!

---

(١) ويناقش احد الكتاب كلاما للمرحوم محمد جواد مغنية في هذا الصدد قائلا: «وفي هذا الصدد كلام للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله، ونحن وإن خالفناه في مستوى الشدة وفي تصوير المسألة، إلا أن كلامه ليس نابعاً من فراغ على أية حال، وربما كان ناظراً في هذا النص إلى بعض المصاديق الخارجيّة التي عايشها رحمه الله. يقول رحمه الله. (وبهذه المناسبة نذكر أوجه الشبه بين بعض أولاد العلماء بالدين وأولاد إسرائيل، وهو الاسم الثاني ليعقوب: قال أولاد بني إسرائيل (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سورة يوسف آية ٨، وبهذا الوصف ينعت بعض أولاد العلماء آباءهم إذا قالوا كلمة أو تصرفوا تصرفاً لا يعجبهم ولا يتفق مع أهوائهم حتى ولو كان وحياً منزلاً. وقال أولاد اسرائيل: (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) سورة يوسف آية ٩. وهكذا يفعل بعض أولاد العلماء، يتآمرون على الناصح الأمين، ويدسّون عليه الدسائس والمفتريات ليخلوا لهم وجه ابيهم وللشياطين من أمثالهم، ثم يوحون إليه بما استوحوه من وسطاء الشر وعملاء الشيطان، ويقبضون الأجر بالعملة الصعبة والنقد النادر، وكلما كان التأثير بالغاً تضاعف الأجر وجاء أولاد إسرائيل على قميص يوسف (بِدَمٍ كَذِبٍ) سورة يوسف آية ١٨. وفي كل يوم يحمل بعض أولاد العلماء لآبائهم الأحاديث وروايات ابتدعوها ظلماً وزوراً ينالون بها من مقام المخلص الامين، ويرفعون من شأن الخائن العميل عند الوالد الكريم، ليأخذ منه ومنهم دون مراقب ومعاتب. وجاء أولاد إسرائيل (أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ) سورة يوسف آية ١٦، يسترون فعلتهم الشنعاء بالنفاق ودموع التماسيح. وتظاهر أولاد العلماء أمام أبيهم المقدس بالتقى والقداسة كذباً ورياء: ليخدع بدسائسهم ومؤامراتهم)». احمد عبد الله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، ص م/٥٤، مصدر سابق. «وإذا أوردنا من الروايات ما يُستفاد منه وجود خلافات بين العلماء، علت صيحات الاتهام بالوضع والتزوير والتحامل... باعتبار أن لدى الناس مصادرات أولية قبلية حول الموضوع مفادها أن (العلماء لا يختلفون)، فكلما ورد خبر يفيد اختلافهم، حملوه على هذه الكبرى الأولية التي لا مجال لمسها بحسب الفرض، باعتبارها أولية، فيتم طرح الخبر. وهذا شبيه ببحث المصادرات الذي وقع في فخه المنطق الأرسطي، الذي حسب أن التواتر يفيد اليقين لاعتماده على كبرى عقلية أولية مفادها (استحالة الاتفاق الدائمي)، إلى أن أتى دور السيد الصدر رحمه الله الذي أرشد هذا المنطق إلى أن هذه الكبرى هي بنفسها وليدة حساب الاحتمال، وأنها بعدية لا قبلية، وأن حياتها تعتمد على مدى جود أو بخل الاحتمالات تبعاً للدرجة الذي يوصل إليها تراكمها»، المصدر نفسه.

"الشهامة" الفرنسية
الخباثة الاميركية !!

لايزال ملف الخميني غير منتهٍ بعد في محاضرة السيد محمد باقر الحكيم، التي كان عنوانها «لماذا انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، ولم تنتصر في العراق؟»... فقد كانت نصوص هذه المحاضرة«الطوعية» التي لم يدعوه إليها أحد، وطوعيتها نابعة من الأسباب الآنفة الذكر، كانت نصوصها ظالمة ومجحفة بحق الإمام الخميني، ومنجزه الثوري، وتاريخ هذا المنجز المرير وأحداثه المدوية على الساحة الإيرانية، فالقول بإن قيادته «قيادة ربانية» لا يعدو عن كونه استعارة «حكيمية» لمذهب الجبرية التاريخي، إذ هي «ربانية بقدرة الله الجبرية»!! وألا فإن نصوص المحاضرة الأخرى تنطوي على ظلم وتهوين لدور الأمام الخميني، وحياته المليئة بالنضال والجهاد، ويكفي للاطلاع على ذلك العودة إلى كتابنا عن الإمام الخميني، فالسيد محمد باقر الحكيم، يقول في ما تقدم من نص المحاضرة الكلي «نتساءل ان الإمام رضي الله عنه كيف حضر إلى إيران؟ انتم تشاهدون الأفلام، والإمام حضر إلى إيران بطائرة فرنسية، نزلت في مطار مهر آباد الدولي، ونزل بصورة رسمية، واستقبلته كل الجماهير، ولم يدخل إلى إيران متنكراً في زيه.. بمعنى أن الأوضاع السياسية في إيران قد نضجت إلى درجة أن الشعب الايراني تمكن من أن يسيطر بصورة فعلية على العاصمة لا على مدينة بعيدة كتبريز مثلاً»!! ليتأمل القارئ معي، هذه العبارات بعيون مفتوحة، فالنص يريد أن يقول، بأن القيادة ما عليها إلا أن تستلم السلطة بعد أن ينجز الشعب مهمة التحرير كاملة!! وبأنها إذا أرادت أن تذهب نحو منصة الزعامة، فيجب أن تذهب بعد حسم الأمور كليةً، وإسقاط العاصمة بغداد!!.. وأيضاً لا يليق بها أن تذهب بزي متنكر، بل لابد من طائرة فرنسية محروسة تقوم بمهمة نقلها!! وفي هذه الحالة

أيضاً على الجماهير، التي أسقطت السلطة بجهودها الذاتية أن تصطف كاملة تستقبل سيادة القائد القادم!! وبغير ذلك سوف يختصر أو يلغي لسان هذا «القائد» اكبر منجز لأمة عراقية ثورية أسقطت أربعة عشر محافظة، وكانت مهيأة لاحتلال العاصمة، إلا أن قيادة الخوئي منعتها من ذلك، وسيختصر هذا المنجز العظيم، ويشبهه بإسقاط مدينة نائية كمدينة تبريز!! انه إسقاط لجهد امة واختصار أربعة عشر محافظة من مجموع ثمانية عشر محافظة عراقية إلى مدينة أو محافظة واحدة.. وهي محافظة ـ مدينة نائية!! هل كانت الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١م، هكذا يا ترى؟

إن الحكيم لم يختصر الإمام الخميني وجهوده الثورية فقط... بل انه اختصر الـ ١٤ محافظة إلى «مدينة نائية»!! ليناقض نفسه عبر مئات التصريحات له حول الانتفاضة، فعلها ومساحتها ومنعطفها في تاريخ العراق. ثم ماذا عن الإمام الخميني؟ هل كان تعاطفاً باريسياً مع «الإسلام» تمثل بنقله بطائرة باريسية خاصة؟ هل كانت صحوة ضمير باريسية إزاء مظلومية الخميني والإسلام وفرت له هذه الطائرة؟ أم هي «عمالة خمينية» لباريس كما يوحي بذلك بعض الشخصيات «السنية» من خلال الحوارات معهم؟!! أم هو اتفاق صدامي ـ باريسي كانت نيتجته هكذا؟!!

انه لأمر محير فعلاً: أن تنسى صيحة الخميني عندما رفضت الحكومة الكويتية السماح له بالدخول لأراضيها بعدما أمره نظام صدام حسين بالخروج من العراق «سابقى انتقل في الجو من طائرة إلى أخرى، ولم أخضع» الأمر الذي كان يدفع بالشعب الايراني إلى أن يتلقى خطاباته وتعليماته وصيحاته تلك بشغف، ويحوله إلى فعل ميداني ثوري في شتى أرجاء إيران، فهل العاصمة ـ طهران ـ سقطت فعلاً لوحدها، دون كلمات الخميني الثورية المشحونة بالتحدي، التي كانت أقسى من الرصاص والقذائف على حكومة شاه إيران، والتي يتلقاها الشعب الايراني ليحولها رصاصاً إلى صدور أفراد أجهزته الأمنية؟ وهل أحداث سقوط العاصمة جاءت في لحظة زمنية فجائية، أم أنها جاءت تتويجاً تدرجياً لأعمال ثورية كان محركها خطاب الإمام الخميني من النجف، التي كان يعيش فيها سجين «العمائم المرجعية» بقسوة أكثر من قسوة سجن نظام البكر ـ صدام له، الذي اضطر إلى نفيه مرة أخرى... أو تساهل

في خروجه تخلصاً منه، فهو من منفاه التركي إلى منفاه العراقي، إلى منفاه «المجهول» حسبت باريس أنها فرصتها في توفيره لها لحسابات سياسية قائمة على سقوط نظام الشاه الحتمي، والرهان على مصالح مؤجلة لها في هذه الدولة، «عسى» أن تحصل عليها مقابل ما فعلت في استقبال الإمام الخميني، وتوفير طائرة لنقله في ما بعد، إن التهوين من دور الإمام التاريخي الثوري، الذي يلخص دلالاته خطابه الشهير الذي ألقاه في العام ١٩٦٤م(١).

---

(١) إذ «بعد أن صادق البرلمان على لائحة الحصانة للأميركان في أيلول ١٩٦٤م، عزم الإمام على تفنيد كافة المؤامرات التي تحاك سراً مع النظام الحاكم ضد الإسلام وضد استقلال البلاد. ووعد الجماهير المسلمة بخطاب معهم يلقيه في يوم ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان النظام يهيء الأوضاع للاحتفال بذكرى ميلاد الشاه».. «وسرعان ما بعث الشاه أحد رجاله إلى قم ليلتقي الإمام ويتباحث معه وليصرفه عن عزمه هذا. وقد رفض الإمام استقباله ولم ير بدا من إبلاغ رسالة الشاه الشفوية إلى نجل الإمام الشهيد السيد مصطفى ــ وأكد على لسان الشاه ــ محذراً الإمام من التهجم على أميركا ووصف ذلك بأنه عمل خطير وله عواقب سيئة، وانه أخطر من التحامل على رجل البلاد الأول (الشاه)، بيد أن الإمام لم يكترث لهذا التهديد وخرج من داره في اليوم المقرر وألقى خطابه بالساعة المحددة بالرغم من جميع المحاولات اليائسة، وظهر الإمام في ذلك اليوم حزيناً كئيباً فيما كانت آلاف الجماهير تحييه، وتهتف له بالنصر والمقاومة والسير على نهجه». وكان خطاب الإمام كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنني لعاجز عن إبداء جميع مشاعري القلبية. إن قلبي تعتريه حالة من الضغط والغليان. منذ أن اطلعت على الدسائس والمؤامرات الأخيرة وعلى ما يداهم البلاد، لقد تبدلت حياتي بأسرها، إن نومي لقليل، وقلبي عليل، أصبحت كئيباً حزيناً، إنني انتظر الموت ساعة بعد أخرى [هنا أجهش الحضور بالبكاء]. إيران، منذ اليوم معزاة ولا عيد لها بعد اليوم. لقد أصبحت أعياد إيران مأتما لقد تأسوا إذ فرحوا!، وتعزوا إذ رقصوا! باعوا شعبنا واستقلال بلادنا، أفبهذا أعيادهم وبهذا ابتهاجهم وسرورهم؟. ولو ثنيت لي الوسادة اليوم لرفعت السواد على أبواب الأسواق والشوارع ولأعلنت الحداد ولأمرت بالعزاء العام!! شرف بلادنا سُرق عزة بلادنا سلبت [بكاء الحضور]، كرامتنا هدرت، عظمة جيوشنا ومعسكراتنا تلاشت واضمحلت!. البرلمان يستلم لائحة تنص على ما يلي: أولاً ــ إلحاقنا بمعاهدة (فيينا)، وثانياً ــ فسح الحرية المطلقة لارتكاب الجرائم والفساد من قبل الخبراء والمتخصصين الاميركان بما فيهم العوائل والخدم والموظفين ليعيثوا بهذا البلد فساداً ويغمروه

←

إلحاداً وكفراً. أيها الشعب.. لو تعرض خادم من الأميركان أو طباخ من طباخي الأميركان لأحد مراجعكم ورجال دينكم في الشارع وفعل به ما فعل فإنه ليس من شأن الشرطة الإيرانية نهره ومعاقبته! محاكم إيران ليس لها الحق بالتعرض له أو نهيه عن قصده! يجب عندها رفع الدعوة لأميركا لمحاكم أميركا، وعندها فالأسياد هم الذين ينظرون بها فقط! إن هيئة الدولة السابقة صادقت على هذا القانون بيد أنها خجلت فأحجمت عن إعلانه، لكن دولة اليوم رفعته إلى مجلس الشيوخ ومن ثم وبعد التي واللتيا يرفع إلى البرلمان وتحدث بعض المعارضات والمشاحنات وتبادل الآراء ويصادق عليه رغم المعارضين له. إنهم بخطواتهم هذه أهانوا الشعب الايراني إهانة لم يسبق لها مثيل حيث وصل الأمر إلى أن اهتمامهم بالحيوانات والكلاب الأميريكية أكبر من اهتمامهم بجماهيرهم! لو اصطدمت سيارة إيرانية بكلب أميريكي، فالويل له من المحاكمات والسجون والغرامات. حتى وإن كان الشاه بنفسه يتعرض لكلب من كلاب الأميركيين سوف يتعرض للاستجواب في المحاكم الأميركية! بينما لو تعرض خادم من خدم الأميركان للشاه بذاته، تعرض للرجل الأول في البلاد بشخصه، فليس من حق أحد الاعتراض!! لماذا؟ لأنهم أرادوا قروضاً من أميركا، رضوا بهذا الذل والاستعباد. بعد أيام من هذا، طلبوا منهم قرضاً قوامه مئتي مليون دولار. وعلى الفور حصلت الموافقة بتسليمهم المبلغ تدريجياً خلال خمس سنوات، هو مبلغ يسدد لحكومة إيران خلال عشر سنوات ليسترجعوا ثلاثمئة مليون دولار. أيدرك أحد ما معنى هذا؟!. مئتي مليون دولار خلال خمسة أعوام، هي كلفة القوات العسكرية ولإحكام البنية العسكرية في إيران، وبالمقابل خلال عشرة أعوام، يسترجعونها بفوائدها ثلاثمئة مليون دولار! بهذا فالحكومة تبيع الوطن بأسره لأجل بضعة دولارات، تبيع استقلال الوطن!! تبيع كرامة الوطن! إذاً حكومتنا بنفسها اعتبرتنا بلداً مستعمراً واعتبرت الشعب الإيراني أحد الشعوب الذليلة والمتخلفة في العالم!. أيها الشعب المسلم.. كيف نواجه هذه المصائب؟ علماء الدين كيف سيواجهون هذه الابتلاءات؟ إلى من أبث شكواي؟ كل من في العالم خيّل له أن الشعب الإيراني هو الذليل والحقير، وهو الذي بيده الحكم والاختيار، متناسين عدم وجود أية علاقة بين الدولة وبرلمانها وبين الشعب الذي هو بعيد عنهما كل البعد. أي برلمان هذا حيث لا يوجد عضو واحد انتخبه الناس بحريتهم وبآرائهم؟ أين علاقة هذا البرلمان بالشعب؟ إن الشعب الإيراني السائر على خطى مراجعه وعلمائه لم يشارك بأي انتخابات ولم يصوت لهذا البرلمان. إن هؤلاء كلهم استحلوا مقاعد البرلمان بالقوة وبحد السلاح، وبمكر السلطة وخداعها. إنهم أدركوا بأن المرجعية والزعامة الدينية سوف لن تترك الساحة لهم ولهذا عمدوا الى قطع الصلات بها وعزموا على تجميد نفوذها!. لقد وقع في يدي كتاب مدرسيّ لمادة التاريخ، فيه يلوثون أفكار أبنائنا وشبابنا بأساطيره وأفتراءاته وتزويراته وقد رأيت عبارة في إحدى زواياه تقول: والآن أصبح واضحاً بأن في قطع جذور نفوذ مراجع

←

الدين يتم الرفاه وتأتي السعادة والحياة السعيدة للأمة!!. إنهم أدركوا جيداً، أنه بوجود الزعامة الدينية سوف لن تكون الأمة أسيرة لبريطانيا يوماً ما ولا لأميركا.

- بوجود علماء الدين لم يتم أي نفوذ لإسرائيل ولن تغزو البضائع الإسرائيلية أسواق المسلمين.
- بوجود علماء المسلمين لا يستطيعون تقديم طلبات أو قروض مهلكة كالتي كانت في الأمس والتي لا تعود على الوطن والشعب إلا بالدمار والنهب.
- بوجود علماء الدين لن يتسنى لهم نهب بيت المال والعبث فيه كيفما شاؤوا.
- بوجود الزعامة الدينية، سوف لن يكون بمقدورهم العبث بأي شيء أو حرف مسير الأمة تجاههم.
- بوجودهم، سوف لن يتمكنوا من إقامة برلمان مفتضح كهذا تصدر قوانينه بحد السيف والقوة وبمنتهى الذلة والهوان.
- بوجودهم، سوف تتعرض الحكومة وأعضاء البرلمان إلى صفعات على وجوههم وأفواههم.
- بوجودهم، لن يدعوا الحكومة تختار نواب البرلمان اختياراً اعتباطياً وتسلمهم مقدرات الشعب والأمة.
- بوجود الزعامة الدينية لن يدعوا الأميركان وعملائهم يعبثون بمقدرات البلاد، بل تصمد أمامهم وتقارعهم حتى يولوا الأدبار! تدعون بأن نفوذنا ووجودنا مضر للشعب والوطن،!! كلا، مضر لكم ولأعمالكم! مضر للخونة والعملاء، لا للأمة والجماهير ترون أنكم لستم أحراراً اتجاه أي إجراء تعزمون على القيام به بسبب وجود علماء الدين المجاهدين أمامكم ولهذا وجبت إبادتهم. أردتم فرقتنا، بذلتم جهوداً جبارة وكبيرة لاختراق صفوفنا، فباءت كلها بالفشل. إن هذا لحلم فلا تحلمون به حتى ساعة الموت، علماء الدين والحوزة وكافة فصائل الحوزة هم اليوم متآخون ومتآلفون أكثر مما مضى ولا تستطيع أية قوة وأية جبهة عدوانية تفريق شملهم وتفتيت وحدتهم.. إنني أحترم وأبجّل كافة العلماء والمعممين، إذا كنت يوماً ما لا أقبل يدا سوى يد عالم ومرجع فاليوم أُقبّل أيديكم بأجمعكم بلا استثناء وحتى أيدي الكسبة والعمال. أيها الشعب! إن الخطر أمامنا. أيتها الجيوش! إن الخطر يواجهنا. أيها السياسيون! الخطر يداهمنا. أيها التجار! العدو أمامنا. ايها العلماء! يا أهل العلم! إننا في حالة استثنائية اليوم. أيها الطلبة! أيها الفضلاء! أيتها الحوزة العلمية! يا علماء النجف! يا علماء قم! يا علماء مشهد! طهران! شيراز إنني أحذر من وجود خطر كبير يداهمنا. إن وراء الستار لخططاً، ومؤامرات لا نعلمها. البرلمان يصرخ بعدم رفع الستائر!! وكشف السرائر!! إن هناك شيئاً ما يهددنا من جديد... أما كفانا ذل الماضي؟ أما كفانا سباتاً في أسر الطغاة؟ ما السر الذي يخافون من إعلانه؟ ما الخطط التي تدور برؤوسهم؟ أية مصيبة أنزلت القروض الأميركية على الشعب الإيراني؟ لماذا يتوجب على شعب فقير دفع مئة مليون دولار فوائد لأميركا خلال عشر سنين؟ إنكم ايها

←

الحكام المستبدون بعتمونا، وبعتم الوطن بأسره لأسيادكم. ما الذي أنتفعتم به من وجود القوات الاميركية والخبراء المتخصصين؟ إذا كانت البلاد مستعمرة لأميركا فلماذا هذه الإدعاءات ولماذا هذه الضوضاء؟ إلى متى تدعون التحضر والتمدن؟! إذا كان هؤلاء موظفين عاديين فلماذا تخافوهم ولم تنحنون طاعة لكبارهم؟ إذا كانوا موظفين حقاً فلم لا تعاملوهم معاملة ابناء الوطن من الموظفين والعمال، وأصحاب المشاغل الحكومية كما هو الحال في الكثير من بلدان العالم؟ إذا كان بلدنا مستعمراً لاميركا فأفصحوا! وأعلنوا! بل فارموا بنا خارج البلاد إذاً. ماذا يريد هؤلاء من هذا البلد؟ ما هي أوامركم لرجال البلاط؟ ما الذي يفعله البرلمان معنا؟ إن هذا البرلمان غير قانوني، محرمّ من قبل كافة المراجع وعلماء الدين المسلمين، البرلمان يدعي الحرية والاستقلال والتحضر وينادي بأنه ولد نتيجة منجزات الثورة البيضاء!. أين هذه الثورة البيضاء التي يطبلون لها؟ والله إنني أتململ وأتلوع من الأذى بما لدي من علم كاف لما يجري في القرى والأرياف ولما يمر على شعبنا المستضعف هناك من أيام سود، إنني على علم بما يعانيه القرويون من المجاعة، والافتقار لأبسط حقوقهم الإنسانية، إنني على علم بما يعانونه من تردٍ في أوضاع الزراعة والفلاحة. تأملوا قليلاً وفكروا في حال هذا الشعب. فكروا بمستقبل البلاد. إلى متى تبقون أذلاء تقترضون هذه المبالغ ومن ورائها ذل وهوان وعمالة! قروض تقدم لكم من أجل سحق كرامتكم، من أجل إعلاء قيمة الحيوانات الأميركية على حساب كرامتكم. إن هؤلاء وأولئك يطالبوننا بالانعزال والسكوت!! وهل في هذه المجالات أيضاً يتوجب السكوت والصمت؟ ايبيعوننا ونسكت؟ أيبيعون استقلالنا ونسكن عقر دورنا صامتين محجمين؟والله إنه لمجرم يستحق العقاب كل من يختار السكوت. والله إنه لمرتكب الكبائر من لم يصرخ بوجه هؤلاء الطغاة. يا زعماء المسلمين الإسلام يستصرخكم. يا علماء النجف! يا علماء قم! الإسلام يستنهضكم، الإسلام أصبح نهبا، [بكاء الحضور]. أيتها الشعوب المسلمة! يا زعماء العالم الإسلامي! يا رؤساء الدول الإسلامية! استجيبوا لدعواتنا ولصراخنا. أيها الشاه الخائن استعد للمواجهة وتدبر أمرك جيداً. ألكوننا فقراء ضعفاء يتوجب علينا ان نطأطئ رؤوسنا لاميركا وندعها تسحق كرامتنا وشرفنا؟ إن اميركا لأقبح من بريطانيا وبريطانيا أقذر من أميركا، وروسيا أمر منهما والكل أقذر من أنفسهم بذواتهم، لكن اليوم مهمتنا هي مهمة ضد أميركا. ليعلم الرئيس الأميركي، ليعلم بأنهم اليوم من أقذر وأنذل البشر عندنا وعند أمتنا المسلمة. اليوم يقف أمامها القرآن الكريم، أمامها الشعب الإسلامي الأبي، لتعلم الحكومة الأميركية بأن إيران سوف لن يكون فيها أية ذكرى حسنة عنها وسوف تكشف كل مؤامراتها وفضائحها. وثمة أعضاء في البرلمان صرخوا ونددوا مطالبين بعدم الانقياد لأميركا بهذا الشكل المفتضح، وحذروا من تسلط أميركا وسلب استقلال البلد! ولكن أين الأذن الواعية؟ معاهدة فيينا لم يذكروا منها ولا بنداً واحداً، المادة رقم ٣٢ لم يتطرقوا إليها مطلقاً، أما ما هي

←

تلك المادة؟ فلا أعلم. ولا رئيس البرلمان يعلم، ولا نواب البرلمان يعلمون، وصفوا لهم وسطروا لهم بعض الكلمات والعبارات فوقع الجميع صماً وعمياناً. إذا اعترف البعض منهم بأنهم وقعوا على مادة لم يعرفوا ما أهميتها فالسواد الأعظم الذين أحجموا على الاعتراف هم أعظم جهالة وعمالة.. لقد عزل كبارنا وأعلامنا السياسيون من مناصبهم ومشاغلهم السياسية الحساسة. بلدنا اليوم لا يمكنه أن يصل إلى هدف ما بزعامة رجال يدعون الوطنية. ليعلم الجيش ولتعلم القوات المسلحة أن هؤلاء أيضاً سوف يعزلون عن مناصبهم شيئاً فشيئاً. أيها القادة العسكريون هل لكم كرامة بعد اليوم أو شرف ومقام ووجاهة؟ هل تبقى هذه الصفات والنعوت في زمن يمر عليكم إذ يطأطئ كباركم رؤوسهم لطباخ أميركي، لخادم أميركي، لأرذال الأميركان؟ أين عزتكم؟ أين شرفكم؟ لو كنت عسكرياً لاستقلت من مهمتي، لو كنت عضواً برلمانياً لاستقلت من منصبي. إنني لست من أولئك الذين يتحملون عاراً وذلاً كهذا. إن الخبراء والمتخصصين والموظفين الاميركان وكل من يلوذ بهم من طباخين وخدم وموظفين وعمال، كلهم لهم حماية وصيانة أمنية من قبل الدولة، لماذا؟ لماذا هذا؟ وعلماؤنا وطلابنا وخطباؤنا يقضون حياتهم في السجون والنفي! لماذا ابناؤنا في منفى مدينة (بندر عباس) وسجونها؟ ألأن ذنبهم الذي اقترفوه هو السير على خطى الإسلام؟ على خطى مراجع المسلمين وزعمائهم؟. هؤلاء الجناة اعترفوا جلياً عندما دسّوا أفكارهم السامة في كتب التاريخ المدرسية، أعلنوا بأنه سعادة الشعب تكمن في قطع يد الحوزة العلمية. عجباً!! اي بقطع يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحصل الشعب على سعادته وآماله!! إن علماء الدين هم ليسوا في شيء، إنما كل ما لديهم هو من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). يريدون قطع أيدينا، يريدون القضاء علينا، يريدون محونا كي ترتاح إسرائيل منا، ترتاح أميركا منا، لكي يخلو الجو لهم ليعبثوا في البلاد كيفما شاؤوا!! إن جميع مصائبنا من أميركا، ومعضلاتنا من إسرائيل، إسرائيل جزء من أميركا، نواب برلماننا جزء من أميركا، وزراؤنا جزء من أميركا، كلهم عملاء لأميركا،وإلا فلم لا يقفون بوجهها صارخين؟!. إنني الآن بحالة لا تساعدني على استرجاع ذكرياتي جيداً، حافظتي تخونني، المصائب هدمتني وحطمتني.. في إحدى دورات البرلمان التي كان السيد حسن المدرس عضواً بها، ارسلت روسيا معاهدة واتفاقية لا استحضر موادها جيداً الآن، إلى حكومة إيران ليصادق عليها دون قيد أو شرط وإلا فستتعرض البلاد لهجوم من قبلهم من مدينة قزوين وفي النهاية يتم دخول العاصمة واحتلالها! وضغطت الحكومة آنذاك على البرلمان من أجل المصادقة عليها. يقول أحد المؤرخين الأميركيين: كان هناك شيخ يتكيء على عصاً في البرلمان [السيد حسن المدرس] انتفض من مكانه وتصدر المنصة وقال: الآن وقد عزم على مسحنا وتحطيمنا، فما هو الداعي والموجب أن نوقع على هذا بأصابعنا؟ أمهلوهم ليدمّروا ونحن شرفاء أعزاء!! حيث على أثره تجرأ الباقون على

←

المعارضة والمخالفة وفي الوقت نفسه أحجمت روسيا عن المسألة بالمرة!!. أجل هذه هي الزعامة الدينية، هذه القدوة الدينية، رجل نحيف عجوز ضعيف يتوكأ على عصاً، هكذا وقف بوجه روسيا وأحبط أهدافها. كذلك لو كان اليوم رجلاً منا في البرلمان، لما كان يصل الوضع بنا إلى هذا الحد. ولهذا فهم يريدون بتر أصابعنا واستئصال نفوذنا وجذورنا! الكلام طويل والحوادث جمة والحديث ذو شجون، وليس باستطاعتي وانا بهذه الحالة من الصحة أن أتطرق إلى جميع ما في البلاد، إلا أنني أوصي إخواني وأبنائي والجماهير المسلمة، بنشر هذه الحقائق وبث هذه الأفكار، علماء الدين موظفون لإعلام الناس، الأمة مسؤولة بالتحرك والالتفاف حول علماء الدين والاسترشاد بنصائحهم وتعاليمهم و يجب على الأمة أن تصرخ بوجه البرلمان، وبوجه الحكومة لمعرفة أسباب الدمار الذي يحل في البلاد. يجب على الشعب أن يستنطق النظام ويستفسر منه عن سبب الإذلال هذا وعن سبب بيع الوطن للأجانب المستعمرين. يجب أن تصرخ الأمة وتنادي النواب بالتنحي عن مقاعدهم ومناصبهم لأنهم ليسوا ممثلين للشعب، الممثّل للشعب ليس بخائن، والذي يخون الشعب تسقط جميع صلاحياته من البرلمان تلك هي خيانة للوطن. خيانة للإسلام، للدين، للقرآن، كل من وافق على هذا البرلمان فهو خائن وحتى الموافقون من أولئك الشيبة في مجلس الشيوخ هم خونة، وليعلم العالم والجميع بأن أعضاء البرلمان هم ليسوا ممثلين شرعيين للشعب، كل ما صادقوا عليه ليست له أي قيمة وأي اعتبار رسمي، لأن البرلمان هذا مزيف وغير شرعي وليس قانونياً استناداً للقانون، وطبقاً للمادة الثانية من متمم الدستور إن لم تمر اللائحة على خمسة من فقهاء المسلمين للنظر فيها، فهي غير قانونية وغير شرعية وليس لها أي اعتبار آخر. منذ اليوم الأول من الحركة الدستورية وإلى يومنا هذا، أي فقيه او مجتهد كان مطلعاً على القوانين المصوبة واللوائح المقدمة؟ لو كان واحداً من المجتهدين في البرلمان لكان يقلب حساباتكم الخائنة هذه رأسا على عقب. إنني أخاطب أولئك الأعضاء الذين يدعون مخالفتهم لهذا القانون المذل واعتراضهم عليه، أخاطبكم باعتراض وحجة.. إذا كنتم حقاً مخالفين فلماذا سكتم وجلستم في مقاعدكم؟، لماذا تظهرون هذا التملق الشديد لذلك الخائن الدجال؟ أحقاً مخالفون أنتم؟. لو كنتم معارضين حقيقة لأمسكتم ذلك الذليل من تلابيبه ليعتبر الآخرون به؟ هل المعارضة مجرد كلمة تطلق من الأفواه ومن ثم تتخذون الصمت والسكوت بعدها؟ المعارضة هي قلب البرلمان رأساً على عقب، الصراخ أمام رئيسه، الضوضاء تعم كافة أركانه، كيف تصمتون والقانون يخرج من البرلمان مصادقاً عليه أمام أعينكم إننا لا نعترف بقوانينهم، لا نعترف بالبرلمان، لا نعترف بالحكومة أبدا هؤلاء خونة للبلاد والأمة. أسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين، وان يحفظ كرامتهم ومقدساتهم من كيد الخائنين والظالمين. واسأله أن يرسل كسفاً من السماء على جميع الذين يخونون البلاد والإسلام والشعب المظلوم». وقال الإمام إزاء قانون الحصانة للاميركان: «إقرار على إذلال

←

إيران والشعب الإيراني»، و«هو تأكيد على استمرارية الإستعمار للبلاد»، وإنه «إجراء لم يحدث له مثيل في السابق من أي حكومة وسلطة اضطهدت شعبها بهذا الشكل». «إنني أؤكد معلناً بأن المجلس والبرلمان هما أعداء للإسلام والقرآن مخالفون له ولا يمتلكان أية صفة رسمية وقانونية. أعضاؤهم أعداء للأمة والوطن، إنهم ليسوا ممثلين للشعب ولن يكونوا مطلقاً كذلك، إنما فرضتهم القوة وحسب. آراؤهم وأصواتهم لا تعادل شيئاً عند الشعب المسلم، وإذا كان الأجانب يستندون إلى آرائهم وأصواتهم فإن الشعب والأمة الإسلامية سوف تقرر المصير بنفسها. ليعلم أبناء العالم بأسره بأن جميع مصائبنا ومشاكلنا ومشاكل الأمة الإسلامية هي من أولئك الأجانب، من أولئك الأميركان. العالم الإسلامي يتبرأ من الأجانب المستعمرين عامة ومن الأميركان خاصة...» «إن أميركا هي التي تقف وراء إسرائيل، أميركا هي التي تساند إسرائيل لدحر وتشريد العرب المسلمين، أميركا هي التي تسير أمور بلادنا عبر عملائها مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أميركا هي التي ترى ان القرآن والإسلام خطر عليها وتريد دحضهما، أميركا هي التي ترى علماء الدين المجاهدين عائقاً وسداً منيعاً حائلاً أمام أهدافها ومآربها، أميركا هي التي تأمر النظام بالمثول لأوامرها، وهي التي أمرتهم بالموافقة والمصادقة على هذا القانون الشنيع المذل للمسلمين ولمفاخرهم الإسلامية والوطنية، اليوم اقتصاد بلادنا بيد الأميركان والإسرائيليين، والأسواق التجارية والعجلة الإقتصادية خرجت من يد المسلمين، أمور المسلمين اليوم بأيديهم وبأمرتهم يقوم النظام بنهب وإذلال الشعب وفرض الفقر والحرمان عليه باسم الإصلاحات من أجل إرضاء هؤلاء المجرمين المعتدين، وليس من ناصر للشعب المظلوم هذا إلا الله». «... تحطيم السلاسل هذه ملقىً على عاتق الأمة، وعلى عاتق الجيش الإيراني الذي سوف لن يسمح للمعتدين التعرض لنا... يجب علينا جميعاً إسقاط هذه الحكومة، يجب علينا أن نقضي على أعضاء البرلمان وان نلقيهم خارجه، على الطلبة والمعممين مناشدة كبارهم من المراجع والمجتهدين لتحريضهم على الخروج من هذا السكوت والصمت... على طلبتنا الجامعيين الوقوف أمام هذه الطغمة الفاسدة... يجب على الطلبة الجامعيين في البلاد الأجنبية دعم الحركة الإسلامية فليندّدوا بمواقف العملاء والمستعمرين هذه.» . «لقد انعكست بيانات الإمام هذه إضافة إلى خطابه التاريخي انعكاساً كبيراً في أجواء البلاد. وأصبح الشعب يزداد بغضاً للحكومة والنظام يوماً بعد يوم، ومن هنا وبعد أيام من التفكير ووضع الخطط والطرق الفاعلة صمم الشاه باتخاذ قرار نهائي بحق الإمام. وبعد تسعة أيام من خطاب الإمام هذا أي في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ شهدت مدينة قم حشوداً كبيرة من رجال القوات الخاصة، حيث حاصروا منزل الإمام واقتحموه وألقوا القبض عليه، وسرعان ما نقلوه إلى العاصمة، ومن ثم إلى المطار فأقلته طائرة شحن أعدت لهذه المهمة من قبل حيث نقلته إلى منفاه تركيا. وأعلنت النبأ الصحف الرسمية لليوم التالي، و قد جاء ما نصه: (استناداً

←

للدلائل والأسباب والشواهد الشافية التي لدينا حول تحركات السيد الخميني السرية وقيامه بمعارضة وتهديد مصالح الوطن والشعب وأمن البلاد ارتأت الجهات الرسمية إقصاءه خارج البلاد فتم ذلك بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤)». محمد حسن رجبي، (الحياة السياسية للإمام الخميني)، ترجمة فاضل عباس بهزاديان، ص٢٢٠ الى ٢٣١، دار الروضة، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٩٩٣م. إن هذا الخطاب المطول يبدأه الإمام الخميني بعبارات الاعتراف ــ بالأزمة ــ التي تلازمه وتلازم أي قائد ومفكر إسلامي شريف، يحمل الإسلام هماً ومشروعاً واستخلافاً وقضية.. انه ليقول «لقد تبدلت حياتي بأسرها، ان نومي قليل، وقلبي عليل، أصبحت كئيباً وحزيناً، إني انتظر الموت ساعة بعد أخرى..الخ»... وهي عبارات أطلقها الشهيد الصدر الأول والشهيد الصدر الثاني وعلي شريعتي، كلهم «اعترفوا» بـــ «الاكتئاب» والأزمة و«المأزومية» إزاء ما يعانيه الإسلام والمسلمون. لترتد عليهم «تهماً» من خونة الإسلام الذين يعتاشون عليه، ولعل في خطابه ما يكفي لتداخل ملفي «حوزتي» النجف وقم، اذ ان هذا الخطاب جاء مسبوقاً بعرض شاهنشاهي للإمام الخميني في الذهاب الى النجف «ضيفاً». على اثر دعوة «مرجعية الحكيم العليا التي وجهت نداء» استضافة لهم في النجف «استغل الشاه برقية المرحوم آية الله الحكيم الإيرانيين إلى الهجرة إلى النجف هرباً من ظلم السلطة واستبداد الشاه. فقال الشاه لهم ان هناك دعوة للذهاب إلى النجف. ولكن الإمام الخميني أدرك أبعاد الخدعة الشاهنشاهية وكيف ان الشاه استغل برقية آية الله الحكيم أسوأ استغلال ليبعد العلماء وعلى رأسهم الثائر الإمام آية الله الخميني. فأرسل الإمام برقيته للنجف (قائلاً إننا سنتحمل بإذن الله. مسؤوليتنا الإلهية وسنفوز بإحدى الحسنيين، إما قطع أيادي الخيانة عن حرم الإسلام والقرآن واما الاستشهاد، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما).. وفي هذا المضمار ساءت أوضاع الثورة الجماهيرية وأصبح الإمام آية الله الخميني محط الأنظار ووجهة الشعب. ينظرون إليه بالأمل العظيم كقائد مخلص وروحاني سياسي وثائر لا يقبل حلول السياسة ولا تنطلي عليه مناوراتها. لم تهدأ الأوضاع بل بقيت الثورة مستقلة وعاصفة دائبة الحركة فما أن حلت ذكرى الأربعين لشهداء المدرسة الفيضية حتى انتشر بيان الإمام الخميني في كافة أرجاء إيران وأقيمت مجالس الفاتحة والحفلات التأبينية المصحوبة بالمظاهرات الصاخبة في أكثر المدن الإيرانية» عبد الله النبالي، (عالمية الإمام الخميني، حياته وفكره) ص٤٦، ط١، عمان ٢٠٠٢م، مصدر سابق.. وقبل ذلك كان الإمام الخميني يخاطب الشاه في ١٩٦٣ قائلاً «هكذا تصبح كأبيك. استمع إلى هذه النصيحة. وأصغ لما يقوله أهل العلم والعلماء امتثل لأمر الإسلام. هؤلاء يريدون صلاح الملة. صلاح الوطن، أعرض عن اسرائيل صفحا فإنها لن تنفعك يوما بل ساعة. أيها التعيس! ايها الذليل لقد انقضى من عمرك خمس وأربعون سنة تأمل قليلاً، لاحظ عواقب الأمور، اعتبر بكل ما مضى. اعتبر بأبيك، لا

←

إذ ان هذا الخطاب ــ يمكن الاطلاع عليه بالكامل في «الهامش» ــ يشير الى دوران مثير لواقع «الحركتين والحوزتين» العراقية والإيرانية على ذات المسمى الأميركي، وعلى ذات «المعاهدة الأميركية» التي جاء الخطاب نارياً إزاءها من قبل الإمام الخميني في العام ١٩٦٤م عندما أريد ابرامها مع إيران، والتي باركها ــ المعاهدة ــ رموز «الحوزة» العراقية، ووقعها رموز الحركة الإسلامية عندما أريد لها ان توقع مع العراق، وفيما ان «المعاهدة الأميركية ــ الايرانية» جوبهت بــ «سطور نارية خمينية» أفشلتها، فان «المعاهدة الأميركية ــ العراقية» رعتها «جهود تمريرية» عراقية.. واللافت في الأمر كله، ان «ورثة دولة الخميني» صاحب «السطور النارية» التي أطلقها، لا يقدر احد بأنهم يرتضون لشعبهم ودولتهم معاهدة كــ «المعاهدة الاميركية ــ العراقية».. لكنهم «ارتضوها» للعراق ولشعبه، بعدما سبق ذلك إعطاءهم «الشرعية» لحكومة العراق.. «شرعية» ذهبت الى أقصاها من خلال تصريحات بعض المسؤولين الإيرانيين عندما اعتبرت «ان المنتقدين لهذه الحكومة العراقية هم فاسدون» على حد قول احمدي نجاد أثناء زيارة لــ «المالكي» لإيران في ٢٠٠٨/٦/٩م... انه لأمر مثير جداً، ولا يمكن التعبير عنه إلا بمفردات «الصلافة» و «العدوانية» على الإمام الخميني ومبادئه الثورية، قبل المعارضين لــ «حكومة المالكي» المرعية أميركياً.

وفي ظل هذه «الصلافة والعدوانية» سيفهم الدور الايراني على انه «مكمل» لخناق

تصغ الى ما يلقنونك إياه من أكاذيب ودجل، انك مسلم وحالك حال الجميع، انك لست عدو الدين والعلماء. لا تتأثر بما يشيرون به إليك. لم كل هذا الهراء. من هي الرجعية السوداء. الإسلام والعلماء! أم أنت يا صاحب الثورة البيضاء» المصدر نفسه ص ١٩٢. و«بقيت نصائح الإمام للشاه. خمسة عشر عاماً متواصلة. نصائح الشفقة والرحمة من المصير المجهول الذي انتظره. وتحقق فعلاً حيث لفظته القوى الاستكبارية العالمية وحقنته بالسرطان فتخلصت منه. ولم تفده قيد أنمله لان ضالتها هي كما قال الإمام «إن عداء هؤلاء ما هو الا عداء للاسلام والعلماء ولأصل الفكرة أن اسرائيل لا تريد أن ترتفع راية القرآن...» المصدر نفسه.

العراق الأميركي، ودافع للمالكي وأولاد الحكيم و «مرجعية الدين» للمضي في تدمير العراق والاجهاز علية، وابقاءه تابعاً وساحة للصراع الأميركي ــ الايراني عليها بعيداً عن قيم الإمام الخميني، وأي قيم إسلامية... فايران ما بعد الإمام الخميني التي سمحت لباقر الحكيم ان «يشكك ويهون» من منجز الإمام الخميني عبر محاضرته المقارنة وهو يعيش فيها، هي اليوم تدفع بأولاده والآخرين للارتماء أكثر وأكثر في الحضن الأميركي بعيداً عن دماء العراقيين، فالدم الايراني لدى احمدي نجاد يبدو انه «نقياً» فيما دماء الآخرين، لاسيما العراقيين «فاسدة»!!! ولا يمكن لمتلقي كلام نجاد المذكور إلا ان يعلق عليه بتمايز الدم هذا ومحمولاته العنصرية المستقوية ربما بالقوة المادية والتكنولوجية التي دفعت نجاد وبعض المسؤولين الايرانيين الى هذا المتغير الخطابي المرعب في مسار «ايران الثورية»، فشتان ما بين ثورية الخميني التي ارتكزت على خطابه الدفاعي «القرآني» المخلص، وبين خطاب القوة التكنولوجية. فالأول هو الضمانة والضمانة الوحيدة لبقاء «الدولة الثورية» فيما الثاني لم يشكل اية ضمانة في التاريخ والحاضر لا لدولة ثورية ولا لامبراطوية مهما كبرت وتضخمت.

على أية حال ان السيد محمد باقر الحكيم عاش عقدة «الثوار الكبار»، وعقدة الوصول إلى «الزعامة السهلة»... اللتين حاصرتاه، وكأنهما على ارتباط مع «مرجعية» والده، فراح يختصر تاريخ الإمام الخميني بقدومه «إلى إيران بطائرة فرنسية»... ويختصر تاريخ انتفاضة الشعب العراقي في العام ١٩٩١م، إلى ما يشبه تحرك مدينة «نائية كتبريز مثلاً»!!!.

عقدة "الانفصام" والاختزالات الثورية

نعم إنها ليست محاضرة «تطوعية» تلك التي مررنا عليها، والتي تختزل أكبر ثورة شهدها تاريخ الإسلام ورائدها الخميني بالطريقة، التي مرت معنا، وبموقف محسن الحكيم التاريخي المعروف في العراق من الإمام، وقبلها من احداث ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤م، ومراسلاته آنذاك مع «حوزة» إيران حولها[1]، وتختزل فصل ثوري لأمة

(١) يقول احد الكتاب حول هذا التاريخ ما يلي: «وعلى أثر هذه الحوادث، أرسل السيد محسن الحكيم رحمه الله برقية إلى السيد الخميني رحمه الله بتاريخ ٨ / ذي القعدة /١٣٨٢هـ (٣ / ٤ / ١٩٦٣م) دعا فيها علماء إيران إلى الخروج من إيران نحو العراق، وفي بعض المصادر انهم ٢٥ عالماً، وفي مصدر آخر انها موجهة إلى علماء إيران بأسرهم من أجل الاجتماع في النجف واتخاذ قرار حيال الشاه، وقد جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم... إن الحوادث المؤلمة المتتالية والفجائع المحزنة التي ألمت بسماحة العلماء الأعلام والجامعة الروحية في قم قد أدمت قلوب المؤمنين والمتدينين، وأوجبت تأثرنا الشديد (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). أملي حضرات العلماء ينزحون بأجمعهم إلى العتبات المقدسة حتى أقولها كلمة صريحة في الدولة.

٨ / ذي القعدة /١٣٨٢هـ

محسن الطالباني الحكيم.

وأرسل السيد الخوئي رحمه الله الى السيد الخميني رحمه الله البرقية التالية:

قم ــ حضرت آية الله الخميني دامت بركاته جناية الجائرين على الحوزة العلمية أوجعت قلوبنا وعامة المسلمين. (**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام**).

كما أرسل برقية إلى علماء إيران في طهران وقم ومشهد وتبريز واصفهان.. جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أبرقنا في بداية هذا الشهر إلى الشاه نطالبه بالكف عن حمايته للقوانين الجائرة المناهضة للإسلام، وإلا فسوف لا يدخر العلماء الأعلام والعالم الإسلامي وسعاً في الدفاع عن المقدسات

←

عراقية مظلومة سيطرت على ثلاثة أرباع البلد، بتحرك «مدينة نائية»... والأنكى من ذلك، هي لا تكتفي باختزال تاريخ قائد إيران الثوري الإسلامي، ولا فعل امة العراق الثورية... بل تتمادى بالاختزال والتهميش والتصغير إلى حد الإلغاء له كمنجز مرموز له بقائد ثوري أو فعل ثوري.. والتهميش والاختزال طال أيضاً الصدر الأول عندما

الإسلامية. هذه مرة أخرى نعلن بالمناسبة أننا سنعمل بآخر ما يجب علينا إذا لم تنبذ هذه القوانين المشؤومة، وسيكون الشاه وحكومته هم المسؤولين عن نتائج كل ما يحدث.

٨ / ذ. ق / ١٣٨٥

ابو القاسم الموسوي الخوئي»

(وأصدر رحمه الله بياناً إلى الشعب الإيراني أعلن فيه أن الشاه المتحالف مع الصهيونية والاستكبار العالمي الذي يحوك الدسائس ضد الإسلام والمسلمين (لا يعتبر مسلماً حقيقياً)، وأرسل البيان إلى المطبعة لكي يطبع ويعلن للعالم الإسلامي، غير أن بعض المنتسبين إلى بعض المراجع هددوا صاحب المطبعة بعدم طبع البيان، ثم أخذوا بالضغط على السيد الخوئي رحمه الله ليبدل كلمة (الشاه) إلى (الحكومة). وهكذا أبطل مفعول البيان. كما أبرق كل من السيد محمود الشاهرودي والسيد عبد الله الشيرازي والسيد البغدادي». «تحفظ السيد الخميني رحمه الله على اقتراح السيد الحكيم رحمه الله. بعد استلام برقية السيد الحكيم رحمه الله عقد السيد الخميني رحمه الله اجتماعاً ضم مجموعة من العلماء وتداول معهم الموضوع وخلصوا بالإجماع إلى عدم صحة هذه الخطوة التي ليس من شأنها سوى إخلاء الساحة للنظام الشاهنشاهي. ومن جهته فقد قام رجال الأمن (السافاك) بإطلاع السيد كاظم شريعتمداري رحمه الله على البرقية وذكروا له أنه إذا عزم على تلبية دعوة السيد الحكيم رحمه الله والهجرة إلى النجف فإنهم سيوفرون له سبل ذلك، وإلا فإن أراد ان يثير الضجة على هذه البرقية فإنهم سيقومون بالهجوم على داره وهتك عرضه وقتله، وطلبوا منه إبلاغ السيد الخميني رحمه الله ذلك بعد أن أكدوا له جديتهم التامة في تنفيذ ما توعدوا به. وفي ١٧ / ذي القعدة / ١٣٨٢هـ (١٩٦٣/٤/١٢م) أرسل السيد الخميني رحمه الله برقية إلى السيد الحكيم رحمه الله شكره فيها على مشاركته إياهم المصاب واعتذر له عن تلبية العلماء دعوته إياهم للهجرة إلى العراق، لأن البلاد ستخلو حينها للكفر والزندقة. وأجاب رحمه الله عن برقية السيد الخوئي رحمه الله بما ترجمته: سماحة آية الله الخوئي دامت بركاته. نشكركم على البرقية التي أرسلتموها بمناسبة الفاجعة العظيمة، ونلفت نظركم إلى الحوادث الجارية التي تبشر بهدم الأصول».احمد عبد الله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة»، مصدر سابق.

حصر تحركه بسنة واحدة لم تنجح في تحقيق أهدافها الإسقاطية للسلطة، وحذف تاريخه أو تجاهله بكل ما فيه، لاسيما محطة سفره إلى لبنان كخطوة فدائية ما كان أحد قادراً على أن يجرأ في التفكير بها، وهمش امتداد الصدر الثاني أو ألغاه تماماً عندما ساوى في عباراته، بصورة قصدية، بينه وبين البروجردي والغروي اللذين قتلهما النظام، غامزاً بأن كل منجزه ــ أي الصدر الثاني ــ هو «إقامة صلاة الجمعة» ــ فهو يقول في هذا الإطار في نص محاضرته الآنفة «في العراق تصدى المراجع والعلماء والشيخ الغروي والبروجردي لم يتصدوا إلى أكثر من عمل ثقافي عام كصلاة جمعة أو جماعة، كما الحال بالنسبة إلى الشهيد الصدر الثاني (رض) ولكن مع ذلك لم يتحمل النظام ذلك». هكذا إذن الكل «الغروي والبروجردي والصدر الثاني» لم يقوموا سوى بعمل ثقافي هي صلاة «الجمعة والجماعة»!!!

علماً أن ما قام به الصدر الثاني، الذي لا يمكن فصل تحركه بأية حال من الأحوال عن تحرك الصدر الأول، لم يقم به أي «مرجع» في العراق طوال تاريخه، فإذا كانت «صلاة الجمعة والجماعة» هي من «الأعمال الثقافية» التي لا تمثل شيئا، ولا تشكل خطراً على النظام كان المفروض لصدام حسين أن يصفي كل من يقوم بهذا العمل، وكان عليه أن يصفي السيستاني والباكستاني والافغاني ومحمد سعيد الحكيم، الذي تطوع لخدمة نظام صدام حسين علناً حتى وقت قريب من سقوطه، وسافر إلى دمشق ثم إلى لندن، داعياً «المعارضة الاسلامية» القديمة إلى العودة إلى العراق في ظل نظامه... وهو كان مندوب النظام...وهذا ما تطرقنا له في كتبنا السابقة.. ثم ألم يكن هؤلاء يصلون «صلاة الجمعة» كــ «عمل ثقافي»، فلماذا لم تطلهم يد صدام حسين، وطالت «الغروي والبروجردي والصدر الثاني» فقط؟ هذا أولا.. وثانياً متى قتل صدام حسين «مرجعاً» يصلي صلاة الجماعة؟ ولماذا لم يقتل الخوئي، الذي لم يتخلف عن أدائها، حيث اقيمت بالنيابة عنه حتى في يوم خبر إعدام الشهيد الصدر الأول؟ ثالثاً، ما علاقة ملف قتل «البروجردي والغروي» باستهداف واغتيال الشهيد الصدر الثاني؟ وهل يمكن لإنسان سويّ عاش احدثا تلك الفترة أو راقبها عن قرب، ألا يعلم باستقلال ملف الصدر الثاني كمشروع ثوري مغاير عن ملف هؤلاء؟ ثم بعد كل ما انجزه

الصدر الثاني من تأسيس لمشروع ثوري متكامل يوصف بهذه البساطة، بأنه: لا يعدو عن كونه يساوي عملاً ثقافياً عبر «صلاة جمعة»؟

وإذا كان الأمر هكذا فما الذي دعا السيد محمد باقر الحكيم إلى محاربته، ومحاربة مشروعه عبر وثائق نشرناها في كتبنا السابقة؟ هل هي «جرأة» أم أنها في أي إطار تصب بحيث أن تصور الأمور هكذا؟ إن أحداً لا يمكن أن يطلق توصيفاً على مثل هذه النصوص، سوى «عقدة الانفصام» الانتقامية من أي مشروع ثوري، ومن أي رامز له، ولأن الثورية ــ كما يفهمها باقر الحكيم ــ تمر عبر لندن واميركا، وكل من يمارسها باستقلال ذاتي ضدهما، لن يكون له علاقة بالثورة إذا كانت امة ثورية، أو تاريخ «مرجع ثوري»... ومن حقنا أن نطلق هذا التوصيف هنا بحكم ما آل إليه «ارث» باقر الحكيم ــ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ــ. بعد رفع مفردة «الثورة» من اسم الكيان، وحق لها أن تكون «ثورية اميركية»... ومن يمارس غيرها فهو «مطعون بثوريته»، أو أن عمله لا يمت للثورة بصلة... وفي ظل «ثورية المجلس» الاميركية حانت لحظة الاصطفاف الحقيقية بعد احتلال العراق مع أصله المرجعي «الرباعي السيستاني والباكستاني والافغاني ومحمد سعيد الحكيم» وحانت لحظة «الدبلوماسية الثأرية» إزاء خط الصدر الثاني. فهذا «الرباعي المرجعي» لم يرف له جفن، وهو يرى أن «نواة القوة الاسلامية» التي أرادها باقر الحكيم ــ حسب زعمه ونصوصه المارة أداة للعمل المسلح ــ وبالاشتراك مع القوات الأميركية تقتص من أطفال ونساء مدينة الصدرين بالصواريخ الليلية المنطلقة من الأرض والجو، فمن عاش مدينة الصدر وعرفها سيعرف أن ليس هنالك في العراق مدينة شبيهة لها من حيث طبيعة بيوتها الضيقة المساحة، المتلاصقة، المكتظة بالبشر، والتي يكفيها الحجارة عندما توضع على فوهة مدفع كي تهدم على ساكنيها، وليس المواد المتفجرة.

صحيح أن فصول هذا الكتاب كتب بعضها قبل احتلال العراق بأشهر، وبعضها الآخر بعد الاحتلال بشكل متقطع، إلا أننا ونحن بصدد إكماله، «احتراقاً» مع ما يحصل داخل العراق، جمدنا إكمال كتبنا «المعرفية» التي وعدنا القارئ بها، وهي كتب منجزة بنسبة ٨٠ % وقد كنا بدأناها بكتاب «صناعة العقول، بين التقليد الفقهي

وثقافة التقليد».. جمدناها لأن المهموم المُنشغل بهم الناس والإسلام لا يمكنه أن يتفرج على حاضر، لم يشهد التاريخ مثيلاً له، وإزاء جرائم تقترف تحت غطاء «حوزة» النجف الساكته كـ «الأصنام».. وساكتة إزاء ماذا؟ إزاء طيران يومي أميركي، وزحف ميداني «أميركي ـ حكيمي» مشترك على مدينة هي الأكثر بؤساً في العراق، والأكثر اكتظاظا بالساكنين والأكثر فقراً، وبيوتها أكثر هشاشة من بيوت القرى العراقية «البالية»!!! ما الذي يحصل؟ وما الذي حصل عندما استمر قصف الطيران لمدينة الصدر لعشرات الأيام؟

إن ما حصل كان دون مقدمات؟ وهل ينسى ورثة محمد باقر الحكيم، الذي حذف الصدرين ثورة ودوراً، هل ينسى هؤلاء أحداث مسجد أعظم و«ثورة النعال» التي قام بها العراقيون نتيجة ما مارسه باقر الحكيم من إيذاء للظاهرة الصدرية الثانية؟ وهل ينسى السيستاني والباكستاني والأفغاني ومحمد سعيد الحكيم نقد الصدر الثاني اللاذع لـ «حوزاتهم الصنمية»، وقد كان نقداً «على المكشوف»، وأكثر لذاعة من نقد الشهيد الصدر الأول، الذي وصفها بأنها «حوزة» تخاطب الأموات وليس الأحياء؟ هل ينسون ذلك، وهم رموز «الحوزة» محميون بالدبابات الأميركية، المتحالفة مع العمائم الحكيمية والخوئية وغيرها من العمائم الحركية؟... لا، وألف لا، كيف ينسون ذلك؟.. إنها لحظة «الثأر» العمياء، لأن رموز هذه «الحوزة» خلال أكثر من مئة عام هم رموز ثأر... إنها لحظة الثأر والانتقام من مدينة الصدرين، التي وقفت إلى جانبهما.. وليكن هذا الثأر!! لكن مدينة مثل مدينة الصدر لافظة بطبيعتها، التي وصفنا لمنطق الثأر، فالثأر عندها سيكون بـ «اليانصيب» إذ عسى أن يكون حصاد كل طلعة جوية أميركية تدمير خمسين إلى مئة بيت من بيوت هذه المدينة، واحد عناصر «جيش المهدي»!!! ولا فرق إذا كان الباقون من النساء والأطفال والناس الأبرياء!!! فهؤلاء «دروع بشرية» كما وصفهم رئيس الوزراء «الاسلامي ـ الاميركي» وريث حزب الدعوة الإسلامية أو الممثل له في مثل هذه اللحظة «التاريخية» التي «حقق» في تلك الحرب أهدافه في الاستحواذ على السلطة، ليهدم هو وجميع «الشيعة» من العمائم الكبيرة والصغيرة تلك البيوت على ساكنيها!!! إذ إن حجتهم جميعاً في الانخراط مع الاحتلال

الأميركي في صناعة «العراق الديمقراطي» هي «مظلومية الشيعة»، وها هم قادة «شيعة العراق» وعمائمهم الكبرى والصغرى، وأحزابها يقتلون «الشيعة» الصدريين في مدينة الصدر، التي وصفنا، وفي مدن العراق الأخرى كلها.. و«الشرعية الدينية» لهذا القتل تصدر من مدينة علي «الشيعي»!! فهل لأحد بعد ذلك كله أن يقول إن علياً كان «شيعياً» أم «سنياً»!!! وهل «شيعية الشيعة» حفظت دماءهم؟ وهل «سنية السنة» حفظت دماءهم في ظل العراق المحتل؟ وهل لايزال العراق كما كان يتصور «أهل المذاهب ورموزهم» في السابق سيمسك به «الشيعة» أو «السنة»؟

إن «معادلة العراق القديم» سقطت قبل احتلال أميركا له وبعدها، وبات العراق ليس بلد، «اللامتشابهات» فقط.. بل بلد الصدمات السريعة اللامتوقعة، واللامحسوبة من «خبراء الشيعة والسنة» من العمائم وغيرهم، ففي الإطار «الشيعي» كان استشهاد الصدر الأول صدمة لم يحسبها أحد من العراقيين، ولم يتوقعها، وفي العام ١٩٩١م، صدم العراقيون هؤلاء «الخبراء» بصدمة لم يتوقعوها، وكان قصة الشهيد الصدر الثاني، صدمة لم يحسبها الحاسبون.. وكان قدوم أميركا بذاتها للعراق واحتلاله مباشرة اكبر من العقول المتنبئة والمستشرفة كلها، وكان أحد لم يحسب أن العراق سيتحول الى بلد «الأحزمة الناسفة»... والآن وحين يثأر «الشيعي من الشيعي» بغية تصفيته، فهل يتوقع «السادة» أهل الثأر بأن قضاءهم على ما يسمونه «مليشيا شيعية» بذاتها ستحسم الأزمة... إن العراق أصبح بلد المفاجئات السرية، والصدمات السريعة اللامحسوبة واللامتوقعة، ومن يفكر اليوم بعقلية الثأر، سيكون هو نفسه ضحية هذا الثأر، وستدور الدائرة عليه.. في ظل ما انتهت أليه حال البلد، وفي ظل المشروع الأميركي فيه، وما يراد له واستراتيجية أميركا، التي تصفي «الشيعي بالشيعي» و«السني بالسني» و«الشيعي بالسني» و«السني بالشيعي».

إن «المذهب كانتماء وهوية» سقط كحافظة للدماء لدى الجميع، لكن حتى الآن لم يلتقط الدرس كثير من «السنة والشيعة». متوهمين بأن القضاء على ما يسمونه «مليشيا بذاتها» ستحقق أهدافهم في الزعامة، إنهم لا يعرفون أن هذا البلد أصبح يعيش مئات الأزمات، التي كل واحدة منها كافية لتفجيره، فمشكلة الأكراد كافية لوحدها لتهديد

وحدة هذا البلد، لا بل مشكلة كركوك وحدها كافية لتفجيره، وذلك كله على سبيل الأمثلة، ومهما يكن من أمر، فإن السيد محمد باقر الحكيم لم ينس اختلاف ديمغرافية العراق المختلفة قومياً ومذهبياً عن ديمغرافية إيران كأحد الفوارق والعوامل، التي أدت إلى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وفشلها في العراق ـــ حسب زعمه ـــ وهذا الملف على درجة كبيرة من التعقيد، ولابد من التوقف معه من خلال فقرة مستقلة مطولة، وأيضاً انطلاقاً من محاضرة الحكيم المقارنة تلك كمدخل وليس في إطار مناقشته على ما ورد حولها في محاضرته.

إنها كموضوعة لم يكن المجلس الأعلى هو الوحيد، الذي تبناها من خلال خطابه «الطائفي»، بل كان لها خلفياتها، التي اشترك بها معظم «فصائل» وعمائم «الشيعة» قبل الاحتلال وبرعاية سرية «دولية».

الشهيد عبد العزيز البدري
الغاء مسيرة !!

إن عقلية التهميش والاختصار والإلغاء لم تتجل في محاضرة باقر الحكيم من خلال ما مظى فقط، ولم تقتصر على «الشيعة» دون «السنة» من الثوار، ولا الرموز الثورية دون «الأمم الثورية» الإسلامية، ولا على «الحوزة» دون الحركات والأحزاب، انه اختصار وتهميش أو إلغاء جمعي لهؤلاء كلهم، فإذا كنا قد استوعبنا ما يرتبط بالإمام الخميني والشهيدين الصدرين، وأمة العراق في فعلها الثوري عام ١٩٩١م، فإن محاضرته طالت عبد العزيز البدري «الثائر السني» الإسلامي فقد جاء في محاضرته «فكثيراً من الناس قتلوا بسبب خطاب واحد كالشيخ عبد العزيز البدري، فإنه بمجرد أن ألقى خطاباً واحداً انتقد فيه الاشتراكية فإن النظام اعتقله في اليوم التالي وأعدمه وألقى بجثته أمام المسجد الذي خطب فيه»... هكذا إذن يصبح ملف عبد

العزيز البدري وحياته الجهادية، وحتى ملابسات قتله «السرية» التي لا يعرفها من العراقيين إلا القليل، هكذا يصبح ملف هذا الثائر الإسلامي عبارة عن خطاب ألقاه أدى إلى اعدامه، وإلا ماذا فعل غير هذا الخطاب؟ والسؤال يطرحه سياق عبارات الحكيم الآنفة الذكر. وفي ما يخص «الحركة الاسلامية» التي كانت تعيش في الخارج بعمائمها وأحزابها الرموزيين، الذين التحقوا في ما بعد باميركا علناً بعد احتلال العراق، اختصرهم قبل هذا الاحتلال من خلال قوله «بمعنى إن السبب في فشل الانتفاضة أربعة أو خمسة أشخاص جالسين في طهران أو في قم، ولو دخلوا لانتهت الأمور ونجحت الانتفاضة»!! ونقول إذا كان الأمر كذلك فكان جديراً بباقر الحكيم أن يعلن للملأ بأن الحركة الإسلامية وعمائمها آنذاك هي بهذا الحجم، الذي عبرت عنه كلماته تلك، فهو في مناسبات لا تحصى عندما يتحدث عن هذا الوجود الإسلامي يتحدث عنه بأنه وجود عالمي، ويستعرض بشكل دوري بـــ «زيه العسكري» مناورات فيلق بدر السنوية ويسمي مجلسه بأنه «مجلس أعلى للثورة الإسلامية في العراق»، ولا ينكر، بأن هنالك قوى إسلامية أخرى لها «وجودها» كحزب الدعوة الإسلامية، ومنظمة العمل الإسلامي... وهذه التوضيحات والادعاءات كلها موثقة بصحفه هو، لا بصحف غيره فقط، ومشفوعة بالصور الاستعراضية «العسكرية» له... فهل هذا المجموع الرموزي الإسلامي المعارض في حينه، يعبر عنه بأربعة أو خمسة عمائم لم تدخل العراق، ولو دخلت لانتهى الأمر كما يصور «البسطاء»؟ إذا كان الأمر هكذا إذن لماذا الادعاءات والصراعات حول المحاصصات في التمثيل بسبب نفوذ الإسلاميين؟ وإذا لم يكن كما وصف لماذا لم يدخل هو وغيره من رموز المحاصصات المتصارعين كلهم على الزعامة إلى العراق أيام الانتفاضة ١٩٩١م؟

.. ولكي لا نطيل نقول إنها عقلية التهميش والإلغاء النابعة من «انفصام نفسي» حقدي على كل ما يرمز لما هو ثوري، من اسماء ورموز، عبر تحشيد فوارق الساحتين الإيرانية والعراقية و«حوزتيهما» بطريقة تبعث على السخرية حقاً، وهي فوارق تتعدد آفاقها، بما فيها الفارق المرتبط بما يسميه بالتدخل الأميركي في العراق، وعدم حصول ذلك في إيران!! إذ جاء في محاضرته بهذا الصدد ما نصه «وهكذا

بالنسبة إلى قضية القوى الأجنبية، فأمريكا لم تتدخل في ايران، لأن حركة الشعب قد بلغت مستوى معين من ناحية كما أن الهامش السياسي والاسلامي الموجودين آنذاك لم يسمحا لاميركا بالتدخل لأنه يجعلها مكشوفة ومفضوحة، أما في العراق فإن أميركا هي التي زودت النظام العراقي بالوقود ليستخدم الدبابات والطائرات والمدافع والصواريخ ضد المتظاهرين وتدمير المؤسسات»!! وعجباً لهكذا افتراض... إنه يستعرض تدخل أميركا في قمع الانتفاضة، وكأنه سابقة، ويتجاهل التدخل في انتصار الثورة، إنها عملية انتقاء لحظات «ثورية» لإجراء مقارنات «علمية» لمرحلة زمنية تمتد إلى أكثر من أربعين عاماً في «جسمها الخطابي» الكلي.

إن إيران كانت في ظل الشاه قلعة نفوذية للاميركان، وسقوطها بيد الإمام الخميني، كان سقوطاً لأميركا، التي كانت قد تدخلت هي وغيرها من القوى العظمى في إيران عبر الاحتلال المباشر في أربعينات القرن الماضي، وأعلنت «دولة كردية» في مهاباد، انهارت بعد سنة من الإعلان عنها، وأن إيران كانت ساحة للموساد الاسرائيلي قبل الثورة... ولذا نجد الإمام الخميني يصف أميركا بـ «الشيطان الأكبر»، ولا يسقط اسرائيل ودورها في التأثير على سياسات الشاه من خطاباته الثورية إلا ما ندر، وللقارئ بعدها أن يتصور هكذا فارق مقارنة، يضيفه إلى الفوارق الأخرى.

"مرجعية الامة"
"مرجعية الاسرة" !!

إن محاضرة الحكيم تلك، فعلاً ذات آفاق ومجالات عديدة، صاغها كما أراد، وللأهداف التي أراد، وبما أن أفقاً من هذه الآفاق يرتبط بالفارق الجوهري بين «حوزتي» قم والنجف من حيث الدور والعمل المؤسسي، فهو في محاضرته يقرر من خلال القول «إن المرجعية في إيران تعيش تشكيلات قوية جداً في الأمة من خلال

مؤسسات قوية كالمساجد والحسينيات»... وهذا اعتراف منه بالفارق الجوهري بين «الحوزتين» إلا إنه يهمل أسباب هذا الفارق، ولم يطل بكلمة مقارنة واحدة حول واقع هذه «الحوزة» في العراق، وفي «النجف».. فقط قال مقولته تلك وانتقل إلى محور آخر، والمفروض أن يتوقف السيد محمد باقر الحكيم عند الأسباب الجوهرية، التي جعلت من «حوزة» إيران على هذا المستوى من العلاقات الراسخة مع الأمة، وأنها «حوزة» ذات عمل مؤسسي، فيما هي في العراق ليست كذلك، وهو إذا ما أراد أن يتوقف على هذا الفارق، فسيكون هذا التوقف لغير صالحه، فهو يصف «مرجعية» والده بالعظيمة جداً، وسوف يبرز السؤال فوراً: ماذا فعلت هذه «المرجعية» على مستوى العلاقات مع الأمة، ومن عمل مؤسسي؟ وإذا كانت أربعون عاماً، أو خمسة وثلاثون عاماً من تصدى السيد محسن الحكيم لــ «المرجعية» لم تقدم لا على صعيد السياسة وعلى صعيد الفكر والمعرفة، ولا على صعيد العمل المؤسسي الفاعل، فماذا كانت تفعل يا ترى خلال هذا الزمن الطويل، لاسيما وأنها «مرجعية» لا ينقصها المال و«مرجعية عالمية» كما يعتبر السيد محمد باقر الحكيم؟

والأمر لا يرتبط بــ «مرجعية» الحكيم ــ «الأب» فقط.. بل انه يرتبط بعمل «مرجعية» الخوئي أيضاً، و«المرجعيات» التي سبقت «مرجعية» والد باقر الحكيم، فهذه «المرجعيات» جميعها لا علاقة لها بالأمة ولا بالفكر، ولا بالسياسة، ولا بالخدمات، ولا حتى ببناء المساجد والحسينيات، ولا بقرى العراق فضلاً عن مدنه، ولا بالثقافة ومؤسساتها.. وكل ما فعلته معروف للجميع في الساحة العراقية... إنها فتحت «مكتبات»!! مختلف على المبادر إليها.. ويا لها من «مكتبات»... وكانت أموالها ــ «المرجعية» ــ تذهب إلى الخارج لتؤسس «مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية في لندن»... وما إلى ذلك من «منجزات» كــ «كلية أصول الدين» المعروفة قصتها ومنهجها، و«منتدى النشر» و«جماعة العلماء» التي لكل منها قصة لا تقدم، ولا تؤخر في التأسيس الثقافي المعني بترسيخ علاقة الأمة بــ «المرجعية»، وإذا كان بعضها قدم شيئاً من ذلك، أو حاول أن يقدم، فأوقفته أوامر «المرجعية العليا» ذاتها، التي لا ترغب بالاحتكاك السياسي، أو تخضع للفيتو السياسي الخارجي. إن ما عملته أو أرادت أن

تعمله «المرجعيات العراقية الثورية» أوقفته «المرجعيات التقليدية اللاعراقية» المستقوية بالخارج الفارض إياها على العراقيين دون أن يعوا أساليب وأسرار هذا الفرض، وكانوا ضحية له على الدوام. إنها «مرجعيات» لا وطنية، لا تنطق، و«مقدسة»، ومسؤوليتها جباية الأموال... وتقبل أياديها.

وسيكون بإمكانها أن تقتل «مرجعيات» الوطن الناطقة الشاهدة والشهيدة.. وهذا الواقع هو الذي يجعل من كلام السيد محمد باقر الحكيم في هذا الإطار يقع على طرف واحد، طرف «المرجعية» في إيران بما يعطيها شهادة التفوق، ويضفي عليها صفات التميز، ويعترف بجهدها وعملها.. أما إزاء الطرف الثاني، طرف «المرجعية» العراقية «النجفية» فلسانه يتوقف أو يصاب بـــ «الخرس» لأنه ماذا يقول؟.. وكل قول يقوله يشكل إدانة له ولأسرته فضلاً عن تناقضه مع انتمائه «المرجعي» الذي لم يرسخ العلاقة مع الأمة، ولم يقدم على أي عمل مؤسسي فاعل. فـــ «مراجع النجف» على حد قوله «لا عتب أصلاً على مرجع أبداً، لأن أي مرجع تصدى أو يتصدى فانه يقتل. المراجع محجوزون في بيوتهم»!!

"المرجعية"
بين "الحجز" العراقي و"الحرية" الايرانية !!

ومرة أخرى لا نريد أن نسهب في مناقشة هكذا كلام، لأنه كلام يساوي ــ لأي إنسان يفكر فيه ــ «أنه لا توجد أمة في العراق تستجيب لصوت المرجع».. وعليه فلا عتب على هؤلاء «المراجع»!! لأنهم «محجوزون» في بيوتهم!! والذي يتصدى، ولا يتصدى يكون مصيره القتل!! ولا ادري كيف يرتضي «مرجع» لنفسه أن يكون في هذا الموقع، إذا كان «محجوزاً»، ولا يستطيع أن يعمل أي شيء؟

فإذا كان مثل هذا «المرجع» صادقاً مع نفسه في لحظة الإعلان عن «مرجعيته»، لماذا يعلن عنها في حين أن لا جدوى من الإعلان أو عدمه؟ لماذا يضع نفسه في هذا

الموقع إذا كان سيقتل بسبب تصديه، ويقتل دون نتيجة ودون أن تناصره الأمة؟ إن من الأفضل له أن لا يتصدى منذ البدء إذا كان الأمر هكذا... أما إذا كان المقصود في عهد صدام حسين فقط، فماذا عن الذين تصدوا في عهده، وهذا أيضاً ما يناقض كلام السيد محمد باقر الحكيم في محاضرته ذاتها ـ كما مر معنا ـ عندما قال «إن السيد الخوئي تصدى للأمر»، ومع ذلك فإن النظام لم يقتله بعد فشل الانتفاضة، فإذا كان القتل قدراً لكل من يتصدى لـ «المراجع» كان مفروضاً أن يقتل نظام صدام الخوئي لأنه «تصدى» باعتراف باقر الحكيم، إلا أن النظام لم يفعل ذلك!!! ونتساءل أيضاً إذا كان «المراجع» محجوزين في بيوتهم، ولا عتب عليهم، فكيف يا ترى سافر «المرجع» محمد سعيد الحكيم من العراق حاملاً معه «عروض» غير علنية من النظام للمعارضة الإسلامية قبل الاحتلال بأن ترجع إلى العراق؟ فهذا ما يخالف مقولة الحجز... ويبدو الأمر من خلال دور النظام إزاء هذه «المرجعية المحجوزة» بأنها لم تكن «محجوزة» فقط.. وإنما مكرهة على إصدار البيانات، التي يفرضها عليها صدام حسين، وهي تفعل ذلك بلا تردد، وكتابنا هذا مزود بعشرات الوثائق من صحف النظام في هذا الإطار، فأي «مراجع» هؤلاء الذين يرتضون لأنفسهم «الحجز» في بيوتهم وينفذون إرادة صدام حسين، ومن لم ينفذ يكون مصيره «الموت»؟

.. أي «مراجع» هؤلاء الذين يفضلون تنفيذ إرادة صدام حسين على عدم «التصدي» أو ترك هذه «المهنة»؟ والآن وحيث لم يبق باقر الحكيم على قيد الحياة، ورحل إلى ربه، ما الذي يحول دون تصدي هؤلاء «المراجع» للمحتل الاميركي هم وأحزابهم.. بل هم بخلاف ذلك احتضنوا هذا المحتل وارتضوا حمايته بدباباته، ثم التعامل معه!! كانوا سابقاً يخضعون لتهديدات صدام ويصدرون الفتاوى، التي يريد حول محاربة أميركا والصهيونية... وهم اليوم يعيشون في أحضان هذا المحتل، الذي غزاهم في عقر «دارهم آمنين» أو «محجوزين»!!! ومع أن الأقنعة قد سقطت أمام الكثير من العراقيين، إلا أن كتابنا هذا وثّق أيضاً هذا السقوط، من خلال وثائق صدام حسين عبر صحافته ومن خلال كتاب السفير بول بريمر، الذي أدار «العملية السياسية طائفياً»، ومن خلال محاضرات مجلس الحكم، التي أشبعناه فيها.

من عبد العزيز البدري
الى حزب الله الثوري !!

إن الفارق الأخير الذي قلنا إنه يستحق التوقف عنده بصورة مفصلة جرّاء خطورته البالغة، الذي أثارته محاضرة السيد محمد باقر الحكيم، هو الفارق «الطائفي والقومي» بين الساحتين الايرانية والعراقية، الذي أدى إلى نجاح الثورة الإسلامية في ايران... وعدم نجاحها في العراق!! ويلخص باقر الحكيم هذا الفارق في محاضرته بالقول «العامل الرابع: وحدة الموقف الطائفي والقومي للشعب في إيران وبمعنى أن السلطة في إيران لم يكن لديها موقف مضاد لحركة الشعب من الناحية المذهبية، أي أن السلطة الحاكمة تنتمي إلى غير مذهب الجماهير المتظاهرة في الشوارع، الأمر الذي يقلل من أحقادها نحوها، وكذلك من الناحية القومية فإن الذين بيدهم السلطة لم يختلفوا قومياً مع الناس المتظاهرين في الشوارع بمعنى أنه لم يكن انقسام قومي أو مذهبي، كما هو الحال مثلاً في إسرائيل، فلو كانت المظاهرات التي يقوم بها الشعب الفلسطيني مثلاً من اليهود لأسقطت الكيان الصهيوني»!!!

إن ما يمكن أن يقال إزاء هذا الكلام مردود أصلاً من ناحية ارتباطه في ايران، فإذا ما سلمنا بتعاطف السلطة الشاهنشاهية مع الناس سنضحي بدماء الآلاف من شباب الشعب الايراني الذين ينتمون إلى «مذهب» السلطة ذاته، الذين سقطوا شهداء في مسيرة هذا الشعب الثورية، التي حققت انتصارها في نهاية المطاف على يد الإمام الخميني.. وقد أكدنا من قبل أن «الهوية المذهبية» لم تكن حافظة للدماء إطلاقاً، لا في إيران ولا في غير إيران، كما أن «الهوية القومية» هي الأخرى كذلك، لكن مما لا شك فيه، عندما تكون «الهوية المذهبية» هي هوية أمة بشكل شبه مطلق، أو مطلق فهذا ما يساعد على ترسيخ الانتماء الوطني بصورة عامة، وينعكس ضعفاً أو قوة على

هذه الأمة... وهذا بخلاف ما هو حاصل في العراق من حيث الديمغرافية، فالواقع الديمغرافي الايراني ببعده المذهبي يختلف عن الواقع الديمغرافي العراقي، وبالتالي ينعكس قلقاً في الهوية أو المواطنة... وعبر هذا الفارق، وهو فارق جوهري كان مفروضاً بباقر الحكيم، أن لا يأتي باسرائيل كمثال في إثارة هذا المحور، بما أن محاضرته المقارنة هي بين إيران والعراق، وبما أن اسرائيل هي كيان لقيط طارئ على المنطقة، ومجتمعها يعيش حالة حرب عدوانية دائمة، وبما أنها دولة قائمة على عسكرة المجتمع، وبما أن اليهود لهم ملفهم التاريخي ـ الديني الخاص عبر التاريخ، وفي العالم الحاضر.. لكل هذه الأسباب لم يكن اختيار اسرائيل راكزاً ومناسباً للمقارنة في المحور «الطائفي» ـ القومي، الذي أثاره السيد باقر الحكيم في محاضرته... ومن البديهي والبديهي جداً، أن يفترض المرء أو يتوقع أن تكون الجهة المقارنة الأخرى هي العراق، باعتبار أن عنوان المحاضرة يرتبط بايران ـ والعراق، أما سبب الهروب من مناقشة الواقع الديمغرافي ببعده «الطائفي» في العراق، فهو واضح ولا يحتاج إلى كبير جهد، من حيث ان السيد محمد باقر الحكيم يعرف جيداً أن العراق بلد ذو «أغلبية شيعية» والأغلبية لا تتجاوز حدود الـ ٥% أو ٧% من السكان لصالح «الشيعة» ولا توجد إحصاءات دقيقة في هذا المجال.. وهو بالتالي بلد حساس عندما نضعه على المقص «الطائفي»، أو عندما نريد أن نستورد صيغة حكم له من خارجه ببعدها «الطائفي»، فالسيد محمد باقر الحكيم، الذي لا يؤمن بـ «ولاية الفقيه» مطلقاً كوالده السيد محسن الحكيم، ركب موجة هذه «الولاية» كصيغة حكم، كونها صيغة تستوعب طموحه في الزعامة العمائمية، وباعتبارها صيغة تنسجم مع ارث أبيه «المرجعي» الاسمي، وليس في ما يرتبط بذات الفكرة، وباعتبارها صيغة توفر له رضا «الزعامة الإيرانية» والأدوات المطلوبة منها لمشروعه، من الدعم المادي وغير المادي، وباعتبارها صيغة تحاكي عواطف الايرانين، الذين نهضت دولتهم الثورية باسم «ولاية الفقيه» كنظرية بلورها الإمام الخميني بعدما كانت مثارة بحدود منذ عهد النراقي.. وهو ـ أي باقر الحكيم ـ يعلم أن هذه «النظرية» إذا كانت تصلح لايران كمجتمع «شيعي» بشكل شبه مطلق، فهي لا تصلح لواقع العراق «الطائفي» ـ

الاجتماعي، الذي يمثل «السنة» فيه ليس أقلية كما يردد على الدوام «الخطاب الصفوي»... فـ «السنة» يقترب عددهم من النصف في هذا المجتمع، والفارق العددي بين «السنة» و«الشيعة» لا يتجاوز ـ كما قلنا ٥ الى ٧%... ويضاف إلى ذلك كون «سايكس بيكو العقل» صاغت دولة «طائفية غير معلنة» في العراق، لا علاقة لها بالاسلام الثوري، حيث أن هذه الدولة لم يحكمها «اسلاميون سنة»... إنما حكمها «علمانيون».. ومن هنا فإن خطاب «مظلومية الشيعة» الذي فرضه المجلس الأعلى وغيره من القوى، التي كانت في موقع المعارضة، ما كان مناسباً للاسلاميين، فإذا كانت «السلطة علمانية» فلنترك هذا الخطاب لـ «العلمانيين» في معادلة مقلوبة... ذلك أن «العلماني» عندما يحشر نفسه في الدين من البوابة «المذهبية»، فانه يترجم هوية تقليدية موروثة وورقة استعمارية معروفة، ويضاف إلى ذلك بأن «زعماء شيعة» العراق كانوا مسؤولين أيضاً عن إنتاج هكذا «دولة طائفية غير معلنة» لأنهم رفضوا الاشتراك فيها ومواصلة مشوار مقاومة المحتل الانكليزي... ووفق ما تقدم كله، يبدو واضحاً أن الديمغرافية العراقية ـ وهذا ما مررنا عليه ـ لا تقبل صيغاً مستنسخة لحكم، أو مستوردة من دول ذات ديمغرافيات مغايرة ببعدها «المذهبي». ولا يمكن لهذا العراق أن يحكم باستقرار وفق أية صيغة «مغالبة مذهبية» أو «طائفية».. وأي خطاب ثوري عراقي ديني ينبغي أن يرتكز على الاسلام، لا غير، وبما أن السيد باقر الحكيم لا ينتمي إلى خطاب الثورة، كما مر معنا، فهذا ما يجعله لا يتوقف، وليس للأسباب الآنفة الذكر ـ بل حتى بالنسبة لهذا السبب ـ عند هذا الجانب وهو ما يغاير تماماً خطاب الصدر الأول الهاضم لواقع العراق الديمغرافي، وقد خاطب العراقيين وهو مودع لهذه الحياة، وليس باحثاً عن زعامة فيها ـ بأي ثمن ـ «يا أولاد علي وعمر...الخ».

أما في جانب «التجانس القومي» الذي افترضه السيد محمد باقر الحكيم للمجتمع الايراني بينه وبين سلطته بما يحد من قمع هذه الأخيرة له، فهذا ما لا ينسجم حتى مع أضخم الادعاءات الايرانية، التي تعتبر نسبة الفرس في هذا المجتمع هي ٤٨%.. وبالتالي فإذا كانت السلطة «فارسية» فإن الأمة الايرانية أكثر من نصفها ليس فارسياً،

وكان منخرطاً في تيار ثورة الإمام الخميني. هل أبقى لنا السيد محمد باقر الحكيم من «باقية ثورية» لرمز من الرموز «المرجعية الثورية»، أو عمل الأمة الثوري في إيران من خلال مقارنته تلك... إنه اختصار بالجملة لهذه الرموز «الإمام الخميني، الشهيد الصدر الأول، الشهيد الصدر الثاني»، تاريخ الثورة الإسلامية في ايران، فعل الأمة العراقية الانتفاضي الإسلامي في العراق رمزية العمل الثوري «السني».. حتى حزب الله الثوري في لبنان الذي جاءت محاضرة السيد باقر الحكيم بعد انتصاره في العام ٢٠٠٠، لم يتطرق لثوريته، ولم يعطه «شهادة ثورية» بقدر ما أشار إلى أسلوب «العمل المسلح في الساحة اللبنانية».. وادعى أن هذا الأسلوب هو الذي يجب أن يعمل عليه من خلال فيلق بدر، ومؤسسة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق... وإزاء ذلك كله فإن خمسة وثلاثين عاماً من عمر «مرجعية» الحكيم ـ الأب ـ اللاثورية اختصرها بتحرك سنة واحدة، وهي «بالتأكيد» غير كافية لانجاز نجاح على غرار الثورة الإسلامية في ايران!! إنها صورة الإنسان عندما يصاب بالانفصام المعرفي ـ النفسي، وعندما يكون تاريخه وجذوره وصيرورته، لا تؤهله لعمل ثوري ما، ثم يطغى عليه جنون الزعامة، وجنون التقاط الفرصة.. فيضيع عندها الفرصة، لكنه يبقى مريض الزعامة، والمرض يدفع به إلى تدمير التاريخ الثوري للآخرين، لأنه فشل ثورياً، وأسباب الفشل ـ كما اشرنا ـ تعود الى انه «ملتحق ثوري»، ولم يكن ذاتاً ثورية فكرية أصيلة... انه يتحول إلى «منتقم».. محاولاً إنتاج صيغة لـ «علمية» هذا الانتقام الملفقة... وهذا نوع من أنواع «الانتقام النجفي الحوزوي» يراكم على تاريخه الانتقامي من «حوزة قم» ومنجزها «الثوري» في الفترة الخمينية.

ومن حق أي إنسان مسلم أن يمارس عملية النقد بقسوة محكومة إلى طبيعة ودرجة الانحراف من أي رمز ديني أو غير ديني إذا ما أدى هذا الانحراف إلى تدمير أمة في نتائجه، وقد ارتكز احمد عبد الله ابو زيد العاملي في مشروعية كتابته الموسوعية عن الشهيد الصدر الأول على كلام الخامنئي، فهو يقول: «إذا كان ما تقدم لا يخرج من المأزق الشرعي، فإن المسألة على أية حال تتبع تقليد المرء إن كان من المقلدين، ومقلدي يجوز هذا السرد ما لم يقصد السارد الانتقاص، والله تعالى شاهد على أن هذا

القصد لم يكن دخيلاً، وعلى من يختلف معي في وجهة النظر أن ياخذ بعين الاعتبار براءة ذمتي من جهة تقليدي، ولا يحملني قناعاته أو تقليده هو. وقد جاء في الاستفتاء الموجه إلى قائد الأمة الإمام الخامنئي ما يلي: (الشخصيات التاريخية التي لها آثار علمية أو اجتماعية أو سياسية، وأصبح أمرها متعلقاً بعموم المجتمع، فلو تعرضوا للنقد سلباً أو لتقييم آرائهم ومواقفهم وأخلاقهم وجزئيات حياتهم، وقد يكون بعض ذلك عيباً، فما الحكم؟). وجاء في الجواب: (لا مانع من ذلك ما لم يقصد الانتقاص) فكيف إذا اكتفينا بالعرض وأحجمنا عن التقييم والنقد المعياريين؟!

ولن أطيل في المسألة بعد أن كنت مبرأ للذمة بحسب تقليدي، ولكني أود الإشارة على أننا إن لم نقل: إن البحث التاريخي برمته خارج عن مورد البحث، وأن أدلة التحريم منصرفة عنه، فإن مواد الكتاب خارجة عن موضوع الإشكال الشرعي موضوعاً، باعتبار عدم كونها عيباً أو باعتبار التجاهر.. وإلا فحكماً، باعتبار تزاحم الملاكات وتقديم ما نحن فيه لغرض شرعي صحيح بحسب ما نطمئن إليه في ظل توجيهات شخصيات من قبيل الإمام الخميني رحمه الله والإمام الخامنئي. وربما لهذا السبب ذكر بعض العلماء المعاصرين أن المحرم من الأمر يقتصر على الأمور الشخصية الناجمة عن الحسد وما شابه، ولا يشمل الأمور الاجتماعية التي يجوز فيها الانتقاد العلني، فكيف إذا لم يكن هناك انتقاد، كما هو الحال في كتابنا هذا؟! والإمام الخميني رحمه الله ــ مثلاً ــ وأن كان من أكثر المتشددين في بحثه حول المسألة من الناحية الفقهية في كتاب (المكاسب)، يطلب من السيد حميد روحاني ــ كما قدمنا سابقاً ــ تدوين التاريخ كما وقع ودون ستر للأمور، حيث يقول رحمه الله ما ترجمته (...... وعليكم ان تكتبوا الحقائق وأن لزم من ذلك تضرركم أو تضرر من تربطكم بهم علاقة... إذا أردتم أن يكون التاريخ الذي تكتبونه مفيداً للإسلام والمسلمين، فعليكم أن تكتبوه بعيداً عن أية أغراض. حاولوا أن تكونوا مؤرخين بهذا النحو وعليكم أن تبينوا المسائل والحوادث كما وقعت ولا يكونن في ما تكتبونه مبالغة أو ستر للأمور).

إن هذه النصائح والإرشادات لا يمكن فصلها عن الجانب الفتوائي بذريعة عدم تدوينها في رسالته العملية، بل يمكن أن نستفيد منها أنه يرى مجال البحث التاريخي

خارجاً عما كان بصدد التنظير له في بحثه الفقهي إذا تجاوز الأمر المشاحنات والطعونات الشخصية المحضة»[1].

واخيراً نقول إذا كان هذا الباحث يرتكز إلى «تقليده» في تدوين التاريخ ــ وليس «النقد» ــ فإننا ليس فقط لا نؤمن بـــ «التقليد»، بل نرى أن السكوت عن أمر مضر بمصلحة الأمة والناس يعد خيانة لا بعدها خيانة. ولا يختلف اثنان اليوم على ان إرث الخميني وخطابة الثوري ودولته تمر بأخطر منعطف يلامس مصداقيتها الثورية، فالذي قرأ نص خطاب الإمام الخميني المار الذكر إزاء «المعاهدة ــ الأميركية ــ الإيرانية» وقارنه بما قاله محمود الهاشمي الشاهرودي «رئيس القضاء الاعلى في إيران» ازاء «المعاهدة الأمريكية ــ العراقية» عليه أن يتصور خطورة هذا المنعطف، واذا ما أضيف إلى ذلك موقف رفسنجاني وزيارته إلى العراق في آذار ٢٠٠٩م ولقاءاته ببعض رموز «المرجعية» ونخب ما يسمى بالعملية السياسية[2] وزعامته

---

(١) احمد عبد الله ابو زيد العاملي، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض)، عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، م/٤٣، مصدر سابق.

(٢) لقد اثارت زيارة رفسنجاني الى العراق خلافا علنيا حادا بين بعض «ممثلي» الكتل السياسية «السنية والشيعية» حول توقيتها واهدافها وغطت وسائل الاعلام ومواقع الانترنيت هذا الخلاف. وجاء في موقع جريدة السياسي الالكترونية حول الزيارة ما يلي: «استقبل المرجع الديني العراقي علي السيستاني، اليوم الخميس، رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام الايراني هاشمي رفسنجاني الذي يجري زيارة حاليا للعراق. وقال رفسنجاني بعد اللقاء الذي استمر لمدة ساعتين في النجف الاشرف (إن وجهات نظر آية الله السيستاني في حديثنا معه كانت تتطابق مع وجهات نظرنا، حيث تباحثنا في هذا اللقاء الحوزة العلمية في قم والنجف الاشرف وقضايا العراق وإيران والمنطقة والعالم) وأشار إلى أن (أهم القضايا التي طرحت كانت التحديات التي تواجه العراق وايران، كما تم في اللقاء بحث المشاريع المستقبلية لتطوير العتبات المقدسة). وتابع رفسنجاني (عند دراسة التحالفات بعد اجراء الانتخابات، فان شخصية السيستاني تعد محور توافق للقوى السياسية والتحالفات في العراق، كما ان الخلافات بين القوى المتطرفة السنية والشيعية هي إحدى الهواجس الهامة للسيستاني)». وجاء في موقع «الجزيرة نت» ما يلي: «وقال رفسنجاني في مؤتمر صحفي بعد لقاء السيستاني إن الزيارة كانت تشكل أملا لي، وكان اللقاء تاريخيا وقيما جدا. وأضاف أنه طلب من السيستاني زيارة

←

السيستانية، وقبله كلام الخامنئي حول «الفكر الصفوي» الذي مررنا عليه في بداية الكتاب، وكذلك تصرحات أحمدي نجاد التي مرت معنا... على القارئ في ظل ذلك كله من «تحولات مصيرية خطيرة لقيم الثورة الخمينية» أن يتوقف فيما إذا كان هنالك مجال للتبرير على «أساس التقية» أو «أساس الواقعية السياسية» أو «أساس المصلحة الشيعية» يخفف من مخاوف هذا «الإنحدار» بالثورة من قمة مرتكزاتها الثورية والقيمية.. وشعارتها الاستضعافية الخمينية نحو «مستنقع الطائفية» و«البرغماتية» الواقعي... إذ ان الحصيلة الثورية الخمينية تفرض على كل إسلامي شريف أن يطلق «صرخة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» تحذيراً من التلاعب بها الذي قد حصل وللأسف الشديد من قبل «أعمدة الدولة» الإيرانية... فالصراخ بالمعروف والنهي عن

إيران لكن المرجع الأعلى بيّن له سببا مقنعا، دون أن يفصح عن طبيعة سبب الاعتذار». وفي ما يرتبط بما صرح به محمود الشاهرودي حول الاتفاقية الامنية العراقية الاميركية جاء في موقع شبكة الفجر الثقافية بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٨م ما يلي «امتدح زعيم ايراني متشدد الصيغة النهائية للاتفاقية الامنية بين بغداد وواشنطن، معربا عن اعتقاده بان الحكومة العراقية تصرفت بشكل (حسن جدا) في موافقتها على الاتفاقية الامنية مع الولايات المتحدة، التي تسمح ببقاء القوات الاميركية في العراق ٣ أعوام اخرى بعد انتهاء تفويض الامم المتحدة في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) المقبل. ونقل موقع التلفزيون الرسمي الايراني على شبكة الانترنت عن آية الله محمود هاشمي شاهرودي رئيس السلطة القضائية في ايران قوله انه يأمل بان تنسحب القوات الاميركية من العراق خلال المهلة المحددة في الاتفاقية. والتصريحات التي ادلى بها شاهرودي هي الشاهد الاول على استحسان ايران للاتفاقية العراقية الاميركية المثيرة للجدل».
يمكن القول ان زيارة رفسنجاني الى العراق اعطت جرعة عالية لتوحد المسار السياسي الايراني لرموز الدولة العليا «الفقهية والقضائية والتنفيذية والتشريعية» ازاء العراق، وبما يكرس اختلاف هذا المسار جذريا عن مسار الدولة السياسي في عهد الامام الخميني. حيث بدا واضحا حجم المفارقات الهائل بين المسارين، فمن خلال اقوال الخامنائي واحمدي نجاد ومحمود الشاهرودي وهاشمي رفسنجاني، والدور الايراني الكلي في العراق «اختار» هؤلاء الرموز لهذا العراق «التبعية» بدلا من «الثورية» الخمينية، و«الطائفية» بدلا من وحدوية الخطاب الخميني، والخرافية الصفوية بدلا من المعرفية الخمينية، و«الحوزة» التقليدية بدلا من «الحوزة» الثورية. وربما ان تصريحات رفسنجاني الانفت الذكر كانت الاكثر تعبيرا عن هذه التبدلات.

المنكر فريضة مشرعة إزاء أي دولة وأي شخص وأي جهاز، مهما يكن العنوان الذي يعنونهم، فلا توجد في هذا الكون دولة «معصومة»، ولا «شخص معصوم» في منطق القرآن وهي بالتالي في موقع الرقابة والمساءلة في «معروفهم ومنكرهم» الذي تواطأ على دماء العراقيين قبل «ثورية الخميني»!!

الخاتمة

والآن مع خاتمة هذا الكتاب ــ وإن كنا لا نعتقد أنه يحتاج إلى خاتمة ــ في ظل ما اختزنه من وضوح صارخ وكافٍ لأي قارئ، فقد بدا أن كل فصل من فصوله هو عبارة عن وحدة وصفية معرفية مستقلة، تعبر عن محنة «الحوزة» العراقية، وإذا كان لنا من كلام خاتم فهو يتمحور حول الربط بما يمكن أن نجلسها ــ الخاتمة ــ على «الجذور» التاريخية لمسار «التشيع» العراقي بحدود، وبما لا يكرر المكرور بقدر ما يكشف عن الجذور لهذا «التشيع» المرموز له هنا بـــ «الحوزة» كمنتج بشري، وفوارقها في كل من إيران والعراق، فلا يمكن الفصل بين تاريخ «التشيع» و«تاريخ الحوزة». ثم الأسباب التي جعلت من «حوزة» العراق بهذهِ المواصفات، ودورها الآني في ما آل إليه العراق في ظل الاحتلال الأميركي من خراب ودماء ودمار، طال الأمة والدولة وأطاح بهما في ظل سكوت «صنمي حوزوي» عراقي إزاءه، لا بل في ظل تواطيء «الأصنام الحوزوية» العراقية مع المحتل الأميركي وفق مبررات وحجج وهمية.

فقد اتضحت معنا المشتركات والمفترقات بين «الحوزتين» القمية والنجفية، وإذا كانت «الحوزة» كلها غير مشروعة في القرآن الكريم ــ وهذا ما له كتابه المستقل ــ وهي عبارة عن منتج بشري، وتقوم على مشتركات في كلا البلدين ــ وضحها سياق الكتاب ــ فإن الكلام سيكون في المفترقات كتوصيف عنواني باعتبارها نتيجة لتراكم تاريخي يمتزج به العنوان «الشيعي» بالعنوان «الحوزوي»، وإذا كان لنا من كلام في

هذهِ الخاتمة فإن ثقل الكلام يقع، في حيز التاريخ «المذهبي ــ الطائفي» بمدلولاته العنوانية والمعرفية لاسيما بعد قيام الدولة الصفوية التي تحول العراق في ظلها إلى حاضن لمنتجها «الشيعي» التاريخي الخرافي، وبطريقة مستهدفة من أكثر من طرف إقليمي ودولي، بدءاً من اللحظة الصفوية، وصولاً إلى الحاضر، حاضر «الحوزة الصنمية» و«حوزة الخرافة» و«الحوزة الذكورية» و«الحوزة الاحترابية» و«الحوزة الجنائزية» و«الحوزة الأسرية المناطقية» و«الحوزة المستثمَرة» و«حوزة الأصنام الوافدين الى الوطن» الذين هم في موقع «القادة» المتحكمون بالعراق «دينياً» و«الحوزة الأميركية» وغيرها من مسميات «الحوزة» التي ذكرنا، والتي لم نذكر. وقبل أن ندخل في الجذور لـ «الثقل المذهبي الطائفي» الذي جعل من «الحوزة» العراقية بهذه العناوين والمواصفات، وبما سمح لنا أن نطلق نقائضها على «الحوزة» القمية لابد من التأكيد لكي لا يختلط الأمر على بعض البسطاء، ولكي لا يتحجج الخبثاء على أن بعض العناوين والمسميات لـ «الحوزة» العراقية تنطبق على «الحوزة» القمية، التأكيد بأن الفارق يكمن في درجة ترجمة هذهِ العناوين، الأمر الذي سمح لنا أن نضعها بطريقة تناقضية ــ بالطبع غير اطلاقية ــ بل ترتكز على مقولة الثقل مع مواصفات وعناوين «الحوزة» القمية، فعندما نقول مثلاً «حوزة عراقية احترابية» و«حوزة إيرانية اقل احترابية» فالأمر واضح، والتأكيد على وجود مشترك الاحتراب يعبر عن ذاته عبر العنوان، ولكن الفارق في درجة الاحتراب، وهكذا هو الأمر بالنسبة لبعض العناوين والمسميات المفارقة الأخرى. وحتى عندما خضنا في «ضحايا الحوزتين» بمساهم «النبوي» المجازي عبر فصلي الصدرين الأول والثاني، فعنواني الفصلين يعبران لوحدهما عن مسؤولية «الحوزتين» ــ «الحوزة» القمية، و«الحوزة» النجفية ــ في هذا الإطار... اذ ان هؤلاء المفكرين المرموز لهم بـ «أنبياء» المرحلة الضحايا وغيرهم من الرموز كانوا في طور مكافحة «المستحيل» التاريخي للجذور وحمولتها المعرفية «الشيعية» الصفوية بما رمزت إليه عبر «قلق العاصمة الشيعية» والمضافة إلى حمولتها «التكفيرية» و«اليهودية»، والأصنام الكبار لـ «الحوزة» والصنم السلطاني المحلي والإقليمي والدولي التاريخي والآني، الحاضن

لهم ولدورهم، الذي تجسد بأسوء تجسيد في عصر الاحتلال الأميركي للعراق في العام ٢٠٠٣م، وحتى في مسمى الأصنام البشرية والحجرية عندما وضعناه عنواناً ورامزاً لرموز «الحوزة» العراقية، فإن هذا لا يعني أن «الحوزة» الإيرانية لم تحكم بـ «أصنام حجرية وبشرية» ـ كما وضحنا في سياق الكتاب ـ إلا أن تخصيص العنوان للعراق يندرج ضمن فارق الدرجة الصنمية، والطبقية الصنمية، والعددية الصنمية بين الحوزتين، ثم الظروف والعوامل الجغرافية والتاريخية والديمغرافية، وتلك المرتبطة بالمكون العقلي ـ الاجتماعي، ومكون الهوية،، والمكون التربوي والمكون الوطني، وحتى مكون «العمالة» الداخلي، الذي مايز بين «الصنميتين» العراقية والإيرانية ودورهما في «الحوزتين» القمية والنجفية، وجعل من «الحوزة القمية» في حالة حراك «ايجابي» للحد من دور أصنامها وضحاياها، وأتاح لثوارها ومفكريها «الأنبياء» مجازاً أن يحولها إلى «حوزة ثورية» في «نهاية المطاف» في النقل، وليس بالإطلاق على يد الإمام الخميني ومرحلته، إذ إن مرحلته تغاير إلى حد ما المرحلة، التي تلتها في الدرجة الثورية، على الأقل فيما يرتبط بملف أصنام «الحوزة» العراقية ودورهم التعاوني مع المحتل الأميركي للعراق، وما أدى إليه من نزيف دموي بشري للعراقيين، فكان المفروض لإيران كدولة وليس كـ «حوزة» أن ترفع صوتاً اعتراضياً صريحاً إزاء أصنام «الحوزة» العراقية المحميين بالدبابات الأميركية على حساب دماء العراقيين، وعلى حساب العراق كله كبلد، وحتى على حساب «شيعة» العراق، وما دفعوه وسيدفعوه من ثمن.

فإيران الثورية و«الحوزة الثورية» فيها لم تمارسا دوراً واضحاً كهذا، بل هما مارسا دوراً «مزدوجاً» اسقط مسماه «الطائفي» على العراق، بما يغاير دور «الدولة والحوزة» الإيرانية الثوري حيال ملف فلسطين الوحدوي، فالسياسة والمصالح والتحديات مهما كبرت ينبغي لها أن لا تمارس الازدواجية تحت المسمى «الطائفي» على أقل تقدير في فهم بعض الناس، أو من حيث ما يوفر ذريعة لآخرين للعب على هذه الازدواجية في التعاطي اللامتشابه في «المحور الطائفي» بين سياسات إيران إزاء كل من العراق وفلسطين، حيث تبدو في هذهِ الاخيرة «وحدوية» وتفهم في العراق

«طائفية».

ولا يفهم من كلامنا هذا أننا نحمل الإيرانيين وحدهم مسؤولية ما يحصل على يد عدوتها أميركا والأصنام التابعة لها في العراق، فالمسؤولية تقع على عاتق العراقيين أنفسهم أولاً، ومن ثم الايرانيين ثانياً. على العراقيين كلهم «الشيعة والسنة»، ولكن لأن محور الكتاب محور مقارن لـ «حوزتي» إيران والعراق، وباعتبار إيران في موقع الخصم لأميركا المحتلة للعراق، لابد من تثبيت هذا الواقع المرير لكي لا يختلط «الحابل بالنابل» كما يقولون.

ـ نعود للجذور... جذور التاريخ «الطائفي» لفهم أسباب واقع «الحوزة العراقية» إذ عندما نحضر مقولة الدولة العراقية «الأولى» القلقة، بكل مقومات هذا القلق التاريخي، سيحتل المكون الاحتلالي والمكون «الشيعي» معاً في مرحلة ما بعد إيران الصفوية سيحتلان موقع المركز من منظومة هذه المكونات، وسيبرز هذان المكونان معاً وسيفعلان سوية وسيتراكمان أثراً على هذا العراق ودور «الحوزة» فيه، وسيترافقان على ثلاثة مراحل... مرحلة ما بعد الصفوية ووضع العراق كبلد محتل بالتناوب بين إيران وتركيا، ومرحلة ما بعد الاحتلال الانكليزي للعراق، وصولاً إلى مرحلة الاحتلال الاميركي فيه، ثم دور المكون الطائفي في هذه المراحل الثلاثة، فالمكون الاحتلالي البريطاني وبعد أكثر من ثمانية عقود زمنية يتغير بمكون احتلالي جديد هذه المرة، هو المكون الاحتلالي الأميركي، الذي يصطحب معه المكون القديم كتابع.. في دلالة على دوران هائل في موازين القوى الدولية خلال الفترة المحصورة بين تأسيس الدولة العراقية الأولى وبين انهيارها.. فهذه الفترة شهدت بروز كتل دولية وانهيار كتل أخرى وبروز كتل وأحلاف إقليمية وانهيار أخرى، وتغيير «الشرعية الدولية» من عصبة أمم إلى أمم متحدة، وبالتالي حروب دولية ـ عالمية.. وأنظمة دولية.. وفي منطقتنا الإسلامية بناء دول لم يكن لها وجود.. وحروب ما على شاكلة من الشاكلات بين بعض الدول، وفي سياق هذا المكون يبقى «العراق القلق» هو الثابت والمنطلق في إرساء نظام المنطقة العربية والإسلامية بالنسبة للمحتل البريطاني

سابقاً، والأمريكي فيما بعد، فهو المكان الأول، الذي نفذت من خلاله اتفاقية «سايكس بيكو»، وهو المكان الأول أيضاً ــ بعد هذا الدوران الهائل ــ الذي أريد أميركياً أن يعاد صياغة المنطقة من خلاله.. وفيما أن هذا «المكان ــ العراق» دخل القرن الماضي لا على شاكلة «الأمكنة ــ الدول» الأخرى القومية ــ القطرية من حيث حجم الجروح المثخن بها.. فهو قد دخل القرن الحالي محملاً بتبعة من الدمار والأزمات لا تقاس إطلاقاً مع دخوله القرن المنصرم، الذي خرج منه كساحة أو ميدان صراع مرير طال أمده أكثر من أربعة قرون لقوتين إقليميتين كبيرتين هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية.. إذ عندما يُقرأ تاريخ المنطقة الإسلامية خلال تلك الفترة سيجد أي باحث نفسه أمام مفارقة هائلة في أية قراءة مقارنة بين سلسلة الدمار والكوارث والفتن الداخلية، التي تعرض لها العراق.. وحالة أي مكان آخر من أمكنة هذا العالم الإسلامي، وبالتالي فإن العراق يخرج من دوامة أكثر من أربعمائة عام من التوتر والحروب ــ كميدان متأثر ــ ليدخل قرنه الماضي حاملاً معه هذه التركة كلها.. ويصاغ كدولة «قومية ــ قطرية ــ قلقة» بالطريقة التي حصلت، وهو دخول ــ كما أشرنا ــ لا يشبه دخول أية دولة أخرى من دول العالم العربي والإسلامي ــ بنظرة مقارنة ــ إذ أن كل مكان من هذا العالم مر بظروفه وحروبه وأوضاعه الخاصة، إلا أن الأمر إذا ما قورن بالعراق، فسنجد أن التركة، التي حملها العراق على ظهره خلال مئات السنين لا تشبه التركة، التي دخل بها أي مكان آخر من حيث سلبيتها وآثارها التدميرية ــ وهذا ما يحتاج طبعاً إلى دراسة واسعة جداً ــ ولذا فإن هذه التركة كانت اكبر في «انحرافها المعرفي الصفوي» من الدور الثوري، الذي قامت به «حوزة» النجف إبان احتلال بريطانيا للعراق وأحداث ثورة العشرين، فهذه الفترة كانت محطة قلقة لتاريخ «الحوزة» في العراق، ولذا فإن «حوزة» الوافدين إلى الوطن بحمولتهم الصفوية أطاح بجهود الخط الثوري، الذي قاوم البريطانيين، وبالتالي حصل ما حصل في تأسيس دولة العراق المعاصر، التي انهارت بالاحتلال الأميركي. ونحاول هنا التوقف عندها بإيجاز من خلال فقرة محددة، تعبر عن واقع العراق قبل مرحلة الدولة الصفوية.

ــ اذاً لا بد من الإشارة إلى حجم الدمار المريع، الذي حل بالعراق وعاصمته بغداد ــ مركز الخلافة العباسية ــ فحتى ذلك الحين كان «التشيع العراقي» ما زال يخوض دوره المعارض، «السلمي» والثوري إلى حد ما الساعي إلى تصحيح الانحراف في السلطة المركزية.. وهو إذ يكن غير قادر على ذلك لأنه يشكل «أقلية سياسية» في العالم الاسلامي آنذاك، ذات أهداف سياسية تصحيحية، ولم يستقر بعد «التشيع» على شكل «مذهب» موروث، أو، لا إن كل من ادعى الانتماء لعلي بن أبي طالب (ع)، أو رفع راية الانتماء له أصبح «شيعياً»، كما كانت الحال في العهد الأموي، فمن انتموا إلى خط معارضة السلطة المركزية وقاتلوا باسم الراية العلوية ــ الحسينية اختلفت مناهجهم في المقاومة.. وإلا فإن العباسيين الذين أمسكوا بالخلافة ودحروا الأمويين، رفعوا شعار «العلوية والحسينية» ونُظر إليهم آنذاك على أنهم «شيعة» كما ناقش ذلك الدكتور علي الوردي في كتابه طبيعة المجتمع العراقي... «التشيع» كان عبارة عن خط سياسي خلال فترة الدولة الأموية وبواكير الدولة العباسية. وعندما توقف بعدها مسار الفعل الثوري «الشيعي» وتحول «التشيع» إلى «مذهب» يحافظ على «خصوصيته» كتحصيل حاصل لــ «عجزه» الثوري، وتعايشه مع الأمر الواقع، بعد انتهاء عصر «الأئمة» (ع) طبعاً، كان العراق هو المقر الأساسي، والحاضنة الأساسية «البشرية» لــ «تشيع» الأمر الواقع الذي انتهى إلى «مذهب رسمي».. وليس «الرسمية» هنا هو الاعتراف به من قبل السلطة المركزية ولكن بلحاظ التقنين لسياق «المذهب» الذي يماثل سياقات «المذاهب» الأخرى. وعاش حالة «الهدنة» أو السجال المعرفي التجريدي، الذي لا يستفز السلطان ممثلاً برجل الدين، الذي انتهى إلى صيغة «الفقيه» الأبرز في «الطائفة» فاقداً بذلك كثيراً من جذوته الثورية.. محاولاً الاعتياش على إرثه الثوري القريب. بينما كان مكانه مركزاً للخلافة الرسمية وتعاطيها المتعدد الأنماط مع رموزه المكانية «النجف، كربلاء، الكاظمية، سامراء»[1] التي تخضع للحصار والرقابة والاستهداف بين فترة وأخرى

---

(١) من الواضح ان استهداف العراق عبر التاريخ نهض على مرتكز ديني، وباعتباره حاضن ←

بدرجات متفاوتة، لكي لا تعود بؤراً لنهوض سياسي ثوري محتمل. وبقيت الحال هكذا حتى سقوط الخلافة العباسية نهائياً على يد احتلال خارجي استهدف العراق أكثر من غيره بقسوة بالغة على يد المغول بزعامة هولاكو، ويمكن القول من خلال تلك الفترة ــ فترة ما بعد انهيار الخلافة العباسية ــ إن ما حصل يتمثل بإيجاز ببروز «رجال الدين» بأتجاهاتهم المختلفة ومدارسهم المعرفية «الفقهية، الكلامية، الفلسفية، العرفانية، التفسيرية، التاريخية» واختلاط مبانيهم المعرفية، وبروز الصراعات بين هذه الاتجاهات، وبالتالي بروز موقع «الفقيه» على حساب الاتجاهات الأخرى... وعليه فإن «الحوزة» المتعارفة اليوم، لم تكن نسخة مشابهة لما كان حاصلاً آنذاك.. بل يمكن القول عنها آنذاك بأنها تشكلت كإطار مقنن، لكن قطعاً ليس في عهد الأئمة (ع)، وبالطبع رافق هذا التقنين، تقنين «المذاهب» الإسلامية، وبروز مدرسة «الاجتهاد» وجدل «المصوبة والمخطئة» الذي رافقه لدى ما سمي فيما بعد بـــ «أهل السنة والجماعة» فـــ «الحوزة الشيعية» آنذاك لم تعرف شيء اسمه الاجتهاد والتقليد، لأنهما محرمان لدى «الشيعة»، وكانت اقرب في مسماها إلى «الحوزة الإخبارية»، أو الاتجاه الفقهي الإخباري، لأن كلمة «حوزة» لم يتأكد بأنها موجودة ومتداولة.

بعدما انتصرت الدولة العباسية بشعار «يا لثارات الحسين» انهارت محولة الحسين (ع) وعلي (ع) وباقي الأئمة من أهل البيت إلى «مذهب» غير معترف به «رسمياً» كباقي «المذاهب الإسلامية» التي اجتازت آنذاك طور الصيرورة والتقنين... ولعل

لجدل هذا التاريخ الديني برموزه وامكنته لاسيما مدينة النجف حاضنة الامام علي (ع) الذي ارتبط جدله بجدل العراق ومن ثم جدل الاسلام، وهذا ما له مبحثه الخاص في كتاب لاحق باسم «حصارات علي»، ومع بديهية هذا الاستهداف الا ان مخبوءات العقل اليهودي والصليبي تحاول ان تبعد هذا الجدل المسمى باسم علي، وابرز نموذج صارخ لذلك انظر كتاب الدكتور مايكل هارت (المئة الاوائل)، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق ــ سوريا، بيروت ــ لبنان، ط ١٣، ١٤٢٧ هـ ــ ٢٠٠٦م. عندما يضع على سبيل المثال جان جوك روسو والملكة ايزابيلا الاولى واسماء اخرى مشهورة منذ بداية التاريخ البشري حتى الان ويتجاهل اسم علي (ع) من المئة اسم التي ضمها كتابه.

الخطأ المروع، الذي وقع به الرموز الذين احتكروا تمثيل أهل البيت (ع) هو تحويلهم ــ أي أهل البيت (ع) ــ إلى «مذهب»، بحجة أن الأمة تحولت إلى فرق وأن هذه الفرق على تعدد مسمياتها واتجاهاتها انحصرت بمجموعة من «المذاهب»، وعلية فلا بد من تحويل أهل البيت (ع) إلى «مذهب»!! ولعل هذا الخطأ، هو اكبر خطأ شهده تاريخ الصراع والجدل الإسلامي ــ وهو ما له مبحثه المستقل خارج هذا الكتاب ــ ومهما يكن من أمر فإن انهيار الدولة العباسية دفع ثمنه العراق، دون البلدان الإسلامية بأقسى ما يكون الثمن، فلقد مثل هذا الإنهيار للدولة العباسية المحطة المفصلية الأولى في تاريخ «التشيع» بثمنها الباهظ وحيث: «بقيت دار السلام جذابة غنية مهيبة الجانب، لكنها كانت خائرة القوى، وأقرب إلى الخيال من الحقيقة، لا حول ولا طول بيدها تتنعم بعظمتها الخالدة، وسرعان ما عصفت بها ريح الخراب فداهمها سنة ١٢٥٨ (٦٥٦هـ) هولاكو حفيد جنكيز خان، فشّل عرشها وأطفأ نار الخلافة فيها إلى الأبد، واستباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة، وذبح شعراءها وتجارها وفرق طلابها وعلماءها، وفقهاءها، فاستحالت في يوم واحد من مركز السلطة الإسلامية الذي لا ند له إلى مركز حقير من مراكز الإمبراطورية الإيلخائية»[1].

لاحظ هنا عبارة « إلى الأبد» في النص المتقدم، ولاحظ عبارة توصيف الذبح والتخريب فيه، فهما عبارتان ستتبعان وتلازمان هذا العراق طوال تاريخه، والى ما بعد سقوط الدولة العباسية، وعليه لن يبقى هو مركزاً للفعل إطلاقاً، بل سيبقى مسلسل الدمار فيه يشكل علامة فارقة بالنسبة لكل المراكز الإسلامية الأخرى.

وحيث «تقسم فترة القرون الثلاثة الواقعة بين هذه الحادثة المفجعة واستيلاء سليمان العظيم على بغداد إلى أربعة أدوار، فقد غدت حكومة بغداد حكومة من حكومات

---

(١) المستر ستيفن هيمسلي لونكريك، المفتش الإداري في الحكومة العراقية سابقاً، (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، ص ٢٦ ــ ٣٦، ترجمة جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت ــ لبنان، ط ٥، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

أباطرة المغول في إيران مدة ثمانين سنة، وظلت لمدة سبعين سنة أخرى العاصمة الجنوبية لمملكة انفصلت عن الإمبراطورية المذكورة على يد أحد ولاتها بعد أن خارت قواها، وفي عالم ١٤٠١ (٨٠٤هـ)، وقعت بيد سلالة من سلالات القبائل التركمانية حتى اغتصبها الأقرباء المعادون، وفي سنة ١٥٠٨ (٩١٤هـ) تشربتها مملكة الصفويين الإيرانية التي كانت آخذة في النمو»[١].

إن نكبة الاحتلال المغولي بما تركته من دمار استثنائي في العراق ستجعل منه سائرا إلى الأبد على طريق دمار مغاير، للدمار الذي قبله، وهو الدمار الداخلي الذي أخذ عنوان «التشيع» فيه دور المعارض السياسي والثوري لفساد السلطة الحاكمة.. ففي العهدين الأموي والعباسي حينما استُهدف العراق في الأول، وأكمل هذا الاستهداف لأماكنه المقدسة في الثاني كان العراق مصدراً للفعل ورد الفعل في آن واحد، إلا أن هذه الصفة ستضعف على حساب «الفعل» كثيراً خلال القرون الثلاثة المذكورة وسيتلاشى الفعل فيها ــ تقريباً ــ بعد تحول العراق إلى ساحة «قلقة ومستباحة ــ محتلة» بعد انهيار الدولة العباسية، وفي زمن الصراع الصفوي ــ العثماني، كما سنأتي على ذلك لاحقاً.

ونعود لنؤكد «كانت أعظم الأعمال التهديمية التي ارتكبها هولاكو هي التخريب المتقن في السدود والأنهار ونواظم الإسقاء، التي كانت تشيدها المحكم منذ القدم المنبع الوحيد للثروة في البلاد.. ولقد تعذر القيام بإصلاح تلك التخريبات بسبب استمرار الاضطراب في البلاد وفقدان روح العمل ممن بقوا أحياءً من السكان القليلين بعد تلك المذابح والتخريبات الهائلة»[٢].

وكان التخريب والدمار، الذي لم تصلح آثاره بعد فترات السلم والهدوء، التي يعيشها العراق نتيجة فساد الأمراء ودكتاتوريتهم والتمزق الاجتماعي والقبلي، يزداد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

في منعطفاته خلال تلك القرون الثلاثة إذ أن «القدر كان يخبئ أفجع الكوارث النازلة منذ أيام هولاكو، فلقد استغل قره يوسف حاكم مملكة القره قويوتلي التركمانية في وان، موقفه وقوى مركزه فارتقى من كونه تابعاً من توابع الحكومة الجلائرية إلى حليف قوي من حلفائها، وكان تيمور الأعرج (تيمورلنك) وآخر المغول وأعظمهم، يمر من فتح إلى فتح على رأس جيوش جرارة من الشرق وفي سنة ١٣٩٣ (٧٩٦هـ) ظهر على أبواب بغداد، فانحنى الجلائري فيها للعاصفة حتى مرت فاعتدل من جديد وطرد الحاكم المغولي، وفي سنة ١٤٠١ (٨٠٤هـ) وقعت الكارثة، فالتجأ السلطان أحمد قره يوسف إلى بلاط ميلديرم بايزيد رابع سلاطين العثمانيين، ووقعت بغداد بسهولة بين ذراعي تيمور، فذبح الألوف من الناس، وهدمت الجوامع والمدارس والمساكن»[1].

وفي ظل ذلك الخراب والدمار والاضطراب، الذي عاشه العراق آنذاك، فإن المتغير الأخطر الثاني، الذي شهده «المذهب الشيعي»، هو متغير معرفي خطير، فقد بدأ الخط الأصولي في هذا المذهب داخل «مؤسسته الدينية ــ الحوزة ــ»، واخذ «الشيعة» بــ «الاجتهاد والتقليد» في تلك المرحلة لأسباب لم تناقش بإسهاب حتى الآن، ويلفها كثير من الغموض، وسوف نناقش ذلك في كتاب «الاجتهاد»... وهذا المتغير الثاني الخطير قنن لنظام ديني معرفي بشري موروث «شيعياً» بعيداً عن النظام المعرفي القرآني، وجذر من سلطة «المؤسسة الدينية ــ الحوزة ــ» بشكل كبير، هذا المتغير سيمهد لاستيعاب متغير ثالث أكثر خطورة، وسيكون انعكاسه على العراق أكثر من غيره هو الآخر. ولقد مثل هذا المتغير المحطة الانحدارية الثانية في تاريخ «التشيع».

إن المتغير الثالث الأخطر الذي أطاح بــ «التشيع» العراقي بعد متغيرين ــ متغير العهد «الشيعي» المؤثر عبر سلسلة الثورات وأثمانه الدموية الباهظة وتحول «التشيع» في ما بعد إلى مذهب ومتغير الاحتلال المغولي، الممثل بطارئ «الاجتهاد والتقليد»

---

(١) المصدر نفسه.

بثمنه «المعرفي» الانحرافي الخطير ــ ودماره وصفته الاحتلالية، جاء بعد «تشيع إيران»... فقد صار المكون «الشيعي» في العراق لا يشابه في مساره أي مكون «شيعي» آخر في العالم، بما فيه «إيران الشيعية» الجديدة... مع الفارق في الحجم الهائل بين المكونين العراقي والإيراني هنا.. إلا أن «الشيعية الإيرانية» تبقى في نهاية المطاف «شيعية» التحاقية.. وليست حاضنة تاريخية أساسية في قراءة كلية للتاريخ الإسلامي بحيث انها تمتد مع بدايات الإسلام.. وسيرتب هذان المعنيان «الالتحاقية والأساسية» جدلاً مغايراً في مسيرة «التشيع» في كلٍ من البلدين، فهو ــ أي الجدل ــ بقدر ما يكون إيجابياً بصورة عامة، وليس بصورة إطلاقية في البُعد الإيراني، فإنه سيكون سلبياً في البُعد العراقي بالتوصيف ذاته... و«التشيع الإيراني» عندما يأخذ صفة الأغلبية القصوى في المجتمع «٩٥%» ويتحول إلى هوية، فإنه يتصالح تلقائياً مع «الوطن الكبير» في شعور الأمة، ويتحول إلى عنصر تماسك اجتماعي داخلي بين فئاته في الوقت ذاته.. بينما هو يحافظ على الموروث «الحضاري» وعلى «الإمبراطورية التاريخية» في ظل الإسلام هذه المرة، وسيغطي هذا «التشيع» جغرافية أكبر من جغرافية العراق ثلاث مرات ونصف... كان «التشيع» العراقي هو الأكبر «بشرياً» قبل التحاق إيران بـــ «التشيع» بالنسبة للوجودات «الشيعية» الثابتة في العالم.. وأصبح «التشيع الإيراني» هو الأكبر بحكم ثقل إيران الجغرافي والبشري.. ولأن العنوان واحد هو «التشيع» فهو سيخلق معادلة تأثير متبادل «قسري» بين إيران والعراق بحكم أن الأخير فضلاً عن كونه «الحاضنة الأساسية» للتشيع، فإنه الحاضنة لمراقد «أئمة التشيع» ورمزيه الكبيرين علي والحسين (ع). إن التلاصق الجغرافي لوحده بين الدول يخلق معادلات تأثير وتداخل اجتماعي وثقافي وفي التقاليد، فكيف هي الحال إذا امتد هذا التلاصق الجغرافي الاستثنائي أيضاً «أكثر من ١٢٠٠ كم» كحدود بين البلدين في ظل الوحدة الانتمائية «المذهبية»؟ وبالتالي فإن هذا التداخل والتأثير المتبادل سيهز معادلة «المركز الشيعي» ــ العراق ــ اهتزازاً عنيفاً... ويبقيها أيضاً في حالة من «القلق الدائم»... ففيما أن علي بن أبي طالب (ع) رمز «التشيع» الأكبر ــ كما هو سائد تاريخياً، وإلا فإن علي (ع) رمز من رموز الإسلام العظيم أولاً وقبل

كل شيء – هو في العراق الحاضنة الأصل لـ «التشيع» فإن الثقل «الشيعي» البشري أصبح إيرانياً بعد العهد الصفوي بفارق شاسع جداً بين الكم «الشيعي» البشري في كل من إيران والعراق، وإذا كانت معادلة المركز الأصل في العراق قبل «تشيع» إيران هي معادلة جدل عنفي صاخب مصحوب بأحزان المواجهة وما طرأ عليه من تحولات معرفية في العهد المغولي... إلا أن ما يوازيها هي أنها تشكل «الأساس والأصل» ودافع الإحساس بـ «الخصوصية» في ظل واقع لم يأخذ بعد شكل «الصراع المذهبي بين دول كبرى منشقة على دولة الإسلام المركزية»، أما بعد «تشيع» إيران، فإن هذا الالتحاق أحدث تحولاً بشرياً هائلاً في معادلة العالم الإسلامي.. وبالتالي فإنه أفقد العراق «خصوصية» الكثرة البشرية «الشيعية» التاريخية المدعومة بوجود علي والحسين (ع) في العراق. فتغيرت إثر ذلك ملامح المسار «الشيعي» في العالم الإسلامي، واهتزت معادلة المركز أو سمه «العاصمة الشيعية» إذا شئت، وفيما أضفى «التشيع» الصفوي على إيران تماسكاً داخلياً اجتماعياً يصالح وحدة الوطن الكبير، ويصالح الإرث الامبراطوري القديم كانتماء تاريخي وليس كانتماء فكري – كما أشرنا – في نهاية المطاف فإن خسارة العراق لخصوصية الكثرة البشرية «الشيعية» جعلت من إيران «عمقاً» له، بعد أن كان هو عمقاً انتمائياً لـ «أقليات» شيعية في أماكن أخرى من العالم الإسلامي.

وإذا ما أضيف إلى ذلك وجع وأحزان وألم ومسؤولية الاحتضان المبكر في تاريخ الإسلام لـ «التشيع» كخط سياسي مناهض لفساد السلطة عبر سلسلة من الانتفاضات والثورات التاريخية، التي تلت استشهاد الإمام الحسين بن علي (ع) في ساحة العراق، وإذا ما أضيف إليه المتغير «المعرفي» في العهد المغولي المصحوب بالخراب والدمار، فسيتضح لدينا أن وقع الاهتزاز، الذي تعرض له «مركز التشيع» و«عاصمته» كان على علاقة نفسية مريرة مع الواقع الاجتماعي العراقي تضاف إلى خسارة الكثرة البشرية... ومع مرور الزمن، وبعد أن يتحول «التشيع» من خط سياسي إلى «مذهب من مذاهب أمة إسلامية متكثرة المذاهب» والفرق، وبعد المتغيرات المذكورة في العهد المغولي تصبح المعادلة ذات بُعدين، البُعد الأول يقع في

حيز الدائرة الإسلامية العامة حيث يأخذ «التشيع» وزناً بشرياً أكبر في العالم الإسلامي، بينما يتكرس ويتعمق البُعد الثاني بشكل أكبر، وهو البُعد المتمثل بما أسميناه قلق المركز «الشيعي» أو «العاصمة الشيعية» بما يمكن أن يحولْهما مجازاً إلى مركزين، أو عاصمتين فالعراق حاضن علي بن أبي طالب وابنه شهيد كربلاء الحسين (ع)، والحاضن المبكر التاريخي، الذي دفع ثمن هذا الاحتضان أوجاعاً وآلاماً قاسية سيبقى مركزاً جغرافياً لــ «التشيع» أكبر من كونه مركزاً بشرياً له ــ بلحاظ المقارنة مع إيران طبعاً ــ وإيران بثقلها البشري في العالم الإسلامي ستتحول إلى مركز بشري لهذا «التشيع» في التأثير، والجدل السياسي والفكري والدولي والصراعي، الذي اتخذه تاريخ الإسلام بعد «التشيع» الإيراني.. وبعد أن تحول إلى «مذهب» حاكم فيها وتحول هذا «المذهب» إلى هوية سياسية للمواجهة، وليس فقط «هوية دينية للأمة الإيرانية»... ولقد برز ذلك جلياً في الدولة الصفوية وجدلها في التاريخ وصراعها مع الدولة العثمانية، إذ أن ارتدادات هذا الجدل والصراع لم تكن باتجاه «مركز الخلافة الإسلامية» المركزي.. ولم تكن على «مضمون التشيع» المطروح تاريخياً «العراقي الأصل والجذور» فحسب، بل سيرتد الأمر على العراق ألماً مغايراً هذه المرة لم يشبه ألم فترة الإسلام الأولى التي كان العراق حمالة «التشيع» فيها وحاضنته بكل ما رافق هذه الحمولة من أوجاع تاريخية – قُلنا إن العراق شهدها على شكل ثورات وانتفاضات ومواجهات عنيفة ــ إذ أن هذا الوجع كان وجع الانتماء لعلي (ع) كخط سياسي يواجه الانحراف الداخلي وفساد السلطة، فساد سلطة بني أمية وبني العباس وتحول الإسلام إلى ما يشبه القبيلة الحاكمة باسم الإسلام بعد مجيئه، بعدما كانت حاكمة قبل دعوة الرسول محمد بن عبد الله (ص)، أما ألم الصراع العثماني ــ الصفوي على العراق فكان ألماً مغايراً، ألم انتهاك «العاصمة الشيعية» أو «المركز الشيعي الجغرافي» وتحويله إلى ساحة أو ميدان مواجهة بين الطرفين العثماني والصفوي أو السيطرة عليه أو الاستقواء به أو محاصرته بعد أن أضفى «تشيع» إيران أهمية استثنائية عليه لكن من خارجه، وليس من داخله.

إذن هنالك فارق كبير بين ألم «الصيرورة» وثمنها، صيرورة «التشيع» في

العراق، وبين ألم الاستباحة لــ «العاصمة» او«المركز» أو محاولة الهيمنة عليه عثمانياً أو صفوياً، أو محاصرته التي ستتحول إلى محاصرة واستهداف للعقل العراقي «الديني» وتحشيته بالفكر الصفوي الخرافي، وتسليط الرموز الصفوية عليه، التي أوجدت في العراق «حوزه» بمواصفاتها، التي ذكرنا عبر صيروة تاريخية مضنية، فألم الصيرورة للتشيع في العراق قاس وكبير إلا أن خصوصيته أو خصوصية الانفراد به قبل انهيار الدولة العباسية تعطيه ديمومة التحمل كمعوض ودافع نفسي وشيء من الوضوح، الذي لا يؤدي إلى الانحدار الكامل بمضامينه الفكرية بشكل حاد.. وهذا ما ينقلنا إلى المضامين التي أصيبت بضربة انحرافية قاسية للنظام المعرفي الديني الذي أخذ بـــ «الاجتهاد والتقليد» في العهد المغولي مشفوعة بدورة دمار ودماء هذا العهد، ومن ثم بعد ذلك «علاقة المضامين بالطقوس» التي سيكرسها العهد الصفوي بدمار مادي وانحراف معرفي كبيرين، ولا شك أن الدكتور الشهيد علي شريعتي أثرى هذا الجانب بشكل يجعل أي باحث ليس بحاجة كبيرة إلى التنقيب في مسار «الفكر الشيعي» وفوارقه بين «التشيعين» الصفوي والعلوي، مع ملاحظتنا على هذا التصنيف، وهذا ما له مبحث آخر، وقبل أن نستعين بشريعتي لوصف هذه الفوارق من خلال بعض النصوص، نقول شتان ما بين أوجاع الصيرورة «الشيعية» وأوجاع «الحوزة»، يقول شريعتي:

«إن للتشيع حقبتان تاريخيتان، بينهما تمام الاختلاف، تبدأ الأولى من القرن الأول الهجري حيث كان التشيع معبراً عن الإسلام الحركي في مقابل الإسلام الرسمي والحكومي الذي كان يتمثل بالمذهب السني، وتمتد هذه الحقبة إلى أوائل العهد الصفوي، حيث تبدأ الحقبة الثانية والتي تحول فيها المذهب الشيعي من تشيّع حركة ونهضة إلى تشيع حكومة ونظام، الشيعة الأوائل كانوا أقلية مضطهدة لا تقدر على ممارسة طقوسها بحرية وعلانية، ولم يكن يحق للشيعي أن يزور الإمام الحسين في كربلاء أو حتى أن يأتي باسمه على لسانه، كان دائماً تحت المطاردة وملازماً للتقية خوفاً من خطر القتل والسجن والتعذيب ــ أما الآن بعد قيام الصفوية ــ فقد تحول الوجود الشيعي إلى قوة كبرى تحكم البلاد وتقع تحت أمرتها أقوى الأجهزة الرسمية،

والحاكم الذي كان يقمع الشيعة بشدة ويعتقل كل من شك بولائه وحبه لعلي ويعذبه ويقتله، بات الآن من أكثر المدافعين عن التشيع، وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت وحتى أنه يفتخر باعتبار نفسه (كلباً) للحضرة الرضوية، يا له من انتصار!»(١).

طبعاً علينا أن نشير أن «التشيع» العلوي لم يكن مذهباً مقنناً بالكامل في العهدين الأموي وفترة من العهد العباسي... كما لم يكن بالصورة، التي يصفها شريعتي في العلاقة مع الأنظمة والسلطات. ويواصل شريعتي كلامه:

«أما العلماء ورجال الدين كانوا على الدوام في معرض الخطر والمواجهة مع السلطات ويتعرضون لأبشع أنواع الظلم والتنكيل ها هم اليوم معززون مكرمون مرفهون يعيشون في ظروف جيدة للغاية ويجلسون جنباً إلى جنب السلطان على فراشه الوثير، وقد يستشيرهم بكثير من الأمور المتعلقة بمستقبل البلاد، بل إن السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلا بمقدار ما يخوله، رجل الدين بالنيابة عن الإمام صاحب الزمان.. يا له من انتصار!

من هذا الموقع العلوي والحافل بالانتصارات بدأت هزيمة التشيع! ومن اللحظة التي زالت فيها جميع الموانع والعراقيل بوجه أداء طقوسهم العبادية والمذهبية، وتحول الأعداء إلى أصدقاء ومؤيدين، توقف الشيعي عن الحركة ليتحول إلى وجود اجتماعي غالب وحاكم وجامد راكد!»(٢).

طبعاً يتعامل شريعتي في نصوصه هذا مع «الأمر الواقع» الذي حكم التاريخ في مساره، لا من قناعاته حول الاسلام الذي لم يقر ان لـــ «الدين رجالاً خاصين به». ومن خلال هذه النصوص يمكن الوقوف على مجموعة محاور بما يلخص إلى حد ما، ما تطرقنا له.

---

(١) د.علي شريعتي، (التشيع العلوي والتشيع الصفوي)، ص٦٤ – ٦٥، تقديم د. ابراهيم دسوقي شتا، مجموعة الآثار الكاملة، دار الأمير، لبنان ــ بيروت، ط١، ١٤٢٢هــ ــ ٢٠٠٢م.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٤ــ ٦٥.

أولاً: إن نصوص شريعتي المذكورة توضح مقولة «الأقلية الشيعية» التي أسميناها نحن «الكثرة البشرية الشيعية» الأولى في نظرة مقارنة تاريخية لها مع إيران ذات الكثرة «الشيعية» البشرية لاحقاً ـ أيضاً في التاريخ ـ إذ أن السياق العام لبحث شريعتي لم يتمركز حول المكان ـ مكان «التشيع» التاريخي ـ الذي هو العراق المحتضن لـ «الأقلية الشيعية» بالنسبة للمسلمين فيما هي «كثرة شيعية» بالنسبة لأماكن «الشيعة» الأخرى آنذاك. ولعل «زيارة الحسين» كمثال يسوقه في النص المذكور هي دلالة ضمنية وليست قصدية لمكان «هذه الأقلية» وهو العراق الذي مثّل كما قلنا الحمالة الأساسية لـ «التشيع» والحاضنة التاريخية الأساسية له، ولكي لا يفهم من كلامنا أن هذه الكثرة الأساسية، التي أضافتها إيران إلى «التشيع» هي كثرة نابعة من «ذات الشيعية» وليس من «السلطان ـ الفقيه» ودروهما فيها، نعيد الأمور إلى الحاضر الإيراني، والحاضر بمعنى الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الخميني، والتي كانت ثورة إسلامية خالصة من خلال وجود إيراني بشري «شيعي»، فهي ثورة كان خطابها إسلامياً وهمومها عالمية في مرحلته، فمثّل هذا الهم والخطاب الثوري للإمام الخميني ذاته، الذي ثار على «شاه شيعي» وعلى «العلماء والفقهاء الشيعة» وثورته في الواقع هي ثورة على الاستعمار وعلى «التشيع الصفوي» في الوقت ذاته، بغض النظر عن بعض القيود أو القناعات الفقهية والدستورية المصنفة تاريخياً ضمن ثقافة «المذاهب»، وبغض النظر عن بعض مواقف إيران ما بعد الإمام الخميني، إذن ما نريد أن نؤكد عليه هنا يقع في حيز آخر هو حيز تاريخي مقارن يقع ضمن أزمة العراق.. لا في حيز تصنيف إيران «الشيعية» في الحاضر الثوري لها الذي بدأ مع الإمام الخميني الذي تحرك في الواقع كزعيم وقائد إسلامي، لا كقائد وزعيم «شيعي».. تحرك وثار ضد الاستعمار وضد كل ما يخدّر الإسلام، إذا كان «شيعياً صفوياً» أو «إسلاماً أميركياً» يحمل «الانتماء السني» هنا أو هناك... إذ قبل ثورة الخميني كان هنالك إسلاماً «أميركياً ـ سنياً» وإسلاماً «أميركياً شيعياً»، إن هذا التوضيح ينبغي أن لا يبعدنا عن سياق البحث الذي نحن بصدده، وهو هنا كون العراق يمثل الحمالة والحاضنة الأساسية لـ «التشيع» كـ «أقلية» تاريخية آنذاك بالنسبة

للمسلمين وكـ «أكثرية شيعية» في ذات الوقت بالنسبة للوجودات «الشيعية» الأخرى آنذاك. وحيث يكون «المركز الشيعي» لم يخضع بعد لاهتزاز المعادلة البشرية اللاحقة بما أضفت عليه من قلق حاد في هذا البُعد البشري وانعكاسات هذا القلق السلبية على العراق عبر إيران، التي توجها «التشيع» كهوية إيجاباً بلحظات عديدة، لا بلحاظ الفكر بما عناه «التشيع الصفوي»..

ثانياً: إن الحد الفاصل التاريخي، الذي يضعه شريعتي هنا لـ «تشيعين» متغايرين عندما يقول: «إذن للتشيع حقبتان تاريخيتان، بينهما تماما الاختلاف» ـ كما مر معنا ـ هو حد يشير إلى «مصيرية» الانعطاف الذي خضع له مسار «التشيع» تاريخياً، بما له من دلالات معرفية وفكرية وحركية، وعلاقة ذلك كله أيضاً بمسار «التشيع» في العراق، الذي تطرق له شريعتي في نص آخر، فإذا ما سلمنا لتقسيم شريعتي الآنف الذكر، فسيكون «التشيع» التاريخي العراقي الأصل، هو «التشيع» الذي يمثل الامتداد الصحيح للإسلام باعتباره خط احتجاجي ثوري معارض لحالة الانحراف، التي سادت آنذاك في مواقع السلطة، وكان جدلها يدور في ساحة العراق.

ومع ذلك فإن شريعتي هنا يحاول أن يعطي أو يقرأ التاريخ «الشيعي» بانعطافه المركزي الخطير، وليس بالشكل الذي يجرد ما قبل الفترة الصفوية بما فيها من طوارئ سلبية كانت قد حصلت على خط «التشيع» فإذا كان ثقل المسار في تلك الفترة ثقلاً صحيحاً فلابد من التأكيد أن الأمر الواقع وكون «التشيع» كان يُمثل «أقلية» بالنسبة للمسلمين.. فإنه فرض أفكار التقية بقوة، وفرض في مراحل ما قبل الصفوية حالة من «التعايش» مع الأمر الواقع، إلا أن التحول من الطوارئ السلبية أو من «التعايش» المذكور إلى حالة «التشيع» الصفوي شكل انعطافاً خطيراً – كما أشرنا – وانحداراً أخل خللاً واضحاً في رسالة «التشيع» ومضامينه ودور «رجل الدين والعالم» فيه وأوجد انفصاماً بين «الطقس والمضمون ـ الشيعي» بشكل فاضح وخطير، وأحدث متغيراً ثالثاً عبرنا عنه بأنه الأخطر في تأثيراته على العراق في مسار «التشيع».

ثالثاً: أما ما يخص «رجل الدين والعالم» كما يصفه شريعتي بأنه كان «على الدوام في معرض الخطر والمواجهة مع السلطان». فهذا ما يحتاج إلى إعادة صياغة أكثر دقة، لأن تعايش «الفقيه الشيعي مع السلطان» استقر على نمطٍ ما ضمن مقولة الأمر الواقع قبل الدولة الصفوية بكثير، وعلى سبيل المثال ـ كما يلاحظ أحد الكتاب ـ فإن السيد المرتضى الذي توفى سنة ٤٣٦ هـ «كان قد تصدى خلالها لزعامة المذهب طوال ٢٣ سنة، وقد خلفه من بعده أبرز تلامذته الشيخ الطوسي الذي تتلمذ على يده ٢٣ سنة خاض خلالها مختلف المناظرات والمباحثات العلمية وقدم أفضل الآراء والنظريات والمؤلفات الأمر الذي لفت أنظار الجميع ورشحه لزعامة الطائفة، فقام بأعبائها مشتغلاً بالتدريس والتأليف حتى أُطلق عليه (شيخ الطائفة)، وقد كان حضر مجلس درسه ـ قبل زعامته وبعد ذلك ـ ثلاثمائة نفر من أهل العلم من سائر المذاهب، وقد بلغ صيته الخليفة العباسي القائم بأمر الله الذي كان على مذهب الجمهور، فأسند له بمعونة البويهيين كرسي الكلام في مركز الخلافة العباسية، وقد كان هذا المنصب يُعبر عن مقام علمي رفيع لا يُعطى إلا لأكابر علماء ذلك العصر، ولم يكن في بغداد ولا سائر البلاد الإسلامية من يفوق الشيخ الطوسي علماً وتضلعاً في هذا الفن، لذا وقع الاختيار عليه»[1].

ونسوق هذا النص هنا كنموذج لحالة الفقيه «الشيعي تاريخياً»، والواقع الذي انتهى إليه في التفرغ في غالب الأحيان إلى الدرس والتدريس، والابتعاد عن الدور الثوري أو الدور السياسي المعارض علناً للسلطان الحاكم.

---

(١) محمد رضا موسويان، (آفاق الفكر السياسي عند الشيخ الطوسي)، ص٣٢ - ٣٣، تعريب ضياء الدين الخزرجي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، لبنان ـ بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. انظر ايضا كتاب علي محمد جواد فضل الله، (النظريات الكلامية عند الطوسي، دراسة تحليلية مقارنة)، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الاكرم (ص)، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

إذاً استدعيت التقية في ظل معادلة لا تسمح دائماً بممارسة الدور الثوري والسياسي في تاريخ التشيع قبل قيام الدولة الصفوية.. وها هو ــ كما يؤكد النص المذكور ــ «مؤسس الطائفة»، كما يلقب الشيخ الطوسي يحظى باحترام حاكم عباسي وبويهي في الوقت ذاته، ويقبل على الأقل بالعلاقة مع السلطان «علاقة التعاون»، وهكذا كانت الحال مع الشيخ المفيد والشريف الرضي والسيد المرتضى «وفقهاء شيعة» آخرين.

إلا أن ما حصل بعد قيام الدولة الصفوية هو انخراط هذا «الفقيه» في علاقة تحالفية علنية مع الحاكم الصفوي، وجسدت هذه العلاقة من خلال العلامة المجلسي والكركي وآخرين.. الأمر الذي يشكل خروجاً صارخاً في دور «الفقيه ــ الشيعي» التاريخي، فهو هنا انتقل انتقالة حادة وصارخة لا من دوره الثوري أو السياسي إلى دوره التحالفي مع الحاكم الصفوي، وإنما من دوره «التعايشي» تحت حكم «الأمر الواقع» ومبدأ «التقية» إلى الدور الثاني في العهد الصفوي، وإلا حتى في العهد البويهي كانت علاقة هذا «الفقيه» مع «السلطان الشيعي» أو السلطان المتعاطف «شيعياً» علاقة تعاون إلى حدٍ ما، ولذا فإن الشهيد الدكتور علي شريعتي لم يتوقف بشكل مستوف على هذا «التوقف» الثوري ــ آنذاك الذي لم يصل إلى تشويه بنية «التشيع» المعرفية والفكرية كما يعتقد ــ، بل إنه يقع في إطار أخف بكثير وهو الإطار التعايشي النابع من الأمر الواقع، الذي يجعل من «الشيعة» أقلية بالنسبة للمسلمين غير قادرة على الدوام في تجسيد الموقف السياسي والثوري، أو أنها ترى أن المصلحة الإسلامية العامة تتطلب مثل ذلك، وإلا فإن الإشكال يبقى قائماً باتجاه آخر، وهو لماذا يتعاون «الفقيه الشيعي» تاريخياً مع حاكم ظالم «شيعي» في حين هو لا يتعامل مع حاكم ظالم «سني»، والظلم «السلطاني» بطبيعته يبقى أكبر من الانتماء «السني والشيعي»؟ إن مثل هذا السؤال طرحه المرحوم محمد مهدي شمس الدين، ولم يقدم إجابة له، وفي حين أنه أكد «بأن هذا الموضوع بحاجة إلى بحث تاريخي مستفيض». نعود لنقول إن ذلك كله لا يعني أن علي شريعتي لم يضع يده على أخطر منعطف في تاريخ «التشيع» بل هو أثار وناقش بجرأة منقطعة النظير أخطار هذا المنعطف الهائل وتداعياته فيما بعد، إلا أن المفارقة ان هذه الإثارة أخذت منحاها

«الشيعي» العام دون أن تقارب العراق، أو تداعيات ذلك كله على هذا العراق حمالة «التشيع» الأولى والأساسية في التاريخ، التي لم يحصل هذا المنعطف من داخلها، إلا أنها كانت الأكثر تأثراً به ــ أي بهذا الانعطاف «الشيعي» الانحرافي ــ لا في دور العراق كمركز لهذا «التشيع» فقط، ولا عبر تحول أرض هذا المركز إلى أرض مستباحة بين العثمانيين والصفويين، وإنما أيضاً ــ وفي مفارقة هائلة ــ تربط التاريخ الأول لـــ «التشيع» بالحاضر من خلال اعتياش الفكر الصفوي في العراق حاضراً أكثر من اعتياشه في إيران، التي تحولت إلى مركز ثوري إسلامي في عهد الإمام الخميني، وحتى قبل هذا العهد حيث كان الجدل الفكري الإيجابي فيها حاضراً، بينما هي الآن تعيش جدلاً أيضاً إيجابياً في تحديات الواقع.. رغم محاولة عودة الفكر الصفوي وأفكار أخرى إلى ساحتها إلا أنها ليست بالعمق، الذي كرس في العراق.

وبعبارة أخرى فإن العراق حمالة «التشيع» الأولى في التاريخ، احتضنه – أي «التشيع» – كخط سياسي وثوري وحتى تعايشي فيما بعد بشكل يجسد الإسلام الصحيح أو القريب منه، فيما أن العراق يعيش الآن أكثر من غيره تحت هيمنة الفكر الصفوي الخليط بأفكار أخرى في الخط «القيادي ــ المرجعي» المهيمن فيه على الخط الثوري أو أريد لهذا الفكر الخليط بالأصح أن يعيش هكذا في مفارقة مذهلة، عكستها الفوارق بين «الحوزتين» القمية والنجفية.

رابعاً: إن نصوص شريعتي المذكورة التي تقرر ــ كما أشرنا ــ «من هذا الموقع العلوي والحافل بالانتصارات بدأت هزيمة التشيع»، ونحن نقول العلوي ــ العراقي الحافل بالانتصارات، بدأت هزيمة «التشيع» على يد الصفويين. فالنصر والهزيمة هنا ترتبط بـــ «الطقوس والمضامين»، ولا نريد هنا أن نخوض فيما خاض فيه شريعتي في جانب من الجوانب، وهو جانب «الطقوس الحسينية»، بل إننا نسعى إلى إبراز الانحراف الفكري والمعرفي والسياسي للإسلام من خلال فرائض الإسلام وتشريعاته.. فهذه الفرائض والتشريعات هي عبارة عن «شعائر» ومضامين، وعلاقة «الشعائر» بالمضمون علاقة تلازمية قدّرها الله سبحانه وتعالى وحددها القرآن الكريم

والرسول (ص)، فالصوم «شعيرة» ومضمون، والصلاة ككتاب كذلك.. والحج «شعائر» ومضامين، والحجاب كذلك.. والذي حصل في أصل هذه الفرائض و«الكتب»، فضلاً عن «الشعائر» الموضوعة بشرياً في قضية الحسين (ع) ــ مع «تسامحنا» هنا في تعميم مفردة «الشعائر» على التشريعات الاخرى ــ، هو أنها فصلت «الشعائر» عن المضامين بشكل أدى إلى توقف عطاء الإسلام من خلال أغلبية ممارسات الأمة الإسلامية. وقد تحوّل هذا الانفصال بين «الشعائر» ــ التي هي في الواقع مسمى خاص بالحج ــ والمضامين أمراً «عادياً ومستساغاً» وواضحاً في حياة المسلمين، وعلى سبيل المثال فإنه في كل حي من الأحياء توجد امرأة سافرة إلا أن الجميع ينظر لها نظرة احترام لأنها ملتزمة بقيم إسلامية ومضامين سلوكية وأخلاقية إسلامية، وهنالك امرأة محجبة إلا أن الكثير ينظر إليها نظرة ريبة وشك لأن سلوكها، هو سلوك غير إسلامي، ففيما أن الأولى جسدت المضمون الإسلامي ــ القيم ــ دون المظهر ــ الحجاب ــ كانت الثانية تجسد المظهر ــ الحجاب ــ دون المضمون ــ القيم الإسلامية ــ في حين أن الحجاب هو مظهر ومضمون متلازمين، فكيف حصل ذلك؟ ومن أبعد الفتاة الأولى عن ــ مظهر الحجاب؟ ومن أبعد الفتاة الثانية عن المضمون ــ مضمون الحجاب؟. ونعود إلى «التشيع» كـ «شعائر» ومضامين.. إذ أنه حول إلى طقس في رموزه وأفرغ من مضامينه الفكرية والثورية والسياسية في عملية تاريخية معقدة.

خامساً: ونعود إلى وجع «التشيع» العراقي الأول واختلافه عن وجع «التشيع» العراقي الحاضر، الذي اختزن كل إسقاطات التاريخ الصفوي الانحرافية عليه أكثر من غيره، وإذا كانت إيران مكان الصفويين قد تحررت إلى حدٍ كبير من «التشيع ــ الصفوي»، لماذا لم يتحرر العراق منه وبقي خطه ــ خط «التشيع الصفوي» هو المهيمن على الخط الآخر الثوري ــ منذ بروز الصفويين وحتى الآن؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول إن هذا المتغير الثالث الخطير، تجلت خطورته بأكثر من بعد، فالبعد الأول فيه هو اختلال «موازين التشيع البشرية» بين

إيران والعراق، والبعد الثاني يرتبط بكون هذا الاختلال أوجد لـ «الكثرة الشيعية الجديدة ـ ايران» دولة، هي الدولة الصفوية، والبعد الثالث تمثل في كون هذه الدولة دخلت صراعاً حاداً مع الدولة الإسلامية المركزية «الدولة العثمانية»، والبعد الرابع هو أن صراع الدولتين لم يكن على أرضهما في غالب الأحيان، بل كان العراق هو ساحته المركزية، والبعد الخامس يتمثل في المضمون المعرفي «الشيعي» الصفوي الجديد، الذي جاءت به الدولة الصفوية، الذي وجه ضربة قاصمة لما تبقى من مضامين «شيعية» ثورية، ولذا فإن «تشيع» إيران بالطريقة التي حصل فيها تاريخياً، والمضامين «الشيعية» المحرفة التي رافقته، افقد العراق توازنه كـ «حاضنة» لتشيع «اقل انحرافاً»، وجعل من عاصمته «مقودة»، وليس قائدة أو «نصف قائدة» وحوّل «حوزة» هذه العاصمة إلى وعاء لزعماء وافدين، يرتكزون إلى عمق «دولة شيعية كبرى» بغض النظر عن ولائهم أو عدم ولائهم لها آنذاك. وأصبحت هذه الدولة على علاقة «قسرية» بهذه العاصمة، وهذا العراق بحكم هويتها «الشيعية» ورموز هذه الهوية الذين تحتضنهم ارض العراق، ولذا جاءت آثار هذا المتغير الثالث في المسار «الشيعي» التاريخي أكثر إيلاماً على العراق كدولة من المتغيرات التي شهدها قبله، انه متغير سيضرب كل شيء في العراق... الثقافة والجغرافية والديمغرافية والهوية بالصميم، وسيزرع بداخله قابليات سلبية، بما يجعله مفصلاً رخواً يمكن التلاعب به، وإدارته بأنماط مختلفة، وبما يسمح بالقول في نهاية المطاف بأن دور العراق كدولة «انتهى» عندما «تشيعت ايران».

هكذا كان قدر العراق «الإسلامي» مسرحاً للدمار والحروب والجدل، فالصراع بين المسلمين ذاتهم كان فيه وداخله وعليه، والصراع بينهم وبين غيرهم في العهود المتأخرة كان هو محوره، فلمجرد أن خرج من مذابح الدولتين الأموية والعباسية، وقع في الاحتلال المغولي وبعده الاحتلال الصفوي، ثم الاحتلال التناوبي الصفوي — العثماني، ثم الاحتلال الانكليزي، ثم صياغته كدولة على خلفيات ما اختزن من قابليات تاريخية سلبية فرضت عليه، ثم أخيراً الاحتلال الأميركي والإطاحة بهذه الدولة، بسبب دور «الحوزة الصنمية» ورموزها، وادوار هؤلاء الرموز.

ـــ ومن هنا علينا أن نعيد التأمل أكثر فيما أسميناه ــ في احد كتبنا «سايكس بيكو العقل والفكر» الذي عملت به بريطانيا بعد انهيار الدولة العثمانية.. وهذا ما أثرناه سابقاً إلا أنه يحتاج في هذا السياق إلى تركيز أكبر.. وانطلاقاً من علاقة الفكر بالمكان، وارتباطهما بالدين الإسلامي إذ يمكن القول أن «الطائفية» كانت قبل مرحلة «بريطانيا التي لا تغيب عنها الشمس» أو «الإمبراطورية البريطانية».. وصحيح أن الفكر والمعرفة اليهوديتين كانتا قبلهما. إلا أن ما فعلته بريطانيا بــ «الطائفية» واليهودية يتمثل بإعادة تأهيل وتنظيم لهما.. وإذا شئت القول هندستهما على مكان المثلث النبوي ــ مكة، الكوفة، القدس ــ بأقسى ما تكون هذه الهندسة من استهداف فكري ــ معرفي لهذه الأمكنة الثلاثة.. فهي إعادت صياغة الدين الطائفي عبر درايتها بالتاريخ الإسلامي لتسلط أقسى أنواع هذا الدين على النقاط الإلهية الثلاثة في الكرة الأرضية.. إذ أنها ساهمت في إعادة إنتاج «الدين التكفيري» وما يُسمى الآن الخط التكفيري ليحكم قبلة المسلمين الثانية.. وهو أكثر الأديان الانحرافية الطائفية ضد دين الله الحقيقي.. أي أنها سلطت أكثر الأديان الطائفية شذوذاً وتشويهاً وبشاعة على مكان الله الخالد الكعبة المشرفة. وهو بالتأكيد عمل أقسى بكثير على الإسلام، لأنه ينطق باسمه ويمثل عنواناً لهذا «الدين الطائفي التكفيري»، من اليهودية حمالة الحقد التاريخي البشري ضد الإسلام ورائدة تزوير التاريخ المعرفي الديني الكوني، التي سلطت على المسجد الأقصى.. إنها وضعت قبلتي المسلمين الأولى والثانية بين دينين لم يشهد تاريخ البشرية أكثر تزويراً وشذوذاً ورعباً منهما.. الدين التكفيري.. والدين اليهودي.. وإذا ما أريد أن يقارن المرء في الدرجة الإيذائية الاستهدافية للإسلام وأمكنته الإلهية المقدسة ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[1]. فإنه سيجد أن «الدين التكفيري الطائفي»، أقسى على الإسلام وأكثر استهدافاً وإيذائاً وتشويهاً له من الدين اليهودي – فالدين اليهودي دين راكز في وعي الأمة الإسلامية بكل تفاصيل تاريخه

---

(١) سورة الإسراء: آية ١.

العدوانية والاستفزازية للمسلمين.. إنه دين لا يحتاج أن تشرح أو تكتب أو تبذل جهداً كبيراً للإنسان المسلم لكي تكشف له عنه.. وهو يعيه بالمعرفة التاريخية البسيطة، التي يملكها كل إنسان مسلم يقرأ ويكتب أو، لا، إذ أن حديث الناس ووعيهم الموروث، وجدل الصراع ذاته، فضلاً عن مراحل هذا الجدل منذ إيجاد دولة إسرائيل المعاشة حروباً وذبحاً لفلسطيني الداخل والخارج.. إن ذلك كله لا يجعل من أي إنسان مسلم بحاجة إلى أن يقرأ الكثير حتى يستفز من اليهود.. إنه مستفز تلقائياً للإنسان صبياً كان أم صبية، شاباً أم شابة، كبيراً طاعناً في السن أو كبيرة طاعنة بالسن.. وإذا ما قورن الإيذاء بدرجاته مع الدين الآخر «الدين التكفيري» الذي يحمل عنوان الإسلام، فكم يحتاج الإنسان من مكابدة وحيرة ومعرفة ليفهم ويحيط بهذا الدين التكفيري «الطائفي»، إنه «إسلام» يربك الإسلام أكثر من أي فكر آخر في التاريخ والواقع المعاصر، فلا يُوجد جدل فكري ديني «إلهي» أو بشري بما فيه «الإلحاد» أن يؤدي دوراً في إيذاء الإسلام الحقيقي وتعطيله وتدميره أكثر من هذا «الإسلام التكفيري الطائفي» الذي سيدفع بأفعاله الكثير من المسلمين الى التنازل عن «إسلامهم السياسي»، وهذا هو الهدف الذي سُلط هذا «الدين التكفيري» من أجله، والذي سيعطي «الحكام الواقعيين والمثقفين الواقعيين» ذريعة إقصاء الإسلام الحقيقي والتعايش مع «الطرح الليبرالي» في هدف آخر.. والذي يكرس «الإسلام الدكتاتوري» مقابل «المسيحية الديمقراطية» و«اليهودية الديمقراطية» كمعادلة صممها الغرب على أساس معاهدة سايكس بيكو.. إن مثل هذا «الدين» أريد له أن يتحكم بقبلة المسلمين.. أما العراق المركز فبأي «دين طائفي» يجب أن ينهض بريطانياً ـــ إنه المركز الذي يتوسط القبلتين ـــ لقد أريد له أن يؤسس على «خبطة طائفية»، «طائفية حاكمة غير معلنة»، و«طائفية صفوية» وبمعنى آخر أريد له أن يسحق بين «دين السلطة الطائفية» و«الدين الصفوي الاجتماعي» بتجليه «الحوزوي» المقارن بين إيران والعراق وفوارقه. إنه مركز لا يكفيه دين «طائفي» بذاته.. وهنا حصل المتغير الرابع في مسار «التشيع» العراقي وتدميره بريطانياً، وعليه لابد من إيجاد «خبطة أديان طائفية»، وأن يكون وعاءً لكل الأفكار «الإلحادية والشوفينية والعنصرية» في نسيج هذه الخبطة.. وإذا كنا قد تحدثنا

في كتبنا السابقة عن «دين السلطة الطائفي اللامعلن»، فإن الأمر الذي يتطلب التركيز عليه بما يشكله من مفارقة خطيرة، هو «الدين الصفوي» المدعوم بــ «الدين الشيخي» و«الدين الحجتي»، فالغريب في هذا الدين المشوه هو الآخر لدين الإسلام الحقيقي.. أنه نشأ وترعرع في إيران الصفوية إلا أنه استقر في نهاية المطاف بشكل فاعل ومؤثر في وعاء العراق، بلد الأمكنة المقدسة، وبلد الأنبياء والرسل (ع) عبر التاريخ البشري. فهو انحسر إلى حد بعيد في إيران بشكل تدريجي مع مرور الزمن، إلى أن تحولت إيران الخميني بالذات إلى «دين الثورة الإسلامية» ومنها انطلقت أكبر ثورة في تاريخ الإسلام.. إلا أن «الدين الصفوي» الذي كان منتجاً إيرانياً تعشعش في العراق، فاستلمته بريطانيا «ديناً طائفياً مركزياً اجتماعياً» لها.. وهو دين سيأخذ دوره في سياق الأديان «الطائفية واليهودية» التي رعتها بريطانيا وسلطتها على نقاط أو أمكنة «الله» الثلاثة. وسوف لن يكون هو الآخر أقل درجة من حيث إيذاء الإسلام الحقيقي من الدين اليهودي، «فالدين الصفوي»، دين شخصاني، خرافي، طقوسي، سكوني، مالي، وليد لـــ «الطائفية» ودوره المركزي رعايتها كثقافة بديلة عن ثقافة الإسلام الحقيقي، فهو ليس فقط دين اللاثورة.. إنما دين يواجه «الدين الإسلامي الثوري»، سيكون مقره ومستقره «بؤر الثورة المكانية المقدسة» أمكنة علي والحسين (ع).. دين التفاهم مع «دين السلطة الطائفي» سراً.. دين الأصنام الصفوية الغريبة، التي تحكمت بـــ «حوزته» وقتلت ولاتزال تقتل ثواره قبل «الأنظمة الطائفية» التي حكمت العراق... دين «الخبر والرواية وعلم الأصول وعلم الرجال والمنطق والرسالة العملية، والتقليد، الذي يحول عقل الأمة إلى عقلٍ نائم ومخدر ومستقيل»، ودين الأيدي التي تقبل وتأخذ المال من الناس في الوقت ذاته.. هذا هو «الدين الصفوي» بإيجاز، والأغرب من الغرابة الأولى فيه ــ غرابة أن يكون العراق وعاءً تاريخياً له فيما هو وليد إيران الصفوية ــ الأغرب وكأن هذا الدين الذي رعته بريطانيا وسلطته على العراق ودعمته سراً وعلناً يُراد له أن يبقى حاكماً على هذا العراق ومتحكماً فيه دائماً وأبداً.. ليس من الإنكليز فقط، وليس من أميركا فحسب.. بل من «إيران الثورة» التي تتعايش معه وتتصالح معه بشكل معلن وغير معلن.

وهنا تكمن الصدمة العنيفة، حيث تتشطر «الثورة» بعد الخميني وفكرها على أساس الأمكنة تبعاً لــ «الواقع» و«لأولوية الحفاظ على الثورة ومركزها إيران» فيتكرس هذا «الدين الصفوي» كالسرطان في جسد المجتمع العراقي، لتكون المحصلة ديناً محمياً في كل زمان سياسي في جسد العراق الاجتماعي، وهو يتعايش مع أميركا وقبلها بريطانيا ويتصالح مع «دين السلطان الحاكم الطائفي» ويحظى بتعايش مع «دين الثورة الإسلامي الإيراني» بعد الإمام الخميني.

إنه دين «التقية» وليس «التقوى» المطلوب من الجميع أن يبقيها حاكماً ومتحكماً بالعقل والجسد الاجتماعي العراقي.. هذه مفارقته الأغرب من المفارقة الأولى.. إنه يأخذ جرعات حضورية أقوى مع مرور الزمن السياسي مهما كان لونه، وقد أدى بعد الغزو الأميركي للعراق دوراً أكبر من كل أدواره التاريخية التي لعبها، حيث تجلى المتغير الخامس الذي لازلنا نعيش تمظهراته، فحال العراق بعد هذا الغزو، الذي أطاح بالدولة ومؤسساتها وبناها العلمية والصناعية وحتى الاجتماعية النفسية والفكرية، تطلب مثل ذلك الدور لــ «الدين الصفوي»، في حين أن هذا الدين لوحده مع كل جرعات دوره المضافة لم تكفِ لإدارة هذا العراق، فسلط «الدين التكفيري» عليه، وحضر «الدين اليهودي» عبر المؤسسات والشركات والجمعيات وفي صفوف جيش الاحتلال، الذي يرمز هذه المرة إلى «الدين الصليبي» إلا أن هذا «الدين الصليبي» ممسوك بالدين اليهودي... إنه العراق مركز المثلث «الإلهي ــ النبوي»، الرابط بين القبلتين، الرابط جغرافياً بين العالمين «السني والشيعي»، والرابط جغرافياً بين قوميتين، الفارسية والعربية، بالإضافة إلى القومية التركية، وأن ديمغرافيته هي أيضاً صممت لمثل هذا الواقع.

هنا وفي هذه اللحظة تذوي المقارنة في درجات الإيذاء والتشويه بين «الدين اليهودي» و«الدين التكفيري» و«الدين الصفوي»، إنها تتحد كــ «أديان» يقودها «الرامز للدين المسيحي» في أرض العراق في احتلال جديد، لكن ما قبل هذه اللحظة، لحظة الغزو الأميركي للعراق، في اللحظة الإنكليزية الاستهدافية لأمكنة «الله» سبحانه

وتعالى تجسد الاستهداف من خلال الفكر على أساس المكان على هذه الثلاثية الدينية الدين اليهودي، الدين الصفوي، الدين التكفيري واستهداف الثلاثية المكانية «الإلهية» بها «القدس ــ الكوفة ــ مكة» في لحظة تاريخية مسبوقة بتنظير أميركي لــ «نهاية التاريخ».

وفي نهاية هذه الفقرة ينبغي الانتباه إلى انشقاق الدين التكفيري قبل غزو العراق، وهذا الانشقاق الذي جعل من أحد جناحيه «معادياً» للأميركان والإسرائيليين خلط الأمور بشكل خطير وأحدث أكبر تحول وأكبر أزمة شهدها القرن الماضي، حيث بعد أحداث أفغانستان، توجه هذا الجناح المنشق إلى العراق لمواجهة الأميركان، وعنوان مواجهة الأميركان بإمكانه أن يستقطب الكثير من المسلمين ــ أعداء أمريكا ــ فتشوهت الصورة وبات المشهد فوضوياً إلى حد ما، حيث أريد لبُعده «الطائفي» القديم «التكفيري» أن يحرك لتشويه واقع المقاومة للاحتلال لأميركي، وقد حصل ذلك في ظل «الخطاب الطائفي» لبعض رموز أقطاب «الدين الصفوي» فتداخلت واختلطت الأبعاد.. لتكون في نهاية المطاف المقاومة العراقية «السنية» التي كان مفروضاً لها أن تتكامل مع المقاومة «الشيعية»، هي الخاسرة الكبرى في المحصلة، إذ أن استهداف أصحاب «الدين التكفيري» لأماكن «الشيعة وحسينياتهم ومساجدهم» بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة بشكل مروع وغريب عن «الثقافة الطائفية أو المذهبية» العراقية شوه المقاومة كلها أولاً، وهذا ما كانت تصبو إليه أميركا وحلفاؤها بالعمليات الانتحارية على ذات النسق الاستهدافي للأسواق والمساجد «الشيعية»، كما خسرت المقاومة الإسلامية المشروعة للاحتلال فرصة التكامل والالتحام في «العمل المقاوم» لقوات الاحتلال في ظل ذلك الاستهداف، كما أنه وفر الذرائع لانضواء اكبر شريحة من «شيعة» العراق تحت قيادة أصنام الدين الصفوي.

ومهما يكن من أمر فإن المحصلة النهائية في ظل هذا المشهد المروع الملتبس هو تحول العراق إلى ساحة لكل هذه «الأديان» المحرفة من أجل صياغة العراق كما تريد أميركا في ظل حربها الدينية عليه، فيما أن أكثر أصحاب هذه الأديان «الصفوية

والتكفيرية» هم ضحايا موروثهم وحراس هذا الموروث، الذي أبعدهم عن الإسلام الحقيقي وهم لا يشعرون، وهم ضحايا أسياد هؤلاء الحراس، الذين يديرونهم سراً في غالب الأحيان.

وبالتالي فإنه لا يمكن استيعاب أن يفجر أحد نفسه وسط أناس أبرياء ـ بناءً على موروث تاريخي ـ وهو يهتف «الله أكبر»، إلا من خلال تصور أن هذا الفكر، وهذا الدين، هو إعادة إنتاج لفكر الخوارج، الذين حاربوا الإمام علي (ع) ـ، إذ أن هذا «الدين التكفيري» أسس قسراً على ما يُسمونه «ثقافة سنية»، والتاريخ الإسلامي لم يشهد مصداقاً له إلا من خلال ظاهرة الخوارج التاريخية، التي أريد إعادة إنتاجها على «ثقافة سنية» و«موروث سني» قسراً، وتلك عملية تحتاج إلى بحوث مطولة خاصة ليس هنا مجال الخوض فيها.. ولا أدري إذا ما كانت هذه «العودة»، هي «عودة» صدف أم أنها «مؤشر من مؤشرات نهاية التاريخ» ليس على أساس «ثقافة المرويات الإسلامية» هذه المرة، وليس على أساس «نهاية التاريخ الأميركية»، فلم يكن أحد يحسب أن تعود هذه الظاهرة إلى أرض علي (ع)، وأن يستهدف علي نفسه بالدينين معاً الصفوي والتكفيري، بالإضافة إلى الدين اليهودي.

ـ إن ما مضى من تحليل لتاريخ «العراق الشيعي» في العهدين الأموي والعباسي وباحتلالاته المغولية والصفوية والعثمانية والبريطانية والأميركية وصولاً لواقع «الحوزة» العراقية بكل منظومته وعوامله المحلية والإقليمية والدولية، لاسيما ما ارتبط منه بما أسميناه قلق العاصمة الشيعية واستهدافها عبر الأديان الثلاثة المذكورة، لا يكفي إطلاقاً لتفسير بنية الأسباب، التي جعلت من هذهِ «الحوزة» بمواصفاتها تلك... بل إن هذه البنية تمتد عميقاً لتغطي العراق كله كدوله عبر تاريخها الكوني ـ وهذا ما له مبحثه الآخر ـ إلا أننا وبناءً على ما تقدم في هذا الكتاب يمكن القول وبطريقة لا نقول جزمية ـ إطلاقية، بل شبه جزمية، وشبه إطلاقية.. يمكن القول إننا لا نتصور «حوزة» أو أية «مؤسسة دينية» أخرى إسلامية أو غير إسلامية في هذا العالم، مارست ما مارسته أكثر رموز هذه «الحوزة» العراقية الوافدة من تزوير تاريخي

لدورها وحمولتها المعرفية والتعاطي العام مع حاضنتها بالشكل، الذي يقلب ذلك كله إلى منجز ايجابي لها، ويطمر تاريخها وواقعها السلبي حتى في التخاطب العام بين الناس، الذين لا يعرفون من هذا التزوير إلا القليل القليل... فضلاً عمن يكتب عنها، وعن بعض المنتمين إلى حاضنتها النجفية، فهذا التخاطب العام والمعرفي مهما كان مصدره يذهب بالنجف إلى افتراضها «المعمل» و«المصنع» العلمي الأكبر في العالم الإسلامي، الذي لا يضاهيه «معمل أو مصنع آخر»!!! وبأنها مدينة «خرّجت آلاف المجتهدين والعلماء والمفكرين والشعراء والباحثين والمثقفين ليس على مستوى العراق فقط، ولكن على مستوى الأمة كلها»!! وبأنها «قلعة الثورات» الدينية في تاريخ العراق، التي لا تضاهيها قلعة أخرى في العراق والعالم!! وبأن «حوزتها» هي الوحيدة، التي تعطي صكوك «الاجتهاد» و«شهادات الفقه» المعترف بها و«اختام العلم»!!! وأن أي صك أو شهادة أو ختم من غيرها لا قيمة له!!! وبأن مَنْ لم يدرس في هذهِ «الحوزة» النجفية لا قيمة لما يدرس، ولا اعتراف بمنجزه الدارسي!!! وبأن وبأن...الخ من هذهِ المقولات التخاطبية والهتافية، التي هي على هذهِ الشاكلة بشكليها الشفوي والمكتوب في غالب الأحيان، وأنها فعلاً لمفارقة جسد هذا الكتاب نقيضها بالتمام والكمال، وأن جزمية التمجيد الشفوي والمكتوب وإطلاقيته ما هي إلا قلب كامل للحقائق على ضوء ما تقدم بهذا الكتاب، فالنجف و«حوزتها» مقتل لكل الرموز الذين حملوا «مشروع النبوة» والذين أطلقنا عليهم مجازاً «أنبياء» انطلاقاً من هذا المعنى، وليس من اعتبار كونهم «أنبياء» فعلاً، نؤكد ذلك حتى لا يصطاد المصطادون في الماء العكر، ويحمّلون ما نطلق بحقهم من توصيفات ما لا يتحمل، ولنا عودة في كتب أخرى إلى هؤلاء الرموز الحاملين «مشروع النبوة» حتى وإن ارتضوا الانتماء إلى مسمى «الحوزة» وسكتوا عن عناوينها «المقدسة»، فهم على أية حال اضطروا الى هذا السكوت لأن النجف و«حوزتها» مقتل وليس «معمل» لفطاحل المعرفة لما أسهبنا فيه من تركة تاريخية تدميرية، ومن استهداف استثنائي ومن اغراق للنجف بتلك الأديان، التي تحدثنا عنها. نعم إن النجف خرجت شعراء أفذاذاً، وهذا لا نقاش فيه، ونعم إن بعض النجفيين يتصفون بالشجاعة، ونعم إن للنجف دوراً تاريخياً معاصراً في

ما يسمى خطأً «أحداث الشعيبة» وما سمي بـــ «ثورة النجف» في بدايات القرن الماضي، ونعم إن النجف خرجت الكثير من «الفقهاء» الكبار، ونعم إن هؤلاء «الفقهاء» الكبار تركوا بصماتهم التاريخية.. إلا أنهم تحولوا إلى ضحايا ومحاربين، وسدت الطريق أمامهم «حوزة» النجف التقليدية من أن ينهضوا بواقع العراق ويغيروا مساره. إنها «حوزة» حولت الكثير من أولاد هؤلاء «الفقهاء» إلى ملحدين و«علمانيين»!! وحولت الكثير ممن هم فيها ودخلوها ببراءة لمعرفة الدين إلى منافقين!! إن المحصلة في حال مقارنة هذهِ «النعم» المكرورة التي بصمنا عليها، مع خط «الحوزة» العراقي التقليدي... المحصلة تقول إن النجف «مقتل» وليس «معمل» لفطاحل المعرفة والفكر. فما انتهت إليه «الحوزة» النجفية بمواصفاتها، التي مررنا عليها في الكتاب لم يأت من فراغ، ولو أن «حوزة» النجف هي كما يفترضها الخطاب الشفوي والتحريري التمجيدي ــ التفاخري، لما لحق بالعراق ما لحق به في ظل آخر احتلال أميركي له، ودور «الحوزة» التنسيقي مع هذا المحتل، ولتحول السيستاني أو الباكستاني أو الأفغاني أو الحكيم ــ محمد سعيد ــ إلى فطحل ثوري من «فطاحل النجف» الذين يتغنى بهم الممجدون والمدعون والمرددون بان النجف هي «قلعة العلم» وخالقة الفطاحل!!! فما الذي سيحصل في العراق يا ترى بعد كل ما حصل في عصر الاحتلال، حتى يتحول احدهم إلى «فطحل ثوري»[1]!!!

---

(١) في هذا المجال يمكن العودة الى كتاب (الوحدة الاسلامية في مواجهة التحديات، النجف الاشرف نموذجا)، للقاضي الشيخ يوسف محمد عَمرو، اصدار دار المنهل اللبناني، ط ١، ١٤٢٥ هـــ ــ ٢٠٠٤م. كنموذج لـــ «دور النجف الثوري الديني» ولـــ «فطاحلها المعرفية والثورية» حيث جاء في صفحة ١١٣ ــ ١١٥، ما يلي «وفي الختام قد يسأل بعض المؤمنين أين هذا الكلام كله من الامر بالجهاد؟ اليس جهاد المحتل الامريكي والانكليزي وطرده من ارض الاسلام في العراق فرض عيني واجب على كل مسلم ومسلمة؟ ولماذا لم يقم الامام السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله وسائر المراجع الاعلام في النجف الاشرف بالافتاء بالجهاد في ايامنا هذه، كما سبقت لهم ان افتوا بالجهاد تحت راية الخلافة العثمانية للاحتلال البريطاني في العراق في اواخر عام ١٩١٤م؟ والجواب على ذلك يعرفه غالبية المسلمين من سنة وشيعة داخل العراق اذ ان صدام حسين وحزبه قد جاؤوا بالقطار الامريكي لحكم العراق

⟵

ـ والسؤال الأهم هو حول هذا «الفطحل الثوري» الآني يرتبط بالسبب، فهل يا

في ١٧ تموز ١٩٦٨م، كما صرح بذلك علي صالح السعدي احد مؤسسي حزب البعث العراقي، ورجالاته الاوائل في العراق. وما زال الامريكيون يحتفظون بورقة صدام حسين، وحتى نهاية اللعبة في ايامنا هذه تماما كما فعلوا في عام ١٩٩١م، عندما انتفضت محافظة النجف الاشرف واربع عشرة محافظة اخرى في وجه النظام البائد طالبين الاصلاح والعدالة والمحافظة على حقوق الانسان في العراق، ولا شيء غير ذلك. فما كان من قوات التحالف الامريكي البريطاني آنذاك الا ان تعاونت مع النظام السابق لسحق الشعب العراقي ومقدساته بالحديد والنار حيث سقط خمسمائة الف شهيد من الشعب العراقي بسلاح الجيش العراقي وتحت انظار قوات التحالف الانفة الذكر، والجمعية العامة للامم المتحدة، وجامعة الدول العربية دون ان يتكلم احد بكلمة واحدة حول الظلم والحيف اللاحقين بالشعب العراقي. كما ان الحصار الاقتصادي للعراق كان افقارا للشعب العراقي وتجويعه وتركيعه وجعل ما يقرب ٩٠% من هذا الشعب يعيشون تحت الخطوط الحمراء للفقر والفاقة، وجعل اطفال العراق خلال تلك السنوات العجاف عرضة للمرض، والموت وغير ذلك من مآس يطول الحديث عنها حدثت خلال ذلك الحصار المشؤوم!!!. لذلك كله ولغيره من امور يعرفها المسلمون من سنة وشيعة في العراق، اختار الامام السيد السيستاني وسائر مراجعنا الاعلام في النجف الاشرف الاهتداء بطريق النبي (ص) في مكة قبل الهجرة. وهو طريق الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) والعترة الطاهرة من ذريته (ع)، بعد مأساة كربلاء في العاشر من شهر محرم لعام ٦١ للهجرة، وبالتالي هو طريق ذات الشوكة لاثبات الهوية الثقافية الاسلامية للانسان العراقي المسلم في البدء، وحتى لا يقع فريسة سهلة تحت اغراءات الارساليات التبشيرية في العراق، كما حدث في بعض مناطق كرستان العراقية. وبالتالي للدفاع عنها بالوسائل السلمية، وبعد استنفاذ جميع هذه الوسائل وفشلها لا سمح الله تعالى تكون فتوى الجهاد بالمرصاد للطغاة». ويعبر الكاتب عن علاقاته الخاصة في فقرة من فقرات الكتاب مع محمد باقر الحكيم ايضا بما يلي «والمرة الثالثة والاخيرة التي التقيته بها عن قرب كانت في المؤتمر العالمي للشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (قده) الذي عقد في أواخر كانون الثاني عام ٢٠٠١ في طهران حيث التقيته واخبرته عما كتبته في مجلة البلاد الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في عام ١٩٩٩ وعن نقدي لكتاب (مرجعية الميدان) لعادل رؤوف، وعن الشهيد السعيد السيد محمد الصدر (قده) تحت عنوان (تسع حقائق عن الشهيد السعيد السيد محمد السيد محمد صادق الصدر) فأجابني (قده) انه قد قرأ المقالين الانفي الذكر وعن رضاه عنهما!!! فسررت بذلك سرورا عظيما». انظر صورة ونص مقاله الذي نشرته مجلة البلاد حول كتاب «مرجعية الميدان» في الملاحق، ملحق رقم (٣٥). وانظر ايضا نص مقاله الذي نشرته مجلة «البلاد» في كتابة المذكور.

ترى أن السبب ذاته الذي بقي يحكم عدم بروز هذهِ «الفطاحل الثورية» التاريخية، وبالاستثناءات التي نكرنا؟ وهو سبب «التقية، والأمر الواقع والحفاظ على الحوزة ومنتجها المعرفي والاعلامي، والعقلانية....الخ»[1]. أو سبب التبرير الآني «الرباعي المرجعي» الحالي ــ المكرور في العراق بزعامته السيستانية من معظم الحركة الإسلامية، والمتمثل بعدم ضياع فرصة الحكم على «الشيعة»، كما ضاعت عليهم في ثورة العشرين!! وهل أن معالجة «أخطاء ثورة العشرين» التي نتغنى بأمجادها كمنجز لــ «النجف كقلعة للعلم والثورة والتصدي» يعالج بهذهِ الطريقة الارتمائية في الحضن الأميركي في ظل واقع العراق كأسوء دولة فساد اداري في العالم وبما ادى الى «فساد الضمير الاجتماعي» فيه؟ إن الصورة تبدو علينا كــ «شيعة» أن نكون في موقع الزعامة عبر «الثورة على المحتل كما الحال في العشرينيات، أو الارتماء في حضنه الآن»!! وإذا كان في «حوزتنا» ثوار من حملة المشروع النبوي بأجيالهم، الذين ساروا على خط النبوة علينا أيضاً أن نكون شركاء في قتلهم من اجل ذلك!! ما هذهِ المهزلة؟ ما هذه الكارثة؟ وهل لأسبابهم التي وضعت العراق في ظل ما هو عليه من صدقية؟ أم أن الأمر لا يتعدى أن يكون أكذوبة كبرى، وأنه أمر ارتباط خارجي، وإدارة خارجية سرية وعلنية، مع قوى دولية وإقليمية أميركية وبريطانية ويهودية وتركية وإيرانية وسعودية وسلطوية محلية، فما تطرقنا له في كتابينا «عراق بلا قيادة» و«صناعة العقول» كشف الكثير عن هذه الإدارة السرية لمواقع «الحوزة» النجفية ورموزها «المرجعية» الكبرى، وما أتخمنا به هذا الكتاب من وثائق وتوثيق في فصل «حوزة مؤثرة، وحوزة متأثرة» عكس الجانب العلني من هذهِ الإدارة، فقد قلناها أكثر من مرة شفوياً ــ عبر محاضرات ــ أنه لا حاجة بعد اليوم لتوثيق هذهِ الإدارة

---

(١) فيما يرتبط بــ «المنجز الاعلامي الحوزوي النجفي» وبؤسه، انظر آخر كتاب صدر في هذا الاطار في ظل الاحتلال الاميركي للعراق، لمؤلفه جهاد هادي ابو اصبيع تحت عنوان (الصحافة النجفية في عهد الاحتلال الاميركي للعراق ٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٦)، ط ١، ربيع الثاني ١٤٢٨ هــ ــ نيسان ٢٠٠٧م. جهة الاصدار المؤلف.

الخارجية لـــ «حوزة» النجف، وتعيين «مرجعها» الأعلى دولياً وإقليمياً ومحلياً... والواقع الآني العراقي أصبح شاهداً على ما قلنا ووثقنا، فليس من حق أحد بعد اليوم أن يدعي المعرفة والثقافة صدقاً لا يتفحص كلامنا هذا، وأن يسكت إزاءه بحجج واهية حول «حرمة المرجعية»، ونشر الغسيل «الشيعي»، فالإسلام ليس فيه «شيعياً أو سنياً»، والإسلام ليس فيه شيء اسمه «مرجعية» ــ وهذا ما له تأصيلاته القرآنية في كتاب آخر ــ فالمرجع الوحيد لأمة الإسلام هو القرآن الكريم، وعملياً عندما يكون «المرجع» وفق النظام الديني المعرفي البشري الموروث يدار ويعين ويمارس دوراً يؤدي إلى دمار الأمة والوطن و«السيادة» فعلى كل فرد من أفراد هذهِ الأمة أن يصرخ بوجهه، لا أن يقبل يده!! سواء كان هذا الفرد «عادياً» أم يدعي المعرفة والثقافة والفكر والسياسة. لاسيما إذا كان هذا «المرجع» وافداً إلى الوطن، ولا يعرف عنه شيء، لا يعرف أهل الوطن عن مرجعهم «شيء»، لا أصله ولا نسبه، ولا مدينته، وهو لا يحمل الجنسية العراقية فما هو الضامن يا ترى لـــ «قدسيته المرجعية»؟ وما هو الضامن لارتباطه أو عدم ارتباطه بالخارج؟ وما هو الضامن في كونه مدار ويؤدي وظيفة الآخرين أم لا؟ وليقل لنا ــ أي عراقي ــ الاسم الثلاثي الصحيح لأيٍ من «المراجع» الذين «يقلدهم» أو الذين لا «يقلدهم»!!!

نقول مرة أخرى إن مَنْ لا يعرف «مرجعه» الديني الذي «يقلده»، ولا يعرف اسمه الثلاثي، ولا نسبه، ولا عائلته ولا كونه «سيداً» فعلاً، أو غير «سيد» ــ علماً أنه لا يوجد «سيد» وعبد في الإسلام فالناس كلهم عبيد الله ــ وهذا هو الآخر ما له مبحثه المستقل ــ ماذا يعرف إذن عن وطنه؟ وكيف يعرف الأسباب، التي خضنا فيها في الكتاب وخاتمته، والتي وضعت هذا الوطن على طريق «الجنائز»؟ وكيف يعرف لماذا انفرد هذا الوطن دون أوطان الأرض كلها بما هو فيه؟ فأزمة هذا الوطن في بعدها «الديني» و«الحوزوي»[1] وهو البعد المركزي المسؤول عن الإطاحة بالوطن أو

---

(١) ان مخبوءات «الحوزة» النجفية بمجالاتها كلها كانت تحتاج الى دراسة ميدانية مستوفية. ولقد بادر المركز العراقي للاعلام والدراسات ان ينجز هكذا دراسة في العام ٢٠٠٠م عبر استمارة

←

النهوض به، أزمته ستكون اقل وطأة، لو أن الأمر يرتبط بوافد «مرجعي» مجهول واحد، ولكن بما أنها تتجلى عبر وافدين مجهولين كثر، وكلهم في موقع «المرجعية»، فالمسألة هنا تتجاوز «القائد بلا لسان» وتتجاوز «القائد» من خارج الوطن، وتتجاوز كونه مدار أو غير مدار من مواقع دولية وإقليمية وسلطوية محلية، أنها ستسحب معها كل عناوين فصول هذا الكتاب، إذ ان تعدد الوافدين «المراجع ـ الزعماء» حتى لو تصارعوا على موقع «المرجعية» الأول، فإن مشترك كونهم وافدين إلى الوطن ومشترك كون بعضهم مُدار خارجياً، ومشترك مرتكزاتهم المعرفية «الصفوية».. ومشترك تعاطيهم السياسي والاجتماعي المعروف عبر أجيال هذه «الحوزة»... هذه المشتركات جميعاً، كفيلة بأن تحولهم إلى أصل لهذه «الحوزة».. وأصل متحكم بها، ينتج منه صراع أو احتراب غير معروف، وغير منطوق في غالب الأحيان، كما يؤدي ذلك وضع حاملي «مشروع النبوة» الذين لا يستطيعون النطق بهذا الاحتراب في موقع الضحايا، ويترجم قتلهم صدمات عنيفة تهز هذا الوطن دون أن يعرف أبناؤه الأسباب السرية لهذهِ الهزات. هذا فضلاً عن ثمن الدماء المرافق لهذه الهزات، وبمعنى آخر فإن وافدية «المراجع» إلى هذا الوطن منذ بدء الدولة الصفوية حتى عصر الاحتلال الأميركي، راكمت ذاتها على «حوزة» هذا الوطن وجعلت منها «حوزة» خرافة لا «حوزة» سياسة، و«حوزة» منطقة لا «حوزة» وطن، و«حوزة طائفة» لا «حوزة» أمة عراقية، وحوزة «تقليد» لا «حوزة» تجديد، و«حوزة» مقودة لا «حوزة» قائدة...الخ، فكل هذهِ المواصفات والعناوين ستكون ملحقات لـــ«المراجع» الوافدين، الذين لا علاقة لهم بالوطن، لا من قريب، ولا من بعيد.

وعندما نفهم الدور المركزي لـــ «الحوزة» في صناعة الأمة والدولة، أو الإطاحة بهما، ستنتهي هذه الدولة الى الانهيار، الذي هي فيه الآن، والذي قلنا لا يعرف الكثير

اعدها ووزعها على عينة من «الحوزات» المتواجدة في سوريا حي السيدة زينب الا ان عدم استجابة هذه «الحوزات» للاجابة على الاستمارة حال دون انجاز الدراسة في حينه. انظر نص وصورة الكتاب الذي وجهه المركز مرفقا بالاستمارة في الملاحق، ملحق رقم (٣٦).

من العراقيين أسبابه، ولا يعرفون لماذا العراق والعراق وحده دون بلدان الأرض الأخرى عليه أن يصبح على طريق التلاشي ــ وهو لن يتلاشى ــ وفق النظام الإلهي لهذا الوجود الكوني، ووفق إرادة الله سبحانه وتعالى، التي بدأت هذهِ البشرية فيه وستختمها ببصمته لا محال، فكل شيء عند الله سبحانه وتعالى بقدر، وكل شيء بنظام والخالق عز وجل الذي جعل الفيض البشري الأول فيه ومن خلاله، لابد له أن يقرر خاتمة هذا الكون عبره ومن خلاله ــ على قاعدة القدر والنظام القرآنية في كل شيء ــ فالعراق عبر التاريخ البشري هو بلد «الأصنام» و«الأنبياء (ع)» وصراعهما المحتوم، ولا شيء جديد، إلا في خاتمية هذه النبوة على يد نبينا محمد (ص)، واستمرار هذا الصراع بين «الأصنام» البشرية وبين حملة «مشروع النبوة».

ــ لم نستغرب إذن إذا كان الأمر كذلك عبر التاريخ البشري، أو إذا كان تاريخ هذا البلد تاريخياً «صنمياً» ــ نبوياً، فالأنبياء (ع) في كل مراحل هذا التاريخ عاشوا كمضطهدين وقرر الله سبحانه وتعالى نصرهم على أعدائهم.

نعيد السؤال، لماذا نستغرب من هذا الواقع؟ ولماذا نستغرب بعد ما استغرقنا فيه في خاتمة هذا الكتاب وفصوله، أن يكون العراق بالذات لا غيره هو مكباً لكل «الأديان» الشاذة ــ اليهودي، الصفوي، التكفيري، الصليبي كمنتج يهودي ــ؟ فإذا كانت التكفيرية واليهودية من حصتي مسجدي الله الحرام والاقصى، فالعراق وفي ظل صيرورته «الحوزوية» الخاصة به لم يدار بالدين الصفوي لوحده كما هي الحال في المسجدين اللذين أديرا بدين واحد... بل انتهى به المطاف ــ الآن ــ أن يتحول إلى سلة إلى هذه الأديان مجتمعةً برعاية «صنمية» وافدة متعددة، كما حُوِّل قبل مرحلة احتلاله إلى سلة من «الأديان» الإلحادية والصفوية و«الطائفية» اللامعلنة والقومية. لماذا ذلك بعد أن مررنا بأطوار وضعه الاستهدافي التاريخي؟ لماذا الكثرة الصنمية القاتلة لحاملي مشروع النبوة فيه؟ والجواب على هذهِ الأسئلة كلها نابع من أسباب، يتوسطها سبب مركزي، يتمثل بكونه بلد الأنبياء (ع) بامتياز عبر التاريخ الكوني، ولا يستطيع احد أن يجادل في هذهِ الحقيقة، فهو بلد ادم ونوح وابراهيم (ع)، وبلد كل

الأنبياء (ع) الآخرين بـــ «انتماءهم الوطني» أو «أصولهم الوطنية» إذ ان كل الأنبياء (ع) الذين مارسوا دعواتهم خارج «موطنهم العراقي الأصل» كانوا أولاداً للذرية الإبراهيمية ومن صلب ذريته ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. فنبي الله موسى (ع) الذي عاش جدله صاخباً على الساحة المصرية، وانتهى به المطاف إلى فلسطين، لم يبق فيها، بل إنه عاد إلى «موطنه» العراقي، وعيسى (ع)، ومحمد (ص) كان جدلهما الدعوي على أطراف المركز العراقي لـــ «المسجد الاقصى ومكة»، فالعراق كما اشرنا أكثر من مرة رابط القبلتين، ومركزهما.. فضلاً عن أنه يمثل مركز الكون الجغرافي... وبهذا المعنى تكون كل من إيران ومصر[2] وتركيا مجالات

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣٤.

(٢) ان فرضيتنا في اعتبار الجغرافية المصرية مجالا حيويا يقع خارج حيز «المثلث النبوي» ومرتكزه العراقي تجسدها النقاشات التاريخية حول «سيناء» بمدلولات استخدامها القرآني، فاشكالية هذا التاريخ اوقعت ولازالت توقع «المؤرخ» و«العالم الجغرافي» المصري في ازمة معرفية حول جغرافية «سيناء» ولعل العالم الجغرافي معين حداد ناقش ابعاد هذه الازمة بجدارة ازاء ما طرحه الباحث المصري جمال حمدان حول نظرية «الحتمية» الجغرافية، فقد جاء في كتابه «الجغرافيا على المحك» ما يلي: «ويلاحظ جمال حمدان ايضاً ان (الحتمية) تستخدم في حالات متعددة لتبرير موقف او اتجاه سياسي ايديولوجي معيّن، الامر الذي يثير سخطه ولا يتوانى عن ابداء الهزء والسخرية حياله، اذ يقول: (ففي ايام الوحدة السورية المصرية في الخمسينات... كان هناك اصرار مبدئي شديد بين بعض المثقفين الوحدويين على محو كل مظاهر الاختلاف الطبيعي الصرف بين اقليمي الوحدة.. بما في ذلك حتى الحقائق الجيولوجية ذاتها والاسماء الجغرافية الطبيعية من بعدها؛ ففي الاول شهدت تلك المرحلة محاولات فجة لاثبات وتأكيد الوحدة بين الاقليمين من خلال ابراز التشابه مثلاً بين الصخور والتكاوين والطبقات الجيولوجية فيهما..). لا شك ان هذه (المحاولات) أي (محاولات المثقفين الوحدويين) التي يصفها المؤلف (بالفجة) لا تمت الى العلم بصلة، فهي موقف ذهني يصيغ تصوّرات وهمية يراد لها ان تكون علمية من اجل ان تنهض الوحدة على اسس (جغرافية طبيعية) بينما واقع الامر يختلف كلياً عن هذه التهويمات. والحال ــ يضيف المؤلف (ان الوحدة السياسية لا تأتي... من الوحدة الطبيعية وانما من الوحدة البشرية تأتي. ولا عبرة بعد هذا بتجانس او تباين الارض..) هنا، وفي سياق ما يأتي به المؤلف لابد من تذكر ان الوحدة او التجانس من جهة والتباين او الاختلاف من جهة اخرى هي امور نسبية، نسبتها مرهونة بالمقياس الذي تعتمده الدراسة الجغرافية او الطبيعية، فما يمكن ان يشكل وحدة طبيعية وفق ←

حيوية لدور الأنبياء (ع).

عندما نكون أمام هذه الحقيقة سنعرف لماذا تكثر الوافدية «الصنمية» لهذا العراق، وتصبح في موقع القائدة والمتحكمة فيه، فمثلما هو المركز أو «السنتر» النبوي التاريخي، هو أيضاً المركز و«السنتر» الصنمي التاريخي، فهو إذن بلد الفريقين، فريق الأنبياء (ع) وفريق الأصنام عبر تاريخه، ولعل القصص القرآني كفيل بتوضيح ذلك،

مقياس (Echelle) محدد ينطوي على تنوع وفق مقياس آخر، والعكس بالعكس. فالسلسلة الجبلية وفق مقياس قاري تشكل وحدة تضاريسية بينما على المقياس الاقليمي او المناطقي تتكون هذه الوحدة من قمم، ومنخفضات ووديان متباينة السمات والخصائص؛ وما يصح على السلسلة الجبلية يصح على سائر الظواهر الجغرافية الطبيعية المختلفة. ثم ان الجغرافيين يدركون اكثر من غيرهم ان الاشكاليات عموماً تتبدل طبيعة مواضيعها بتبدل مقايسها. لكن على الرغم من وضوح الرؤيا المنهجية التي يتمتع بها جمال حمدان، فهو في تضاعيف مؤلفه حول مصر، ينزلق اذا جاز التعبير باتجاه (الحتمية) التي يستنكرها. ويتجلّى ذلك على سبيل المثال في الفصل العاشر من الكتاب، وهو الفصل المخصص لشبه جزيرة سيناء تحت عنوان : (سيناء: الهيكل العام، بين الشكل والموقع)، وفيه يفرد المؤلف صفحات عديدة (من ص ٥٣٩ الى ص ٦١٢) لا يترك فيها جزئية جغرافية الا ويتناولها بالدرس والتحليل، الا ان ما يهمنا هنا بالتحديد هو ما خصصه المؤلف لمسألة انتماء سيناء، تحت عنوان رئيسي في الفصل المذكور جاء على صيغة سؤال: (افريقيّة ام آسيوية؟) موضحا فيما بعد ان ما يريد بقوله (افريقية) يعني مصرية. و(آسيوية) يعني بها (عربية) واحياناً (شامية)؛ فيعلّق على النحو التالي (افريقية ام آسيوية؟ هذا السؤال الذي يطرح نفسه يتطلب منا اجابة علمية شافية. فالامر ما ألح بعض الكتّاب والعلماء منذ وقت مبكر... على هذا السؤال الحاحاً... مريباً، ليس فقط بشرياً ولكن طبيعياً، ليس فقط جغرافياً ولكن حتى جيولوجياً... لكن واقع الامر ان المشكلة... اصطنعها الاستعمار...). ثم لا يلبث ان يتعرض لكل من يحاول فصل سيناء عن مصر والحاقها بغير مصر، فيضيف (حتى على المستوى الجيولوجي... حاول البعض ان يربطها (سيناء) بالجانب الآسيوي (كالقول ان) شبه جزيرة سيناء تكمل شبه الجزيرة العربية... من هنا اعتبر البعض سيناء جزءاً من بلاد العرب الصخرية... بنية وتركيباً...). لكن الحقيقة بالنسبة للمؤلف مختلفة تماما فالواقع ان سيناء، (انما هي امتداد لصحراء مصر الشرقية... فلا هي جزء لا يتجزأ من قارة آسيا، ولا هي جزء من بلاد العرب، او شبه القارة العربية في شيء)». معين حدّاد (الجغرافيا على المحك، ما هي الجغرافيا، مناهجها، هويتها، جديدها، ازماتها وسبل تجاوزها)، ص ٥١ ــ ٥٣، مصدر سابق.

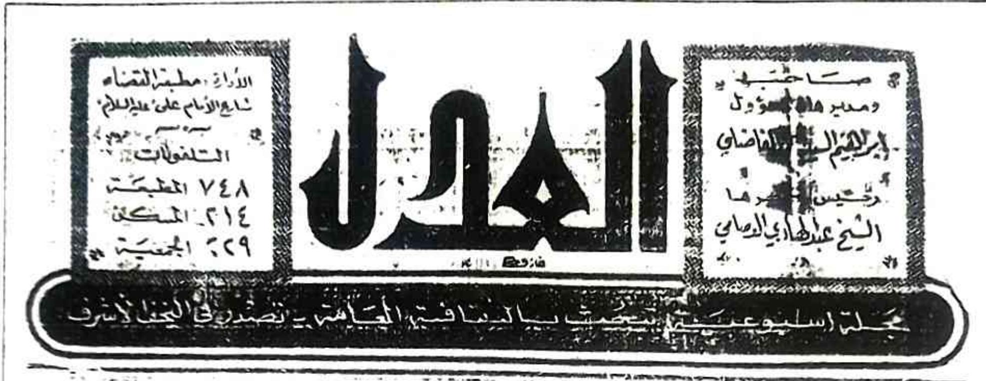
وبالتالي هو ساحة صراع الفريقين عبر التاريخ البشري.. وعندما تختم النبوة بنبينا محمد (ص) سيعمل الآخرون على وضع العراق على السياق ذاته، وسيتواصل الصراع أيضاً بين حاملي مشروع النبوة والصنمية البشرية، وعندما يجاهد العراقيون من أجل النهوض به، يتحرك أعداء المشروع الإلهي في الأرض إلى تكثير هذهِ الصنمية وتجليسها على قاعدة «الوافدية» واستهداف كل ما هو مكون رموزي ديني صحيح للعقل العراقي في أرضه وتحويله إلى معرفة ضدية له، إذا كان هذا الرمز «شيعياً» كما «طعنوه» بهذا المسمى، وإذا كان «سنياً» كما «طعنوه» به أيضاً... لقد ساهم الكثيرون في تجليس العراق على هذا الواقع «الطعني» الذي سيحول إلى نظام ديني معرفي بشري، عبر جدل تاريخي صاخب مصحوب بالدمار والدماء، واستهداف معرفة القرآن في مركز الأنبياء (ع) حتى وصلت الحال إلى ما وصلت إليه وأحكمتها الكثرة «الصنمية» الوافدة المحمية بالدبابات اليهودية ـ الأميركية على إدارته «معرفياً» بعد أن «انتصرت» بتصفية كل حملة مشروع «النبوة الخاتمة» وساهمت في قتلهم تحالفاً مع السلطان المحلي الحاكم وعلى ايقاعات إدارة سرية وترشيح سري وعلاقات سرية مع «الخارج» الحارس والمسدد لدروهم، والآن وبعد احتلال العراق أميركياً سقطت هذهِ السرية، وبات الصراع علنياً بين كثرة صنمية، وبين أجيال حملة المشروع النبوي، الذين ذبحوا على وقع معادلة يمكن تلخيصها كلامياً لواقع هذا الصراع في العراق وكتعبير لمذبحة برامزه الحامل لمشروع النبوة، تلخيصها بـ «العراق من واقعة الحسين إلى واقعة الصدرين» لـ «العراق الإسلامي» وعلاقته بمرحلة ما قبل الخاتمية الكونية الإلهية، التي ستهزم بها هذهِ الكثرة الصنمية بكل عناوينها الدينية واللادينية «الشيعية أو السنية» لا محال.

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)

صورة مقال نشرته مجلة «العدل» النجفية حول كتاب «وجوب النهضة لحفظ البيضة» لـ «سماحة آية الله السيد محمد الحسني البغدادي»

الصادرة بتاريخ آب / ١٩٦٨م



العدل

مجلة اسلامية ... تصدر في النجف الأشرف

الجزء التاسع — (تصدر في الشهر مرتين بصورة موقتة) — جمادي الأولى ١٣٨٩ هـ

السنة الثالثة — سنتها عشرون جزءاً — آب ١٩٦٩ م

وجوب النهضة لحفظ البيضة

ان البحوث الحية واحدى المواضيع التي تتمشى مع الحياة جنباً الى جنب وتبقى سائرة معها مادامت الحياة موهبة الحية ونعمة سرمدية يقذفها الله في قلب من يشاء ويختاره من عباده فتأتي مواضيعه على ضوء تلك النفحة الربانية وبين سطورها الهداية والرشاد الى منهج الحق والصراط المستقيم، وتبقى منيرة الطرق الحالكة بغيوم الاباطيل والوساوس للاجيال المتعاقبة قرناً بعد قرن.

ان التأليف والكتابة ووضع المجلدات الضخمة لم تكن بالامر الصعب الشاق وانما الصعب وضع صفحة أو كراسة تكون فيها حياة الامة وسعادتها وتدعيم كيانها المادي والمعنوي وتهدي البشرية الى حيث شواطئ المجد والخلود والانسانية والخير والحق والجمال.. فما اكثر المؤلفات الضخمة التي ماتت ودفنت مع مؤلفيها واندرست آثارها والعكس بالعكس فهناك لرجال الحق والخير وقادة الاصلاح وبناة العقيدة كلمات او وريقات بقيت وستبقى مادامت الحياة والى ان يرث الله الارض ومن عليها.

وسماحة آية الله العظمى والمرجع الديني الاعلى الحاج السيد محمد البغدادي كما يبدو من صفحات كتبه المشرقة الحية انه من الذين شملتهم النفحة ويحمل بين جنبيه وقلبه الطاهر الاشراقة الالهية وان كتبه صادرة عنها وفي ضوئها في الوقت الذي بجدوى الخير والسلام تصارع اخطبوط الشر والشيطان في كل ارجاء الوطن الكبير وتصارع الامة وتدمغ جرائم الصهاينة واذنابهم من العملاء وزبانيتهم من السائرين في ركاب الشيطان يخرج للناس الى الدنيا كلها كتابه ـ وجوب النهضة لحفظ البيضة ـ ويقول به كلمة الفاصلة في الجهاد والقتال على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة ودعا الامة الى مجابهة العدو ورفع الاستعباد عن أحرار البلاد وتطهير اوطانهم من سلطة المستعمرين وعدوانهم وتحذيرهم من مكائد الاعداء الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

يقع الكتاب في ٢٣٢ ص بالقطع الوزيري طبع مطبعة القضاء وكله صفحات حية ودعوة الى الجهاد والكفاح بصورة استدلالية مركزة على دعامتين فقط وهما القرآن والسنة وقد جاءت في فصول متعددة.

لقد أوضح سماحة سيدنا آية الله السيد البغدادي مفاسد العدوان وجرائمهم واوضح اساليبهم الجهنمية وبين للشعب موانع النصر والظفر والحياة والنكسة والخيبة والانحدار وليس هذا بغريب من سماحته فهو البطل المغوار الذي حمل البندقية وخرج قبل نصف قرن تقريباً الى جبهات القتال في الشعيبة وغيرها لمطاردة العدو وقتله وافنائه وتدميره.

نص مقال نشرته مجلة «العدل» النجفية حول كتاب «وجوب النهضة لحفظ البيضة» لـــ «سماحة آية الله السيد محمد الحسني البغدادي» الصادرة بتاريخ آب / ١٩٦٨م.

«انتقاء البحوث الحية واختيار المواضيع التي تتمشى مع الحياة جنبا الى جنب وتبقى سائرة معها ما دامت الحياة موهبة إلهية ونعمة سرمدية يقذفها الله في قلب من يشاء ويختاره من عباده فتأتي مواضيعه على ضوء تلك النفحة الربانية وبين سطورها الهداية والرشاد الى مهيع الحق والصراط المستقيم وتبقى منيرة الطرق الحالكة بغيوم الأباطيل والوساوس للأجيال المتعاقبة قرنا بعد قرن.

ان التأليف والكتابة ووضع المجلدات الضخمة لم تكن بالأمر الصعب الشاق، وإنما العسير وضع صفحة أو كراسة تكون فيها حياة الأمة وسعادتها وتدعيم كيانها المادي والمعنوي وتهدي البشرية الى حيث شواطئ المجد والخلود والإنسانية والخير والحق والجمال.. فما أكثر المؤلفات الضخمة التي ماتت ودفنت مع مؤلفيها واندرست آثارها والعكس بالعكس فهناك لرجال الحق والخير وقادة الإصلاح ودعاة العقيدة كلمات أو وريقات بقيت وستبقى ما دامت الحياة والى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وسماحة آية الله العظمى والمرجع الديني الأعلى الحاج السيد محمد الحسني البغدادي كما يبدو من صفحات كتبه المشرقة الحية انه من الذين شملتهم النفحة ويحمل بين جنبيه وقلبه الطاهر الاشراقة الإلهية وان كتبه صادرة عنها وفي ضوئها ففي الوقت الذي نجد قوى الخير والسلام تصارع اخطوطب الشر والشيطان في كل أرجاء الوطن الكبير وتصارع الأمة وتدمغ جراثيم الصهاينة واذنابهم من العملاء وزبانيتهم من السائر في ركاب الشيطان ويخرج للناس بل للدنيا كلها كتابه ــ وجوب النهضة لحفظ البيضة ــ ويقول فيه كلمته القائلة في الجهاد والنضال على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة ودعا الأمة الى مهاجمة العدو ورفع الاستعباد عن أحرار العباد وتطهير أوطانهم من سلطة المستعمرين وعدوانهم وتحذيرهم من مكائد الأعداء الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيه الفساد. يقع الكتاب في ٢٣٢ ص بالقطع الوزيري طبع مطبعة القضاء وكله صفحات حية ودعوة الى الجهاد والكفاح بصورة استدلالية مركزة على دعامتين فقط وهما القرآن والسنة وقد جاءت في فصول متعددة .

لقد أوضح سماحة سيدنا آية الله السيد البغدادي مفاسد العدوان وجرائمهم وأوضح أساليبهم الجهنمية وبين للشعب مواقع النصر والظفر والحياة والنكسة والخيبة والاندحار وليس هذا بغريب من سماحته فهو البطل المغوار الذي حمل البندقية وخرج قبل نصف قرن تقريبا الى الجبهات القتال في الشعيبة وغيرها لمطاردة العدو وقتله وإفنائه وتدميره.»

ملحق رقم (٢)

صورة الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من العقد الابتدائي بين صلاح الخرسان وباقر صولاغ «بيان جبر» حول تأليف وطباعة كتاب عن حزب الدعوة الإسلامية

بسمه تعالى

م/ ابرام عقد أتفاق كتاب (١)

الفريق الاول: المؤلف صلاح الخرسان

الفريق الثاني: المهندس باقر الزبيدي (بيان جبر)

يتفق الفريقان المتعاقدان على طباعة كتاب من تأليف صلاح الخرسان عن حزب الدعوة الاسلامية

وفيما يخص الكتاب المتعلق بحزب الدعوة الاسلامية فقد

الاتفاق بين الفريقان المتعاقدان على مايلي:-

اولاً- الطبعة الاولى من حق الفريق الثاني وبكمية سقف

الاعلى (٣٠٠٠-٤٠٠٠) نسخه.

ثانياً- حقوق الطبع للطبعات اللاحقه من حق الفريق الاول لورثته من بعده الى ماشاء م

ثالثاً- ترجمة الكتاب لاي لغة أخرى (غير العربية) أمر من حق الفريق الاول و الوقت الذي يختاره.

رابعا- يمنح الفريق الثاني للفريق الاول نسبة ٥٠٪ من ريع ال

سابقاً: كل ما يخص العمليات الفنية كشكل الحرف أو لون الغلاف تتم بالتوافق بين الفريقين وفي حال حصول اشكال يراجع ذوي الخبرة لحله وتكون كلمتهم الفصل في ذلك.

ثامناً: لا يحق للفريق الاول بأي حال من الاحوال سحب الكتاب والامتناع عن اكماله ضمن المدة المقررة وهي شهران من تاريخ التوقيع على العقد حتى لو ارجع ما بذمته من سلفة الدين للفريق الثاني. وفي حال امتناع اي من الفريقين عن تنفيذ العقد يلزم بشرط جزائي مقداره (٥) ل.س، تدفع خلال مدة اقصاها اسبوعان من تاريخ الاستنكاف عن اتمام ما تم الاتفاق عليه اعلاه.

تاسعاً: لا يحق للفريق الاول المباشرة بالطبعة الثانية الا بعد نفاذ الطبعة الاولى من المستودع.

الفريق الاول الشاهد المؤرخ ابو الهدى الشاهد
صلاح الدين... باذن... [illegible]

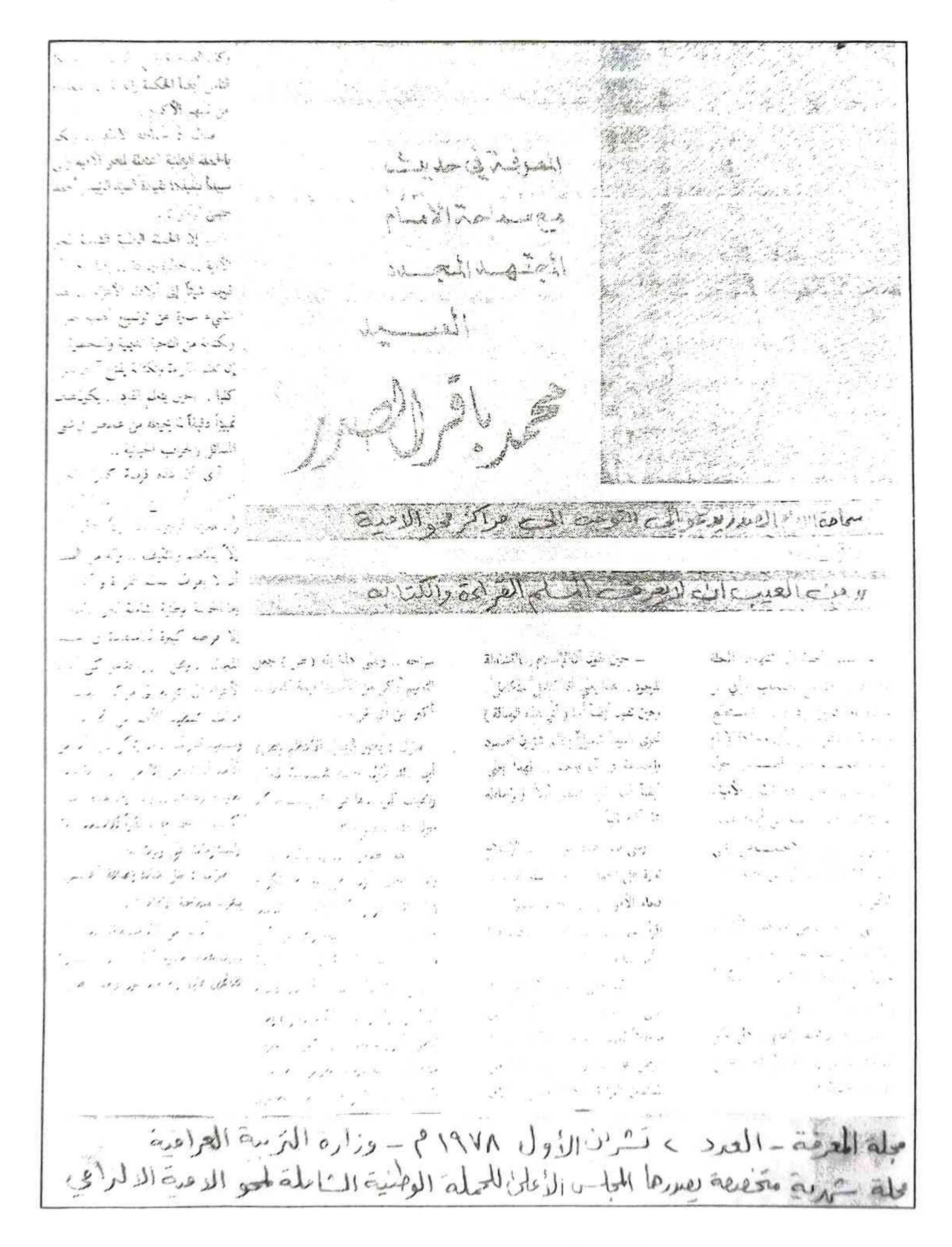
نص العقد الابتدائي بين صلاح الخرسان و باقر صولاغ «بيان جبر» حول تأليف وطباعة كتاب عن حزب الدعوة الإسلامية

بسمه تعالى م/ أبرام عقد اتفاق كتاب، الفريق الأول: المؤلف صلاح الخرسان، الفريق الثاني: المهندس باقر الزبيدي (بيان جبر)، يتفق الفريقان المتعاقدان على طباعة كتاب من تأليف صلاح الخرسان عن حزب الدعوة الإسلامية، وفيما يخص الكتاب المتعلق بحزب الدعوة الإسلامية فقد تم الاتفاق بين الفريقان المتعاقدان على ما يلي: اولاً ــ الطبعة الأولى من حق الفريق الثاني وبكمية سقفها الأعلى (٢٠٠٠ ــ ٤٠٠٠) نسخة. ثانياً ــ حقوق الطبع للطبعات اللاحقة من حق الفريق الأول ولورثته من بعده الى ما شاء. ثالثاً ــ ترجمة الكتاب لأي لغة أخرى (غير العربية) من حق الفريق الاول وفي الوقت الذي يختاره. رابعاً ــ يمنح الفريق الثاني للفريق الأول نسبة ٥٠% من ربح الكتاب بعد خصم كافة المصاريف من تنضيد وطباعة واخراج فني عدا عن أجرة التخزين . وكذلك بعد خصم سلفه قدمها الفريق الثاني للفريق الأول ومقدرها (١٢٥٠٠٠) مئة وخمسين وعشرون ألف ليره سورية . استلم منها الفريق الأول (٧٥٠٠٠) ألف ليرة سورية حتى لحظة توقيع الاتفاق والباقي تسلم على قسطين الأول ومقداره (٢٥٠٠٠) ل.س في ١٩٩٨/٧/١ بعد تسليم الفريق الأول (١٥٠) صفحة بخط اليد من مسودة الكتاب الى الفريق الثاني أما المبلغ المتبقي ومقداره (٢٥٠٠٠) فيسلم بعد اكمال المؤلف من تسليم آخر صفحة (بخط يده) من الكتاب. خامساً ــ يشرف الفريق الأول بشكل مباشر ومنذ التوقيع على الاتفاق على طباعة الكتاب من مرحلة التنضيد وحتى الانتهاء منه ودخوله المستودع ، حيث يتولى الفريق الثاني وحده كافة عمليات التسويق والدعاية والإعلان. سادساً ــ للفريق الأول الحق في مطالبة الفريق الثاني ما عليه من مستحقات الربح اما على شكل كتب او نقد في حال بيع الكتب بعد حسم الدين (١٢٥ ألف ليره سورية) الذي بذمة الفريق الأول. سابعاً ــ كل ما يخص العمليات الفنية كشكل الحرف أو لون الغلاف تتم بالتوافق بين الفريقين وفي حال حصول أشكال يراجع ذوي الخبرة لحله وتكون كلمتهم الفصل في ذلك. ثامناً ــ لا يحق للفريق الأول بأي حال من الأحوال سحب الكتاب او الامتناع عن اكماله ضمن المدة المقرره وهي شهران من تاريخ التوقيع على العقد حتى لو ارجع ما بذمته من سلفة الدين للفريق الثاني . وفي حال امتناع أي من الفريقين عن تنفيذ العقد يلزم بشرط جزائي مقداره (٥٠٠٠٠) ل.س. تدفع خلال مدة اقصاها اسبوعان من تاريخ الاستكتاب عن اتمام ما تم الاتفاق عليه اعلاه . تاسعاً ــ لا يحق للفريق الأول المباشرة بالطبعة الثانية الا بعد نفاذ الطبعة الاولى من المستودع.

الفريق الاول	الشاهد	الفريق الثاني	الشاهد
صلاح الخرسان		باقر صولاغ جبر	

ملحق رقم (٣)

صورة عن المقابلة التي اجرتها مجلة «المعرفة» العراقية مع الشهيد محمد باقر الصدر في عددها الثاني الصادر بتاريخ ٢ / تشرين الأول / ١٩٧٨م، والتي يصدرها المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية الالزامي _ وزارة التربية العراقية



المعرفة في حديث مع سماحة الامام المجتهد المجدد السيد محمد باقر الصدر

سماحة [illegible] يدعو [illegible] إلى مراكز محو الامية

«من العيب أن لا يعرف المسلم القراءة والكتابة»

مجلة المعرفة - العدد ٢ تشرين الأول ١٩٧٨م - وزارة التربية العراقية
مجلة شهرية متخصصة يصدرها المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي

نص المقابلة التي اجرتها مجلة «المعرفة» العراقية مع الشهيد محمد باقر الصدر في عددها الثاني الصادر بتاريخ ٢ / تشرين الأول / ١٩٧٨م، والتي يصدرها المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية الالزامي ـ وزارة التربية العراقية

«المعرفة في حديث مع سماحة الامام المجتهد المجدد السيد محمد باقر الصدر

سماحة الامام يدعو الى التوجه الى مراكز محو الأمية

ويقول: من العيب ان لا يعرف المسلم القراءة والكتابة

ضمن الخطة التي تنتهجها المجلة بإعداد لقاءات مع أصحاب الرأي من علماء مفكرين أدباء.. تستطلع (المعرفة) بكل فخر رأي سماحة الامام السيد محمد باقر الصدر حول أبعاد الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية ، وما تؤكده هذه الحملة من أبعاد عبر المستويين الوطني والاجتماعي والتي تتمثل قيادتها بالسيد الرئيس احمد حسن البكر..

ففي منزله الخاص بالنجف الاشرف التقت المعرفة بسماحته ووجهت له عدداً من الأسئلة فأجاب عنها مشكورا وباسهاب فكري وروحي

سؤال: سماحة الامام.. هل لكم ان تحدثونا عن اهتمام الإسلام بموضوع القراءة والكتابة ؟

ـ حين تقول ان الإسلام رسالة شاملة للوجود.. هذا يعني انه كامل متكامل وحين تقول أيضا أنها (أي هذه الرسالة) تحوي ناموساً شمولياً ينظم شؤون الفرد والجماعة في آن واحد.. فهذا يعني أيضا أنها تقرر الفهم أولاً والإحاطة بما تكنه ثانيا .

وعلى ضوء هذه الموازنة كان الإسلام ثورة على الجهل .. ثورة ضد الظلم.. فجاء الأمر الرباني العظيم بالقراءة ـ اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ فكان هذا الأمر بداية الدعوة الى التعليم..

... لقد جعل الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم من هذا المنطلق مدخلاً لفهم الرسالة.. فكان (ص) يفرض على الأسير ان يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه.. ومعنى هذا انه (ص) جعل التعليم أزكى من المال وذا قيمة كبيرة اكبر من أي شيء ..

سؤال: يعتبر الرسول الأعظم (ص) أول قائد لأول حملة شاملة لتعليم وتثقيف

الفرد.. ما هو تعقيب سماحتكم حول هذا الموضوع ؟

ـ هذا صحيح.. ان الله سبحانه وتعالى حين أنزل على رسوله الكريم (الرسالة) لغرض ان تبلغ .. والتبليغ هنا يعني التعليم والتوضيح والتبشير بكل ما تتضمنه هذه الرسالة الربانية المقدسة ومن هنا بدأ الرسول الأعظم دعوته في التعليم والتثقيف .. فكان (ص) يعلم الناس بأمور دينهم .. ولم تعرف العرب سابقا الحلقات الموسعة لغرض التعليم .. فكان مسجده الشريف يعج بالمتعلمين وكان الصحابة رضي الله عنهم .. يعلمون الناس أيضا الحكمة والمعرفة .. وما تعلموه من نبيهم الأكرم

سؤال: سماحة الامام.. رأيكم بالحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية والتي سيبدأ تنفيذها بقيادة السيد الرئيس احمد حسن البكر ؟.

ـ ان الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية.. خطوة جريئة.. وهنا يمكن ان نوجه شيئاً الى أولادنا الأعزاء.. هذا الشيء عبارة عن توضيح أهمية القراءة والكتابة من الناحية الدينية والشخصية.. ان تعليم القراءة والكتابة يفتح آفاق المعرفة كليا.. وحين يتعلم الفرد.. يكون هناك تمييزا دقيقا لما يحيطه من غموض في شتى المسائل والجوانب الحياتية..

أرى ان هذه فرصة كبيرة بالمعنى الشامل.. ان ترسيخ القيم الدينية والروحية وان معرفة الواجبات والأخلاق لا تتم الا بالتعليم والتثقيف.. وانه من العيب ان لا يعرف المسلم القراءة والكتابة..

وما الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية.. الا فرصة كبيرة للاستفادة في هذا المجال.. ونحن بدورنا ندعو كل أبنائنا الأعزاء الى التوجه الى مراكز التعليم.. فبالعلم تستفيد الأمم من تجاربها.. وتستعيد قدرتها.. ولا يمكن لأية امة من الأمم ان تنهض الا من خلال مقومات تعليمها وثقافتها.. وانا أتوقع لهذه الحملة كل النجاح نظرا للاستعدادات والمستلزمات التي وفرت لها.

سؤال: هل هناك إضافة أخرى يبديها سماحة الامام؟

ـ أدعو من الله سبحانه وتعالى ان يبارك هذه الخطوة الرائدة.. وان يبارك القائمين عليها انه نعم المولى ونعم النصير.

ملحق رقم (٤)

قائمة باسماء العوائل العراقية المقيمة في لبنان التي زارتها منظمة «كاريتاس»

العوائل التي تمت زيارتها من قبل كاريتاس وتم تقديم المساعدات الانسانية و الصحية و المدرسية لهاوذلك بالتعاون مع رئيس لجنة المتابعة لشؤون اللاجئين العراقيين في لبنان السيد سليم السلامي

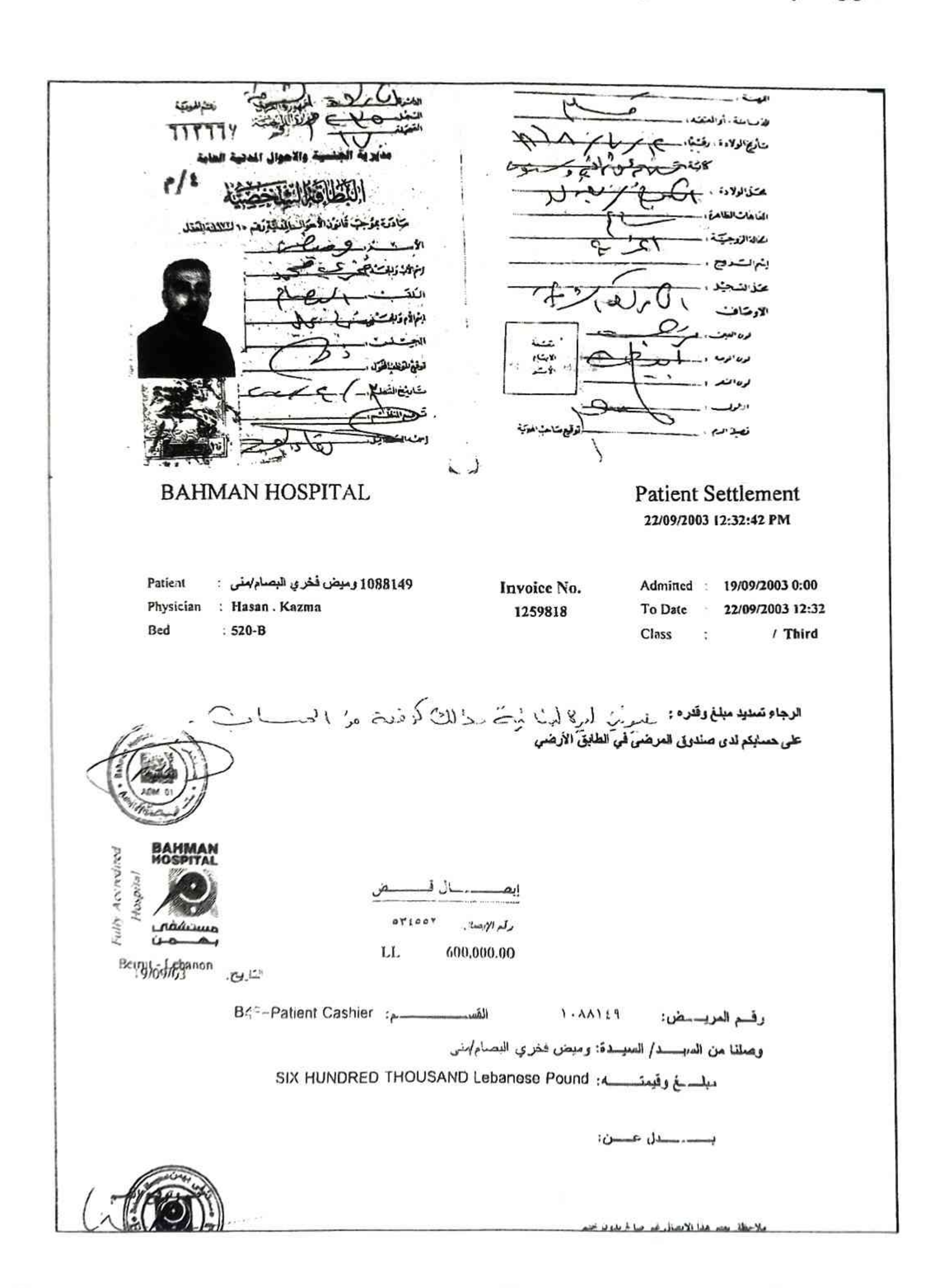
١ – شيخ ابو زيد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٦-٢٠٠٣
٢ – زياد عوض	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٦-٢٠٠٣
٣ – امجد منصور	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٦-٢٠٠٣
٤ – صادق فالح	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٦-٢٠٠٣
٥ – ابو علي المزحجي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
٦ – ابو حيدر الخرسان	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
٧ – سيد ابو ماهر	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
٨ – ابو عباس الناطور	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
٩ – ابو ايـة	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٠ – ابو محمد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١١ – سيد اياد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٢ –عمادالدين/ابو علي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٣ – عبدالكريم صكب	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٤ كاظم جواد الحلي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٥ هيثم صبري	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٦ابو علي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٧ احمدجوادالموسوي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٦-٦-٢٠٠٣
١٨ احمد البهادلي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
١٩ عبد الرحمن ياسين	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٠ سيد نوار	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢١ حبيب حمزة	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٢ تحسين علي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٣ سعد قاسم	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٤ ابو علي ابو الماي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٥ موسى محمد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٠-٦-٢٠٠٣
٢٦ عماد رزاق	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٦-٦-٢٠٠٣
٢٧ مسعودفخري الدين	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣

٢٨ عامر	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٢٩ حسين محمدالطائي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٠ محمد اللاوندي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣١ عامر الالوسي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٢ ابو الساعات حي السلم	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٣ اقارب ابو الساعات	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٤ مشعل الجابري	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٥ صالح جلاب	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٦ عبد الكريم صادق	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٧ ام عماد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٨ اخو ام عماد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٣٩ علاوي مشعل	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٤٠ محمد فالح ابوسيف	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٤١ محمدنعيم شرقي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٤٢ سامر عقيل	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٤٣ قاسم الناطور	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٤٤ ابو علي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٧-٦-٢٠٠٣
٤٥ وليد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٤٦ مشرق	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٤٧ زعيم احمد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٤٨ محمد ابو لقاء	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٤٩ محمد حمزة	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٥٠ جاسم الساعدي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٥١ ابو حميد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٥٢ لؤي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٥٣ابو حمزة ابو المكيفات	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	١٨-٦-٢٠٠٣
٥٤ ابو علي الموسوي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٧-٢٠٠٣
٥٥ احمدكاشف الغطاء	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٧-٢٠٠٣
٥٦ سليم كاشف الغطاء	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣-٧-٢٠٠٣
٥٧حسن عبدالامير ابوحيدر	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣٠-٦-٢٠٠٣
٥٨ زياد عبد الامير	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣٠-٦-٢٠٠٣
٥٩ فاضل احمد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٣٠-٦-٢٠٠٣

٦٠ ابو حيدر رادوف	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-١٧
٦١ علي الاسدي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٢ مكي داخل ابو علي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٣ علي فاضل داوود	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٤ ام شيماء	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٥ صباح	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٦ ابو احمد	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٦٧ محمد تكسي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٦-٣٠
٦٨ عادل الحلاق	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٦٩ ابو سيف الناطور	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٠ علي الساعدي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧١ عامر	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٢ ابو مهدي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٣-٧-٢
٧٣ سامر سلمان حسن	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٤ ابو عبد الله	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٥ ساجد نعمة	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٦ عماد حسن	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٧حسين جلاب	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٨ ابو علي التقني	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٧٩ رعد الفاس	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٨٠ ابو علي الكهربائي	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢
٨١ابو جعفر ابو الخضرة	تمت الزيارة من قبل كاريتاس	٢٠٠٣-٧-٢

ملحق رقم (٥)

صورة البطاقة الشخصية للمريض والفواتير المستحقة عليه والتقرير الطبي له



رقم الهوية ٦١٢٦٦٧

مديرية الجنسية والاحوال المدنية العامة

٤/م

البطاقة الشخصية

صادرة بموجب قانون الأحوال المدنية رقم ١٠ لسنة ١٩٧٢ المعدل

الاسم: وضاح

اسم الأب وأب الأب: فخري محمد

اللقب: البصام

اسم الأم وأب الأم:

الجنس: ذ

توقيع الموظف المخول

تاريخ التنظيم

المهنة:

تاريخ الولادة رقماً: ١٩٥٨

محل الولادة:

العلامات الظاهرة:

الحالة الزوجية:

إسم الزوج:

محل التسجيل:

الأوصاف

لون العين:

لون البشرة:

لون الشعر:

الطول:

فصيلة الدم:

توقيع صاحب الهوية

BAHMAN HOSPITAL

Patient Settlement

22/09/2003 12:32:42 PM

Patient : 1088149 وميض فخري البصام/منى	Invoice No.	Admitted :	19/09/2003 0:00
Physician : Hasan . Kazma	1259818	To Date :	22/09/2003 12:32
Bed : 520-B		Class :	/ Third

الرجاء تسديد مبلغ وقدره : ستمائة الف ليرة لبنانية وذلك كدفعة من الحساب .

على حسابكم لدى صندوق المرضى في الطابق الأرضي

BAHMAN HOSPITAL

مستشفى بهمن

Fully Accredited Hospital

Beirut - Lebanon

إيصال قبض

رقم الإيصال: ٥٣١٥٥٢

LL 600,000.00

التاريخ: 19/09/03

رقم المريض: ١٠٨٨١٤٩ القسم: B4-Patient Cashier

وصلنا من السيد/ السيدة: وميض فخري البصام/منى

مبلغ وقيمته: SIX HUNDRED THOUSAND Lebanese Pound

بدل عن:

باسمه تعالى

BAHMAN HOSPITAL



مستشفى بهمن

وصفة طبية

PRESCRIPTION

1088149 - 1259818
Admitted 19/09/2003 D.O.B. 12/07/1968
Male 520-B
Hasan Kazma

Age: .... العمر: Nan

إسم ا

لمن يهمه الامر

ان المريض تم تعرضه لتوقف القلب والرئتين عن العمل وقد انعش واستعاد وظيفه من ناحية القلب والنبض اما ما يتعلق بالدماغ فهو في غيبوبة ووضعه العام غير مستقر

د. حسن كزما
قلب وشرايين

DATE 20/9/3 التاريخ: DOCTOR [illegible] اسم الطبيب:

حارة حريك - تلفون: ٠٢/٥٤٤٠٠٠ - ٠١/٥٤٤٠٠٠ - فاكس: ٠١/٥٥٩٩٤٧

10-1-114

www.bahmanhospital.com email bahmanhospital@bahmanhospital.com Tel 01/544 000, 03/544 000, Fax 01/559 947

ملحق رقم (٦)

صورة رسالة لجواد الخالصي الى السيد محمد حسين فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة استاذنا الاجل حفظه الله ورعاه . السلام عليكم ورحمة الله

وددت ان اعرض عليكم المسألة التالية بشكل مكتوب

تذكيراً واستفساراً بعد ان عرضتها عليكم شفهياً . فقد

ورد في كتاب مسائل عقائدية ص ١١٠ جوابكم

حول سؤال جواز التعبد بمذهب من المذاهب

الاربعة . وحسب ما ذكر من تعليقكم على البخاري

الشيعي انكم لم تقتنعوا بمبدأ الجواب المكتوب

والذي نسبه الاخوة الباحثون لذلك الكرسي . وقد

رأيت ان هذه الفتوى جاءت بعد نصف

قرن تقريباً من الفتوى التاريخية للشيخ محمود

شلتوت والتي اكد فيها على عدم الزام المسلم باتباع

وجواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية .

مذهب معين . وقد وجدت اجابة اخرى تتضمن

ما قاله الشيخ شلتوت وما هو الصحيح حول الاسلام

والمذهبين وتوضيح لكل الآراء الفقهية مع تأكيدها

على مذهب اهل البيت من ناحية استشهاد وآل

البيت على صوابية الآراء الفقهية وعدمها لانه

يا حبذا لو تبينها اكثر في مسائل المذاهب الاخرى

آملين ابداء رأيكم حول الاصح في الآراء المنسوبة

لها وفقنا الله ان رأيتم ضرورة ذلك واهميته

(... / ... / ١٤٢٤)

نص رسالة جواد الخالصي الى السيد محمد حسين فضل الله

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة أستاذنا الأجل حفظه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله.

وددت ان اعرض عليكم المسألة التالية بشكل مكتوب تذكيراً واستفساراً بعد ان عرضتها عليكم شفهيا فقد ورد في كتاب مسائل عقائدية ص ١١٠ جوابكم حول جواز التعبد بمذهب من المذاهب الأربعة، وحسب ما أذكر من تعليقكم على استفساري الشفهي أنكم لم تقتنعوا بمدرك الجواب المكتوب والذي نقله الاخوة الجامعون لذلك الكراس وقد رأيت أن هذه الفتوى جاءت بعد نصف قرن تقريبا من الفتوى التاريخية للشيخ محمود شلتوت والتي أكد فيها على عدم إلزام المسلم باتباع مذهب معين وجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وقد وجدت إجابة اخرى تتضمن ما قاله الشيخ شلتوت وما هو الصحيح حول الاسلام والمذهبية وهي تتسع لكل الآراء الفقهية، مع تأكيدها على مذهب أهل البيت من ناحية شهادة آل البيت على صوابية الآراء الفقهية وعدمها لا من ناحية كونه مذهبا آخر في مقابل المذاهب الأخرى. آملين إبداء رأيكم حول الموضوع في الدائرة المناسبة له. وفي العلن إن رأيتم ضرورة ذلك وأهميته.

ملحق رقم (٧)

صورة عن نص مقترح جواد الخالصي الى السيد محمد حسين فضل الله

نص الجواب

الاسلام لم يحدد لاهل القبلة مذهباً معيناً ليكون
الوسيلة الى معرفة الحق والعمل به ، ونحن لا نعتقد بوجود
المذاهب في دين الله ، والتشيع ليس مذهباً في قبال
المذاهب الاخرى او الى جانبها ، وهذا لا ينفي اهمية
آراء الفقهاء الذين بذلوا الوسع لاستنباط الاحكام
الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية (الكتاب والسنة).
اما اهل البيت فانهم العلائم الواضحة المباشرة على
هذا الارتباط والموازين الدقيقة على استقامته ، وعلى
هذا يصح الرجوع الى اي رأي فقهي ثبت عن اي عالم
من علماء الامة بلا تمييز مذهبي بشرط ان يؤخذ
في عملية الاستنباط من الكتاب والسنة ، ما قاله
الائمة من آل البيت ليكون هو الشاهد والحاكم
على الاقوال والاستنباطات الفقهية عامة .

نص مقترح جواد الخالصي الى السيد محمد حسين فضل الله

«الاسلام لم يحدد لاهل القبلة مذهبا معينا ليكون الوسيلة الى معرفة الحق والعمل به، ونحن لا نعتقد بوجود المذاهب في دين الله، والتشيع ليس مذهبا في قبال المذاهب الاخرى او الى جانبها، وهذا لا ينفي اهمية آراء الفقهاء الذين بذلوا الوسع لاستنباط الاحكام الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية (الكاتب والسنة) اما اهل البيت فانهم العلائم الواضحة المباشرة على هذا الارتباط والموازين الدقيقة على استقامته، وعلى هذا يصح الرجوع الى أي رأي فقهي ثبت عن أي عالم من علماء الامة بلا تمييز مذهبي بشرط ان يؤخذ في عملية الاستنباط من الكتاب والسنة، ما قاله الائمة من آل البيت ليكون هو الشاهد والحاكم على الاقوال والاستنباطات الفقهية عامة.»

ملحق رقم (٨)

صورة الصفحة الاولى والاخيرة للرسالة التي بعثها احمد الجلبي الى السيد محمد حسين فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اتقدم الى سماحتكم وافر التقدير والاحترام داعياً الحق الله تعالى ان يحفظكم ويرفع شأنكم نبراساً للمسلمين .

اما بعدما طفح الكيل ووصل الظلم على شعبنا في العراق الى مستويات لم تكن تخطر بخاطر اي عراقي وارغل صدام رعاعه في صدور العراقيين الذين ضاقت رحاب الدنيا بهم لاجئين ومهجرين وهاربين من طغيان صدام وارتفعت صرخات من بقي منهم في ارض الوطن وفيهم على رؤوسهم غيم اسود من الشر الذي هو صدام بعينه ، بعد ان انكفئت القوى الدوليه عنا و اضطررنا الى مقارعتها على ارضها ونجحنا في عرض قضيتنا عليهم بشكل ناجح وفعال ، وحققنا انجازات فريده من نوعها في مجال السياسة تجاه العراق ، نجد انفسنا ومعنا الالاف ممن انخرطوا في طريق النضال هذا بأمس الحاجة الى التأييد والدعم من سماحتكم .

ان الانجازات التي حققناها على ارض الوطن هي انجازات مميزه قارعت الباطل وانتصرت للحق وركزت على رفع الحيف والتهميش عن ابناء شعبنا وبالاخص الشيعة في العراق .

وحورب بضراوة من قبل الاخرين بحجة انه صنيعة امريكية ويدين بالولاء لامريكا، والحقيقة هي مغايرة لذلك تماماً، ومخالفة لما يدعون، اذ ان جهاز المخابرات الامريكية CIA لم يترك ميداناً الا وحاربنا فيه وحاول القضاء علينا ولم ينقذنا الا نقلنا للمعركة الى داخل الولايات المتحدة واتصالنا بالمشرعين وشرح الحقيقة لهم وعملنا المتواصل والمضني الذي استمر في النهاية بقانون تحرير العراق.

كلفت اخي النشط والمتفاني في خدمة قضية طائفته، مثال الصراف بشرح تفاصيل وخبايا الامور لسماحتكم وهي كثيرة، لقد اطلع مثال عليها في الاسابيع الاخيرة خلال معايشته لي في مختلف ساعات الليل والنهار في الولايات المتحدة واوربا.

ادعو الله تعالى ان ينصرنا عندما تتوفقون سماحتكم الى فهم هذه الامور على طبيعتها لاني اعلم انكم اذا فهمتم و اقتنعتم بشيء فانكم ماضون فيه لا تأخذكم لائمة لائم حتى انجازه لمصلحة المسلمين والشيعة.

وفي الختام ارجو لسماحتكم مرة اخرى عن كامل احترامي وتقديري لشخصكم ولمواقفكم النبيلة.

المخلص

احمد الجلبي

١٠ نيسان ١٩٩٩

ملحق رقم (٩)

صورة صحيفة «التآخي» العراقية الصادرة بتاريخ ٦ / ٣ / ١٩٦٨م، التي نشرت تفاصيل «مغادرة السيد محسن الحكيم الى الديار المقدسة»



سماحة الامام الحكيم يغادر الى الديار المقدسة

السيد رئيس الوزراء يحضر مراسيم التوديع عصر امس

غادر بغداد عصر امس بعناية الله سماحة الامام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم متوجها الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج . وقد شارك في توديع سماحته في المطار المدني بالنيابة عن السيد الرئيس الدكتور محمد بديع شريف رئيس ديوان رئاسة الجمهورية واحد مرافقي السيد رئيس الجمهورية. كما كان في توديعه السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء وبعض السادة الوزراء ووكيل وزارة الخارجية وسفير ايران في بغداد والقائم بالاعمال السعودي ومتصرف لواء بغداد ومدير الشرطة العام ومدير التشريفات العام في وزارة الخارجية وكبار موظفي الدولة واصحاب السماحة والفضيلة العلماء الاجلاء وهيئة تحرير جريدتنا ، وحشود هائلة من ابناء الشعب .

وكتب مندوبنا المحلي الذي حضر مراسيم التوديع يقول : في حوالي الساعة الثالثة عصرا غادر موكب سماحة الحكيم مدينة الكاظمية بعد اداء الزيارة للامامين الجوادين – ع – مخترقا ساحة الزهراء فشارع الامام موسى الكاظم فساحة جامع براثا ثم الشارع الفرعي (الشالجية) ثم شارع المطار فالمطار الذي وصله في تمام الساعة الثالثة والنصف. وعلى طول الطريق الذي سلكه الموكب احتشد عشرات الالوف من المواطنين توزعوا على شكل مجاميع على الارصفة وهي تحمل صور سماحة الامام الاعظم وتلوح بلافتات ترحب بمقدم سماحته وتدعو له بسلامة العودة .

وفي المطار توزعت على جانبي الشارع المؤدي الى المدخل الرئيسي للمدرج قوة عسكرية مشهورة الحراب تكريما للزعيم الديني الحكيم بينما اكتظت مداخل المطار الثانوية بالاف اخرى من ابناء الشعب الذين تقاطرت وفودهم التوديعية من اقاصي الوية الجنوب والفضيلة ومن مدن الشمال وراحوا يلتأمون في اجتماعات جماهيرية اختلطت فيها الاهازيج الشعبية بالقصائد الوطنية وفي الساعة الثالثة واربعين دقيقة حضر المطار السيد رئيس الوزراء والوفود المشتركة في مراسيم التوديع .

وبعد دقائق من انتهاء مراسيم التوديع ارتقى سماحته يحتضنه عدد من اصحاب السماحة المرافقين له سلم الطائرة الخاصة التي كان قد وضعها السيد رئيس الجمهورية تحت تصرفه .

وفي تمام الساعة الرابعة اقلعت الطائرة بعناية الله مغادرة ارض المطار الى الاراضي المقدسة وسط توديع المواطنين واهازيجهم الشعبية .

ملحق رقم (١٠)

صورة صحيفة «الثورة» العراقية الصادرة بتاريخ ١٥ / ٥ / ١٩٨٥ التي نشرت تقريرا بعنوان «ندوة موسعة لرجال الدين بمحافظة النجف»



الثورة

وحدة حرية اشتراكية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
حميد سعيد
رئيس التحرير
سعد قاسم حمودي

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

١٢ صفحة

الاربعاء - ١٥ ايار ١٩٨٥ - ٢٥ شعبان ١٤٠٥ - العدد ٥٤٧٦

ندوة موسعة لرجال الدين بمحافظة النجف لشرح قرارات المؤتمر الاسلامي الشعبي الثاني

النجف - مراسل «الثورة»

عقدت بمحافظة النجف امس ندوة موسعة للسادة علماء الحوزة العلمية ورجال الدين الافاضل في الروضة الحيدرية المطهرة لشرح قرارات المؤتمر الشعبي الاسلامي الثاني الذي عقد في بغداد مؤخرا.

وحضر الندوة الرفيق مزبان خضر هادي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي امين سر مكتب تنظيم الفرات والسيد عزيز صالح النومان محافظ النجف والرفيق عدنان عبد حمد امين سر قيادة فرع النجف للحزب والرفاق اعضاء قيادة الفرع واعضاء مجلس الشعب وجمهور غفير من المواطنين

وابتدأت الندوة بتلاوة معطرة من اي الذكر الحكيم ثم القى السيد المحافظ كلمة اكد فيها اهمية الدور الكبير والفاعل الذي يلعبه السادة العلماء ورجال الدين الافاضل وخطباء المجالس الحسينية وائمة المساجد والجوامع بتعريف المواطنين بقرارات المؤتمر الاسلامي الشعبي الثاني وفضح الاعمال الاجرامية للفئة الباغية في ايران ورفضها المستمر لكل المبادرات السلمية التي اعلنها العراق على لسان قائده العظيم السيد الرئيس القائد صدام حسين ومن موقع القوة والاقتدار لايقاف نزيف الدم بين البلدين

كما اوضح السيد المحافظ حقيقة نوايا واحلام الفئة الباغية التوسعية الشريرة ومخططاتها التخريبية ضد الاسلام والتضامن الاسلامي

بعدها القى السيد محمد رضا سيد محسن الحكيم كلمة جاء فيها ايها المسلمون لا يسعني في هذه المناسبة من ان اشرح ما حل بنا نحن المسلمين من ويلات ومن ماس مؤلمة اضعفت كيان المسلمين بعد قوتهم وما كان هذا ليحصل لولا الفرقة وبذور الخلاف التي بذرها وغذاها اعداء الاسلام وعملهم الخبيث بكل الوسائل والامكانات وخير شاهد على ذلك الحرب الضروس التي مضى عليها اكثر من اربع سنوات وهدرت فيها دماء كثيرة وعطلت قدرات عظيمة كان الاجدر ان تستخدم في دفع كيد اعداء الاسلام وتحرير القدس الشريف وان حكام ايران لم يستجيبوا لكل الدعوات الاسلامية والدولية اما العراق فقد استجاب لهذه الدعوات وفي الايام الاولى على لسان قائدنا الرئيس المناضل صدام حسين.

ثم القى العلامة سيد حسين بحر العلوم والعلامة سيد محمد محمد صادق الصدر والشيخ احمد البهادلي والعلامة الشيخ محمد جعفر الكرباسي والشيخ عبدالحسن الخراوي كلمات اكدوا فيها ان حكام طهران البغاة رفضوا الاستجابة لنداء علماء المسلمين الذين اجتمعوا في بغداد الاسلام واصروا على مواصلة حربهم العدوانية مما يدلل على عدم ايمانهم والتزامهم بتعاليم الاسلام والقرارات والمؤتمرات والمواثيق والاعراف الدولية.

وحضر الاجتماع حجة الاسلام السيد يوسف الحكيم والمجتهد العلامة محمد علي الهمامي والمجتهد الشيخ علي كاشف الغطاء والمجتهد العلامة محمد تقي شيخ راضي والمجتهد العلامة السيد محمد علي الحكيم والمجتهد العلامة محمد ابراهيم الكرباسي والمجتهد العلامة علاء الدين بحر العلوم والمجتهد العلامة السيد حسين بحر العلوم والعلامة محمد رضا الحكيم والعلامة محمد تقي الحكيم والعلامة عزالدين بحر العلوم والعلامة السيد محسن الحمامي والعلامة احمد البغدادي والعلامة السيد جعفر بحر العلوم والعلامة السيد محمد جعفر محمد ابراهيم الكرباسي والعلامة السيد حسن بحر العلوم والعلامة السيد عبدالحميد الصغير والدكتور عدنان البكاء والعلامة السيد صالح الخرسان.

وفي ختام الاجتماع رفع المشاركون برقية الى السيد الرئيس القائد صدام حسين.

ملحق رقم (١١)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ١٨ / آب / ١٩٩٠م التي جاء فيها:

«آية الله العظمى الخوئي يفتي: لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين»



الجمهورية

جريدة يومية سياسية

Al-Jumhuriya

رئيس التحرير

سامي مهدي

١٢ صفحة

٧٥ فلساً

السبت ١٨ آب ١٩٩٠ م - ٢٧ محرم ١٤١١ هـ - العدد ٧٦٣٦ - السنة ٢٣

وتم الاطلاع خلال الاجتماع على نتائج مبادرة السيد الرئيس القائد صدام حسين لتحقيق السلام الشامل والدائم بين العراق وايران ..

وتدارس الاوضاع السياسية على الساحتين العربية والدولية .

■ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ■

آية الله العظمى الخوئي يفتي :

لاتجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين

■ النجف الاشرف/واع · اعلن المرجع الديني الاعلى اية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي انه لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين

واهاب في بيان له امس . يتضمن فتوى بهذا الشأن . المسلمين ان يقفوا سدا منيعا في وجه اعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين.

وفي ما ياتي نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقال عز من قائل (ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون) صدق الله العظيم

لا يخفى على المسلمين كافة ما تمر به الامة الاسلامية في الظروف العصيبة الراهنة . وما يحيط بها من الخطر الذي يهدد كيان الاسلام ومواطن المسلمين نتيجة تفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم . مما ادى الى تفاقم الامر وحصول التصدع في صفوفهم . في الوقت الذي ينبغي لهم ان يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على مبادىء الاسلام واعلاء كلمته ولم الشمل . منصاعين الى امر الله تبارك وتعالى حيث يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

البقية ص ١

■ في تصريح لوزير النفط .

العراق يرفض الدعوة المشبوهة لعقد اجتماع طارىء لاوبك

■ حكام نجد والحجاز يتحايلون على الحصة...

■ بغداد / واع احد السيد عصام عبدالرحيم وزير النفط رفض العراق لدعوة حكام ... والحجاز عقد اجتماع طارىء للمؤتمر الوزاري لمنظمة الاوبك

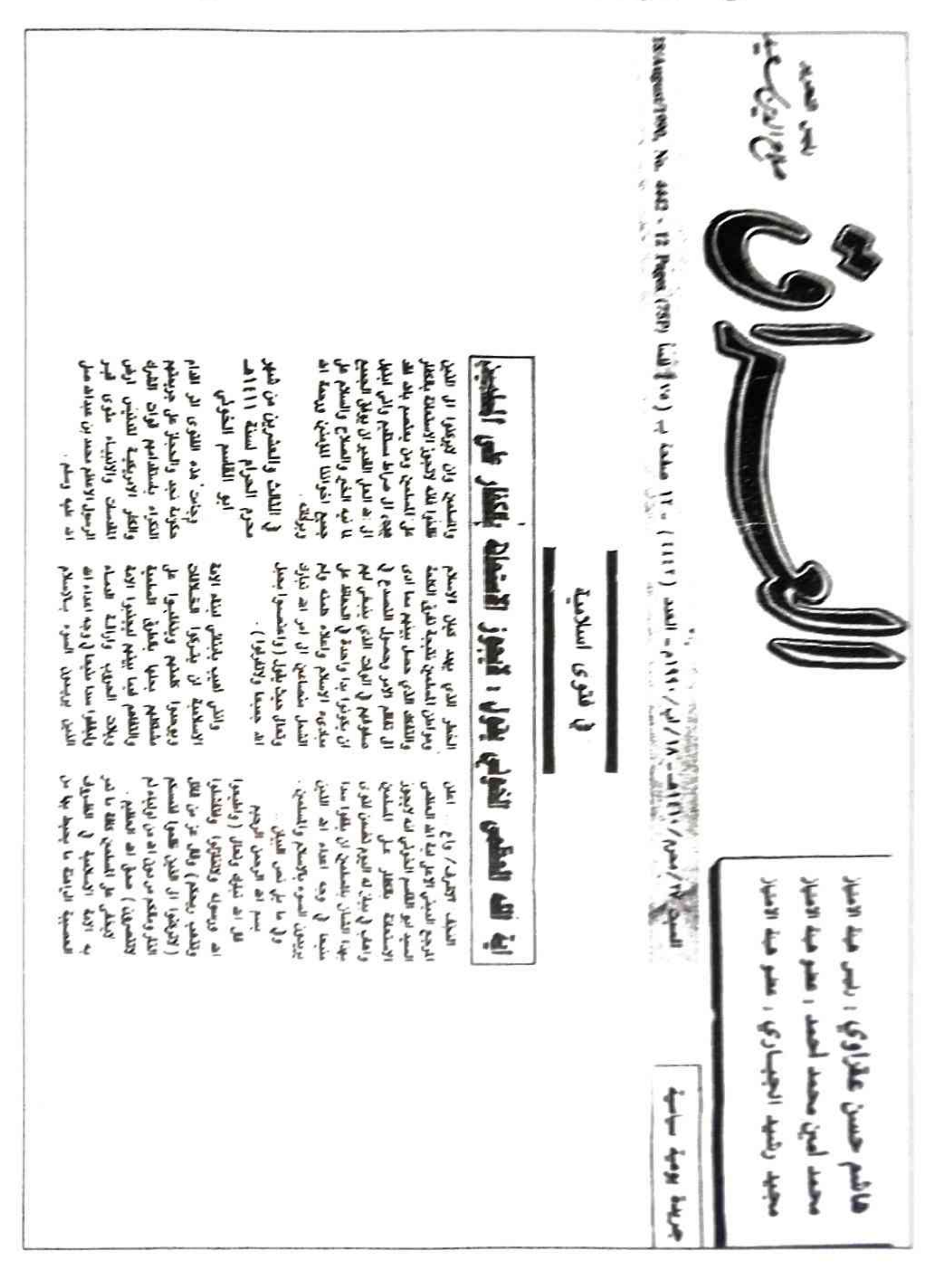
وقال في تصريح لوكالة الانباء العراقية ان الاغلبية الدول الاعضاء في منظمة الاوبك كانت قد ... مؤخرا عدم وجود ما يبرر الدعوة لعقد هذا الاجتماع . انطلاقا من اقناعها بعدم وجود نقص ... العرض النفطي العالمي من جهه . وتوفر خزين نفطي هائل لدى الدول المستهلكة الرئيسية من ... ثانية

واشار الى ان احد الاهداف الاساسية التي رسمتها اتفاقية الاوبك الاخيرة تركز حول ... لامتصاص هذا الخزين الكبير الذي كان يستخدم دائما من اجل تخفيض الاسعار والاضرار بـ... الدول النفطية المنتجة

البقية ...

ملحق رقم (١٢)

صورة صحيفة «العراق» الصادرة بتاريخ ١٨ / آب / ١٩٩٠م التي جاء فيها: «آية الله العظمى الخوئي يقول: لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين»



هاشم حسن عقراوي : رئيس هيئة الامتياز
محمد أمين محمد أحمد : عضو هيئة الامتياز
مجيد رشيد الجباري : عضو هيئة الامتياز

جريدة يومية سياسية

العراق

رئيس التحرير
صلاح الدين سعيد

السبت ٢٧/محرم/١٤١١هـ - ١٨/اب/١٩٩٠م - العدد (٤٤٤٢) - ١٢ صفحة ب (٧٥) فلسا
18/August/1990, No. 4442 - 12 Pages (75P)

في فتوى اسلامية

اية الله العظمى الخوئي يقول : لايجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين

النجف الاشرف/ واع .. اعلن المرجع الديني الاعلى اية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي انه لايجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين واهاب في بيان له اليوم تضمن فتوى بهذا الشان بالمسلمين ان يقفوا سدا منيعا في وجه اعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين .

وفي ما يلي نص البيان ..

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى (واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال عز من قائل (لاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من اولياء ثم لاتنصرون) صدق الله العظيم .

لايخفى على المسلمين كافة ما تمر به الامة الاسلامية في الظروف العصيبة الراهنة ما يحيط بها من الخطر الذي يهدد كيان الاسلام ومواطن المسلمين نتيجة لتفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم مما ادى الى تفاقم الامر وحصول التصدع في صفوفهم في الوقت الذي ينبغي لهم ان يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على مبادىء الاسلام واعلاء كلمته ولم الشمل متصاعين الى امر الله تبارك وتعالى حيث يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) .

وانني اهيب بابنائي ابناء الامة الاسلامية ان يتركوا الخلافات ويوحدوا كلمتهم ويتغلبوا على مشاكلهم بحلها بالطرق السلمية والتفاهم فيما بينهم ليجنبوا الامة ويلات الحروب واراقة الدماء وليقفوا سدا منيعا في وجه اعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين وان لايركنوا الى الذين ظلموا فانه لاتجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واني ابتهل الى الله العلي القدير ان يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح والسلام على جميع اخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

في الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام لسنة ١٤١١هـ
ابو القاسم الخوئي

وجاءت هذه الفتوى اثر اقدام حكومة نجد والحجاز على جريمتهم النكراء باستقدامهم قوات الشرك والكفر الامريكية لتدنيس ارض المقدسات والانبياء مثوى قبر الرسول الاعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

نص الخبر الذي نشرته صحيفة «العراق» الصادرة بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٠م
«آية الله العظمى الخوئي يقول : لايجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين»

«النجف الاشرف / واع : اعلن المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي انه لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين واهاب في بيان له اليوم تضمن فتوى بهذا الشأن بالمسلمين ان يقفوا سدا منيعا في وجه اعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين وفي مايلي نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى **(واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** وقال عز من قال **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون)** صدق الله العظيم لا يخفى على المسلمين كافة ما تمر به الامة الاسلامية في الظروف العصيبة الراهنة وما يحيط بها من الخطر الذي يهدد كيان الاسلام ومواطن المسلمين نتيجة تفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم مما ادى الى تفاقم الامر وحصول التصدع في صفوفهم في الوقت الذي ينبغي لهم ان يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على مبادئ الاسلام واعلاء كلمته ولم الشمل منصاعين الى امر الله تبارك وتعالى حيث يقول **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** وانني اهيب بابنائي ابناء الامة الاسلامية ان يتركوا الخلافات ويوحدوا كلمتهم ويتغلبوا على مشاكلهم بحلها بالطرق السلمية والتفاهم فيما بينهم ليجنبوا الامة ويلات الحروب واراقة الدماء وليقفوا سدا منيعا في وجه أعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين وان لا يركنوا الى الذين ظلموا فانه لا تجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واني ابتهل الى الله العلي القدير ان يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح والسلام على جميع اخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

في الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام لسنة ١٤١١هـ ابو القاسم الخوئي

وجاءت هذه الفتوى اثر اقدام حكومة نجد والحجاز على جريمتهم النكراء باستقدامهم قوات الشرك والكفر الامريكية لتدنيس ارض المقدسات والانبياء مثوى قبر الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ملحق رقم (١٣)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ١٨ / آب / ١٩٩٠م التي جاء فيها:

«آية الله العظمى الخوئي يدعو المسلمين للوقوف سدا منيعا بوجه قوات الكفر»



تصدر عن وزارة الدفاع — مديرية التوجيه المعنوي

القادسية

AL.QADISSIYA

جريدة يومية سياسية عسكرية

رئيس التحرير اللواء الركن منذر عبد الرحمن — نائب رئيس التحرير امير الحلو

السبت ٢٧ محرم ـ ١٤١١ هـ ـ ١٨ آب ـ ١٩٩٠ م — ١٢ صفحة ـ ٧٥ فلساً ـ العدد ٣٣٤٨ ـ السنة العاشرة

القائد يترأس اجتماعاً مشتركاً لمجلس قيادة الثورة والقيادة ...

بغداد / واع : ترأس السيد الرئيس القائد صدام حسين امس اجتماعا مشتركا لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي .

وتم الاطلاع خلال الاجتماع على نتائج مبادرة السيد الرئيس القائد صدام حسين لتحقيق اسلام الشامل والدائم بين العراق وايران .. وتدارس الاوضاع السياسية على الساحتين العربية والدولية .

الوجبة الاولى من الاسرى الايرانيين الذين قرر العراق اطلاق سراحهم طبقا لما ورد في رسالة السيد الرئيس القائد صدام حسين الى الرئيس الايراني علي اكبر هاشمي رفسنجاني في الخامس عشر من الشهر الجاري .

وبدأ تسليم الوجبة الاولى من الاسرى الايرانيين البالغ عددهم الف اسير فور وصولهم الى نقطة التسليم الساعة العاشرة صباح امس .

وقد جرت عملية التسليم باشراف ممثل هيئة الصليب الاحمر الدولية بعد ان وفرت الجهات المشرفة على تسليم وتسلم الاسرى جميع مستلزمات النقل الى نقطة التسليم على الحدود وهيأت الخدمات الصحية الكاملة

تفاصيل مصورة ص٦ ـ ٧

آية الله العظمى الخوئي يدعو المسلمين للوقوف سداً منيعاً بوجه قوات الكفر

النجف الاشرف/واع : اعلن المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي انه لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين واهاب في بيان له امس تضمن فتوى بهذا الشأن بالمسلمين ان يقفوا سدا منيعا في وجه اعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين.

وفي مايلي نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال عز من قائل (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون) صدق الله العظيم.

لا يخفى على المسلمين كافة ما تمر به الامة الاسلامية في الظروف العصيبة الراهنة وما يحيط بها من الخطر الذي يهدد كيان الاسلام ومواطن المسلمين نتيجة تفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم مما ادى الى تفاقم الامر وحصول التصدع في صفوفهم في الوقت الذي ينبغي لهم ان يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على مبادئ الاسلام واعلاء كلمته ونبذ الشر متصاعين الى امر الله تبارك وتعالى حيث يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

وانني اهيب بابنائي ابناء الامة الاسلامية ان يتركوا الخلافات ويوحدوا كلمتهم ... [illegible]

الوجبة الاولى من اسرانا تصل الى ارض الوطن اليوم

بغداد / واع : علمت وكالة الانباء العراقية ان وصول الوجبة الاولى من الاسرى العراقيين التي كان مقررا وصولها امس قد تأخر بسبب المسافة الطويلة للطريق . وسيكتمل وصول الوجبة الاولى من الاسرى العراقيين الى الوطن هذا اليوم .

سكة حديد بين البصرة والكويت

بغداد / واع : علمت وكالة الانباء العراقية ان الجهات المختصة قد اتخذت الاجراءات والترتيبات اللازمة لمد خط سكك الحديد بين مدينة البصرة ومدينة الكويت . كما علمت الوكالة ان الاجراءات قد اتخذت لمد انبوب لماء الشرب بين المدينتين

نص صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٠م

«آية الله العظمى الخوئي يدعو المسلمين للوقوف سدا منيعا بوجه قوات الكفر»

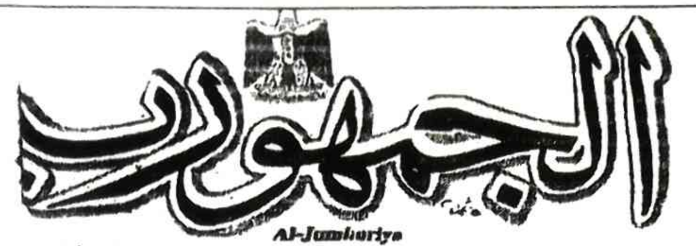
«النجف الاشرف / واع : أعلن المرجع الديني آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي انه لا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين واهاب في بيان له أمس تضمن فتوى بهذا الشأن بالمسلمين ان يقفوا سدا منيعا في وجه أعداء الله الذين يريدون السوء بالاسلام والمسلمين وفي ما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى **(واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** وقال عز من قال **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)** صدق الله العظيم لا يخفى على المسلمين كافة ما تمر به الأمة الاسلامية في الظروف العصيبة الراهنة وما يحيط بها من الخطر الذي يهدد كيان الاسلام ومواطن المسلمين نتيجة تفرق الكلمة والتفكك الذي حصل بينهم مما أدى الى تفاقم الأمر وحصول التصدع في صفوفهم في الوقت الذي ينبغي لهم ان يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على مبادئ الاسلام واعلاء كلمته ولم الشمل منصاعين الى امر الله تبارك وتعالى حيث يقول **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** وانني اهيب بابنائي ابناء الامة الاسلامية ان يتركوا الخلافات ويوحدوا كلمتهم.»

ملحق رقم (١٤)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ١٥ / شباط / ١٩٩١م التي جاء فيها: «علماء ورجال الدين في محافظة النجف الاشرف يستنكرون العدوان الغاشم على العتبات المقدسة»



رئيس التحرير
سعد البزاز

Al-Jumhuriya

الجمعة ١٥ شباط ١٩٩١م - ٢٩ رجب ١٤١١هـ العدد ٧٧٩٨ السنة الرابعة والعشرون - تصدر عن دار الجماهير للصحافة

علماء ورجال الدين في محافظة النجف الأشرف يستنكرون العدوان الغاشم على العتبات المقدسة

الجهاد تحت راية « الله أكبر » سيحقق النصر المؤزر



السيد مرتضى الواجدي



السيد محمد رضا الحكيم

المجتهد د . احمد البهادلي

الشيخ ابراهيم الطرفي



العلامة كاظم الكفائي



السيد علي الكلاني

السيد نوري الموسوي



السيد جمعة الموسوي

■ النجف الاشرف - من رزاق حميد علوان

استأثرت فتوى الامام « ابو القاسم الخوئي » باعلان جهاد المسلمين ونتائج مؤتمر الحوزة العلمية في محافظة النجف الاشرف الذي انعقد مؤخرا باهتمام الحرب والمسلمين في ارجاء المعمورة لما يمتلك من اهمية بالغة في توحيد صفوف المسلمين. واعلاء كلمة الحق وفرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة لمنازلة خنادق الشر والكفر والعدوان والطغيان .

واستهدف العدوان الامريكي الصهيوني الغاشم العتبات المقدسة .. ارض الامام علي (ع) وارض ابن بنت رسول الله محمد (ص) الحسين واخيه العباس عليهما السلام وبيوت الطاهرين من سلالة النبي العربي سيد الكائنات وخاتم الرسل والانبياء .

وتعرضت مدينتا النجف وكربلاء المقدستين الطاهرتين لابشع عدوان امريكي حاقد استهدف بيوت الناس الآمنين والمراقد المقدسة العامرة بالايمان وكتب الله واسمائه الحسنى .. ومسجد الامام علي (ع) جد السيد الرئيس القائد المجاهد صدام حسين ومعاهد الفقه والعلوم والدراسات الاسلامية .. والمقابر الساكنة برفات الاموات منذ سنوات .. وكل ما يتعلق بالحياة وعناصر الابداع وقيم الانسان والانسانية .

« الجمهورية » توجهت الى محافظة ...

عليه وسلم). معلنين جهادهم لاعلاء كلمة الحق وتوحيد صفوف المسلمين في التصدي لهذا العدوان الكافر الحاقد ضد العراق العظيم والامة العربية والاسلامية .

وقد قال سماحة العلامة المجتهد الدكتور احمد البهادلي :

- ان العدوان الامريكي الحاقد البغيض ضد العتبات المقدسة ومحرمات المسلمين وبيوت الله العامرة بالكتب المقدسة والمآذن وبيوت الآمنين من المواطنين والمراكز الصحية ...

ان هذه المرحلة تتطلب جهادا حقيقيا من كل مسلم ومسلمة .. الجهاد بالسلاح والمال والقلم واللسان .. لان الجمع الكافر اصطف وتعاون ضد الايمان .. فايماننا كبير بالنصر وثقتنا بالمستقبل اكبر وسنظل جنودا اوفياء امناء للقائد المجاهد صدام حسين .

وقال سماحة العلامة السيد مرتضى الواجدي :

- « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ».. ان ما يعاني منه المسلمون في هذه الايام الحرجة من تكالب يد الكفر والشر والطغيان والعدوان يتطلب منهم اينما وجدوا من اقصى الارض الى اقصاها ان يقفوا يدا واحدة خلف القائد العربي المؤمن المجاهد صدام حسين للنهوض بالقيم الانسانية الجديدة والحفاظ على حرمات ومقدسات المسلمين .

ودعا السيد نوري الموسوي ...

■ تصوير : رحيم حسن

العراق العظيم والمتمثلة بقصف بيوت الناس الآمنين وقتل النساء والاطفال والشيوخ المسنين والاعتداء على محرمات المسلمين ومقدساتهم .

واضاف في الوقت الذي انعقد مؤازرنا مؤتمر الحوزة العلمية في النجف في الصحن الحيدري الشريف المقدس كان طيران العدو الامريكي يحوم فوق رؤوسنا ويستهدف حيا سكنيا شعبيا فقيرا او مكانا مقدسا او مجاميع بشرية .. انها انتهاكات لا يستطيع احد ان يصفها اجل انها مجازر وحشية تقترف ضد ابناء شعبنا العظيم وهذا يتطلب العمل بعمق بمفهوم فتوى الامام الخوئي التي اعلنت الجهاد بكامل عناصره ومستلزمات الدفاع عن كل ذرة تراب عراقية طاهرة .

وقال الشيخ ابراهيم الطرفي :

- ان مايقوم به العدو الامريكي ودوائره المتحالفة ضد العراق العظيم ومناطقه السكانية واحيائه الشعبية الآهلة بالسكان والمراكز الصحية والمستشفيات والمنشآت الانسانية ...

ملحق رقم (١٥)

صورة لمجلة «الف باء» العراقية، العدد «١١٧٤» الصادرة بتاريخ ٢٧/آذار/١٩٩١م التي جاء فيها: «سماحة الامام ابو القاسم الخوئي! نحمد الله ان الفتنة أخمدت»



ALEF_BA

العدد ١١٧٤ السنة الثالثة والعشرون ١١ رمضان ١٤١١هـ الاربعاء ٢٧ آذار ١٩٩١م

شعبنا يندد بالمشروع الامريكي الجائر

الامام الخوئي

المشروع الامريكي في مجلس الامن

النوايا .. والاهداف

يبدو ان الرأي العام العربي والعالمي عن خطورة احدث المشاريع الامريكية في مجلس الامن نشرت الصحف حرفية النص الكامل لمشروع قرار بين اعضاء مجلس الامن يناقشونه .

ويهدف المشروع كما يتضح من فقراته تحوله الى ادامة الضغط غير المشروع وغير المبرر على العراق خاصة وان العمليات الحربية قد توقفت فعليا .. وقد تضمن مشروع القرار (٢٣) فقرة تطرقت الى وضع الحدود الدولية بين العراق والكويت وقوة المراقبين وخطة نشر افرادها وما يتعلق باسلحة الدمار الشامل واجراءات وقف اطلاق النار والخطة الزمنية للتنفيذ .

وتضمن مشروع القرار الايحاء بعدم الاطمئنان الى النوايا العراقية . كما لوحظ عدم شمولية الاجراءات المتعلقة بنزع اسلحة الدمار الشامل واختصار هذه الاجراءات على العراق دون غيره حيث نصت الفقرة الثامنة في باب اولا على تشكيل لجنة خاصة تتولى التفتيش الفوري الموقعي لقدرات العراق النووية والكيمياوية والبايولوجية والصواريخ البالستية على اساس اعلان العراق وعلى تحديد اية مواقع اضافية تحددها اللجنة الخاصة ذاتها . فيما نصت الفقرة التاسعة على تعهد العراق وبدون شروط بعدم قيامه بتطوير او بناء او انشاء اي من المواد المحددة في الفقرة السابقة المذكورة .

كذلك نص المشروع الامريكي على ربط الوقف الرسمي لاطلاق النار بقبول العراق بكل الاحكام الواردة في المشروع

ومن الواضح ان المشروع الامريكي الذي نشر نصه لم يلاق تجاوبا كاملا من اعضاء مجلس الامن الدولي التي اثارت الكثير من علامات الاستفهام حول البنود الواردة في المشروع بعد ان وزع المندوب الامريكي نص المشروع على اعضاء المجلس الذين ارسلوه بدورهم الى حكوماتهم للتشاور معها والعودة الى مجلس الامن الدولي بالتالي للتصويت على المشروع او لاجراء التعديلات عليه او لرفضه

ان المشروع الامريكي الجديد يعكس مدى الانهيار الحاصل في المعادلة الدولية لصالح الولايات المتحدة بعد تراجع الدور السوفيتي . وانفراد امريكا بالتعامل مع الاحداث الدولية

كذلك فلا نربط يبدو واضحا بين الاهداف التي تتوخاها الادارة الامريكية من مشروعها الجديد هذا وبين ما شهده ويشهده العراق من جرائم تخريب وتدمير على يد عصابات حاقدة تسللت عبر الحدود من دولة مجاورة وفي الحالتين فان المؤامرة التي تتعدد وتتنوع صفحاتها انما تستهدف تطويق الارادة الوطنية الحرة للعراق . والتأثير على قدراته في تجاوز الحالة الراهنة الناشئة عن الحرب العدوانية التي شنت ضده

سماحة الامام ابو القاسم الخوئي!

نحمد الله ان الفتنة اخمدت

اكد سماحة الامام ابو القاسم الخوئي ان كل شيء قد انتهى. وان الفتنة قد اخمدت

جاء ذلك خلال مؤتمر صحفي عقده في منزله بمدينة النجف حضره مراسلو الوكالات والاذاعات. واشار خلاله الى اللقاء مع السيد الرئيس وبعدها لمدة يومين في بغداد.

ونفى سماحة الامام صحة الانباء المسمومة القائلة بان ادلى بتصريحات تحت الاكراه . وسخر امام مراسلي بالقول ها انتم تزورني في بيتي .. فكيف اكون معتقلاً اذن

وكان السيد الرئيس القائد صدام حسين قد استقبل سماحة الامام الخوئي حيث شكر سماحته السيد الرئيس القائد على استقباله مبينا له ان اللقاء كان توافقاً مرسا ان هذا اللقاء ومؤكداً ان حفنة المجرمين الذين قاموا باعمال التخريب والنهب لا يمتون الى الدين بصلة . وان الاسلام منهم براء

من جهة اخرى شجب سماحة السيد علي السيستاني احد علماء الدين في مدينة النجف الاشرف الاعمال الاجرامية التي ارتكبها نفر من الغوغاء في عدد من محافظات العراق . وقال ان الدين الاسلامي الحنيف يحرم ولا يجيز اعمال النهب والسرقة وهتك الاعراض وقتل الابرياء

وعن جرائم المخربين قال السيد عبدالله فاضل وزير الاوقاف والشؤون الدينية ان الاضرار الهائلة التي الحقها الرعاع من الغوغائيين المجرمين بمساجد وجوامع وحسينيات ومراقد اضرحة آل البيت الاطهار يعد خرقاً فاضحاً للشرائع السماوية والقيم والاعراف السائدة مضيفاً ان المجرمين حولوا الصحن الحيدري في النجف الاشرف والروضة الحسينية في كربلاء المقدسة الى سجن لتعذيب الابرياء

ومما هو جدير بالذكر ان لجانا مختصة في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بدأت بحصر وتحديد الاضرار التي الحقتها قوى البغي الغوغائية المجرمة ضد دور العبادة والمساجد والحسينيات واضرحة آل البيت الاطهار

ملحق رقم (١٦)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ٤/ايلول/١٩٩١م التي جاء فيها: «القادسية تلتقي العلماء اعضاء الحوزة العلمية الدينية الكبرى في النجف»



القادسية

القادسية تلتقي العلماء اعضاء الحوزة العلمية الدينية الكبرى في النجف

تثمين اهتمام القائد صدام حسين بالمراقد المقدسة في النجف وكربلاء

□ اعادة اعمار المراقد المقدسة وتجميلها رد عملي على الأبواق المعادية □

ملحق رقم (١٧)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ٢٧ / كانون الثاني / ١٩٩١م التي جاء فيها: «علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف يحرمون الاستعانة بالقوى الكافرة على المسلمين المجاهدين في العراق»



الجمهورية

Al-Jumhuriya

رئيس التحرير

سَعْد البَزّاز

جريدة

يومية سياسية

الاحد ٢٧ كانون الثاني ١٩٩١م - ١١ رجب ١٤١١هـ - العدد ٧٧٧٦ السنة ... والعشرون تصدر عن دار الجماهير للصحافة - بغداد - جمهورية العراق

علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف يحرمون الاستعانة بالقوى الكافرة على المسلمين المجاهدين في العراق

- علماء الحوزة يستنكرون العدوان الكافر على العراق عامه وعلى مراقد آل البيت الاطهار في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة خاصة
- علماء الامة في النجف الاشرف يدعون المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى التصدي للعدوان الكافر عن العراق

اثر العدوان الكافر الفاجر على العراق المسلم المجاهد الصابر وتعرض المقدسات الاسلامية عامة ومراقد آل البيت في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة خاصة للقصف الوحشي الغادر تنادى علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف الى اجتماع ديني كبير في الروضة الحيدرية المطهرة في ... جمادى ... ١٤١١ هـ استشعارا منهم بالجريمة الكبرى التي يقترفها الكفرة ... في بلد المقدسات وما يتعين عليهم شرعا من دور جهادي لاستنهاض همم المسلمين ... لرد عدوان الكافرين عن هذا البلد الامين. فاصدروا النداء الاسلامي التالي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

اضراب عام في المغرب غدا تضامنا مع العراق

[illegible]

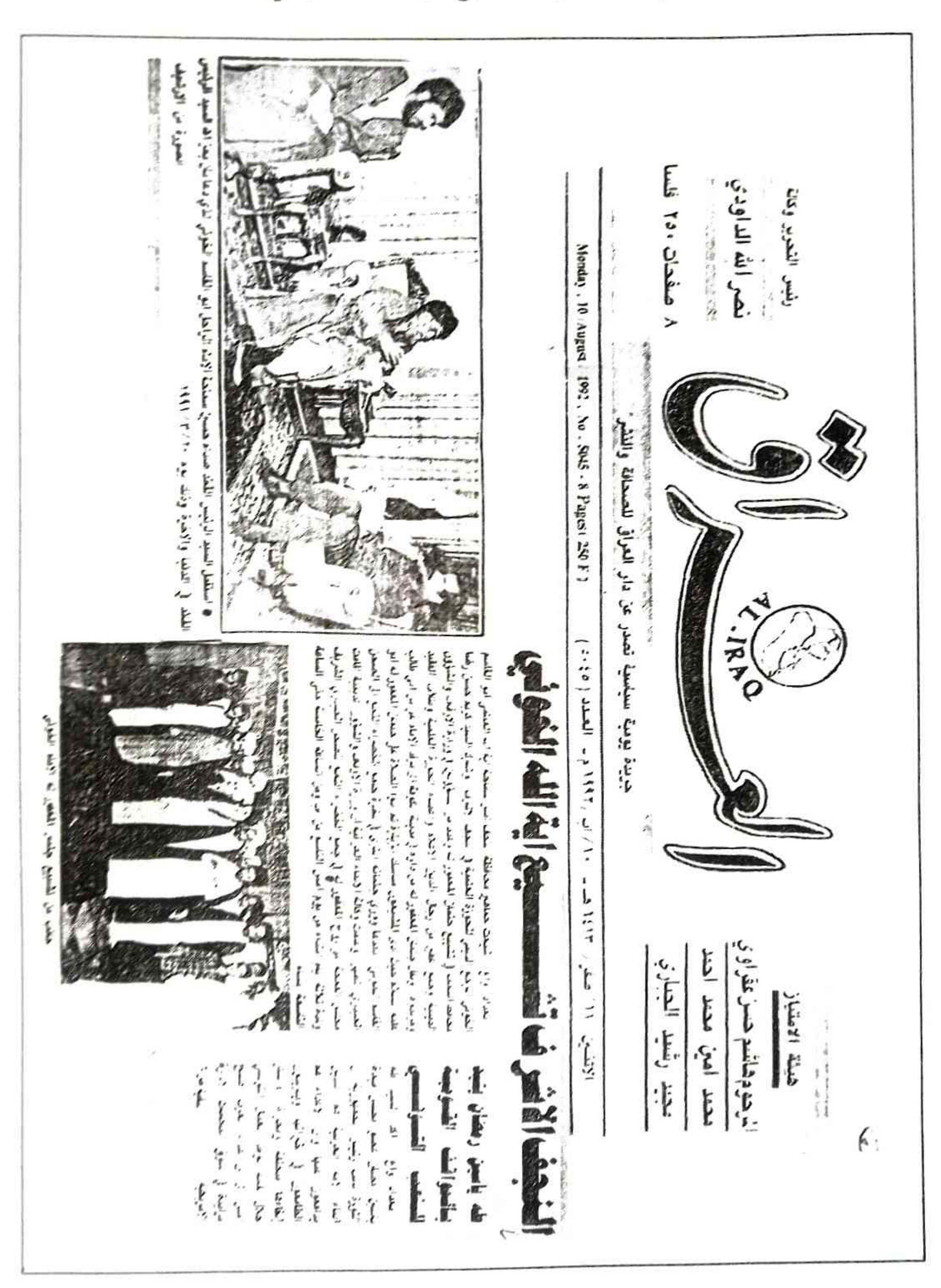
آية الله العظمى ابو القاسم الخوئي يدعو المسلمين لتوحيد صفوفهم لرد عادية الكفار عن العراق

[illegible]

ملحق رقم (١٨)

صورة صحيفة «العراق» الصادرة بتاريخ ١٠ / آب / ١٩٩٢م:

«النجف الاشرف تشيع آية الله الخوئي»



رئيس التحرير وكالة

نصر الله الداودي

٨ صفحات ٢٥٠ فلسا

العراق

AL-IRAQ

جريدة يومية سياسية تصدر عن دار العراق للصحافة والنشر

Monday, 10 August 1992, No. 5045 - 8 Pages 250 Fils

هيئة الاشراف

محمد امين محمد احمد

نجيب رشيد الجباري

النجف الاشرف تشيع آية الله الخوئي

نص صحيفة «العراق»، الصادرة في ١٠/آب/١٩٩٢م
«النجف الاشرف تشيع آية الله الخوئي»

«بغداد / واع .. شيعت جماهير محافظة النجف أمس سماحة اية الله العظمى ابو القاسم الخوئي المرجع الديني للحوزة العلمية في النجف الاشرف. وشارك السيد كريم حسن رضا محافظ النجف في تشييع جثمان المغفور له وعدد من المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وجمع غفير من رجال الدين الأعلام وأعضاء الحوزة العلمية وطلاب الفقيد ومريدوه ونقل جثمان المغفور له من داره في مدينة الكوفة الى مرقد الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام حيث ادى المشيعون مناسك الزيارة ثم أدوا الصلاة على جثمان المغفور له أبو القاسم الخوئي. بعدها ووري جثمانه الثرى في مقبرة جامع الخضراء التابع الى الصحن الحيدري المطهر وعلمت وكالة الأنباء العراقية أن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية أقامت مجلس الفاتحة على روح المغفور له في جامع الخضراء التابع للصحن الحيدري الشريف ولمدة ثلاثة أيام ابتداء من يوم أمس التاسع من آب ومن الساعة الخامسة حتى الساعة التاسعة مساء.

ملحق رقم (١٩)

صورة صحيفة «الثورة» العراقية الصادرة بتاريخ ١٠ / آب / ١٩٩٢م:

«تشييع رسمي وجماهيري لسماحة المغفور له الامام الخوئي»



الثورة

امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

وحدة حرية اشتراكية

جريدة يصدرها حزب البعث العربي الاشتراكي

٢٥٠ فلسا

تشييع رسمي وجماهيري لسماحة المغفور له الامام الخوئي

وزارة الاوقاف تقيم مجلس الفاتحة على روح الفقيد لثلاثة ايام

نص صحيفة «الثورة» الصادرة بتاريخ ١٠ / آب / ١٩٩٢م

«تشييع رسمي وجماهيري لسماحة المغفور له الامام الخوئي»

«شيعت جماهير محافظة النجف امس سماحة اية الله العظمى ابو القاسم الخوئي المرجع الديني للحوزة العلمية في النجف الاشرف . وشارك السيد كريم حسن رضا محافظ النجف في تشييع جثمان المغفور له وعدد من المسؤولين في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية وجمع غفير من رجال الدين الاعلام واعضاء الحوزة العلمية وطلاب الفقيد ومريدوه ونقل جثمان المغفور له من داره في مدينة الكوفة الى مرقد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.»

ملحق رقم (٢٠)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ١١ / آب / ١٩٩٢م:

«نقل تعازي الرئيس القائد ومواساته الى ذوي الفقيد سماحة الامام الخوئي»



رئيس التحرير
هاني وهيب

ALQADISSIYA
القادسية
جريدة يومية سياسية عسكرية

تصدر عن
وزارة الدفاع
بغداد - العراق

٨ صفحات - ٢٥٠ فلساً

شعبنا الكريم يستهجن تخرصات العملاء ويؤكد

نقل تعازي الرئيس القائد ومواساته الى ذوي الفقيد سماحة الامام الخوئي

احتجاج عراقي على خروقات الطائرات الامريكية

صحيفة المحرر
«السراب واليقين» عمق التفاعل الوطني حول عراقية الكويت

نص صحيفة «القادسية» الصادرة بتاريخ ١١ / آب / ١٩٩٢م.

«نقل تعازي الرئيس القائد ومواساته الى ذوي الفقيد سماحة الامام الخوئي»

«بغداد / واع: اوفد السيد الرئيس القائد صدام حسين السيد حاتم حمدان العزاوي رئيس ديوان الرئاسة مبعوثا عن سيادته لحضور مجلس الفاتحة على روح المغفور له اية الله العظمى الامام ابو القاسم الخوئي. ونقل مبعوث السيد الرئيس القائد الى ذوي الفقيد تعازي سيادته ومواساته بالمصاب الجلل وابتهاله الى المولى عز وعلا ان يلهمهم الصبر والسلوان ويتغمد الفقيد بواسع رحمته . وحضر مع ممثل السيد الرئيس القائد صدام حسين مجلس الفاتحة السيدان عبد الله فاضل وزير الاوقاف والشؤون الدينية وكريم حسن رضا محافظ النجف والرفيق امين سر قياده فرع النجف الاشرف لحزب البعث العربي الاشتراكي. من جهة اخرى ادى السيد حاتم حمدان العزاوي رئيس ديوان الرئاسة مراسيم الزيارة لمرقد الامام علي (ع) يصحبه السيدان وزير الاوقاف والشؤون الدينية ومحافظ النجف.»

قريبا.. تعيين خليفة لآية الله الخوئي

تابع للملحق (٢١)

صورة لمجلة «الف باء» العراقية الصادرة بتاريخ ٢ / ايلول / ١٩٩٢م:

«رجال الدين في الروضة الحيدرية.. لا للمؤامرة .. نعم للتصدي»



نص صحيفة «بابل» العراقية
«قريبا .. تعيين خليفة لآية الله الخوئي»

«النجف / العراق / أكد مسؤول شيعي ديني في مدينة النجف الأحد ان تعين خليفة لمرجع التقليد الأعلى لدى الطائفة الشيعية الاثني عشرية آية الله الخوئي الذي توفى منذ حوالي شهر بات قريبا. وقال إمام مسجد الإمام علي حيث دفن آية الله العظمى ابو القاسم الخوئي ان هناك اجماعا بدأ يتشكل حول اسم آية الله محمد صادق الصدر (٥٥) سنه وهو من النجف وسليل عائلة تضم الكثير من كبار علماء الدين الشيعة.

ولم يعرف ما اذا كان هذا الخيار بات محسوما ام انه ما زال موضع نقاش وفي لقاءات تمت مع مسؤولين دينيين في النجف وكربلاء (على بعد ٧٠ كم من النجف) لم يستطع هؤلاء تقديم شرح دقيق لعملية تسمية خليفة لابو القاسم الخوئي الذي توفي في الثامن من آب عن ٩٢ سنة. ومنذ وفاته لم تتسرب أية معلومات من بغداد عن اسم الشخص الذي سيصبح مرجع التقليد الأعلى للطائفة الشيعية في العالم.

وقال إمام مسجد الإمام علي حيدر محمد الكلدار لصحفيين اجانب اثناء زيارة نظمتها وزارة الاعلام العراقية انه لا يعرف متى سيتم حسم مسالة الخلافة نهائيا لكن في كربلاء جزم زهير محمد عباس مساعد امام مسجد العباس بان آية الله محمد صادق الصدر عين خليفة للخوئي وقال (لقد اختاره الله والشعب يعرف ذلك).

لكن الكلدار كان أقل حسما وقال أن السيد الصدر هو الأوفر حظاً وله الكثير من المريدين وهناك وفود تأتي من كل العراق لزيارته في النجف. واوضح ان من يعين مرجع التقليد الأعلى هو من يحصل اجماع على كونه الأوسع علما والأكثر معرفة ويكون صاحب اكبر عدد من المؤلفات والمريدين. وعلى هذا الأساس اختير آية الله الخوئي في عام ١٩٧٠ خلفا لآية الله العظمى السيد محسن الحكيم وقال الكلدار ان هناك أربعة مرشحين لخلافة الخوئي بينهم آية الله محمد تقي الحكيم وأكد ان المدينة او البلد اللذين ينتمي إليهما المرشح ليس لهما أي علاقة بهذا الاختيار ومشيرا الى ان الخوئي قد ولد في ايران. وقال ان هناك إيرانيا آخر من بين المرشحين لخلافة الخوئي هو آية الله العظمى عبد الاله سبزواري الموسوي. أما صاحبا الإسمين الأخيرين اللذين قال الكلدار أنهما مرشحان لخلافة الخوئي فهما آية الله محمد علي الحمامي وآية الله حسين بحر العلوم.

نص اللقاء الذي اجرته مجلة «ألف باء» العراقية في عددها «١٢٤٩» الصادر بتاريخ ٢ / ايلول / ١٩٩٢م

«رجال الدين في الروضة الحيدرية : لا للمؤامرة .. نعم للتصدي»

«ألف باء تنفرد بنشر فتوى حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد علي السيد حسين الموسوي الحمامي.

سماحته يدعو الشعب العراقي الى رص الصفوف ضد الهجمة الامبريالية الصهيونية المعادية ومواجهة الاعداء برأي واحد ويد واحدة.

ارتفعت أصوات ابناء شعبنا عالية ضد الفصل الجديد من العدوان المستمر الذي يشنه التحالف الاطلسي الصهيوني ضد العراق.. هذا الفصل الذي حمل عنوان خط العرض (٣٢) والذي رفضه شعبنا رفضا قاطعا.. (الف باء) تنقلت بين بيوت الله والروضات الشريفة.. فالتقت بالعلماء ورجال الدين في النجف الاشرف حيث اجمع المتحدثون على ان ابناء العراق الذين قاتلوا المستعمرين خلال ثورة العشرين وام المعارك.. يملكون من الوسائل ما يمكنهم من التصدي للفصل الجديد من المؤامرة وهزيمته. علماء المسلمين الافاضل من حجج الاسلام وسادة الحوزة الدينية في مدينة النجف الاشرف. قالوا كلمة الحق إزاء باطل ما يحركة الاعداء من اطلسيين وصهاينة في محاولاتهم الخائبة لفرض الوصاية على شعبنا في الجنوب ضمن مؤامرة خط العرض (٣٢).

على المسلم ان لا يكون عاقا لوطنه

وكان ان حصحص الحق ونطق بليغا نصوحا على لسان سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد الحسين آل بحر العلوم عندما تحدث لنا قائلا. منذ بدء الخليقة تبلور قطبا الحق والباطل. ثم تطور الى يومنا هذا الى اسلام وكفر. فان جهور الخلاف في هذا العصر. اننا ابتلينا فيه بدول الكفر. وقد وجهت صوارمها الى جسد الامة الاسلامية هدفها تجريح الجسد الاسلامي وتقويض الاسلام.

ـ ولماذا الاسلام ؟

لان الاسلام يدعو الى الدعة والرحمة والتعاطف والى الصلة بالاخوان وحق المواطنة والسعي الى ما فيه خير الامة. وها هي الطعنة الاخيرة تتمثل بالحيف الذي يلحق بوضعنا من تدخل سافر وكافر فنحن لا نرتضي بالتدخل في شؤون البلدان الاسلامية وغير الاسلامية

فكيف اذا كان التدخل في شؤون بلدنا. فالاسلام دين الانسانية جمعاء يؤرخه حديث للنبي الكريم (ص) (من لم يفكر بأمور المسلمين فليس منهم) وقول حكيم لصارم الحق الامام علي (ع) (الناس لك صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) وما تناهز الى اسماعنا موخرا وما رأيناه من تدخل سافر في شؤوننا جعلني اتفايض غيرة واتمايز غيظا. فماذا جنينا من هؤلاء الكفرة منذ تدخلهم في شؤوننا في بدايات هذا القرن الى يومنا سوى محاولاتهم تمزيق الشعب العراقي بالطائفية والاساءة الى ابناء هذا الشعب من الشيعة فماذا جنت الشيعة منهم؟! انهم يعودون الى سياستهم الاستعمارية العتيدة في تفريق جمع الشعب الواحد بطريقة (فرق تسد) الا انهم ما سادوا ابدا. فكلمة التوحيد هي التي تسود وهذه جولة مؤقته ولكن للحق دولة وللباطل جولة.

يجولون ويصولون ولكن العلو لكلمة الحق ورص الصفوف. فالتفريق لا يعطي الا حصيلة مخرب. وربما يستحصل المخرب شيئا وربما يستحصل اللص شيئا ولكن لا يكسب التاريخ فمهما استطال ومهما صال وجال فهو لص في التاريخ ولص في وجوده.. وهناك بعض شذاذ المغترين المساكين يتصورون ان هناك نفعا من المستعمر يظنون ان الانسان خلق ليأكل دينارا ويضعة في بطنه.. انما الانسان الذي يكتب تاريخه بيده وقد اعطاه الله قوة وطاقات يستطيع بها ان يكون ملكا من الملائكة وكذلك شيطانا من الشياطين اذا سرح مع الميول السخية بشكلها البذيئة بواقعها.. وكان ان سالنا سماحة السيد عن دور المسلم من ابناء شعبنا في هذه المحنة.. فاجاب بقول غيور على الاسلام واهله.

ــ على الانسان المسلم ان لا ينظر ما بين قدمية وان لا يكون عاقا لوطنة.. فعندما يأكل الانسان خبز الحياة وخبز الوطن ويستنشق رائحة وطنه يجب ان يسخر جهوده وطاقاته لهذا الوطن جزاءاً لبعض الوفاء.. وان لا يخدم بلاد الكفار وادعوا جميع المسلمين بل ادعوا الانسانية عامة الى الوقوف امام الكفر وتدخله لانه تطاول على حرمة الاسلام واهله.

(نداء)

وكان سماحة السيد وجه نداء الى الشعب العراقي المسلم هذا نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد **(يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)** صدق الله العظيم.

اهيب بكم ايها الشعب العراقي المسلم بكافة طبقاته واتجاهاته ــ ان تتعظوا بهذا التحدي الخطير من نداء الله الصارخ وارشاده الشامخ ولا تجعلوا الاستعمار الكافر ــ المثلث الطعنات. والمسموم النظرات ــ على بلادكم العراق المسلم أي تدخل سافر. وتوغل كافر في صفوف ابنائكم المرصودة، ومن خلال روابطكم المشدودة، فان الكفر ــ على اختلاف لغاته وجهاته ــ

كان منذ ثورة العشرين ولايزال حتى هذا الحين، انما يبغي للاسلام والمسلمين في كل البلاد الاسلامية وخصوصا عراقنا الحبيب ـ الغوائل المسمومة والدخائل المشؤومة لتفريق الصفوف المتراصة. وتمزيق الكلمة المؤتلفة باي ذريعة من ذرائعه اللئيمة. واي وسيلة من وسائلة الاثيمة فتارة من حيث الطائفية البغيضة واخرى من حيث العواطف الفارغة وثالثة من خلال الوعود المعسولة ورابعة من جهات اخرى لا تنم الى الإنسانية والاسلام بأية صلة ووئام. واخيرا ـ يا ابناء شعبي المسلم اختم كلمتي هذه كما بداتها بموعظة من كتاب الله العزيز القدير. حيث يقول **(الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا)** صدق الله العلي العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين. النجف الاشرف ٢٩ صفر ١٤١٣ هجرية الداعي السيد الحسين بن التقي آل بحر العلوم.

عميد جامعة النجف الدينية

وفي طريقنا نحو جامعة النجف الدينية للقاء عميدها السيد العلامة الجليل محمد سلطان كلنتر.. استحضرت في ذهني صورة لسبعة وسبعين عاما من الوطنية والجهاد المعمد بمداد الحبر اختزنته بين دفتيها كتبه، دراسات في اصول الفقه (بأجزائة الستة)، والحاشية على الكفاية والبداء والزكاة وتحقيقات في المكاسب واللمعة الدمشقية وجامع السعادات..

بادرنا سماحتة قائلا

ـ ان شاء الله سيبقى العراق محفوظا وعزيزا والله هو الحافظ، سنقاوم المحاولات التي ترمي الى تمزيق وحدة العراق وشعب العراق وندعو المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى وقفة موحدة ضد اهل الكفر والالحاد قتلة الانسان في كل الارض، امريكا وبريطانيا وفرنسا والصهيونية، وكل من يساعدهم ويعينهم على هذا التدخل..

كان حديث سماحته نابعا عن نضال دام خمسين عاما من مقاومة التجزئة ومحاربة الطائفية وكان سماحته احد رموز المقاومة وابرز رواد الوطنية في مدينة النجف الاشرف التي تفور حمية وغيرة في هذه الايام ضد الاستعمار والمؤامرة الاستعمارية ضد الشعب العراقي. ومن بين اعلام الفكر والدين، التقينا السيد محمد رضا الخرسان الذي تحدث قائلا

(نحن نستنكر اشد الاستنكار محاولة الكفار، ونستعين بالله عليهم وعلى كل من يبغي علينا وثقتنا بالله عالية وكبيرة وما دعاؤنا الا ان لا يجعل للكافرين والمنافقين سعيا بيننا ولا طريقا والله يعيننا على تجاوز المخاطر والصعاب كما أعان لكل من استعان به وهو حسبنا ونعم الوكيل).

وفي مكتب السيد محمد علي الموسوي الحمامي كان حديثنا على ضرورات وحدة الصف لحفظ هيبة الاسلام وبقاء أثاره فكان ان تجالد على اعراض المرض الذي ألم به وانهك جسده

وجه كلمة الى المسلمين وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

انا نهيب بكم ايها الشعب العراقي المسلم عامة بجميع طرقاته واتجاهاته ان تكونوا رأياً واحداً ويداً واحدة نحو ما يتعرض له الشعب العراقي خاصة بل جميع الشعوب العربية الاسلامية نحو الهجمة الامبريالية الصهيونية وعلى رأسها امريكا وبريطانيا وفرنسا مما يكشف هذا الامر ان الحرب الصليبية التي مرت عليها قرون واجيال يريد المستعمر الكافر ان يجدد هذه الهجمة التي قضى الله والانبياء والمرسلون الا ان تندحر تلك الجبهة الصليبية كما اندحرت في القرون الوسطى على عهد صلاح الدين الايوبي ولذا نقول مستعينين بالله وبتكاتف المسلمين وبجميع الدول العربية الاسلامية ليكونوا يداً واحدة فان الله سبحانه وتعالى لم يجعل للكافرين على المسلمين سبيلا وكما قال تعالى **(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** وكما قال تعالى **(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم وينصر الله من يشاء والله عليم حكيم ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وما النصر الا من عند الله)**. ومنه تعالى نستمد العون والسداد لنا ولجميع المسلمين ولجميع الدول العربية الاسلامية وان ينصر المسلمين عامة ويجعل كلمتهم هي العليا وكلمة اعدائهم هي السفلى والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته سماحة حجة الاسلام والمسلمين المرجع الديني السيد محمد علي السيد حسين الموسوي الحمامي..

وقفة واحدة ضد الشرك واهله

وفي الروضة الحيدرية المطهرة حدثنا سادنها السيد حيدر محمد حسين الكليدار قائلا:

ـ باعتباري سادن الروضة الحيدرية نشجب القرارات التي تصدرها الدوائر الامبريالية تحت غطاء الشرعية الدولية لحماية الشيعة في الجنوب وها نحن الشيعة فممن يريدون حمايتنا يحمينا الله من شرهم وهجمتهم بقطع الغذاء والدواء عن اطفالنا وشيوخنا انهم يرون كل يوم مذابح المسلمين ومنهم الشيعة يذبحون على يد الصهاينة في لبنان ولا يحركون ساكنا بل يشجعون على ذلك ويعتمون عليه اعلاميا وسياسيا. وها هي ابواب عتباتنا المقدسة مفتوحة ومنائرها تعانق الشمس وها هم المسلمون يؤدون مناسك الزيارة ويتوافدون بالآلاف بكل حرية وامان. واننا نعلن وقفتنا امام كل ملوك الشرك والكفر سوف نقاتلهم بسيف الامام علي (ع) وعليهم ان يتعظوا بالامس القريب بثورة العشرين المجيدة التي سحقت رؤوس الانكليز الخاوية والله أكبر وتبقى راية العراق خفاقة بيد القائد العظيم صدام حسين حفظه الله ورعاه.»

ملحق رقم (٢٢)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ٢٨ / ايلول / ١٩٩٢م

«القائد تلقى برقية شكر من السيد محمد تقي الخوئي»



رئيس التحرير
سعد البزاز

الجمهورية
Al-Jumhuriya
السنة ٢٥

جريدة يومية سياسية

الاثنين ٢٨ ايلول ١٩٩٢ - ١ ربيع الثاني ١٤١٣هـ - العدد ٨٣٠٣ - السنة الخامسة والعشرون - تصدر عن دار الجماهير للصحافة - بغداد - جمهورية العراق

الرئيس القائد صدام حسين يطلع على معرض هدايا المواطنين العراقيين والعرب والأصدقاء الأجانب

■ بغداد/واع - اطلع السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله على معرض الهدايا المقدمة لسيادته من المواطنين العراقيين والعرب والاصدقاء الاجانب. وضم المعرض لوحات وصورا شخصية لسيادته. وتحفا فنية. واسلحة قديمة. وبعض المصوغات التراثية. ونماذج من الصناعات الشعبية. وقد عبر المواطنون من خلال رسائل الاهداء عن حبهم وولائهم لقائدهم المجاهد السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه □

القائد تلقى برقية شكر من السيد محمد تقي الخوئي

في الجمهورية اليوم

■ وجوه القضايا (ص٦) وكتابات عن تردد اوربا ازاء ماستريخت. تحت عنوان النظام الدولي الجديد للامن والدفاع الاوربي. الاقتراع الفرنسي على معاهدة ماستريخت (الوحدة الاوربية). و هل بدأ الالمان يخافون. دراسة للرأي العام وفقا لمعاهدة ماستريخت □

نص البرقية: «القائد تلقى برقية شكر من السيد محمد تقي الخوئي»

«بغداد / واع: تلقى السيد الرئيس القائد صدام حسين برقية من السيد محمد تقي الخوئي لمناسبة انتهاء مراسيم عزاء وفاة سماحة اية الله العظمى الامام السيد الخوئي وعبر السيد محمد تقي الخوئي باسم عائلة الفقيد عن الشكر والتقدير للالتفاتة الكريمة للسيد الرئيس القائد بايفاد السيد رئيس ديوان الرئاسة بصحبة السيد وزير الاوقاف والشؤون الدينية لحضور مجلس عزاء الفاتحة . وفي ما ياتي نص البرقية.

بسم الله الرحمن الرحيم سيادة الرئيس القائد الفذ السيد صدام حسين حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بقلوب مؤمنه بقضاء الله وقدره فجعنا والحوزات العلمية والأمة الاسلامية بفقد سماحة آية الله العظمى الإمام السيد الخوئي تغمده الله بواسع رحمته وفي خضم الم المصاب ومرارته وشجون الحادث وثقله كان لالتفاتتكم الكريمة بايفاد السيد رئيس ديوان الرئاسة بصحبة السيد وزير الاوقاف والشؤون الدينية ممثلا سيادتكم لحضور مجلس عزاء الفاتحة ابلغ الاثر واعظم الشان في نفوسنا والسادة العلماء ورجال الدين. وحيث انتهت مراسيم العزاء نرفع الى مقامكم السامي اسمى آيات الشكر والعرفان سائلين المولى عز وجل ان يحفظكم بعين رعايته وان يصون الشعب العراقي المجاهد والامة الاسلامية من كل سوء ومكروه انه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. محمد تقي الخوئي عن عائلة الامام الخوئي.»

ملحق رقم (٢٣)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ٨ / تشرين الاول / ١٩٩٢م: «الرئيس القائد يقابل عددا من السادة رجال الدين الافاضل من محافظتي النجف وكربلاء»



ALQADISSIYA
القادسية
جريدة يومية سياسية عسكرية
رئيس التحرير
هاني وهيب

الخميس ٨ تشرين الاول ١٩٩٢م - ١٢ ربيع الثاني ١٤١٣هـ - العدد ٤٠٢٥ - السنة الثالثة عشرة | ١٢ صفحة - ٢٥٠ فلساً | Daily Newspaper- Thursday- 8- October- 1992 [vol.13] No.- Baghdad- Iraq

الرئيس القائد يقابل عددا من السادة رجال الدين الافاضل من محافظتي النجف وكربلاء

بغداد / واع: قابل السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله امس عددا من السادة رجال الدين الافاضل من محافظتي النجف وكربلاء.. وهم كل من الشيخ محمد تقي الخوئي نجل اية الله المرحوم الخوئي - والشيخ احمد كاظم البهادلي والشيخ جعفر علي النائلي والشيخ باقر شريف مهدي..

وقد قدم الجميع باسم اسرة الفقيد اية الله ابي القاسم الخوئي وبأسم رجال الدين في المحافظتين الشكر والامتنان للسيد الرئيس القائد على الرعاية التي امر بها سيادته للفقيد قبل وفاته ولامر سيادته باقامة مجلس الفاتحة على روحه وايفاده ممثلا عن سيادته لحضور مجلس الفاتحة.

التتمة ص١١

نص الخبر: «الرئيس القائد يقابل عددا من السادة ورجال الدين الافاضل من محافظتي النجف وكربلاء»

«بغداد / واع: قابل السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله امس عددا من السادة رجال الدين الافاضل من محافظتي النجف وكربلاء.. وهم كل من الشيخ محمد تقي الخوئي نجل آية الله المرحوم الخوئي.. والشيخ احمد كاظم البهادلي والشيخ جعفر علي النائلي والشيخ باقر شريف مهدي وقد قدم الجميع باسم اسرة الفقيد آية الله ابي القاسم الخوئي وبأسم رجال الدين في المحافظتين الشكر والامتنان للسيد الرئيس القائد على الرعاية التي امر بها سيادته للفقيد قبل وفاته ولأمر سيادته باقامة مجلس الفاتحة على روحه وايفاده ممثلا عن سيادته لحضور مجلس الفاتحة.»

ملحق رقم (٢٤)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ٢ / آب / ١٩٩٤م:

«شكر للسيد الرئيس القائد من اسرة الخوئي»



القادسية
ALQADISSIYA
جريدة يومية سياسية عسكرية

للقلم والبندقية فوهة واحدة
الرئيس القائد صدام حسين

٢٤ صفر ١٤١٥هـ - العدد ٤٥١٨ - السنة الرابعة عشرة | ٤ صفحات ديناران | Daily News paper - Tuesday - 2 - August - 1994 [vol. 14] No. 4518 - Baghdad - Iraq

شكر للسيد الرئيس القائد من اسرة الخوئي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس القائد صدام حسين رئيس الجمهورية حفظه الله ورعاه. نشكر ببالغ التقدير والامتنان تفضلكم بمواساتنا ورعايتكم الكريمة بحضور ممثلكم المقدم روكان عبدالغفور مجلس الفاتحة المقام على روح فقيدنا العلامة الحجة السيد محمد تقي نجل الامام الخوئي تغمدهما الله تعالى برحمته.. وفقكم الله تعالى لرعاية الدين ورجاله والشعب العراقي المجاهد الصابر عامة.. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. انا لله وانا اليه راجعون

عن اسرة الفقيد محسن الخوئي

«شكر للسيد الرئيس القائد من اسرة الخوئي

بسم الله الرحمن الرحيم

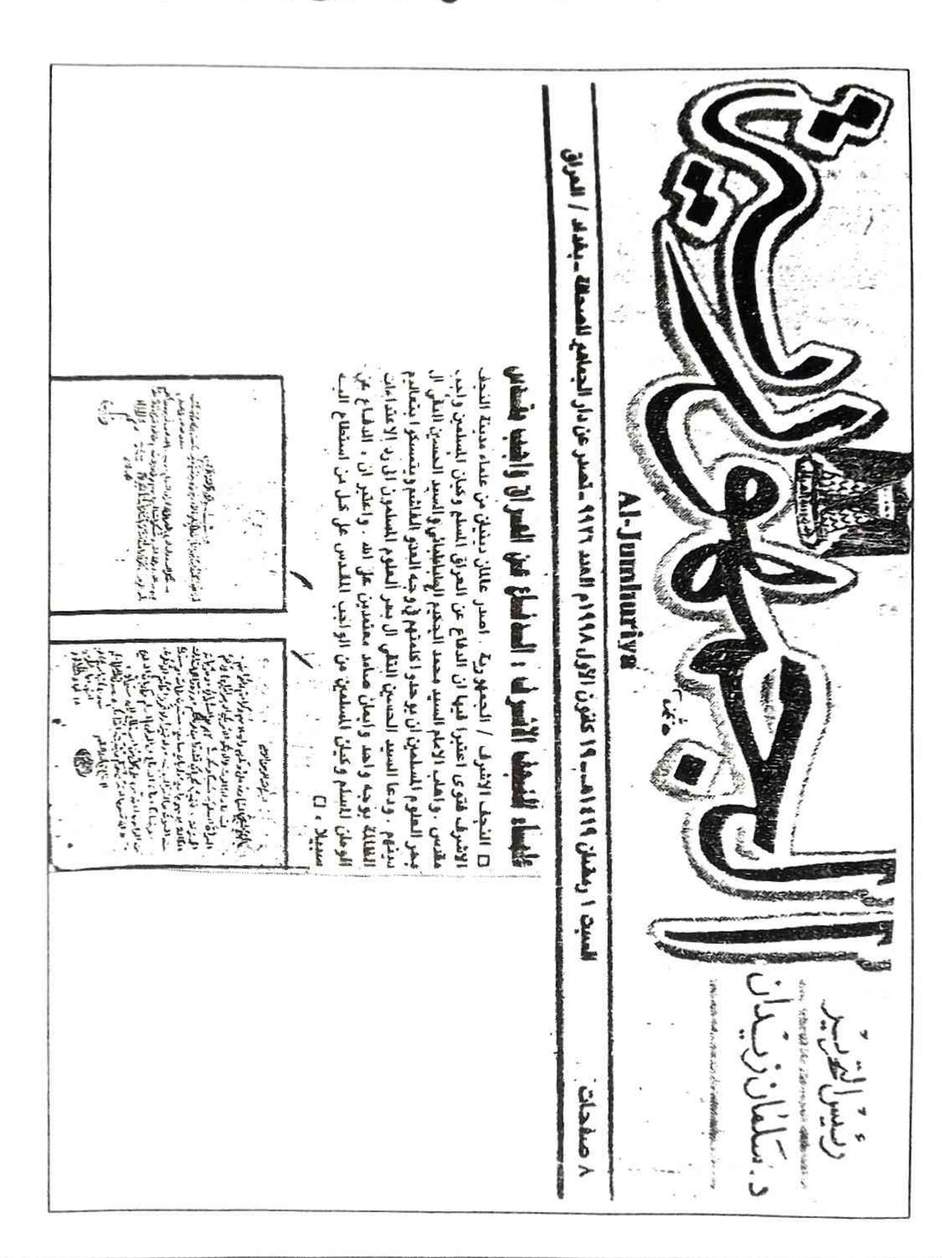
السيد الرئيس القائد صدام حسين رئيس الجمهورية حفظه الله ورعاه . نشكر ببالغ التقدير والامتنان تفضلكم بمواساتنا ورعايتكم الكريمة بحضور ممثلكم المقدم روكان عبد الغفور مجلس الفاتحة المقام على روح فقيدنا العلامة الحجة السيد محمد تقي نجل الامام الخوئي تغمدهما الله تعالى برحمته.. وفقكم الله تعالى لرعاية الدين ورجاله والشعب العراقي المجاهد الصابر عامة.. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. انا لله وانا اليه راجعون

عن اسرة الفقيد محسن الخوئي»

ملحق رقم (٢٥)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ١٩/ كانون الاول / ١٩٩٨م:

«علماء النجف الاشرف: الدفاع عن العراق واجب مقدس»



الجمهورية

Al-Jumhuriya

رئيس التحرير

د. سلمان زيدان

السبت ١ رمضان ١٤١٩هـ - ١٩ كانون الاول ١٩٩٨م العدد ٩٩٢٦ - تصدر عن دار الجماهير للصحافة - بغداد / العراق

٨ صفحات

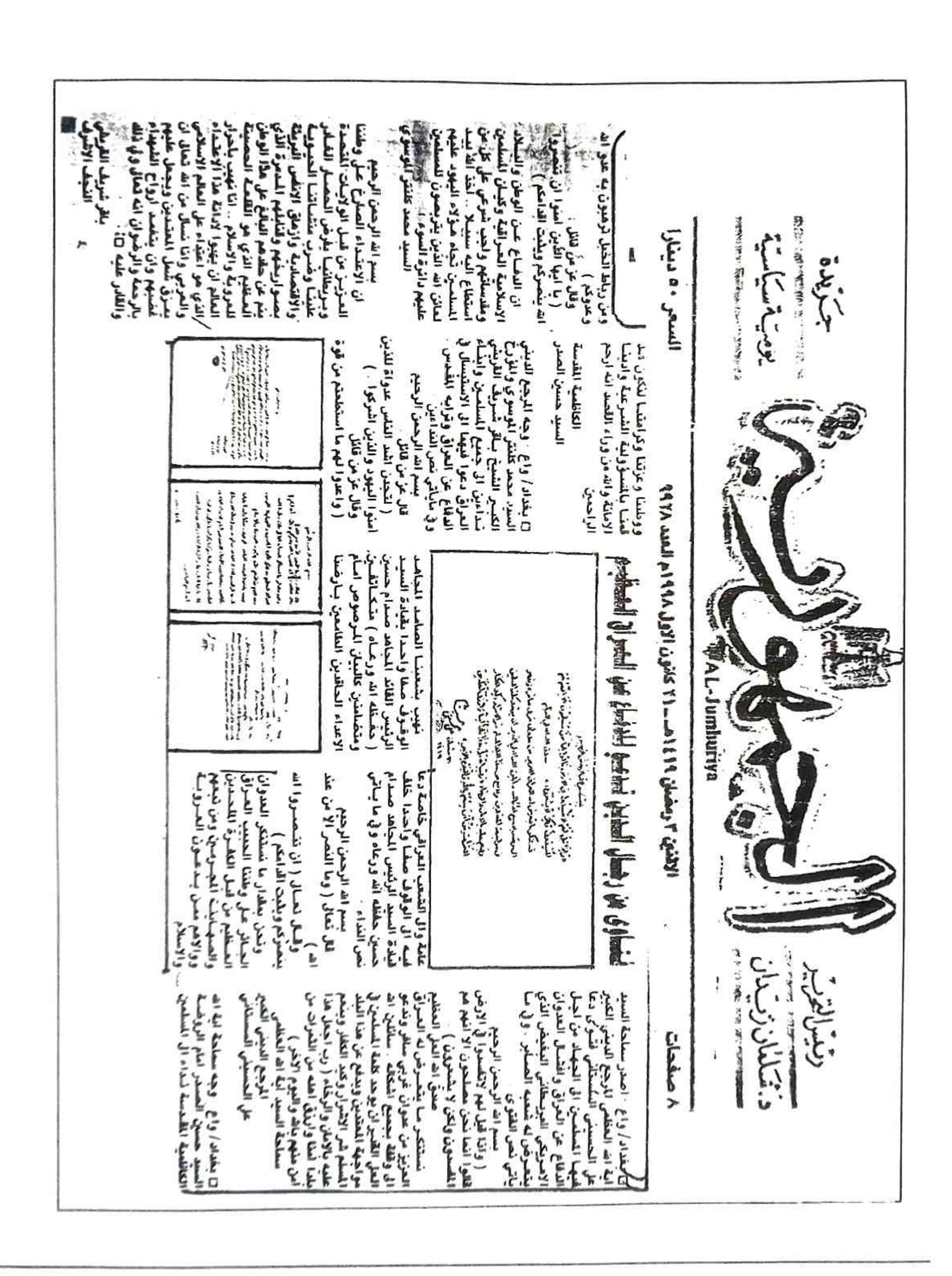
علماء النجف الاشرف : الدفاع عن العراق واجب مقدس

□ النجف الاشرف / الجمهورية . اصدر عالمان دينيان من علماء مدينة النجف الاشرف فتوى اعتبرا فيها ان الدفاع عن العراق المسلم وكيان المسلمين واجب مقدس . واهاب الامام السيد محمد الحكيم الطباطبائي والسيد الحسين التقي ال بحر العلوم المسلمين ان يوحدوا كلمتهم في وجه العدو الغاشم ويتمسكوا بتعاليم دينهم . ودعا السيد الحسين التقي ال بحر العلوم المسلمون الى رد الاعتداءات الظالمة بوجه واحد وايمان صامد معتمدين على الله . واعتبر ان ، الدفاع عن الوطن المسلم وكيان المسلمين من الواجب المقدس على كل من استطاع اليه سبيلا ، □

ملحق رقم (٢٦)

صورة صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ٢١/ كانون الاول / ١٩٩٨م:

«فتاوى من رجال الدين تدعو للدفاع عن العراق العظيم»



الجمهورية

AL-Jumhuriya

جريدة يومية سياسية

فتاوى من رجال الدين تدعو للدفاع عن العراق العظيم

ملحق رقم (٢٧)

صورة صحيفة «الثورة» العراقية الصادرة بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٩٩م:

«نداء من آية الله السيد بحر العلوم الى شعب العراق»



١١ / ٢ / ١٩٩٩

الثورة

عهد الى القائد من خريجي دورة يوم النهوة

المعارك للحزب ... القائد المهيب الركن صدام حسين ..

ازاحة الستار عن جدارية الرئيس القائد في ديالى

كبير من ضباط ... الجيش .

نداء من اية الله السيد بحر العلوم الى شعب العراق

صدر عن مكتب اية الله الحسين بن التقي ال بحر العلوم نداء موجه الى شعب العراق في ماياتي نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ، (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، (ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون) .

صدق الله العلي العظيم

يابناءنا العراقيين الغيارى على اسلامهم وكرامتهم ووطنهم الحبيب يابناء (ثورة العشرين) المنتصرة بالايمان الاعزل في وجه الكفر المدجج بالسلاح .

نهيب بكم يابناء العراق المسلم ان تقفوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص في وجه الاستعمار الكافر بذيوله الخبيث : (الانكلو اميركي الصهيوني) وبالضالع وراء ركابه الاهوج من بعض الدول القريبة المحسوبة على الاسلام والاسلام من نفاقها براء .

نهيب بكم يابناء اليوم ان تقفوا كما وقف اباؤكم بالامس في وجه نفس الاستعمار الكافر بذاته وذيلياته لتردوا الغارات الصاروخية الموجهة الى عامة محافظات القطر وبالاخص على النجف الاشرف مثوى الامام العظيم رائد الانسانية والاسلام علي بن ابي طالب عليه السلام .

دافعوا ايها العراقيون النشامى عن وطنكم واسلامكم وكرامتكم وممتلكاتكم الحيوية ، فان الدفاع عن الوطن المسلم وكرامته وكيانه الحيوي من الواجب المقدس على كل من استطاع اليه سبيلا ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الحسين بن التقي ال بحر العلوم

صدر عن مكتب السيد بحر العلوم

النجف ـ جامع الطوسي

١٨ شوال لسنة ١٤١٩ هـ

ملحق رقم (٢٨)

صورة صحيفة العراق الصادرة بتاريخ ٢ / كانون الثاني / ١٩٩٩م:

«المراجع الدينية في الحوزة العلمية في النجف يدينون العدوان الغاشم على الشعب العراقي»



العراق

السبت ١٥ / رمضان / ١٤١٩هـ - ٢ / كانون الثاني / ١٩٩٩م

المراجع الدينية في الحوزة العلمية في النجف يدينون العدوان الغاشم على الشعب العراقي

استنكر عدد من المراجع الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الاشرف العدوان الهمجي الذي شنته امريكا وبريطانيا ضد العراق.

واكدوا في فتاوى اصدروها حول العدوان الغاشم ان هذا العدوان الذي يتناقض مع كل القيم السماوية لايستهدف العراق حسب بل الامة الاسلامية جمعاء.. مطالبين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بادانة هذا العدوان السافر الذي يهدف الى اطالة امد الحصار الجائر المفروض على الشعب العراقي.

فقد اصدر الفتاوى كل من السيد علي الحسيني البهشتي والسيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان والشيخ بشير حسين النجفي والشيخ احمد البهادلي والسيد عدنان البكاء.

ملحق رقم (٢٩)

صورة صحيفة «الرأي» العراقية الصادرة بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠٠٠م:

«ماذا تضمنت وصية السيد بحر العلوم؟»



الرأي

صاحب الامتياز

د. عبد اللطيف هميم

2000 / 8 / 8

ماذا تضمنت وصية السيد بحر العلوم

والسيستاني اقام مأدبة عشاء على روح الفقيد

نص ما نشر في صحيفة الرأي «ماذا تضمنت وصية السيد بحر العلوم؟»

نسب شريف

«السيد الحسين بحر العلوم رحمه الله من عائلة عراقية عربية الأصل وتشير الوثائق ان سلسلة نسبه الحسني الشريف الى الإمام الحسن الزكي عليه السلام فقد جاء في سلسلة النسب بخط السيد محمد مهدي الملقب بـــ (بحر العلوم) الذي هو احد اجداد المرحوم حيث انه (السيد الحسين بن السيد محمد تقي بن السيد الحسن بن السيد ابراهيم بن السيد الحسين بن السيد الرضا بن السيد محمد المهدي الملقب بـــ (بحر العلوم)..) ونسبه يتصل بالحسن المثنى بن الحسن السبط بن الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام.

ان الشعراء قالوا عن جده (بحر العلوم) الكثير، ومن ذلك ما قاله احد الشعراء:

(بحر العلوم) صاحب المناقب   سيد اهل الفضل ذي التجارب

محقــق الــمعقول والــمنقول   مــدقق الــفروع والاصــول

فكم كرامـــات لـــه مشـــتهرة   وقد غدت في عصره مزدهرة»

«ولد السيد الفقيد سنة ١٣٤٨هـــ ١٩٢٩م في مدينة النجف وتربى تربية فضل وادب واخلاق سامية على مدرسة ابيه الحاشدة بالفضل وفي كنف اعمامه الكرام. كان منهجه التواضع شأن ابيه في زهده في ملبسه ومأكله وسكنه لا يتناول من الحقوق الشرعية الا بمقدار الضرورة وسلوكه هذا كان طبيعة روضها منذ صغره على التقوى والورع والابتعاد عن حطام الدنيا وفضول الحياة كان فضلا عن مقامة العلمي اديبا كبيرا وشاعرا فطحلا وعبقريا فذا وابا روحيا للجميع. جريء الوقفة خفيف الروح. مرن الطبيعة يملأ المجلس بلطف حديثه. وكان وطنيا

شجاعا يتحسس بما يتعرض له الوطن من مكائد الاستعمار (امريكا واعوانها).

وكان رحمه الله وهو تحت اعباء المرجعية يعاني من الامراض التي ادخلته عدة مرات في مستشفيات النجف ومستشفى الجادرية وابن البيطار كما سافر الى عمان للعلاج والتداوي.

وقد توفاه الله صباح الجمعة الاخر من ربيع الاول الموافق ٢٢/٦/٢٠٠١ ونقل جثمانه الطاهر الى كربلاء للزيارة وشيع جثمانه الطاهر بصعوبة وسط حشد جماهيري كبير من جامع الشيخ الطوسي الى الصحن العلوي الشريف واديت مراسيم صلاة الجنازة عليه من قبل سماحة السيد محمد سعيد الحكيم ثم نقل الجثمان الطاهر الى حرم جده الامام علي عليه السلام للزيارة وبعد اتمامها نقل الجثمان بصعوبة بالغة»

وصية السيد رحمة الله

«اعلن السيد رحيم الشوكي وكيل المرحوم السيد بحر العلوم ان وصية السيد التي كتبها بتاريخ (١٥ ربيع الاول ١٤٢٠) اكد في احدى فقراتها اهداء كتبه الى طلاب الحوزة العلمية، حيث اشار: (واما كتبي الخاصة، فتهدى — من بعدي وبثوابي — الى طلبة العلوم الدينية المحصلين المتدينين في الحوزة العلمية بأشراف من السيد رحيم الشوكي والشيخ ياسر الركابي) وهكذا مثلما كان السيد بحر العلوم وفيا لطلابه في حياته فانه اراد ان يتواصل هذا الوفاء بعد وفاته، وقد اكد طلاب الحوزة العلمية وفاءهم لمرجعهم عندما قرروا تمديد مجلس الفاتحة ليوم رابع بعد اقامة عائلة آل بحر العلوم مجلس الفاتحة لثلاثة ايام، وفي اليوم الاخير اقام السيد علي السيستاني مأدبة عشاء على روح المرحوم اشرف عليها نجله السيد محمد رضا، رحم الله سماحة السيد الحسين بحر العلوم، وادخله فسيح جناته، وجعل تواضعه وعلمه للخير ومساعدته للفقراء، وزهده في الدنيا وجهاده في الدفاع عن العراق العظيم حسنات له تثقل الميزان يوم الحساب... انه سميع مجيب.. اللهم آمين»

ملحق رقم (٣٠)

صورة صحيفة «القادسية» العراقية الصادرة بتاريخ ٤ / آذار / ٢٠٠١م:

«عدد من السادة علماء الدين الافاضل يصدرون فتاوى تدين وتشجب عدوان الرجعة الرابعة»



القلم والبندقية فوهة واحدة

الرئيس القائد صدام حسين

القادسية

AL-QADISSIA

عدد من السادة علماء الدين الافاضل يصدرون فتاوى تدين وتشجب عدوان الرجعة الرابعة

اصدر عدد من رجال الدين في العراق فتاوى دانوا فيها عدوان الرجعة الرابعة الاخير على العراق.

فقد اصدر السادة العلماء السيد حسين الصدر والسيد حسين بحر العلوم والشيخ بشير حسين النجفي الفتاوى التي شجبوا واستنكروا فيها العدوان الامريكي البريطاني الصهيوني على قطرنا المجاهد وننشر فيما يأتي صورا لفتاوى السادة العلماء.

في ذي قار

احتفالية لمناسبة عيد المرأة

ملحق رقم (٣١)

صورة صحيفة «العراق» الصادرة بتاريخ ١٢ / تشرين الاول / ٢٠٠٠م:

«رجال الدين الافاضل في النجف الاشرف يدعون للجهاد ومقاتلة الصهاينة اليهود المفسدين»



العراق — الخميس 15/رجب /1421 هـ ـ 12/تشرين الاول /2000

رجال الدين الافاضل في النجف الاشرف يدعون للجهاد ومقاتلة الصهاينة اليهود المفسدين

وجه علماء الدين في النجف الاشرف نداء الى ابناء الامة العربية والاسلامية للجهاد ومقاتلة الصهاينة اليهود المعتدين على ارض المقدسات في القدس الشريف موضحين في نداءات .. ان وحدة العرب والمسلمين في مواجهة العدو الصهيوني كفيلة بالتصدي لمخططاته الخبيثة التي تستهدف قيم ومبادىء امتنا العربية والاسلامية .

واهاب العلامة السيد حسين بحر العلوم بالغيارى على عروبتهم واسلامهم في كل مكان ان يقفوا باسم الاسلام موقف الجهاد المقدس بوجه الصهاينة المتمردين مشيراً الى ان اسرائيل اللقيطة لن تتجرأ بعدوانها الشرس ضد العرب والمسلمين الا بدافع ودعم من الاستعمار الغربي الكافر .

ودعا العلامة السيد علي السستاني ابناء الامة الاسلامية الى رص صفوفهم ويوحدوا كلمتهم ويستجيبوا لامر الله عز وجل بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وان يكونوا يدا واحدة على من تكالب عليهم من قوى الشر والكفر .

واكد العلامة السيد محمد الطبطبائي الحكيم ان الكيان الصهيوني فئة ملعونة مغضوب عليها بالجريمة والعدوان ما زالت تمارسهما في تاريخهما الطويل مستنكراً بمرارة واسى ما قامت به العصابات الصهيونية من انتهاك لحرمة المسجد الاقصى اولى القبلتين والاعتداء على الشعب العربي في فلسطين .

وقال العلامة الشيخ بشير النجفي ان من المحزن ان تتمكن زمرة من الصهاينة مليئة بالحقد والكراهية على العدالة والانسانية من زرع كيانها في قلب البلاد الاسلامية .. مباركا انتفاضة الاقصى والدور الفاعل لاطفال وشبان فلسطين الواعي المتحمس لمواجهة العدو الصهيوني المدجج باحدث الاسلحة وافتك الات الحرب المدمرة المبيدة وشبابهم تبتسم للموت على الحق دفاعا عن انفسهم واعراضهم ومقدساتهم .. (واع)

ملحق رقم (٣٢)

صورة لمجلة «الف باء» العراقية، العدد «١٤١١» الصادرة بتاريخ ١١/ تشرين الاول / ١٩٩٥م: «لماذا نعم لصدام حسين؟ علماء الدين في النجف: نحن مع القائد اليوم وغداً»

الف باء
ALEF BA

لماذا.. (نعم) لصدام حسين؟

علماء الدين في النجف:

نحن مع القائد اليوم وغداً

محسن جواد/ النجف



المجتهد الاكبر السيد حسين بحر العلوم



المجتهد السيد محمد الحكيم

■ الذين بايعوا الرئيس القائد صدام حسين في الايام الماضية هم انفسهم يبايعونه الان وغداً.. وعلماء الدين في محافظة النجف الاشرف يبايعون الرئيس القائد ومسيرته النضالية. يبايعونه في كل الايام وفي كل المناسبات.. في ايام الرخاء وفي المحن المؤقتة.

الف باء التقت سماحة السادة العلماء الذين عبروا عن ارائهم وانطباعاتهم ومشاعرهم لمناسبة يوم الاستفتاء الشعبي.

سماحة المجتهد الاكبر السيد حسين بحر العلوم من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف قال لالف باء.

- ندعو انفسنا وندعو الناس بان يدعوا الى صناديق الاقتراع لانتخاب السيد الرئيس القائد صدام حسين باعتباره يمثل ابوة العراقيين وتربطه بهذا الشعب الاصيل ثلاث عواطف هي الاخوة والبنوة والابوة.. فالقائد الذي ارتبط بثلاث عواطف علاما يقول الشعب عنه غير ان نكون ظهيراً له.. انني ادعو له ان شاء الله ان يفيض على ابنائه وابنائه واخوانه من الخير واللطف مايستحقه ذلك ونسأل الله للقائد وللامة العربية والاسلامية كل التوفيق.

وقال العلامة السيد مجيد عبدالكريم الحكيم.

- قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله» صدق الله العظيم. ان البيعة حصلت قبل سنين عديدة في ايام الازمات والمحن التي مرت علينا وايان تلك الظروف التي مرت على شعبنا وهو يقاتل اعداء الله كما لمسنا في تلك الظروف التي مرت على العراق رأينا ان "القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه هو رمز العراقيين وهو العلم الذي نلوذ به في المحن والشدائد وبايعناه في وقتها والحمد لله رأينا منه الكثير في رعاية الوطن والشعب ووقف بوجه الظلم والطغيان والاستعمار، والان فالاستفتاء الذي يجري يجسد بقاءنا على عهدنا، لانه اب للعراقيين وهو الملاذ في المحن وكلنا نبايع السيد الرئيس ولانجد افضل منه لقيادة العراق ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطاه في هذه الظروف وفي سعيه الحثيث لرفع الحصار الجائر. ونسأل الله ان يبقيه ذخراً للامة الاسلامية لانه خدم الاسلام والمسلمين وعلماء الدين ورعى العتبات المقدسة وكان سيادته يرعاها رعاية خاصة، ونرفع صوتنا الى شعبنا العراقي بانها فرصتهم الوحيدة باختيار قائدهم السيد الرئيس للرد على العدوان والشر وان يوفقه الله لكل خير انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سماحة العلامة المجتهد الاكبر السيد محمد علي الموسوي الحمامي قال.

- ان السيد الرئيس المجاهد صدام حسين هو ابو العراق والعراقيين، وهو من الشعب وقائده والشعب كله ينقاد الى توجهاته لانه ابنه البار الذي حماه من الاطماع والاشرار ورعى مقدساته، فالعراقي يلزم عليه ان يخدم السيد الرئيس ونحن ندعو له بالتأييد والعمر المديد والتوفيق الدائم انه سميع الدعاء.

السيد حيدر محمد حسن الكليدار سادن الروضة الحيدرية المقدسة عبر عن مشاعره ليوم الاستفتاء الشعبي قائلاً.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وال بيته الطيبين الطاهرين، الحمد لله الذي خاطب عقلائنا في القرآن الكريم (اولي الالباب) وحيث جعل لنا عقلاً وحكمة وبصيرة لنختار سبيل الهداية.

وهذا السيد الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه هو ابن العراق وخير من رعى العراق وشعبه ومقدساته، فهذه عطاياه السخية لرعاية اضرحة ائمة ال البيت عليهم السلام تشهد على كرم سجاياه، وقول سيادته في بيان (خزائن العراق مفتوحة لرعاية اضرحة الائمة عليهم السلام. فمن عمل بحمله وسقى كسينه ورعى شعبه واهتم بهم جل اهتمام.

لكل هذا وذاك نذهب طائعين لانتخاب قائد النصر العظيم الذي جعل كلمة الله اكبر ترفرف على ربوع العراق البطل.

وتحدث الشيخ محمد جعفر ابراهيم الكرباسي شيخ اللغة العربية في الحوزة العلمية في النجف قائلاً:

- ليس جديداً نحن ابناء عراق صدام حسين فهو ابن العراق ارضاً وسماءً وقد بايعناه منذ سنوات. وكذلك نبايعك ياصدام حسين الى الابد واليوم اذ يطرح موضوع الاستفتاء على منصب رئيس الجمهورية وستكون كلمتي نعم لراعي شعبه ومقدساتهم.. فقد عشنا في ظلاله كل ايامنا حلوها ومرها ونحن سعداء به. وندعو الله سبحانه ان يمن على العراقيين بطول عمر القائد، ونحن اذ نختاره لانه منا ونحن منه، وانني بهذا ادعو جميع العراقيين الى الوقوف مع السيد الرئيس والدعاء له بالنصر ليواصل عطاءه لابناء شعبه ويحميهم من الاشرار وكل اعداء الاسلام ومن الله التوفيق.

اما السيد عبدالامير طعمة ياسين سادن مسجد ومرقد مسلم بن عقيل (ع) فقد قال:

- لايمكن الفصل بين القائد صدام حسين والعراق فالعراق وصدام حسين وحدة واحدة واني ليس فقط انتخب السيد الرئيس وانما ابايعه بيعة مطلقة. وبهذه المناسبة ادعو جميع اخواني بالوقوف خلف راية الله اكبر التي حمل لواءها الرئيس المجاهد صدام حسين لتحقيق النصر النهائي بعون الله تعالى على اعداء العراق والاسلام والله اكبر والنصر للقائد وللعراق وشعبه العظيم.



العلامة السيد محمد علي الحمامي



السيد حيدر محمد حسن سادن الروضة الحيدرية



الشيخ محمد جعفر ابراهيم الكرباسي



السيد عبد الامير طعمة ياسين سادن مسجد الـ

نص لمجلة «ألف باء» العراقية الصادرة بتاريخ ١١/ تشرين الاول/١٩٩٥م:

«لماذا نعم لصدام حسين؟ علماء الدين في النجف: نحن مع القائد اليوم وغداً»

«الذين بايعوا الرئيس القائد صدام حسين في الأيام الماضية هم أنفسهم يبايعونه الان وغدا.. وعلماء الدين في محافظة النجف الاشرف يبايعون الرئيس القائد ومسيرته النضالية.. يبايعونه في كل الأيام وفي كل المناسبات.. في أيام الرخاء وفي المحن المؤقتة. الف باء التقت سماحة السادة العلماء الذين عبروا عن ارائهم وانطباعاتهم ومشاعرهم لمناسبة يوم الاستفتاء الشعبي. سماحة المجتهد الأكبر السيد حسين بحر العلوم من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف قال لألف باء:

ـ ندعو أنفسنا وندعو الناس بان يدعوا الى صناديق الاقتراع لانتخاب السيد الرئيس القائد صدام حسين باعتباره يمثل أبوة العراقيين وتربطه بهذا الشعب الأصيل ثلاث عواطف هي الأخوة والبنوة والأبوة.. فالقائد الذي ارتبط بثلاث عواطف ماذا يقول الشعب عنه غير ان نكون ظهراً له.. إنني أدعو له ان شاء الله ان يفيض على أبنائه وابائه واخوانه من الخير واللطف ما تستحقه ذاته ونسأل الله للقائد وللأمة العربية والاسلامية كل التوفيق. وقال العلامة السيد مجيد عبد الكريم الحكيم:

ـ قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المبين (والذين يبايعونك انما يبايعون الله) صدق الله العظيم. ان البيعة حصلت قبل سنين عديدة في أيام الأزمات والمحن التي مرت علينا وأبان تلك الظروف التي مرت على شعبنا وهو يقاتل أعدائه كما لمسنا في تلك الظروف التي مرت على العراق رأينا ان القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه هو رمز العراقيين وهو العلم الذي نلوذ به في المحن والشدائد وبايعناه في وقتها والحمد لله رأينا منه الخير الكثير في رفعة الوطن والشعب ووقف بوجه الظلم والطغيان والاستعمار والان فالاستفتاء الذي يجري يجسد بقائنا على عهدنا، لأنه اب للعراقيين وهو الملاذ في المحن وكلنا نبايع السيد الرئيس ولا نجد أفضل منه لقيادة العراق ونسال الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطاه في هذه الظروف في سعيه الحثيث لرفع الحصار الجائر، ونسال الله ان يبقيه ذخرا للأمة الاسلامية لأنه خدم الاسلام والمسلمين وعلماء الدين ورعى العتبات المقدسة وكان سيادته يرعاها رعاية خاصة، ونرفع صوتنا الى شعبنا العراقي بأنها فرصتهم الوحيدة باختيار قائدهم السيد الرئيس للرد على العدوان والشر وان يوفقه الله لكل خير انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سماحة العلامة المجتهد الأكبر السيد محمد علي الموسوي الحمامي قال:

ـ ان السيد الرئيس المجاهد صدام حسين هو ابو العراق والعراقيين، وهو من الشعب وقائده والشعب كله ينقاد الى توجهاته، لأنه ابنه البار الذي حماه من الاطماع والاشرار ورعى مقدساته، فالعراقي يلزم عليه ان يخدم السيد الرئيس ونحن ندعو له بالتأييد والعمر المديد والتوفيق الدائم انه سميع الدعاء.

السيد حيدر محمد حسن الكليدار سادن الروضة الحيدرية المقدسة عبر عن مشاعره ليوم الاستفتاء الشعبي قائلاً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وال بيته الطيبين الطاهرين، الحمد لله الذي خاطب عقلائنا في القران الكريم (أولي الألباب) وحيث جعل لنا عقلا وحكمة وبصيرة فسنختار سبيل الهداية.

وهذا السيد الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه هو ابن العراق وخير من رعى العراق وشعبه ومقدساته، فهذه عطاياه السخية لرعاية أضرحة أئمة ال البيت عليهم السلام تشهد على كرم سجاياه، وقول سيادته لي بان خزائن العراق مفتوحة لرعاية أضرحة الأئمة عليهم السلام . فمن عمل بعمله وسار كسيرته ورعى شعبه واهتم بهم اجل الاهتمام. لكل هذا وذاك نذهب طائعين لانتخاب قائد النصر العظيم الذي جعل كلمة الله اكبر ترفرف على ربوع العراق البطل. وتحدث الشيخ محمد جعفر ابراهيم الكرباسي شيخ اللغة العربية في الحوزة العلمية في النجف قائلا:

ـ ليس جديدا نحن أبناء عراق صدام حسين فهو ابن العراق أرضاً وسماء وقد بايعناه منذ سنوات، قلنا له بايعناك يا صدام حسين الى الأبد واليوم اذ يطرح موضوع الاستفتاء على منصب رئيس الجمهورية وستكون كلمتي نعم لراعي شعبه ومقدساتهم.. فقد عشنا في ظلاله كل أيامنا حلوها ومرها ونحن سعداء به.. وندعوا الله سبحانه ان يمن على العراقيين بطول عمر القائد، ونحن اذ نختاره لأنه منا ونحن منه، واليوم أدعو جميع العراقيين الى الوقوف مع السيد الرئيس والدعاء له بالنصر ليواصل عطاءه لأبناء شعبه ويحميهم من الأشرار وكل أعداء الاسلام ومن الله التوفيق. اما السيد عبد الامير طعمة ياسين سادن مسجد الكوفة ومرقد مسلم بن عقيل (ع) فقد قال:

ـ لا يمكن الفصل بين القائد صدام حسين والعراق فالعراق وصدام حسين وحدة واحدة واني ليس فقط انتخب السيد الرئيس وانما قد بايعته بيعة مطلقة.. وبهذه المناسبة أدعو جميع أخواني بالوقوف خلف راية الله اكبر التي حمل لوائها الرئيس المجاهد صدام حسين لتحقيق النصر النهائي باذنه تعالى على أعداء العراق والاسلام والله اكبر والنصر للقائد وللعراق وشعبه العظيم.»

ملحق رقم (٣٣)

الصفحة الاولى عن الوثيقة السرية للمخابرات العراقية حول «الحوزات العلمية»

تعريف الحوزه العلميه.

هناك عدة دراسات حددت تعريف الحوزه إلا ان التعريف الذي يمثل واقع الحوزه يمكن صياغته بالآتي:

(مجموعه من العلماء ورجال الدين الذين يمتلكون معلومات عن فقه المذهب الجعفري ويقومون بتدريس الطلبه الراغبين بالأنتماء الى الحوزه العلميه في المدارس الدينيه أو الجوامع أو أماكن أستقبال المراجع العلمية "البراني" والتي يحضر فيها الطلبه على شكل حلقات دراسيه، ويشرف على هذا الكيان أحد العلماء الذين يصل بعلميته الى موقع زعيم الحوزه العلميه من الناحيه العلميه والاداريه).

بدايات ظهور الحوزه.

- توجد آراء مختلفه حول بدايات ظهور الحركه العلميه في النجف وتأسيس الحوزه العلميه، وان أقرب تلك الآراء الى الواقع، هو أن الحركه العلميه في النجف الاشرف

(٢-٧٦)

الصفحة الاخيرة من الوثيقة

تعبير لهذه الثورة العظيمة التي قادها السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه.

ط- في هذه المرحلة تزداد حاجة وزارة الأوقاف ومديرية الأمن العام وجهاز المخابرات الى المبالغ لتوسيع عملها في مجال متابعة الحوزة والسيطرة عليها. وعليه نقترح تخصيص مبلغ الى اللجنة المركزية لتغطي نفقات الأجهزة المعنية كافة.

ي- اذا ما تحقق كل ما تقدم فسوف نضمن خلق حوزة في النجف تكون غير قادرة على التأثير على [illegible] الفرس والصهيونية والجهات المعادية، فضلاً عن تنقية المذهب من جميع المسائل التي أحدثها الفرس لكي يمارس المواطنون معتقداتهم الدينية وفق المنهج الصحيح، ومن خلال ذلك سوف تقل الزيارات وربما تصل الى مرحلة تكون فيها الممارسة هذه بشكل طبيعي مثل زيارة مراقد الصحابة والأولياء في المدن الاخرى وكل ذلك سيؤدي بالمرحلة النهائية الى تحقيق السيطرة على قيادة الحوزة وتوجيهها بما يخدم مناهج حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث سيظهر ذلك من خلال ممارساتها وتدريسها وسلوك مراجعها وطلبتها، وهو بحد ذاته رد على توجهات الفرس لاستغلال الحوزة وتشويه الدين الاسلامي.

(٦٩- ٧٦)

تابع للوثيقة

صورة ملحق رقم (١) للوثيقة: «عدد الجوامع والحسنيات في القطر»

ملحق رقم (١)

عدد الجوامع والحسينيات في القطر

المحافظة	عدد الجوامع للمذاهب السنية	عدد الجوامع والحسينيات للمذهب الجعفري
بغداد الكرخ	(٣٨٦)	(٨٧)
بغداد الرصافة	(٢٧٠)	(١٣)
البصرة	(١٠٠)	(١٠٧)
ميسان	(٨)	(٢٣)
واسط	(٢٦)	(٠٥٧)
ذي قار	(٥)	(١٠٢)
المثنى	(٤)	(٠١١)
القادسية	(٢)	(٠١١)
بابل	(٢٥)	(٠٧٠)
كربلاء	(٣)	(١٦٣)
النجف	(١)	(١٢٣)
ديالى	(١٦٩)	(٤٩)
صلاح الدين	(٢٥٠)	(١٤)
التأميم	(١٢٠)	(٤٢)
نينوى	(٤٢٦)	(٦)
الانبار	(٤٠٤)	(—)
المجموع	(٢٣٢٣)	(١١٢٣)

ملحق رقم (١) للوثيقة «عدد الجوامع والحسينيات في القطر»

المحافظة	عدد الجوامع للمذاهب السنية	عدد الجوامع والحسينيات للمذهب الجعفري
بغداد الكرخ	(٣٨٦)	(٨٧)
بغداد الرصافة	(٢٧٥)	(٧٣)
البصرة	(١٧٥)	(١٥٧)
ميسان	(٨)	(٣٣)
واسط	(٢٩)	(٥٧)
ذي قار	(٥)	(١٠٣)
المثنى	(٤)	(٧١)
القادسية	(٣)	(٧١)
بابل	(٣٥)	(٧٠)
كربلاء	(٣)	(١٦٣)
النجف	(١)	(١٢٣)
ديالى	(١٦٩)	(٤٩)
صلاح الدين	(٢٥٠)	(١٤)
التأميم	(١٢٠)	(٤٣)
نينوى	(٤٢٩)	(٩)
الانبار	(٤٠٤)	(ـ)
المجموع	(٢٣٢٣)	(١١٢٣)

تابع للوثيقة

صورة الصفحة الاولى للملحق رقم (٢) للوثيقة: «المدارس الدينية في محافظة النجف»

ملحق رقم (٢)

المدارس الدينية في محافظة النجف

اسم المدرسة	عنوانها	الملاحظات
جامعة النجف الدينية	النجف / حي السعد	يديرها سابقاً محمد سلطان كلانتر وحالياً أبنه ضياء محمد سلطان
مدرسة الامام الحسين «ع»	النجف / السوق الكبير	
المدرسة المهدية	النجف / الجديدة الاولى	يديرها عباس علي كاشف الغطاء
مدرسة كاشف الغطاء	النجف / محلة العمارة	يديرها شريف كاشف الغطاء
مدرسة القوام	النجف / محلة المشراق	
[illegible]	[illegible]	
مدرسة الامام الحسن «ع»	النجف / محلة الحويش	
مدرسة الامام الصادق «ع»	النجف / حي الحنانه	
المدرسة اللبنانية	النجف / خان المخضر	
مدرسة الأزدي أو الأزدية	النجف / خان المخضر	
مدرسة اليزدي	النجف / محلة الحويش	
مدرسة الأخوند الوسطى	النجف / محلة الحويش	
مدرسة الشيرازي	النجف / محلة المشراق	
مدرسة دار الأبرار	النجف	تعود الى المرجع بشير الباكستاني
مدرسة أمير المؤمنين	النجف	

(٧١ - ٧٦)

محلق رقم (٢) للوثيقة «المدارس الدينية في محافظة النجف»

اسم المدرسة	عنوانها	الملاحظات
جامعة النجف الدينية	النجف/ حي السعد	يديرها سابقا محمد سلطان كلنتر وحاليا أبنه ضياء محمد سلطان
مدرسة الأمام الحسين(ع)	النجف/ السوق الكبير	
المدرسة المهدية	النجف/ الجديده الأولى	يديرها عباس علي كاشف الغطاء
مدرسة كاشف الغطاء	النجف/ محلة العماره	يديرها شريف كاشف الغطاء
مدرسة القوام	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة البخارائي	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة الأمام الحسن(ع)	النجف/ محلة الحويش	
مدرسة الأمام الصادق(ع)	النجف/ حي الحنانه	
المدرسة اللبنانية	النجف/ خان المخضر	
مدرسة الأزوي او الأزدية	النجف/ خان المخضر	
مدرسة اليزدي	النجف/ محلة الحويش	
مدرسة الاخوند الوسطى	النجف/ محلة الحويش	
مدرسة الشيرازي	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة دار الأبرار	النجف	تعود الى المرجع بشير الباكستاني
مدرسة أمير المؤمنين	النجف	
مدرسة المدرّسي	النجف/ الجديده الرابعة	
مدرسة الأحمدية	النجف/ الجديده الرابعة	
مدرسة الحسن بن علي (ع)	النجف/ محلة الحويش	
مدرسة الأمام موسى	النجف/ السوق الكبير	

الكاظم(ع)	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة الشربياني	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة الأمام الباقر(ع)	النجف/ محلة العمارة	
المدرسة القزوينية	النجف	
جامعة الصدر الدينية		تشمل هذه الجامعة مدرستين (البغدادي في منطقة الحنانة) و(الامام المهدي في الجديده الاولى)

١ـ عدد المدارس الكلي (٣١). ٢ ـ عدد المدارس المفتوحة: (٢٣)
٣ـ عدد المدارس المغلقة: (٨)

المدارس المغلقة

اسم المدرسة	عنوانها	الملاحظات
المدرسة السليمية	النجف/ محلة المشراق	
مدرسة المعتمد	النجف/ محلة العمارة	جدد بناءها محمد رضا كاشف الغطاء
مدرسة الأيرواني	النجف/ محلة العمارة	تستخدم سابقا من قبل الطلبة الاتراك
مدرسة الخليلي	النجف/ محلة العمارة	هدمت واصبحت ضمن ساحة الزوار
مدرسة الطاهري		
مدرسة دار الحكمة	النجف/ محلة المشراق	بناها السيد محسن الحكيم وتم تهديمها اثناء الاحداث
مدرسة الخوئي	النجف/ محلة العمارة	مهدمه
مدرسة الحكيم	النجف/ ابو صخير	تمت اعادتها الى آل الحكيم بتاريخ ١٤/٧/١٩٩٨ وحاليا مغلقة

تابع للوثيقة

ملحق رقم (٣) للوثيقة: «عدد الطلاب من غير العراقيين وجنسياتهم ومن خارج النجف (٧٥٧)»

ملحق رقم (٣)

عدد طلاب الحوزة العلمية من غير العراقيين وجنسياتهم	
أيراني	(٢٢)
باكستاني	(١١)
سعودي	(١٤)
هندي	(٥)
لبناني	(٥)
بحريني	(٢٠)
افغاني	(٣)
المجموع الكلي	٩٠

عدد طلاب الحوزة العلمية من خارج النجف (٧٥٧)

بغداد الرصافة	بغداد الكرخ	البصرة	ميسان	واسط
(٢٦٥)	(٥٨)	(١٠٧)	(٢٩)	(٣٨)
ذي قار	القادسية	بابل	كربلاء	ديالى
(١٠٥)	(٥٢)	(٤٦)	(٤٨)	(٢٨)
صلاح الدين	التأميم	نينوى	الانبار	المثنى
(١٤)	(٤)	(١٩)	([illegible])	(٩)

عدد طلاب الحوزة العلمية من سكنة محافظة النجف (٥٤٩)

العدد الكلي / (١٢٧٩)

(٧٠٤-٧٠٦)

ملحق رقم (٣) للوثيقة

«عدد الطلاب من غير العراقيين وجنسياتهم ومن خارج النجف (٧٥٧)»

عدد طلاب الحوزة العلمية من غير العراقيين وجنسياتهم	
أيراني	(٢٢)
باكستاني	(١١)
سعودي	(١٤)
هندي	(٥)
لبناني	(٥)
بحريني	(٣٠)
افغاني	(٣)
المجموع	٩٠

عدد طلاب الحوزة العلمية من خارج النجف (٧٥٧)

بغداد الرصافة: (٢٦٥)، بغداد الكرخ: (٥٨)، البصرة: (١٠٧)، ميسان: (٢٩)، واسط: (٣٨)، ذي قار: (١٠٥)، القادسية: (٥٢)، بابل: (٤٦)، كربلاء: (٤٨)، ديالى: (٢٨)، صلاح الدين: (١٤)، التأميم: (٤)، نينوى: (١٩)، الانبار:(لا يوجد) المثنى: (٩).

عدد طلاب الحوزة العلمية من سكنة محافظة النجف (٥٤٩) العدد الكلي/ (١٣٧١)

تابع للوثيقة

ملحق رقم (٤) للوثيقة: «المنهج الأمثل لـ (الحوزة العلمية)»

ملحق رقم (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج الأمثل للحوزة العلمية الشريفة الذي وضعه سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية

آية الله العظمى السيد محمد الصدر (دام ظله الوارف)

وهو على ثمانية مراحل :-

المرحلة الأولى: الفقه: المختصر النافع (العبادات) أو التبصرة.
النحو: الآجرومية.
المنطق: خلاصة المنطق
مع محاضرات أخلاقية مبسطة.

المرحلة الثانية: الفقه: المختصر النافع (المعاملات).
النحو: قطر الندى.
العقائد: عقائد الإمامية.
الأخلاق: منية المريد.
البلاغة: جواهر البلاغة.

المرحلة الثالثة: الفقه: شرائع الإسلام ج١ أو منهج الصالحين ج١.
النحو: شرح ابن عقيل ج١.
المنطق: منطق المظفر ج١.
الأخلاق: فقه الأخلاق ج١.
الأصول: مبادئ الأصول أو الحلقة الأولى.

المرحلة الرابعة: الفقه: إكمال شرائع الإسلام أو إكمال منهج الصالحين ج١ و ج٢.
النحو: شرح ابن عقيل ج٢ مع ملحق الصرف فيه.
المنطق: إكمال منطق المظفر إلى نهاية كتاب البرهان في الجزء ٣ [illegible]
الأخلاق: جامع السعادات ج١.
العقائد: الباب الحادي عشر.

المرحلة الخامسة: الفقه: عبادات اللمعة الدمشقية.
الأصول: أصول الفقه للمظفر ج١ أو الحلقة الثانية في الأصول.
العقائد: إلهيات التجريد.
الأخلاق: جامع السعادات ج٢.
علوم القرآن: البيان لآية الله الخوئي أو موجز علوم القرآن.
علوم الحديث: نهاية الدراية للشهيد الثاني.
ثم يطالب الطالب ببحث مكتوب لا يقل عن عشرين صفحة في بعض الموضوعات [illegible]

المرحلة السادسة: الفقه: إكمال شرح اللمعة.
الأصول: إكمال أصول الفقه أو الحلقة الثالثة في الأصول.
الأخلاق: إكمال جامع السعادات.
علوم القرآن: كنز العرفان للسيوري أو زبدة البيان للأردبيلي.

المرحلة السابعة: الفقه: المكاسب المحرمة.
الأصول: كفاية الأصول ج١ أو القسم الثاني من الحلقة الثالثة.
التفسير: منة المنان في الدفاع عن القرآن أو دروس التفسير.
مع مناقشات تفصيلية حول الأخلاق والمجتمع وتعيين [illegible]

المرحلة الثامنة: الفقه: إكمال المكاسب.
الأصول: الكفاية ج٢ مع الرسائل أو بدونه.
علوم الحديث: مقدمات معجم رجال الحديث أو أمثالها مع ملكة معمقة [illegible]
ويلحق بعض دروس الفلسفة كالأسفار أو الأربعة أو غيرها.
يطلب منه في صفة المرحلة بحث في موضوع فقهي أو أصولي لا يقل عن مائة وعشرين صفحة
ثم يكون مؤهلاً لحضور أبحاث الخارج الاستدلالية.

(٧٥-٧٦)

ملحق رقم (٤) للوثيقة
«المنهج الأمثل لــ (الحوزة العلمية)»

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج الأمثل للحوزة العلمية الشريفة الذي وضعه سماحة المرجع الديني الاعلى زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد محمد الصدر دام ظله الوارف

وهو على ثمانية مراحل :

المرحلة الاولى : الفقه : المختصر النافع (العبادات) او التبصرة .

النحو : الاجرومية .

المنطق : خلاصة المنطق.

مع محاضرات اخلاقية مبسطة.

المرحلة الثانية : الفقه : المختصر النافع (المعاملات).

النحو : قطر الندى.

العقائد : عقائد الامامية

الاخلاق : منية المريد.

البلاغة : جواهر البلاغة

المرحلة الثالثة : الفقه : شرائع الاسلام ج١ او منهج الصالحين ج١

النحو : شرح ابن عقيل ج١

المنطق : منطق المظفر ج١

الاخلاق : فقه الاخلاق ج١

الاصول : معالم الاصول او الحلقة الاولى

المرحلة الرابعة : الفقه : إكمال شرائع الاسلام او اكمال منهج الصالحين ج٢ و ج٣

النحو : شرح ابن عقيل ج٢ مع ملحق الصرف فيه.

المنطق : أكمال منطق المظفر الى نهاية كتاب البرهان في الجزء ٣

الاخلاق : جامع السعادات

العقائد : الباب الحادي عشر

المرحلة الخامسة : الفقه : عبادات اللمعة الدمشقية

الاصول : اصول الفقه للمظفر ج١ او حلقة الثانية في الاصول

العقائد : الهيات التجريد

الاخلاق : جامع السعادات ج٢

علوم القران : البيان لآية الله الخوئي او موجز علوم القرآن

علوم الحديث : نهاية الدراية للشهيد الثاني

ثم يطالب الطالب ببحث مكتوب لا يقل عن عشرين صفحة في بعض الموضوعات التي تناسبه.

المرحلة السادسة : الفقه : أكمال شرح اللمعة

الاصول : أكمال اصول الفقه او الحلقة الثالثة في الاصول

الاخلاق : أكمال جامع السعادات

علوم القرآن : كنز العرفان للسيوري او زبدة البيان للاردبيلي

المرحلة السابعة : الفقه : المكاسب المحرمة

الاصول : كفاية الاصول ج١ او القسم الثاني من الحلقة الثالثة

التفسير : منة المنان في الدفاع عن القران او درس التفسير

مع مناقشات تفصيلة حول الاخلاق والمجتمع وتعين مصادر لها.

المرحلة الثامنة : الفقه : أكمال المكاسب.

الاصول : الكفاية ج٢ مع الرسائل او بدونه.

علوم الحديث : مقدمات معجم رجال الحديث او ما يعادلها مع فكرة معمقة عن أهم رجال الرواية

يمكن ألحاق بعض دروس الفلسفة كالاسفار الاربعة او غيرها

يطلب منه في هذه المرحلة بحث في موضوع فقهي او اصولي لا يقل عن مائة وعشرين صفحة.

ثم يكون مؤهلا لحضور أبحاث الخارج الاستدلالية

ملحق رقم (٥) للوثيقة: «المنهج العام للدراسة في (الحوزة العلمية)»

ملحق رقم (٥) بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(المنهج العام للدراسة في الحوزة العلمية)

ينبغي للطالب الذي يرغب في الحصول على المرتبة العلمية اللائقة بمقام المنتمي للحوزة العلمية طي المراحل المدرجة ادناه باختلاف مستوياتها .

و المطلوب منه أن لا ينتقل الى المرحلة التالية الا بعد الفراغ مما يليق بالمرحلة السابقة وهذا يجري في مستويات كل مرحلة فلا ينتقل الى المستوى الاعلى الا بعد اتقان ما هو ادنى منه درجة .

والمقصود من توضيح هذه المراحل تمهيد الطريق الى البنية السامية الا وهي الوصول الى مرحلة الاستنباط و تقريب مقصده اليه باقصر الطرق مع الاحتفاظ على الاستعداد اللازم لرجل الدين الراغب في الحصول على المزلفى عند الله سبحانه و الرضى من ولي الله الاعظم ارواحنا لمقدمه الفداء .

والى الطالب الكريم تفصيل هذه المراحل بمستوياتها :-

المرحلة	المستويات
المرحلة (المقدمات)	المستوى الاول : اجرومية - تبصرة المتعلمين - عقائد الامامية
	المستوى الثاني : قطر الندى او هداية النحو - شرائع الاسلام ج ١ كتاب في الصرف - مجموعة منطق (مراح الارواح او شرح النظام)
	المستوى الثالث : شرح الالفية لابن الناظم او الكافية لابن الحاجب - حاشية عبد الله ... - شرح الشمسية - شرائع الاسلام ج ٢ (مطالعة منطق المظفر خصوصا - القسم الثالث -)
	المستوى الرابع : مختصر المعاني - الباب الحادي عشر - شرائع الاسلام ج ...
المرحلة (السطوح)	المستوى الاول : معالم الدين و يعقبه اصول المظفر او ما يساويه - مطول - شرح التجريد مثل القوانين
	المستوى الثاني : شرح اللمعة الدمشقية - كفاية الاصول ج ١ - رسائل الشيخ الانصاري (قد) - منظومة في المعقول - و يعقب الرسائل مكاسب الشيخ الانصاري (قد) - الكفاية ج ٢
المرحلة (البحث الخارج)	يحق للطالب بعد الفراغ من الكفاية ج ٢ حضور البحث الخارج على الاصول ثم الفراغ من مكاسب الشيخ الانصاري يحق له الحضور البحث الخارج على الفقه . و من الله نستمد المعونة و التوفيق .

ملحق رقم (٥) للوثيقة

«المنهج العام للدراسة في (الحوزة العلمية)»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، المنهج العام للدراسة في الحوزة العلمية

ينبغي للطالب الذي يرغب في الحصول على المرتبة العلمية اللائقة بمقام المنتمي للحوزة العلمية طي المراحل المدرجة ادناه باختلاف مستوياتها.

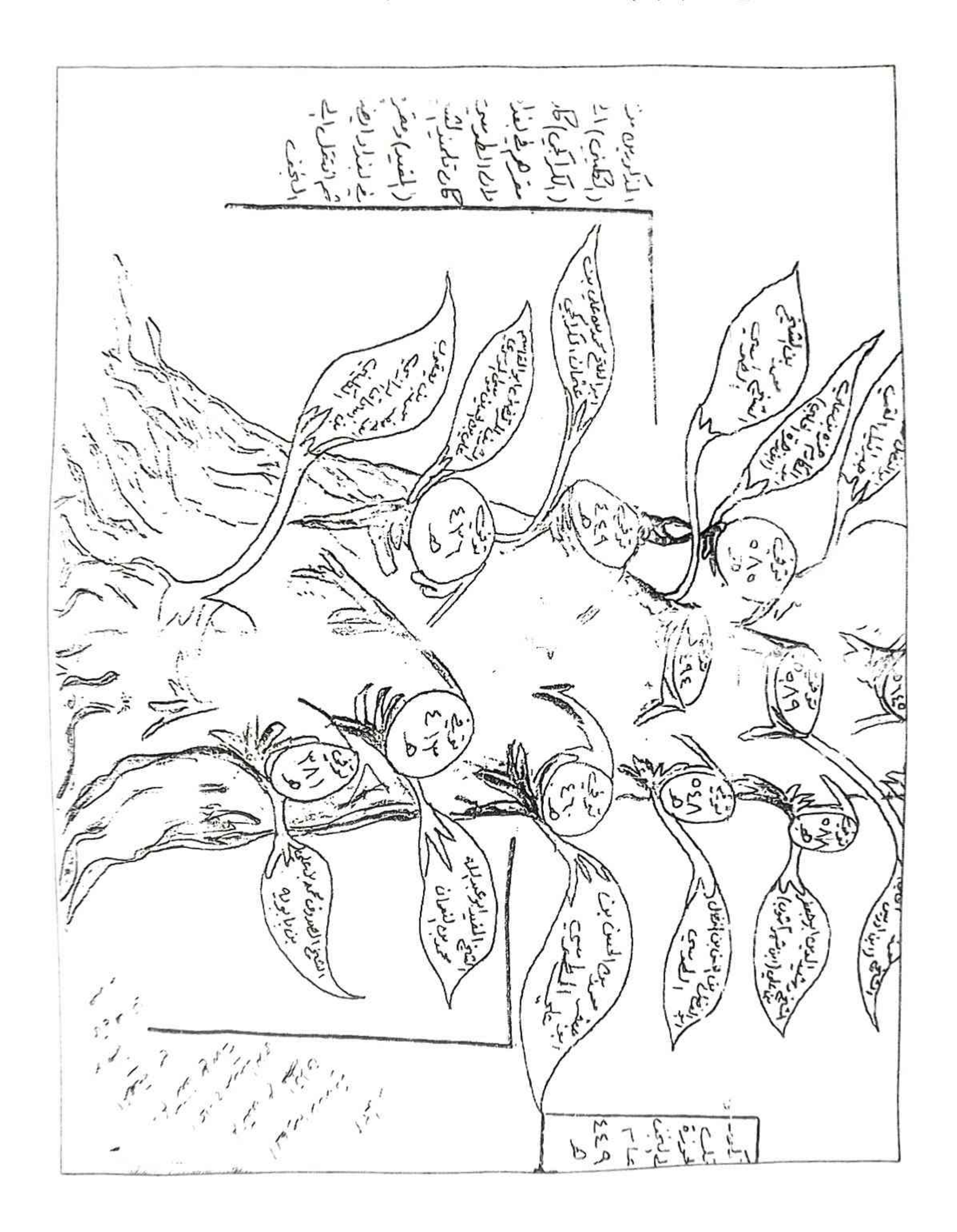
والمطلوب منه ان لا ينتقل الى المرحلة التالية الا بعد الفراغ مما يليق بالمرحلة السابقة وهذا يجرى في مستويات كل مرحلة فلا ينتقل الى المستوى الاعلى الا بعد اتقان ما هو ادنى منه درجة .

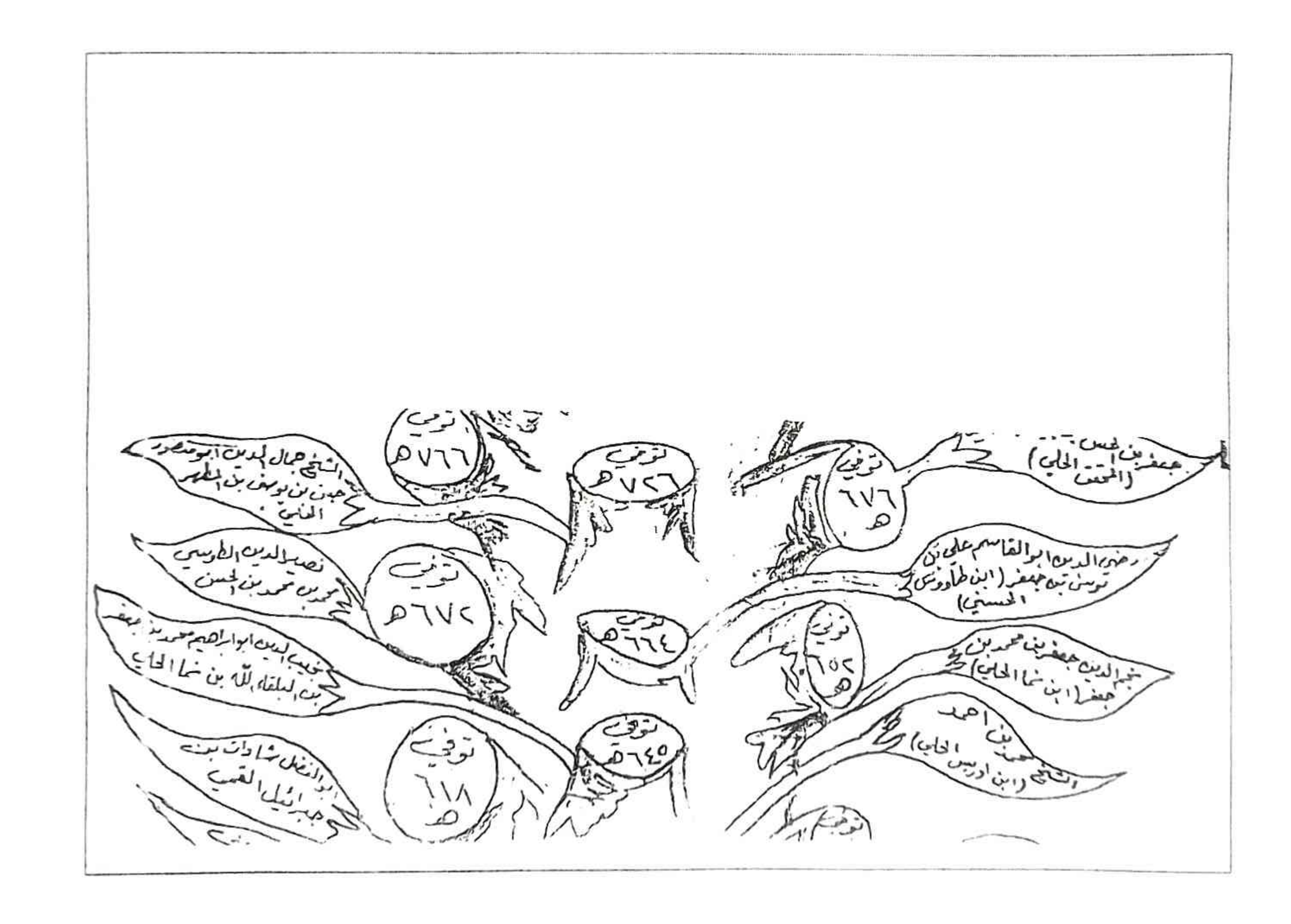
والمقصود من توضيح هذه المراحل تعبيد الطريق الى البغية السامية الا وهي الوصول الى مرحلة الاستنباط، وتقريب مقصده اليه باقصر الطرق مع الاحتفاظ على الاستعداد اللازم لرجل الدين الراغب في الحصول على (.....) عند الله سبحانه والرضى من ولي الله الاعظم ارواحنا لمقدمه الفداء. والى الطالب الكريم تفصيل هذه المراحل بمستوياتها:

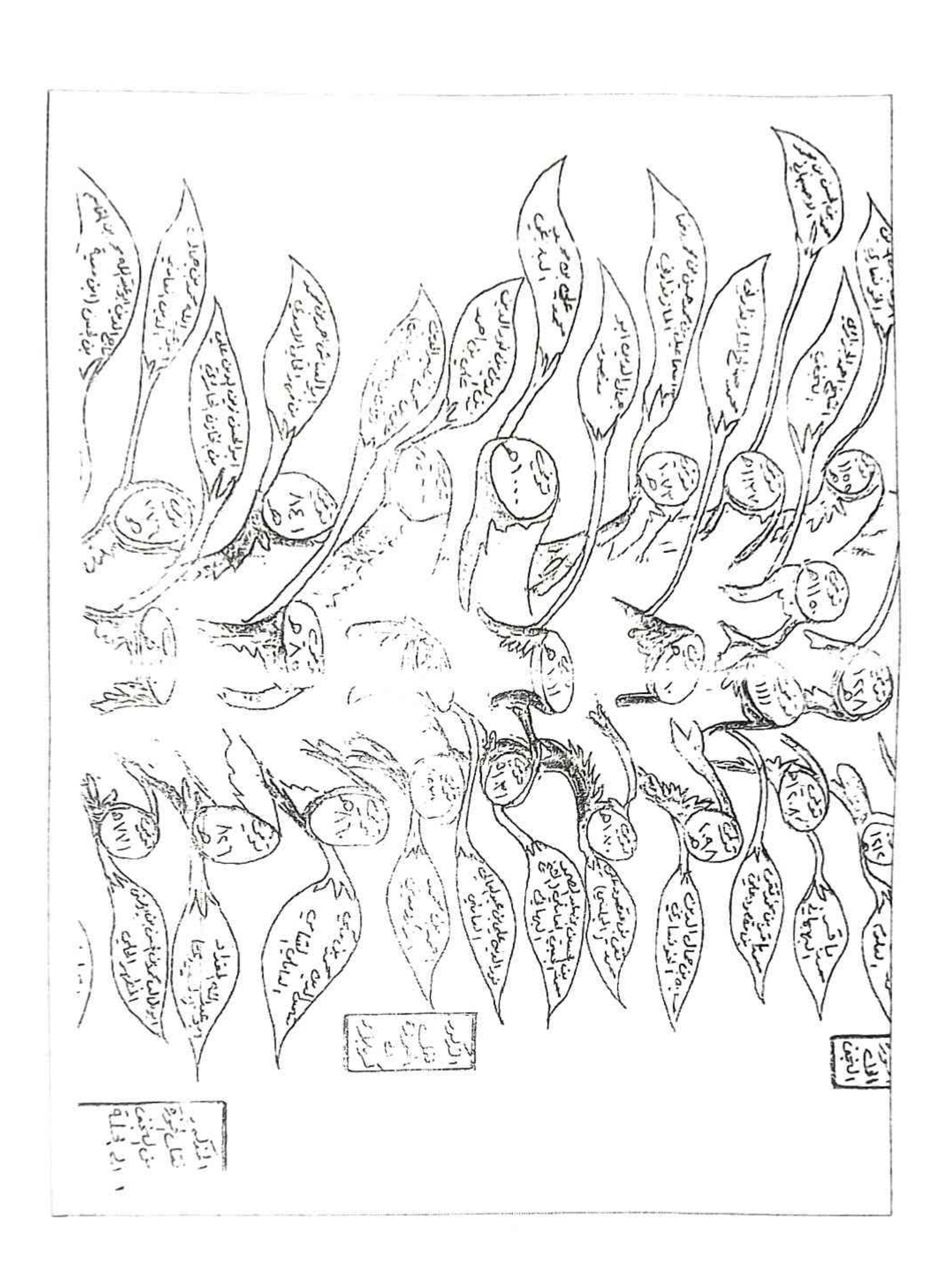
المرحلة	المستويات
المرحلة (المقدمات)	المستوى الاول : اجرومية ــ تبصرة المتعلمين ــ عقائد الامامية
	المستوى الثاني : قطر الندى او هداية النحو ــ شرائع الاسلام ج١ كتاب في الصرف ــ مجموعة المنطق (شراح الارواح او شرح النظام)
	المستوى الثالث: شرح الالفية لابن الناظم او الكافية لابن الحاجب ــ شرح .... ــ شرائع الاسلام ج٢ (مطالعة منطق المظفر خصوصا ــ القسم الثالث ــ
	المستوى الرابع: مختصر المعاني ــ الباب الحادي عشر ــ شرائع الاسلام ج٣
المرحلة (السطوح)	المستوى الاول : معالم الدين ويعقبه اصول المظفر او ما يعادله ــ مطول ــ شرح التجريد مثل القوانين
	المستوى الثاني : شرح اللمعة الدمشقية ــ كفاية الاصول ج١ ــ رسائل الشيخ الانصاري (قد) ــ منظومة في المعقول ــ ويعقب الرسائل مكاسب الشيخ الانصاري (قد) ــ الكفاية ج٣
المرحلة (البحث الخارج)	يحق للطالب بعد الفراغ من الكفاية ج٢ حضور البحث الخارج على الاصول ثم الفراغ من مكاسب الشيخ الانصاري يحق له الحضور البحث الخارج على الفقه ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

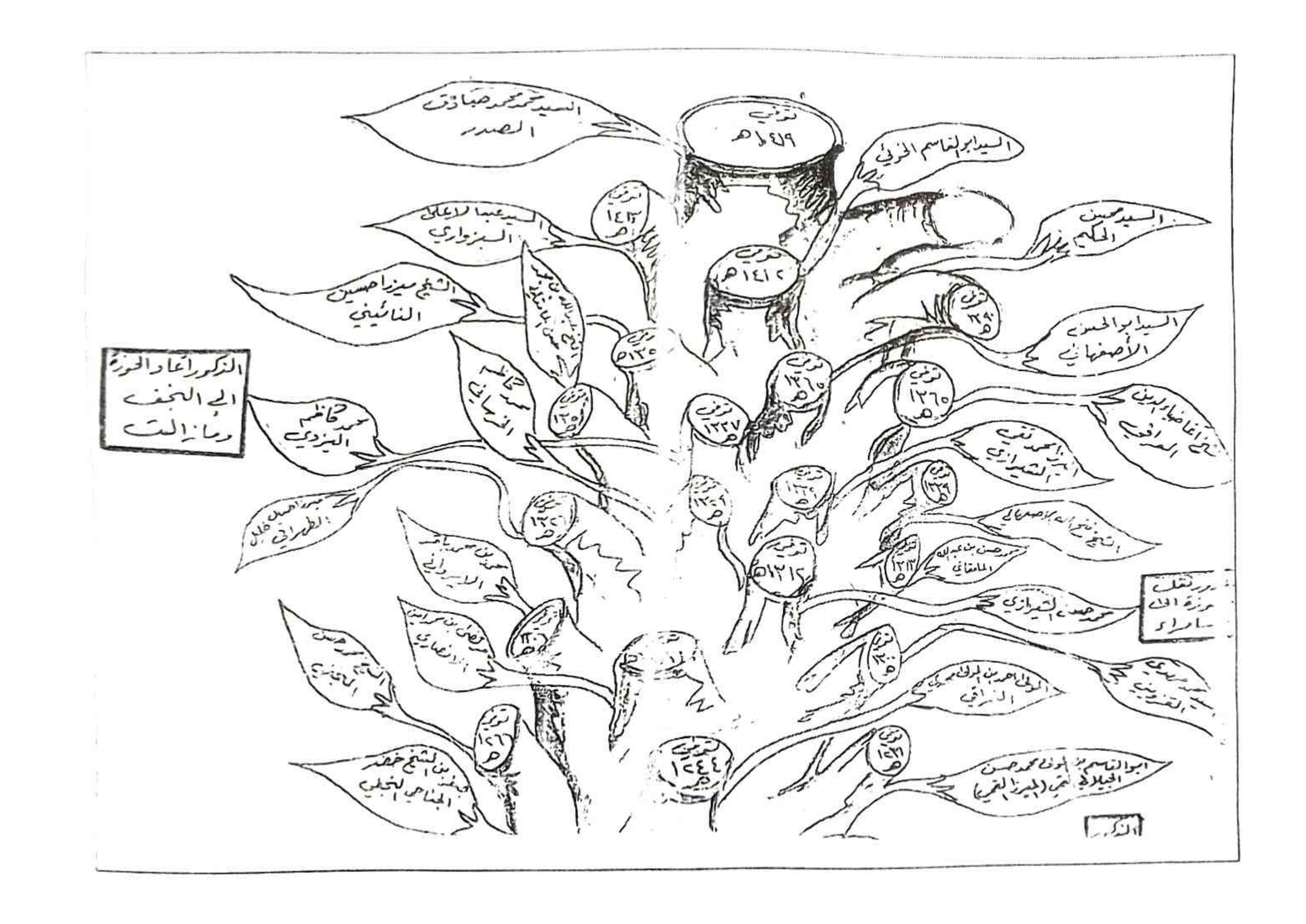
تابع للوثيقة

ملحق رقم (٦) للوثيقة: «مخطط عام لرموز تاريخ (الحوزة)»




جعفر بن الحسن (المحقق الحلي)
توفي ٦٧٦ هـ
رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ابن طاووس الحسني)
نجيب الدين جعفر بن محمد بن جعفر (ابن نما الحلي)
توفي ٦٥٢ هـ
الشيخ محمد بن احمد (ابن ادريس الحلي)
توفي ٧٢٦ هـ
توفي ٦٦٤ هـ
توفي ٦٤٥ هـ
الشيخ جمال الدين ابو منصور حسن بن يوسف بن المطهر الحلي
توفي ٧٦٦ هـ
نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن
توفي ٦٧٢ هـ
نجيب الدين ابو ابراهيم محمد بن جعفر بن ابي البقاء هبة الله بن نما الحلي
ابو الفضل شاذان بن جبرائيل القمي
توفي ٦١٨ هـ




السيد محمد محمد صادق الصدر
توفي ١٤١٩ هـ
السيد ابو القاسم الخوئي
السيد عبد الأعلى السبزواري
السيد محسن الحكيم
الشيخ ميرزا حسين النائيني
السيد ابو الحسن الأصفهاني
الذكور اعاد الحوزة الى النجف وما زالت
محمد كاظم اليزدي
محمد حسن الشيرازي
المولى احمد بن المولى محمد مهدي النراقي
ابو القاسم بن المولى محمد حسن الجيلاني المعروف بالميرزا القمي
جعفر بن الشيخ خضر الجناحي النجفي

ملحق رقم (٣٤)

صورة عن الدعوة التي وجهها بحر العلوم في اطار الاستمرار بأداء صلاة الجمعة بعد استشهاد الصدر الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد (ص) وآله الطيبين الطاهرين.

أوجه نصيحتي ورجائي – أولاً – إلى أبنائي البررة من أفاضل الحوزة الشريفة أئمة الجماعة الذين كانوا – ولا يزالون – يقيمون صلاة الجمعة والجماعة بالمؤمنين – في عامة أنحاء القطر من عراقنا الحبيب – أطال الله بقاءهم في الخارج والداخل.

أنصحكم وأرجو منكم وأدعوكم – يا أبنائي الأفاضل – أن تستمروا – كما عهدتكم – في القيام بأداء صلاة الجمعة تلك الفريضة المقدسة في الإسلام، وأن تؤدوها بجو هادئ مطمئن، بعيد عن الإثارات العاطفية، والحساسيات الجانبية – بما لهذه الكلمة من مفهوم شامل – من خلال خطبتي الجمعة، ومحتواهما الديني والاجتماعي والتربوي.

وأدعوكم – برجاء – إلى نشر الهدوء والطمأنينة والرحمة في نفوس المصلين المؤمنين، والاقتصار في الخطبتين على حث الناس على الالتزام بتقوى الله، والصدق والصلاح والوعظ والإرشاد والتوجيه إلى ما يدعو إلى الخلق الإسلامي الرفيع، وإلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، وتعميق التآلف والتآزر في قلوب الأمة الإسلامية، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد بين أبناء الشعب الواحد، والأخذ بأيديهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، من دون تطرق إلى الإعراضات الجانبية، والتعريضات المثيرة في السياسة – من قريب ومن بعيد – التي [illegible] من قبل الأعداء المتربصين – إلى إيجاد النزاعات الوضعية، والنزاعات السياسية، و[illegible] التأويل والتحريف والاستغلال بجاه النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

كما أوجه نصيحتي ورجائي – ثانياً – إلى أبنائي المؤمنين الملتزمين بأداء صلاة الجمعة والجماعة في عامة أنحاء القطر الحبيب الذين يحرصون على استمرارية هذه الفريضة المقدسة: أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة، والرحمة والطمأنينة، والاتجاه إلى الحق في أداء فرائضهم، والاستفادة من [illegible] وعدم التشويش [illegible] الآفاق الوضاءة، والأفكار البناءة، بما يؤثر – بالنتيجة – على قدسية هذه الفريضة المقدسة، من حيث التناحر والتشاجر في المجتمع الاجتماعي، واستغلال العبادة المقدسة لإشاعة الفتن، التي سيكون دخانها أكثر من نارها، فيؤول الأمر – بالنتيجة – إلى فسح المجال أمام المتصيدين في الماء العكر، فتنقلب الرحمة إلى نقمة، ويحور النور إلى ظلام – والعياذ بالله –.

يا أبنائي المؤمنين، إن الاستقامة الواعية، والسلوكية المتأنية هما اللتان تبعثان على اتباع الهدى، وكلم الهدى [illegible] وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً، صدق الله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من أسيركم الروحي:

الحسين التقي آل بحر العلوم

[ختم]

صدر عن مكتب السيد بحر العلوم – النجف الأشرف

٢٢ ذي القعدة ١٤١٩هـ

نص الدعوة التي وجهها بحر العلوم في اطار الاستمرار بأداء صلاة الجمعة بعد استشهاد الصدر الثاني

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد (ص) وآله الطيبين الطاهرين. أوجه نصيحتي ورجائي ــ أولا ــ الى ابنائي البررة من افاضل الحوزة ...... أئمة المساجد الذين كانوا ــ ولايزالون ــ يقيمون صلاة الجمعة والجماعة بالمؤمنين في ــ .... القطر من عراقنا الحبيب ــ أعانه الله من فتن الخارج والداخل ــ.انصحكم وارجو منكم وادعوكم ــ يا ابنائي .... ــ ان تستمروا ــ كما كنتم ــ في القيام باداء صلاة الجمعة تلك الفريضة المقدسة في الاسلام، وان تؤدوها بنحو هادئ يطمئن، بعيدا عن الاثارات الفضولية، والحساسات الجانبية ــ بما لهذه الكلمة من مفهوم شامل ــ من خلال خطبتي الجمعة. ومغزاها الديني والاجتماعي والتربوي. وادعوكم ــ برجاء ــ الى نشر الهدوء الطمأنينة والدعة في نفوس المصلين المؤمنين .... في الخطبتين الى حث الناس على الالتزام بتقوى الله، والصلاح والاصلاح والوعظ والرشاد والتوعية الى ما يحث الى الخلق الاسلامي الرفيع والى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، وتعاليم اهل البيت عليهم السلام .... التآلف والتوادد في قلوب الامة الاسلامية، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد بين ابناء الشعب الواحد، والاخذ بأيدهم وتوعيتهم الى ما ينفعهم في امور دينهم ودنياهم من دون تعرض الى الاحراجات الجانبية، .... المثيرة الى الحساسية ــ من قرب ومن بعد ــ التي لا تؤول من قبل الاعداء المتربصين ــ الا الى النتائج الوخيمة والحصائل السيئة، وفي ...... المسلمين ..... ذلك التأويل والتحريف و..........النبي (ص) واهل بيته المعصومين ــ عليهم السلام ــ كما اوجه نصيحتي ورجائي ــ ثانيا ــ الى ابنائي المؤمنين الملتزمين بأداء صلاة الجمعة والجماعة في عامة انحاء القطر الحبيب الذين يحرصون على استمرارية هذه الفريضة المقدسة، ان يخلدوا الى الهدوء والسكينة، والدعة والطمأنينة، والاتجاه الى الله في اداء فرائضه والاستعاذة به من هفوات الشياطين وعدم تشويش الافاق الوضاءة، والافكار البناءة ــ بما يؤثر ــ بالنتجية على قدسية هذه الفريضة المقدسة، من حيث التناحر والتشاجر والصخب الاجتماعي، واستغلال العباده المقدسة لاشاعة الفتن التي سيكون دخانها اكثر من نارها فيؤول الامر ــ بالنتيجة ــ الى فسح المجال امام المتصيدين في الماء العكر، فتنقلب الرحمة الى الفرقة، ويحور النور الى ظلام ــ والعياذ بالله ــ. يا ابنائي المؤمنين ان الاستقامة الوادعة، والسلوكية .... هما اللتان تبعثان على اتباع الهدى، وكبح الهوى،والاستعاذة بالرحمة من الله تعالى، وتجنب نقمته الا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ــ صدق الله العظيم، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ٢٢ ذي القعدة ١٤١٩هـ، صدر عن مكتب السيد بحر العلوم ــ النجف جامع الطوسي، من ابيكم الروحي: الحسين بن التقي آل بحر العلوم.»

ملحق رقم (٣٥)

صورة المقال الذي نشرته صحيفة «البلاد» اللبنانية في العدد ٤٢ للقاضي الشيخ يوسف محمد عمرو

قراءة في كتاب

«محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان»

مغالطات «الطاعة» و«المقاطعة» والفتن

القاضي الشيخ يوسف محمد عمرو

عن «المركز العراقي للإعلام» في دمشق صدر كتاب «محمد محمد صادق الصدر ومرجعية الميدان» في حياة ومرجعية سيدنا الأستاذ الشهيد آية الله العظمى السيد محمد الصدر (قده) للكاتب العراقي عادل رؤوف في غرة شهر محرم عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٤/١٧م. وقد أجاد المصنف وأفاد في بعض الفصول والأبواب غير انه وقع وأوقع القارىء في مغالطات كثيرة نذكر منها في هذه العجالة ما يلي:

الكتاب تضمن مغالطات عدة بشأن موقف علماء السنّة من حكام عصرهم

الكاتب يحاول اكثر من مرة إلقاء اللوم على الجمهورية الاسلامية وإثارة الفتن ضد مراجعنا الكبار

طاعة؟

أولاً: اعتبر أن جميع المدارس الفقهية عند اخواننا من السُنّة تمثل فقه الطاعة للسلطان والرضوخ للأمر الواقع في كل زمان ومكان مستشهداً بكلام ابن تيمية؟ (ص٣٣ من الكتاب). مع أننا نرى أن كبار الفقهاء كأبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس وغيرهما قد أيدوا ثورة الشهيد محمد بن الحسن (رض) المعروف بالنفس الزكية في سنة ١٤٥هـ ضد الخليفة العباسي المنصور، واعتبروها ثورة شرعية وقد «كافأهما» المنصور على ذلك بالسجن والتعذيب.

عادل رؤوف

محمد محمد صادق الصدر

مرجعية الميدان

غلاف الكتاب

ومقاطعة؟

ثانياً: اعتبر أن الفقه الأمامي الجعفري يمثل فقه المقاطعة مع الحكام في كل زمان ومكان مستشهداً بكلام بعض الاساتذة اللبنانيين مع أننا نرى أن فقهاء الإمامية كان ديدنهم وشأنهم في الماضي والحاضر الاتصال بالسلطان للمحافظة على بيضة الاسلام، ومقاطعة السلطان كانت من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخير مثال على ذلك اتصال فقهاء النجف الأشرف في الحرب العالمية الأولى بالباب العالي في اسطنبول وحملهم السلاح وأمرهم للناس بالجهاد تحت راية الدولة العثمانية ضد الانكليز والحلفاء.



فتنة

ثالثاً: لقد حاول الكاتب أكثر من مرة ومن خلال صفحات كثيرة، وببعض الملاحق إلقاء اللوم على الجمهورية الاسلامية في ايران، وإثارة الفتنة والاحقاد ضد مراجعنا الكبار، وعلمائنا الأعلام في النجف الأشرف، وفي قم المقدسة، وضد الهيئات والجمعيات، والأحزاب العراقية التي لم تصافح اليد الاميركية الممدودة اليها.. مستشهداً على ذلك بالصحف العربية الصادرة في لندن ذات الميول والأهداف المعروفة؟؟

رابعاً: ان هناك جهلاً كبيراً من الكاتب بحياة السيد الشهيد (قده) ومنه شكه في مدة تدريس سيدنا الاستاذ الصدر (قده) لمرحلة الخارج حيث انه نقل عن بعض المصادر انه في سنة ١٩٧٨م وعن بعضها الآخر انه في سنة ١٤١٠هـ الموافق لسنة ١٩٩٠م والصواب هو انه بناء على طلبي، وطلب بعض الاخوة الفضلاء في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، قرر سيدنا الشهيد تدريسنا المختصر النافع في فقه الإمامية للمحقق الحلي (قده) وشرح مبانيه والتعليق عليه وذلك في مسجد الشيخ الطوسي في شهر شوال ١٣٩٨هـ الموافق لسنة ١٩٧٨م. وقد نقلت ذلك لسيدنا الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده) فسُرّ لذلك، ولم يعلق. وكان السيد الشهيد السيد محمد (قده) كان قد أخبره بذلك

وختاماً لا يسعنا إلا تذكير أصحاب السماحة والفضيلة من الاخوة العراقيين بآداب سيدنا الشهيد ومواقفه ومواعظه في الايثار، والمحبة، ونكران الذات، والإصلاح بين ذات البين والاخوة في الله تعالى. ومنها دعوته لمراجع النجف الأشرف اكثر من مرة للصلاة والخطبة في جامع الكوفة وإعلانه عن استعداده مع مقلديه للائتمام بهم كما جاء في خطبته يوم الجمعة في الخامس من جمادى الاولى عام ١٤١٩هـ وغيرها من خطب أوردها صاحب هذا الكتاب■■

No.444
البلاد
٤٢

٣/تموز/١٩٩٩

نص المقال الذي نشرته مجلة «البلاد» اللبنانية في العدد «٤٢» للقاضي الشيخ محمد يوسف عمرو تحت عنوان: «مغالطات (الطاعة) و(المقاطعة) والفتن

عن «المركز العراقي للاعلام» في دمشق صدر كتاب «محمد محمد صادق الصدر ومرجعية الميدان» في حياة ومرجعية سيدنا الاستاذ الشهيد آية الله العظمى السيد محمد الصدر (قده) للكاتب العراقي عادل رؤوف في غرة شهر محرم عام ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩/٤/١٧م. وقد أجاد المصنف وافاد في بعض الفصول والابواب غير انه وقع واوقع القارئ في مغالطات كثيرة نذكر منها في هذه العجالة ما يلي: اولا: اعتبر ان جميع المدارس الفقهية عند اخواننا من السنة تمثل فقه الطاعة للسلطان والرضوخ للامر الواقع في كل زمان ومكان مستشهدا بكلام ابن تيمية؟ (ص ٣٣ من الكتاب). مع اننا نرى ان كبار الفقهاء كأبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس وغيرهما قد أيدوا ثورة الشهيد محمد بن الحسن (رض) المعروف بالنفس الزكية في سنة ١٤٥ هـ، ضد الخليفة العباسي المنصور، واعتبروها ثور شرعية وقد (كافأهما) المنصور على ذلك بالسجن والتعذيب. ثانيا: اعتبر ان الفقه الامامي الجعفري يمثل فقه المقاطعة مع الحكام في كل زمان ومكان مستشهدا بكلام بعض الاساتذة اللبنانيين مع اننا نرى ان فقهاء الامامية كان ديدنهم وشأنهم في الماضي والحاضر الاتصال بالسلطان للمحافظة على بيضة الاسلام، ومقاطعة السلطان كانت من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخير مثال على ذلك اتصال فقهاء النجف الاشرف في الحرب العالمية الاولى بالباب العالي في اسطنبول وحملهم السلاح وامرهم للناس بالجهاد تحت راية الدولة العثمانية ضد الانكليز والحلفاء.. ثالثا: لقد حاول الكاتب اكثر من مرة ومن خلال صفحات كثيرة، وببعض الملاحق القاء اللوم على الجمهورية الاسلامية في ايران، واثارة الفتنة والاحقاد ضد مراجعنا الكبار، وعلمائنا الاعلام في النجف الاشرف، وفي قم المقدسة، وضد الهيئات والجمعيات، والاحزاب العراقية التي لم تصافح اليد الاميركية الممدودة اليها.. مستشهدا على ذلك بالصحف العربية الصادرة في لندن ذات الميول والاهداف المعروفة؟؟ رابعا: ان هناك جهلا كبيرا من الكاتب بحياة السيد الشهيد (قده). ومنها شكه في بدء تدريس سيدنا الاستاذ الصدر (قده) لمرحلة الخارج حيث انه نقل عن بعض المصادر انه في سنة ١٩٧٨م وعن بعضها الاخر انه في سنة ١٤١٠ هـ الموافق لسنة ١٩٩٠م.. والصواب هو انه بناء على طلبي، وطلب بعض الاخوة الفضلاء في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، قرر سيدنا الشهيد تدريسنا المختصر النافع في فقه الامامية للمحقق الحلي (قده) وشرح مبانيه والتعليق عليه وذلك في مسجد الشيخ الطوسي في شهر شوال ١٣٩٩ هـ الموافق لسنة ١٩٧٨م. وقد نقلت ذلك لسيدنا الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده) فسر لذلك، ولم يعلق. وكأن السيد الشهيد السيد محمد (قده) كان قد اخبره بذلك. وختاما لا يسعنا الا تذكير اصحاب السماحة والفضيلة من الاخوة العراقيين باداب سيدنا الشهيد وموافقة ومواعظه في الايثار، والمحبة، ونكران الذات والاصلاح بين ذات البين والاخوة في الله تعالى. ومنها دعوته لمراجع النجف الاشرف اكثر من مرة للصلاة والخطبة في جامع الكوفة واعلانه عن استعداده مع مقلدية للائتمام بهم كما جاء في خطبته يوم الجمعة في الخامس من جمادي الاولى عام ١٤١٩ هـ وغيرها من خطب اوردها صاحب هذا الكتاب.

ملحق رقم (٣٦)

صورة الدعوة التي وجهها «المركز العراقي للاعلام والدراسات» الى عدد من الحوزات المتواجدة في سوريا في حي السيدة زينب بتاريخ ٢٣ / ٧ / ٢٠٠٠م بغية الاجابة على أسئلته

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز العراقي للإعلام والدراسات
دراسات عراقية



IRAQI CENTER OF MEDIA AND STUDIES
DERASAT IRAQIYA

الرقم : ٢٠٥
التاريخ: ٢٠٠٠/٧/٢٣

NO: 205
DATE: 23/7/2000

الى من يهمه الأمر

يقوم المركز العراقي للإعلام والدراسات بتحقيق موسّع عن الحوزات العلمية في السيدة زينب(ع)، وذلك لتسليط الأضواء على دورها ونشاطها ومناهجها الدراسية.
الرجاء التعاون مع مندوب المركز الأستاذ عقيل العبود مع خالص شكرنا ودعائنا لكم بالخير.

مدير المركز
عـــادل رؤوف

الجمهورية العربية السورية - دمشق - المنطقة الصناعية - حديقة ٤ - بناء ٥ - شقة ٩ - جميع المراسلات الى دمشق ص.ب (٦٧٩٨) تليفاكس: ٥٤٣٣٥٨٤

الصفحة الاولى من استمارة الدراسة التي وجهها «المركز» بتاريخ ٢٥/٤/٢٠٠٠م بما تتضمنه من أسئلة بغية الاجابة عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز العراقي للإعلام والدراسات
دراسات عراقية

IRAQI CENTER OF MEDIA AND STUDIES
DERASAT IRAQIYA

الرقم : ١٩٥
التاريخ: ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٠

NO: 194
DATE: 24/4/2000

السادة الأفاضل ... حوزة ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرجاء التعاون مع جهود (المركز العراقي للاعلام والدراسات) في انجاز تحقيقه حول نشاط حوزتكم الدينية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١ تاريخ تأسيس الحوزة والغاية من ذلك؟
٢ شروط القبول في الحوزة العلمية، وهل هنالك شروط أخرى؟
٣ عدد المراحل الدراسية للحوزة؟
٤ هل ان العمر شرط أساسي للقبول ولماذا؟
٥ ماهو عدد الطلبة في كل مرحلة؟ ماهي جنسياتهم؟
٦ ماهو عدد المدرسين؟ ماهي جنسياتهم.
٧ كم عدد ساعات الدوام؟
٨ ماهو المنهج لكل مرحلة؟
٩ هل تمنح الحوزة شهادة تخرج للطالب أم لا؟
١٠ ماهي نسبة الطلبة المتواصلين في الدراسة في الحوزة؟
١١ ماهي نسبة الطلبة الذين تركوا الدراسة في الحوزة؟
١٢ ماهو عدد الموظفين داخل الحوزة العلمية؟.
١٣ ما هو حجم الكفاءات في الحوزة؟
١٤ هل هنالك حوزات فرعية تابعة لحوزتكم العلمية، كحوزة صغار السن، أو حوزات نسائية، وما هي شروط القبول في تلك الحوزات؟
١٥ ماهي لغة التعلّم في الحوزة؟
١٦ هل هنالك محفزات للكفاءات العلمية؟
١٧ ماهي المخصصات المصروفة لمدرس الحوزة؟
١٨ ماهي المخصصات المصروفة لطالب الحوزة؟
١٩ هل توجد نشاطات أخرى للحوزة كاصدار مجلة أو صحيفة اسلامية أو نشرات دورية؟
٢٠ ما حجم المشاركين من الدارسين أو المدرسين في هذه النشاطات؟
٢١ هل توجد ندوات كنشاطات للحوزة وهل هناك محاضرات اسبوعية أو شهرية؟
٢٢ ماهو حجم تدفق الحاضرين الى الندوات التي تعقدها حوزتكم العلمية (نسبة الحضور)؟
٢٣ هل تعتقدون أن هنالك مناهج معينة تفتقر اليها الحوزة في مناهجها كالقرآن مثلاً أو نهج البلاغة أو الفلسفة؟
٢٤ ماهو رأيكم في مستقبل الحوزة العلمية (حوزتكم)؟

نص الاستمارة

السادة الأفاضل في الحوزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرجاء التعاون مع جهود (المركز العراقي للاعلام والدراسات) في انجاز تحقيقه حول نشاط حوزتكم الدينية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١ ــ تاريخ تأسيس الحوزة والغاية من ذلك؟

٢ ــ شروط القبول في الحوزة العلمية، وهل هنالك شروط أخرى؟

٣ ــ عدد المراحل الدراسية للحوزة؟

٤ ــ هل ان العمر شرط أساسي للقبول ولماذا؟

٥ ــ ما هو عدد الطلبة في كل مرحلة؟ ما هي جنسياتهم؟

٦ ــ ما هو عدد المدرسين؟ ما هي جنسياتهم؟

٧ ــ كم عدد ساعات الدوام؟

٨ ــ ما هو المنهج لكل مرحلة؟

٩ ــ هل تمنح الحوزة شهادة تخرج للطالب أم لا؟

١٠ ــ ما هي نسبة الطلبة المتواصلين في الدراسة في الحوزة؟

١١ ــ ما هي نسبة الطلبة الذين تركوا الدراسة في الحوزة؟

١٢ ــ ما هو عدد الموظفين داخل الحوزة العلمية؟

١٣ ــ ما هو حجم الكفاءات في الحوزة؟

١٤ ــ هل هنالك حوزات فرعية تابعة لحوزتكم العلمية، كحوزة صغار السن، أو حوزات نسائية، وما هي شروط القبول في تلك الحوزات؟

١٥ ــ ما هي لغة التعلّم في الحوزة؟

١٦ ــ هل هنالك محفزات للكفاءات العلمية؟

١٧ ــ ما هي المخصصات المصروفة لمدرس الحوزة؟

١٨ ــ ما هي المخصصات المصروفة لطالب الحوزة؟

١٩ ــ هل توجد نشاطات أخرى للحوزة كإصدار مجلة او صحيفة اسلامية او نشرات دورية؟

٢٠ ــ ما حجم المشاركين من الدارسين أو المدرسين في هذه النشاطات؟

٢١ ــ هل توجد ندوات كنشاطات للحوزة وهل هناك محاضرات اسبوعية او شهرية؟
٢٢ ــ ما هو حجم تدفق الحاضرين الى الندوات التي تعقدها حوزتكم العلمية (نسبة الحضور)؟
٢٣ ــ هل تعتقدون ان هنالك مواد معينة تفتقر اليها الحوزة في مناهجها كالقرآن مثلا او نهج البلاغة او الفلسفة؟
٢٤ ــ ما هو رأيكم في مستقبل الحوزة العلمية (حوزتكم)؟
٢٥ ــ كم تقبلون في المرحلة الدراسية الأولى وكم نسبة التزايد او التناقص للمراحل الدراسية الأخرى؟
٢٦ ــ ما هي نسبة الحضور لمرحلة البحث الخارج؟
٢٧ ــ كم تعدون من المبلغين للتبليغ، داخل وخارج سورية، وفي أي مكان تنحصر النسبة الأكثر؟ وهل تعتقدون ان مرحلة البحث الخارج هي الوحيدة المعدة للتبليغ أم هنالك مراحل أخرى مؤهلة لذلك؟
٢٨ ــ هل ترسلون ايفادات او متخصصين الى ايران مثلا لتكملة الدراسة هناك؟ أم ان الدراسة وكفاءة الأساتذة هنا كافية؟ وهل تعتقدون ان القبول يخص جهة دون أخرى؟ او أي جهة تابعة لمرجعية معينة مثلا؟
٢٩ ــ هل تعتقدون ان مسألة توزيع رواتب الحوزة بطريقة تكفل للطالب معيشته على أساس التكافل الاجتماعي وأخذا بالاعتبار عدد أفراد عائلة الطالب لتحديد مرتبه في الحوزة؟ أم هنالك شروطا لتحديد الراتب كالكفاءة العلمية مثلا؟
٣٠ ــ هل هنالك تنسيق بين حوزتكم والمكاتب التي تمنح الراتب من حيث المساعدات المالية للطلبة؟
٣١ ــ هل ان هنالك حالة ثابتة بالنسبة للمدرسين في المراحل أم هنالك تبدلات تخضع لحالة معينة مثل مسألة كبر السن او الحالة المرضية او الانتقال من مكان الى أخر؟ المقصود هل ان المدرسين ثابتين أم هنالك تزايد او تناقص او تبديل او ما شابه؟
٣٢ ــ ما هي تاثيرات اللجوء بالنسبة للطلبة العراقيين وماذا تعتقدون بالنسبة للحالة العراقية في الحوزة، هل هي حالة قلقة أم مستقرة، نريد جدولا لاستمرار الطلبة في الدراسة حسب جنسياتهم، وكم عدد الطلبة الذين تركوا الحوزة من العراقيين/ الأجانب بحسب جنسياتهم؟
٣٣ ــ ما هي السبل الكفيلة في رأيكم لتقدم الحوزات العلمية؟ هل هي موضوع المناهج

او مستوى المدرسين أم مستوى الطلبة أم معالجة الحالة العامة القلقة بالنسبة للعراقيين فيما لو كانت تشكل نسبتهم النسبة الأكبر على باقي الجنسيات أم ان السبل الكفيلة تخضع لشروط الراتب؟

٣٤ ــ ما هو المقياس في معرفة المستوى العام للحوزة؟

٣٥ ــ هل تعتقدون ان هدف الطالب من الدراسة الحوزوية هو الراتب أم تحصيل العلم أم لأغراض أخرى كأن يصبح خطيب منبر او مبلغ او مدرس؟

٣٦ ــ فصل الطالب من الحوزة، كيف يكون؟

٣٧ ــ هل تعتقدون ان هنالك شروطا جديدة لتطوير كفاءات الحوزات العلمية؟

٣٨ ــ ما هي نسبة النجاح بالنسبة للدرجات لدى حوزتكم؟

٣٩ ــ هل مستوى الدراسات في الحوزة يضاهي مستوى الدراسة في الجامعات الأكاديمية؟

٤٠ ــ هل هنالك تجديد في تدريس العلوم الدينية في حوزتكم أم هي باقية على المنهج التقليدي؟

٤١ ــ هل للحوزة نشاط سياسي أم ديني فقط؟

٤٢ ــ هل لديكم مواقف فكرية إزاء ما يطرح من تيارات فكرية في الساحة العربية أم فقط اقتصار العمل على الدراسة الدينية؟

٤٣ ــ ما هو موقف الحوزة إذا طرحت أفكاراً متقاطعة مع المنهجية المعدة للدراسة؟ هل تقابل بالطرد أم بالنقاش أم بالانذار؟ وهل سجلت لديكم حالات بذلك؟

٤٤ ــ ما هي المؤسسات التابعة لحوزتكم؟

٤٥ ــ هل تكفي المصادر المالية لتمويل حوزتكم؟

٤٦ ــ هل توجد اضافات أخرى؟

ولكم جزيل الشكر والتقدير

المركز العراقي للاعلام والدراسات

مصادر الكتاب

١ ــ الحوار القومي الاسلامي، (اوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان، ط ١، كانون الاول ــ ديسنبر ١٩٨٩م.

٢ ــ (الحوزة العلمية في فكر الإمام الخامنائي)، إعداد مركز التخطيط والمناهج الدراسية، معهد الرسول الأكرم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، سلسلة بحوث تخصصية، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٣هــ ــ ٢٠٠٢م.

٣ ــ (الخطاب التاريخي للامام القائد الخميني)، اصدار (اذاعة الاسلام صوت المستضعفين)، قسم الارشيف، ٢١ / ٣ / ١٩٨٩م.

٤ ــ (المرجعية المؤسسة انجازات وآمال)، مكتب سماحة المرجع محمد حسين فضل الله، الخدمات الاجتماعية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هــ ــ ٢٠٠٥م.

٥ ــ (حوار مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله في فقه الحياة)، أجراه احمد احمد وعادل القاضي، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤١٧هــ ١٩٩٧م.

٦ ــ (نهج البلاغة)، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، من منشورات دار الهجرة، مطبعة بهمن، قم ــ ايران، ط ٥، ١٢١٢ هــ .

٧ ــ (نهج البلاغة)، شرح محمد عبده، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هــ ــ ٢٠٠٣م.

٨ ــ (هكذا قال الصدر.. في المحنة وحب الدنيا)، محاضرات للشهيد محمد باقر الصدر، اعداد ميثم الجاسم، الناشر مكتبة الفراهيدي، ط ١، ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٨م.

٩ ــ ابراهيم، باقر، (الوطنية العراقية الجديدة بين الاستبداد والخيانة)، دار الكنوز الادبية، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠ ــ ابو اصيبع، جهاد هادي، (الصحافة النجفية في عهد الاحتلال الاميركي للعراق ٢٠٠٣ ــ

٢٠٠٦)، ط ١، ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ ـ نيسان ٢٠٠٧م، جهة الاصدار المؤلف.

١١ ـ أبو زيد العاملي، احمد عبد الله، (محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، بمناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشهيد الصدر (رض) عرض تفصيلي موثق لسيرة الشهيد الصدر من الولادة حتى الشهادة)، ج٢، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٢ ـ الاصبهاني، محمد باقر الموسوي الخونساري، (روضات الجنات في احوال العلماء والسادات)، الدار الاسلامية، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٩٩١م.

١٣ ـ البخشايشي، الدكتور العقيقي، (كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٤ ـ البغدادي، أحمد الحسني، (هكذا تكلم احمد الحسني البغدادي، المقاومة مستمرة والاحتلال الى زوال وشعبنا لن يموت)، ج٣، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٧م.

١٥ ـ البغدادي، علي الحسني، (كشف الأسرار)، إعداد حيدر الحسني البغدادي، صحيفة (براءة)، العدد (١١).

١٦ ـ البغدادي، عمار، (لمحات من حياة الامام السيستاني، فقيه عصر ورجل سياسة)، قمر العشيرة للطباعة والنشر.

١٧ ـ الجبوري، رعد، (العصف المأكول، ما تبقى من مشروع الاحتلال الامريكي في العراق)، محاضرة القيت في المنتدى الاجتماعي، دمشق ـ الجمهورية العربية السورية، الثلاثاء ـ ١٥ آيار ـ مايو ٢٠٠٧م، طبعة محدودة.

١٨ ـ الحسن، د. يوسف، (البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، دراسة في الحركة المسيحية الاصولية الامريكية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط٣، شباط ـ فبراير ٢٠٠٠م.

١٩ ـ الحسني، محمد، (حياة حافلة.. فكر خلاق، محمد باقر الصدر)، الناشر قلم مكنون، مطبعة شريعت، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٠ ـ الدفاعي، احمد الحاج هاشم، (العراق تحت الاحتلال، محاضر مجلس الحكم الانتقالي)، ج١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، آب (يوليو) ٢٠٠٥م.

٢١ ـ الربيعي، فاضل، (ما بعد الاستشراق، الغزو الأمريكي للعراق، وعودة الكولونياليات البيضاء)، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط ـ فبراير ـ ٢٠٠٧م.

٢٢ ـ الشيرازي، محمد، (الشيعة والحكم في العراق)، مؤسسة المجتبى، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٣ ـ الصدر، محمد باقر، (المجموعة الكاملة لمؤلفاته)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ

لبنان، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨م.
٢٤ ــ الصدر، محمد محمد صادق، (خطب صلاة الجمعة).
٢٥ ــ الطباطبائي، محمد حسين، (الميزان في تفسير القران)، ج ١٢، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية المحققة، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.
٢٦ ــ النبالي، عبد الله، (عالمية الإمام الخميني، حياته وفكره)، ط١، عمان ٢٠٠٢م.
٢٧ ــ الوردي، د. علي، (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي)، انتشارات المكتبة الحيدرية، مطبعة أمير، قم، الصحاف: دهقان، ط٢، ١٩٩٨م.
٢٨ ــ الوردي، د. علي، (من وحي الثمانين)، جمع وتحقيق سلام الشماع، مؤسسة البلاغ، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ ــ ٢٠٠٧م.
٢٩ ــ بريمر، السفير بول، بالاشتراك مع مالكوم ماك، وكونل (عام قضيته في العراق، النضال لبناء غد مرجو)، ترجمة عامر الايوني، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٠ ــ حداد، معين، (الجغرافيا على المحك، ما هي الجغرافيا، مناهجها، هويتها، جديدها، ازماتها وسبل تجاوزها)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ــ لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.
٣١ ــ دباغ، سليمان، (النائيني مفكر النهضة الحديثة)، دار الشجرة للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، كانون الثاني ــ يناير ٢٠٠٨م.
٣٢ ــ رؤوف، عادل، (محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغيري ووقائع الاغتيال)، إصدار المركز العراقي للأعلام والدراسات، من ط ١ رسمية ١٩٩٩م الى ط ١٠ رسمية ٢٠٠٥م.
٣٣ ــ رؤوف، عادل، (الإمام الخميني، الخطاب ــ الدولة ــ الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي)، المركز العراقي للإعلام والدراسات، ط ٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٣٤ ــ رؤوف، عادل، (عراق بلا قيادة، قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث)، إصدار المركز العراقي للإعلام والدراسات، ط١، ٢٠٠٢م إلى ط ١٠، ٢٠٠٥م.
٣٥ ــ رؤوف، عادل، (محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين)، إصدار المركز العراقي للإعلام والدراسات، ط ٦، ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٦م.
٣٦ ــ رجبي، محمد حسن، (الحياة السياسية للإمام الخميني)، ترجمة فاضل عباس بهزاديان، دار الروضة، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
٣٧ ــ روحاني، حميد، (نهضت امام خميني)، ج ٢، طبعة إيرانية.
٣٨ ــ سيد قطب، (في ظلال القران)، المجلد الرابع، دار الشروق، الطبعة الشرعية الأولى ١٩٧٢، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م

٣٩ ــ شريعتي، د. علي، (الحسين وارث آدم)، ترجمة ودراسة وتعليق د. ابراهيم دسوقي شتا، مراجعة حسين علي شعيب، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٥ هــ ــ ٢٠٠٤م.

٤٠ ــ شريعتي، علي، (التشيع العلوي والتشيع الصفوي)، تقديم د. ابراهيم دسوقي شتا، مجموعة الآثار الكاملة، دار الأمير، لبنان ــ بيروت، ط١، ١٤٢٢هــ ــ ٢٠٠٢م.

٤١ ــ شريعتي، علي، (التشيع مسؤولية)، دراسة وترجمة د. إبراهيم دسوقي شتا، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط١، ١٤٢٦هــ ــ ٢٠٠٦م.

٤٢ ــ شريعتي، علي، (دين ضد الدين)، ترجمة حيدر مجيد، مراجعة وضبط حسين شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٣هــ ــ ٢٠٠٣م.

٤٣ ــ شريعتي، علي، (معرفة الإسلام)، دار الامير، بيروت ــ لبنان، طبعة عربية أولى، ١٤٢٤ هــ ــ ٢٠٠٤م.

٤٤ ــ شمس الدين، محمد مهدي، (في الاجتماع السياسي الإسلامي، المجتمع السياسي الإسلامي، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي)، هامش، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ــ لبنان، ط٢، ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٩م.

٤٥ ــ عليان، د. عدنان، (جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، الواقع السياسي والاجتماعي، ١٩١٤م ــ ١٩٥٨م)، دار العارف للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هــ ــ ٢٠٠٥م.

٤٦ ــ عَمرو، القاضي الشيخ يوسف محمد، (الوحدة الاسلامية في مواجهة التحديات، النجف الاشرف نموذجا)، اصدار دار المنهل اللبناني، ط ١، ١٤٢٥ هــ ــ ٢٠٠٤م.

٤٧ ــ فرسخ، عوني، (القوميون والاسلاميون العرب، اشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، المؤتمر الاسلامي ــ القومي الثالث، وثائق ومناقشات وقراءات المؤتمر)، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان، ط ١، آذار ــ مارس ٢٠٠٤م.

٤٨ ــ فضل الله، علي محمد جواد، (النظريات الكلامية عند الطوسي، دراسة تحليلية مقارنة)، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الاكرم (ص)، بيروت ــ لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هــ ــ ٢٠٠١م.

٤٩ ــ فضل الله، محمد حسين، (الاسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء)، دار الملاك، ط١، بيروت ــ لبنان، ١٤١٨ هــ ــ ١٩٩٧م.

٥٠ ــ فضل الله، محمد حسين، (في آفاق الحوار الاسلامي المسيحي)، دار الملاك، يقع الكتاب في (٤٦٤) صفحة من القطع العادي.

٥١ ــ فضل الله، محمد حسين، (مسائل عقائدية)، بيروت ــ لبنان، ط ١، بلا تاريخ.

٥٢ ـ كراس باسم (لمحات عن مرجعية السيد الحكيم)، قسم الإعلام، مكتب السيد الحكيم ١٤٥٤ هـ ق ط١، بقلمه هو ـ أي السيد محمد باقر الحكيم ـ عندما كان ناطقاً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ وكان هذا الكراس في الأصل محاضرة ألقاها في صلاة الوحدة بمؤسسة الشهيد الصدر بتاريخ ١٣٦٣/٣/٣ هـ.ق.
٥٣ ـ كراس، (التنافر المذهبي)، حوار تلفزيوني مع سماحة الشيخ حسن الصفار أجراه المرحوم ماهر عبد الله على قناة الجزيرة وأعاد طبعه دار العارف للمطبوعات في بيروت.
٥٤ ـ لونكريك، المستر ستيفن هيمسلي، المفتش الإداري في الحكومة العراقية سابقاً، (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، ترجمة جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت ـ لبنان، ط٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٥٥ ـ ملف (اعلان شيعة العراق)، كتبه في لندن كل من د. عبد الصاحب الحكيم، د. علي علاوي، د. موفق الربيعي، الاصدار الاول، ٢٠٠٢م.
٥٦ ـ موسويان، محمد رضا، (آفاق الفكر السياسي عند الشيخ الطوسي)، تعريب ضياء الدين الخزرجي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، لبنان ـ بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٥٧ ـ هارت، د. مايكل (المئة الاوائل)، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق ـ سوريا، بيروت ـ لبنان، ط ١٣، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.
٥٨ ـ وصفي، محمد رضا، (الفكر الإسلامي المعاصر في إيران، جدليات التقليد والتجديد)، دار الجديد، ط١، ٢٠٠٠م.
٥٩ ـ يماني، د. محمد عبده، (انها فاطمة الزهراء)، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٥، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

ـ مجلة (الوعي)، الصادرة بتاريخ ٢ ـ كانون الثاني ـ ٢٠٠٨م.
ـ مجلة (الصياد الأسبوعية اللبنانية)، الصادرة في ١٨ ـ ٢٥ / سبتمبر / ١٩٦٩م.
ـ مجلة (العدل)، الصادرة بتاريخ آب / ١٩٦٨، مجلة اسبوعية تبحث بالثقافة العامة، تصدر في النجف الاشرف، صاحبها ومديرها المسؤول ابراهيم الفاضلي، رئيس تحريرها الشيخ عبد الهادي العصامي.
ـ مجلة (المعرفة)، العدد ٢، تشرين الأول / ١٩٧٨م، مجلة شهرية متخصصة يصدرها المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية الالزامي ـ وزارة التربية العراقية.
ـ مجلة (الف باء)، العدد ١٢٤٩، الصادرة بتاريخ ٢/أيلول/١٩٩٢م.
ـ مجلة (الف باء)، العدد ١١٧٤، ٢٧/اذار/١٩٩١م.

- مجلة (الف باء)، العدد ١٤١١، ١١/ تشرين الاول/ ١٩٩٥م.
- صحيفة (التآخي)، العدد ٢٣٢، الصادرة بتاريخ ٦ /آذار/ ١٩٦٨م.
- صحيفة (الثورة)، العدد ٥٤٧٦، الصادرة بتاريخ ١٥/ ايار/ ١٩٨٥م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٧٦٣٦، الصادرة بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٠م.
- صحيفة (العراق)، العدد ٤٤٤٢ ، الصادرة بتاريخ ١٨ /آب/ ١٩٩٠م.
- صحيفة (القادسية)، العدد ٣٣٤٨ ، الصادرة بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٠م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٧٧٩٨ ، الصادرة بتاريخ ١٥/شباط/١٩٩١م.
- صحيفة (القادسية)، العدد ٣٦٩٦ ، الصادرة بتاريخ ٤ /أيلول/٢٠٠١م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٧٧٧٩، الصادرة بتاريخ ٢٧/كانون الثاني/١٩٩١م.
- صحيفة (العراق)، العدد ٥٠٤٥، الصادرة بتاريخ ١٠/آب/١٩٩٢م.
- صحيفة (الثورة)، العدد ٨٠٠٨، الصادرة بتاريخ ١٠/آب/١٩٩٢م.
- صحيفة (القادسية)، العدد٣٩٨٤، الصادرة بتاريخ ١١/آب/١٩٩٢م.
- صحيفة (بابل)، الصادرة بتاريخ ٢/أيلول/١٩٩٢م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٨٣٠٣ ، الصادرة بتاريخ ٢٨/أيلول/١٩٩٢م.
- صحيفة (القادسية)، العدد ٤٠٢٥، الصادرة بتاريخ ٨/تشرين الاول/ ١٩٩٢م.
- صحيفة (القادسية)، العدد ٤٥١٨، الصادرة بتاريخ ٢/آب/١٩٩٤م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٩٩٢٦، الصادرة بتاريخ ١٩/كانون الاول/ ١٩٩٨م.
- صحيفة (الجمهورية)، العدد ٩٩٢٨، الصادرة بتاريخ ٢١/كانون الاول/ ١٩٩٨م.
- صحيفة (الثورة)، الصادرة بتاريخ ١٩٩٩/٢/١١م.
- صحيفة (العراق)، الصادرة بتاريخ ٢/كانون الثاني/١٩٩٩م.
- صحيفة (الرأي)، العدد ١١٤، الصادرة بتاريخ ١/تموز/٢٠٠١م.
- صحيفة (القادسية)، العدد ٧٠٧٩، الصادرة بتاريخ ٤/آذار/٢٠٠١م.
- صحيفة (العراق)، الصادرة بتاريخ ١٢/تشرين الاول/٢٠٠٠م.
- صحيفة (الشهادة)، التابعة للمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق، العدد ٨٧٨، الصادرة بتاريخ ٢٠٠١/٢/١٣م.

محتويات الكتاب

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

«المرجعية الدينية» في العراق